



إِسْتِثْنَاءُ عِلْمِ الدِّينِ إِلَى إِمَامِ الْفِكَرِ

مع مقدمة في التصوف الإسلامي ودراسة تحليلية لشخصية الغزالي

وفلسفته في الإحياء

بمقدم

الدكتور عبدوي طهاني

الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم
بجامعة القاهرة

الجزء الأول

دار النشر: دار الفكر العربي

مبني الباني الجليلي وشركاه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

النزلى وأخيه، علوم الدين

تمهيد في التصوف الإسلامى :

- ١ -

جاء الإسلام على فترة من الديانات ، وبعث محمد صلوات الله وسلامه عليه على فترة من الرسل ، ليعيد لعقيدة التوحيد صفاءها ونقاها ، ويظهرها من أدران الشرك والوثنية ، وليلد زيف البشرية في عقائدها وعبادتها ومعاملاتها ؛ وليرسى القواعد الأساسية التي تقوم عليها صلة الإنسان بربه ، وتنهض بها علاقته بأخيه الإنسان ؛ وليرسم للناس مقاييس السلوك ، ويتم مكارم الأخلاق ؛ ويضع بكل ذلك دستوراً للمجتمع قوى سليم ، تصان فيه حقوق الإنسان وحرياته ، وتحدد فيه أعيأه وتكاليفه في المجتمع الذى يعيش فيه .

وكان في تعاليم الإسلام ونصوص القرآن أكبر باعث على تنمية الضمير الإنسانى .

فقد جعلته تلك التعاليم يعتقد أن عليه رقيباً حسيباً : « مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ » ، وهو بعد الله كأنه يراه ، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه ، وهو الذى : « يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ » . وبذلك يعلم أنه لو حُلَّ بينه وبين المعصية لما اقترفها ، لأنه يرى بضميره ذلك الرقيب فى السر ، كما يرى آياته ماثلة شاخصة ، ويراه فى جنب الظلام ، كما يرى الدين ينشام فى راحة النهار وأنها : « إِنَّ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ » .

وخلاصة مبادئ الإسلام مبدآن : عملٌ لدنيا وعملٌ للآخرة . يتلخصان فى قوله تعالى : « وَأَتَّقِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ » . وقول الرسول : أحمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، وأعمل لآخرتك كأنك تموت غداً .

ومقتضى العمل لدنيا أن يكون الإنسان فرداً فعلاً يؤثر فيما حوله ، ويتأثر بما حوله . وليس للحي مناص من خوض معترك الحياة ، يضطرب فيما يضطرب فيه الناس ، ساعياً فى رزق ، أو طالباً لجد وكرامة ، وتلك سنة الحياة وطبيعة الأحياء ، ولن نجد لسنة الله تبديلاً مادامت السموات والأرض .

وإذا وجدت فكرة التبتل والاقطاع شيئاً من الدعوة إليها ، فإن فى النصوص الصريحة من الكتاب والسنة ما يؤيد فكرة العمل وما يحث عليها ويطلب بها فى إصرار وتوكيد ، حتى لتصبح فكرة التبتل والاقطاع وسيلة لكبح جماح النفس ، وللبالغة فى طلب الحياة والحرم عليها ، واستسلام النفس للنزوات وحب الشهوات .

وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم أحقة شاهد على ذلك ؛ وهو القدوة لكل مسلم ، وأقرب الناس إلى الله سبحانه وتعالى ؛ ومنتهى القول فيه أنه إنسان كامل : « قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا » .

وأما صلى الله عليه وسلم في العمل والكسب كثيرة ، منها قوله : « من سعى على عياله من حله فهو كالجاهل » . في سبيل الله ، ومن طلب الدنيا حلالا في عفاف كان في درجة الشهداء . وروت عائشة رضي الله عنها أن النبي صنع شيئا ترخص فيه ، وتزهد عنه قوم ، فبلغه ذلك . فحمد الله . ثم قال : ما بال أقوام يتزهدون عن الشيء أصنعه ؟ فوالله إني أعلمهم بالله ، وأشدهم له خشية !

هذا العمل نفسه ، وإن كان للدنيا ، وإن كان لفرد يتعزى به غيره أو خير غيره ، عمل للأخرة إذا ما انبه فيه الحق ، وأنصف نفسه من غيره ، وأنصف الناس منه ، وابتغى بذلك الإنصاف وجه الله والدار الآخرة ، وراعى أصول العقائد والعبادات التي تكون بين العبد وربّه ، لا تتجاوز تلك الدائرة إلا قليلا .

وهكذا كان القصد والاعتدال من سنن الإسلام ، الذي يحث على أشد المقت . فالإسراف في النفقة وذيلة ، والمسرّف من إخوان الشياطين ؛ مع أن بذل المال مطلوب ، وكثره يوجب العقاب : « وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالنِّصَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ، يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْفَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَأُخْرُؤُهُمْ هَٰذَا مَا كَتَرْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ » . ولسكن الذي يصحح ماله على خلاف مقتضى العقل والشرع ، ولو في الحسير كبناء المساجد ؛ سفيه يابى الجعر عليه ومنعه من التصرف في ماله .

والذي يعتت نفسه في ضروب العبادات ويبالغ فيها مصرف ، كالمثب الذي لا يقطع أرضا ، ولا يبقى ظهرأ . ومثله سواء بسواء للمقبل على الدنيا ، العاكف على لذتها ، للهالك على عرضها الزائل ، الذي شغل بها عما عند الله ، وغفل عن حقّ ربّه ، وحقّ دينه ، وحقّ غيره فيما عنده .

كذلك كان الإسلام ، وكذلك كانت سماحة الإسلام : فرض على المسلم صلاة وركاة وصوما وحجبا ؛ وكتب عليه جهادا لا يقوى عليه إلا بحسن التدبير الذي يستتزم صحة الأبدان وصحة العقول ، وإعداد المال والرجال ، من غير طغيان حق على حق ، أو إيتار الساجدة على الآجلة .

وسار المسلمون هذه السيرة في الصدر الأول ؛ حتى آل الأمر إلى ملك عضوض ، أصبحت فيه السياسة فتا لا يتخرج فيه عن الوسيلة في التماس القلبة ، وطفقت للادية على رجال الحكم ، وقدم في ذلك رعابام ، فقبلوا على الدنيا وعكفوا على ضروب الخلداع والاهو ، واتخذوا الجوارى والقيانف ، وسكنوا القصور ، وعمروا الأرض ، واصطفوا اللاذ التي كان يترفع عنها المسلمون في الصدر الأول ، وحاموا حول الشبهات ، واستهقروا بها ، وتأولوا في استباحتها آى القرآن وسنة النبي .

وقد كان خلفاء بني أمية سياستان اقتضاهما الحفاظ على الملك في بيتهم يتوارثه أبناؤهم ونطفائهم ، فهم يتبعون سياسة القمع ويعملون السيف والعصف مع الخارجيين عليهم من أهل العراق الذين كانوا شعبة لعلّ وأهل بيته ؛ وهم يتلونهم بالجنّة التلاظ من الولاة والعال ؛ على حين يصانسون أشراف الحجاز الذين كانت قلوب الساخطين الناقين على سياسة بني أمية تتطلع إليهم ، فترى الخلفاء يلبسون لهم في القول ويتجاوزون عن مسيئتهم ، ويشجعون حياة الدهر والترف فيهم بما يقدون عليهم من السماء ، ليشغلهم عن التطلع إلى الخلافة وإلى مناصب الدولة .

أما ذوو الحياء الذين مدّ لهم السلطان في الأسباب فظلوا سادرين في لهمم وترفهم . على حين ينس الآخرون من عامة أهل الحجاز وسواد أهل العراق من كل سبب من أسباب الدنيا .

وكان هذا اليأس من المنصب والحرام من البر والفرار من الفتنة التي حدثت في صفوف المسلمين ، مدعاة لمكونهم على العبادة والزهادة ؛ فانطلقوا على أنفسهم ، يتذاكرون كتاب الله وسنة نبيه ، ويشغلون أنفسهم بقصص الوضو والزهد ، والتصبر بما وعد الله الصابرين من الأجر وجزيل الثواب .

عاد هؤلاء إلى نصوص القرآن والسنة النبوية يستخلصون منها نصوص الترغيب فيما عند الله واجتناء ثواب الآلة ليعملوه منهمجهم في الدار الثانية ؛ ورأوا الزهد والانصراف إلى العبادة مرفاة الصعود إلى الله وكسب رضاه ، والوصول إلى المعرفة الكاملة بملكوته الله ، وهم يوقنون أن أسرار الملوكوت محبوبه عن القلوب التي دنسها حب الدنيا التي استغرق أكثرهمها طلب العاجلة ؛ بما فيها من رغد وزينة وجاه وسلطان : « زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْأَنْخِيلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَأَكْثَرُ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّآوِي » .

والأصل هو معرفة الله تعالى ، ثم سلوك الطريق إليه ، فأما أمر الآخرة فيكفي فيه الإيمان المطلق ، فإن العارف المطيع معاداً مسعداً ، وللجاهد العاصي معاداً مشقياً ، فأما معرفة تفصيل ذلك فليس بشرط في السلوك ، ولكنه زيادة تكميل للتشويق والتحذير ^(١) .

ولذلك الأصل هو الذي أنفي فيه أولئك زهرة حياتهم ، وهو الذي أففقوا في التعرف عليه جل ما وهبوا من عقل وتفكير ، وهو الذي ساقهم إلى التدبر في فهم آثار الصنعة ، حتى ينسئ لهم الوصول بها إلى المعرفة الحقة بالصانع ، وتلك المعرفة غاية في ذاتها ، إذ بها يصبح العبد ربانياً ، وفي ذلك الناية السعادة الحقة ، وكل ما يصطنعه العبد من عمل ومحاهدة إنما هو الوصول إلى تلك الناية ، غاية المعرفة .

ولا تسكون تلك الناية لمن نظر إلى غير الخالق ، لأن النظر إلى غيره عنى عنه ، وغفلة عن طريقه ، ولا يحمل بالحر المرید أن يتذلل للعبيد ، كيف وهو يجد عند الله كل ما يريد ^(٢) ، وإذا اضطلع العبد إلى الله تعالى بالسكينة فأول ما يفيد الاستغناء به عن الناس .

(١) التزالي : جواهر التبرك ١٢ (طبعة الرحمانية - القاهرة ١٣٥٢ هـ)
(٢) راجع فوائد الوفيات لابن شاكر ٣/١ (مطبعة بولاق - القاهرة ١٢٩٩ هـ) .

والطريق إلى الله يستلزم أمرين: لللازمة والخالفة . ولللازمة ملازمة ذكر الله تعالى، والخالفة لما يشغل عن الله، وهذا هو السفر إلى الله . وليس في هذا السفر حركة لا من جانب المسافر ولا من جانب المسافر إليه، فإنهما معاً . أو ما سمعت قوله تعالى، وهو أصدق القائلين: « وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبَلٍ أَرَيْدُ » ١٩ .

بل مثل الطالب والمطلوب مثل صورة حاضرة مع مرآة، ولكن ليست تتجلى في المرآة لئلا في وجه المرآة، فتقصفها تحتها فيها الصورة، لا يارتمال الصورة إلى المرآة، ولا بحركة المرآة إلى الصورة، ولكن بزوال الحجاب، فإن الله تعالى متجلى بذاته لا يخفى، إذ يستحيل اخفاء النور، بل بالنور يظهر كل خفاء، والله نور السموات والأرض .

وإنما خفاء النور من الحديقة لأحد أمرين: إما لكثرة في الحديقة، وإما لضعف فيها، إذ لا تطيق احتلال النور العظيم الباهر، كما لا يطيق نور الشمس أبصار الخفافيش . . . والنور يتجلى في بعض المراتب أصح وأظهر وأقوم وأوضح؛ وفي بعضها أخفى وأميل إلى الاعوجاج عن الاستقامة، وذلك بحسب صفاء المرآة وصفاتها وحمية استدارتها، واستقامة بسط وجهها، فلذلك قال صلى الله عليه وسلم: « إن الله يتجلى للناس عامة ولأبي بكر خاصة (١) » .

ومن هذا الدليل المادى كان الاتجاه العملى إلى جلاء النفس وصلتها، وسبيل ذلك مجاهدة النفس وإحكام غالفها بالانصراف عن الدنيا، والمكوف على العبادة، وترويضها بطول الخلوة والسياسة والصوم وقلة الطعام في النظر وكثرة الذكر، وغير ذلك من وسائل حل النفس على غير ما تشهى .

ويبدو من هذا أن السلبية كانت الطابع العام، ومجاربة النفس كانت الأصل عند أولئك الزهادين في الدنيا وزينتها .

وكانت بعد ذلك حركات عقلية اقتضت أودية التفكير الإسلامى، ونهبت المسادين إلى الزمان من المعرفة لم يكن لهم من أكثرها حظ؛ وضروب من التفكير لم يسبق لهم مرادولها، والأمة الإسلامية تتوالم إلى احتلال منزلتها، وبناء مدنيها على تلك الأسس الوطنية التي أرسى دعائمها الإسلام، وهو دين البشرية الذى يبعث صاحبه إلى الأسود والأحر: « يُبْدِئُ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَتِمُّ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ » وهو رسول الله وخاتم الدين .

ولذلك كان على حاة هذا الدين والقوامين عليه أن يطوفوا بكل جهات المعرفة، ويقفوا على ما عند غيرهم من أبناء الأمم من ضروب المعرفة وأوان التفكير، حتى لا تخفى عليهم زاوية من زوايا العقل، ولذلك لم يقفوا عند حدود النصوص ليؤمنوا بها إيماناً مطلقاً، ولم يعودوا يكتفون بالإيمان الجرد . بل أحسوا بضرورة البحث فى أسس هذا الإيمان وضرورة تطبيقه على العقل . وقد وجدوا في نصوص الدين ما يمتح على ذلك النظر وما يشجع على إعمال العقل والتفكير .

وكانت هنالك أم سبقتهم إلى البحث والتفكير فى الكون وخالقه، والحياة وما وراءها، والإنسين فى

حياته وموته وبنته . وكان لتلك الأم تراث خلفه طائفاً ، وورثته حكاؤها الإنسانية لتتظرف فيه ، وتقص منه أو تزيد عليه ، ما وسعها الزيادة وما وسعها التهذيب والتصحيح .

وجدت المسلمون في جمع ذلك التراث ونقله إلى لسانهم العربي ، حتى إذا اجتمع لهم منه شيء كثير ، أخذوا في تفهيمه ومدارسته ، وجدّوا في تحميمه وتطبيقه على ما ورثوه من دين ومعرفة وعقيدة وعبادة ومعاملة وسلوك .

وقد بلغ هذا التيار مداه في القرنين الثالث والرابع الهجريين . ففي هذين القرنين كانت أودية العلم تنموج بتلك التيارات الفكرية الطارئة التي حذفتها كثير من السليين ، وعظم بذلك سلطان العقل ، وعلو الجدل بين العلماء طغياناً كاد يُنسَى كثيراً منهم الأصل الذي ورثوه عن إسلامهم وعروبهم .

فالحكمة الهندية وفلسفة فارس وفلسفة يونان ومنطقهم ، كل ذلك أصبح يجري على ألسنة العلماء والمفكرين من المسلمين ويشغل بالهم ، ويدهورهم إلى البحث في دينهم وأصول عقائدهم على ضوء هذه المعرفة التي جذت على بيتهم ووجد فيهم من يتعصب لتلك التناقضات الطارئة ، ومن يؤثرها على ثقافته الأصلية ، إلى جانب الذين وصلوا هذه تلك ، وكونوا من هذا المزاج زاداً جديداً للعقل العربي الإسلامي .

وعاد الأمر إلى أولئك الزهاد الذين صدقوا عن الدنيا وزينتها ، ولم تعد السلبية التي كانوا يؤثرونها تقبل منهم في هذا المجتمع المضطرب ، فقد أصبح الفكر دعامة كل منهج من مناهج الحياة ، سواء أكان ذلك المنهج منهجاً نظرياً ، أم منهجاً عملياً . ولذلك وجدوا أنفسهم في حاجة إلى فلسفة فسكرتهم في الحياة حتى تنهض على أسس تماثل تلك الأسس التي أقام عليها غيرهم سلوكهم في الحياة .

الإمام الغزالي

وقد أنجب القرن الخامس الهجري علماً من أعلام الفكر الإسلامي ، هو حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد ابن محمد الغزالي ، ويعمل بناءً أن تشير إلى شيء من تاريخ هذا الإمام ، لنقف من هذا التاريخ على العواطف التي تظاهرت على تكوين هذه العقيدة الفريدة ، وألوان الثقافة التي احتشدت في ذهنه ، وجملة أهلاً لأن يحتل تلك المنزلة الجليلة بين زهاد المسلمين ومتصوفهم وأبناء مفكرهم .

وفي مدينة طوس^(١) وفي منتصف القرن الخامس الهجري (٤٥٠ هـ) ولد أبو حامد من أب عفّ القلب واليد ، بغزل الصوف ويبيسه ، ويختلف في أوقات فراغه إلى العلماء في حقايقهم . والفقهاء في دروسهم ، والروايف في مجالسهم ، يستمع إليهم ، ويتطالع إلى صنيعهم في التعليم والإفادة ، ويلاطفهم بما يفضل من قوته وحاجته . وكان

(١) طوس : مدينة بحراسان . فيها وبين نيسابور عشرة فراسخ ، فتحيا للملوك في أيام عثمان بن عفان ، وبها قبر علي بن موسى الرضا ، وقبر هارون الرشيد ، وبها آثار إسلامية جليلة .

قال ياقوت : خرج من طوس من أئمة أهل السنة والفتنة مالا يحصى ، وحسبك بأبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي وأبي الفتح أخيه .. (معجم البلدان ٧١/٦) .

تأثره بتلك المجالس وما يدور فيها من فنون العلم والوعظ عظيما ، جعله يضرع إلى الله أن يهب له ولداً من صلبه يجلس مجالس أئمة الفقهاء والوعاظ الذين يملكون الناس أمور دينهم ، ويصبرونهم بحجر الحياة الدنيا والآخرة . واستجاب الله لدعائه فرزقه ولدين : أحدهما أبو حامد الذي نتحدث عنه ، والآخر أخوه أحمد الذي اشتغل بالوعظ وبرع فيه إلى درجة كبيرة ^(١) .

ولما حضرت الوفاة ذلك الأب الصالح وصى بأبي حامد وأخيه صديقه من أهل التصوف . وقال له : إن لي أناساً عظيماً على ما فاني من التعلم ، وأشتهى استدراك ما فاني في ولدي هذين ، فلهما ، ولا عليك أن ينفذ في سبيل ذلك جميع ما أخلفه لما !

وأفند الصوفي وصيته ، وأقبل على تعليمهما ، حتى فنى المال القليل الذي خلفه أبوهما ، وتعلم عليه المضى في تعليمهما أو تقديم الطعام الذي يفتان به . ولم يجد من السبل ما يحفظ به عليهما حياتهما إلا أن يلحقهما بـ مدرسة من تلك المدارس التي تقدم لطلاب العلم فيها الغذاء والكساء . وقد أحسن الرجل بذلك صنفاً إلى هذين اليتيمين ، اللذين لا عائل لهما ولا مال يسينهما على الحياة ، ولذلك كان الغزالي يقول وهو يذكر هذا الصنيع : « طلبنا العلم لنير الله فأبى أن يكون إلا لله » . ومعنى ذلك أنهما طلباه ليكون وسيلة للعيش ، يُجرى عليهما بسببه ما يُجرى على طلبة العلم ، فكان أن أوصلهما إلى الغاية الحقيقية من طلب العلم ، وهي معرفة الله تعالى حق المعرفة !

هذا أبو حامد يقرأ في صباه طرفاً من الفقه ببلده (طوس) ثم يسافر إلى (جرجان) ^(٢) ويأخذ عن أبي نصر الإسماعيلي ، ثم يرجع إلى طوس ، فيقيم بها إلى ما شاء الله حتى يرتحل إلى (نيسابور) ^(٣) فيلازم إمام الحرمين أبا المعالي الجويني ، ويجد في طلب الفقه ، فيبرع فيه وفي الجدل والمنطق والفلسفة وفقه كلام أهل تلك العالوم ، ويتصدي للرد عليهم ، وإبطال دعاوهم ، ثم يقصد (السكر) بعد وفاة إمام الحرمين ، ويلقى فيها الوزير نظام الملك ، ويناطر في مجلسه الأئمة والعلماء ، ويظهر منازله ، حتى يترف الجميع له بالفضل ، ويأمره نظام الملك بالتوجه إلى (بغداد) والتدريس في المدرسة النظامية ، فيقدمها سنة ٤٨٤ هـ وفي تلك المدرسة يعظم محبته ، ويتألق نجمه ، ويذيع صيته ،

(١) هو أبو الفتح أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي الملقب بحمد الدين . قال ابن خلسكان : كان واعظاً ملوح الوعظ ، صاحب كرامات وإشارات ، وكان من الفقهاء غير أنه مال إلى الوعظ ، فغلب عليه ، ودوس بالمدرسة النظامية تباية عن أخيه أبي حامد . لا ترك التدريس زهادة فيه ، وانحصر كتاب أخيه أبي حامد للعلم بإحياء علوم الدين في مجلد واحد ، وسماه (أدب الإحياء) ، وله تصنيف آخر سماه (التنبيه في علم البصيرة) ولفظ البلاد وخدم الصوفية بنفسه ، وكان مثالا إلى الانقطاع والزهد . . وتوفى أحمد بجزون في سنة خمس مائة وخمسة [انظر وفيات الأعيان ١ / ٢٠٧ - مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة ١٣٥٠ هـ]

(٢) جرجان : مدينة عظيمة بين طبرستان وخراسان ، فبعض أهلها من هذه وبعضهم من هذه . قيل إن أول من أسسها بـأحمد بن زيد بن المهلب بن أبي صفرة ، وقد خرج منها صفوة من الأدباء والعلماء والفقهاء والمحدثين ، ولها تاريخ آلفه حزة بن يزيد السهمي . قال الإسفهرى : أما جرجان فلها أكبر مدينة يتوابعها ، وهي أقل ندى وطرا من طبرستان ، وأماها أحسن مارة وأكثرمودة من كبرائهم . ورجرجان مياه كثيرة وضياح عريضة ، وليس بالمشرق بعد أن تجاوز العراق مدينة أجمع ولا أمهر حسنا من جرجان (راجع معجم البلدان ٣ / ٧٥ طبعه المائدة ١٩٠٦ م) .

(٣) نيسابور : بلد كثير القواك والمبانيات ، كان المسلمون قد فتحوها في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وأقام عبد الله بن عامر ابن كرز في سنة ٣١ هـ صلحا ، وقيل إنها ضعت في أيام عمر رضي الله عنه على يد الأخنث بن قيس ، وإنما انتفضت في أيام عثمان ، فأرسل إليها عبد الله بن عامر ففتحها ثانية .

حتى يقال إن مجلس الغزالي كان يحضره ثلثة عامة من أكابر العلماء . وأصبح مضرب المثل في التدريس والإفادة ؛ تشد إليه رجال طائفي السلم وأهل الورع . ولكن نفسه تصد عن المنصب والجاه ، ويرى أن العلم مع شرفه ، والتعليم الذي يقوم به ، غير خالسين لوجه الله تعالى ، بل باعثهما طلب الجاه وبعد الصيت ، فتيقن أنه على شفا جرف هار ، وأنه قد أشفى على الهلاك إن لم يسرع بتلافى ما هو فيه .

وحيثما يظهر عزمه على الخروج إلى مكة ، وهو يدبر في نفسه السفر إلى الشام ، ولكنه لا يصرح بنيتة خذراً أن يبالغ الخليفة وجملة الأصحاب على عزمه المقام بالشام ، فيتلفط بلطائف الحيل في الخروج من بغداد وهو ينوي ألا يعاودها أبداً ؛ واستهدف بذلك لأئمة أهل العراق ، إذ لم يكن فيهم من يجوز أن يكون الإعراض عما كان فيه سبباً دينياً ، فقد ظنوا أنه بلغ المنصب الأعلى في الدين ، وكان ذلك مبلغهم من العلم .

وقد ارتبك الناس في الاستنباطات ، ووطن من بعد عن العراق أن ذلك كان لاستثمار من جهة الولاة ، وإما من قرب من الولاة ، وكان يشاهد إلحاحهم في التعلق به والانكباب عليه وإعراضه عنهم ، وعن الالتفات إلى قولهم ، فيقولون : هذا أمر سماوي ، وليس له سبب ، إلا عين أصابت الإسلام وزمرة أهل العلم !

وفارق بغداد ، بعد أن فرق ما كان معه من المال ، ولم يذخر إلا قدر السككاف وقوت الأطفال ، ترخصاً بأن مال العراق مُرْسَدٌ للصالح لكونه وفقاً على المسلمين ، فلم يرق العالم مالا يأخذ العالم لبياله أصابع منه . ودخل الشام ، وأقام بها ما يقرب من سنتين لا شغل له إلا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة ، اشتغالا بزيكية النفس ، وتهذيب الأخلاق ، وتصفية القلب لذكر الله تعالى ، فكان يستكفي في مسجد دمشق ، يصعد منارة طول النهار ، ويعلق بابها على نفسه ، حتى رحل إلى بيت المقدس ، يدخل كل يوم الصخرة ، ويعلق بابها على نفسه .

ثم تحركت فيه داعية الحج والاستمداد من بركات مكة والمدنية ، وزيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله عليه ، فسار إلى الحجاز ؛ حتى جذبتة الهم ودعوات الأطفال إلى الوطن فعاوده بعد أن كان أبعد الخلق عن نية الرجوع إليه .

وفي تلك الرحلات صدف نفسه عن الدنيا ، ولبس الخشن من الثياب ، وقلل طعامه وشرابه ، وصار يطوف للشاهد وزور المقابر والمساجد العظيمة والاعتبار ، ويروض نفسه ويجاهدها جهاد الأبرار ، ويكتفي مشاق العبادات ، ويملؤها بأنواع القرب والطاعات ، وفي هذه الأثناء ألف هذا الكتاب (إحياء علوم الدين) حتى رجع إلى بغداد فحدث به .

عاد الغزالي بعد ذلك إلى خراسان ، وانقطع للعبادة ، وآثر العزلة حرصاً على الخلوة وتصفية القلب للذكر ، حتى طلب إليه نحر الملك بن نظام الملك أن يقوم بالتدريس بالمدرسة النظامية في نيسابور ، ولكن الغزالي تأبى وقال : أريد العبادة ! فقال له : لا يحمل لك أن تمنع المسلمين الفائدة منك ! فدرس مدة يسيرة .

يقول الغزالي في ذلك : ترخصت بيني وبين الله تعالى بالاستمرار على العزلة ، تملاً بالمعجز عن إظهار الحق

بالحجة ، قدّر الله تعالى أن حرك داعية سلطان الوقت من نفسه ، لا بغيرك من خارج ، فأمر أمر الإلزام بالنبوض إلى « نيسابور » لتدارك هذه الفترة . وبلغ الإلزام حداً كان ينشئ - لو أمررت على الخلاف - إلى حد الوحشة . فخطر لي أن سبب الرخصة قد ضعف ، فلا ينبغي أن يكون باعثك على ملازمة العروة السكسل والاستراحة . وطلب عز النفس وصونها عن أذى الخلق ، ولم ترخص نفسك بمسرة معاناة الخلق ، والله تعالى يقول : « أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَبْزُكَرُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ؟ وَقَدْ فُتِنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ . . . الآية . » ويقول عز وجل : « لِرَسُولِهِ ، وَهُوَ أَعَزُّ خَلْقَهُ : « وَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوَدُّوا حَتَّى آتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ، وَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيٍّ الْمُرْسَلِينَ » . . . فتاورت في ذلك جماعة من أرباب القلوب وللشاهدات ، فاتفقوا على الإشارة بترك العروة ، والخروج من الزاوية ، وانضاف إلى ذلك منامات من الصالحين كثيرة متواترة ، تشهد بأن هذه الحركة مبدأ خير ورشد ، قدّرها الله تعالى على رأس هذه المائة ، وقد وعد الله سبحانه بإحياء دينه على رأس كل مائة ، فاستحکم الرجاء ، وغلب حسن الظن بسبب هذه الشهادات ، ويسّر الله تعالى الحركة إلى (نيسابور) لقيام بهذا المهم في ذى القعدة سنة تسع وتسعين وأربعمائة . . .

قال : وأنا أعلم أني وإن رجعت إلى نشر العلم ، فارجست ؟ فإن الرجوع حود إلى ما كان ! وكنت في ذلك الزمان أنشر العلم الذي به يكسب الجاه ، وأدعو إليه بقولي وعلمي ، وكان ذلك قصدي ونيتي . وأما الآن فأدعو إلى العلم القبي به يُترك الجاه ، ويعرف به سقوط رتبة الجاه ، هذا هو الآن نيتي وقصدي وأسنيتي ، أعلم الله ذلك مني !

وأنا أبني أن أصلح قضى وقبرى ، ولست أدري الأصل إلى مرادى أم أخترم دون غرضي ؟ ولكني أومن بإيمان يقين ومشاهدة أنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وأنى لم أتحرك ، ولكنى حرّكتنى ، وأنى لم أعمل ، ولكنه ابتعثنى ، فأسأله أن يصلحنى أولاً ، ثم يصلح بي ، ويهدينى ، ثم يهدي بي ^(١) .

وأخيراً يسود الغزال إلى طوس بعد الددة التي قضاه في نيسابور ، ويتخذ إلى جانب داره مدرسة لفتحها ، وخطابه للصوفية ، ويوزع أوقاته على وظائف من ختم القرآن ، ومجالسة الصوفية ، والتدريس لطلبة العلم ، وإدامة الصلاة والصيام وسائر العبادات ، حتى توفي في رابع عشر جمادى الآخرة سنة ٥٠٥ هـ .



ذلك ما استطاعت صفحات التاريخ أن تقيم من حياة أبي حامد الرجل في هذه الحياة الدنيا . أما عقليته ، فقد رأينا أن هذه السطور لا تكاد تصورها الصورة السكاملة ، ولن نجد في هذه الترجمة إلا لحاحات من فقره وورعه وعلمه وزهده ، وقد لا يجد القارىء في هذه الصورة شيئاً غريباً ، إنها صورة عادية تمثل رجلاً نشأ فقيراً ، فزهد كرهاً أو طوعاً ، وتصوف راضياً أو مضطراً .

وتلك اللامح كبيرة الوجود في البيئات الإسلامية في عصر أبي حامد وفي غيره من العصور الإسلامية .

وإنك لو اجتهدت العلم الدينى بطالبيه الفنى والفقيه ، والعلم العربى يجرى فى المجالس والمدارس والمساجد ميسراً لطالبيه ، ولا يكاد يكلفهم نفقة ولا جهداً .

بل ربما كان طلب هذا العلم باباً من أبواب الرزق ، وسيلاً من السبل التى يسلكها الكثيرون من طالبي الحياة لأجل القوت ، حتى يتقوا على السعى والسكدة فى طلبها ، أو حتى يفتح لهم هذا العلم نفسه باباً ، وبه يهيم لهم بين العلماء منزلة تهيم لهم منصباً وجاهاً ، يتألون به الخطوة والزلفى عند أصحاب الملك والسيادة والسلطان ، فقدر لهم أخلاف العلماء ، ويتألون بالعلم ما يشتهون من زينة الدنيا وترفها . وهذا ما تؤكد قصة الصوفى مع أبى حامد ، بعد استهلاك القليل الذى خلفه أبوه له ولأخيه ؛ واضطراره لأن يدخلها مدرسة كأنهما من طلبة العلم . ويؤكد أيضاً كلمة الفزائى السابقة : « طلبنا العلم لغير الله ، فأبى أن يكون إلا لله ! »

ولا شك أن كثيراً من شباب المسلمين قد سلك تلك السبل التى سلكها أبو حامد ، ولكنهم لم يحسموا بما تمع به من العقيلة الصافية والذكاء الخارق والإخلاص للعلم ، والتفانى فى طلب الحقيقة ، بساؤك سيلها ، وهو سبيل شاق طويل ، لا يقوى على سلوكه إلا أولو العزم من الباحثين الصابرين ، الذين إذا اتوى بهم طريق ، ووجدوه لا يوصل إلى الناية ، جددوا العزم وشحذوا قوتهم وطلبوا غيره ، ووجدوا فى هذا العناء وفى تلك المصاهرة والتأثير متعة لتفوسهم وراحة لعقولهم الجادة فى طلب المعرفة .

الشك عند الفزائى :

عاش الفزائى فى القرن الخامس الهجرى ، وهو القرن الذى انضمت فيه العقول واستوت أودية التفكير وتصدت روافده ، بين أصيل ودخيل ، وآخذ من هذا وذاك . واختافت أساليب المعرفة ، ومناهج البحث عن الحقيقة التى ينشدها كل مفكر . وكثر المتكلمون فى العقائد وفى أصول الدين ، وفى الطبيعة وما وراء الطبيعة ، وفى المذاهب والديانات ، وفى أفعال العباد وغاياتهم .

وكثر المتكلمون فى كل مسألة من تلك المسائل ، واختلوا فيها بينهم اختلافاً عظيماً ، حتى يكاد التوفيق بين تلك الآراء المتباينة ، والمذاهب المتباعدة يصبح ضرباً من المستحيل .

وتبدو الصعوبة فى أعظم صورها أمام كل باحث يريد أن يخط لنفسه خطة بين هذه الخلط الكثيرة والأكثرين يتخبرون لأنفسهم طريقة من الطرق السلوكية يسكنون عليها ؛ ويفقهون نهجها ، ثم يتألون بها ما وسعتهم الفلاة . وربما كانت مقالاتهم دون غيرها من القالات ، وربما كانت أدلتهم دون أدلة غيرهم ، ولكنهم فى الواقع يؤثرون السلامة بالبحث فى دقائق إحدى النواحي ، على حين يتألون غيرها أو يملون بها إلماماً عاماً ، ولم يتسع لهم الوقت للإيمان فى المناهج الكثيرة التى تباين منهجهم ومقاتهم .

وأمام هذا الفلوفى الاعتقاد والتعصب لراى أو منهج أو طريق سلوك ، ورفض كل ما عدا أولئك ، يجد الباحث المجدد نفسه أمام تيار من التردد ، وسيل من الشك فى أى الطرق يختار لنفسه ، إن كان لا يرى التقليد فى إيتار هذا المنهج على ذلك .

وجد النزالي نفسه بين هذه للذاهب التي لا تكاد تحصى ، وأمام تلك الاتجاهات التي يستحيل التوفيق بينها ، فبدأ حيث بدأ غيره يلم بأطراف من الثقافة السائدة ، ونفسه تتطلع للزبد ، وإذا المزيد الذي يريده اليقين يسلمه إلى شك طويل ، وإذا هذا الشك يبدو أمامه في كل أثر ، ولكنه لا يسرع إلى التقي ، ولا يسرع إلى اليقين ؛ فإن قلبه وعقله لا يرضيان بما رضى به غيره من الاتباع . ولذلك اضطره الشك إلى المكابدة في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق ، مع تباين المسالك والطرق ، وإلى الجراء من الارتفاع عن حضيض التقاليد إلى دفاع الاستبصار .

إن اختلاف الخلق في الأديان وللعلل ، ثم اختلاف الأمة في المذاهب على كثرة الفرق وتباين الطرق - كما يرى النزالي - بحر غرق فيه الأكرتون ، وما نجا منه إلا الأقلون . وكل فريق يزعم أنه الناجي ، و « كل حزب بما لديهم فرحون » ، وهو الذي وعد به سيد المرسلين ، صلوات الله عليه وهو الصادق الصدوق حيث قال : « ستفرق أمتي ثلاثا وسبعين فرقة ، الناجية منها واحدة » فقد كان ما وعد أن يكون ا

ورأى النزالي أن أصحاب الأديان كان التقليد ، كانت الوراثة ، السبب في نشأتهم على اليهودية أو النصرانية أو الإسلام ، فصبان النصارى لا يكون لهم نشوء إلا على التنصر ، وصبان اليهود لا نشوء لهم إلا على التهود ، وصبان المسلمين لا نشوء لهم إلا على الإسلام . والحديث المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه » .

ويحكى النزالي عن نفسه في « النشوء من الضلال » أنه لم يزل في عنفوان شبابه ، منذ راق البلوغ قبل العشرين إلى أن أناف سته على الحسنيين ، يقتحم لجة هذا البحر العميق ، ويخوض غمرة خوض الجسور ، لا خوف الجبان الخذور ، ويقوغل في كل مظلة ، ويتهم على كل مشكلة ويتعمق كل ورطة ، ويتفحص عن عقيدة كل فرقة ، ويستكشف أسرار مذهب كل طائفة ليميز بين حيق ومبطل ، ومتسنن ومتبدع ، لا يفادر بأطنيا إلا أحب أن يطالع على بطائته ، ولا ظاهريا إلا أراد أن يعلم حاصل ظهارته ، ولا فلسفيا إلا قصد الوقوف على كنه فلسفته ، ولا متكلما إلا اجتهد في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ، ولا صوفيا إلا حرص على المنور على سر صفوته ، ولا متميدا إلا ارتعد ما يرجع إليه حاصل عبادته ، ولا زنديقا مطلقا إلا تجسس وراءه لثبته لأسباب جرائته في تعطيله وزندقته .

ويقف النزالي عند قول الرسول : « كل مولود يولد على الفطرة . . . » ويتدرك بأمله إلى معرفة حقيقة الفطرة الأصلية ، وحقيقة العقائد المعارضة بتقليد الوالدين والأساتذيين ، والتمييز بين هذه التقاليد التي أوائلها تلقينات ، وفي تمييز الحق منها عن الباطل اختلافات . فيقول في نفسه : إننا معالو في العلم بمقتضى الأمور ، فلا بد من طلب حقيقة العلم ، ما هي ؟ ويظهر له أن العلم الحقيقي هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبق معه ريب ، ولا يقارنه إمكان الخلط والبرم . ويسلم أن كل ما لا يعلمه على هذا الوجه ، ولا يتيقنه هذا النوع من اليقين ، فهو علم لا ثقة به ، ولا أمان معه . وكل علم لا أمان معه فليس يعلم يقين !

فهو يتطلب المعرفة الممتدة ، المعرفة التي ترادف اليقين ؛ وكان يوفق في قرارة نفسه بتلك النظريّة الثابتة « إن الحقيقة لا تتعدد » ولكنه يرى التمدد في الأفكار والمقالات والأديان والمذاهب ؛ إذن لا يكون الحق إلا ديناً واحداً ، ومذهباً واحداً ، ومقالة واحدة . أو عبارة أخرى لا يكون المعتقد إلا واحداً ؛ والطريق الحق إليه لا يكون إلا واحداً ؛ والتفكير للمستقيم هو الذي يسلم إلى هذه النتيجة .

ولكن الأديان متعددة ، والمناهج شتى ؛ تفيض بها أودية التفكير ؛ إذن فلا بد أن تكون هناك عوائق ، حالت بين العقول وبين التمسك بالسوى ؛ لآفة أصابتها ، أو غلة اعترتها ؛ فكان هذا التصيب للبلل والنحل ؛ والناس يهيد لما عرفوا ، وأعداء لما جهلوا .

✽

سبيل المعرفة :

قلنا إن النزالي ابتداً طريق المعرفة بالشك فيها هو حاصل لدى بعض العقول ، وفيها هو مسلم به لدى بعضها دون البعض ، وهو يبحث عن طريق الأمان ، ولا أمان إلا بالعلم اليقيني الذي لا يقبل الشك ولا التردد ، وطبيعته تأبى التعدد ، فما الوسيلة إلى هذا العلم اليقيني للزم لفطرة الصافية والعقل السليم ؟

نشد النزالي هذه الوسيلة في الجليات ، وهي الحسيات والضروريات ؛ لتكون الوسيلة في فهم المشكلات ، ليتيقن أن ثقته بالمحسوسات وأمانه من الخاطى في الضروريات ، من جنس أمانه الذي كان من قبل في التقليدات ، ومن جنس أمان أكثر الخلق في النظريات ، أم هو أمان محقق لا غدر فيه ، ولا غائلة له ؟

وأقبل نجد يبالغ في تأمل المحسوسات والضروريات ، وأخذ ينظر هل يمكنه أن يشكك نفسه فيها ؟ وانتهى به طول التشكيك إلى أن لم تسمح نفسه بتسلم الأمان في المحسوسات أيضاً ، وأخذ يتسع هذا الشك فيها ، ويقول : من أين الثقة بالمحسوسات ؟ إن أقواها حاسة البصر ، وهي تنظر إلى السكوك فترة صغيراً في مقدار دينار ، ثم الأدلة الهندسية تدل على أنه أكبر من الأرض في القدار . هذا وأمثاله من المحسوسات يحكم فيها حاكم الحس بأحكامه ؛ ويكذبه حاكم العقل ويغويه ؛ تكذيباً لا سبيل إلى مدافعته . فقد بطلت الثقة بالمحسوسات أيضاً !

لعل سبيل تلك الثقة هو العقليات التي هي من الأوليات ، كفولنا : العشرة أكثر من الثلاثة ، والنفي والإكبات لا يجتمعان في الشيء الواحد ، والشيء الواحد لا يكون حادثاً قديماً ، موجوداً مدموماً واجباً محالاً .

هنا لا يجد النزالي سبباً واقعياً واحداً ينفي به الثقة بهذه الحقائق العقلية ، التي يلتقي عندها أصحاب العقول قاطبة ، مع اختلاف أجnasهم وأديانهم ؛ ولكنه رجل شك كما أسلفنا ؛ فلا بد أن يجري مع مذهبه في التشكك ، ولكنه لا يستطيع أن ينفي الثقة بالعقليات عن سبيل العقل ، ولأعن سبيل التجربة والحس والملاحظة ، وإذ ذاك يلتبس الشك من سبيل الجدل والنسطة ؛ ويختزع لذلك قياساً مجيباً ؛ فيزعم أن المحسوسات جادته وناقشته وحاجته فائتة : بم تأمن أن تكون ثقك بالعقليات كثفتك بالمحسوسات ؟ وقد كنت واقفاً بي ، فجاء حاكم العقل فكذبني ؛ ولولا حاكم العقل لسكنت تستمر على تصديقي ، ولعل وراء إدراك العقل حاكماً آخر ، إذا تجمل كذب العقل

في حكمه ، كما نحمل حاكم العقل فكذب الحس في حكمه ، وعدم تحمل ذلك الإدراك لا يدل على استحالة ؟
وتوقف النفس في جواب ذلك قليلاً ، وتؤيد إشكالها بالمنام ، وتقول : أما ترك نقد في النوم أموراً ،
وتخييل أحوالاً ، ونقد لها ثباتاً واستقراراً ، ولا تشك في تلك الحالة فيها ، ثم تستيقظ ، فتعلم أنه لم يكن لجميع
متخيلاتك ومعتقداتك أصل وطائل ؟ فم تأمن أن يكون جميع ما تعتقد في يفتلك بحس أو عقل هو حق بالإضافة
إلى حالتك التي أنت فيها ، لكن يمكن أن نطراً عليك حالة تكون نسبتها إلى يفتلك كنسبة يفتلك إلى
منامك ، وتكون يفتلك نوعاً بالإضافة إليها ، فإذا وردت تلك الحالة تيقنت أن جميع ماتوحت يفتلك خيالات
لا حاصل لها ؟ ولعل تلك الحالة مائدة الصوفية أنها حالهم إذ يزعمون أنهم يشاهدون في أحوالهم التي لم إذا غاصوا
في أنفسهم ، وغابوا عن حواسهم ، أحوالاً لا توافق هذه المقولات ، ولعل تلك الحالة هي الموت ، إذ قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا » فلم الحياة الدنيا نوم بالإضافة إلى الآخرة ، فإذا مات
الإنسان ظهرت له الأشياء على خلاف ما يشاهده الآن ، ويقال له عند ذلك « فَكشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ
الْيَوْمَ حَدِيدٌ » .

خطرت له تلك الخواطر ، وهو في غمرة الشك والارتباب ؛ إنه يبحث عن يقين يجعله محور البحث ، وشعلة
يبدأ منها سبيل الأمان ؛ ليسير نحو الغاية المنشودة محملاً ثابتة ، لا تنتقل إلا إذا اطمأنت إلى سلامة ما قبلها ، وعرفت
أنها تسير فوق أرض صلبة .

وحاول أن يخلص من هذا اللغز ، وأن يقطع الشك باليقين فلم يتيسر له ، إذ لا وسيلة إلى القضاء على تلك
الشكوك إلا بالدليل ، ولم يكن نصب الدليل إلا من تركيب العاوم الأولية ، فإذا لم تكن تلك العلوم الأولية
مسئلة لم يمكن ترتيب الدليل !

إن نفي الاعتدال على الحواس في سبيل إدراك العلم اليقيني اعتياداً على بعض ما يبدو من خداعها قد يكون له
ما يبرره . ولكن هناك من طرق الكشف ما يمكن معه تصحيح تلك الأخطاء والأوهام ، وقد نبه الفزالي نفسه
إلى شيء من هذا يمكن به تحقيق بعض شبه المعارضة . ولكن مذهب إليه من جواز تنفيد أحكام العقل لا يجد
مسوغاً إلا هذا القياس الذي رأيناه ، وفيه من الضعف ما فيه ؛ إذ أن التفكير السليم إذا خضع للمنطق واعتمد على
القياسات الصادقة كانت أحكام العقل والنتائج التي تقضى إليها نتائج نهائية في كل زمان وفي كل مكان .

أكبر الظن أن تلك الآراء كانت رد فعل لما أحدثه الطبيعيون والفلاسفة في بينات التفكير الإسلامي ، وهيام
بعض المقلدين بآرائهم واعتناقهم إيها ودفاعهم عنها وعن أصحابها ، مباحاة الجمهور الذي قد يجهل كثيراً من تلك
الأفكار الطارئة ، ولا يلبى إلا الأفكار التي أخذها عن الإسلام وراث العروبة ، ورأى القضاء بها عن تحصيل هذا
العلم الطارئ ، الذي لاصقه له بمعتقد ولا أثر له فيه ، ولا سيما أن هذا اللون من المعرفة منسوب إلى جماعة من
القدماء ؛ يعرف عنهم قبيل كل شيء أنهم من أهل الوثنية . وقد صرح بهذا الفزالي في التفات ، وأنه رأى طائفة
يعتقدون في أنفسهم التميز عن الأثراب والنظراء بجزء القطنة والدكاء ، قد رفضوا وظائف الإسلام من العبادات ،

واستحقوا شعائر الدين من وظائف الصلوات والتوق عن المحظورات ، واستهانوا بتبديات الشرع وحدوده ، ولم يقفوا عند توقيفاته وقيوده ، بل خلعوا بالسكينة ربة الدين بفنون من الظنون ، يتعمق فيها رهطاً يصدون عن سبيل الله ويبنونها عوجاً ، وهم بالآخرة هم كافرون ؛ ولا مستند لكفرهم غير شهيد سمعى "إلى" ، كتقليد اليهود والنصارى إذ جرى على غير دين الإسلام نشؤهم وأولادهم ؛ وعليه درج آبائهم وأجدادهم ، وغير بحث نظرى صادر عن الضر بأذيال الشبه الصارفة عن صوب الصواب ، والاختداع بالثيلات المزخرفة ككلام السراب ، كما اتفق لطوائف من النظار فى البحث عن العقائد والآراء من أهل البدع والأهواء .

وإنما مصدر كفرهم سماعهم أسماء هائلة كسقراط^(١) وبقرات^(٢) وأفلاطون^(٣) وأرسطوطاليس^(٤) وأمثالهم ؛ وإطناب طوائف من متبعهم ، وضلالهم فى وصف عقولهم وحسن أصولهم ورقة علومهم الهندسية والمنطقية والطبيعية والإلهية ، واستبدادهم ، لفرط الذكاء والقفطنة ، باستخراج تلك الأمور الخفية ، وحكايتهم عنهم أهمهم مع رزاة عقولهم وغزارة فضولهم متكررون فشرائع والنحل ، وواجدون لتفاصيل الأديان والللال ، ومعتقدون أنها توابيس مؤلفة وحيل مزخرفة . فلما قرع ذلك سمعهم ، ووافق ما حكى من عقائدهم طبعهم ، تجملوا باعتقاد الكفر تحميراً إلى غمار الفضل بزعمهم ، وانخرطوا فى سلكهم ، وترضا عن مسابرة الجاهل والذهماء ، واستكفا من الثقافة بأديان الآباء ، ظنا بأن إظهار الحكايس فى النزوع عن تقليد الحق بالشروع فى تقليد الباطل جمال ، وغفلة منهم عن أن الانتقال إلى تقليد عن تقليد خرق وخيال ، فأية رتبة فى عالم الله أخس من رتبة من يتحمل بترك الحق للمعتقد تقليداً بالتسارع إلى قبول الباطل تصديقاً ، دون أن يقبله خيراً وتعقيقاً^(٥) .

وقع النزاع فى هذه الأبحاث من المقاتلات والعداوى ، ووجدته أمامها ؛ فأملت عليه تلك الآراء فيها ، وهو رجل يبرأ من الحول والطور ، ويسلم وجهه لله ، ويؤمن بأن الهدى هدى الله ؛ وكل من حسن فتن صاحبه فأرداه ؛ وكل من عقل أضل صاحبه فأغراه عن سبيل الرشاد . فلما رجعت نفسى إلى الصحة والاعتدال ، رجعت الضرورات العقلية عنده مقبولة موثقاً بها عن أمن ويقين .

(١) هو أبقليسوس المشهور ولد بأثينا سنة ٤٧٠ ق . م وكان من تلاميذ فيثاغورس ، وأخصر من الفلسفة على العلوم الإلهية وأعرض من ملاذ الدنيا ورفضها ، وأعلن بغضه اليونانيين فى عبادتهم الأسمان وقابل رؤسائهم بالمجس والأذى ، تذبذبوا عليه العامة ، واضطروا ملكهم إلى قتله .

(٢) هى بيثى علوم الفلسفة ، وهو سيد الطبيعيين فى عصره ، وكان قبل الاسكندر بنحو مائة سنة ، وله فى الطب تأليف مشهورة فى جيب العالم ، وفى صدور كسبه وصايا جيدة من التصنن والشفقة على النوع بوطيلير الأخلاق من الكبر والحب والحسد .

(٣) أحد أساطين الحكمة من يونان ، أخذ عن فيثاغورس وشارك سقراط فى الأخذ عنه ، ولم يشتر ذكره بين علماء اليونان إلا بعد موت سقراط ، وصنف كتباً مشهورة فى فنون الحكمة ، وذهب فيها إلى الرمز والإغراق ، واشتهر جماعة من تلاميذه المتشربين عليه ؛ وصمى الناس فرقة المشائين لأنه كان يعلم تلاميذه الفلسفة وهو ملث .

(٤) هو تلميذ أفلاطون لازمه عشرين سنة ، وكان أفلاطون يؤثره على سائر تلاميذه ويسميه البطال ، وإلى أرسطوطاليس انتهت فلسفة اليونانيين ، وهو خاتمة حكائهم ، وهو أول من خلص صناعة البرهان من سائر الصناعات المنطقية وجعلها آلة لعلوم النظرية حتى لقب بصناعة المنطق ، وله فى جيب العلوم الفلسفية والأدبية كتب مشهورة ، وهو صاحب المنطق ، وكان أرسطوطاليس معلم الإسكندر ابن فيليب ملك مقدونية ، وبآدابه عمل فى سياسة وصية وسيرة ملكه ، وبسبب أرسطوطاليس كثرت الفلسفة وغيرها من العلوم التقدمية فى البلاد الإسلامية .

(٥) انظر فى : نهات الفلسفة : ص ٣ . (الطبعة الثانية - القاهرة ١٩١٩ م) .

ولم يكن الدليل إلى ذلك نظام الدلائل وتربية الكلام ، بل كان الدليل نوراً قذفه الله تعالى في صدره ، وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف .

ومن ثَمَّ أن الكشف موقوف على الأداة المحررة ، فقد ضيق رحمة الله الواسعة . ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن « الشرح » ومعناه في قوله تعالى « فَن يُرِدُّ اللَّهُ أَنَّ يَهْدِيَ بَشَرَهُ صَوْرَهُ للإسلام » قال : « هو نور يقذفه الله تعالى في القلب » اقليل : وما علامته ؟ فقال . « التجافي عن دار الغرور ، والإجابة إلى دار الخلود » وهو الذي قال عليه السلام فيه : « إن الله خالق الخلق في ظلمة ، ثم رش عليهم من نوره » . فمن ذلك النور ينشئ أن يطلب الكشف ، وذلك النور ينبجس من الجود الإلهي في بعض الأحيان ، ويجب التزهد له ، كما قال عليه السلام « إن ربكم في أيام دهركم نعمات ، ألا تضرعوا لها » .

ولم يرد النزالي بذلك كفى نفسه ، أو كفى الناس ، عن الدرس والتأمل والبحث ، اعتاداً على بعض النور الذي لا يأتي إلا بنعمات ، وفي بعض الأحيان ، ولكنه أراد أن يعمل كالجد في الطلب حتى ينتهي إلى طلب ملا يطلب ، وملا قدرة على إدراكه ، وهو الذي يحتاج إلى ذلك النور الذي يقذفه الله تعالى في قلوب الصالحين الأخيار من عباده .

وإذا كان النزالي معدوداً في أئمة فلاسفة الإسلام ؛ فإن ذلك حق ، إذا أريد به أنه صاحب رأى وصاحب فكرة حرة ، لا سيرة في ركاب فكر أخرى ، مهما يكن حفظها من الذبوع ؛ وحظ أصحابها من الجد في دنيا التفكير .

وإذا كان النزالي معدوداً في رأس المتصوفة التقية الزاهدة الورعة ، فإن ذلك حق أيضاً ، ولكن ينشئ أن يكون معروفاً أنها ليست صوفية البتة من العوام ، ولكنها صوفية الخاصة ، صوفية مستتيرة جادة مجاهدة في طلب المعرفة ، وسبيل الوصول عندها إلى الحقيقة ذلك الجد الذي يقتحم كل واد من أودية المعرفة : المعرفة التي يرضاها ؛ والمعرفة التي ينسكرها ، والمعرفة التي قد يسلم بها ولكنها لا يأخذ بها .

وهي صوفية تقف في وجه الابتداع ، وتقف أيضاً في وجه التقليد ، صوفية تتخذ مزاج المواتة من أهل العقل ، وهي في الوقت نفسه تحترم أحكام العقل التي لا تقبل المنازعة ؛ حتى لو عدلها بعض الجامدين خروجا على الدين ومخالفة لنصوص سادت في بيئاتهم ؛ إنه يؤول تلك النصوص تأويلاً يجاري به أحكام العقل وأحكام الطبيعة ؛ ويعطى في صحة النص إذا عارض أحكام العقل المسلم بها وأحكام الطبيعة الراحنة الشائخة ، ويذهب إلى أن الإصرار على تقبل تلك النصوص على ما فيها مضر بالإسلام ومشكك في صحة العقيدة .

انظر إليه وهو يحصى أقسام الخلاف بين الفلاسفة وبين غيرهم من الفرق ، ويذكر قسما من هذا الخلاف ، لا يصمد مذهب الفلاسفة فيه أصلا من أصول الدين ، وليس من ضرورة تصديق الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم منازعتهم فيه ، كقولهم : إن كسوف القمر عبارة عن انحاء ضوء القمر بتوسط الأرض بينه وبين الشمس ، من حيث إنه يفتس نوره من الشمس ، والأرض كرة والماء محيطة بها من الجوانب ، فإذا وقع القمر في ظل الأرض

اتطلع منه نور الشمس . وكقولهم : إن كسوف الشمس معناه وقوع جرم القمر بين الناظر وبين الشمس ، وذلك عند اجتماعهما في السمتين على دقيقة واحدة .

إن هذا الفن لا يحال النزالي أن يخوض في إبطاله ، إذ لا يتعلق به غرض من الدين ، ويصرح بأن من يظن أن المغافرة في هذا من الدين ، فقد جنى على الدين وضف أمره ، لأن هذه الأمور تقوم عليها براهين هندسية حسابية لا يبقى معها ريب ، ومن اطلع عليها وتحقق أدلتها ، حتى يخبر بسببها عن وقت الكسوفين وقدرهما ومدة بقائهما إلى الانجلاء ، إذا قيل له : إن هذا على خلاف الشرع لم يسترب فيه ، وإنما يسترب في الشرع . وضرر الشرع من ينصره لا بطريقه ، أكثر من ضرره ممن يطن فيه بطريقه ، وهو كما قيل : عدو عاقل خير من صديق جاهل ! .

فإن قيل : فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الشمس والقمر لآيتان من آيات الله ، لا يضمنان لموت أحد ولا حياته ، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله والصلاة » فكيف يلازم هذا ما قالوه ؟ يقول النزالي : ليس في هذا ما يناقض ما قالوه ، إذ ليس فيه إلا نفي وقوع الكسوف لموت أحد أو حياته ، والأمر بالصلاة عند . والشرع الذي يأمر بالصلاة عند الزوال والغروب والطلوع ، من أين يبعد منه أن يأمر بها عند الكسوف استجباً ؟ .

فإن قيل : فقد روى أنه قال في آخر الحديث : « ولكن الله إذا تجل لشيء خضع له » فيدل على أن الكسوف خضوع بسبب التجلي . قلنا : هذه الزيادة لم يصح قلبها ، فيجب تكذيب ناقلها ؛ وإنما الروي ما ذكرناه ، كيف ولو كان صحيحاً لكان تأويله أهون من مكابرة أمور قطعية ؟ ! فكم من غواهر أولت بالألة العقلية التي لا تنتهي في الوضوح إلى هذا الحد .

وأعظم ما يفرح به للملاحدة أن يصرح ناصر الشرع بأن هذا وأمثاله على خلاف الشرع ؛ فيسهل عليهم طريق إبطال الشرع ، إن كان شرطه أمثال ذلك !

وهذا لأن البحث في العالم عن كونه حادثاً أو قديماً ، ثم إذا ثبت حدوثه ، فواء أكان كرة أم بسيطاً ، أم مسدساً ، أم مثقباً ؛ وسواء أكانت السموات وما تحتها ثلاث عشرة طبقة ، أم قل ، أم كثر ، فنسبة النظر فيه إلى البحث الإلهي ، كنسبة النظر إلى طبقات البصلة وعددها ، وعدد حب الرمان ، فالقصور كونه من فضل الله تعالى قسط كيفما كان !

إن مثل هذه العقيدة الواعية ، هي العقيدة التي تحدم الدين ، وتيسط ساحتها ، وتدعو إليه ، وترغب فيه ، لا العقليات الجامدة التي تنف في سبيل كل علم ، وتمترس على كل نظر واجتهاد وتعمد من الأمور الخدعة ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة في النار . حتى حار كثير من المسلمين في تقبل ألوان المعارف التي لم يكن لقلب صديها ، خشية أن تكون من تلك البذع التي تعود صاحبها إلى غضب الله ، وإلقائه في جهنم وبئس القرار . وبهذا التردد وقف الركب بدل أن يتقدم ، وأحجم حيث يجب أن يتقدم . وزعم بعض الناقلين أن الدين نص* يبنى الوقوف

عند حروبه ودلالات أفعاله ؛ وما ليس في هذه المصوم فالإسلام منه براء ؛ وهو لم يتوهم يحمل بالمسلم أن يتحاشاه إن أراد الحفاظ على عقيدته . وغفلوا عن أن صاحب الدين هو صاحب الدنيا ، وأنه واهب العقول ، كما أتى في القلوب الهدى ، وهداها إلى الإيمان ؛ وأنه أمر بالسعي كما أمر بالنظر والبحث في ملكوته ، لتبين آياته للتوسمين .

الباحثون عن الحقيقة :

وهم السالكون سبل طلب الحق ؛ وإن شذ الحق عنهم فلا يبقى في درك الحقيقة مطمع ؛ إذ لا مطمع في الرجوع إلى التقليد بعد مفارقتها .

وقد بحث عنهم النزالي في عصره فألقاهم أربع فرق :

- (١) المتكلمون : الذين يدعون أنهم أهل الرأي والنظر .
 - (٢) الباطنية : الذين يزعمون أنهم أصحاب التلميح ، والمخصوصون بالاعتباس من الإمام المصوم .
 - (٣) الفلاسفة : وهم يزعمون أنهم أهل المنطق والبرهان .
 - (٤) الصوفية : وهم الذين يدعون أنهم خواص الحضرة ، وأهل للشاهدة والمكاشفة .
- وقد درس النزالي مباحث هذه الفرق ، وأمن في درس مناهجها في البحث .

النزالي وعلم الكلام :

ابتداً بعلم الكلام لخدمته وعقله ، وطالع كتب المحققين في المتكلمين ، وعرف أن غايتهم حفظ عقيدة أهل السنة عن تشويش المبتدعين . قد أطلق الله ألسنتهم لنصرة السنة بكلام مرتب ، يكشف عن تلبس أهل البدعة الحديثة على خلاف السنة المأثورة . وقامت طائفة منهم بما نلبسهم الله إليه ، فأحسنوا الذب عن السنة والنضال عن العقيدة المتفاعة بالقبول من النبوة ، والتنوير في وجه ما أحدث من البدعة .

ويرى النزالي بأنه صادق علم الكلام وفاقاً بالنهاية التي كان لها ، ولكنه على الرغم من ذلك لم يشف نفسه ولم ينف بمقصوده ، لأنه لم ير الاستقلال كاملاً في بحثه والتجرد في طلبه ، بل أتى المتكلمين اعتمدوا في سبيل غايتهم على مقدمات تسووها من خصومهم ، واضطروهم إلى التسليم بها التقليد ، أو إجماع الأمة ، أو مجرد القول من القرآن والأخبار ، ولأن أكثر خوضهم كان في استخراج مناقضات المصوم ، وهذا قليل النفع في حق من لا يعلم سوى الضروريات بشئ أصلاً . ثم إنه لما نشأت صنعة الكلام وكثر الغلوض فيه ، تشوق المتكلمون إلى محاورة الذب عن السنة بالبحث عن حقائق الأمور ، فغضوا في البحث عن الجواهر والأعراض وأحكامها ، ولكن لما لم يكن ذلك مقصود علمهم لم يبلغ كلالهم فيه الناية القصوى ، ولم يكن من ذلك ما يعمى بالسكية ظلمات الحقيقة في اختلافات المطلق .

وقد ألك لم يجد النزالي علم الكلام وافيًا بمراده ، ولا شافياً لدائه . وإن كان لا يسكر أن هذا العلم قد شفى نفس غيره ووفى بمقصوده ، بل لا يشك في حصول ذلك للطائفة ، ولكنه حصول مشوب بالتفايد في بعض الأمور . والنزالي

يحكى بذلك حاله ولا ينكر على من استشفى به ، فإن أدوية الشفاء تختلف باختلاف الداء ، وكل من دواء ينتفع به مريض ، ويستضرّ به آخر !

الزلاى والفلسفة :

وثنى بعم الفلسفة ، درسه فى سنتين ، ثم لم يزل يراغب على التفكير فيه بعد فهمه قريبا من سنة ، بماوده ويردده ، ويتفقد غوائله وأغواره ، ويعلم على مافيه من خدام وتليس ، وتحقيق وتحصيل . وقد رأى الفلسفة أصنافا ، ورأى علومهم أقساما .

عرف منهم (الذهرين) الذين جعلوا الصانع للذير ، العالم المتأخر ، وزعموا أن العالم لم يزل موجودا كذلك بنفسه ، وبلا صانع . ولم يزل الحيوان من النطفة ، والنطفة من الحيوان ، كذلك كان ، وكذلك يكون أبدا . وهؤلاء هم الزنادقة .

وعرف منهم (الطبيعيين) الذين أكثروا البحث عن عالم الطبيعة ، وعن مجائب الحيوان والنبات ، وأكثروا الخوض فى علم تشريح أعضاء الحيوانات ، فرأوا فيها من مجائب صنع الله تعالى وبدائع حكمته ، ما اضطروا معه إلى الاعتراف بباطل حكمهم ، مطلع على غايات الأمور ومقاصدها ، إلا أنهم يرون لاعتدال المزاج تأثيرا عظيما فى قوام قوى الحيوان به ، فظنوا القوة العاقلة من الإنسان تابعة لمزاجه ، وأنها تبطل ببطالته ، وإذا انعدم فلا يقبل إعادته ؛ فالفنفس تموت ولا تعود ، فجحدوا الآخرة ، وأكثروا الجنة والنار والحشر والنشر والقيامة والحساب ، ولم يبق عندهم لطاعة ثواب ، ولا للمعصية عقاب ، فأنهمكوا فى الشهوات أنهماك الأنعام . وهؤلاء أيضا زنادقة ، لأن أصل الإيمان هو الإيمان بالله واليوم الآخر ، وهؤلاء جحدوا اليوم الآخر ، وإن آمنوا بالله وصفاته .

وعرف منهم (الإلهيين) من أمثال سقراط وأفلاطون وأرسططاليس الذى رتب لهم المنطق وهذب لهم العلوم ، وحرر مالم يكن محررا من قبل ، وأنضج لهم ما كان غيا من علومهم . وهؤلاء يجلستهم ردوا على الذهرين والطبيعيين وأوردوا فى الكشف عن فضائعهم ما أغوا به غيرهم ، وكذلك رد بعضهم بعضا . ولهم شيمة من المتفلسفة الإسلاميين كآبن سينا والفارابى .

أما العلوم التى خاض فيها أولئك الفلاسفة فقد حصل أقسامها ودرس مباحث كل منها ، وأعلن رأيه فيها ، وهى العلوم الرياضية والمنطقية والطبيعية والإلهية والسياسية والخلقية ، وتكلم عن آفاتها وهما يتماق منها بالدين ، ومالا يتصل به أولا يؤثر فى العقيدة الوقوف عليه . فالرياضيات التى تتعلق بعم الحساب والمهندسة وعلم هيئة العالم ليس يتعلق شئ منها بالأمور الدينية نفا وإثباتا ، بل هى أمور برهانية لا سبيل إلى مجادتها بعد فهمها ومعرفتها . ولكن تولدت منها آفاتها :

الأولى : أن من ينظر فيها يتعجب من دقائقها ، ومن ظهور براهينها ، فيحسن بسبب ذلك اعتقاده فى الفلاسفة فيحسب أن جميع علومهم فى الوضوح وفى وثاقة البرهان كهذا العلم ، ثم يكون قد سمع من كفرهم وتطليهم ونهاونهم بالشريع ما تداولته الألسنة ، فيكفر بالتقليد المحض ؛ ويقول : لو كان الدين حقا لما اختفى على هؤلاء مع تدقيقهم

وهذا العلم . فإذا عرف بالتسامع كثيرهم وجحدهم استدلل على أن الحق هو الجهد والإنكار للدين ، وكما رأيت من بضل عن الدين بهذا القدر ؛ ولا مستند له سواء ؛ مع أن الحائق في صناعة واحدة ليس يلزم أن يكون حاذقاً لكل صناعة .
والثانية : نشأت من صديق للإسلام جاهل ، ظن أن الدين ينصر بإنكار كل علم منسوب إليهم ، فأكثر جميع علومهم وادعى جهلهم فيها ، حتى أنكر قولهم في الكسوف والخسوف ، وزعم أن ما قالوه على خلاف الشرع ، فلما قرع ذلك سمع من عرف ذلك بالبرهان القاطع لم يشك في برهانه ، لكن اعتقد أن الإسلام مبنى على الجهل وإنكار البرهان القاطع ، فازداد لفلسفة حسبا ، وللإسلام بضاً . ولقد عظم على الدين خيانة من ظن أن الإسلام ينصر بإنكار هذه العلوم ، وليس في الشرع تعرض لهذه العلوم بالنفي أو الإثبات .
وبهذا الأسلوب عالم النزالي سائر أقسام علوم الفلاسفة ، وخلص من دراسته بأن علومهم غير وافية بكال الترض ، وأن العقل ليس مستقلاً بالإحاطة بجميع اللطال ، ولا كاشفاً لقطاء عن جميع المضلات .

النزالي ومذهب التعليم :

وعرف ما عند أولئك الذين يسبون أنفسهم (التليبيين) الذين شاع بين انغلاق تحمدهم بمعرفة معنى الأمور من جهة الإمام المصوم القائم بالحق ، وبحت عن مقالاتهم ، واطلع على ما في كتبهم ؛ وهناك عامل خارجي أعانه على هذا البحث ضمنية للبعث الأصلي من الباطن في طلب المعرفة ، وذلك هو ورود أمر جازم من حضرة الخلافة بتصنيف كتاب يكشف عن حقيقة مذهبهم ، فلم يسعه مداومته .

وخلاصة رأى النزالي أنه لا حاصل عند هؤلاء ولا طائل لسكلامهم ، ولولا سوء نصرة الصديق الجاهل لما انتهت تلك البدعة مع ضعفها إلى هذه الدرجة . ولكن شدة التصب دعيت الذابين عن الحق إلى تطويل النزاع معهم في مقدمات كلامهم ، وإلى مجاحلتهم في كل ما نطقوا به ، لجاحدوهم في دعواهم « الحاجة إلى التعليم والمعلم » ودعواهم أنه « لا يصحح كل معلم بل لا بد من إمام مصوم » وظهرت حجبتهم في إظهار الحاجة إلى التعليم والمعلم ، وضمف قول للسكرين في مقابلته ؛ فاعتر بذلك جماعة ، وظنوا أن ذلك من قوة مذهبهم وضعف مذهب المخالفين لهم ، ولم ينهوا أن ذلك لضعف ناصر الحق وجهله بطريقه ، بل الصواب الاعتراف بالحاجة إلى المعلم ، وأنه لا بد أن يكون المعلم مصوماً . ولكن معلنا للمصوم هو محمد صلى الله عليه وسلم فإذا قالوا : هو ميت ! فقول : فمهلك غائب .

فإذا قالوا : معلنا قد علم الدعاء وبهم في البلاد ، وهو ينتظر مراجعتهم إن اختلفوا أو أشكل عليهم مشكل فقول : ومعلنا قد علم الدعاء وبهم في البلاد ، وأكل التعليم ، إذ قال الله تعالى : « أَلْيَوْمَ أَكُنْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَىكُمْ تَمَتِّي » وبد كال التعليم لا يضر موت المعلم كما لا تضر غيبته !

ويورد بعد ذلك طائفة من مقالاتهم ، ويجهت في البرهان على إيمانها . ثم يقول : فهؤلاء أيضاً جرح بنام ، وسبوا ظاهراً وباطنهم ، فرجع حاصلهم إلى استدراج العوام وضغفاء العقول ببيان الحاجة إلى المعلم ، ومجادلتهم في إنكار الحاجة إلى التعليم بكلام قوى معمم ، حتى إذا ساعدتهم على الحاجة إلى المعلم مساعد ، وقال هاتِ علمه ،

وأفدنا من تسليمه ، وقف وقال : الآن سلمت لى هذا فأطلبه : فإنما غرضى هذا القدر فقط ١ . إذ علم أنه لو زاد على ذلك لافضح ، ولعجز عن حل أدنى الإشكالات ، بل عجز عن فهمه ، فضلا عن جوابه .
فلما خبرهم بنقض اليد عنهم ، إذ لم يجد معهم شيئا من الشفاء للنحي من ظلمات الآراء .

النزالي والصوفية :

وبقى من طوائف الباحثين عن الحقيقة طائفة (الصوفية) ، وقد علم أن طريقهم إنما تم بلم وعمل ، وحاصل علمهم قطع هتبات النفس والنزاهة عن أخلاقها للذمومة وصفاتها الخبيثة ، حتى يتوصل بها إلى تخليق القلب عن غير الله تعالى ، وتخليته بذكر الله .

يقول النزالي : وكان العلم أيسر على من العمل ، فأبتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم ، مثل « قوت القلوب » لأبى طالب المكي رحمه الله ، وكتب الحارث المحاسبي ، وللتفرقات المأثورة عن الجنيد والشبلى وأبى يزيد البسطامي ، قدس الله أرواحهم ، حتى اطلمت على كنه مقاصدهم العلمية ، وحصلت ما يمكن أن يحصل من طريقهم بالتعلم والسماع ، فظهر لى أن خواص خواصهم مالا يمكن الوصول إليه بالتعلم ، بل بالذوق والحال وتبدل الصفات ... وعلمت يقينا أنهم أرباب الأحوال لا أصحاب الأقوال ، وأن ما يمكن تحصيله بطريق العلم فقد حصلته ولم يبق إلا مالا سبيل إليه بالسماع والتعلم ، بل بالذوق والسلوك .

وقد أنقذ النزالي على الصوفية تناء عظيما ، وامتحن سيرتهم ، بعد أن عكف على دراستهم فلما وعلا واقدها ، ونجروا وبجهاذة نفس ، حتى انتهى إلى أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة ، وأن سيرتهم أحسن السير ، وطريقهم أصوب الطرق ، وأخلاقهم أزكى الأخلاق .

بل إنه لينهض إلى أنه لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء لينهضوا شيئا من سيرهم وأخلاقهم ، ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلا ، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقبسة من نور مشكاة النبوة ، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به .

وبالجملة فإذا يقول القائلون في طريقة طهارتها - وهى أول شروطها - تطهير القلب بالكيفية عما سوى الله تعالى ، ومفتاحها استغراق القلب بالكيفية بذكر الله ، وآخرها القضاء بالكيفية بالله ؟ !

وهو على مذهبه في حرية البحث ، وفي حرب التقليد ؛ لا يقرم على كل شيء إقرارا مطلقا ، بل إنه ليصف باطلا ما تذهب إليه بعض طوائفهم مما يجرى على ألسنتهم ، ممن يقولون بالحلول ، ومن يقولون بالانحداد ، ومن يدعون الوصول ، وغير ذلك مما يسهل أثرا من آثار عدم القدرة عن الإنصاف عما يرون وما يشاهدون من آثار عظيمة الله ، إلى درجة يضيق عنها نطاق النطق ، فلا يحاول معبر عنها إلا اشتغل لفظه على خطأ صريح ^(١) .

آثار الفزالي :

تلك لغات من الجهود الفنية التي بذلها الفزالي في العلم وتحصيله ، وفي سبيل البحث عن الحقيقة ، بالبحث عن طالبها ، والوقوف على ما عدهم من فئوسها ؛ مع تمحيص مقالاتهم والفحص عن حقيقة مذاهبهم وعلومهم ؛ ولا نشك في أن الذين أبوا مثل هذا البلاء أقل من القليل ، فقد جرت النالبة العظمى من التفكير على أن يخذلوا أنفسهم منهجاً واحداً لا يكادون يتعلمونه ، وتهديبهم للباسات إلى فكرة واحدة يحومون حولها ، أو يحصرن أنفسهم في دائرتها ؛ ولا يكادون ينظرون إلى ما حولها من سائر الآراء والأفكار ، على ذلك النحو الذي ذكرنا طرفاً منه .

والك لتعجب لتلك الآثار التي خلقها الفزالي ؛ فإنها على كثرتها للمجبة تفيض بصنوف من المعرفة المتخصصة وتجد في كل أثر منها لونا خاصاً متميزاً عما عده ، وتجد فيه ما تشد من العمق والأصالة ، وإنك لتراه في كثير من المواضع إذا قارب فكرة من الأفكار ، أو مشكلة من المشكلات ، يكون قد درسها في كتاب آخر ، فإنه يشير إلى الكتاب الذي عرض فيه تلك الفكرة ، أو درس فيه تلك المشكلة ، وتراه ينفر من تكرار نفسه ، وتلك دلالة القوة والتمكن .

ومن تلك الآثار التي خلقها :

- (١) كتاب إحياء علوم الدين : وسنخسه بشيء من الدراسة .
- (٢) كتاب نهات الفلاسفة : درس فيه مقالات الفلاسفة ، وبين أغلاطهم ، التي حصرها في عشرين أصلاً ، يجب تكثيرهم في ثلاثة منها ، وتبديهم في سبعة عشر .
- (٣) كتاب الاقتصاد في الاعتقاد : في مقدار مائة ورقة يحوى لباب علم المتكلمين .
- (٤) كتاب المقتض من الضلال : ذكر فيه غاية العلوم وأسرارها ، وغائبة المذاهب وأغوارها ، وما قاساه في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق .
- (٥) كتاب جواهر القرآن : أبان فيه عن أسرار من آيات القرآن ، وأنه البحر المحيط المنطوى على أصناف الفنائس .
- (٦) كتاب ميزان العمل : وهو فلسفة دينية توضح ماجاد في علوم الدين من النيات والمقاصد .
- (٧) كتاب المقصد الأسنى في معاني أسماء الله الحسنى .
- (٨) كتاب فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة : ذكر فيه فساد رأى من يسارع إلى التكفير في كل ما يخالف مذهبه .
- (٩) كتاب الإسطناس للستيم : ذكر فيه طريق رفع الخلاف بين الخلق ، وهو كتاب مستقل بنفسه مقصوده بيان ميزان العلوم ، وإظهار الاستفتاء عن الإمام للصوم .
- (١٠) كتاب المستظهرى (١١) كتاب حجة الحق (١٢) كتاب مفصل الخلاف في أصول الدين . وفي هذه

الكتب الثلاثة تعرض المذهب التعليمي وبين فساد مذهبهم .

(١٣) كتاب كيمياء السادة : حصر فيه الشبه التي توهمها أهل الإباحة وكشفها .

(١٤) كتاب البسيط (١٥) كتاب الوسيط (١٦) كتاب الوجيز (١٧) كتاب خلاصة المختصر . وهي كتب

تبحث في علم الحدود الموضوعة للاختصاص بالأموال والنساء والمعاملات ، وغيرها من الباحث الفقهية .

(١٨) كتاب ياقوت التأويل في تفسير التنزيل : في أربعين مجلداً .

(١٩) كتاب المستصفى (٢٠) كتاب للنحول . وما في أصول الفقه .

(٢١) كتاب المنتحل في علم الجدل (٢٢) كتاب معيار العلم (٢٣) كتاب المقاصد .

(٢٤) كتاب المضمون به على غير أهله (٢٥) كتاب مشكاة الأنوار (٢٦) كتاب محك النظر (٢٧) كتاب

أسرار علم الدين (٢٨) كتاب منهاج المابدين (٢٩) كتاب الدرر الفاخرة في كشف علوم الآخرة (٣٠) كتاب

الأنيس في الوحدة (٣١) كتاب القربة إلى الله عز وجل (٣٢) كتاب أخلاق الأبرار والنجاة من الأشرار

(٣٣) كتاب بداية الهداية (٣٤) كتاب الأربعين في أصول الدين (٣٥) كتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة

(٣٦) كتاب المبادئ والغايات (٣٧) كتاب تلييس إبليس (٣٨) كتاب نصيحة الملوك (٣٩) كتاب شفاء العايل

في القياس والتصليل (٤٠) كتاب إلهام العوام عن علم الكلام (٤١) كتاب الانتصار (٤٢) كتاب المعالم القدسية

(٤٣) كتاب الرسالة القدسية (٤٤) كتاب إثبات النظر (٤٥) كتاب المأخذ (٤٦) كتاب القول الجميل في الرد على

من غير الإنجيل (٤٧) كتاب الأمالي .

ومن هذه الكتب ما هو ضخم رحب المادة ، ولكن بعض هذه الآثار صغير لا يرق إلى درجة الكتب ،

ولكنه ربما كان أشبه بالمقالات التي تقضيها المجادلات في موضوع من الموضوعات ؛ أو إزالة شبهة من الشبه المارضة .

وأيا ما كان الأمر ، فإن هذا الإنتاج الضخم يدل أصدق دلالة على أن صاحبه من الذين وقفوا حياتهم على

العلم ؛ وتبطلوا في محرابه ، كما يدل على إخلاص للدين ، وتغاف في سبيل القدود عن حياضه ؛ إلى ما يدل عليه من كثرة

التحصيل وغزارة المعرفة ؛ والحياة المباركة التي هيأ الله سبيلها ووفق إليها .

كتاب إنباء علوم الدين

ذكر المؤرخون أن النزالي حدث بكتاب الإحياء ، بعد عودته إلى بغداد من رحلته إلى بلاد الشام ، أي بعد

تلك الفترة التي عرفت فيها نفسه من الدنيا ، وزهدت فيها وقطع فيها ، السائق بينه وبين الناس ، وذكروا أنه كان

يحدث بهذا الكتاب في مجالس الوعظ ، وروى ابن النجار أن النزالي « لم يكن له أستاذ ولا طلب شيئاً من الحديث »

والذي يفهم من ظاهر هذا الكلام أن ما حدث به النزالي في بغداد من كتاب إحياء علوم الدين كان إلهاماً أو كان

ثمرة من ثمرات المعرفة التي أغاضها الله عليه في مرحلة نسكه وتصوفه .

هذا ولاستطيع أن نقر هذا المفهوم على إطلاقه ، فنقول مع القائلين : إن كل مافى « إحياء علوم الدين » كان حياً أو إلهاماً ، وأنه كان ثمرة حياة المزة والتأمل التى قضاه فى دمشق وبيت المقدس وفى البلاد الحرام .

ونحن فى هذا لا ننكر أثر النسك والخلوة فى تطهير النفس وتصفيها وإطلاقها من قيود المادة ، فإن فى قطع الملائق بالحياة والناس ، إبقاء على كثير من الجهود التى يستنفدها الاضطراب فى الحياة والاتصال بالناس ، واشتغال القلب بأفولم وأعمالهم وتزاحمهم فى طلب الحياة .

لا ننكر أثر التصفية والتخلى فى إزهاف الملكات وتنقية الروح من الشوائب التى تعقد بها عن بلوغ درجة التفكير المجرد فى هذا الملسكوت ، وفى الخلق والخلق ، وفى البداية والنهاية ، وفى مذاهب السلوك وفلسفة الأخلاق . بل إننا لا نكفر أن الخلوة وطول التأمل وكبح جماح النفس من أعظم أسباب تحرر الروح من قيود المادية ، وفيها أكبر عون على تنظيم التفكير ، وتقل مافى الكون من الماديات ، وما ينطوى فيها من الآيات ، وما يمتحنى وراءها من الأسرار التى أحييت على العقول .

ولكننا ننكر كل الإنكار أن يكون مافى « الإحياء » من الأصول الفقهية ، والمسائل الشرعية ، وقواعد العبادات ونحوها شيئاً جديداً أُلهمه النزالي فى رحلاته أو أوحى به إليه فى خلواته ، ونرى فى مثل هذه الدعوى سذاجة قد يشك فيها البهائم من العوام ، بله غيرهم من طبقات المفكرين .

وننكر كل الإنكار أن يكون ما اشتغل عليه « الإحياء » من النصوص وما استشهد به من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً عرّفه النزالي من غير معلم ولا كتاب ، وقد ثبت أن تلك الأحاديث مروية معروفة خرجها المخرجون من رواة الأحاديث والمالين بإسنادها ورواياتها .

كل ذلك لا شك فى بطلانه بحكم العقل وبحكم الشرع أيضاً .

ولاشئ من هذه الدعوى يرتفع به النزالي بين الباحثين أو المفكرين أو رجال الصوفية ، إذا كان هذا لك من يريدون له تلك المزة بين الباحثين والمفكرين والمتصوفة عن مثل هذا الطريق التى لا يرضاه النزالي لنفسه .

إن تلك الأصول وتلك النصوص ليست مجال وحى وإعجال إلهام ، وكيف الإلهام بمحاصل موجود يعرفه العامة ويعرفه الخاصة ، وليس فى تحصيله كبير عنت ولا مشقة لمن يريد المعرفة والتحصيل ؟

وإنما الجهد أو الاجتهاد الذى لا ننكر فيه أثر الخلوة وتصفية النفس ، فهو ماعل به لتلك الأحكام وما جمعتها ، وما نظم به طرائق البحث فيها ، وما أرجع به الدين إلى فطرته ، ليكون عملاً واجتهاداً ، كما كان معتقداً وإيماناً ، وفى « الإحياء » من ذلك الشيء الكثير الذى يدل على طول الباع ، كما يدل على سعة الاطلاع ، ويدل على صفاء النفس وطهارة القلب ، كما يدل على الجهد والعناء فى الرواية والدراسة ، وفيما تقدم الكثير من الأمة على ذلك .

تنقل النزالي بين خراسان والبراق والشام والحجاز ، فإذا وجد فى تلك البلاد التى تعد معقل للإسلام ؟ وجد فيها خلفاء أبطرم السلطان وفتحهم الدنيا ، وحوهم من الرعية من يقتل لهم بين الدولة والغارب ، وفيهم

الصابر بأساً، والمصرّ خذّه تهباً ودلاً، وألقى رجال الدين في شغل من الدين، يظنونه في استرضاء السلطان، وإشباع نهمه في الاستملاء والكبرياء، والسكل عن الدين لاهون، إلا بالقدر الذي تدّر به مايشهم، وبين هؤلاء وأولئك طائفة تدعى للفرقة؛ وتتخذ دين الله هزواً، وترى الأخذين به جولة من الطعام، ومن هولم الدماء؛ والأخذ به غفلة وجوداً، حتى زاد انقلب وعمت الرزية، وأحوج الأمر إلى من يذكر بالله، ويحث على التدبر في آياته، والرجوع إلى دينه الحق ومراحل المستقيم.

إلى هؤلاء وأولئك أشار التزالي في خطبة «الإحياء» إذ وجد في الناس للتأثير على ما هو عليه من العس عن جاية الحق، مع اللجاج في نصرة الباطل وتحسين الجبل والنخب^(١) على من أكثر التزوع قليلاً عن مراسم الخلق، ومال ميلاً يسيراً عن ملازمة الرسم إلى العمل بمقتضى العلم، طمعا في نيل ما يصبده الله تعالى به من تزكية النفس وإصلاح القلب.. وأداة الطريق هم العلماء الذين هم وريثة الأنبياء، وقد شغل منهم الزمان، ولم يبق إلا للفرسبون، وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان واستغوام الطغنيان، وأصبح كل واحد بما جل حظه مشغوقاً، فصار يرى العروف منكراً والمفكر معروفاً، حتى ظل علم الدين مندوساً، ومثار الهدى في أقطار الأرض منطمساً، ولقد خيلوا إلى الخلق ألا علم إلا لقوى حكومة تستعين به القضاء على فصل الخصام عند تهاوش الطعام، أو جلد يتدفع به طالب للباهة إلى الغلبة والإفحام، أو مسج مزخرف يتوسل به الواعظ إلى استدراج العوام، إذ لم يروا سوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام، وشبكة للحطام! فأما علم طريق الآخرة، وما درج عليه السلف الصالح مما سماه الله سبحانه في كتابه فقهاً وحكمة وعلماً، وضياءً، ونوراً، وهداية، ورشداً، فقد أصبح من بين الخلق مطوياً، وصار نسباً منسياً.

ورأى التزالي ما آل إليه الأمر لئلاً ملأ، وضطرب مدله في الدين، وأن الاشتغال بتحرير هذا الكتاب فيه إحياء لعلوم الدين؛ وكشف عن مناهج الأئمة المتقدمين، وإيضاح لما هو العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين^(٢).

وقد ذكر أن أمثال هذه البحوث ليست جديدة مستحدثة، فقد صنف الناس في المعاني التي ألف فيها كتباً، ولكن كتابه تتميز عن كتاباتهم بخمسة أمور:

الأول: حل ما عقده، وكشف ما أجلاه.

الثاني: ترتيب ما بدوه، ونظم ما فرقوه.

الثالث: إبراز ما طووه، وضبط ما فرقوه.

الرابع: حذف ما كرروه، وإثبات ما حرروه.

الخامس: تحقيق أمور غامضة اعتاصت على الأنفهام لم يعرض لها في الكتب أصلاً؛ إذ السكل وإن توارحوا

(١) اللغيب: تبيين الغمر

(٢) إحياء علوم الدين: ص ٩ من هذه الطبعة.

على مبرج واحد ، فلا مستفكر أن يتفرد كل واحد من السالكين بالتنبية لأمر يخصه ويفضل عنه رعاؤه . أولاً يفضل عن التنبية ، ولكن يسهو عن إيرادها في الكتب . أولاً يسهو ، ولكن يصرفه عن كشف النطاء عنه صارف .

وما قرره صحيح ، يمتد له به كل باحث وكل دارس وكل مؤلف ، إذ لا بد لصاحب الموضوع من الرجوع إلى الجهود السابقة فيه ، ليصرف مواضع النقص ومواطن الخلل ، ثم يجرى من تلك الجهود ما يستحق التحرير ، ويضيف إليه ما عتده من المعرفة فيه ، والمحرر يجهد يقتضى الإحاطة ، والإضافة هي ما يمتاز به جهد عن جهد ، ويفضل بها الكتاب سواه من الكتابين .

أول معنى آخر لابد من التمسك بالذات والأصالة في كل عمل له وزن بين الأفعال ؛ ليحسب صاحبه بين رجال المعرفة بالموضوع ؛ وقد أشرنا إلى مجال الغاتية في الكتابات السابقة .

ولقد ذكر الغزالي نفسه أن العلوم التي تحصل في القلب في بعض الأحوال تختلف الأحوال في حصولها ، فتارة تهجم على القلب كأنها ألفت فيه من حيث لا يدري ، وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم .

فأولى يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى (الإلهام) .

والثاني يحصل بالاستدلال يسمى (الاعتبار) و (الاستبصار) ويختص به العلماء .

ثم الواقع في القلب بغير الحيلة والتعلم والاجتهاد من العبد ينقسم إلى :

(١) ما لا يدري العبد كيف حصل له ، ومن أين حصل ، وهذا يختص به الأولياء والأصفياء .

(٢) ما طالع العبد معه على السبب الذي استفاد منه ذلك العلم ، وهو مشاهدة الملك الملقى في القلب ، وهذا يسمى (وحياً) ويختص به الأنبياء .

ويقرر الغزالي أن الأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر ، وفاض على صدورهم الدور من غير طريق التعلم والدراسة والكتابة ، بل بالزهد في الدنيا ، والتبرؤ من علاقاتها ، وتفرغ القلب من شوائبها ، والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى . .

إلا أنه مع ذلك يصرح بأنه « إذا لم تقدم رياضة النفس وتهذيبها بمخاطبات العلوم نشبت بالقلب خيالات فاسدة ، تطعن النفس إليها مدة طويلة إلى أن تزول ، وينقضى السر قبل النجاح فيها ، وكمن صوف سلك هذا الطريق ، ثم بقي في خيال واحد عشرين سنة ، ولو كان قد أذن العلم من قبل لانتفتح له وجهه التماس ذلك الخيال في الحال فلا اشتغال بطريق التعلم أوثق وأقرب إلى الترض .

قد زعموا أن ذلك يضاهي ما ترك الإنسان تعلم الفقه ، وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعلم ذلك وصار قبيها بالوحى والإلهام من غير تكرير وتمايق ، ثم يقول قائلهم : فأننا أيضاً ربما انتهت إلى الرياضة والمواظبة إليه ؟ ومن غلب ذلك فقد ظلم نفسه ، وضيع عمره ، ومثله مثل من يترك طريق الكسب والحراثة ، رجاء الثور على كثر من الكسوز . إن ذلك ممكن ولكنه بعيد جداً . فكذلك هذا !

لا بد أولاً من تحصيل ماحصله العلماء وقصم مآثاره ، ثم لا بأس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لساثر العلماء ، فمصاد ينكشف بعد ذلك بالمجاهدة^(١) .

فليتدبر هذا الكلام جيداً أولئك الناقلون ؛ ليعرفوا أن طريق الآخرة معرفة وحمل ، كما أن طريق الحياة علم وجهاد ، وليعلموا أن النزالي وهو من أقطابهم في القصة لم يبلغ ما انتهى إليه إلا بالكفاح الطويل في تحصيل المعرفة .

— ٢ —

قسم النزالي « إحياء علوم الدين » أربعة أقسام ، أو أربعة أرباع كما سماها :

- (١) ربيع العبادات : ذكر فيه العلم ، وقواعد العقائد ، وأسرار الطهارة ، والصلاة ، والزكاة ، والعيام ، والحج ، وآداب تلاوة القرآن ، والأذكار والدعوات ، والأوراد وأوقاتها . وقد ذكر في هذا القسم من خفايا آدابها ودقائق سننها وأسرار معانيها ما يضطر العالم العامل إليه ، بل لا يكون من علماء الآخرة من لا يطلع عليه .
- (٢) ربيع العادات : يشتمل على آداب الأكل ، وآداب النكاح ، وأحكام الكسب ، والحلال والحرام ، وآداب الصحبة والمخالطة مع أصناف الخلق ، والعزلة ، وآداب السفر ، والسياح والوجد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وآداب المعيشة ، وأخلاق النبوة .

وفيه ذكر أسرار العلامات الجارية بين الخلق وأغوارها ودقائق سننها ، وخفايا الورع في مجاريها .

- (٣) ربيع المهلكات : وقد شرح فيه مجانب القلب ، ورعاية النفس ، وآفات شهوة البطن والفرج ، وآفات اللسان ، وآفات التنبؤ والمقصد والحسد ، وذم الدنيا ، وذم المال والبخل ، وذم الجاه والرياء ، وذم الكبر والشجب ، وذم الضرور .

وقد درس في هذا القسم كل خلق مذموم ورد القرآن بإماتته ، وتزكية النفس عنه ، وتطهير القلب منه ، وذكر من كل واحد من تلك الأخلاق حذره وحقيقته ، ثم ذكر سببه الذي يتولد منه ، والآفات التي ترتب عليه ، والعلامات التي يعرف بها ، وطرق المالجة لتخلص منه .

- (٤) ربيع المنجيات : وقد ذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المؤمنين والهادين التي بها يقرب العبد من رب العالمين ، وقد ذكر في كل خصلة حدها وحقيقتها وسببها وثمرتها وعلامتها وفضيلتها .

وتلك المنجيات هي : التوبة ، والصبر ، والشكر ، والخوف والرجاء ، والفقير والزهد ، والتوكل ، والحبية والشوق والأنس والرضا ، والنية والصدق والإخلاص ، والمراقبة والمحاسبة ، والتفكير ، وذكر الموت .

وقد قدم الكتاب بالكلام في فضل العلم والتعلم ، ليكشف عن العلم الذي يمد الله تعالى به ، حتى تصح العبادة ؛ إذ كان من العلم ما هو نافع وما هو ضار ، وما هو محمود وما هو مذموم ؛ وفي فنون العلم التي شغل بها معاصروه ، وحكم كل علم منها .

(١) راجع الجزء الثاني من الإحياء (ص ١٧ - ١٩) من هذه الطبعة .

والذى ينظر فى هذه الموضوعات يضع له أنها تسالغ النفس الإنسانية على أوسع نطاق ، وتتناولها ، من أكثر جهاتها ، وتدرس شتى علاقاتها .

قد درس فيها التزائى الإنسان مع ربه ، والإنسان مع نفسه ، والإنسان مع غيره من الناس . وتهدف تلك الدراسات إلى استخلاص أسباب السعادة فى الدنيا والآخرة ؛ أو معرفة الأسباب التى تكون بها الحياة سبيلا إلى الآخرة ؛ أو تسخير ما يمنع العبد من إرادة وقوة واختيار ؛ لتكون حجة حين يسلب الحياة والإرادة والقوة والاختيار . أغراض تتلانى جميعاً ما دامت حياة الإنسان محدودة ، وما دامت إرادته وقوته واختياره موقوتة بهذه الحياة المحدودة ؛ وما دام القتل والاستدلال والمعرفة تنفّى جميعاً إلى التسليم بالبحث والتشور والحساب واللجنة أو الفار . وكان الذى حيز التزائى إلى تلك البحوث للضيعة مارأى من فنون الاعتقادات فى أصل النبوة ، ثم فى حقيقة النبوة ، ثم فى العمل بما شرحته النبوة ، وتحقيق شيوع ذلك بين الخلق ، فنظر فى أسباب القصور وصف الإيمان ، فإذا هى أربعة :

١ - سبب من الخائضين فى علم الفلسفة .

٢ - وسبب من الخائضين فى طريق التصوف .

٣ - وسبب من المتسبين إلى دهوى التعليم .

٤ - وسبب من معاملة اللوسومين بالملم فيما بين الناس .

وقد تتبع مدة أحاد الخلق ، يسأل من يقصر منهم فى متابعة الشرع عن شبهته ، ويبحث عن عقيدته وسره ، ويقول له : مالك تقصر فيها ؟

فإن كنت تؤمن بالآخرة ، ولست تستعصمها ، وتنبهها بالدنيا ، فهذه حماقة ! فإنك لا تتبع الاثنين بواحد ، فكيف تتبع مالا نهاية له بأيام محدودة ؟

وإن كنت لا تؤمن ، فأنت كافر ! فغير نفسك فى طلب الإيمان ، وانظر ما سبب كفرك الخلق الذى هو مذهبك باطلاً ، وهو سبب جبرانك ظاهراً ، وإن كنت لا تصرح به ، تجملاً بالإيمان ونشراً بذكر الشرع ! فاقبل يقول : هذا أمر لوجبت المحافظة عليه لكان العلماء أجدر بذلك ! وفلان من المشاهير بين القضاة لا يصلى ، وفلان يشرب الخمر ، وفلان يأكل أموال الأوقاف وأموال يتامى ، وفلان يأكل إدرار السلطان ولا يحترز من الحرام ، وفلان يأخذ الرشوة على القضاء والشهادة . . .

وقاتل ثان يدعى علم التصوف ، ويؤمن أنه قد بلغ مبلغاً يرقى عن الحاجة إلى العبادة .

وقاتل ثالث يتصل بشبهة أخرى من شبهات أهل الإباحة .

وهؤلاء هم الذين ضلوا عن التصوف .

وقاتل رابع لى أهل التسليم يقول : الحق مشكل ، والطريق إليه متعسر ، والاختلاف فيه كثير ، وليس بعض المذاهب أولى من بعض أو أداة القول متعارضة ، فلا تقة برأى أهل الرأى ، والداعى إلى التسليم متعكم لا حجة له ، فكيف أدع اليقين بالشك ؟

وقائل خامس يقول : لست أفضل هذا نقليداً ، ولكنى قرأت علم الفلسفة ، وأدركت حقيقة النبوة ، وأن ما همأها يرجع إلى الحكمة والمصلحة ، وأن المقصود من تسيدها ضبط عوام الخلق ، وتقييدهم عن القتال والتنازع والاسترسال في الشهوات ، فأنا من العوام والجهال ، حتى أدخل في حيز التكليف ، وإنما أنا من الحسنة ، أتبع الحكمة وأنا بصير بها مستغنى فيها عن التقليد^(١) . . . ١١

إنك تقرأ هذه الشبه المارضة التي جعلت الدين وقواعد العبادات مجالا للتردد والشك وانصراف هذه الطبقات عن العدل ، والأسباب التي ينتجها المقصرون ، والأعداء التي يدلى بها المنافلون . وتقرأ في (الإحياء) تفنيا . كل دعوى من هذه الدعاوى ، ودحض كل شبهة من أمثال تلك الشبهات ؛ بطريق النص الثابت ، وبطريق العقل والمنطق الذي يسلم إلى اليقين .

إنك تقرأ في الإحياء بحثاً شبيهة حقيقة في علم النفس والفلسفة والاجتماع والتصوف إلى جانب ما أتت به فيها من أصول الدين وحقائق التشريع .

وإنك تقرأ من أصول التأديب وقواعد التربية ومراعاة حال النشء في تلقى العلوم في هذا الكتاب ما يضارع آراء كبار فلاسفة التربية وعلم النفس ، ويكفي أن نشير إلى ما كتبه في « وظائف المرشد للمعلم »^(٢) وأنهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمراً عظيماً وخطراً جسيماً فليحفظ آدابه ووعائنه التي نعم عليه :

(١) الشفقة على التلميذ ، وأن يجري بهم مجرى بنيته . . .

(٢) الاعتناء بصاحب الشرع الشريف ، فلا يطلب على إفادة العلم أجراً ، ولا يقصد به جزاء ولا شكراً . . . فإن المال وما في الدنيا خادم البدن ، والبدن مركب النفس ومطيتها ، والخدوم هو العلم إذ به شرف النفس ، فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح أسفل مداسه بوجهه لينظفه ، لجمل الخدوم خادماً والخادم مخدوماً ، وذلك هو الاتسكاس . . . (٣) ألا يدع من يصحح للتلميذ شيئاً ، وذلك بأن يمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها ، والتشاغل بلم حقي ، قبل الفراغ من الجلوس ، ثم ينبهه على أن الرض بطلب العلوم القرب إلى الله تعالى ، دون الرياسة واللباهة والمناصفة ، ويقدم تقييح ذلك في نفسه بأقوى ما يمكن . . .

(٤) ومن دقائق صناعة التعليم أن يزجر التلميذ عن سوء الأخلاق بطريق التريض ما يمكن ، ولا يصريح ، وبطريق الرحمة ، لا بطريق القويح ، فإن التصريح بهتك حجاب الهيبة ، وورث الجراءة على الهجوم بالخطاف ، ويهيج الحرس على الإصرار .

(٥) أن التفتكل ببعض العلوم ينبغي ألا يقيح في نفس التلميذ العلوم التي وراءه ، كعلم الفقه إذ عاداته تقيح علم الفقه ، وعلم الفقه عاداته تقيح علم الحديث والتفسير ، وأنت ذلك نقل محض وسماع وهو شأن المجازر ولا نظر للمقل فيه ، وعلم الكلام ينفر عن الفقه . . . فهذه أخلاق مذمومة للتلميذ ينبغي أن تمتنع ، بل التفتكل

بالم واحد ينبغي أن يوسع على التعلم طريق التعلم في غيره ، وإن كان متكفلا به يوم فينبى أن يراعى التدريج في ترقية التعلم من رتبة إلى رتبة .

(٦) أن يقتصر بالتعلم على قدر فهمه ، فلا يلقى إليه ما لا يبيلنه عقله فينفره ، أو يخط عليه عقله . فليتب إليه الحقيقة إذا علم أنه يستقل بفهمها ، ولا ينبغي أن يقش العالم كل علمه إلى كل أحد ، ولذلك قيل : **كُلِّ لِكُلِّ** عبد بعبارة عقله ، و**زِنْ** له بميزان فهمه ، حتى تسلم منه وينفع بك ، وإلا وقع الإنكار لتفاوت للميار .

(٧) أن التعلم القاصر ينبغي أن يلقى إليه الجليّ اللائق به ، ولا يذكر له أن وراءه تدقيقا يذخره عنه ، فإن ذلك يفقر رغبته في الجليّ ، ويشوش عليه قلبه ، ويومئ إليه البخل به عنه .

(٨) أن يكون المعلم عاملا بعلمه ، فلا يكذب قوله فعله ، لأن العلم يدرك بالعبائر ، والصل يدرك بالأبصار وأرباب الأبصار أكثر ، فإذا خالف الصل العلم منع الرشد . وكل من تناول شيئا وقال للناس : لا تتناولوه فإنه سم مهلك ، سخر الناس به واتهموه ، وزاد حرصهم على ما نهوا عنه ، فيقولون : لولا أنه أطيب الأشياء والأذها لما كان يستأثر به .

وما بسطه النزالي في هذه الآراء هو ما يقوله الربون المحدثون في الانتقال للمتصلين من الجليّ إلى الخفيّ ، ومن السهل إلى الصعب ، ومن البسيط إلى المركب ، وما يقوله علماء النفس في الإدراك وأثر الحواس .

ونجد هذا الكتاب زاخرا بمثل هذه الدراسات ، حتى إنك لتشعر حين تقرأها بالحاجة الملحة إلى دراسة « النزالي الربى » وسجد الدارس مادة واسعة الأطراف ، لا تتسع تلك الصفحات لاستقصائها ، ولكننا نجتزئ بهذه الإشارات إلى ما حوت تلك الأصداف من كنوز .

— ٤ —

ودراسة صلة الإنسان بخالقه دراسة لأصول العقائد والمبادئ التي فرضها عليه ، والتي يلتبس بها الزنى إليه . وقد أشرنا إلى الموضوعات التي درسها في تلك الأصول . وبقي أن تذكر أن النزالي لم يكتف في تلك العبادات بذكر أحكام الشرع كما يفعل الفقهاء في دروسهم وفي نصائهم ، ولكنه أضاف إلى تلك كثيرا من البحوث الروحية والنفسية والعقلية ، وتعمق في فهم أسرارها وحكمها وسبل إيجادها وتحليلها من الشوائب بدرجة لم يسبق لها مثيل ، وفي استيعاب ليس له نظير .

فليست (الطهارة) عند النزالي كما هي عند الفقهاء : طهارة من الحدث تختص بالبدن ، وطهارة من الخبث تكون في البدن والثوب والمساكن ، فإن هذه مرتبة واحدة منها . والمرتبة الثانية عنده : تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام ، والثالثة : تطهير القلب عن الأخلاق الذمومة والذائل الممقوتة . والرابعة : تطهير السر عما سوى الله تعالى ^(١) ، ثم يفيض بعد ذلك في ألوان هذه الطهارات وأسبابها ووسائلها وغاياتها ، مع ما يوافق الحقيقة التي

(١) الإحياء ١/١٣١ من هذه الطبعة .

يدعو إليها ، والشريعة التي فقهاها وأجاد تحصيلها ، والمقل الذي عرف موارده ومصادره .
(الصلاة) عنده مناجاة ، والمصلح مناجير به عز وجل ، والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة ألبتة - وإذا كان الفقهاء يفتنون بصحة الصلاة مع الغفلة ، فإن التزالي يتأدب في الرد عليهم ، ولا يطمع في مخالفتهم فيها أفتوا به ، وبمثل بأن ذلك من ضرورة الفتوى .

ولكن الذي يعرف سر الصلاة يعرف أن الغفلة تضادها ، ثم يفرق بين العلم الظاهر والعلم الباطن ، ويرى أن تصور الخلق أحد الأسباب المانعة عن التصريح بكل ما يتكشف من أسرار الشرع ^(١) .

ورأيه في (الزكاة) أن التلغظ بكلمة الشهادة الزام للتوحيد ، وشهادة بإفراد المعبود ؛ وشرط تمام الوفاء به ألا يبقى للوحد محبوب سوى الواحد الفرد ، فإن الهبة لا تقبل الشراكة ، والتوحيد باللسان قليل الجدوى . وإنما يمتحن به درجة المحب بمفارقة المحبوب ، والأموال محبوبة عند الخلق ، لأنها آلة تنصهم بالله ، وبسببها يأسون بهذا العالم ، وينفرون عن الموت ، مع أن فيه لقاء المحبوب . فامتحنوا بتصدق دعواهم في المحبوب ، واستزلوا عن المال الذي هو مرموقهم ومشوقهم ولذلك قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمْ أَجَلٌ ﴾ وذلك بالجهد . . . والذين صدقوا التوحيد ووفوا بهديهم ، نزّلوا عن جميع أموالهم ، فلم يدعروا ديناراً ولا درهماً ، فأبوا أن يعرضوا لوجوب الزكاة عليهم . حتى قيل لبعضهم : كم يجب من الزكاة في مائتي درهم ؟ فقال : أما على الموائم بحكم الشرع خمسة دراهم ، وأما نحن فيجب علينا بذل الجميع ^(٢) .

وهكذا نجد أنفسنا دائماً ونحن نجول في (الإحياء) أننا أمام عالم كبير عرف الشرع وحفظه وفقه وعمل به ، ورأى وراء هذا التشريع العام الذي ينظم المسلمين جميعاً ؛ تشريعاً خاصاً هو في حقيقته أثر لذلك التشريع العام وتمسكين له ، وهذا الخاص فضل وزيادة ونافذة بسد أداء الفروض التي لم ينفذ (الإحياء) ركناً من أركانها أو سنة من سننها .

وهذا هو التصوف المستنير الذي أشرنا إليه ، نجد فيه الحجة البالغة ، ونجد فيه التقوى والورع وقطع العلائق بالناس وبالمال وبالجاه وبالولد والمنصب ، بل قطع علائق النفس بما تحبه وتحرص عليها .

— ٥ —

في تلك الدراسات نجد المتفقه رغبته ، ويجد المتصوف طلبته ، ويجد صاحب المقل والباحث عن اليقين ما شاء من حجة بالغة وبرهان مستبين ، وبهذه السعة وبذلك الشمول أحيا التزالي علوم الدين ، أحياها في الحياة المضطربة المجادة العاملة ، والمناجاة المازلة ، وأحياها في نفوس الزهاد ورجال الطريق ، ووصل بينها وبين حكمة المقل والمنطق التي تقضي إلى الصحيح من النتائج ، وتزعم الشك المتردد بالإذعان والتسليم وصدق الاعتقاد .

والناس عند التزالي ثلاثة أصناف ، ولكل صنف منهم أسلوب خاص يعالج به ما عنده من الجهل أو الشك أو الغرور .

(١) أما الله فـ: الأول : فهم (العوالم) ، وبصفتهم بأنهم "آلآله" ، وبأنهم أهل السلافة . وهؤلاء هم الذين ليس لهم فطنة لفهم الحقائق . وهم يُدعون إلى الله بالموعظة .

(٢) والصنف الثاني : (الطواص) ، وهم أهل الذكاء والبصيرة ، وفيهم ثلاث خصال : إحداها القريحة النافذة والفطنة القوية ، وهذه عطية فطرية وخرقة جيكية لا يمكن كسبها . الثانية : خلقوا باطنهم من تقليد وتصيب لمذهب موروث مسموع ، فإن القلْد لا يصيب ، والبليد وإن أصنى لا يفهم . الثالثة : أنه يؤمن أن أستاذه (الزئالي) من أهل البصيرة بالميزان ، ومن لم يؤمن بأنك من أهل الحساب لا يمكنه أن يتعلم منك . وهؤلاء يعالجهم الزئالي بأن يعلمهم الموازين القسط وكيفية الوزن بها ، فيرتفع الخلاف بينهم عن قرب ، ويدعوم إلى الله بالحسكة ، كما دعا العوالم بالموعظة الحسنة ، كما قال الله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ . فمَنْ أن اللدمو إلى الله تعالى بالحسكة قوم ، وبالموعظة الحسنة قوم ، وبالمجادلة قوم . فإن الحسكة إذا غذى بها أهل الموعظة أضرت بهم ، كما تضر بالطفل الرضيع التنذية بلحم الطير . وكذلك المجادلة إن استعملت مع أهل الحسكة اشمازوا منها ، كما يشتمز طبع الرجل القوى من الارتضاع بلبن الأم .

(٣) والصنف الثالث : (أهل الجدل) ، وهم طائفة فهم كياسة رتقوا بها عن العوالم ، ولكن كياستهم ناقصة إذا كانت الفطرة كاملة ولكن في باطنهم خبث وعناد وتصيب وتقليد ، فذلك يمنعهم عن إدراك الحق ، وتكون هذه الصفات أكنة على قلوبهم أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً . وهؤلاء يدعوم بالتلطف إلى الحق ، من غير أن يتمصب عليهم أو يصنمهم ، ولكنه يرفق بهم ، ومجادلهم بالتي هي أحسن .

لقد نظر إلى كل طبقة من الطبقات التي يتكون منها المجتمع الإسلامي ، وعرف فلسفتها في الحياة وما تعالجه من أسباب السعادة ، وما تعانيه من أسباب الشقاء في الفكر والعمل ، ولا تعرف هذه السمة وذلك الشمول على هذا النحو مثل ما نجدهما في إسماء علوم الدين .

ويمكن أن يلحق بصدق الاحتقاد وأصول العبادات - وما كما قدمنا صلة بين الإنسان وربه وقيام بطاعته وامتنال لأمره ونهيه وفيها دلالة على الحجة - ما كتبه في الريع الرابع من الإحياء ، وهو (ربيع المنجيات) لأنه يختص بتصنيفه النفس من الشوائب وتطهيرها من الآثام ، والارتقاء بها إلى درجة المرفة ، وفيه من أصول التصوف ومبادئه الشيء الكثير .

ومقدمة (التصوف) الثورية مما اقترفه العبد قبل أن يسلك طريق المرفة ، ثم آداب السلوك وهي : الصبر ، والشكر والخلوف ، والرجاء ، والفقر ، والزهد ، والحبسة ، والشوق ، والأنس ، والرضا ، والتوحيد ، والتوكل ، والمراقبة ، والحامية ، والتفكير ، والنية ، والإخلاص ، والصدق .

وقد تبدو هذه الصفات من قبائل الفضائل البامة ، التي ينهى توافرها في الإنسان الفاضل ؛ ويطلب الناس جميعاً بالترزما ، ماداموا يتطلعون إلى منزلة الفضل ؛ وهذا صحيح لاشك فيه . ولكن الفضلاء قد يحسبون كذلك ببعض تلك الصفات ، أو بتحصيل القليل من بعضها ، أما أهل الطرق المتطاولون إلى المرفة فإنهم يجمعونها جميعاً

ويصلون بها إلى أقصى درجاتها ؛ وهم يجاهدون قلوبهم جهاداً عظيماً ، ويمهلونها على ما تسكره ، مما يبدؤه غيرهم إسراراً وعتياً ، ولا يمتدحون بالفضائل ، بل يحاسبون أنفسهم حساباً عسيراً ؛ ولا يبنين لسالك الطريق أن يهملها فإنه إن أهملها سهل عليه مقارفة المعاصي ، وأنتست بها نفسه ، وعسر عليه فطامها ، وكان ذلك سبب هلاكها . « بل يبنين أن يعاقبها فإذا أكل لقمة شبهة بشهوة ففسد يبنين أن يعاقب البطن بالجوع ، وإذا نظر إلى غير محرم يبنين أن يعاقب العين بمنع النظر ، وكذلك يعاقب كل طرف من أطراف بدنه بمنعه عن شهواته . هكذا كانت عادة سالكي طريق الآخرة ، فقد روى أن رجلاً من العباد كَلَّمَ امرأة ، فلم يزل حتى وضع يده على فخذه ، ثم ندم فوضع يده على النار حتى يست ، ويحك أن أحدم تكشفته له جارية ، وهو في بعض المنازى ، فنظر إليها ، ففرغ يده فلم عينه حتى بقرت ، وقال : إنك للعاقلة إلى ما يفرثك ! ونظر بنضهم نظرة واحدة إلى امرأة ، فجعل على نفسه ألا يشرب الماء البارد طول حياته ، فكان يشرب الماء الطار لينقص على حيشه »^(١) .

ففي هذا الريع ، ريع المنجيات ، يظهر ما يتحلّى به القلب من الصفات المحمودة التي ذكرت ، وهو يقابل مافي الريع الثالث ، ريع المهلكات ، الذي بسط فيه ما تجب تركية النفس وتطهيرها منه ، وهي شرور وآثام مردية ، كالشره والغضب والكبر والرياء والشجب والحسد وحب الجاه وحب المال وغيرها .

وقد قدم (المهلكات) على (المنجيات) لأن الأولى تطهير وتخلي ، والثانية تركية وتحملة ، والأولى في أصول التربية والتهديب مقدمة على الثانية . ولأن العبد لا منجاة له من الوقوع فيما ذكره في المهلكات ، ولكن في استطاعته النهوض منها وجبرها بالمنجيات ، ولأن التجرد للخير المحض دأب للملازمة للقرين ، والتجرد للحض الشر دون العمل على تلافيه سجية الشياطين ، ولكن الرجوع إلى الخير بعد الوقوع في الشر ضرورة الآدميين .

— ٦ —

وبعد فإن كتاب « إحياء علوم الدين » جامع عقليات ثلاث :

(١) : العقلية الشرعية : وتبدو آثارها فيما بسطه الفزالي من أحكام الفقه وأصوله ، وما اعتد عليه من نصوص القرآن الكريم وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة والتابعين ، ومذاهب الأئمة رضي الله عنهم ، وأقوال الفقهاء وعلماء الشرع والحديث والتأويل ، وهو يد أصول العلوم الشرعية أربعة : كتاب الله عز وجل ، وسنة رسوله عليه السلام ، وإجماع الأمة ، وآثار الصحابة . ويرى أن كتب الفقه تبحث في الحياة

الأولى ، وأن التقهاء هم علماء الدنيا ؛ وعالم لذلك بأن الناس لو تناولوا الدنيا بالبدل لا تقطعت الخصومات وتسلط التقهاء ، ولكنهم تناولوها بالشهوات ، فتولدت منها الخصومات ، فست الحاجة إلى سلطان يسوسهم ، واحتياج السلطان إلى قانون يسوسهم به ، فالفقيه هو العالم بقانون السياسة ، وطريق التوسط بين الخلق إذا تنازعوا ، وهو معلم السلطان ، ومرشده إلى طريق سياسة الخلق وضبطهم ، لتتظم باستقامتهم أمورهم الدينية . وللك والدين توأمان ، والدين أصل ، والسلطان حارس ، ومالا أصل له فهدوم ، ومالا حارس له فضايع ^(١) .

ولا يسلم له هذا الرأي كاملاً ، لأنه إن استقام في أحكام الجراحات والحدود والقرامات وفصل الخصومات ، فلا يستقيم فيها يشتمل عليه ريع المبادات من الصيام والصلاة ، ولا فيها يشتمل عليه ريع العادات من المعاملات من بيان الحلال والحرام .

والذي دعاه إلى هذا الوصف أنه جعل هذا العلم عِلْمَيْن : أحدهما يتصل بمصالح الدنيا ، والثاني يتصل بمصالح الآخرة ، وهو علم أحوال القاب وأخلاقه الحمودة والمذمومة وما هو مرضى عند الله تعالى وما هو مكروه ، وهو الذي خص به الكتاب الثالث من الإحياء . والحمود هنا غير فرض الطاعة ، والمذموم هنا أيضاً غير المعصية ، فإن للطاعة نوبها ، وللمعصية عقابها . ولكن المرضي في علم الآخرة هو ما يقرب إلى الله ، ثمرة للمعرفة السكاملة ، والفناء ، وقهر النفس وتزكيتها .

ومثال ذلك الصلاة ، فإن الفقيه يُفتي بالصحة إذا أتى بصورة الأعمال مع ظاهر الشروط ، وإن كان غافلاً في جميع صلاته من أولها إلى آخرها ، مشغولاً بالتفكير في حساب معاملاته في السوق إلا عند التكبير . ولكن هذه الصلاة لا تنفع في الآخرة ، كما أن القول باللسان في الإسلام لا ينفع ، ولكن الفقيه يُفتي بالصحة ، أي أن ما فعل حصل به امتثال صيغة الأمر ، وانقطع به عنه القتل والتزير ، فأما الخشوع وإحضار القلب الذي هو عمل الآخرة ، وبه ينفع العمل الظاهر ، فلا يتعرض له الفقيه .

وعلى كل حال ، فإن النزائي وإن عدَّ الفقه علم الدنيا والتقهاء علماء الدنيا ، فقد درس في الإحياء هذا العلم ، علم الفقه ، دراسة مستفيضة تدل على التهم والاستيعاب ؛ إذ كانت الشريعة شُئِمَ الحقيقة ، والقيادة سبيل المعرفة الحققة التي نشدها وعد من رجالها .

(٢) المقالة الفلسفية : ونسب بها يقظة العقل ، والقدرة على التبصر ، وفهم الكون بتلواهره وشواهد ، ومحاولة الوصول إلى أمماته ، وإلى سر الحياة والأحياء ؛ ودراسة النصوص دراسة تخضع لأحكام العقل والتفكير ؛ والتغلب على الأخطاء الشائعة ، والتقاليد التي تمارض المنطق السليم والتفكير الصحيح .

وقد أشرنا فيما سبق إلى نزوع النزالي إلى التحرر ، وتغوره من التقليد الذي لأفضل فيه القلْد ، وفي الإحياء كثير من الشواهد على ذلك .

فقد بحث النزالي كثيرا من المسائل الفلسفية ، ومسائل علم الكلام ، التي تتصل بالله تعالى وذاته وصفاته ، كما بحث في أمثال المبدأ ، ومبدأ الخلق وظيفته .

ومن ذلك البحث الفلسفي الذي عقده في « ربيع الهالكات » في شرح عجائب القلب ، وفي بيان معنى النفس والروح والعقل ، وما هو المراد بهذه الأسماء .

لفظ (القلب) له معنيان : أحدهما : اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر ، وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف ، وفي ذلك التجويف دم أسود . . الخ .

والمعنى الثاني للقلب : أنه لطيفة ربانية روحانية ، لها بهذا القلب الجسدي نطق ، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان ، وهو للدرك العالم العارف من الإنسان ، وهو الخاطب والمقاب والمائب والمطالب .. وتلقه بالعقل الجسدي يضاهي تعلق الأعراض بالأجسام ، والأوصاف بالوصفات ، أو تعلق للمستعمل للآلة بالآلة ، أو تعلق المتمكن بالسكان . . .

و (الروح) جسم لطيف منبج تجويف القلب الجسدي ، فينشر بواسطة العروق الضواري إلى سائر أجزاء البدن ، وجريانه في البدن وفيضان أووار الحياة والحس والبصر والسمع والشم منها على أعضائها ، يضاهي فيضان النور من السراج في زوايا البيت ، فإنه لا ينتهي إلى جزء من البيت إلا استنار به . والحياة مثالها النور الحاصل في المحيطان ، والروح مثالها السراج ، وسريان الروح وحركته في الباطن مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحرك محركه ، والأطباء إذا أطلقوا لفظ (الروح) أرادوا به هذا المعنى ، وهو بخار لطيف أنضجته حرارة القلب . وللروح معنى آخر ، وهو اللطيفة العاللة للمدركة من الإنسان ، وهذا هو أحد معني القلب .

ولفظ (النفس) معان كثيرة ، ومن تلك المعاني ما يريد به أهل التصوف في استعمالهم ، وهي الأصل الجامع للصفات للذمومة من الإنسان ، وهي المعنى الجامع لقوة الشهوة والتغلب في الإنسان ، فإنك تراه يقولون : لابد من مجاهدة النفس وكسرها ، وإلى هذا المعنى الإشارة بقوله عليه السلام « أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك » . ومن معانيها نفس الإنسان وذاته ، ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها .

ثم (العقل) وقد يطلق ويراد به العلم بمقتضى الأمور ، فيكون عبارة عن صفة العلم التي عمله القلب . وقد يطلق ويراد به المدرك للعلم فيكون هو القلب .

هذا شيء. تأمل تشير به إلى جهاد النزالي في تلك الدقائق التي حيرت المفكرين وشغلت الفلاسفة، وقد عرض لها من قديم فلاسفة اليونان، ولا تزال إحدى مشكلات الفلسفة المعاصرة. ولكلام النزالي ودراسته مكان ملحوظ بين تلك الدراسات قديما وحديثا.

ثم الفلسفة الأخلاقية، وقد أفاض فيها في المنجزات والمهلكات والمعادات، وقد عرض فيها للفضائل الإنسانية على نحو لم يسبق له مثيل في القديم والحديث. وما بالك برجل يبالغ الفضائل السكامة والذائل المستقرة، فضلا عن الأخلاق الظاهرة والباطنة الملحوظ. ولا نحب أن نستشهد على ذلك بشيء من النماذج، فإن المطالع لأكثر أبواب الإحياء يجد فيها مصداق ما قول.

(٣) الغاية الصوفية: ظهر للنزالي أنه لا مطمع له في سعادة الآخرة إلا بالتزوي وكف النفس عن الهوى، وأن رأس ذلك كله قطع علاقة القلب عن الدنيا بالتجافي عن دار النور، والإجابة إلى دار الخلود، والإقبال بكنهه المهمة على الله تعالى، وأن ذلك لا يتم إلا بالإعراض عن الجاه والمال والحرب والشواغل والملاتق.

ثم لاحظ أحواله فإذا هو متنفس في الملأى. ولاحظ أحواله - وأحسنها التدريس والتعليم - فإذا هو فيها متبل على علوم غير مهمة، ولا نافلة في طريق الآخرة. ثم تفكر في نيته في التدريس فإذا هي غير خالصة لله تعالى به بل بأهله وعمر كما طلب الجاه وانتشار الميت، فتيقن أنه على شفا جرف هار، وأنه قد أشقى على النار، إن لم يشغل بتلافي الأحوال^(١).

وقد رأى العلوم التي حصلها لا تجدي فيما أراد؛ إلا بنفحة من الله الذي يهب من يشاء من عباده الإيمان والعرفه، ورأى ذلك محتاجا إلى جهد ومشقة، وعلم وعمل.

وقد ساق النزالي كثيرا من شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في اكتساب المعرفة، لا من التعلم، ولا من الطريق المتعاد^(٢)، من ذلك قوله تعالى «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» أي مخرجا من الإشكالات والشبه، ومعنى يرزقه من حيث لا يحتسب: يملئه حكما من غير تعلم، وينطقه من غير تجربة.. وقال صلى الله عليه وسلم «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله».. وروى الحسن بن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «العلم علان ضم باطن في القلب، فذلك هو العلم النافع».. وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن ما هو؟ فقال: هو سر من أسرار الله تعالى يقذفه في قلوب أحبائه لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا.. وفي الحديث «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم، ووقفه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة»..

(١) النزالي: المخذ من الضلال ١٢٨

(٢) الإحياء ٢٢/٣.

وقد أورد كثيراً من الأدلة التي تؤيده في إمكان الكشف والإنعام بنور الأسباب الطاهرة ، مما وقع الخلافه
الراشدين وأهل التقوى والورع والزهد والتصوف . وهذا هو العلم الدُّنْيَ ، وهو غير العلم الدنيوي الذي يكون بوساطة
تعليم الخلق .

وسبيل هذا العلم مشقة وجهاد ، وحمل النفس على مالا تطيقه أكثر النفوس ، وقد كعب النزالي في هذا الجهاد
كثيراً حتى زخر « الإحياء » بالتصوف ، أكثر مما زخر به من أصول التشريع ، حتى هذا التشريع قد يكون
درجات ومفاهيم عند المتصوفة تختلف عنها عند غيرهم .

وما بالك برجل يجعل الدرجة السفلى من الزهد أن يكون للرغوب فيه النجاة من النار ومن سائر الآلام كذاب
القبر ومناقشة الحساب وخطر الصراط وسائر ما بين يدي العبد من الأهوال ، ويسميه (زهد الخلق) ؟ ويجعل الدرجة
الثانية (زهد الراجين) لأنهم يزهدون رغبة في ثواب الله ونسيه والذات الموعودة في جنته . أما الدرجة العليا عنده
فهي (زهد المحبين) وهم العارفون ، لأنه لا يحب الله تعالى إلا من عرفه ، وزهدهم ليس عن رغبة إلا في الله وفي لقائه
فلا تلتفت قلوبهم إلى الآلام ليقصدوا والخلاص منها ، ولا إلى الذات ليقصدوا نيلها والظفر بها .. وهذا هو الزهد
الحقيقي والتوحيد الحقيقي الذي لا يطلب فيه غير الله ، لأن من طلب غير الله قد عبده ، وكل مطلوب معبود ، وكل
طالب عبد بالإضافة إلى مطلبه ، ومطلب غير الله من الشرك الخلق .

وما أكثر ما يزخر به الإحياء من آثار التصوف ، مما يدل على تشيع النزالي بفكرته وإيمانه بأنه الطريق الموصول
إلى المعرفة بالله والقرب من رحته ، وتجدر أن هذا التشيع والفهم المصيق لفلسفة التصوف في أبواب كثيرة نخص
بالذكر منها الجزء الرابع من هذه الطبعة في (ربيع للنجيات) في أبواب الخوف والرجاء والصبر والشكر والفقر والزهد
والتوحيد والتوكل والمحبة والشوق والأنس والرضا ... الخ .



وأخيراً . . .

تلك بعض إشارات إلى الينابيع الطاهرة والمناهل الصافية ، التي يفيض بها هذا الأمر الخالد ، يقصد إليها
المصلحون والمفكرون من طلاب الشريعة وطلاب الحقيقة ، والباحثون في أسرار الاعتقاد وحقائق الإيمان والأعمال
وقواعد السلوك ، ليجدوا فيها غذاء لقلوبهم ، ورياً لنفوسهم ، وشفاء لأعداء قلوبهم ، وتبديلاً لنظلمات الحياة في قلوبهم
وأمناف في سلوكهم ، ونجاة من موجبات هذا السراب الأخاذ في دنيا الباطل والضلال ، وسبيلاً إلى السعادة بالمعرفة
الثابتة والحكمة الباقية .

وقد كتبت هذه الكلمات استجابة للرجة السكرية التي أبدتها (دار إحياء الكتب العربية) في تقديم هذه الطبعة من (إحياء علوم الدين) الذي عظم نفسه ، وعمت بركته ، منذ كتبه حجة الإسلام الفزالي ، الذي نعتز به عالمًا بدين الله ، ومؤمنًا بالله ، وداعيًا إلى الله ، ونسز به مسلمًا من أولى البصيرة واليقين ، وعلمًا من أعلام الصوفية وفلاسفة الإسلام .

وأقدمت على هذا العمل مستعينًا بالله ، حتى وفق إلى هذه الكلمات ، التي أرجو أن تكون مفتاحًا لكشف عن شخصية الفزالي وعقليته ومعارفه ، وما بث في (الإحياء) من آيات الهدى والحكمة .

والحمد لله على ما هدى إليه ، وأعان عليه ، له الحمد في الأولى والآخرة . نعم للولى ونعم النصير .

بروقه طاب

مصر الجديدة { ٢٥ من نوفمبر سنة ١٩٥٧ م
٣ من جمادى الأولى سنة ١٣٧٧ هـ



مواد المقدمة

صفحة

(١) تمهيد في التصوف الإسلامي ٣ - ٧

تعاليم الإسلام - السلم بين الدنيا والآخرة - السلمون في الصدر الأول - صراع بين المادية والروحية - عودة إلى الله - البحث عن الحقيقة - السلبية في بعض مناهج التفكير - ألوان جديدة من المعرفة .

(٢) الإمام النزالي ٧ - ١١

مولده ونشأته - أبوه - علم للحياة وعلم لله - في طوس - في جرجان - في نيسابور - في المسكر - مع نظام الملك - إلى بغداد - في المدرسة النظامية - صدود عن التصب والجاه - في الشام وبيت المقدس - إلى مكة والمدينة - تنسكه - عودة إلى خراسان - المرة والخلة - أمر بالخروج إلى نيسابور للتدريس - عودته إلى طوس - وفاته .

(٣) الشك عند النزالي ١١ - ١٨

اختلاف مناهج البحث في الشك - التصب للآراء - النزالي والتقليد - سهل للفرقة: الحسابات والفتايات - عقبات تترض طريقهما - أثر الفلاسفة والطبيعيين في يثبات التفكير الإسلامي - ليس السكشاف موقوفا على الأدلة المحررة - فلسفة النزالي ونصوفه - النزالي بين الابتداع والاتباع .

(٤) مناهج البحث عن الحقيقة ١٨ - ٢١

النزالي وعلم الكلام - النزالي والفلسفة - النزالي ومذهب الصلح - النزالي والصوفية - مزايا كل منهج وعيوبه .

(٥) آثار النزالي ٢٢ - ٢٣

(٦) كتاب (إحياء علوم الدين) ٢٣ - ٣٨

متى حدث به ؟ - متى ألفه ؟ - بين التحصيل والإلهام - لماذا ألف الإحياء ؟ - افرق بين كتابة النزالي وكتابة الذين سبقوه .

أقسام الإحياء : العبادات - الصادات - المهلكات - المنجيات - أسباب التثور وضعف الإيمان - الإحياء والثرية - صنوف الناس في نظر النزالي وما ينبغي أن يؤخذ به كل صنف - الشرعية والفلسفة والتصوف في الإحياء - خاتمة .

أَخْيَارُ عُلَمَاءِ الدِّينِ
للإمام أبي الفوارس

« إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِّبَن كَانْ لَهُ قَلْبٌ »
(فركان كريم)

سُبْحَانَكَ يَا إِلَهَ الْعَالَمِينَ

أحمد الله أولاً ، حمداً كثيراً متواظلاً ، وإن كان يتضائل دون حق جلالة حمد الحامدين ، وأصل وأسلم على رسوله ثانياً صلاة تستغرق مع سيد البشر سائر الرسلين ، وأستخيره تعالى ثالثاً فيما انبث له عزمي من تحرير كتاب في إحياء علوم الدين ، وأتدب لقطع تنجيك رابعا ، أيها العاذل المتعالي في الصلح من بين زمرة الجاحدين ، للسرف في التفرع والانكار من بين طبقات المنكرين النافلين ، فقد حل عن لساني عقدة الصمت وطوقني عهد الكلام وقلادة النطق ما أنت مشاير عليه من المسمى عن جليلة الحق مع اللجاج في نصره الباطل ونهجين الجهل والتشنيب على من آثر التزوع قليلاً عن مراسم الحلق ومال ميلا يسيرا عن ملازمة الرسم إلى العمل بقتضى العلم طمعا في نيل ما تعبد الله تعالى به من تزكية النفس وإصلاح القلب وتداركا لبعض ما فرط من إضاعة العمر بأسا من تمام التلاقي والجبر وأعيانها عن عمار من قال فيهم صاحب الشرع صاوات الله عليه وسلامه:

بسم الله الرحمن الرحيم

المد له الذي أحياء علوم الدين فأثبتت بعد إسماعيلها ، وأعياء فهم للمحدثين عن دركها فرجعت بكلامها ، أحمده وأستكين له من مظالم أفضت الظهور بأقوالها ، وأعبدته وأستعين به لصام الأمور وعضالها ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة وأقية يحصل الدرجات وغلالاتها ، وأقية من حلول الدركات وأهوالها ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أطلع به فجر الايمان من ظلة القلوب وضلالها ، وأجمع به وفر الأذان وجلا به رين القلوب بصقالها صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم صلاة لا قطع لاتصالها .

وبعد : فلما وفق الله تعالى لا كمال الكلام على أحاديث إحياء علوم الدين في سنة إحدى وخمسين تصد الوقوف على بعض أحاديثه فأخرت تبينه إلى سنة ستين فظفرت بكثير مما عذب عني علمه ثم شرعت في تبينه في مصنف متوسط حجمه وأنا مع ذلك متباطئ في إكمال غير متعرض لتركه وإجماله إلى أن ظفرت بأكثر مما كنت لم أكتب عليه وتكرر السؤال من جماعة في إكمال فأجبت وبأدريت إليه ولكني اختصرته في غاية الاختصار ليسهل تحصيله وحمله في الأسفار فاقصرت فيه على ذكر طرف الحديث وحمائه وغرضه وبيان محنته وأوجسته أو ضعف غرضه فان ذلك هو المقصود الأعظم عند أبناء الآخرة بل وعند كثير من المحدثين عند المداكرة والناظرة وأبين ما ليس له أصل في كتب الأصول ، والله أسأل أن ينفع به إنه خير مسئول .

فان كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بهزوه إليه ولا عزوته إلى من خرج من بقية السنة وحيث كان في أحد السنة لم أعزه إلى غيرها إلا لترض صحيح بأن يكون في كتاب

كتاب تعريف الأحياء

بفضائل الإحياء

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي وفق

لنشر الحسن وطيبا

في أحسن كتب

وجعل ذلك قرة لأعين

الأحباب وذخيرة ليوم

للآب والصلوة والسلام

على سيدنا محمد الذي

أحيا باحياء شريته

وطريقته قلوب ذوي

الأيام وعسى آله

الطيبين الطاهرين

وجميع الأصحاب

ما أشرفت خمس الأحياء

للقلوب وتوجهت همه

روحانية مصنفه الولي

الموهوب إلى إسراف

ملازمي مطالعته

وصحبه بالمطلوب .

وبعد : فان الكتاب

العظيم الشأن السمي

إحياء علوم الدين

المشهور بالجمع والبركة

والنفع بين العلماء

الناملين وأهل طريق

الله السالكين الشايع

العارفين المنسوب إلى

الامام التزالي رضى

الله عنه عالم العلماء

وارث الأنبياء حجة

« أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله سبحانه ببله ^(١) » ولعمري إنه لا سبب لإصرارك على التكبر إلا الداء الذي عم الجسم التغير بل تحمل الجواهر من التصور عن ملاحظة خدوة هذا الأمر والجهل بأن الأمر إد والخطب جد والآخرة مقبلة الدنيا مدبرة والأجل قريب والسفر بعيد والزاد طفيف والخطر عظيم والطريق سد وماسوى الخالص لوجه الله من العلم والعمل عند الناقد البصيرد وسلوك طريق الآخرة مع كثرة الفوائد من غير دليل ولا رفيق متب ومكدة فائدة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء وقد شغل منهم الزمان ولم يبق إلا المترحمون وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان واستنواهم الطغيان وأصبح كل واحد بما جل حظه مشغولاً فصار يرى للمروف منكراً والنكر معروفاً حتى ظن علم الدين مندماً ومنار الهدى في أقطار الأرض منظماً ولقد خيلوا إلى الخلق أن لا علم إلا أقوى حكومة تستعين به القضاة على فصل الخصام عند تناوش الطغمان أو جدل يتدفع به طالب للمباهة إلى الفيلة والإفحام أو سجع مزخرف يتوسل به الواعظ إلى استدراج العوام إذ لم يروا ما سوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام وشبكة للحطام .

فأما علم طريق الآخرة وما درج عليه السلف الصالح بما سماه الله سبحانه في كتابه فيها وحكمة وعلماً ونبأً ونوراً وهداية ورعداً فقد أصبح من بين الخلق مطوياً وصار نسياً منسياً . ولما كان هذا ثلماً في الدين ولما خطباً مدلهماً رأيت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب مهما إحياء لقوام الدين وكشفاً عن مناهج الأئمة للتقدين وإيضاحاً لماهى العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين . وقد أسسته على أربعة أرباع وهي : ربيع العبادات ، وربع العبادات ، وربع الهللكات ، وربع النجيات . وصدرت الجملة بكتاب العلم لأنه غاية لهم لا كشف أولاً عن العلم الذي تجدد الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم الأعيان بطلبه إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فرضة على كل مسلم ^(٢) » وأميز فيه العلم النافع من الضار إذ قال صلى الله عليه وسلم « نعوذ بالله من علم لا ينفع ^(٣) » وأحقق ميل أهل العصر عن شاكله الصواب ، واتخاذهم بالأمم السراب ، واقتناعهم من العلوم بالقشر عن الباب .

الترم مخزجه الصحة أو يكون أقرب إلى لفظه في الإحياء ، وحيث كرر للصف ذكر الحديث فإن كان في باب واحد منه اكتنفت بذكره أول مرة وبعاً ذكرته فيه ثانياً وثالثاً لفرض أو لسهولة عن كونه تقدم وإن كرره في باب آخر ذكرته ونهت على أنه قد تقدم وبعاً لم أتبه على تقدمه لسهولة عنه وحيث عزوت الحديث لمن خرجته من الأئمة فلا أريد ذلك اللفظ بيته بل قد يكون بلفظه وقد يكون بمعناه أو باختلاف على قاعدة المستخرجات وحيث لم أجد ذلك الحديث ذكرت ما ينشئ عنه غالباً وبعاً لم أذكره . ومحيته :

الغنى عن حل الأسفار في الأسفار في تخريج مافي الأحياء من الأخبار

جعل الله خالصاً لوجه الكريم وسيلة إلى النعيم للقيم .
أحاديث الخطبة

(١) حديث : أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله ببله . الطبراني في الصغير والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف (٢) حديث : طلب العلم فرضة على كل مسلم . ابن ماجه من حديث أنس وصفه أحمد والبيهقي وغيرهما (٣) حديث : نعوذ بالله من علم لا ينفع . ابن ماجه من حديث جابر بإسناد حسن .

الاسلام حسنة للهور
والأعمال تاج المجتهدين
سراج للتجسدين
مقتدى الأئمة مبين
الحل والحرمة زين للذة
والدين الذي باهى به
سيد المرسلين صلى الله
عليه وسلم وعلى جميع
الأنبياء ورضى عن
الغزالي وعن سائر
العلماء المجتهدين لما
كان عظيم الوقع كثير
التنوع جليل المقدار
ليس لنظير في بابيه ولم
ينسج على منواله ولا
سمعت قرحة بمثاله
مشتغلاً على السريعة
والطريقة والحقيقة
كاشفاً عن التوامض
الخفية مبيناً للأسرار
الدينية رأيت أن أضع
رسالة تكون كالعنوان
والدلالة على صباية
من فضله وشرفه
ورشة من فضل
جامعه ومصنفه
(ورتبته على مقدمة .
ومقصد . وخاتمة)
فالمقدمة في عنوان
الكتاب . والمقصد
في فضائله وبعض
للدواع والتناء من

ويشتمل ربيع العبادات على عشرة كتب

كتاب العلم ، وكتاب قواعد العقائد ، وكتاب أسرار الطهارة ، وكتاب أسرار الصلاة ، وكتاب أسرار الزكاة ، وكتاب أسرار الصيام ، وكتاب أسرار الحج ، وكتاب آداب تلاوة القرآن ، وكتاب الأذكار والسموات ، وكتاب ترتيب الأوراد في الأوقات .

وأما ربيع العبادات فيشتمل على عشرة كتب

كتاب آداب الأكل ، وكتاب آداب النكاح ، وكتاب أحكام السكب ، وكتاب الحلال والحرام ، وكتاب آداب الصحة والمعايشة مع أصناف الخلق ، وكتاب العزلة ، وكتاب آداب السفر ، وكتاب السماع والوجد ، وكتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكتاب آداب للعيشة وأخلاق النبوة .

وأما ربيع الهللكات فيشتمل على عشرة كتب

كتاب شرح عجائب القلب ، وكتاب رياضة النفس ، وكتاب آفات الشوئين شهوة البطن وشهوة الفرج ، وكتاب آفات اللسان ، وكتاب آفات الغضب والحقد والحسد ، وكتاب بذر الدنيا ، وكتاب ذم المال والبخل ، وكتاب ذم الجاه والرياء ، وكتاب ذم الكبر والعجب ، وكتاب ذم الغرور .

وأما ربيع للتجانيات فيشتمل على عشرة كتب

كتاب التوبة وكتاب الصبر والشكر وكتاب الخوف والرجاء وكتاب الفقر والزهدة وكتاب التوحيد والتوكل وكتاب المحبة والشوق والأنس والرمضا وكتاب النية والصدق والاخلاص وكتاب المراقبة والمحاسبة وكتاب التفكير وكتاب ذكر اللوت . فأما ربيع العبادات فأذكر فيه من خفايا آدابها ودقائق سننها وأسرار معانيها ما يضطر العالم العامل إليه بل لا يكون من علماء الآخرة من لا يطلع عليه وأكثر ذلك مما أهمل في فن التفهيمات . وأما ربيع العبادات فأذكر فيه أسرار الممارسات الجارية بين الخلق وأغوارها ودقائق سننها وخفايا الورع في مجاريها وهي مما لا يستغنى عنها متدين .

وأما ربيع الهللكات فأذكر فيه كل خلق ملموم ورد القرآن بإمامته وتزكية النفس عنه وتطهير القلب منه وأذكر من كل واحد من تلك الأخلاق حده وحقيقته ، ثم أذكر سببه الذي منه يتولد ثم الآفات التي عليها ترتب ، ثم العلامات التي بها تعرف ، ثم طرق المعالجة التي بها منها يتخلص .

كل ذلك مقرونا بشواهد الآيات والأخبار والآثار . وأما ربيع للتجانيات فأذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال القربين والصديقين التي بها يتقرب العبد من رب العالمين وأذكر في كل خصلة حدها وحقيقتها وسببها الذي به تجلب وغرتها التي منها استفاد وعلامتها التي بها تعرف

وفضلها التي لأجلها فيها يرغب مع ما ورد فيها من شواهد الشرع والعقل ولقد صنف الناس في بعض هذه المعاني كتباً ولكن يميز هذا الكتاب عنها خمسة أمور : الأول : حله ما عقده وكشف ما أجمعه . الثاني : ترتيب ما بدوه ونظم ما فرقوه . الثالث : إيجاز ما طولوه ووضبط ما قرروه . الرابع :

حذف ما كرروه وإثبات ما حرروه . الخامس : تحقيق أمور غامضة اعتاضت على الأنفهام لم تعرض لها في الكتب أصلاً إذ الشكل وإن تواردوا على منبج واحدة فلا مستنكر أن يتفرّد كل واحد من السالكين

بالتنبية لأمر غصه ويفضل عنه رقاؤه أو لا يفضل عن التنبية ولكن يسو عن إيراده في الكتب أولاً يسو ولكن يصرفه عن كشف الغطاء عنه صارف فيه خواس هذا الكتاب مع كونه حلو والمجامع

هذه العلوم . وإعنا حملني على تأسيس هذا الكتاب على أربعة أرباع أمران : أحدهما وهو الباعث الأسلي : أن هذا الترتيب في التحقيق والتفهيم كالضرورة لأن العلم الذي توجه به إلى الآخرة ينقسم إلى علم المعاملة

وعلم المكاشفة وأعيى يعلم المكاشفة ما يطلب منه كشف المعلوم فقط وأعيى يعلم المعاملة ما يطلب منه مع

الأكار عليه والجواب

عما استشكل منه

وعلم بسببه فيه

والخاتمة في ترجمة

المصنف رضي الله عنه

وسبب رجوعه إلى هذه

الطريقة .

(القدمة في عنوان

الكتاب)

اعلم أن علوم المعاملة

التي يتقرب بها إلى الله

تعالى تنقسم إلى ظاهرة

وباطنة والظاهرة

فهي ما معاملة بين العبد

وبين الله تعالى ومعاملة

بين العبد وبين الخلق .

والباطنة أيضاً فبأن

ما يجب تزكية القلب

عنه من الصفات

الذمومة وما يجب تحلية

القلب به من الصفات

المحمودة وقديني الامام

القراني رحمه الله كتابه

إحياء علوم الدين على

هذه الأربعة الأقسام

فقال في خطبته : ولقد

أسست على أربعة أرباع

ربيع العبادات وربيع

المعاملة وربيع الهللكات

وربيع التجانيات فأما

ربيع العبادات فيشتمل

على عشرة كتب كتاب

الكشف العمل به والمقصود من هذا الكتاب علم للعامة فقط دون علم للكشفة التي لارخصة في إبداعها الكتب وإن كانت هي غاية مقصد الطالبين ومطمح نظر الصديقين وعلم العامة طريق إليه ولكن لم يتكلم الأنبياء صلوات الله عليهم مع الخلق إلا في علم الطريق والارشاد إليه . وأما علم الكشفة فلم يتكلموا فيه إلا بالرمز والإيعاء على سبيل التمثيل والاجمال علما منهم بقصور أفهام الخلق عن الاحتمال والمعاينة الأنبياء فأنهم سبيل إلى المدلول عن نهج التأسي والاقتداء . ثم إن علم العامة ينقسم إلى علم ظاهر أعنى العلم بأعمال الجوارح وإلى علم باطن أعنى العلم بأعمال القلوب والجاري على الجوارح إما عادة وإما عبادة والوارد على القلوب التي هي محكم الاحتجاب عن الخواص من عالم للملكوت إما محمود وإما مذموم فبالواجب انقسم هذا العلم إلى شطرين ظاهر وباطن والشرط الظاهر للتلحق بالجوارح انقسم إلى عادة وعبادة والشرط الباطن للتلحق بأحوال القلب وأخلاق النفس انقسم إلى مذموم ومحمود فكان المجموع أربعة أقسام ولا يشذ نظر في علم للعامة عن هذه الأقسام . الباعث الثاني : أني رأيت الرغبة من طلبة العلم صادقة في الفقه الذي صلح عند من لا يخاف الله سبحانه وتعالى للتدبر به إلى البهامة والاستظهار بجماه ومنزلة في المناصات وهو مرتب على أربعة أرباع والترتيب بزي المذهب محبوب ومحبوب فم أبعاد أن يكون تصور الكتاب بصورة الفقه تطفافاً مستدرجاً القلوب ولهذا تلتطف بعض من رام أسئلة قلوب رؤساء إلى الطلب فوضعه على هيئة تقويم النجوم موضوعاً في الجداول والرقوم وصماه تروم الصحيح وكذا أنقسم بذلك الجنس جاذبا لهم إلى اللطالة والتلطف في اجتذاب القلوب إلى العلم الذي يفيد حياة الأبد فمن التلطف في اجتذابها إلى الطلب الذي لا يفيد إلا الصحة الجسد فمعرضة هذا العلم طب القلوب والأرواح التوصل إلى حياة تدوم أبداً فأين منه الطب الذي يبالغ به الأجساد وهي معرضة بالضرورة للفساد في أقرب الآمال فنسأل الله سبحانه التوفيق للرشاد والسداد إنه كريم جواد .

كتاب العلم وفيه سبعة أبواب

الباب الأول : في فضل العلم والتعليم والتعلم . الباب الثاني : في فرض العلم وفرض الكفاية من العلوم ويان حشد الفقه والكلام من علم الدين ويان علم الآخرة وعلم الدنيا . الباب الثالث : في امتد العلم من علوم الدين وليس منها وفيه يان جنس العلم للمذموم وقدره . الباب الرابع : في آفات المناظرة وسبب اشتغال الناس بالخلاف والجسد . الباب الخامس : في آداب العلم والتعلم . الباب السادس : في آفات العلم والملاء والعلامات الفارقة بين علماء الدنيا والآخرة . الباب السابع : في العقل وفضله وأقسامه وما جاء فيه من الأخبار .

الباب الأول في فضل العلم والتعليم والتعلم وشواهد من النقل والعقل

فضيلة العلم

شواهدا من القرآن قوله عز وجل - شهد الله أنه لا إله إلا هو وللأنبياء وأولو العلم مقاماً بالقيس - فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه وثني باللائكة وثلاث بأهل العلم وناهيك بهذا شرفاً وفضلاً وجلاء وثبلاً وقال الله تعالى - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات - قال ابن عباس رضي الله عنهما : للعلم درجات فوق المؤمنين بسبعائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام وقال عز وجل - قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون - وقال تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - وقال تعالى - قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب - وقال تعالى - قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيتكم به تنبئاني أنه اقتدر بثوق العلم وقال عز وجل وقال الذين أتوا العلم ولم يك ثواب الله خير لئن آمن وعمل صالحاً - بين أن عظم قدر الآخرة يعلم بالعلم وقال تعالى - وتلك الأمثال

العلم كتاب قواعد
القائد كتاب أسرار
الطهارة كتاب أسرار
الصلاة كتاب أسرار
الزكاة كتاب أسرار
الصيام كتاب أسرار
الحج كتاب تلاوة
القرآن كتاب الأذكار
واللهوات مكتبات
ترتيب الأوراد في
الأوقات . وأما ربيع
العادات فيشتمل على
عشرة كتب كتاب
آداب الأكل كتاب
آداب النكاح كتاب
آداب الكسب كتاب
الحلال والحرام كتاب
آداب الصعبة كتاب
العزلة كتاب آداب
السفر مكتبات
آداب السجود والوجد
كتاب الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر
كتاب أخلاق النبوة .
وأما ربيع الهلكات
فيشتمل على عشرة
كتب كتاب شرح
مخارج القلب كتاب
رياضة النفس كتاب
آفة الشوطين : البطن
والفروج كتاب آفة
اللسان كتاب آفة

فصرها للناس وما يمتلأها إلا المألون - وقال تعالى - ولو رددوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم - رد حكمه في الواقع إلى استنباطهم وألحق رتبتهم برتبة الأنبياء في كشف حكم الله . وقيل في قوله تعالى - يابن آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم - يعني العلم - وريشا - يعني اليقين - ولياس التقوى - يعني الحياء وقال عز وجل - ولقد جئناهم بكتاب فضلناه على علم - وقال تعالى - فلفقتنّ عليهم علم - وقال عز وجل - بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم - وقال تعالى - خلق الإنسان على البيان - وإعنا ذكر ذلك في معرض الامتنان . وأما الأخبار فهاهنا الرسول الله صلى الله عليه وسلم «من يرد الله بخيرا يفقهه في الدين ويلهمه ربه» (١) «وقال صلى الله عليه وسلم «العلماء ورثة الأنبياء» (٢) ومعلوم أنه لا رتبة فوق النبوة ولا شرف فوق شرف الوراثة لذلك الربة وقال صلى الله عليه وسلم «يستغفر للمسلم ما في السموات والأرض» (٣) وأى منصب يزيد على منصب من تشغل ملائكة السموات والأرض بالاستغفار له فهو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له وقال صلى الله عليه وسلم «إن الحكمة تزيد الشرف شرفا وترفع الملوكة حتى يدرك مدارك الملوكة» (٤) وقد نبهنا على غررائه في الدنيا ومعلوم أن الآخرة خير وأبقى . وقال صلى الله عليه وسلم «خصلتان لا يكونان في منافق حسن سمعت وقصته في الدين» (٥) «ولاشك في الحديث لثفاق بعض فقهاء الزمان فإنه ما أراد به الفقه الذي ظننته وسيأتي معنى الفقه وأدنى درجات الفقيه أن يعلم أن الآخرة خير من الدنيا وهذه للفرقة إذا صدقت وغلبت عليه يرى بها من الثفاق والرياء . وقال صلى الله عليه وسلم «أفضل الناس للؤمن العالم الذي إن احتجج إليه تقع وإن استغنى عنه أغنى نفسه» (٦) «وقال صلى الله عليه وسلم «الاعان عربان ولباسه التقوى وزينته الجاهو غمرته العلم» (٧) «وقال صلى الله عليه وسلم «أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد» أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيا فهم على ما جاءت به الرسل» (٨) . وقال صلى الله عليه وسلم «لوت قبيلة أيسر من موت عام» (٩) «وقال عليه الصلاة والسلام «الناس معادن كعادن الذهب والفضة غيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام إذا فقهوا» (١٠) «وقال صلى الله عليه وسلم «يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء» (١١) «

كتاب العلم . الباب الأول

(١) حديث من يرد الله بخيرا يفقهه في الدين ويلهمه ربه متفق عليه من حديث معاوية دون قوله ويلهمه ربه وهذه الزيادة عند الطبراني في الكبير (٢) حديث العلماء ورثة الأنبياء . أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من حديث أبي البرداء (٣) حديث يستغفر للمسلم ما في السموات والأرض هو بعض حديث أبي البرداء المتقدم (٤) حديث الحكمة تزيد الشرف شرفا الحديث أبو نعيم في الحلية وابن عبد البر في بيان العلم وعبد القتي الأزد في آداب المحدثين من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف (٥) حديث خصلتان لا يجتمعان في منافق الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حديث غريب (٦) حديث أفضل الناس للؤمن العالم الحديث البيهقي في شعب الإيمان موقوفا على أبي البرداء بإسناد ضعيف ولم أره مرفوعا (٧) حديث الإيمان عربان الحديث الحاكم في تاريخ نيسابور من حديث أبي البرداء بإسناد ضعيف (٨) حديث أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد الحديث أبو نعيم في فضل العالم الضيف من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف (٩) حديث لوت قبيلة أيسر من موت عام الطبراني وابن عبد البر من حديث أبي البرداء وأصل الحديث عند أبي البرداء (١٠) حديث الناس معادن الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (١١) حديث يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودماء الشهداء ابن عبد البر من حديث أبي البرداء بإسناد ضعيف

النضب والحقد والحمد
مكتاب ذم الدنيا
كتاب ذم الملوكة
كتاب ذم الجاهو الرياء
كتاب الكبر والعجب
كتاب الضرر . وأما
ربع للنجيات فيشتمل
على عشرة مکتب
كتاب التوبة كتاب
العبر والشكر كتاب
الحوف والرجاء كتاب
الفقر والزهدي كتاب
التوحيد والتوكل
كتاب المحبة والشوق
والرضا كتاب التوبة
والصدق والاخلاص
كتاب المرافقة والمحاسبة
كتاب التمسك كتاب
ذكر اللوت . ثم قال

رحمه الله : فأما ربع
العبادات فأذكر فيه
من أخفاها أتابها
وفائق سنها وأسرار
معانيها ما يضطر العالم
العامل إليها لا يكون
من علماء الآخرة من لم
يطعم عليها أو كثر ذلك
ما أمهل في التفهيات .
وأما ربع العادات
فأذكر فيه أسرار
للعاملات الجارية بين
الحلق ودفائق سنها

وختابا للربع في مجارها
وعى مالا يستقى للدين
نفسا . وأما ربيع
الربيعات فأذكر فيه
كل خلق مذموم وود
القرآن بإمامته و تزكية
النفس عنه وتطهير
القلبين منه وأذكر في كل
واحد من هذه الأخلاق
حده وحقيقته ثم يهديه
الذي منه يتولد ثم
الآفات التي عليها ترتب
ثم العلامات التي بها
يتعرف ثم طرق
المعالجة التي منها يتخلص
كل ذلك مفرورا بشواهد
من الآيات والأخبار
والآثار . وأما ربيع
النبيات فأذكر فيه
كل خلق محمود وخصلة
مرغوبة فيها من خصال
القرين والصديقين
التي يتقرب بها العبد
من رب العالمين
وأذكر في كل خصلة
حدها وحقيقتها وسببها
الذي به تجلب ومغرتها
التي منها تستفاد
وعلاقتها التي بها تعرف
وفضلها التي لأجلها
فيها يرغب مع ما ورد
فيها من شواهد الشرع

وقال صلى الله عليه وسلم « من حفظ على أمة أربعين حديثا من السنة حتى يؤدبها إليهم كنت له شفعيا وشهيدا يوم القيامة » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « من حمل من أمة أربعين حديثا على الله عز وجل يوم القيامة قبها عالما » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « من تفقه في دين الله عز وجل كفاه الله تعالى ما أمه ورزقه من حيث لا يحتسب » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « أوحى الله عز وجل إلى إبراهيم عليه السلام يا إبراهيم إني علمت أحب كل عليم » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « العالم أمين الله سبحانه في الأرض » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « صفان من أمة إذا صلحوا صلح الناس وإذا فسدوا فسد الناس الأمراء والفقهاء » (٦) وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أتى على يوم لا أزداد فيه علما يقربني إلى الله عز وجل فلا يورك في في طلوع شمس ذلك اليوم » (٧) وقال صلى الله عليه وسلم في تفضيل العلم على العبادة والشهادة « فضل العالم على العابد كفضل علي أدنى رجل من أمهاني » (٨) فانظر كيف جعل العلم مقارنا للدرجة النبوة وكيف حط رتبة العمل الجهد عن العلم وإن كان العابد لا يخلو عن علم بالعبادة التي يواظب عليها ولولا لم تكن عبادة . وقال صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب » (٩) وقال صلى الله عليه وسلم « يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء » (١٠) فأعظم بمرتبة في تلو النبوة وفوق الشهادة مع ما ورد في فضل الشهادة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما عبد الله تعالى بشيء أفضل من فقه في الدين ولقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ولكل شيء محمدا ومحامدا هذا الدين الفقه » (١١) وقال صلى الله عليه وسلم « خير دينكم أيسره وخير العبادة الفقه » (١٢) وقال صلى الله عليه وسلم « فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد بسبعين درجة » (١٣) وقال

(١) حديث من حفظ على أمة أربعين حديثا من السنة حتى يؤدبها إليهم كنت له شفعيا وشهيدا يوم القيامة . ابن عبد البر في العلم من حديث ابن عمر وضعفه (٢) حديث من حمل من أمة أربعين حديثا على الله عز وجل يوم القيامة قبها عالما . ابن عبد البر من حديث أنس وضعفه (٣) حديث من تفقه في دين الله كفاه الله همه الحديث الخطيب في التاريخ من حديث عبدالله بن جزء الأريدي بإسناد ضعيف (٤) حديث أوحى الله إلى إبراهيم يا إبراهيم إني علمت أحب كل عليم ذكره ابن عبد البر تعليقاً ولم أظفر له بإسناد (٥) حديث العالم أمين الله في الأرض . ابن عبد البر من حديث معاذ بسند ضعيف (٦) حديث صفان من أمة إذا صلحوا صلح الناس الحديث ابن عبد البر وأبو نعيم من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٧) حديث إذا أتى على يوم لا أزداد فيه علما يقربني الحديث الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية وابن عبد البر في العلم من حديث عائشة بإسناد ضعيف (٨) حديث فضل العالم على العابد كفضل علي أدنى رجل من أمهاني الترمذي من حديث أبي أمامة وقال حسن صحيح (٩) حديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب . أبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان وهو قطعة من حديث أبي الدرداء المتقدم (١٠) حديث يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء . ابن ماجه من حديث عثمان بن عفان بإسناد ضعيف (١١) حديث ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في الدين الحديث الطبراني في الأوسط وأبو بكر الأجرى في كتاب فضل العلم وأبو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف وعنه الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس بسند ضعيف؛ فقيه أشد على الشيطان من ألف عابد (١٢) حديث خير دينكم أيسره وأفضل العبادة الفقه . ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف والشرط الأول عند أحمد من حديث مجاهد بن الأدرع بإسناد جيد والشرط الثاني عند الطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف (١٣) حديث فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد بسبعين درجة

والعلم

(المقصد في فضل الكتاب للشارح إليه وبعض اللغات والثناء من الأكابر عليه والجواب عما استشكل منه وطن بسببه فيه) أعلم أن فضائل الأحياء لا تحصى بل كل فضيلة له باعتبار حياتها لاستقصي جمع الناس مناقبه فقصروا وماقصروا وغاب عنهم أكثر مما أصرروا وعن من أفردها فيها علت بتأليف وهي جسدية بالتصنيف خاص مؤلفه رضى الله عنه في بحار الحقائق واستخرج جواهر اللغات ثم لم يرض إلا بكبارها وجال في بساطين العلوم فاجتنب تحارها يصدان الحظف من أزهارها وما إلى سواء اللغات فلم يصف من كواكبها إلا السائرة وجلبت عليه غرائس أسرار اللغات فلم ترق في عينه منهن إلا بادية النضارة جمع رضى الله عنه فأوعى وسعى في إحياء علوم الدين

صلى الله عليه وسلم « إنكم أصبحت في زمن كثير قههاؤه قليل قراءه وخطباؤه قليل سائلاه كثير معطوه العمل فيه خیر من العلم وسبأى على الناس زمان قليل قههاؤه كثير خطباؤه قليل معطوه كثير سائلاه العلم فيه خیر من العمل (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « بين العلم والمعاد مائة درجة بين كل درجتین حضر الجوارد للضرر سبعین سنة (٢) » وقيل بإرسوله الله : « أى الأعمال أفضل فقال « العلم بالله عز وجل » قيل أى العلم تريد ؟ قال صلى الله عليه وسلم « العلم بالله سبحانه » قيل له نأمل عن العمل وتجب عن العلم فقال صلى الله عليه وسلم « إن قليل العمل ينفع مع العلم بالله وإن كثير العمل لا ينفع مع الجهل بالله (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « يبعث الله سبحانه العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء ثم يقول يا معشر العلماء إنى لم أضع على فيكم إلا العلم بكم ولم أضع على فيكم إلا عذب بكم اذهبوا فقد غفرت لكم (٤) » فسأل الله حسن الحفظة . وأما الآثار فقد قال على « بن أبى طالب رضى الله عنه لكيلا يا كليل العلم خير من لئال العلم بحرسك وأنت تحرس لئال العلم حاكم ولئال محكوم عليه ولئال تنصه الثقة والعلم يزكو بالإتفاق . وقال على « أيضا رضى الله عنه : العلم أفضل من الصائم القائم المجاهد وإدامات العالم ثم في الإسلام ثمة لا يسدها إلا خلف منه وقال رضى الله تعالى عنه نطقا : ما القهر إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلاء وقدر كل امرئ ما كان بحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء فترى يعلم تشي حيا به أبدا الناس موت وأهل العلم أحياء وقال أبو الأسود ليس شيء أعز من العلم للولك حكم على الناس والعلم حكم على الملوك ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما : خير سلمان بن داود عليهما السلام بين العلم والمال وللك فاختار العلم فأعطى المال وللك معه ، وسئل ابن المبارك من الناس فقال العلماء قيل فمن الملوك قال إن الزهاد قيل فمن السلف قال الذين يأكلون الدنيا بالدين ولم يعمل غير العالم من الناس لأن الخاصة القويمة رزقها الناس عن سائر البهائم هو العلم فالإنسان إنسان بما هو شريف لأجله وليس ذلك بوقت شخصه فان أجل أقوى منه ولا يظلمه فان القليل أعظم منه ولا يشجاعته فان السبع أشجع منه ولا بأكله فان الثور أوسع بطنا منه ولا لجامع فان أخس الصافير أقوى على السفا منه بل لم يخلق إلا للعلم وقال بعض العلماء ليت شعري أى شيء أدرك من فاته العلم وأى شيء فاته من أدرك العلم . وقال عليه الصلاة والسلام « من أوتي القرآن فرأى أن أحدا أوتي خيرا منه فقد حقر ما عظم الله تعالى » وقال تنص الوصل رحمه الله ليس للريش إذا منع الطعام والشراب والدواء يموت قالوا على قال كذلك القلب إذا منع عنه الحكمة والعلم ثلاثة أيام يموت ولقد صدق فان غذاء القلب العلم والحكمة فهو ما حياته كما أن غذاء الجسد الطعام ومن قد العلم قلبه مريض وموته لازم ولكنه لا يشعر به إذ ذهب الدنيا وشغل بها أبطل إحساسه كما أن غلبة الخوف قد تبطل ألم الجراح في الحال وإن كان واقعا فاذا حط ابن عدى من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف ولأبى يعلى نحوه من حديث عبد البر بن عوف (١) حديث إنكم أصبحت في زمان كثير قههاؤه الطيراني من حديث حزام بن حكيم عن عمه وقيل عن أبيه وإسناده ضعيف (٢) حديث بين العلم والمعاد مائة درجة الأسفها في الترغيب والترهيب من حديث ابن عمر عن أبيه وقال يسعون درجة بسند ضعيف وكذا رواه صاحب مسند الفردوس من حديث أبي هريرة (٣) حديث قيل له يارسول الله أى الأعمال أفضل فقال العلم بالله الحديث ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف (٤) حديث يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء الحديث الطيراني من حديث أبى موسى بسند ضعيف

الموت عنه أعباء الدنيا أحسن بها لك ونحسرها عظيماً ثم لا ينفعه وذلك كاحساس الآمن من خوفه واليقين من سكره بما أصابه من الجراحات في ساحة السكر أو الخوف فتعود بالله من يوم كشف الغطاء فإن الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا وقال الحسن رحمه الله يوزن مداد الملاء بهم الشهداء فيرجح مداد الملاء بهم الشهداء وقال ابن مسعود رضي الله عنه عليك بالملم قبل أن يرفع ورفضه موت رواه أبو النضر فقه بن يده ليوذن رجالاً قتلوا في سبيل الله شهداء أن يمتهم الله علماء لما يرون من كرامتهم فإن أحداً لم يولد عالماً وإنما العلم بالتعلم . وقال ابن عباس رضي الله عنهما تذاكر الملم بعض ليلاً حتى يأتي من إحيائها وكذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه وأحمد بن حنبل رحمه الله وقال الحسن في قوله تعالى - ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة - إن الحسن في الدنيا هي العلم والعبادة وفي الآخرة هي الجنة وقيل لبعض الحكماء أي الأشياء تحتقن قال الأعيان القزويني إذا غرقت سفينةك سبحت معك يعني العلم وقيل أراد بفرق السفينة هلاكه بدنه بالموت وقال بعضهم من أخذ الحكمة لجأماً أخذها الناس إيماناً ومن عرف بالحكمة لا احتلته العيون بالوقار . وقال الشافعي رحمه الله عليه من شرف الملم أن كل من نسب إليه ولو في شيء حق فترحم ومن رفع عنه حزن وقال عمر رضي الله عنه يابها الناس عليك بالملم فإن شبعه رداء غيبه فمن طلب باباً من الملم رداً لله عز وجل يردائه فإن أذنب ذنباً استغنى ثلاث مرات لا يسلبه رداً وذلك وإن تطاول بذلك الذنب حتى يموت وقال الأنحصر رحمه الله كاد العلماء أن يكونوا رباباً وكل عز لم يوطئ بيلم فإلى ذلك نصيره وقال سالم بن أبي الجعد اشتراني مولاي بثلاث فقدم وأعطيت قلت بأي شيء أحترفت فاحترفت بالملم فما تمت لي سنة حتى أتاني أمير الدين عزيراً فلم أذن له وقال الزبير بن أبي بكر كتب إلى أبي العباس عليك بالملم فإنك إن افترقت كان لك مالا وإن استنبت كان لك جملاً . وحكي ذلك في وصايا القيان لأنه قال يابني جالس الملاء وزاحمهم بركبتك فإن التمسجعات يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل السماء وقال بعض الحكماء إذا مات الملم بكاه لحوت في الماء والطير في الهواء ويقعد وجهه ولا ينشئ ذكره . وقال الزبير رضي الله عنه الملم ذكر ولا يجب إلا ذكر أن الرجال .

فضيلة التعلم

أما الآيات وقوله تعالى - فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين - وقوله عز وجل - فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون - وأما الأخبار فقوله صلى الله عليه وسلم « من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله طريقاً إلى الجنة » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « إن لللائكة ثلث شعاع أجنتها لطالب العلم رضا بما يصنع » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « لأن تعدق وتعلم بأب من العلم خير من أن تصلي مائة ركعة » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « بأب من العلم تعلمه الرجل خير له من الدنيا وما فيها » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم ولو بالطين » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فرصة على كل مسلم »

(١) حديث من سلك طريقاً يطلب فيه علماً الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث إن لللائكة ثلث شعاع أجنتها لطالب العلم رضا بما يصنع أحمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث صفوان بن عسال (٣) حديث لأن تعدق وتعلم بأب من العلم خير من أن تصلي مائة ركعة ابن عبد البر من حديث أبي ذر وليس إسناده بذلك والحديث عند ابن ماجه بلطف آخر (٤) حديث باب من العلم يعلمه الرجل خير له من الدنيا ابن حبان في روضة القلاء وابن عبد البر موقوف على الحسن البصري ولم أره مرفوعاً إلا بلطف خير له من مائة ركعة رواه الطبراني في الأوسط بسند ضعيف من حديث أبي ذر (٥) حديث اطلبوا العلم ولو بالطين ابن عدي والبيهقي في الدخول والشعب من حديث أنس وقال البيهقي منته مشهور وأسانيده ضعيفة .

فشكر الله له ذلك
لشيء قد رده من عالم
محقق مجيد وإمام جامع
لثبات الفضائل محرم
فريد لقد أبدع فيها
أودع حكاياه من
القوائد الشوارد وقد
أعرب فيها أعرب فيه
من الأثقة والشواهد
وقد أجاد فيها أجاد فيه
وأمل يبدئه في العلوم
صاحب المدح للمل
إذ كان رضي الله عنه
من أسرار العلوم جعل
لا يدرك وأين مثله
وأصله وأصله فضله:
هيات لأبائي الزمان
بنته

إن الزمان مثله لشحج
وما عصيت أن أقول
فيمن جمع أطراف
الحاسن ونظم أشقات
الفضائل وأعد براقب
الحامد واستولى على
غيايت للثائب فشجرت
في فورة العلم والعمل
والعلا والقيم والكاء
أصلها ثابت وفرعها
في السماء مع كونه
رضي الله عنهما الصدور
الرحيب والقرينة
الثابتة والبرائة الصافية

وقال عليه الصلاة والسلام «الم خزائن مفاتيحها السؤال ألا فاسألوه فانه يؤجر فيه أربعة السائل والعالم ولستمع والمهلهم» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «لا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه» (٢) وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه «حضور مجلس عالم أفضل من صلاة ألف ركعة وعبادة ألف مريض وشهود ألف جنازة» قيل يارسول الله من قرأ القرآن؟ قال صلى الله عليه وسلم وهل ينفع القرآن إلا العلم» (٣) . وقال عليه الصلاة والسلام «من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الإسلام فينبو بين الأنبياء في الجنة درجة واحدة» (٤) . وأما الآثار فقال ابن عباس رضي الله عنهما ذلت طالبا فمزت مطلوباً وكذلك قال ابن أبي مليكة رحمه الله ما رأيت مثل ابن عباس إذا رأيته رأيت أحسن الناس وجهاً وإذا تكلم فأعرب الناس لساناً وإذا أفق فأكثر الناس علماً وقال ابن المبارك رحمه الله عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه إلى مكربة . وقال بعض الحكماء إنى لأزجر رجلاً كرحمى لأحد رجلين رجل يطلب العلم ولا يفهم ورجل يفهم العلم ولا يطلبه . وقال أبو السرداء رضي الله عنه لأن أتملم مسألة أحب إلي من قيام ليلة . وقال أيضاً العالم والتعلم شريكان في الخير وسائر الناس هج لا خير فيهم وقال أيضاً كن عالماً أو متعلماً أو مستمعاً ولا تكن الرابع فقله . وقال عطاء مجلس علم يكفر سبعين مجلساً من مجالس القهوه وقال عمر رضي الله عنه موت ألف عابد قائم الليل صائم النهار أهون من موت عالم يصير بحلال الله وحرامه وقال الشافعي رضي الله عنه طلب العلم أفضل من النافعة وقال ابن عبد الحكم رحمه الله كنت عند مالك أقرأ عليه العلم فدخل الظهر فجئت الكلب لأسلى فقال يا هذا ما الذي قت إليه بأفضل مما كنت فيه إذا صحت النية وقال أبو الهرداء رضي الله عنه من رأى أن التدو إلى طلب العلم ليس بجهد فقد شفى في رأيه وعقله .

فضيلة التعليم

أما الآيات فقلوه عز وجل - ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون - والراد هو التعليم والارشاد وقوله تعالى - وإذا أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب ليبيئن للناس ولا يكتمونه - وهو إيجاب لتعليم وقوله تعالى - وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون - وهو تحريم للكتمان كما قال تعالى في الشهادة - ومن يكتمها فانه آثم قلبه - وقال صلى الله عليه وسلم «ما آتى الله عالماً علماً إلا وأخذ علمين للثائق ما أخذ على التبيين أن يبينوه للناس ولا يكتموه» (٥) وقال تعالى - ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً - وقال تعالى - ادع إلى سبيل ربك بالحكمة ولوعظاً حسنة - وقال تعالى - وسلمهم الكتاب والحكمة - وأما الأخبار فقلوه صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن «لأن يهدي الله بك رجلاً واحدا خير لك من الدنيا وما فيها» (٦) .

(١) حديث العلم خزائن مفاتيحها السؤال الحديث رواه أبو نعيم من حديث علي مرفوعاً بإسناد ضيف (٢) حديث لا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله الطبراني في الأوسط وابن مردويه في التفسير وابن السني وأبو نعيم في رياضة اللطيفين من حديث جابر بسند ضيف (٣) حديث أبي ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة الحديث ذكره ابن الجوزي في اللوحظات من حديث عمر ولم أجد من طريق أبي ذر (٤) حديث من جاءه الموت وهو يطلب العلم الحديث الدارمي وابن السني في رياضة اللطيفين من حديث الحسن قيل هو ابن علي وقيل هو ابن يسار البصري فيكون مرحلاً (٥) حديث ما آتى الله عالماً علماً إلا أخذ عليه من اللثائق ما أخذ على التبيين الحديث أبو نعيم في فضل العالم الضيف من حديث ابن مسعود بنحوه وفي الخلفيات نحوه من حديث أبي هريرة (٦) حديث قال لمأخذ حين بعثه إلى اليمن لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم

والنفس السامية والهمة العالية ذكر الشيخ عبد الله بن أحمد الباقى رحمه الله على أن الفقيه العلامة قطب الجبل اسماعيل بن محمد الحفري ثم الباقى سئل عن تصانيف التزالي فقال من جملة جوابه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء ومحمد بن إدريس الشافعي سيد الأئمة ومحمد بن محمد بن محمد التزالي سيد الصنفين وذكر الباقى أيضاً أن الشيخ الإمام الكبير أبا الحسن علي بن حرزم الفقيه المشهور القري كان بالغ في الانكار على كتاب إحياء علوم الدين وكان مطاعه سمع السكعة فأمر بجمع ما عثر به من نسخ الأحياء وهم باحراقها الجامع يوم الجمعة فرأى ليلة تلك الجمعة كأنه دخل الجامع فإذا هو بالتي صلى الله عليه وسلم فيه ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما والإمام التزالي قائم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

وقال صلى الله عليه وسلم « من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس أعطى ثواب سبعين صدقة » (١) وقال عيسى صلى الله عليه وسلم : من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما في ملكوت السموات . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا كان يوم القيامة يقول الله سبحانه لعلماء يدين والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تميدوا وجاهدوا فيقول الله عز وجل « أتم عندي بعض ملائكتي انصفوا تشفقوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة » (٢) وهذا إنما يكون بالعلم للتمتع بالعلم لا بالعلم اللازم الذي لا يتبدى به . وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل لا يترفع العلم انترافا من الناس بعد أن يؤتم به إياه ولكن ينهب بنهب العلماء فكما ذهب عالم ذهب عما معه من العلم حتى إذا لم يبق إلا رؤساء جهالا إن سئلوا أتوا بغير علم فضلون ويضلون » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « من علم علما فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمه تسمحها تقطوى عليها ثم تحملها إلى أخ لك مسلم تعلمه إياها تملك عبادتة » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله سبحانه وما والاه أو أملا أو متلها » (٦) وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله سبحانه وملائكته وأهل سمواته وأرضه حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر يملكون على معلم الناس الخير » (٧) وقال صلى الله عليه وسلم « ما أفاد السلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن بأنه فلفه » (٨) وقال صلى الله عليه وسلم « كلمة من الخير يسمعا للؤمن فيعلمها ويصل بها خير له من عبادتة » (٩) وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله عز وجل ويرغبون إليه والثاني يعلمون الناس فقال « أما هؤلاء فيسألون الله تعالى فإن شاء أعطاهم وإن شاء منهم وأما هؤلاء فيعلمون الناس وإنما يشت معلما » ثم عدل إليهم وجلس معهم (١٠)

أحمد من حديث معاذ وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد أنه قال ذلك لعل (١) حديث من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس أعطى ثواب سبعين صدقة رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٢) حديث إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى للمجاهدين والمجاهدين ادخلوا الجنة الحديث أبو العباس الذهبي في العلم من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٣) حديث إن الله لا يترفع العلم انترافا من الناس الحديث متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو (٤) حديث من علم علما فكتمه ألجمه يوم القيامة بلجام من نار أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة قال الترمذي حديث حسن (٥) حديث نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمه تسمحها الطبراني من حديث ابن عباس نحوه باسناد ضعيف (٦) حديث الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الحديث الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة قال الترمذي حسن غريب (٧) حديث إن الله وملائكته وأهل السموات وأهل الأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر يملكون على معلم الناس الخير الحديث الترمذي من حديث أبي أمامة وقال غريب وفي نسخة حسن صحيح (٨) حديث ما أفاد السلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن الحديث ابن عبد البر من رواية محمد بن السكندر مرسل نحوه ولأبي نعيم من حديث عبد الله بن عمرو ما أهدى مسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة تزيد هدى وأترده عن ردى (٩) حديث كلمة من الحكمه يسمعا للؤمن فيعمل بها ويعلمها الحديث ابن المبارك في الزهد والرقائق من رواية زيد بن أسلم مرسل نحوه وفي مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بسند ضعيف كلمة حكمه يسمعا للرجل خير له من عبادتة سنة (١٠) حديث خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله الحديث ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف .

فها أقبل ابن حزم قال الفزالي هذا خضمي يا رسول الله فان كان الأمر كازم تبث إلى الله وإن كان شيئا حصل لي من بركتك واتباع سنتك فخذني حتى من خصمي ثم ناولني صلى الله عليه وسلم كتاب الإحياء تصفحه التي صلى الله عليه وسلم ورقة ورقه من أوله إلى آخره ثم قال والله إن هذا لشيء حسن ثم ناوله الصديق رضي الله عنه فنظر فيه فاستجابه ثم قال نعم والذي بك بالحق إنه شيء حسن ثم ناوله القاروقى عمر رضي الله عنه فنظر فيه وأثنى عليه كما قال الصديق فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بتجريد الفقيه على ابن حزم عن القيس وأن يضرب ومحمد حد للشرى فجوه وضرب فلما ضرب خمسة أسواط تشفع فيه الصديق رضي الله عنه وقال يا رسول الله لعله ظن خلاف سنتك

وقال صلى الله عليه وسلم « مثل ما يبنى الله عز وجل به من الهدى والعلم كمثل الثبث الكثير أواب أرضاً فكانت منها بقعة قبلت للآء فأبنت السكائر والعشب الكثير وكانت منها بقعة أمسكت للآء فنفخ الله عز وجل بها الناس فثربوا منها وسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة قيعان لا تحسك ماء ولا تنبت كلاً » (١) « أه لا أولئك كرمثالاً لمتنفع بعلومه والثاني ذكر مثلاً للنافع والثالث للمحروم منهما . وقال صلى الله عليه وسلم « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث علم ينتفع به » (٢) الحديث . وقال صلى الله عليه وسلم « الدال على الخير كفاعله » (٣) « وقال صلى الله عليه وسلم « لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله عز وجل حكمة فبوى يقضى بها ويعلما الناس ورجل آتاه الله ما لا فسطح على هلكته في الخير » (٤) . وقال صلى الله عليه وسلم « على خلفائى رحمته الله قيل ومن خلفاؤك ؟ قال الذين يحبون سقى ويعلمونها عباد الله » (٥) . وأما الآثار فقد قال عمر رضي الله عنه : من حدث حديثاً فعمل به فعمله أجر من عمل ذلك العمل وقال ابن عباس رضي الله عنهما : معلم الناس الخير يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر وقال بعض العلماء العاقل يدخل فيما بين الله وبين خلقه فلينظر كيف يدخل . وروى أن سفيان الثوري رحمه الله قدم عسقلان فسكت لياسه لئلا ينسأ فقالوا له : كروا لي لأخرج من هذا البلد هذا بلد يموت فيه العلم وإنما قال ذلك حرصاً على فضيلة التعلم واستبقاء العلم به . وقال عطاء رضي الله عنه دخلت على سيد بن السبب وهو يركب قلت ما يركب قال ليس أحد يسألني عن شيء . وقال بعضهم العلماء سرج الأمانة كل واحد مصباح زمانه يستضيء به أهل عصره . وقال الحسن رحمه الله لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم أى أنهم بالعلم يخرجون الناس من حد البهيمية إلى حد الإنسانية . وقال عكرمة إن لهذا العلم ثمناً قيل وما هو قال أن تضمه فيمن يحسن عمله ولا يضيعه . وقال يحيى بن معاذ العلماء أرحم بأمة محمد صلى الله عليه وسلم من آبائهم وأمهاتهم قيل وكيف ذلك قال لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة . وقيل أول العلم الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل ثم نشره . وقيل علم علمك من يحول وتعلم من يعلمها يحول فانت إذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت . وقال معاذ بن جبل في التعلم والتعليم ورأيت أيضاً مرفوعاً « تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لأهل قرية وهو الأنيس في الوحدة والصاحب في الخلوة والدليل على الدين والصلح على السراء والضراء والوزير عند الأخلاء والقريب عند الغرباء ومنارسيل الجنة يرفع الله به ألقوا فيجعلهم في الجنة قادة سادة هداة يقتدى بهم أدلة في الخير تقتضى آثارهم وترقى أفعالهم وترغب لللائكة في خلدتهم بأجنتها تحسبهم وكل رطب ويابس لهم يستغفر حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وأقلامها وساجودهم » (٦) . لأن العلم حياة القلوب من العمى ونور الأبصار من الظلم وقوة

(١) حديث مثل ما يبنى الله به من العلم والهدى الحديث متفق عليه من حديث أبي موسى (٢) حديث إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٣) حديث الدال على الخير كفاعله الحديث صحيح من حديث أنس وقاله عكرمة وأبو داود والترمذي وصححه عن أبي مسعود البدرى بلطف من دل على خير فله مثل أجر فاعله (٤) حديث لا حسد إلا في اثنتين الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٥) حديث على خلفائى رحمة الله الحديث ابن عبد البر في العلم والمروى في ذم الكلام من حديث الحسن قتيل هو ان على وقيل ابن يسار البصرى فيكون مرسلاً وابن السقي وأبي نعيم في رياضة المتعلمين من حديث علي بن عوف (٦) حديث معاذ تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة الحديث بطوله أبو الشيخ ابن جبان في كتاب الثواب وابن عبد البر وقال ليس له إسناد قوى .

فأخطأ في ظنه فرضي
الامام الغزالي وقيل
شفاعة الصديق ثم
استيقظ ابن حزمه
وأثر السباط في ظميره
وأعلم أصحابه وتاب إلى
الله عن إنكاره على
الامام الغزالي واستغفر
ولكنه بقدرة طوبى
مثلاً من أثر السباط
وهو يتضرع إلى الله
تعالى ويتشفع برسول
الله صلى الله عليه وسلم
إلى أن رأى النبي
صلى الله عليه وسلم
دخل عليه ومسح
بشعره الكريمة على
ظهره فموى وشفي باذن
الله تعالى ثم لازم مطالعة
إحياء علوم الدين ففتح
الله عليه فيه وقال
للعرفة بالله وصار من
أكابر الشايع أهل
العلم الباطن والظاهر
رحمة الله تعالى . قال
البايى رويتا ذلك
بالأسانيد الصحيحة
فأخبرني بذلك ولي الله
عن ولي الله عن ولي
الله عن ولي الله الشيخ
الكبير القطب شهاب
الدين أحمد بن الليق

الأبدان من الصعق يبلغ به العبد مشارل الأبرار والدرجات العلى والفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به بطاعة الله عز وجل وبه يسجد وبه يوعده وبه يوحد وبه يمجده وبه يتوكل وبه يتوصل الأرحام وبه يعرف الحلال والحرام وهو إمام والممل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء نسأل الله تعالى حسن التوفيق .

في الشواهد العقلية

اعلم أن المطلوب من هذا الباب معرفة فضيلة العلم ونفاستها وما لم تفهم الفضيلة في نفسها ولم تتحقق المراد منها لم يمكن أن تعلم وجودها صفة للعلم أو لتبرير من الحصول فلقد مثل " عن الطريق من طمع أن يعرف ابن زيدا حكيم أم لا وهو يعلمهم معنى الحكمة وحقيقتها . والفضيلة مأخوذة من الفضل وهي الزيادة فإذا تشارك شيان في أمر واختص أحدهما بعز يد بالفضيلة وله الفضل عليه مهما كانت زيادته فيها وكان ذلك الشيء كما يقال الفرس أفضل من الحمار بمعنى أنه يشارك في قوة التحمل ويزيد عليه بقوة الكر والفر وشدة العدو وحسن الصورة فلو فرض حمار اختص بسلمة زائدة لم يقل إنه أفضل لأن تلك زيادة في الجسم وقصان في اللين وليست من السكال في شيء والحيوان مطلوب لمساواة صفاته لا لجسمه فإذا فهمت هذا لم يخف عليك أن العلم فضيلة إن أخذته بالإضافة إلى سائر الأوصاف كما أن الفرس فضيلة إن أخذته بالإضافة إلى سائر الحيوانات بل شدة العدو فضيلة في الفرس وليست فضيلة على الإطلاق والعلم فضيلة في ذاته وعلى الإطلاق من غير إضافة فانه وصف كمال الله سبحانه وبه شرف الملائكة والأنبياء بل الكسب من الخيل خير من البليد فهي فضيلة على الإطلاق من غير إضافة . واعلم أن الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم إلى ما يطلب لتبريره وإلى ما يطلب لذاته وإلى ما يطلب لتبريره ولذاته جميعا فإما يطلب لذاته أشرف وأفضل مما يطلب لتبريره والمطلوب لتبريره الدرام والذناير فانها محجرات لا تمنعة لها ولأن الله سبحانه وتعالى يسر قضاء الحاجات بما لكانا والحصول بمثابة واحدة والذي يطلب لذاته السعادة في الآخرة ولذته انظر لوجه الله تعالى والذي يطلب لذاته وتبريره فكم سلامة البدن فان سلامة الرجل مطلوبة من حيث إنها سلامة للبدن عن الألم ومطلوبة للمشي بها والتوصل إلى المكرب والحاجات وهذا الاعتبار إذا انظرت إلى العلم رأيت أنه يندفي نفسه فيكون مطلوباً لذاته ووجدته وسيلة إلى دار الآخرة وسعادتها ونزيرة إلى التبرير من الله تعالى ولا يتوصل إليه إلا به وأعظم الأشياء رتبة في حق الآدمي السعادة الأبدية وأفضل الأشياء ماهو وسيلة إليها ولا يتوصل إليها إلا بالعلم والعمل ولا يتوصل إلى العمل إلا بالعلم بكيفية العمل فأصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم فهو إذن أفضل الأعمال وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشيء أيضا بشرف ثمرته وقدره فتأمل ثمرة العلم التبرير من رب العالمين والاتحاق بأفق للملائكة ومقارنة للأهل هذا في الآخرة وأما في الدنيا فالزور والوقار ونفوذ الحكم في الملوك وفروم الاحترام في الطبائع حتى إن أشياء الترك وأجلاف العرب يصادفون طباعهم بمجولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بعز يد علم مستفاد من التجربة بل البهيمة بطبعها توقر الإنسان لشموها بتميز الإنسان بكامل مجاوز لمرجتها . هذه فضيلة العلم مطلقا ثم تختلف العلوم كما سيأتي بيانه وتتفاوت لاعمالها فضائلها بتفاوتها . وأما فضيلة التعليم والتعلم فظاهره ما ذكرناه فان العلم إذا كان أفضل الأمور كان تعلمه طلبا لأفضل فكان تعليمه إضافة لأفضل وبيانه أن مقاصد الحق مجموعة في الدين والدنيا ولا نظام للدين إلا بنظام الدنيا فان الدنيا منزلة للأخروهي الآلة الموصلة إلى الله عز وجل لمن أخذها آلة ومنزلا لمن تخلفها مستمرا ووطنا وليس ينتظم أمر الدنيا إلا بأعمال الآدميين وأعمالهم وحرفهم وصناعاتهم تتصرف في ثلاثة أقسام : أحدها أصول لا قوام للعالم دونها وهي أربعة الزراعة وهي المعظم والحيا كدهوى للملبس والبناء

الشاذلي عن شيخه
الشيخ الكبير العارف
بالقوت الشاذلي عن
شيخه الشيخ الكبير
العارف بالله في العباس
لرسي عن شيخه الشيخ
الكبير شيخ الشيوخ
أبي الحسن الشاذلي
قدس الله أرواحهم
وكان معاصرا لابن
حرزم قال وقال الشيخ
أبو الحسن الشاذلي
وقد مات الشيخ
أبو الحسن بن حرزم
رحمه الله يوم مات وأثر
السياط ظاهر على ظهره
وقال الحافظ بن عساكر
رحمه الله وكان أدرك
الامام الغزالي واجتمع
به قال سمعت الامام
الفتية الصوفي سعد بن
علي بن أبي هريرة
الاسفراييني يقول سمعت
الشيخ الامام الأوحد
زين القراء جمال
الحرمي بالفتح الشاذلي
بمكة الشرفة يقول
دخلت للمسجد الحرام
يوما فطرا على حال
وأخذني عن نفسي
فلم أقدر أن أتعب
ولا أجلس لشدّة ما بي

وهو الحكيم والسياسة وهي التآليف والاجتماع والتعاون على أسباب العيشة وضبطها الثاني ماهي مهنة لكل واحدة من هذه الصناعات وخدمة لها كالجدادة فانها تخدم الزراعة وجملة من الصناعات باعداد آلاتها كالخلاجة والقرول فانها تخدم الحياكة باعداد عملها . الثالث ماهي متممة للأصول ومزينة للطعن والحزب للزراعة والقتل والحياطة للحياكة وذلك بالإضافة إلى فروع أمر العالم الأرضي مثل أجزاء الشخص بالإضافة إلى جملة فانها ثلاثة أصرب ضاها أصول كالتب والكد والكد والكد وإما خدمة لها كالخدمة والورق والشراب والأعصاب والأوردة وإما مكملة لها ومزينة كالأطفاة والأصابع والحاجين وأشرف هذه الصناعات أصولها وأشرف أصولها السياسة بالتآليف والاستصلاح وذلك تستدعي هذه الصناعة من الكمال فيمن تشكفها بما لا يستدعيه سائر الصناعات ولذلك يستخدم لاجالة صاحب هذه الصناعة سائر الصناعات في استصلاح الخلق وإرشادهم إلى الطريق للستيم النجى في الدنيا والآخرة على أربع مراتب : الأولى وهي العليا سياسة الأنبياء عليهم السلام وحكمهم على الخاصة والعامة جميعا في ظاهريهم وباطنيهم . والثانية الخلقاء للولك والسلطين وحكمهم على الخاصة والعامة جميعا ولكن على ظاهريهم لا على باطنيهم . والثالثة العلماء بالله عز وجل وبدينه الذين هم مودة الأنبياء وحكمهم على باطن الخاصة فقط ولا يرتفع منهم العامة على الاستفادة منهم ولا تنهى قوتهم على التصرف في ظاهريهم بالانزاع واللع والشرع . والرابعة الوعاظ وحكمهم على باطن العموم تشطفه أشرف هذه الصناعات الأربع بعد النبوة إفادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة للهلكة وإرشادهم إلى الأخلاق المحمودة السعيدة وهو الراد بالتعليم وإنما قلنا إن هذا أفضل من سائر الحرف والصناعات لأن شرف الصناعات يعرف بثلاثة أمور : إما بالانكشاف إلى الغرزة التي بها يتوصل إلى معرفتها كفضل العلوم العقلية على الفنونية إذ تدرك الحكمة بالعقل واللغة بالسمع والعقل أشرف من السمع إماما ينظر إلى عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة وإما بملاحظة المصل الذي فيه التصرف كفضل الصياغة على الباعة إذ محل أحدهما الذهب ومحل الآخر جلد البنية وليس يخفى أن العلوم الدينية وهي قته طريق الآخرة إنما تدرك بكل العقل وصفاء القلب والعقل أشرف صفات الإنسان كسماي يانه إذ به تبيل أمانة الله وبه يتوصل إلى جوار الله سبحانه وأما عموم النفع فلا يسترب فيه فان نفعه ومخرجه سعادة الآخرة وأما شرف المصل فكيف يخفى وللعلم متصرف في قلوب البشر وتوسم وأشرف موجود على الأرض جنس الانس وأشرف جزء من جواهر الانسان قلبه وللعلم مشتغل بتسكيله وتجليته وتطهيره وسياقته إلى القرب من الله عز وجل فتلهم العلم من وجه عبادة لله تعالى ومن وجه خلافة لله تعالى وهو من أجل خلافة الله فان الله تعالى قد فتح على قلب العالم العلم الذي هو أخص صفاته فهو كالحازن لأنفس خزانته ثم هو مأذون له في الاتفاق منه على كل محتاج إليه فأى رتبة أجل من كون العبد واسطة بين ربه سبحانه وبين خلقه في تزيينهم إلى الله تعالى وسياقتهم إلى جنة لاوى جملنا الله منهم بكمه وصل الله على كل عبد مصطفى .

(الباب الثاني - في العلم المحمود والذموم وأقسامها وأحكامها وفيه بيان ماهو فرض عين وماهو فرض كفاية وبيان أن موقع الكلام والنفع من علم الدين إلى أى حد هو وتفضيل علم الآخرة) بيان العلم الذى هو فرض عين : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم ولو بالعين » واختلف الناس في العلم الذى هو فرض على كل مسلم ففروا فيه أكثر من عشرين فرقة ولا نطيل بنقل التفصيل ولكن حاصله أن كل فريق نزل الوجوب على العلم الذى هو يصده فقال للكل من هو علم الكلام إذ به يدرك التوحيد ويسلم ذات الله

فوقعت على جنبي الأمين
تجاه الكعبة المنظمة
وأنا على طهارة وكنت
أطرد عن قصى
النوم فأخذتني سنة
بين النوم واليقظة
فرايت النبي صلى الله
عليه وسلم في أكل
صورة وأحسن زى
من التيمس والهمة
ورأيت الأئمة الشافى
ومالكا وأبا حنيفة
وأحمد رحمهم الله
يعرضون عليه مذاهبهم
واحدا بعد واحد
وهو صلى الله عليه
وسلم يقرمهم عابثهم جاء
شخص من رؤساء
البيدعة ليدخل الحلقة
فأمر النبي صلى الله
عليه وسلم بطرده
وإهاتته فتحدثت أنا
وقلت يا رسول الله
هذا الكتاب أغنى
إحياء علوم الدين
معتدى ومقتد أهل
المنة والجماعة فلو
أذنت لي حتى أقرأه
عليك فأذن لي
فقرأت عليه من
كتاب قواعد العقائد
بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانه وصفاته وقال الفقهاء هو علم الفقه إذ به تعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المأكلات وما يحل وعزوا به ما يحتاج إليه الآحاد دون الوقائع النادرة . وقال القسرون والهادثون هو علم الكتاب والسنة إذ بهما يتوصل إلى العلوم كلها وقال المتصوفة للراد به هذا العلم قال بعضهم هو علم الصلح عماله ومقامه من الله عز وجل وقال بعضهم هو العلم بالآخلاص وأوقات النفوس وتبعية الملك من لقا الشيطان وقال بعضهم هو علم الباطن وذلك يجب على أقوام مخصوصين هم أهل ذلك وصرفوا اللفظ عن عمومه . وقال أبو طالب للسكي هو العلم بما تضمنه الحديث الذي فيه مباني الإسلام وهو قوله صلى الله عليه وسلم « بين الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله ^(١) » إلى آخر الحديث لأن الواجب هذه الخمس فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب . والذي ينبغي أن يقطع به المصنف ولا يستريب فيه ما سنذكره وهو أن العلم كما قدمناه في خطبة الكتاب ينقسم إلى علم معاملة وعلم مكاشفة وليس للراد بهذا العلم إلا علم للعامة وللعامة التي كلف الصلح المائل البالغ العمل بها ثلاثة : اعتقاد وفعل وترك فإذا بلغ الرجل المائل بالاحتلام أو السن ضحوة نهار مثلاً فأول واجب عليه تعلم كفى الشهادة وفهم معناها وهو قول لا إله إلا الله محمد رسول الله وليس يجب عليه أن يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر والبحث وتحرير الأدلة بل يكفي أن يصدق به ويستفهم جزءاً من غير اختلاج ريب واضطراب نفس وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسمع من غير بحث ولا يرهان « إذا كنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجلاف العرب بالتصديق والافتقار من غير تعلم دليل ^(٢) » فإذا ضل ذلك فقد أدى واجب الوقت وكان العلم الذي هو فرض عين عليه في الوقت تعلم الكلمتين وفهمهما وليس يلزمه أمر وراء هذا في الوقت بدليل أنه لم يأت عقيب ذلك مات مطيعاً لله عز وجل غير عاص له وإنما يجب غير ذلك بموارض تعرض وليس ذلك ضرورياً في حق كل شخص بل يتصور الاشتكاك عنها وتلك العوارض إما أن تكون في الفصل وإما في الترك وإما في الاعتقاد . أما الفصل فإن يبش من ضحوة نهاره إلى وقت الظهر فيتعبد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة والصلاة فإن كان صحيحاً وكان بحيث لو سبر إلى وقت زوال الشمس لم يتمكن من تمام تعلمه والعمل في الوقت بل يخرج الوقت لو اشتغل بالتعلم فلا يعد أن يقال الظاهر بماؤه فيجب عليه تقديم التعلم على الوقت ويحتمل أن يقال وجوب العلم الذي هو شرط العمل بوجوب العمل فلا يجب قبل الزوال وهكذا في بقية الصلوات فإن عاش إلى رمضان تعبد بديه وجوب تعلم الصوم وهو أن يعلم أن وقته من الصبح إلى غروب الشمس وأن الواجب فيه النية والإمساك عن الأكل والشرب والوقائع وأن ذلك يتأدى إلى رؤية الحلال أو شاهدن فإن تعبد له مال أو كان له مال عند بلوغه لزمه تعلم ما يجب عليه من الزكاة ولكن لا يلزمه في الحال إنما يلزمه عند تمام الحول من وقت الإسلام فإن لم يملك إلا الإبل لم يلزمه إلا تعلم زكاة الإبل وكذلك في سائر الأصناف فإذا دخل في أشهر الحج فلا يلزمه المبادرة إلى عليها الحج مع أن فعله على التراخي فلا يكون تعلمه على الفور ولكن ينبغي لملاء الإسلام أن ينويه على أن الحج فرض على التراخي على كل من ملك الزاد والراحلة إذا كان هو مالكا حتى ربما يرى الحزم لنفسه في المبادرة فند ذلك إذا عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج ولم يلزمه إلا تعلم أركانه وأوجابه دون افتقار من ذلك فقل صلته أيضاً فلا يكون تعلمه فرض عين

(الباب الثاني)

(١) حديث بين الإسلام على خمس متفق عليه من حديث ابن عمر (٧) حديث اكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجلاف العرب بالتصديق والافتقار من غير تعلم دليل ، مشهور في كتب السير والحديث فند مسلم قصة ضمام بن ثعلبة .

كتاب قواعد العقائد وفيه أربعة فصول الفصل الأول في ترجمة عقيدة أهل السنة حتى انتهت إلى قول الغزالي وأتته تصالي بحث النبي الأسمى القرشي محمداً صلى الله عليه وسلم إلى كافة العرب والجمع والجن والإنس فرأيت البشاشة في وجهه صلى الله عليه وسلم ثم التفت وقال أين الغزالي وإذا بالغزالي واقف بين يديه فقال ها أنا ذا يا رسول الله وقدم وسلم فرد عليه السلام عليه الصلاة والسلام وناول به الكرمية فأكب عليها الغزالي قبلها وبورك بها وما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم أقصد سروراً بقرأة أحد عليه مثل ما كان بقرأته عليه الأحياء ثم انتهت والسمع بحري من عيني من أثر تلك الأحوال والكرامات وكان تقريره صلى الله عليه وسلم لهذا المذهب أتمة

وفي محرم السكوب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في جواب أحد الخلق في الحال نظر يابق بالفقه وهكذا التدرج في علم سائر الأفعال التي هي فرض عين . وأما التروك فيجب تعلم ذلك بحسب ما يتجدد من الحال وذلك يختلف بحال الشخص إذ لا يجب على الأبرك تعلم ما يحرم من الكلام ولا على الأعمى تعلم ما يحرم من النظر ولا على البوي تعلم ما يحرم الجلوس فيه من المساكن فذلك أيضا واجب بحسب ما يقتضيه الحال فما يعلم أنه ينفك عنه لا يجب تعلمه وما هو ملائمه له يجب تنبيهه عليه كالوكان عند الاسلام لا يسأ لأحرير أو جالسا في القصب أو ناظرا إلى غريزي محرم فيجب تعرفه بذلك وما ليس ملائمه له ولكنه يصدد التعرض له على القرب كالأكل والشرب فيجب تعليمه حتى إذا كان في بلد يتعامل فيه شرب الخمر وأكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك وتنبيهه عليه وما يجب تعليمه وجب عليه تعلمه وأما الاعتقادات وأعمال القلوب فيجب عليها بحسب الخواطر فإن خطرله شك في العالم التي تدل عليها كتب الشهادة فيجب عليه تعلم ما يتوصل به إلى إزالة الشك فإن لم يخطرله ذلك ومات قبل أن يعتقد أن كلام الله سبحانه قديم وأنه مرفى وأنه ليس عملا للحوادث إلى غير ذلك مما يذكر في المعتقدات فقد مات على الاسلام إجماعا ولكن هذه الخواطر اللوحية للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع وبعضها يخطر بالباع من أهل البلد فإن كان في بلد شاع فيه الكلام وتناقل الناس بالبيع فينبغي أن يسان في أول بلوغه عنها بثلثين الحق فانه لو أتى إليه الباطل لوجب إزالته عن قلبه وربما عسر ذلك كأنه لو كان هذا السلم تاجرا وقشاع في البلد معاملة الربا وجب عليه تعلم الحذر من الربا وهذا هو الحق في العلم الذي هو فرض عين ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب فن علم العلم الواجب ووقت وجوبه فقد علم العلم الذي هو فرض عين وما ذكره الصوفية من فهم خواطر العدو ويلة للالك حق أيضا ولكن في حق من يتصدى له فإذا كان الغالب أن الانسان لا ينفك عن دواعي الشر والرياء والحد فيأمره أن يتعلم من علم ربيع للهلكات ما يرى نفسه محتاجا إليه وكيف لا يجب عليه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه (١) » ولا ينفك عنها بشر وثقة ما صدكره من مذمومات أحوال القلب كالكبر والعجب وأخواتهما تتبع ههنا ثلاث للهلكات وإزالتها فرض عين ولا يمكن إزالتها إلا بمعرفة حدودها ومعرفة أسبابها ومعرفة علاماتها ومعرفة علاجها فإن من لا يعرف الشر يقع فيه والمعالج هو مقابلة السبب بصدقه وكيف يمكن دون معرفة السبب والسبب وأكثر ما ذكرناه في ربيع للهلكات من فروض الأعيان وقد تركزها الناس كافة اشتغالا بما لا ينفع . وما ينبغي أن يبادر في إلقائه إليه إذا لم يكن قد انتقل عن ملة إلى ملة أخرى الايمان بالجنة والنار والخير والشر حتى يؤمن به وصدق وهو من تمة كلمتي الشهادة فانه بعد التصديق يكون عليه السلام رسولا ينبغي أن يفهم الرسالة التي هو مبلغها وهو أن من أطاع الله ورسوله فله الجنة ومن عصاهم فله النار فإذا انتبهت لهذا التدرج علمت أن للذهب الحق هو هذا وتحقق أن كل عبد هو في مجاري أحواله في يومه وليته لا يخلو من وقائع في عباداته ومعاملاته عن تجدد لوازم عليه فيأمره السؤال عن كل ما يقع له من التوادر ويأمره المبادرة إلى تعلم ما يتوقع وقوعه على القرب غالبا فإذا تبين أنه عليه الصلاة والسلام إنما أراد بالعلم التعرف بالألف واللام في قوله صلى الله عليه وآله وسلم « طلب العلم فرضة على كل مسلم » علم العمل الذي هو مشهور بالوجوب على للمسلمين لا غير فقد انضج وجه التدرج ووقت وجوبه والله أعلم .

(١) حديث ثلاث مهلكات شح مطاع الحديث البزاري والطبراني وأبو نعيم والبيهقي في الشعب من حديث أنس بإسناد ضعيف .

السنة واستبشاره ببقية التوراة وغيره هامة من الله عظيمة ومنة جسيمة نسأل الله تعالى أن يعيننا على سنته ويتوفانا على ملته آمين .

(صلى) أتى على الأحياء عالم من علماء الإسلام وغير واحد من عارف الأنام بل جمع أقطاب وأفراد قال فيه الحافظ الإمام الفقيه أبو الفضل العراقي في ترجمته إنه من أجل كتب الإسلام في معرفة الحلال والحرام جمع فيه بين ظواهر الأحكام ونزع إلى سرائر دقت عن الألفاظ لم يقتصر فيه على مجسرد الفروع والمسائل ولم يتبحر في اللجة بحيث يتدل الرجوع إلى الساحل بل مزج فيه على الظاهر والباطن ومرج معانيه في أحسن اللواتن وسبك فيه تقاسم اللفظ وضبطه وسلط فيه من الخط أوسطه مقتنيا يقول على كرم الله وجهه

بيان العلم القدسي هو فرض كفاية

خير هذه الأمة لفظ
الأوسط يلحق بهم
التالي ويرجع إليهم
التالي إلى آخر ما ذكره
نما الأولى بنا في هذا
الحل عليه ثم الانتقال
إلى نشر محاسن الأحياء
ليظهر المحب والبغض
وعده وغيره . وقال
عبد الغافر الفارسي
في مثال الأحياء إنه
من تصانيف المشهورة
التي يسبق إليها . وقال
فيه النووي كاد
الأحياء أن يكون
قرأنا . وقال الشيخ
أبو محمد الكازروني
لو بحث جميع العلوم
لاستخرجت من
الأحياء . وقال بعض
علماء المالكية الناس
في فضل علوم الفرائد
أي والأحياء جامعها
كما سبأني أنه البحر
المحيط . وكان السيد
الجليل كبير الشأن
تاج المارفين وقطب
الأولاء الشيخ عبد الله
السيدروس رضي الله
عنه يكاد يحفظه غلا
وروي عنه أنه قال
مكثت سفينة أطالع

أعلم أن الفرض لا يتعمد عن غيره إلا بدكر أقسام العلوم بالعلوم بالإضافة إلى الفرض الذي يحسن بسدده
تنقسم إلى شرعية وغير شرعية وأغنى بالشرعية ما استفيد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه
ولا يرشد العقل إليه مثل الحساب ولا التجربة مثل الطب والبيع مثل اللغة فالعلوم التي ليست بشرعية
تنقسم إلى ماهو محمود وإلى ماهو مذموم وإلى ماهو مباح فالحمود ما يرتبط به مصالح أمور الدنيا
كالطب والحساب وذلك ينقسم إلى ماهو فرض كفاية وإلى ماهو فضيلة وليس بفرضية . أما فرض
الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالتبليغ إذ هو ضروري في حاجة بناء الأبدان
والتحاسب فإنه ضروري في المعاملات وقسمه الوصايا والمواثيق وغيرها وهذه هي العلوم التي لو خلا
البشر عمن يقوم بها حرج أهل البلد وإذا قام بها واحد كفي وسقط الفرض عن الآخرين فلا تنجب
من قولنا إن الطب والحساب من فروض الكفايات فإن أصول الصناعات بضامن فروض الكفايات
كالتفاحة والحياكة والسياسة بل الحياكة والحياطة فإنه لو خلا البلد من الحياكة تسارع الهلاك إليهم
وخرجوا يتبرصهم أنفسهم للهلاك فإن الذي أنزل الداء أنزل الدواء وأرشد إلى استعماله وأعد
الأسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك بإجماله . وأما ما يند فضيلة لا فرصة فالتعاطي في دقائق
الحساب وحقائق الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه ولكنه يزيد قوة في القدر المحتاج إليه
وأما للذموم منه فمثل السر والطلبات وغير الشبهة والتلبسات . وأما للباح منه فالعلم بالأشعار التي
لا تستغنى عنها وتواريخ الأخبار وما يجري مجراه . وأما العلوم الشرعية وهي المقصودة بالبيان : فهي محمود
كلها ولكن قد يلبس بها ما يظن أنها شرعية وتكون مذمومة تنقسم إلى الحمودة وللذمومة . أما
الحمودة فلها أصول وفروع ومقدمات وسميات وهي أربعة أعرض : الضرب الأول الأصول وهي
أربعة : كتاب الله عز وجل وسنة رسوله عليه السلام وإجماع الأمة وآثار الصحابة ، والإجماع أصل
من حيث إنه يدل على السنة فهو أصل في الدرجة الثالثة وكذا الأمر فإنه أيضا يدل على السنة لأن
الصحابة رضي الله عنهم قد شاهدوا الوحي والتزيل وأدركوا بقرائن الأحوال ما غاب عن غيرهم
عيانه وربما لا غيب البارات بما أدركه بالقرائن فمن هذا الوجه رأى العلماء الاقتداء بهم والتمسك
بآثارهم وذلك بشرط عضو على وجه مخصوص عند من رآه ولا يليق بيانه بهذا الفن . الضرب
الثاني الفروع : وهو ما فهم من هذه الأصول لا بموجب ألفاظها بل بعمان تنبه لها المقول فالتعاطي بسببها
القيم حتى فهم من اللفظ للفظ بغيره كالفهم من قوله عليه السلام « لا يقضي القاضي وهو غضبان »^(١)
أنه لا يقضي إذا كان حاقنا أوجاننا أو متألمًا بمرض وهذا على ضربين : أحدهما يتعلق بمصالح الدنيا
ويعويه كتب الفقه والتكليف والفقهاء وهم علماء الدنيا . والثاني ما يتعلق بمصالح الآخرة وهو علم
أحوال القلب وأخلاقه الحمودة وللذمومة وما هو مرضى عند الله تعالى وما هو مكروه وهو الذي
يعويه الشطر الأخير من هذا الكتاب أعنى جملة كتاب إحياء علوم الدين ومنه العلم بما يرفع
من القلب على الجوارح في عبادتها وعاداتها وهو الذي يعويه الشطر الأول من هذا الكتاب .
والضرب الثالث المقدمات : وهي التي تجري منه مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو فانها آلة
لعلم كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وليست اللغة والنحو من العلوم الشرعية
في أنفسهم ولكن ياتهم الخوض فيها بسبب الشرع إذ جاءت هذه التريسة بلغة العرب وكل
شريعة لا تظهر إلا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة ومن الآلات علم كتابنا لخط لأن ذلك ليس ضروريا

(١) حديث لا يقضي القاضي وهو غضبان متفق عليه من حديث أبي بكر

« إذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمياً (١) » ولتصور استقلال الحفظ بجميع ما يسمع لاستغنى عن الكتابة ولكنه صار بحكم المجزئ الغالب ضروريا . الضرب الرابع للتمعات : وذلك في علم القرآن فإنه ينقسم إلى ما يتعلق باللفظ كتعلم القراءات وعماجر الحروف وإلى ما يتعلق بالمعنى كال تفسيره . فإنباده أيضا على النقل إذ اللغة بجزءها لا تستقل به وإلى ما يتعلق بأحكامه كمعرفة التاميم والنسخ والعلم والخاص والنسب والظاهر وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو العلم الذي يسمى أصول الفقه ويتناول السنة أيضا . وأما التتمعات في الآثار والأخبار فالعلم بالرجال وأسمائهم وأنسائهم وأسماء الصحابة وصفاتهم والعلم بالمدالة في الروايات والعلم بأحوالهم كميز الضعيف عن القوي والعلم بأعمالهم كميز المرسى عن السندو كذلك ما يتعلق به فقههم العلوم الشرعية وكلها محمودة بل كلها من فروض الكفايات . فان كانت لم تحقت الفقه بعلوم الدنيا والحقت الفقهاء بعلوم الدنيا فاعلم أن الله عز وجل أخرج آدم عليه السلام من التراب وأخرج ذريته من سلاله من طين ومن ماء دافق فأخرجهم من الأصلاب إلى الأرحام ومنها إلى الدنيا ثم إلى القبر ثم إلى العرض ثم إلى الجنة الأولى التارقيها مبدؤهم وهذا غاية هذه منازلهم وخلق الدنيا زادا للعاد ليتناول ما يصلح للزود فلو تناولوها بالعدل لا تقطعت الخصومات وتعلم الفقهاء ولكهم تناولوها بالسموات فتولدتها الخصومات فحست الحاجة إلى سلطان يسوسهم واحتاج السلطان إلى قانون يسوسه به فالفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق إذا تنازعوا بحكم السموات فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده إلى طريق سياسة الخلق وضبطهم لينتظم باستقامتهم أمورهم في الدنيا ولعمري إنه متعاقب أيضا بالدين ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدينافان الذي ينامز رعة الآخرة ولا يتم الدين إلا بالدين والملك والدين توأمان فالدين أصل والسلطان حارس وما لأصل له فهدوم وما لأحارس له فضائع ولا يتم الملك والضبط إلا بالسلطان وطريق الضبط في فصل الحكومات بالفقهاء وكان سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين في الدرجة الأولى بل هو معين على ما لا يتم الدين إلا به فكذلك معرفة طريق السياسة لعلوم أن الحج لا يتم إلا بغيره فخرس من العربى الطريق ولكن الحج شيء وسلكه الطريق إلى الحج شيء ثان والقيام بالحراسة إلى لا يتم إلا به شيء ثالث ومعرفة طرق الحراسة وجعلها وتوأمينها شيء رابع وحاصل فن الفقه معرفة طرق السياسة والحراسة وبدل على ذلك ما روى مسندا « لا يفتى الناس إلا ثلاثة أمير أو مأمور أو متكلف (٢) » فالأمير هو الامام وقد كانوا هم للفتوى وللمأمور نائبه والتكليف غيرها وهو الذي يتقصد تلك المهمة من غير حاجة وقد كان الصحابة رضوا الله عنهم يحترزون عن الفتوى حتى كان يحيل كل واحد منهم على صاحبه وكانوا لا يعترضون إذا سئلوا عن علم القرآن وطريق الآخرة وفي بعض الروايات بدل للتكليف للرأي فان من تنهد خطر الفتوى وهو غير متعين للحاجة فلا يقصد به إلا طلب الجاه والذل . فان قلت هذا إن استقام للفتى أحكام الجراحات والحدود والقرامات وفصل الخصومات فلا يستقيم فيها يشتمل عليه ربع المبادات من الصيام والصلوات ولا فيها يشتمل عليه ربع المبادات من معاملات من بيان الحلال والحرام فاعلم أن أقرب ما يتكلم الفقيه فيه من الأعمال التي هي أعمال الآخرة ثلاثة الصلاة والزكاة والحلال والحرام فإذا تأملت منتهى نظر الفقيه

(١) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمياً : أى لا يحسن الكتابة إذ من رويته في التفسير من حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً أنا محمد النبي الأمي وفيه ابن لهجة ولان حبان والدارقطني والحاكم والبيهقي ووجهه من حديث ابن مسعود قولوا اللهم صل على محمد النبي الأمي والبخاري من حديث البراء . وأخذ الكتاب وليس يحسن يكتب (٢) حديث لا يفتى الناس إلا ثلاثة الحديث ابن ماجه من رواية عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده بلفظ لا يقص على الناس وإسناده حسن .

كتاب الاحياء كل فصل وحرف منه وأعادوه وأندبره فيقارن في منه في كل يوم علومه و أسرار عظيمة ومنه ومات غزيرة غير التي قبلها ولم يستبق أحد ولم يلحقه أحد أمي على كتاب الاحياء بما أثنى عليه ودعا الناس بقوله وادع إليه وحث على التزام مطالعته والعمل بما فيه ومن كلامه رضى الله عنه : عليكم يا خوافي تباسة الكتاب والسنة أثنى الشريعة الشروحة في الكتب النزالية خصوصا كتاب ذكر اللوت وكتاب الفقر والزهدي وكتاب التوبة وكتاب رياضة النفس ومن كلامه : عليكم بالكتاب والسنة أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وفكرا واعتبارا واعتقادا وشرح الكتاب والسنة مستوفى في كتاب احياء علوم الدين للانام حجة الاسلام التزلي رحمه الله ونفعنا به ومن كلامه وبسد قليس لنا طريق ومنه

سوى الكتاب والسنة
وقد شرح ذلك كله
سيد الصفتين وبقية
المجاهدين حجة الإسلام
الغزالي في كتابه العظيم
الشان للقلب أعجوبة
الزمان إحياء علوم
الدين الذي هو عبارة
عن شرح الكتاب
والسنة والطريقة
ومن كلامه عليه
بإجازة كتاب إحياء
علوم الدين فهو موضع
نظر الله وموضع رضا
الله فمن أحبه وطاعه
وعمل بما فيه فقد
استوجب محبة الله
ومحبة رسول الله ومحبة
ملائكة الله وأنبيائه
وأوليائه وجميع بين
الشريعة والطريقة
والحقيقة في الدنيا
والآخرة وصار عالماً
في الملك والملكوت .
ومن كلامه الوجيز
العزيز لربنا الله لا اله
إلا بما في الإحياء .
ومن كلامه أصحوا أن
مطالعة الأحياء تضر
القلب الغافل في لحظة
كفصور سواد الحبر
بوقوع الزواج في
الفن والسوء وتأثير

فيها علمت أنه لا يجاوز حدود الدنيا إلى الآخرة وإذا عرفت هذا في هذه الثلاثة فهو في غيرها أنظر . أما
الإسلام فتعلم الفقيه فيصاح منه وفيما يفسد وفي شروطه وليس يلتفت فيه إلا إلى اللسان وأما القلب
فخارج عن ولاية الفقيه لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أرباب السيوف والسلطة عنه حيث قال « هلا
شقت عن قلبه ^(١) » والذي يدل من تكلم بكلمة الإسلام معتذراً بأنه قال ذلك من خوف السيوف بل يحكم
الفقيه بصحة الإسلام تحت ظلال السيوف مع أنه يعلم أن السيوف لم يكشفه عن نيته ولم يدفع عن قلبه
عشاوة الجهل والحيرة ولكنه مشير على صاحب السيوف فإن السيوف ممتد إلى رقبته واليد ممتدة إلى ماله
وهذه الكلمة باللسان تصمم رقبته وماله مادام له رقبته ومال وذلك في الدنيا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
« أمرت أن أقاتل الناس حتى يشقوا للإله الإله فإذا قالوا هاهنا قد عصموا مني فمادهم وأموالهم ^(٢) » جعل أثر
ذلك في الدم والمال وأما الآخرة فلا تنفع فيها الأموال بل أنوار القلوب وأسرارها وإخلاصها وليس ذلك
من فن الفقه وإن خاض الفقيه فيه كان كالخاض في الكلام والطب وكان خارجاً عن فنه . وأما الصلاة
فالفقيه يفتي بالصحة إذا أتى بصورة الأعمال مع ظاهر الشروط وإن كان غافلاً في جميع صلاته من أولها إلى
آخرها مشغولاً بالتفكير في حساب معاملاته في السوق إلا عند التكبير وهذه الصلاة لا تنفع في الآخرة كما
أن القول باللسان في الإسلام لا ينفع ولكن الفقيه يفتي بالصحة أي أن ما فعله حصل به امتثال صيغة الأمر
واقطع بعنه القتل والتعزير فأما الخشوع وإحضار القلب الذي هو عمل الآخرة وبتنفع العمل الظاهر
لا يتعرض له الفقيه ولو تعرض له لكان خارجاً عن فنه . وأما الزكاة فالفقيه ينظر إلى ما يقطع به مطالبة
السلطان حتى إنه إذا امتنع عن أدائها فأخذها السلطان قهراً حكم بأنه برئت ذمته . وحكى أن أبي يوسف
القاضي كان يهب ماله لزوجته آخر الحول ويستوجب ماله إسقاطاً للزكاة فحكى ذلك لأبي حنيفة رحمه
الله فقال ذلك من فقهه وصدق فإن ذلك من فقهه الذي ولكن مضرت به في الآخرة أعظم من كل جناية
ومثل هذا هو العلم الفاضل . وأما الحلال والحرام فالورع عن الحرام من الدين ولكن الورع له أربع
مراتب : الأولى الورع الذي يشترط في عدالة الشهادة وهو الذي يخرج بتركه الإنسان عن أهلية
الشهادة والقضايا والولاية وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر . الثانية ورع الصالحين وهو التوق من
الشبهات التي يتقابل فيها الاحتمالات قال صلى الله عليه وسلم « دع ما يريك إلى ما لا يريك ^(٣) » وقال صلى
الله عليه وسلم « الائم حراز القلوب ^(٤) » . الثالثة ورع للتقين وهو ترك الحلال الهضم الذي يخاف منه
أداؤه إلى الحرام . قال صلى الله عليه وسلم « لا يكون الرجل من للتقين حتى ينع مالا بأس به مخافة ما به
بأس ^(٥) » وذلك مثل التورع من التحدث بأحوال الناس خيفة من الانجرار إلى النية والتورع عن
أكل الشهوات خيفة من هيجان النشاط والبطر للؤدى إلى مقارفة المخطورات . الرابعة ورع
الصدقين وهو الاعراض عما سوى الله تعالى خوفاً من صرف ساعة من العمر إلى ما لا يفيد زيادة
قرب عند الله عز وجل وإن كان يعلم ويتحقق أنه لا يفضي إلى حرام فنه الدرجات كلها خارجة عن
نظر الفقيه إلا الدرجة الأولى وهو ورع الشهود والقضاة وما يقدح في العدالة والقيام بذلك لا يفي الائم
(١) حديث هلا شقت عن قلبه مسلم من حديث أسامة بن زيد (٢) حديث أمرت أن أقاتل الناس
حتى يقولوا لا إله إلا الله الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وعمر بن عمر (٣) حديث دع
ما يريك إلى ما لا يريك الترمذي وصححه والنسائي وابن حبان من حديث الحسن بن علي (٤) حديث
الائم حراز القلوب البيهقي في شعب الإيمان من حديث ابن مسعود ورواه العبدني في مسنده موقوفاً
عليه (٥) حديث لا يكون الرجل من للتقين حتى ينع مالا بأس به الحديث الترمذي وحسنه
وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث عطية السمدى .

في الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوابصة « استفت قلبك وإن أفوتك وإن أفوتك وإن أفوتك (١) »
والفقه لا يتكلم في حركات القلوب وكيفية العمل بها بل فيما يتقبح في العدالة فقط فإذا جمع نظر الفقيه
مربط بالدين التي بها صلاح طريق الآخرة فإن تكلم في شيء من صفات القلب وأحكام الآخرة فذلك
يدخل في كلامه على سبيل التطفل كما يدخل في كلامه شيء من الطب والحساب والنجوم وعلم الكلام
وكما يدخل الحكمة في النحو والشعر . وكان سفيان الثوري وهو إمام في علم الظاهر يقول إن طلب هذا
ليس من زاد الآخرة كيف وقد اتفقوا على أن الشرف في العلم الممل به فكيف يظن أنه علم الظاهر والعمان
والسلم والاجارة والصرف ومن تعلم هذه الأمور ليترب بها إلى الله تعالى فهو مجنون وإنما العمل بالقلب
والجوارح في الطاعات والشرف هو تلك الأعمال . فإن قلت لم صوت (٢) بين الفقه والطب إذ الطب
أيضاً يتعلق بالدين وهو صفة الجسد وذلك يتعلق به أيضاً صلاح الدين وهذه التسوية تخالف لإجماع
السلفين . فاعلم أن التسوية غير لازمة بل بينهما فرق وأن الفقه أشرف منه من ثلاثة أوجه : أحدها
أنه علم شرعي إلهي وهو مستفاد من النبوة بخلاف الطب فإنه ليس من علم الشرع . والثاني أنه لا يستغنى عنه
أحد من سلكي طريق الآخرة ألبتة للصحيح ولا للمريض وأما الطب فلا يحتاج إليه إلا للمرضى وهم
الأقوال . والثالث : أن علم الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة لأنه نظر في أعمال الجوارح ومصدر أعمال
الجوارح ومنشؤها صفات القلوب فالهمود من الأعمال يصدر عن الأخلاق المحمودة النتيجة في الآخرة
وللهمود مصدر من اللهمود وليس يخفى الصالح الجوارح والقلب وأما الصحة والمرض فمنشؤها صفاء في
الزواج والأخلاق وذلك من أوصاف البدن لا من أوصاف القلب فهما أحصيف الفقه إلى الطب ظهر شروعه
وإذا أحصيف علم طريق الآخرة إلى الفقه ظهر أيضاً شرف علم طريق الآخرة . فإن قلت فصدلى علم
طريق الآخرة تفصيلاً يشير إلى تراجمه وإن لم يمكن استقصاء تفاصيله فاعلم أنه قبان : علم مكاشفة
وعلم معاملة . فالتسم الأول علم للكاشفة وهو علم الباطن وذلك غاية العلوم فقد قال بعض العارفين
من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة وأذى نصيب منه التصديق به وتسليمه
لأهله . وقال آخر من كان فيه خصلتان لم ينتفع به شيء من هذا العلم بدعة أو كبر . وقيل من كان
مجا للدين أو معصراً على هوى لم ينتفع به وقد يتحقق بسائر العلوم وأقل عقوبة من ينكره أنه
لا ينوق منه شيئاً ويشهد على قوله :

وإرض لمن غاب عنك غيبته فذلك ذنب عقابه فيه

وهو علم الصديقين والقرينين أعنى علم للكاشفة فهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيت
من صفاته للتمومة وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة كان يسمع من قبل أمماها فيقوم لها مقام
جملة غير متضمنة فتتضح إذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه وصفاته والباطنات
النامات وأفعاله وبحكمه في خلق الدنيا والآخرة ووجه تربيته للآخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة
والنبي ومعنى الوحي ومعنى الشيطان ومعنى لفظ اللائكة والشياطين وكيفية معاداة الشياطين للإنسان
وكيفية ظهور الملك للأنبيا وحكيمة وصول الوحي إليهم والمعرفة بملكوت السموات والأرض
ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود اللائكة والشياطين فيه ومعرفة الترقى بمنزلة الملك ولة الشيطان
ومعرفة الآخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط واليزان والحساب ومعنى قوله تعالى - اقرأ
كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً - ومعنى قوله تعالى - وإن الدار الآخرة هي الحيوان

(١) حديث استفت قلبك وإن أفوتك وإن أفوتك أحمد من حديث وابصة .

(٢) هكذا النسخ ولعل الصواب لم لا صوت يدل على كلامه فأتم .

كتب الغزالي واضح
ظاهر غير ترب عند كل
مؤمن ومن كلامه
أجمع العلماء العارفين
بالله على أنه لا شيء
أنفع للقلب وأقرب
إلى رضا الرب من
متابعة حجة الاسلام
الغزالي ومحبته ككتب
فان كتب الإمام
الغزالي لباب الكتاب
والسنة ولباب العقول
والشوق وأتموكل على
ما أقول . ومن كلامه
أنا أشهدسراً وعلاينة
أن من طالع كتاب
إحياء علوم الدين فهو
من الملتدين . ومن
كلامه من أراد طريق
الله وطريق رسول الله
وطريق العارفين بالله
وطريق العلماء بالله
أهل الظاهر والباطن
فليس به مطالعة كتب
الغزالي خصوصاً إحياء
علوم الدين فهو البحر
المحيط . ومن كلامه
اشهدوا على أن من
وقع على كتاب الغزالي
قد وقع على عين
الضريبة والطريقة
والحقيقة . ومن كلامه
من أراد طريق الله
ورسوله ورؤساها فلي

لو كانوا يعلمون - ومعنى لقاء الله عز وجل والنظر إلى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والزول
في جواره ومعنى حصول السعادة بمراقبته للأطى ومقارنة للالتصق والتبسين ومعنى ضلالت
درجات أهل الجنان حتى يرى بعضهم البعض كما يرى الكوكب البرى في جوف السماء إلى غير ذلك
كما يطول تفصيله إذ لناس في معاني هذه الأمور بدأت تصديق بأصولها مقامات شتى فيضمهم يرى أن
جميع ذلك أمثلة وأن الذى أعده الله لعباده الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر وأنه ليس مع الخلق من الجنة إلا الصفات والأسماء وبعضهم يرى أن بعضاً أمثلة وبعضها يوافق
حقائقها الثمومة من ألقاظها وكذا يرى بعضهم أن منتهى معرفة الله عز وجل الاعتراف بالمعجز عن
معرفة ويعضهم يدعى أموراً عظيمة في المعرفة بالله عز وجل وبعضهم يقول حد معرفة الله عز وجل
ما انتهى إليه اعتقاد جميع العوام وهو أنه موجود عالم قادر سميع بصير متكلم فنعى بلم للكشافين
برغم العطاء حتى تتضح له جلية الحق في هذه الأمور اتضحاً يجري مجرى البيان الذى لا يشك فيه
وهذا يمكن في جواهر الإنسان لولا أن مرآة القلب قد تراكم صدوها وخشياً بقافورات الدنيا وانما تبنى
بلم طريق الآخرة العلم بكيفية تصفيل هذه الرآة عن ههنا لحائث التي هي الحجاب عن الله سبحانه
وتعالى وعن معرفة صفاته وأفعاله وإنما تصفيتها وتطهيرها بالكشف عن الشهوات والاعتداء بالأنبياء
صلوات الله وسلامه عليهم في جميع أحوالهم فيقدر ما ينجلي من القلب ويحاذى به شطر الحق يتلأ فيه
حقائقه لا ملبس إليه إلا بالرياضة التي يأتي تفصيلها في موضعها وبالعلم والتحليم وهذه العلوم التي لا تسيطر
في الكتب ولا يتحدث بها من أنتم الله عليه بنى منها لإمعان أهله وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة
وبطريق الأسرار وهذا هو العلم الحق الذى أرادته صلى الله عليه وسلم قوله «إن من العلم كهيئة الكون
لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله تعالى فإذا نطقوا به لم يحمله إلا أهل الاغترار بالله تعالى فلا تحقروا علماً أتاه
الله تعالى علماً منه فإن الله عز وجل لم يحقره إذ أتاه إياه (١) هـ . وأما القسم الثاني : وهو علم العلاملة
فهو علم أحوال القلب . أما ما يحصنها فكالصبر والشكر والخوف والرجاء والرضا والهدو والتقوى
والقناعة والسخاء ومعرفة الله تعالى في جميع الأحوال والاحسان وحسن الظن وحسن الخلق
وحسن الماشرة والصدق والاخلاص ، فمعرفة حقائق هذه الأحوال وحسنها وأسبابها التي بها
تكتسب وعمرتها وعلامتها ومعالجتها ما ضمت منها حتى يرقى وما زال حتى يعود من علم الآخرة . وأما
ما يتم بنفوس القدر وسخط القدر والقدور والفل والحد والحد والحد والحد والحد والحد والحد والحد
طول البقاء في الدنيا لثمتنع والكبر والرياء والتعصب والأثرة والعداوة والبغضاء والطمع والبخل
والرغبة والبذخ والأشر والبطر وتعتيم الأغنياء والاستهانة بالفقراء والتعز والخيلاء والتنافس والبهادة
والاستكبار عن الحق والحوض فيا لا ينى وحسب كثرة الكلام والصلف والتزين للخلق والمذاينة
والعجب والاشتغال عن عيوب النفس بحسب حب الناس وزوال الحزن من القلب وخروج الحسنة
منه وشدة الانتصار للنفس إذا نالها الدل وضف الانتصار للحق واتخاذ إخوان العداوة على عداوة
السر والأمن من مكسر الله سبحانه في سلب ما أعطى والالتكال على الطاعة واللكر والحياة
والمخادعة وطول الأمل والقسوة والفظاظة والفرح بالدنيا والأسف على قوتها والأنس بالخلقين
والوعدة لفرارهم والنجاء والطيب والبعثة وقلة الحياء وقلة الرحمة ، فهذه وأمثالها من صفات
القلب مفارست القواحي ومنابت الأعمال المحظورة . وأضدادها وهي الأخلاق الحمودة منبع

(١) حديث إن من العلم كهيئة الكون الحديث أبو عبد الرحمن السلمي في الأربعين في التصوف
من حديث أبي هريرة بامتناد ضعيف .

الطاعات والقرابات فالعلم محدود هذه الأمور وحقاتها وأسبابها ونحواتها وعلاجها هو علم الآخرة وهو فرض عين في فتوى علماء الآخرة فالعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك في الآخرة كما أن العرض عن الأعمال الظاهرة هالك بسفاسلطين الدنيا يحكم فتوى فقهاء الدنيا فخطر الفقهاء في فرض العين بالإضافة إلى صلاح الدنيا وهذا بالإضافة إلى صلاح الآخرة ولو شغل فقيه عن معنى من هذه المعاني حتى عن الإخلاص مثلاً وعن التوكل أو عن وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف فيه مع أنه فرض عينه الذي في إيماله هلاكه في الآخرة ولو سألته عن اللعان والظهار والسبق والرمي لسرد عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة التي تنقضي الدهور ولا يحتاج إلى شيء منها وإن احتجج لم تخل البلد عنم يقوم بها ويكفيه مؤنة التنبه فيها فلا يزال يتسبب فيها لإلوانها وفي حفظه ودرسه وبفعل مما هو مهم نفسه في الدين وإذا روجع فيه قال لمتنقل به لأنه علم الدين وفرض الكفاية وبليس على نفسه وعلى غيره في تلمذه والاطن يعلم أنه لو كان غرضه أداء حق الأمر في فرض الكفاية لقدّم عليه فرض العين بل قدّم عليه كثيراً من فرض الكفايات فكأن من بطله ليس في طيب إلا من أهل الأئمة ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالأطباء من أحكام الفقه ثم لا يرى أحداً يشتغل به ويتهرون على علم الفقه لاسبغ الخلافات والمجلديات والبلد مشحون من الفقهاء عن يشتغل بالتقوى والجواب عن الواقع فليت عسى كيف يرخص فقهاء الدين في الاشتغال بفرض كفاية قدّم به جماعة وإجمالاً قائم به هل هذا سبب إلا أن الطب ليس يتيسر الوصول به إلى تولى الأوقاف والصايا وحيازة ماله الأيتام وتقلد القضاء والحكومة والتقدم به على الأقران والتسلط به على الأعداء هيئات قد اندرس علم الدين بتبليس العلماء السوء فاته تعالى للسمان وإليه للاندفاع أن يبذلنا من هذا القروور الذي يسخط الرحمن ويضحك الشيطان وقد كان أهل الورع من علماء الظاهر مقرين بفصل علماء الباطن وأرباب القلوب . كان الإمام الشافعي رضي الله عنه يجلس بين يدي شيان الراعي كما يعتمد الصبي في الكتب ويسأله كيف يفعل في كذا وكذا فيقال له مثلك بسأل هذا البدوي فيقول إن هذا وفقى لما أغفلناه . وكان أحمد بن حنبل رضي الله عنه ويحيى بن معين يمتثلان إلى معروف الكرخي ولم يكن في علم الظاهر بمنزلة ما كانا يسألهما كيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا قيل له كيف تفعل إذا جاءنا أمر لم نجد في كتاب ولا سنة فقال صلى الله عليه وسلم سلوا الصالحين واجملوه شوري بينهم ^(١) » ولذلك قيل علماء الظاهر زينة الأرض ولللك علماء الباطن زينة السماء ولللكوت . وقال الجنيّد رحمه الله قال لي السري شيخني يوماً إذا كنت من عندى فننجالى قلت المحاسبي فقال تم خذ من علمه وأدبه ودع عنك تشقيه الكلام وردّه على التسكمين ثم لما وليت سمعته يقول جلّك الله صاحب حديث صوفيا ولا جلّك صوفيا صاحب حديث أشار إلى أن من حصل الحديث والعلم ثم تصوّف أفلح ومن تصوّف قبل العلم خاطر بنفسه . فان قلت فلم يتورّد في أقسام العلوم الكلام والفلسفة وتبين أسهامهم مومان أو محمودان . فاعلم أن حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الأدلة التي يتفحصها فالقرآن والأخبار مشتملة عليه وما خرج عن ضماهم إما بمجادلة منسوبة وهي من البدع كما سيأتى بانه أو إما منشاغة بالتعلق بمناقضات الفرق لها وتطويل بنقل اللغات التي أكثرها ترهات وهذيانات تزدها الطباع ونحجها الأمعاج وبضخاها عن غير ما يتعلق بالدين ولم يكن شيء من مألوفها في العصر الأول وكان الحوض فيه بالكيفية من البدع ولكن تقيّد الآن حكمه إذ حدث البدعة الصارفة عن مقتضى القرآن والسنة ونشئت جماعة لفقوا لها شيئا ورتبوا فيها

جميع الأسرار وكتاب بداية الهداية فيه التقوى وكتاب الأربعين الأصل فيه شرح الصراط المستقيم وكتاب مناج المابدين في الطريق إلى الله وكتاب الخلاصة في الفقه فيه النور . ومن كلامه السرّ كله في اتباع الكتاب والسنة وهو اتباع الشريعة والشرعية مشروحة في كتاب إحياء علوم الدين للسبيء أهوية الزمان . ومن كلامه يخبرني عن طالع إحياء علوم الدين أو سكتبه أو سمعه ، وكلامه رضي الله عنه في تصانيفه وغيرها مشحون من الثناء على الإمام الغزالي وكتبه والحث على العمل بها خصوصا إحياء علوم الدين ، وقد كان سيدي ووالدي الشيخ الماروف بالله تعالى شيخ ابن عبد الله الميبدروس رضي الله عنه يقول إن أهل الزمان سمعت كلام الشيخ

كلما مؤلفا فصار ذلك المحذور بحكم الضرورة مأذونا فيه بل صار من قروض الكفايات وهو القدر الذي يقابل به البتدع إذا قصد الدعوة إلى البدعة وذلك إلى حد محدود سنذكره في الباب الذي يلي هذا إن شاء الله تعالى . وأما الفلسفة فليست علما برأسها بل هي أربعة أجزاء : أحدها الهندسة والحساب وهما مباحان كسابق ولا يمنع عنهما إلا من يخاف عليه أن يتجاوز بهما إلى علوم مذمومة فان أكثر الممارسين لهما قد خرجوا منها إلى البدع فبصان الضعيف عنهما لانهما كما بصان الصبي عن شاطئ النهر خيفة عليه من الوقوع في النهر وكبصان حديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار خوفا عليه مع أن القوى لا يندب إلى مخالطهم . الثاني للنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه ووجه الحد وشروطه وهما داخلان في علم الكلام . والثالث للالهيات وهو بحث عن ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته وهما داخلان في الكلام أيضا والفلسفة لينفردوا فيها بمنطق آخر من العلم بل انفردوا بمذاهب بعضها كفر وبعضها بدعة وكانوا الاعتزال ليس علما برأسه بل اصحابه طائفة من المتكلمين ، وأهل البحث والنظر انفردوا بمذاهب باطلة فكذلك الفلاسفة . والرابع للطبيعات وبعضها عائف للشرع والدين الحق فهو وجه وليس بعلم حتى يورد في أقسام العلوم وبعضها بحث عن صفات الأجسام وخواصها وكيفية استعمالها وتغيرها وهو شيء ينظر الأطباء إلا أن الطبيب ينظر في بدن الانسان على الخصوص من حيث يمرض ويصح وهم ينظرون في جميع الأجسام من حيث تتغير وتتحرك ولكن لطلب فضل عليه وهو أنه يحتاج إليه وأما علومهم في الطبيعات فلا حاجة إليها فظن الكلام صار من جملة الصناعات الواجبة على الكفاية حراسة قلوب العوام عن تخيلات البدعة وإنما حدث ذلك بحوث البدع كما حدث حاجة للإنسان إلى استئجار البقرة في طريق الحج بحوث ظلم العرب وقطعهم الطريق ولو ترك العرب عدوتهم لم يكن استئجار الحراس من شروط طريق الحج فلذلك لوترك البتدع هذيانا لما اقتصر إلى الزيادة على ما عهد في عصر الصحابة رضى الله عنهم فليعلم للتكلم حده من الدين وأن موقع الحراس في طريق الحج فإذا مجرد الحارس للحراسة لم يكن من جملة الحاج والتكلم إذا مجرد للمناظرة والدافعة ولم يسلك طريق الآخرة ولم يشتغل بتعهد القلب وصلاحه لم يكن من جملة علماء الدين أصلا وليس عند للتكلم من الدين إلا العقيدة التي يشاركه فيها سائر العوام وهي من جملة أعمال ظاهر القلب واللسان وإنما يتميز عن العوام بصنعة المجادلة والحراسة فأما معرفة الله تعالى وصفاته وأفعاله وجميع ما أشربنا إليه في علم الكاشفة فلا يحصل من علم الكلام بل يكاد أن يكون الكلام حجابا عليه وما نمانا عنه وإنما الوصول إليه بالمجاهدة التي جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية حيث قال تعالى - والذين جاهدوا فينا لهديهم سبلنا وإن الله لمع الحسنيين - فان قلت فقد رددت حد المتكلم إلى حراسة عقيدة العوام عن تشويش للبدعة كما أن حد البقرة حراسة نخشة الحجاج عن نهيب العرب ورددت حد الفقيه إلى حفظ القانون الذي به يكف السلطان شر بعض أهل العدوان عن بعض وهاتان ربتان نازلتان بالإضافة إلى علم الدين وعلماء الأمة للمشهورون بالفضل هم الفقهاء وللتكلمون وهم أفضل الخلق عند الله تعالى فكيف تنزل درجاتهم إلى هذه المنزلة السافرة بالإضافة إلى علم الدين ، فاعلم أن من عرف الحق بالرجال حطر في مناهات الضلال فأعرف الحق تعرف أهله إن كنت سالكا طريق الحق وإن قمت بالتقليد والنظر إلى ما اشتهر من درجات الفضل بين الناس فلا تنفل عن الصحابة وعلو مناصبهم قد أجمع الدين عرضت بذكرهم على تقديمهم وأهم لا يدرك في الدين شأومهم ولا يشق غبارهم ولم يكن ختمهم بالكلام والفقه بل بعلم الآخرة وسلك طريقها ، وما ضل أبو بكر رضى الله عنه الناس بكثرة صيام ولا صلاة ولا بكترة رواية ولا قوى

عبد الله في النزالي
وميمته [الجوهر
التالي] خصوصا من
كلام الشيخ عبد الله
في النزالي فلم يتيسر
له وأرجو أن يوفقني
الله لذلك تحقيقا لرجائه
ورجاء أن يتساواني
دعاء الشيخ عبد الله
رضي الله عنه فانه قال
غفر الله لمن يكتب
كلامي في النزالي
وناهيك بيشارة في هذه
العبارة التي برزت
من ولى عارف وقطب
مكاشف لا يهاجر في
مقال ولا ينطق إلا عن
حال وفي هذا من
التبرع للنزالي وكتبه
ملا يحتاج معه إلى
مزيد - إن في ذلك
أذكرى لمن كان له
قلب أو ألقى السمع وهو
شديد - فان العظيم
لا يظلم في عينه
إلا عظيم ولا يبرف
الفضل لأهل الفضل
إلا أهل الفضل وإذا
تصدى العبدروس
لتعرفه فقد أغشى
تعرفه عن كحل
تسرف ووصف
والشهادة منه خير
من شهادة ألف ألف

ولا كلام ولكن شيء وقرئ صدره ^(١) كما شهد له سيد الرسلين صلى الله عليه وسلم فليكن حرصك في طلب ذلك السر فهو الجوهر النفيس والدرر للكون ودع عنك ما يطابق أكثر الناس عليه وعلى تضيجه وتفظحه لأسباب ودواعي يطول تفصيلها فلقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن آلاف من الصحابة رضي الله عنهم كلهم عدا بالله أثني عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن فيهم أحد يحسن صنعة الكلام ولا نصب نفسه للقيام بهم أحد إلا بضعة عشر رجلا ولقد كان ابن عمر رضي الله عنهما منهم وكان إذا سئل عن الفتيا يقول للسائل اذهب إلى فلان الأمير الذي تطلب أمور الناس وضنها في عنقه إشارة إلى أن الفتيا في القضايا والأحكام من توابع الولاية والسطوة ولما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود مات تسعة أعشار العلم فقيل له أتقول ذلك وفيما جلة الصحابة فقال لم أرد علم الفتيا والأحكام إنما أرد العلم بالله تعالى أفترى أنه أراد صنعة الكلام والجدل لها بالآل لا يحصر على معرفة ذلك العلم الذي مات بموت عمر تسعة أعشاره وهو الذي سد باب الكلام والجدل وضرب صيدنا بالدرء لما أورد عليه سؤالا في تمارض آيتين في كتاب الله وبهرجه وأمر الناس بهرجه وأما قولك إن للجمهورين من العلماء هم الفقهاء والمتكلمون فاعلم أن ميناك به الفضل عند الله شيء وما يناله به الشهرة عند الناس شيء آخر فلقد كان شهرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه مخالفة وكان فضله بالسوء الذي وقر في قلبه وكان شهرة عمر رضي الله عنه السياسة وكان فضله بالعلم بالله الذي مات تسعة أعشاره بموته وبفسده التقرب إلى الله عز وجل في ولايته وعدله وشفته على خلقه وهو أمر باطن في سره فأما سائر أفعاله الظاهرة فيتصور صدورها من طالب الجاه والاسم والسمعة والراغب في الشهرة فتكون الشهرة فيها هو الهلك والفضل فيها هو سر لا يطلع عليه أحد فالفقهاء والمتكلمون مثل الخلفاء والقضاة والعلماء وقد انقسموا فمنهم من أراد أن يسبحانه ببله وقهواه وذبه عن مسنة نبيه ولم يطلب به رياء ولا سمعة فأولئك أهل رضوان الله تعالى وفضلهم عند الله لعلمهم ببلهم ولأزادتهم وجه الله سبحانه بفتوهم ونظرم فإن كل علم عمل فانه فعل مكتسب وليس كل عمل علما والطبيب يقدر على التقرب إلى الله تعالى ببله فيكون مثابا على عمله من حيث إنه عامل لله سبحانه وتعالى به والسلطان يتوسط بين الخلق لله فيكون مرضيا عند الله سبحانه ومثابا لامن حيث إنه متكامل ببله الدين بل من حيث هو متقلد بعمل يقصد به التقرب إلى الله عز وجل ببله وأقسام ما يتقرب به إلى الله تعالى ثلاثة : علم مجرد وهو علم المكاشفة وعمل مجرد وهو كد السلطان مثلا وضبطه للناس ومركب من عمل وعلم وهو علم طريق الآخرة فان صاحبه من العلماء والعمال جميعا فانظر إلى نفسك أن تكون يوم القيامة في حزب علماء الله أو عمال الله تعالى أو في حزبهما فحضر بيسمك مع كل فريق منهما فهذا أهم عليك من التقليد لجرد الاشتهار كما قيل :
خسدت ما تراه ودع شيئا سمعت به في طرفة العيش ما ينبتك عن زحل
على أناس تغفل من سريرة قهواء السلف ما تعلم به أن الذين استحلوا مذاهبهم ظنهم وأتهمهم أشد خصماهم يوم القيامة فاتهم ما قصدوا بالعلم إلا وجهه تعالى وقدهود من أحوالهم ما هو من علامات علماء الآخرة كما سيأتي بيانه في باب علامات علماء الآخرة فانهم ما كانوا متجردين في علم الحق بل كانوا مشتغلين ببله القلوب ومراقبين لها ولكن صرفهم عن التدريس والتصنيف فيه ما صرف الصحابة عن التصنيف والتدريس في الفقه مع أنهم كانوا فقهاء مستقلين ببله الفتوى والصوراف والدواعي متيقنة ولا حاجة إلى

(١) حديث : ما فضل أبو بكر الناس بكثرة صلاة ولا بكثرة صيام الحديث : الترمذي الحكيم في التواتر من قول أبي بكر بن عبد الله الذي ولم أجده مرفوعا .

وحصل من الإحياء في زمانه بسببه نسخ عديدة حتى إن بعض العوام حصلوا لما رأى من ترغبه فيه وأثره أخاه الشيخ عليا قراءته قراءه عليه مدة حياته خمسًا وعشرين مرة وكان يصنع عند كل ختم ضيقة عامة للقراء وطلبة العلم الشريف ثم إن الشيخ عليا أقرم ولهم عبد الرحمن قراءته عليه مدة حياته فخرمه عليا أيضا خمسًا وعشرين مرة وكان ولهم سيدي الشيخ أبو بكر الصديروس صاحب عدد التزم بطريقة التدرج نفسه مطالعة شيء منه كل يوم وكان لا يزال يحصل منه نسخة بعد نسخة ويقول لأتذكر تحصيل الإحياء أبدا ما عشت حتى اجتمع عنده منه نحو عشر نسخ . قلت وكذلك كان سيدي الشيخ الوالد شيخ ابن عبد الله ابن شيخ ابن الشيخ عبد الله الصديروس رضي الله

ذكرها . ونحن الآن نذكر من أقوال فقهاء الاسلام ما تعلم به أن ما ذكرناه ليس طعنا فيهم بل هو طعن فيمن أظهر الاختلاف بهم متحذرا لمذهبهم وهو مخالف لهم في أعمالهم وسيرهم فالفقهاء الذين هم زعماء الفقه وقادة الخلق أعين الدين كثر أتباعهم في المذاهب خمسة : الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل وأبو حنيفة وسفيان الثوري ورحمهم الله تعالى وكل واحد منهم كان عابدا وزاهدا وعالما بعلوم الآخرة وفقيا في مصالح الخلق في الدنيا ومريدا بفقهي وجهه الله تعالى فهذه خمس خصال اتبعهم فقهاء العصر من جعلها على خصلة واحدة وهي التشهير والمبالغة في تضاريع الفقه لأن الحاصل الأربع لا تصلح إلا للآخرته وهذه الحصلة الواحدة تصلح للدنيا والآخرة إن أريد بها الآخرة قل صلحها للدنيا فمخروا لها وادعوا بها مشابهة لتلك الأئمة وهيات أن تقاس لللائكة بالجادين فلتورد الآن من أحوالهم ما يدل على هذه الحصلة الأربع فإن معرفتهم بالفقهاء ظاهرة . أما الإمام الشافعي رحمه الله تعالى فيدل على أنه كان عابدا ما روى أنه كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء ثلثا للعلم وثلثا للعبادة وثلثا للنوم . قال الربيع كان الشافعي رحمه الله يحتم القرآن في رمضان ستين مرة كل ذلك في الصلاة . وكان البويطي أحد أصحابه يحتم القرآن في رمضان في كل يوم مرة . وقال الحسن الكرابيسي بت مع الشافعي غير ليلة فكان يصلي نحواً من ثلث الليل فما رأيته يزيد على خمسين آية فإذا كثرت آية وكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل الله تعالى نفسه ولجميع المسلمين والمؤمنين ولا يمر بآية عذاب إلا تعود فيها وسأل النجاة لنفسه وللمؤمنين وكأنا جميعه الرجاء والخوف معا فانظر كيف يدل اقتصاره على خمسين آية على تبحره في أسرار القرآن وتدبره فيها وقال الشافعي رحمه الله ما شيعت منذ ست عشرة سنة لأن الشيع ينقل البدن ويقبى القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضع صاحبه عن العبادة فانظر إلى حكمته في ذكر آفات الشيع ثم في جمده في العبادة إذ طرح الشيع لأجلها ورأس التبتدئ تحليل الطعام . وقال الشافعي رحمه الله ما حلفت بالله تعالى لا صادقا ولا كاذبا قط فانظر إلى حرمة وتوقيره لله تعالى ودلالة ذلك على علمه بجلال الله سبحانه وسئل الشافعي رضي الله عنه عن مسألة فسكت قليل له ألا تنجيب رحمك الله فقال حتى أدرى الفضل في سكوتي أوفى جوابي فانظر في مراقبته لسانه مع أنه أشد الأعضاء تسلطا على الفقهاء وأعصاهما عن الضبط والتهرب وبه يستبين أنه كان لا يتكلم ولا يسكت إلا لنيل الفضل وطلب الثواب . وقال أحمد بن يحيى بن الوزير خرج الشافعي رحمه الله تعالى يوما من سوق القناديل فبعناه فإذا رجل يسفه على رجل من أهل العلم فالتفت الشافعي إلينا وقال تزها أوصاعك عن استماع الحنا كما تزهاون المستكبر عن النطق به فان للسمع شريك القاتل وإن السفيه لينظر إلى أخبث شيء في إنائه فيعرض أن يفرغه في أوغشكم ولو ردت كلمة السفيه لسعد رادها كما شق بها قائلها . وقال الشافعي رضي الله عنه كتب حكيم إلى حكيم قد أوتيت عليا فلا تدنس عسلك بظلمة الذنوب فتبقي في الظلمة يوم يسمى أهل العلم بنور عليهم . وأما زهد رضي الله عنه فقد قال الشافعي رحمه الله من ادعى أنه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها في قلبه فقد كذب . وقال المجدي خرج الشافعي رحمه الله إلى اليمن مع بعض الولاة فاصرف إلى مكة بشرة آلاف درهم فضرب له بناء في موضع خارجا من مكة فكان الناس يأتونه لما يرجع من موضعه ذلك حتى فرغها كلها . وخرج من الحجام مرة فأعطى الجاهل مالا كثيرا . وسقط سوطه من يده مرة فرفضه إنسان إليه فأعطاه جزاء عليه خمسين دينارا . وسخاوة الشافعي رحمه الله أشهر من أن تحكى ورأس الزهد السخاء لأن من أحب شيئا أمسكه ولم يفارقه فلا يفارق لئال إلامن صغرت الدنيا في عينه وهو معنى الزهد . ويدل على قوة زهده وعدة خوفه من الله تعالى واشتغاله به بالآخرة

ماروى أنه روى سفيان بن عيينة حديثاً في الرقائق فثنى على الشافعي قتيلاً قد مات فقال إن مات
 قد مات أفضل زمانه وما روى عبد الله بن محمد الباقى قال كنت أنا وعمر بن نباتة جالسين عند
 البعاد والزهاد فقال لى عمر مارأيت أورد ولا أنصح من محمد بن إدريس الشافعي رضى الله عنه
 خرجت أنا وهو والحرف بن ليد إلى الصفا وكان الحرف ثليذاً لصالح اللرى فالتفت بقراً وكان حسن
 الصوت قرأ هذه الآية عليه - هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتدون - فرأيت الشافعي
 رحمه الله وقد تفرج لونه واقشعر جلده واستطرب اضطراباً شديداً وخر مغشياً عليه فلما أفاق جعل يقول
 أعوذ بك من مقام الكاذبين وإعراض الغافلين . اللهم لك خضعت قلوب المارقين وذات لك
 رقاب للشقائق إلى هب لى جودك وجللى بسترى واعف عن قصصى بكرم وجهك قال ثم مضى
 وانصرفنا فلما دخلت بنداد وكان هو بالمرافق قدمت على الشط أنوضاً للصلاة إذ مر لى رجل فقال لى
 يا غلام أحسن وضوءك أحسن الله إليك فى الدنيا والآخرة فالتفت فاذا أنا رجل يتبهم جماعة فأسرعت
 فى وضوءى وجعلت أقفؤ أثره فالتفت إلى فقال هل لك من حاجة قلت نعم تلعنى بما علك الله شيئاً
 فقال لى أعلم أن من صدق الله نجا ومن أشفق على دينه سلم من الردى ومن زهد فى الدنيا قوت
 عيناه بما يراه من ثواب الله تعالى غداً أفلا أزيدك قلت نعم قال من كان فيه ثلاث خصال فقد
 استكمل الأيمان من أمر بالمعروف واتمى عن المنكر واتهى وحافظ لى حدود الله تعالى
 ألا أزيدك قلت بلى فقال كن فى الدنيا زاهداً وفى الآخرة رغباً وادسق الله تعالى فى جميع أمورك تسج مع
 الناجين ثم مضى فسألت من هذا فقال هو الشافعي فأنظر إلى سقوطه مغشياً عليه ثم إلى وعظه كيف يدل
 ذلك لى زهداً وغاية خوفه ولا يحصل هذا الخوف والزهد إلا من معرفة الله عز وجل فانه - إنما يخشى الله
 من عباده العلماء - ولم يستفد الشافعي رحمه الله هذا الخوف والزهد من علم كتاب الله والإجابة وسائر
 كتب الفقه بل هو من علوم الآخرة المستخرجة من القرآن والأخبار وأحكام الأولين والآخرين مودعة
 فيها . وأما كونه عالماً بأسرار القلب وعلوم الآخرة فمعرفة من الحكم الماثورة عنه . روى أنه سئل عن
 الرأى فقال على السبيلة الرأى فتنة عقدها الموى حبال أهباص قلوب العلماء فنظروا إليها بسوء
 اختيار النفوس فأحبطت أعمالهم . وقال الشافعي رحمه الله تعالى إذا أنت خفت على عملك الحب
 فأنظر رضا من تطلب وفى أى ثواب ترغب ومن أى عقاب ترهب وأى عافية تشكر وأى بلاد
 تذكر فإنا إذا فشرك فى واحدة من هذه الحصال صغر فى عينك عملك فأنظر كيف ذكر حقيقة
 الرأى وعلاج الحب وهما من كبار آفات القلب . وقال الشافعي رضى الله عنه من لم يمس نفسه لم ينفعه
 عمله . وقال رحمه الله من أطاع الله تعالى بالم عمل نفسه سره . وقال مامن أحد إلا له حب ومبعض فاذا
 كان كذلك فكأن مع أهل طاعة الله عز وجل . وروى أن عبد القاهر بن عبد الزب كان رجلاً صالحاً
 ورعاً وكان يسأل الشافعي رضى الله عنه عن مسائل فى الورع والشافعي رحمه الله يقبل عليه لورعه وقال
 للشافعي يوماً يا أفضل الصبر أو الحنة أو التمكن فقال الشافعي رحمه الله التمكن درجة الأنبياء ولا يكون
 التمكن إلا بعد الحنة فإنا امتحن صبراً وإذا صبرمكن ألا ترى أن الله عز وجل امتحن إبراهيم عليه السلام
 ثم مكته وامتحن موسى عليه السلام ثم مكته وامتحن أيوب عليه السلام ثم مكته وامتحن سليمان عليه
 السلام ثم مكته وآناه ملكاً والتمكن أفضل الدرجات قال الله عز وجل - وكذلك مكنا ليوسف
 فى الأرض - وأيوب عليه السلام بعد الحنة العظيمة مكناً قال الله تعالى - وآتيناه أهله ومثلهم معهم -
 الآية فهذا الكلام من الشافعي رحمه الله يدل على تبحره فى أسرار القرآن والإطلاعه على مقامات السالكين
 إلى الله تعالى من الأنبياء والأولياء وكل ذلك من علوم الآخرة . وقيل للشافعي رحمه الله تعالى يكون
 الرجل عالماً قال إذا تحقق فى علم نفسه وتمرس لسائر العلوم فنظر فى ذاته فندد ذلك بكون عالماً فانه قيل

وسر شىء مصنفه
 وحسن قصده والراد
 بالكفر هنا فإنا يظهر
 الجاهل بسبب النفس
 المحجوب عن إدراك
 الحق أى فيمجرد
 مطالعته للكتاب
 المذكور يشرح الله
 صدره وينور قلبه
 وذلك لأن الوعد إذا
 صدر عن قلب متعظ
 كان حرياً أن يمتط به
 سامعه وكان الله تعالى
 جعل لعباده الذين
 لا خوف عليهم ولا هم
 يحزنون رتبة فوق
 غيرهم كذلك جعل
 لما يبرز منهم ويؤخذ
 عنهم بركة رائدة على
 غيره لأن السليم كريمة
 وأنوار قلوبهم عظيمة
 وهمهم عليه وإشاراتهم
 سنية حتى يكون للقرآن
 أثر عظيم عند سامعه
 منهم ولأحد حديث هجوة
 وجسالة زائدة إذا
 أخذت عنهم وللواعظ
 منهم تأثير فى القلوب
 ظاهر ولعلهم يفتهم
 أنوار ونفع متظاهر
 حتى تحمد الرجل له العلم
 القليل وبعد ذلك
 يفتخ به كثير لحسن
 نبته ووجود بركته

والغيره له أكثر من ذلك العلم ولم ينفع به مثله لأنه دعوى في منزله ومن تأمل ذلك وجده أمراً ظاهراً مبهوداً وشيئاً عجيباً موجوداً فانظر إلى شغ الناس بكتاب الخلاف في مذهب مالك رحمه الله تعالى والتبني في مذهب الشافعي رحمه الله تعالى والجلل العريه والارضا في علم الكلام وانتشارها مع أن ما حوت من العلم في قوتها قليل وقد جمع غير هؤلاء في هذه الفنون في مثل أبحر هذه الكتب أصناف ما فيها مع تحقيق تهرير البشارة وتشقيق المأني وتلخيص الحدود وبد هذا فالنفع بهما أكثر وهي أظهر وأشهر لأن الصلح يزيد الثنوي وقوة سرايما بالبكرة الذكاء ونصاحة اللسان كما بين ذلك مالك رحمه الله تعالى بقوله ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم نور يضيء الله في القلب، قلت وما أنشده الشيخ على بن أبي بكر رضي الله عنه لنفسه في قوله :

الجلبوس إنك تأمر الداء الواحد بالأدوية الكثيرة الجمعة فقال إنما القصد منها واحد وإنما يعمل معه غيره لتسكن حدة لأن الافراد قليل فهذا وأمثاله مما لا يحصى يدل على علو رتبته في معرفة الله تعالى وعوالم الآخرة . وأما إرادته باللقه والنظر في وجهه الله تعالى فيدل عليه ما روى عنه أنه قال وحدث أن الناس انتفعوا بهذا العلم ومناسب إلى شيء منه فانظر كيف اطاع على آفة العلم وطلب الاسم له وكيف كان منزله القلب عن الالتفات إليه مجرد التيقية لوجه الله تعالى . وقال الشافعي رضي الله عنه ما ناظرت أحدا قط فأحببت أن يخطئ . وقال ما كنت أحدا قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويؤمن ويكون عليه رعاية من الله تعالى وحفظ وما كلمت أحدا قط وأنا أباي أن يبين الله الحق على لساني أو على لسانه . وقال ما أوردت الحق والحجة على أحد قبلها مني إلا هيته وأعتدت بحبته ولا كارتني أحد على الحق ودافع الحجة إلا سقط من عيني ورفضته فهذه العلامات هي التي تدل على إرادة الله تعالى باللقه والنظر فانظر كيف تأبه الناس من جملة هذه الحاصلات الخمس على حصة واحدة فقط ثم كيف قالوه فيها إضاهة لهذا قال أبو ثور رحمه الله ما رأيت ولا رأى الراويون مثل الشافعي رحمه الله تعالى . وقال أحمد بن حنبل رضي الله عنه ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي رحمه الله تعالى فانظر إلى إنصاف الداعي وإلى درجة المدعوه وقس به الأقران والأمثال من العلماء في هذه الأعصار وما بينهم من المشاحة والبغضاء لنعم تفسيرهم في دعوى الاتقاد بهؤلاء وكثرة دعاؤه له قاله ابنه : أي رجل كان الشافعي حتى تدعوه كل هذا الدعاء فقال أحمد بن أبي كان الشافعي رحمه الله تعالى كالشمس في الدنيا وكالغاية للناس فانظر هل لهدن من خلف وكان أحمد رحمه الله يقول ما من أحد يديه بحبرة إلا وللشافعي رحمه الله في عنقه منة . وقال يحيى بن سعيد القطان ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعوه فيها للشافعي لما وضع الله من وجل عليه من العلم ووقه للساد فيه ولتقتصر على هذه النبذة من أحواله فان ذلك خارج عن المحصر وأكثر هذه الناقب قلناه من الكتاب الذي صنعه الشيخ نصر بن إبراهيم المقدسي رحمه الله تعالى في مناقب الشافعي رضي الله عنه وعن جميع السلفين . وأما الإمام مالك رضي الله عنه فانه كان أيضا متجليا بهذه الحاصلات الخمس فانه قيل له مات قول مالك في طلب العلم فقال حسن جميل ولكن انظر إلى الذي يلزمك من حين تصبح إلى حين تسمى فائمه وكان رحمه الله تعالى في تعظيم علم الدين مبالغا حتى كان إذا أراد أن يحدث تواضعا وجلس على صدر فراشه وسرح لحيشته واستعمل الطبيب وتمسكن من الجلوس على وقار وهيته ثم حدث قليل له في ذلك فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مالك العلم نور يبعث الله حيث يشاء وليس بكثرة الرواية وهذا الاحترام والتوقير يدل على قوة معرفته بجلال الله تعالى . وأما إرادته وجهه الله تعالى بالعلم فيدل عليه قوله : الجدل في الدين ليس بشيء . ويدل عليه قول الشافعي رحمه الله في شهد مالك الكا وقد سئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال في اثنين وثلاثين منها لأدري ومن رد غيره وجه الله تعالى يعلمه فلا تسمح نفسه بأن يقر على نفسه بأنه لا يدري ولذلك قال الشافعي رضي الله عنه إذا ذكر العلماء فمالك النجم الناقب وما أحد من على من مالك . وروى أن أبا جعفر للتصور منهم من رواية الحسد في طلاق للكراهة ثم سد عليه من يسأله فروى على ملا من الناس ليس على مستكره طلاق فضره بالسياط ولم يترك رواية الحديث . وقال مالك رحمه الله ما كان رجل صادق في حديثه ولا يكذب إلا منع بقله ولم يصبر مع الهرم آفة ولا يخرف . وأما زهده في الدنيا فيدل عليه ما روى أن الهدي أمير المؤمنين سأله فقال هل لك من دار فقال لا ولكن أحد تلك سمعت ربيعة بن أبي عبد الرحمن يقول نسب للره داره وسأله الرشيد هل لك دار فقال لا أعطاه ثلاثة آلاف دينار وقال اشترها دارا فأخذها ولم ينفعها فلما أراد الرشيد الشخص قال مالك رحمه الله

يبنى أن يخرج معنا فاني عزمت على أن أحمل الناس على اللوطا كما حمل عثمان رضي الله عنه الناس على القرآن فقال له أما حمل الناس على اللوطا فليس إليه سبيل لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفقوا بعده في الأمصار فخذوا فخذ كل أهل مصر علم وقد قال صلى الله عليه وسلم « اختلاف أمتي رحمة (١) » وأما الخروج بمك فلا سبيل إليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « للدينة خير لهم لو كانوا يعلمون (٢) » وقال عليه الصلاة والسلام « للدينة تنقي خبيثا كابتني السكير خبث الحديد (٣) » وهذه دنانيركم كاهي إن شتم غنودها وإن شتم فذعوها يعني أنك إنما تكلفني مفارقة المدينة لما اصطغمتي إلى فلا تؤثر الدنيا على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذلك كان زهد مالك في الدنيا ولما حملت إليه الأموال الكثيرة من أطراف الدنيا لا تشار عامه وأصحابه كان يفرقها في وجوه الخير ودل سخاؤه على زهده وقلة حبه للدنيا وليس الزهد قد للمال وإنما الزهد فراغ القلب عنه ولقد كان سليمان عليه السلام في ملكه من الزهاد ويدل على احتقاره الدنيا ما روى عن الشافعي رحمه الله أنه قال رأيت على باب مالك كرا من أفراس خراسان ويقال مصر ما رأيت أحسن منه فقلت لما لك رحمه الله ما أحسنه فقال هو هدية مني إليك يا أبا عبد الله قلت دع نفسك منها دابة تركها فقال إني استحي من الله تعالى أن أطأ تربة فيها نبي الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة فانظر إلى سخائه إذ وهب جميع ذلك ذصة واحدة وإلى توقيره لتربة المدينة ويدل على إرادته بالعلم وجه الله تعالى واستحقاقه للدنيا ما روى أنه قال دخلت في هرودن الرشيد فقال لي يا أبا عبد الله يعني أني تختلف إلينا حتى يسمع صبيانا منك اللوطا قال قلت أعز الله مولانا الأمير إن هذا العلم منك خرج فإن أتم عززتموه عز وإن أتم أنزلتموه ذل والعلم يؤتى ولا يأتي قال صدقت أخرجوا إلى المسجد حتى تسمعوا مع الناس . وأما أبو حنيفة رحمه الله تعالى فقد كان أيضا عابدا زاهدا عارفا بالله تعالى خافضه مهيدا . وجه الله تعالى يعلمه فأما كونه عابدا فيعرف بما روى عنه ابن المبارك أنه قال كان أبو حنيفة رحمه الله مروءة وكثرة صلاة . وروى حماد بن أبي سائب أنه كان يحيي الليل كله . وروى أنه كان يحيي نصف الليل فرب يوما في طريق فأشار إليه إنسان وهو يحيي فقال لا خرف هذا هو الذي يحيي الليل كله فلم يزل بعد ذلك يحيي الليل كله وقال أنا استحي من الله سبحانه أن أوصف بما ليس في من عبادته . وأما زهده فقد روى عن الزبيد ابن عاصم قال أرسلني يزيد بن عمر بن هبيرة فقدمت بأبي حنيفة عليه فأراه أن يكون حاكما على بيت المال فأبى فصره عشرين سوطا فانظر كيف هرب من الولاية واحتمل السذاب . قال الحكم بن هشام الثقفى حدثت بالشام حديثا في أبي حنيفة أنه كان من أعظم الناس أمانة وأراة السلطان على أن يتولى مقايص خزائنه أو يضرب ظهره فاختار عذابهم له على عذاب الله تعالى . وروى أنه ذكر أبو حنيفة عند ابن المبارك قال أنه ذكر أن رجلا عرض عليه الدنيا بخداقرها فرفضها . وروى عن محمد بن شعاع عن بعض أصحابه أنه قيل لأبي حنيفة قد أمر لك أمير المؤمنين أبو جعفر للنصور بشرة آلاف درهم قال فما رضى أبو حنيفة قال فلما كان اليوم الذي توقع أن يؤتى بالمال فيه صلى الصبح ثم تمشى شوبه فلم يسلكه رسول الحسن بن قحطبة بالمال فدخل عليه فلم يكلمه فقال بعض من حضر ما يكلمنا إلا بالكلمة بهذا الكلمة أي هذه عادته فقال ضموا المال في هذا الجراب في زاوية البيت

(١) حديث اختلاف أمتي رحمة ذكره البيهقي في رسالته الأشعرية تعليقا وأسمه في الدخل من حديث ابن عباس بلفظ اختلاف أصحابي لكم رحمة وإسناده ضعيف (٢) حديث المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون متفق عليه من حديث سفيان بن أبي زهير (٣) حديث المدينة تنقي خبيثا الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة .

أخبرني والزم سلوك الطرائق وسارع إلى الولي بجد وسابق أيا طالبا شرح الكتاب وسنة وقانون قلب القلب بحر الرقائق وإيضاح منهج الحقيقة مشرق وشرب حياصفو راح الحقائق وإجلاله أذكار للماني ضاحكا يهاج حسن جانب الخلائق عليك باجاء العالم ولها وأسرارها كندسوى من دقائق وكمن لطيفات لدى اللب منل وكمن من ملجحات صبت لب حاذق كتاب جليل لمصنف قبله ولا بعده مثل له في الطرائق فكمن من بديع اللفظ يحلى صرائسا وكمن هموس في حماء شوارق معانيه أمحت كالبدور سواطحا

على درّ لفظ للمعاني
مطابق
وكهن عزيرات زهت
في قيامها
عجبة عن غير كفه
مسابق
وكهن لطيف مع بديع
ونخفة
حلاوتها كالشهد تخلو
لدايق
بساين عرفان وروض
لطائف
وجنة أنواع العلوم
القنوات
رعى الله صبارا لحاف
جناتها
يروح ويسعد بين
تلك الحقائق
ويطف من ذاكي
جناهاوا كها
بساحل بحر الجواهر
دافق
خضم طمى حتى علا
فوق من علا
بشامخ مجد مشرق
بالحقائق
فان لم بهذا القول
تؤمن فجزّ بن
وأقبل على تلك المعاني
وعائق
وراجع طرفا في بديع
جمالها
وظف صامها منشدا
كل سابق

ثم أوصى أبو حنيفة بعد ذلك بتناع بيته وقال لآبته إذا مت ودفنتموني فخذ هذه البكرة واذهب بها إلى الحسن بن قحطبة قتل له خذ وديعتك أيا أودعتها أيا حنيفة قال آبته فتملت ذلك فقال الحسن رحمه الله على أباك فلقد كان شجاعا على دينه . وروى أنه دعى إلى ولاية القضاء فقال أنا لا أصلي لهذا فقبل ولم يقل إن كنت صادقا فما أصلي لها وإن كنت كاذبا فلا أكذب لأصلي للقضاء . وأما علمه بطريق الآخرة وطريق أمور الدين ومعرفة بالله عز وجل فيدل عليه شدة خوفه من الله تعالى وزهده في الدنيا وقد قال ابن جرير قد بلغني عن كوفيك هذا النعمان بن ثابت أنه شديد الخوف لله تعالى . وقال شريك النخعي كان أبو حنيفة طويل الصمت دائم الفكر قليل المحادثة للناس فهذا من أوضاع الأمارات على العلم الباطني والافتغال بمهمات الدين فمن أوتي الصمت والزهّد فقد أوتي العلم كله فهذه نبذة من أحوال الأئمة الثلاثة . وأما الإمام أحمد بن حنبل وسفيان الثوري رحمهما الله تعالى فأتبعهما أقل من أتباع هؤلاء وسفيان أقل أتباعا من أحمد ولكن اغتارهما بالورع والزهّد أظهر وجسع هذا الكتاب مشحون بحكايات فضائلهما وأقوالهما فلا حاجة إلى التفصيل الآن فانظر الآن في سير هؤلاء الأئمة الثلاثة وتأمل أن هذه الأحوال والأفعال والأفضال في الإعراض عن الدنيا والتجرد لله عز وجل هل يشمرها مجرد العلم بفروع الفقه من معرفة العلم والاجارة والظهار والايلاء واللعان أو يشمرها علم آخر أعلى وأشرف منه وانظر إلى الدين ادعوا الاقتداء هؤلاء أصدقوا في دعواهم أم لا .

الباب الثالث : فيما يمد العامة من العلوم المحمودة وليس منها وفيه بيان الوجه الذي قد يكون به بعض العلوم مذمومة وبيان تبديل أسامي العلوم وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها (بيان علة ذم العلم للذموم) لملك تقول العلم هو معرفة الشيء على ماهو به وهو من صفات الله تعالى فكيف يكون الشيء علما ويكون مع كونه علما مذموما فاعلم أن العلم لا يذم لعينه وإنما يذم في حق البياض لأحد أسباب ثلاثة : الأول أن يكون مؤديا إلى ضرر ما إما لصاحبه أو لغيره كأيدي علم السحر والطلسمات وهو حق إن شهد القرآن له وأنه سبب يتوصل به إلى التفرقة بين الزوجين ، وقد سحر (١) رسول الله صلى الله عليه وسلم ومرض بسببه حتى أخبره جبريل عليه السلام بذلك وأخرج السحر من تحت حجر في قبره وهو نوع يستفاد من العلم غواص الجواهر وبأمر حناية في مطالع النجوم فيتخذ من تلك الجواهر هيكل على صورة الشخص للمحور ورمذه وقت مخصوص من المطالع وتقرن به كلمات يتلفظ بهامن الكفر والفحش المخالف للشرع ويتوصل بسببها إلى الاستقامة بالشياطين ويحصل من مجموع ذلك حكم إخراج الله تعالى العادة أحوال غريبة في الشخص للمحور ومعرفة هذه الأسباب من حيث إنها معرفة ليست بمذمومة ولكنها ليست تصلح إلا للاضرار بالخلق والوسيلة إلى الشر فكان ذلك هو السبب في كونه علمًا مذمومًا بل من أتبع وليا من أولياء الله ليقتله وقد اختفى منه في موضع حرير إذ سأل الظالم عن علمه لم يجز تنبيهه عليه بل وجب الكذب فيه وذكر موضعه إرشاد وإفادته علم بالشيء على ماهو عليه ولكنه مذموم لأدائه إلى الضرر . الثاني أن يكون مضرا بصاحبه في غالب الأمر كعلم النجوم فانه في نفسه غير مذموم لذاته إذ هو قسيان : قسم حسابي وقد نطق القرآن بأن مسير الشمس والقمر محسوب إذ قال عز وجل - الشمس والقمر بحسبان - وقال عز وجل - والقمر قدرناه منازل حتى

(الباب الثالث)

(١) حديث سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم متفق عليه من حديث عائشة .

عاد كالرجون القديم . والثاني الأحكام وحاصله يرجع إلى الاستدلال على الحوادث بالأسباب وهو بضاهي استدلال الطبيب بالنبض على ما يحدث من المرض وهو معرفة لجارى سنة الله تعالى وعادته في خلقه ولكن قد فسد الشرع قال صلى الله عليه وسلم « إذا ذكر القدر فأمسكوا وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا وإذا ذكر أفعالي فأمسكوا ^(١) » . وقال صلى الله عليه وسلم « أخاف على أمتي ببدى ثلاثا حيف الأئمة والإيمان بالنجوم والتكذيب بالقدر ^(٢) » . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه تملوا من النجوم ما تهتدون به في البر والبحر ثم أمسكوا وإعازجرحه من ثلاثة أوجه : أحدها أنه مضى بأكثر الخلق فانه إذا ألقى إليهم أن هذه الآثار تحدث عقيب سير الكواكب وقبع في نفوسهم أن الكواكب هي الوترية وأنها الآلهة للديرة لأنها جواهر شرعها معوية ويعظم وقعها في القلوب فيبق القلب ملتفتا إليها ويرى الخير والشر عنذورا أو مرجوا من جهتها وينمحي ذكر الله سبحانه عن القلب فان الضعيف يصير نظره على الواسط والمال راغخ هو الذي يطلع على أن الشمس والعمود والنجوم مسخرات بأمر سبحانه وتعالى ومثال نظر الضعيف إلى حصول ضوء الشمس عقيب طلوع الشمس مثال الخلة لولائق لها عقل وكانت على سطح قرطاس وهى تنظر إلى سواد الخط فيجدد فتعتقد أنه فعل القلم والأتري في نظرها إلى مشاهدة الأصابع ثم منها إلى اليد ثم منها إلى الإرادة المحركة لليد ثم منها إلى المكتب القادر المرید ثم منها إلى خالق اليد والقدرة والإرادة فأكثر نظرا الخلق مقصور على الأسباب القريبة السافلة مقطوع من الترقى إلى مسبب الأسباب فهنا أحد أسباب النقص عن النجوم . وثانيتها أن أحكام النجوم تخمين بحسب ليس يدرك في حق أحاد الأشخاص لا شيئا ولا غنا فالحكم بحسب مجهول فيكون ذمه على هذا من حيث إنه جهول لا من حيث إنه علم لقد كان ذلك معجز لا يدرى عليه السلام فيحكي وقد تدرس وأنهى ذلك العلم وانمحق وما يفتق من إصا به للنجم على تدور فمواخاف لأنه قد يطلع على بعض الأسباب ولا يحصل السبب غفيا إلا ببدشروط كثيرة ليس في قدرة البشر الاطلاع على حقائقها فان اتفق أن قدر الله تعالى الأسباب وقمت الاسبابة وإن لمقدر أخطأ ويكون ذلك كتخمين الانسان في أن السماء تطر اليوم مهما رأى التيم يجتمع وينبت من الجبال فيتحرك ظنه بذلك وربما يحكى النهار بالشمس ويذهب التيم وربما يكون غلانه بمجرد التيم ليس كافيا في مجيء للطر وبقية الأسباب لا يدرى وكذلك تخمين للملاح أن السفينة تسلم اعتادا على ما ألفه من العادة في الرياح وتلك الرياح أسباب خفية هو لا يطلع عليها فآخرة يسحب في تخمينه وتارة يغفل . ولهذا العلة يمنع القوى عن النجوم أيضا . وثالثها أنه لا فائدة فيه فأقل أحواله أنه خوض في فضول لا ينقضي وتضييع العمر الذي هو أنس ببناء الانسان في غير فائدة وذلك غاية اخسار ان « قد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس مجتمعون عليه فقال ما هذا فقالوا رجل علامة فقال بماذا قالوا بالشر وأنساب العرب فقال علم لا ينفع وجهل لا يضر ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « إنما العلم آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة » فاذن الخوض في النجوم وما يشبهه احتجام خطر وخوض في جهالة من غير فائدة فان ما قدر كائن والاحتراز منه غير ممكن بخلاف الطب فان الحاجة ماسة إليه وأكثر أدلته بما يطلع عليه وبخلاف التمييز وإن كان تخميناً لا يهجن من ستوا ربين جزءا من

- (١) حديث إذا ذكر القدر فأمسكوا الحديث رواه الطبراني من حديث ابن مسعود بإسناد حسن
(٢) حديث أخاف على أمتي ببدى ثلاثا حيف الأئمة الحديث ابن عبد البر من حديث أبي مجعن
بإسناد ضعيف (٣) حديث مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس مجتمعون فقال ما هذا فقالوا
رجل علامة الحديث ابن عبد البر من حديث أبي هريرة وضعفه وفي آخر الحديث ، إنما العلم
آية محكمة . إلى آخره وهذه القطعة عند أبي داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو .

تري في بدور الحى
أقار قد بدت
بعلى جمال مدھش
لب عاشق
فكم أنبت صبا وكم
قشمت عمی
وكم قدسمت في غربا
وللشارق
فضضى براح الحب
سکران مغرما
أصم عن الدغال غير
موافق
وعسى ينادها طرعا
يأبها
منعم عيش في الربوع
النوادق
صلاة على سر الوجود
شفيئا
محمد المختار خير الخلائق
وأصحابه أهل السكرام
والملا
وعترته ورث علم
الحقائق
[فصل] وأماما أنسکر
عليه فيه من مواضع
مشكلة الظاهر وفي
التحقيق لا إشكال أو
أخبار وآثار تسکلم
في سندھا فأما من
جهة تلك الواضع
فمن أجاب عنها
المصنف نفسه في كتابه
المسمى (بالجوبة)
وأسوق لك نبذة من

البوة ولا خطر فيه . السبب الثالث الخوض في علم لا يستفيد الخافض فيه فائدة علم فهو مذموم في حقه كعلم دقيق العلوم قبل جليلها وخفيا قبل جليلها وكالبحث عن الأسرار الإلهية إذ تطلع الفلاسفة والمتكلمون إليها ولم يستقروا بها ولم يستقل بها وبالوقوف على طرق بعضها إلا الأنبياء والأولياء فيجب كنف الناس عن البحث عنها ووردهم إلى ما نطق به الشرع في ذلك منع للوقوف فكيف من شخص خاص في العلوم واستغنى بها ولولم يرض فيها لكان حاله أحسن في الدين عما صار إليه ولا يتكر كون العلم ضارا لبعض الناس كما يضر علم الطير وأنواع الحوى اللطيفة بالصبي الرضيع بل يرب شخص بنفعه الجهول بعض الأمور فلقد حكى أن بعض الناس شكا إلى طبيب عقم امرأته وأنها لانهل فحس الطبيب بنضها . وقال لاجابة لك إلى دواء الولادة فانك ستموتين إلى أربعين يوما وقد دل النض عليه فاستعرت للراءة الحرف العظيم وتنص عليها عيشها وأخرجت أموالها وفرتها وأوست ويقت لانا كل ولا تشرب حتى اقتضت للدة فلم تمت فجاء زوجها إلى الطبيب . وقاله لم تمت فقال الطبيب قد علمت ذلك فاجعنا الآن فانها تله فقال كيف ذلك . قال رأيته مينة وقد انقذ الشحم على فم رحمها فعلمت أنها لانهزل إلا بخوف الموت غرقها بذلك حتى هزلت وزال للسانع من الولادة فهذا ينهك على استعمار خطر بين العلم ويهك معنى قوله صلى الله عليه وسلم « نموذ بالله من علم لا ينفع » (١) فاعتبر بهذه الحكاية ولا تسكن بحائنا عن علوم ذمها الشرع وزجر عنها ولازم الاقتداء بالصحة رضى الله عنهم واقتصر على اتباع السنة فالسلامة في الاتباع والحظر في البحث عن الأشياء والاستقلال ولا تكثر الحجج برأيك ومقولك . ودليلك وبرهانك وزعمك أتى ببحث عن الأشياء لأعمرها على ما هي عليه فأى ضرر في التفكير في العلم فان ما يود عليك من ضرره أكثر وكمن شيء تطلع عليه فيترك اطلاعك عليه ضررا يكاد يهلكك في الآخرة إن لم تتركك الله رحمة . واعلم أنه كما يطلع الطبيب الحاذق على أسرار في العلاجات يستفيد منها من لا يعرفها فكذلك الأنبياء أطباء القلوب والعلماء بأسباب الحياة الأخروية فلا تتحج على سنهم بمقولك قركم فكيف من شخص يصيبه عارض في أصبه فيقتضى عقله أن يطلبه حتى يشبه الطبيب الحاذق أن علاجه أن يعطى الكسف من الجانب الآخر من البدن فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد من حيث لا يعلم فكيفية انعاش الأعصاب ومنايتها ووجه انتافها على البدن فهكذا الأمر في طريق الآخرة وفي دقائق سنن الشرع وآدابه وفي عقائده التي تعبد الناس بها أسرار ولطائف ليست في سعة القول وقوة الاطاعة بها كأن في خواص الأحجار أمورا عجائب غاب عن أهل الصنعة علمها حتى لم يشدر أحد على أن يعرف السبب الذي به يجذب المغناطيس الحديد بالعجائب والقراب في القناديل والأعمال والإفادتها لصفاء القلوب وقائمها وطهارتها وتزكيتها وإصلاحها للترقى إلى جوار الله تعالى وترضاها لنفحات فضله أكثر وأعظم مما في الأدوية والعقاقير وكان القول قصير عن إدراك منافع الأدوية مع أن التجربة بمسير إليها فالقول قصير عن إدراك ما ينفع في حياة الآخرة مع أن التجربة غير متطرفة إليها وإنما كانت التجربة تنطرق إليها لورج إليها بعض الأموات فأخبرنا عن الأعمال القولية النافعة للترقية إلى الله تعالى زنى وعن الأعمال المبدعة عنه وكذا عن العقائد وذلك مما لا يطعم فيه فكيفك من منفعة العقل أن يهديك إلى صدق النبي صلى الله عليه وسلم ويفهمك موازداً إشارته فاعزل العقل بعد ذلك عن التصرف ولازم الاتباع فلا تسلم إلا به والسلام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث فود بالله من علم لا ينفع ابن عبد البر من حديث جابر بسند حسن وهو عندنا مناجاة بلطف تمودوا وقد تقدم .

ذلك هنا قال رحمه الله سألت يسر الله لم رتب السلم تصعد مراتبها وقرب لك مقامات الأولياء محل معالها عن بعض مواقع في الاملاء للقب بالاحياء عما أشكل على من حجب وقصر فعمه ولم يفر بشيء من المخطوط الملكية قدحه وبسمه وأظهرت التحزن لما شاهدته من شركاء الضلالم وأمثال الأنعام وأتباع المولاهم وسفهاء الأحلام وعار أهل الإسلام حتى طفوا عليه ونهوا عن قراءته ومطالعة وأقروا بالهوى مجردا على غير بصيرة بأطراحه ومنايذته ونسبوا إليه إلى ضلال وإضلال ورموا قراءه وممتحليه بزيف عن الشريعة واختلال إلى أن قال مكتوب شهادتهم ويسألون وسيلم الدين ظلموا أى منقلب يتقلبون . ثم ذكر آيات أخرى في معنى ثم وصف البهروأهله وذهاب العلم وفعله ثم ذكر عن المرتضى

« إن من العلم جهلا وإن من القول عيا ^(١) » ومعلوم أن العلم لا يكون جهلا ولكنه يؤثر تأثير الجبل في الأضرار . وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « قاتل من التوفيق خير من كثير من العلم ^(٢) » وقال عيسى عليه السلام ما أكثر الشجر وليس كلها بثمر وما أكثر الثمر وليس كلها بلباب وما أكثر العلوم وليس كلها بتافع .

بيان ما يدل من ألقاظ العلوم

اعلم أن منشأ التباس العلوم للذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الأسماء المحمودة وتبديلها وتلقاها بأغراض الفاسدة إلى معان غير ما أَرادها السلف الصالح والقرن الأول وهي خمسة ألقاظ الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة فهذه أسام محمودة والتصفون بها أرباب المناصب في الدين ولكنها هُتلت الآن إلى معان مذمومة فصارت القلوب تتفرعن منعمة من يتصف بمجانها لشيوخ إطلاق هذه الأسماء عليهم . الاقتصار الأول القفه قد تصروف فيه بالتخصيص بالانتدال والتحويل إذ خصصوه بمعرفة الفروع الفريسة في الفتاوى والقوقوف على دقائق عللها واستكثار الكلام فيها وحفظ اللقالات المتعلقة بها فمن كان أشد تعمقا فيها وأكثر اشتغالا بها يقال هو الأقفه ولقد كان اسم القفه في العصر الأول مطلقا على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال وقوة الإحاطة بحضارة الدنيا وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة واستبادة الخوف على القلب وبذلك عليه قوله هن وجل - ليفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم - وما يحصل به الانذار والتخويف هو هذا القفه دون تفريعات الطلاق والتفان والأمان والسلم والاجارة فلذلك لا يحصل به إنذار ولا تخويف بل التجرد له على الدوام يقى القلب وينزع الحشية منه كما شاهد الآن من المتجربين له وقال تعالى - لهم قلوب لا يفقهون بها - وأراد بسماني الإيمان دون الفتاوى ولعمري إن القفه والتهفق اللغة ايمان بمعنى واحد وإنما يحكم في عادة الاستعمال به قديما وحديثا قال تعالى - لآتم أشد رهبة في صدورهم من الله - الآية فأحال قلق خوفهم من الله واستعظامهم سطوة الخلق على قلة القفه فانظر ان كان ذلك نتيجة عدم الحفظ لتفريعات الفتاوى أو هو نتيجة عدم ما ذكرناه من العلوم . وقال صلى الله عليه وسلم « علماء حكام قهواء ^(٣) » للذين وفدوا عليه ، وسئل سعد بن إبراهيم الزهري رحمه الله أي أهل للدين أهله فقال أتأهم لله تعالى فكانه أشار إلى ثمرة القفه والتقوى ثم غدا العلم بالباطن دون الفتاوى والأقفية . وقال صلى الله عليه وسلم « ألا ينشك بالقفه كل القفيه قالوا بلى قال من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يؤدبهم من روح الله ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى ماسواه ^(٤) » ولما روى أنس بن مالك قوله صلى الله عليه وسلم « لأن أقدم قوم يدعون الله تعالى من غدة إلى طلع الشمس أحب إلي من أن أعتق أربع رقاب ^(٥) » قال فالتفت إلى زيد الرقاشي وزيد

(١) حديث إن من العلم جهلا الحديث أبو داود من حديث بريدة وفي إسناده من مجهول (٢) حديث قليل من التوفيق خير من كثير من العلم لمجد له أصلا وقد ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي الدرداء . وقال القليل بدل العلم ولم يخرجوه والحق في مسنده (٣) حديث علماء حكام قهواء أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الزهد والحلي في التاريخ من حديث سويد بن الحارث باسناد ضعيف (٤) حديث ألا ينشك بالقفه كل القفيه الحديث أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق وأبو بكر بن السنن وابن عسبد البر من حديث علي . وقال ابن عسبد البر أكثرهم يوقفونه عن علي (٥) حديث أنس لأن أقدم قوم يدعون الله تعالى من غدة إلى طلع الشمس الحديث أبو داود باسناد حسن .

بما يرجع حاصلا إلى الحمد وإلى الجليل وقفة الدين بل أقصع بذلك في الآخر حيث قل حجبوا عن الحقيقة بأربسة : الجبل والاضرار ومجبة الدنيا واظهار الدعوى ثم بين ماورثوه عن الأربعة للذكورة قال فاجل أورشهم السفن إلى آخر ما ذكره وأما ما اعترض به من قصيته أخبارا وآثارا موضوعا أو ضعية واكراه من الأخبار والآثار والإكثار يتحاشى منه التورع فلا يقع في الموضوع ، وحاصل ما أجيب به عن الغزالي ومن الجيبين الحافظ الرافعي أن أكثر ما ذكره الغزالي ليس بموضوع كما برهن عليه في التخريج وغير الأكثر وهو في غاية القلة رواء عن غيره أو تبع فيه غيره متريفا صفة روى عنه بنحو وأما الاعتراض عليه أن لقا ذكر الضعيف بكرة فهو اعتراض ساقط لما تقرر أنه يعمل به في القضايا

وكتابه في الزائق فهو
من قبيلها ولأن له
أسوة بأئمة الأئمة الحفاظ
في استئصال كبرهم على
الضعيف بكثرة اللب على
ضعفه تارة وللسكوت
عنه أخرى وهنه
كتب الفقه للمضمين
وهي كتب الأحكام
لا الفضائل يوردون
فيها الأحاديث الضعيفة
ما كتبت عليها حق
جاء النووي رحمه الله
في للآخرين ونبهه
على ضعف الحديث
وخلافه كما أشار إلى
ذلك كله العراقي قال
عبد الغافر القاسمي
سبط القشيري ظهرت
تصانيف الزاوي وفشت
ولم يد في أيامه مناقض
لما كان فيه ولما آثره
إلى آخر ما ذكره ومما
يدل على جلالة كتب
الزاوي ما فصل ابن
السمعاني من رؤيا
بعضهم فيها يرى النائم
كان الشمس طلعت
من مغربها مع تغير
فما للبرق يدعة
تحدث فحدث في
جميع القرب بدعة
الأمر بأحراق كتبه
ومن أنه لما دخلت

الذي وقال لم تكن عجالي الله. مثل بما ذكر هذه بقى أحدكم وعظه على أصحابه وسرد الحديث
سردا إنما كنا نصدق ذكر الإيمان وتبدير القرآن ونشغفه في الدين ونمد فهم الله علينا فقها فسمى تدبر
القرآن وعدلتهم فقها قال صلى الله عليه وسلم « لا يفقه المبدك الفقه حتى يمت الناس في ذات الله وحتى
يرى للقرآن وجوها كثيرة (١) » وروى أيضا موقوفا على أبي البرداء رضي الله عنه مع قوله ثم يقبل على
نفسه ويكون لها أحد مقنا وقد سأل فرقد السخى الحسن عن الشيء فأجابه فقال إن الفقهاء إنما خلقوك
فقال الحسن رحمه الله شككتك أمك فرقد وهل رأيت قهرا بينك وإنما القهه الزاهد في الدنيا الزاغ
في الآخرة البصير يدينه للداوم على عبادة ربه الورع الكفاف نفسه عن أعراض المسلمين العفيف عن
أموالهم الناصح لمجتمعهم ولما قبل في جميع ذلك الحفاظ لقروا الفتاوى ولست أقول إن اسم القلم يمكن
متنولا للفتاوى في الأحكام الظاهرة ولكن كان بطريق العموم والشمول أو بطريق الاستبصار فكان
إطلاقهم له على علم الآخرة أكثر فبان من هذا التخصيص تلبس بشئ الناس على التجرد والاعراض
عن علم الآخرة وأحكام القلوب ووجدوا على ذلك معينا من الطبع فإن علم الباطن غامض والعلل بعسير
والوصول به إلى طلب الولاية والقضاء والجاه والمال متمنن فوجد الشيطان مجالاً لحسين ذلك في القلوب
بواسطة تخصيص اسم الفقه الذي هو اسم محمود في الشرع . اللفظ الثاني العلم وقد كان يطلق ذلك على العلم
بالله تعالى وبآياته وبأفعاله في عباده وخلقته حتى إنه لما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود رحمه الله لقد
مات تسعة أعشار العلم فربما لآلف واللام ثم فسر العلم بالسيحانة وتعالى وقد تصرفوا فيه أيضا بالتخصيص
حتى شربوه إلى أكثر من يشتغل بالناظر مع الحصوص في السائل الفقهية وغيرها فيقال هو العالم على
الحقيقة وهو الفحل في العلم ومن لا عارس ذلك ولا يشغل به يد من جملة الضعفاء ولا يدونه في زمرة
أهل العلم وهذا أيضا تصرف بالتخصيص ولكن ماورد من فضائل العلم والعلماء أكثره في الصلاة بالله
تعالى وبأحكامه وبأفعاله وصفاته وقد صار الآن مطلقا على من لا يحيط من علوم الشرع بشيء سوى رسوم
جدلية في مسائل خلافية فبعد بذلك من فصول العلماء مع جهله بالفسير والأخبار وعلم للذهب وغيره
وصار ذلك سببا مهلكا خلق كثير من أهل الطلب للعلم . اللفظ الثالث التوحيد وقد جعل الآن
عبارة عن صناعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة والاحاطة بطرق مناقضات الحصوص. والقدرة على التشديق
فيما بتكير الأسئلة وإثارة الشبهات وتأليف الازمات حتى لقب طوائفهم أنفسهم بأهل العدل والتوحيد
وصي للتكلمون العلماء بالتوحيد مع أن جميع ما هو خاصة هذه الصناعة لم يكن يعرف منها شيء في
العصر الأول بل كان يشتد منهم التكبر على من كان يفتح بابا من الجدل والمارة فأماما يشتمل عليه
القرآن من الأدلة الظاهرة التي تسبق الأذهان إلى قبولها في أول السماع فلقد كان ذلك معلوما لكل
وكان العلم بالقرآن هو العلم كله وكان التوحيد عندهم عبارة عن أمر آخر لا يفهمه أكثر التكميلين وإن
فهموه لم يفهموا به وهو أن يرى الأمور كلها من الله عز وجل رؤية تقطع التفاتة عن الأسباب والوسائط
فلابرى الحبر والشر كله لإيمانه جل جلالة فهذا مقام شريف إحدى عمراته التوكل كما سيأتي بيانه في
كتاب التوكل ومن عمراته ما شاركه شكيا لخلق وترك الضيق عليهم والرضا والتسليم لحكم الله تعالى وكانت
إحدى عمراته قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما قيل له في مرضه أن طلب لك طبيا فقال الطبيب
أمرضى وقول آخر لما مرض قبيل له ماذا قال لك الطبيب في مرضك فقال قال لي إني ضال لما أريد

(١) حديث لا يفقه المبدك الفقه حتى يمت الناس في ذات الله الحديث ابن عبد البر من حديث
شداد بن أوس وقال لا يصح مرفوعا .

وسماني في كتاب التوكيل وكتاب التوحيد شواهد ذلك والتوحيد جوهر شمس وله قسراتان أحدهما أبعد عن الباب من الآخر فيصص الناس الاسم بالقرى وبصناعة الحراسة للشمس وأهلها الأب بالكتابة فالقرى الأول هو أن تقول بلسانك لا إله إلا الله وهذا يسمى توحيداً ناقضاً للثلاث الذي صرح به النصارى ولكنه قد يصدر من التناقض الذي يخالف سره جهره . والقسم الثاني أن لا يكون في القلب خاتلة وإنكار المفهوم هذا القول بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاده وكذلك التصديق به وهو توحيد علوم الخلق وللتكاهن كما سبق حراس هذا القدر عن تشويش للبدعة . والثالث وهو الباب أن يرى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الوسائط وأن يعبد عبادة يفرد بها فلا يعبد غيره ويخرج عن هذا التوحيد أن يعبد الهوى فكل متبع هواه قد اتخذ هواه معبوده قال الله تعالى - أفرأيت من اتخذ إلهه هواه - وقال صلى الله عليه وسلم « أبغض إله عبد في الأرض عند الله تعالى هو الهوى » وعلى التحقيق من تأمل عرف أن عابد السم ليس بعد الصنم وإنما يعبد هواه إذ ضمهائلة إلى دين آتاه فيتبع ذلك الليل وميل النفس إلى المألوفات أحد الثمان التي يعبر عنها الهوى ويخرج من هذا التوحيد التسخط على الخلق والافتات إليهم فان من يرى الكل من الله عز وجل كيف يتسخط على غيره فقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام وهو مقام الصديقين فانظر إلى ماذا حول وبأي قصر تقع منه وكيف اتخذوا هذا متصفاً في التمجيد والتعظيم باسمه محمود مع الافلاس عن الحق الذي يستحق المدح الحقيقي وذلك كإفلاس من يسبح بكرة ويتوجه إلى القبلة ويقول وجهه وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وهو أول كذب يخاف الله به كل يوم إن لم يكن وجهه قلبه متوجهاً إلى الله تعالى على الخصوص فانه إن أراد بالوجه وجه المظاهر فما وجهه إلا إلى الكعبة وما صرفة إلا عن سائر الجهات والكعبة ليست جهة للذي فطر السموات والأرض حتى يكون للتوجه إليها متوجهاً إليه ، تعالى عن أن تحمد الجهات والأقطار وإن أراد به وجه القلب وهو المطلوب المتجدي فكيف يصدق في قوله وقلبه متردد في أوطاره وحاجاته الدنيوية ومتصرف في طلب الحيل في جمع الأموال والمجاه واستكثار الأسباب ومتوجه بالكعبة إليها فحق وجهه وجهه للذي فطر السموات والأرض وهذه الكلمة خبر عن حقيقة التوحيد فالمراد بالوجه الذي لا يرى إلا الواحد ولا يوجه وجهه إلا إليه وهو امتثال قوله تعالى - قل الله ثم ذمهم في خوضهم يلعبون - وليس المراد به القول بالاسان فاعلم اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب أخرى وإنما موقع نظر الله تعالى الترجع عنه هو القلب وهو معدن التوحيد ومنه . اللفظ الرابع الذكر والتذكير فقد قال الله تعالى - وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين - وقد ورد في التناء على مجالس الذكر أخبار كثيرة كقوله صلى الله عليه وسلم « إذا مررت برياض الجنة فارتقوا قيل وما رياض الجنة قال مجالس الذكر » وفي الحديث « إن لله تعالى ملائكة سياحين في الدنيا سوى ملائكة الخلق إذا رأوا مجالس الذكر يذكر بعضهم بعضاً ألا هلوا إلى بيتكم فيأتونهم ويعفون بهم ويستمعون ألا فلاذكروا الله وذكروا أنفسهم » (٢) « فقل ذلك إلى ما ترى أكثر الوعاط في هذا الزمان يواطون عليه وهو القصص والأشعار والشطع والطامات ، أما القصص فهي بدعة وقد وردت في السلف عن الجالوس إلى القصص وقالوا

(١) حديث أبغض إله عبد عند الله تعالى في الأرض هو الهوى الطراني من حديث أبي أمامة بإسناد ضعيف (٢) حديث إذا مررت برياض الجنة فارتقوا الحديث الترمذي من حديث أنس وحسنه (٣) حديث إن لله ملائكة سياحين في الهواء سوى ملائكة الخلق الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة دون قوله في الهواء والترمذي سياحين في الأرض وقال مسلم سيرة.

مصنفاته إلى الغرب أمر سلطانه على بن يوسف باحراقها لتوجه أشعلها على الفلسفة وتوسد بالفتل من وحدت عنده بعد ذلك فظهر بسبب أمره في ملكته من أكبر ووثب عليه الجند ولم يزل من وقت الأمر والتوعد في عكس وتكد بعد أن كان عادلاً .

[خاتمة في الإشارة إلى ترجمة المصنف رضي الله عنه وعنا به وقضايلومه وأساره وسبب رجوعه إلى طريقة الصوفية رضي الله عنهم]

أما ترجمته رضي الله عنه فهو الإمام زين الدين حجة الاسلام أبو حامد محمد بن محمد ابن محمد الترمذي الطوسي النيسابوري الفقيه الصوفي الشافعي الأشعري الذي انتشر فضله في الأفاق وفاق ورزق الحظ الأوفر في حسن التصنيف وجودتها والتصنيف الأكبر في جزالة العبارة وسهولتها

وحسن الإشارة وكشف
الغشالات والتبصير في
أصناف العلوم وفروعها
وأصولها ورسومها
القسم في منقولها
ومعقولها والتحكيم
والاستدلال على إجمالها
وتفصيلها مع ما خصه
الله به من الصكرامة
وحسن السيرة
والاستقامة والزهدة
والعزوف عن زهرة
الدنيا والاعراض عن
الجاهات الفانية
وأطراح المشعة
والتكليف قال الحافظ
العلامة ابن عساكر
والشيخ عفيف الدين
عبد الله بن أسعد
اليافعي والفقير جمال
الدين عبد الرحيم
الأسنوي رحمهم الله
تعالى ولد الإمام الغزالي
بطوس سنة ثنتين
وأربع مائة وأبدأ بها
في صباه بطرف من
القفه ثم قدم نيسابور
ولازم دروس إمام
الحرمين وجد واجتهد
حتى تخرج في مدة
قريبة وصاروا نظر أهل
زمانه وأوحد أقرانه
وجلس للأقران وإرشاد
الطلبة في أيام إمامه

لم يكن ذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) ولا في زمن أبي بكر ولا عمر رضي الله عنهما حتى
ظاهرت الفتنة وظاهر القصاص - وروى أن ابن عمر رضي الله عنهما خرج من المسجد فقال ما أخرجني
إلا القاص ولولاه لما خرجت وقال ضمرة قلت لسفيان الثوري تستقبل القاص بوجوهنا فقال ولوا
البيع ظهوركم وقال ابن عون دخلت على ابن سيرين فقال ما كان اليوم من خبر قلت نهى الأمير
القصاص أن يقصوا فقال وفق للصاب ودخل الأعمش جامع البصرة فرأى قاصاً يقص ويقول حدثنا
الأعمش فترسوا الحلقة وجعل يتنف شعر إبطه فقال القاص يا شيخ ألا تستحي فقال لم أنا في سنن أوت
في كذب أنا الأعمش وما حدثتك وقال أحمد أكثر الناس كتبوا القصاص والسؤال ، وأخرج على
رضي الله عنه القصاص من مسجد جامع البصرة فلما سمع كلام الحسن البصري لم يخرج به إذ كانت
يكلم في عمل الآخرة والتفكير بالموت والتهيؤ على عيوب النفس وآفات الأعمال وخواطر الشيطان
ووجه الخدر منها ويذكر بالله الله ونعائه وتقصير العبد في شكره ويعترف حقارة الدنيا وعبورها
وتصرمها ونكتعدها وخطر الآخرة وأهوالها فهذا هو التذكير المحمود شرماً الذي يرى الحث
عليه في حديث أبي ذر رضي الله عنه حيث قال « حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة
وحضور مجلس علم أفضل من عبادة ألف مريض وحضور مجلس علم أفضل من شهود ألف جنازة
قيل يارسول الله ممن قراءة القرآن قال وهل تنفع قراءة القرآن إلا بالملم (٢) » وقال عطاء رحمه الله
مجلس ذكر يكفر سبعين مجلساً من مجالس الله وقد أخذ للزخرفون هذه الأحاديث حجة على تركه
أنفسهم وتلقوا اسم التذكير إلى خرافاتهم وذهابوا عن طريق الذكر المحمود واشتغلوا بالقصاص التي
تتطرق إليها الاختلافات والزيادة والنقص وتخرج عن القصص الواردة في القرآن وتزيد عليها فإن
من القصص ما يقع معناه ومنها ما يضر وإن كان صدقاً ومن فتح ذلك الباب على نفسه اختلط عليه
الصدق بالكذب والتألف بالضر فإن هذا نهى عنه وذلك قال أحمد بن حنبل رحمه الله ما أخرج الناس
إلى قاص صادقاً فإن كانت القصة من قصص الأنبياء عليهم السلام فيها يتعلق بأمر دينهم وكان القاص
صادقاً صحيح الرواية قلت أرى به بأساً ، فليحذر الكذب وحكايات أحوال توهى إلى هفوات أو
مسهلات يقصر فهم العوام عن ذلك معانيها أو عن كونها هفوة نادرة مرددة بتكثيرات متداركة
بحسنات تغطي عليها فإن العاصي يتصمم بذلك في مساهلاته وهفواته وعهد نفسه عن ذلك فهو محتج بأنه
حكي كيت وكيت عن بعض الشائخ وبمن الأكابر فكلنا يصعد للمعاصي فلا نأخذ من عصب الله تعالى
قد عصاه من هو أكبر مني ويهده ذلك جراءة على الله تعالى من حيث لا يدري فيجد الاحتراز عن
هذين المحذورين فلا بأس به وعند ذلك يرجع إلى القصص المحمودة وإلى ما يشتمل عليه القرآن
ويصح في الكتب الصحيحة من الأخبار ومن الناس من يستجيز وضع الحكايات الرغيفة في الطاعات
ويزعم أن قصده فيها دعوة الخلق إلى الحق فهذه من نزغات الشيطان فإن في الصدق مندوحة عن
الكذب وفيما ذكر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم غنية عن الاختراع في الوعظ ، كيف وقد
كره تكلف السجع وعد ذلك من التصنع - قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لانه عمر وقديمه
يسجع هذا الذي يفضلك إلى لا تنصيت حاجتك أبداً حتى تتوب وقد كان جاهه في حاجة ، وقد قال

(١) حديث لم تكن القصص في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ماجه من حديث عمر
باسناد حسن (٢) حديث أبي ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة تصدق في
الباب الأول .

على الله عليه وسلم بعد الله بن روضة في سجع من ثلاث كلمات « يا إله والسجع يابن روضة (١) » فكان السجع المحذور التكليف ما زاد على كلمتين ولذلك لما قال الرجل في ديوانه الجنيح « كيف ندى من لا تروى ولا كل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك بطل فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أسجع كسجع الأعراب (٢) » وأما الأسماء فكثيرها في الواعظ مذكور قال الله تعالى - والشعراء يتبهم العاودون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون - وقال تعالى - وما علمناه الشعر وما ينبغي له - وأكثر ما اعتاده الواعظ من الأسماء ما يتعلق بالتواصف في العشق وجمال للشوق وروح الوصال وألم الفراق والمجلس لا يعزى إلا أجاف العوام وبواطنهم مشحونة بالشهوات وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات إلى الصور للجنة فلا تحرك الأسماء من قلوبهم إلا ما هو مستكن فيها فتشتعل فيها نيران الشهوات فيزعقون ويتواجدون وأكثر ذلك أو كله يرجع إلى نوع فساد فلا ينبغي أن يستعمل من الشعر إلا ما فيه موعظة وحكمة على سبيل استنباط واستشعار . وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن من الشعر لحكمة (٣) » ولو حوى المجلس الخواص الذين وقع الاطلاع على استراق قلوبهم بحب الله تعالى ولم يكن معهم غيرهم فإن أولئك لا يضر معهم الشعر الذي يشر ظاهره إلى الخلق فإن الاستماع ينزل كل ما يسمعه على ما يتولى على قلبه كما سيأتي تحقيق ذلك في كتاب السجع ولذلك كان الجليل رحمه الله يتشكلم على بضعة عشر رجلا فإن كانوا لم يتكلم وما تم أهل مجلسه قط عشرين وحضر جماعة دار ابن سالم قيل له تكلم قد حضر أصحابك ، فقال لا ما هؤلاء أصحابي إنما هم أصحاب المجلس إن أصحابي هم الخواص . وأما الشطح فتنبى به سفيان من الكلام أحده يسمى الصوفية . أحدها العنادى الطويلة العريضة في المشق مع الله تعالى والوصال التي عن الأعمال الظاهرة حتى ينتهى قوم إلى دعوى الاتحاد وارتضاع الحجاب وللشاهدة بالرؤية وللشاهدة بالخطاب فيقولون قيل لنا كذا وقلنا كذا وبشبهون فيه بالحسين بن منصور الحلاج الذي صلب لأجل إطلاقه كلمات من هذا الجنس ويستشهدون بقوله أنا الحق . وما حكى عن أبي يزيد البسطامي أنه قال سبحاني سبحاني وهذا فن من الكلام عظيم ضرره في العوام حتى ترك جماعة من أهل القلاحة فلاحتهم وأظهروا مثل هذه العنادى ، فإن هذا الكلام يستلذه الطبع إذ فيه انبطالة من الأعمال مع تركية النفس بدرك اللقائات والأحوال فلا يهجر الأغبياء عن دعوى ذلك لأقسام ولا عن تلقف كلمات عظيمة من خرفة ومهما أنكسر عليهم ذلك يسجوا عن أن يقولوا هذا إنكار مصدره العلم والجدل والعلم حجاب والجدل عمل النفس ، وهذا الحديث لا يلوح إلا من الباطن بمكاشفة نور الحق ، فهذا ومثله مما قد استطار في البلاد شروره وعظم في العوام ضرره حتى من نطق بشيء منه قتلته أفضل في دين الله من إحياء عشرة ، وأما أبو يزيد البسطامي رحمه الله فلا يصح عنه ما يحكى وإن سمع ذلك منه فله كان يحكيه عن الله من أجل في كلام يردده في نفسه كما لو سمع وهو يقول إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني فإنه ما كان ينبغي أن يضم منه ذلك إلا على سبيل الحكاية . الصنف الثاني من الشطح كلمات غير مفهومة لمناظرها وهاهنا عبارات هائلة وليس وراءها طائل وذلك إما أن تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها عن

وصنف وكان الامام يتبع به ويعد بمكانه منه ثم خرج من نيسابور وحضر مجلس الوزير نظام الملك فأقبل عليه وحل منه محلا عظيما لمحو درجته وحسن مناظرته وكانت حضرة نظام الملك يحط رحال العلماء ومقصد الأئمة والفضلاء ووقع للإمام النزالي فيها انقاعات حسنة من مناظرته الحصول فظهر اسمه وطار صيته فوسم عليه نظام الملك بالسبى إلى بغداد للقيام بتدريس للدرسة النظامية فصار إليها وأعجب الكل تدريسه ومناظرته فصار إمام العراق بعد أن حاز إمامة خراسان وارتفعت درجته في بغداد على الأمراء والوزراء والأكابر وأهل دار الخلافة ثم اهلب الأسر من جهة أخرى فترك بغداد وخرج مما كان فيه من الجاه والحشمة مشغلا بأسباب التقوى وأخذ في التصنيف الشهيرة التي لم يسبق

- (١) حديث إنك والسجع يابن روضة لما جده هكذا ولأحمد وأبي يعلى وابن السني وأبي نعيم في كتاب الرياضة من حديث عائشة بإسناد صحيح أنها قالت للسائب إنك والسجع فإن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا لا يسجعون ولابن حبان واجتنب السجع ، وفي البخاري نحوه من قول ابن عباس (٢) حديث أسجع كسجع الأعراب مسلم من حديث للقيصة (٣) حديث إن من الشعر لحكمة البخاري من حديث أبي بن كعب .

إليها مثل إحياء علوم
الدين وغيره التي من
تأملها عرف عمل
مصنفها من العلم قيل
إن تصانيفه وزعت
على أيام عمره فأصاب
كل يوم كراس ثم
صار إلى القدس مقبلا
على مجاهدة النفس
وتبديل الأخلاق
وتحسين التماثل حتى
مرن على ذلك ثم عاد
إلى وطنه طوس لازما
بيته مقبلا على العبادة
وتصحح العباد وإرشادهم
ودعاهم إلى الله تعالى
والاستعداد للدار
الآخرة مرشد الضالين
وفيد الطالبين دون
أن يرجع إلى ما تطلع
عنه من الجاه والمباهلة
وكان معظم تدريسه
في التفسير والحديث
والتصوف حتى انتقل
إلى رحمة الله تعالى يوم
الاثنين الرابع عشر
من جمادى الأولى سنة
خمس وخمسة خسه
الله تعالى بأنواع
الكرامة في أخراه كما
خسه بها في دنياه قيل
وكانت سدة القطبية
للفرازي ثلاثة أيام على
ما حكى في كرامات

خط في عقله وتشويش في خياله لقله إسطاعته بمعنى كلام قريحه وهذا هو الأكثر ولما أن تكون
مفهومة له ولكنه لا يقدر على فهمها وإيرادها بعبارة تدل على ضميمه لقله بممارسته للعلم وعدم قلته
طريق التعبير عن اللماضي بالألفاظ الرشيدة ولا فائدة لهذا الجذر من الكلام إلا أنه يشوش القلوب
ويدهش العقول ويحجب الأذهان أو يحصل على أن يفهم منها مافي ما أريدت بها ويكون فهم كل
واحد على مقتضى هواه وطبعه . وقد قال صلى الله عليه وسلم « كلوا الناس بما يسرفون ودعوا ما ينسكرون
إلا كان فتنة عليهم (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « كلوا الناس بما يسرفون ودعوا ما ينسكرون
أتريدون أن يكذب الله ورسوله (٢) » وهذا فيا يفهم صاحبه ولا يلفه عقل السميع فكيف فيا
لا يفهم قائله فإن كان يفهم القائل دون السميع فلا يعمل ذكره وقال عيسى عليه السلام لا تفعلوا الحكمة
عند غير أهلها فظلموها ولا تنعموا أهلها فظلموهم كونوا كالطبيب الرقيق يضع الدواء في موضع الداء
وفي لفظ آخر من وضع الحكمة في غير أهلها فهدجهم ومن منها أهلها فظلمهم إن الحكمة حقا وإن لها
أهلا فأعطل كل ذي حق حقه وأما الطامات فيدخلها ما ذكرناه في الشطح وأمر آخر يخصها وهو
صرف الألفاظ الشرع عن ظواهرها الفهومة إلى أمور باطنة لا يسبق منها إلى الألفاظ فائدة كدأب
الباطنية في التأويلات فهذا أيضا حرام وضربه عظيم فإن الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها
بغير اعتماد فيه بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعو إليه من دليل العقل اقتضى ذلك
بطلان الثقة بالألفاظ وسقط به منعمة كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم فإن ما يسبق
منه إلى الفهم لا يوثق به والباطن لا يضبط له بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيهه على وجه شق
وهذا أيضا من البدع الشائنة العظيمة الضرر وإنما قصد أصحابها الأغراب لأن النفوس مائلة إلى
العريب ومستلذذة له وهذا الطريق توصل الباطنية إلى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها
وتنزيهها على رأيهم كما حكينا من مذاهبهم في كتاب الاستظهرى المصنف في الرد على الباطنية ومثال
تأويل أهل الطامات قول بعضهم في تأويل قوله تعالى - اذهب إلى فرعون إنه طغى - أنه إشارة إلى
قلبه وقال هولرارد بفرعون وهو الطاغى على كل إنسان وفي قوله تعالى - وأن ألقى عصاك - أي كل
ما يتوكل عليه ويعتمده بما سوى الله عز وجل فينبغي أن يلقى وفي قوله صلى الله عليه وسلم « تسحروا
فان في السحور بركة (٣) » أراد به الاستغفار في الأسحار وأمثال ذلك حتى يعرفون القرآن من أوله إلى
آخره عن ظاهره وعن تفسيره المتقول عن ابن عباس وسائر العلماء وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانها
قطعا كتزويل فرعون على القلب فان فرعون شخص محسوس تواتر إلينا النقل بوجوده ودعوة
موسى له كأي جهل وأبي لب وغيرهما من الكفار وليس من جنس الشياطين ولا تشكك مما لم
يدرك بالحس حتى يتطرق التأويل إلى ألفاظه وكذا حمل السحور على الاستغفار فإنه كان صلى الله
عليه وسلم يتناول الطعام ويقول : « تسحروا (٤) » وهلموا إلى الغذاء للبارك (٥) فهذه أمور تدرك

(١) حديث ما حدث أحدكم قوما يحدث لا يفقهونه إلا كان فتنة عليهم القليل في الضعفاء وابن السني
وأبو نعيم في الرياء من حديث ابن عباس باسناد ضعيف ولمسلم في مقدمة صحيحه موقوفا على ابن
مسعود (٢) حديث كلوا الناس بما يسرفون ودعوا ما ينسكرون الحديث البخاري موقوفا على أبي
ورقه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من طريق أبي نعيم (٣) حديث تسحروا فان في
السحور بركة متفق عليه من حديث أنس (٤) حديث تناول الطعام في السحور رواه البخاري من
حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم وزيد بن ثابت تسحروا (٥) حديث هلموا إلى الغذاء للبارك
أبو داود والنسائي وابن حبان من حديث العرياض بن سارية وصفه ابن القطان .

بالتواتر والحس بطلانها تملأ وبضها يعلم بتألب الثاني وذلك في أمور لا يتعلق بها الاحساس فشكل ذلك حرام وضلالة له. وادللين على الخلق ولم يقل شي من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الحسن البصري مع إكبابه على دعوة الخلق ووعظهم فلا ينظر لقوله صلى الله عليه وسلم « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » (١) معنى لا هذا الخط وهو أن يكون غرضه ورأيه تفرير أمر وتحقيره فيستجر شهادة القرآن إليه وعمله عليه من غير أن يشهد لتزييه عليه دلالة لفظية لغوية أو فنية ولا ينبغي أن يفهم منه أنه يجب أن لا يفسر القرآن بالاستنباط والفكر فإن من الآيات ما نقل فيها عن الصحابة والمفسرين خمسة معان وستة وسبعة ويمل أن يجمعها غير مدعوع من النبي صلى الله عليه وسلم فإنها قد تكون متافقة لا تقبل الجمع فيكون ذلك مستتباً بحسن التفسير ولبول الفكر ولها قال صلى الله عليه وسلم لا ينسب إلى عباس رضي الله عنه « اللهم ضعه في الدين وعلمه التأويل » (٢) ومن يستخرج من أهل الطامات مثل هذه التأويلات مع علمه بأنها غير مرانة بالألفاظ ويزعم أنه يقصد بها دعوة الخلق إلى الخلق ضلعي من يستخرج الاختراع والوعظ على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هو في نفسه حق ولكن لم ينطق به الشرع كن ضعه في كل مسئلة يراها حقاً حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم فذلك ظلم وضلال ودخول في الوعيد المعلوم من قوله صلى الله عليه وسلم « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » (٣) بل الشر في تأويل هذه الألفاظ أظلم وأعظم لأنها مبطل للغة بالألفاظ وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكيفية فقد عرفت كيف صرف الشيطان دواعي الخلق عن العلوم المحمودة إلى النعمومة فكل ذلك من تليس علماء السوء بتبديل الأسماء فانابت هؤلاء اعتماداً على الاسم للشهور من غير التفات إلى ما عرف في العصر الأول كنت كن طلب الشرف بالحكمة باتباع من يسمى حكماً فإن اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والنجم في هذا العصر وذلك بالنقل عن تبديل الألفاظ - اللفظ الخامس : وهو الحكمة فإن اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والنجم حتى على الذي يدرج القرعة على كلف السوادية في شوارع الطرق والحكمة هي التي أنشأ الله عز وجل عليها فقال تعالى - يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً - قال صلى الله عليه وسلم « كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا وما فيها » (٤) فانظر لما الذي كانت الحكمة عبارة عنه وإلى ماذا قل وقس به بقة الألفاظ واحترز عن الاعتراض بتليسات علماء السوء فإن شرم على الدين أعظم من شر الشياطين إذ الشيطان بواسطتهم يتدرج إلى ارتزاع الدين من قلوب الخلق ولهذا « لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شر الخلق أي وقال اللهم اغفر حقى كرروا عليه فقال هم علماء السوء » (٥) فقد عرفت العلم المحمود والمذموم ومثار الالتباس

(١) حديث من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار الترمذي من حديث ابن عباس وحسنه وهو عند أبي داود من رواية ابن البدي وعنده التلثاني في الكبرى (٢) حديث اللهم ضعه في الدين وعلمه التأويل قاله لابن عباس البخاري من حديث ابن عباس دون قوله وعلمه التأويل وهو بهذه الزيادة عند أحمد وابن حبان والحاكم وقال صحيح الاسناد (٣) حديث من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار متفق عليه من حديث أبي هريرة وعلي وأنس (٤) حديث كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا تقدم بنحوه (٥) حديث لما سئل عن شر الخلق أي وقال اللهم اغفر الحديث الدارمي بنحوه من رواية الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسل وهو ضعيف ورواه البزار في مسنده من حديث معاذ بنسند ضعيف -

الشيخ السيد العمودي
ضبح الله به وذكر
الشيخ عفيف الدين
عبد الله بن أسعد
الباقي رحمه الله تعالى
بأسناده الثابت إلى
الشيخ الكبير العلق
الربان شهاب الدين
أحمد السباد الحق
الريدي وكان معاصراً
للغزالي ثم الله بهما قال
بيننا أنا ذات يوم قاعد
إذ نظرت إلى أبواب
السماء مفتحة وإذا
عصبة من الملائكة
الكرام قد نزلوا معهم
خلع خضر ومركوب
نقيس فوق قواطع قبر
من القبور وأخرجوا
صاحبه وألبسوه الخلع
وأركبوه وصعدوا به
من سماء إلى سماء إلى
أن جاوز السموات
البيع وخرق بعدها
ستين حجاباً ولا أعلم
أين بلغ انتهاءه فأنت
عنه قبيل هذا الإمام
الغزالي وكان ذلك
عقيب موته رحمه
الله تعالى ورأى في
النوم السيد الجليل
أبو الحسن الشاذلي
رضي الله عنه النبي
صلى الله عليه وسلم وقد

والك الحيرة في أن تنظر لنفسك تشتدي بالسلف أو تتدلى بحبل القرور وتتشبه بالخائب ، فكل ما ارتضاه السلف من العلم قد اندرس وما أكتب الناس عليه فأكثره مبتدع ومحدث وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم « بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للفرقاء » قيل ومن الفرقاء ؟ قال الذين يسلحون ما أنفسهم الناس من سنن والذين يحجون ما أماتهم من سنن (١) وفي خير آخر « هم التمسكون بما أتهمه اليوم (٢) » وفي حديث آخر « الفرقاء ناس قليل صالحون بين ناس كثير من يفضهم في الخلق أكثر من محبهم (٣) » وقد صارت تلك العلوم غريبة بحيث نمت ذكراها ، ولذلك قال الثوري رحمه الله إذا رأيت العالم كثير الأصدقاء فاعلم أنه غلط لأن إن نطق بالحق أبغضوه .

(بيان القدر المحمود من العلوم المحموده)

اعلم أن العلم بهذا الاعتبار ثلاثة أقسام قسم هو ممنوم قليل وكثيره وقسم هو محمود قليله وكثيره وكلما كان أكثر كان أحسن وأفضل وقسم محمده من مقدار الكفاية ولا يحمل الفاضل عليه والاستقصاء فيه ، وهو مثل أحوال البدن فإن منها ما يعمد عليه وكثيره كالصحة والجمال ، ومنها ما يمد قليله وكثيره كالنصح وسوء الخلق ، ومنها ما يعمد الاقتصاد فيه كبذل المال فإن التبذير لا يعمد فيه وهو بذل وكالشجاعة فإن التهور لا يعمد فيها وإن كان من جنس الشجاعة فذلك العلم . فالقسم للمنوم منه قليله وكثيره هو ما لا فائدة فيه في دين ولا دنيا إذ فيه ضرر ينطب فيه كعلم السحر والطلقات والنجوم فضله لا فائدة فيه أصلا وصرف العمر الذي هو أنفس ما يمسكه الإنسان إليه وإضاعة النفس ممنومة ومنه ما فيه ضرر يزيد على ما يظن أنه يحصل به من قضاء وطرفي الدنيا فإن ذلك لا يستد به بالإضافة إلى الضرر الحاصل عنه . وأما القسم المحمود إلى أقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وسننه في خلقه وحكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا ، فإن هذا علم مطلوب لذاته وللتوصل به إلى سعادة الآخرة وبذل للقدور فيه إلى أقصى الجهد قصور عن حد الواجب فإنه البحر الذي لا يدرك غوره وإنما يحوم الحائمون على سواحله وأطرافه بقدر ما يبر لهم وما خاض أطرافه إلا الأنبياء والأولياء والراسخون في العلم على اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف قوتهم وتفاوت تقدير الله تعالى في قوتهم وهذا هو العلم للكون الذي لا يسطر في الكتب وبين على التنبه التعلم ومشاهدة أحوال علماء الآخرة كما سيأتي علامتهم هذا في أول الأمر وبين عليه في الآخرة المجاهدة والرياسة وتصفية القلب وتزويده عن علائق الدنيا والتشبه فيها بالأنبياء والأولياء ليتضع منه لكل ساع إلى طلبه بقدر الرزق لا بقدر الجهد ولكن لا غنى فيه عن الاجتهاد فالمجاهدة مفتاح الهداية لا مفتاح لها سواها . وأما العلوم التي لا يعمد منها إلا بمقدار الاستعداد بخصوص فهي العلوم التي أوردناها في فروع الكفايات فإن كل علم منها اقتضارا وهو الأقل واقتصادا وهو الوسط واستقصاء ورام ذلك الاقتصاد لمرده إلى آخر العمر فكن أحد رجلين إما مشغولا بنفسك وإما متفرغا لغيرك بعد الفراغ من نفسك وإياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل إصلاح نفسك ، فإن كنت للشغول بنفسك فلا تشتغل إلا بالعلم الذي هو فرض عليك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالأعمال الظاهرة من تعلم الصلاة والطهارة والصوم وإنما الأهم التي أمهله الشكل علم صفات القلب وما يعمد منها وما يندم إذ لا ينفع (١) حديث بدأ الإسلام غريبا الحديث مسلم من حديث أبي هريرة مختصرا وهو بتمامه عند الترمذي من حديث سمعرو بن عوف وحسنه (٢) حديث هم التمسكون بما أتهم عليه اليوم بقوله في وصف الفرقاء لم أر له أصلا (٣) حديث الفرقاء ناس قليلون صالحون أحمد من حديث عبدالله بن عمرو .

بأن موسى وعيسى عليهما السلام بالامام الغزالي وقال أفي أمثلكا جرحكنا قال لا وكان الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه يقول لأصحابه من كانت له منك إلى الله حاجة فليتوصل بالغزالي وقال جماعة من العلماء رضى الله عنهم منهم الشيخ الامام الحافظ ابن عساکر في الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم في أن الله تعالى يحدث لهنه الأمه من عباد لهادينها على رأس كل مائة سنة أنه كانت على رأس لثائة الأولى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وعلى رأس لثائة الثانية الامام الشافعي رضى الله عنه وعلى رأس لثائة الثالثة الامام أبو الحسن الأشعري رضى الله عنه وعلى رأس لثائة الرابعة أبو بكر الباقلاني رضى الله عنه وعلى رأس لثائة الخامسة أبو حامد الغزالي رضى الله عنه

بشر عن الصفات المسمومة مثل الجحش والحسد والراء والكبر والعجب وأخواتها وجميع ذلك مهلكات وإجلالها من الواجبات مع أن الاشتغال بالأعمال الظاهرة ينافي الاشتغال بطلاء ظاهر البدن عند التأذي بالجرب والسمايل والتهاون بإخراج المادة بالقصد والاسهال وحشوية العلماء يتبرون بالأعمال الظاهرة كما يشير الطريقة من الأطباء بطلاء ظاهر البدن وعلماء الآخرة لا يشربون إلا بتطهير الباطن وقطع مواد الشر بافساد منابتها وقطع مغارسها من القلب وإنما فرع الأكثرون إلى الأعمال الظاهرة عن تطهير القلوب بسهولة أعمال الجوارح واستعجاب أعمال القلوب كما يفرغ إلى طلاء الظاهر من يستعصب شرب الأدوية للمرة فلا يزال يتصفق الطلاء ويزيد للواد وتتضاعف به الأمراض فإن كنت مرهبا من الآخرة وطالبا للنجاة وهاربا من الهلاك الأبدى فاشتغل بلم الملل الباطنة وعلاجها على ما نصلا في ربيع الهلكات ثم يتجر بك ذلك إلى القامات المحمودة المذكورة في ربيع النجيات لا محالة فإن القلب إذا فرغ من اللغوم امتلأ بالمحمود والأرض إذا تحيت من الحشيش نبت فيها أصناف الزرع والرياحين وإن تفرغ من ذلك لم تنبت ذلك فلا تشتغل بفروض الكفاية لاسيا وفي زمرة الخلق من قدمها به فإن مهلك نفسه قيا به صلاح غيره فما أشد حماقة من دخلت الأفاعي والمقارب تحت ثيابه ومعت بقله وهو يطلب مذبة يدفع بها اللباب عن غيره بمن لا يفيقه ولا ينجي بما يلاقيه من تلك الحيات والمقارب إذا همت به وإن تفرغت من نفسك وتطهرها وقدرت على ترك ظاهر الأمر باطنه وصار ذلك ديدنا لك وعادة متيسرة فيك وما أهد ذلك منك فاشتغل بفروض الكفايات وراع التدرج فيها فابتدئ بكتاب الله تعالى ثم بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم بعلم التفسير وسائر علوم القرآن ثم علم الناسخ والمنسوخ والفصول والموصول والمحكم والمتنوع وكذلك في السنن ثم اشتغل بالقرع وهو علم للذهب من علم الفقه دون الخلاف ثم بأصول الفقه وهكذا إلى بقية العلوم على ما يتسع له العمر ويساعد فيه الوقت ولا تستغرق عمرك في فن واحد منها طلبا للاستقصاء فإن العلم كثير والعمر قصير وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطلوبة لنهايتها بل لغيرها وكل ما يطلب لغيره فلا ينبغي أن ينسب فيه العلوب ويستكثر منه فاتصم من شائع علم اللغة على ما تفهم منه كلام العرب وتتعلق به ومن غريبه على غريب القرآن وغريب الحديث ودع التعمق فيه واقتصر من النحو على ما يتعلق بالكتاب والسنة فسامن علم الإلوه اقتصار واقتصاد واستقصاء ونحن نشير إليها في الحديث والتفسير والفقه والكلام لقميس بها غيرها فالإقتصار في التفسير ما يبلغ نصف القرآن في المقدار كما صنفه على الواحدى النيسابورى وهو الوجيز والاقتصاد ما يبلغ ثلاثة أضعاف القرآن كما صنفه من الوسيط فيه وما وراء ذلك استقصاء مستغنى عنه فلا مرده إلى انتهاء العمر وأما الحديث فالإقتصار فيه تحصيل ما فى الصحيحين بتصحيح نسخته على رجل خير يعلم متن الحديث وأما حفظ أسامى الرجال فقد كفت فيه بما تحمله منك من قبلك ولك أن تقول على كتبهم وليس يلزمك حفظ متون الصحيحين ولكن تحمله تحصيلاً تقدر منه على طلب ما تحتاج إليه عند الحاجة وأما الاقتصاد فيه فأن تصنف إليهما ما خرج عنهما مما ورد في السننات الصحيحة وأما الاستقصاء فما وراء ذلك إلى استيعاب كل ما نقل من الضعيف والقوى والصحيح والسقيم معرفة الطرق العكسكية في النقل ومعرفة أحوال الرجال وأسمائهم وأوصافهم وأما الفقه فالإقتصار فيه على ما يحويه مختصر للزريح رحمه الله وهو الذى رتبناه في خلاصة المختصر والاقتصاد فيه ما يبلغ ثلاثة أمثاله وهو القدر الذى أوردناه فى الوسيط من للذهب والاستقصاء ما أوردناه فى البسيط إلى ما وراء ذلك من اللطولات وأما الكلام فمفسرود حماية للتعذبات اتقى قلها أهل السنن السلف الصالح لا غير وما وراء ذلك طلب لكشف

روى ذلك عن الأمام
أحمد بن حنبل رضى
الله عنه فى الامامين
الأولين أعنى عمر بن
عبد العزيز والشافعى
ومناقبه رضى الله عنه
أكثر من أن نحصر
وفى أوردناه مقنع
وبلاغ ومن مشهورات
مصنفاته البسيط
والوسيط والوجيز
والخلاصة فى الفقه
وإحياء علوم الدين
وهو من أفس
الكتب وأجلها وفى
أصول الفقه للمستصنى
والنحو واللتلج
فى علم الجدل ونهايات
الفلاسفة وعلم الناظر
ومعيار العلم والمقاصد
وللفنون به على غير
أهله ومشكاة الأنوار
وللتقد من الضلال
وحقيقة القولين
وكتابات ياقوت التآويل
فى تفسير التنزيل
أربعين مجلداً وكتاب
أسرار علم الدين
وكتاب مناجى العابدین
والهجرة الفاخرة فى
كشف علوم الآخرة
وكتاب الأنيس فى
الوحد وكتاب القرية
إلى الله عز وجل

وكتاب أخلاق الأبرار
والنجاح من الأشرار
وكتاب بداية الهداية
وكتاب جواهر القرآن
والأربعين في أصول
الدين وكتاب القصد
الأسنى في شرح أسماء
الله الحسنى وكتاب
ميزان العمل وكتاب
الستاس السقيم
وكتاب الفرق بين
الاسلام والزندقة
وكتاب الدرية إلى
مكارم التربة وكتاب
المبادئ والغايات وكتاب
كيميا السعادة وكتاب
تبليص إبليس وكتاب
نصيحة للولك وكتاب
الاقتصاد في الاعتقاد
وكتاب شفاء العليل
في القياس والتعليل
وكتاب المقاصد وكتاب
الجامع للمواعظ عن علم
السلام وكتاب
الاتصار وكتاب الرسالة
الدينية وكتاب الرسالة
القسمية وكتاب
اثبات النظر وكتاب
للتأخذ وكتاب القول
الجميل في الرد على من
غير الانجيل وكتاب
المنظري وكتاب
الأمال وكتاب في علم
أعداد الوفاق وحجوده

حقائق الأمور من غير طريقها ومقصود حفظ السنة تحصيل رتبة الاقتصاد منه بمقتضى مختصر
وهو القدر الذى أوردناه في كتاب قواعد العقائد من جملة هذا الكتاب والاقتصاد فيه ما ياتى قدر
مائة ورقة وهو الذى أوردناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد ويحتاج إليه المناظر مبتدع ومعارض
بدته بما يفسدها وينزعها عن قلب العامى وذلك لا ينفع إلا مع الوالم قبل اشتداد تعصبهم وأما
المتبع بعد أن يعلم من الجدل ولو شيئاً يسيراً قلنا ينفع منه الكلام فانك إن أضمت له لمترك مذهبه
وأحال بالقصور على نفسه وقدر أن عند غيره جواباً وهو عاجز عنه وإنما أنت ملبس عليه بقوة
المجادلة وأما العامى إذا صرف عن الحق بنوع جدل يمكن أن يرد إليه بثله قبل أن يشتد التعصب
للأهواء فإذا اشتد تعصبهم وقع اليأس منهم إذ التعصب سبب يرسخ العقائد في النفوس وهو من
آفات الغلاء السوء فانهم يبالغون في التعصب للحق وينظرون إلى المخالفين بعين ازدراء والاستخار
فتنبث منهم الدعوى بالمكافأة والمقابلة والماملة وتوفر بواعثهم على طلب نصرة الباطل ويقوى
غرضهم في التمسك بما نسبوا إليه ولو جاهدوا من جانب اللطف والرحمة والنصح في الحجة لا في معرض
التعصب والتحقير لا ينجحوا فيه ولكن لما كان الجاه لا يقوم إلا بالاستتباع ولا يستعمل الأتباع مثل
التعصب والعن والشتم للخصوم اتخذوا التعصب عادتهم وآلهم وسجوه ذبا عن الدين ونضالا عن
المسلمين وفيه على التحقيق هلاك الخلق وروسخ البدعة في النفوس . وأما الخلافات التى أحدثت في
هذه الأعصار للتأخرة وأبدع فيها من التحريات والتصنيفات والمجادلات المأهولة مثلاً في السلف
فاليك وأن نحوم حولها واجتنبنا اجتناب السم القاتل فانها الداء العضال وهو الذى رد الفقهاء كلهم إلى
طلب المنافسة والمباهاة في ما سيأتىك تفصيل غوائلها وآفاتنا وهذا الكلام ربما يسمع من قائله
فقال الناس أعداء ما جهلوا فلا تظن ذلك ضل الخبير سقطت فاقبل هذه النصيحة بمن ضيع العمر
فيه زماناً وزاد فيه على الأولين تصنيفاً وتحقيقاً وجدلا وبياناً ثم ألهه الله رشده وأطلعه على عيبه فمجره
واشتغل بنفسه فلا يعرف أنك قول من يقول الفتوى عماد الشرع ولا يعرف علله إلا بجم الخلاف فان
علل المذهب المذكورة في الذهب والزيادة عليها بمجادلات لم يعرفها الأولون ولا الصحابة وكانوا أعلم
بطل الفتاوى من غيرهم بل هى مع أنها غير مفيدة في علم للذهب ضارة مفسدة لتدوق الفقه فان الذى
يشهد له حدس للمفق إذا صبح ذوقه في الفقه لا يمكن عشيته على شروط الجدل في أكثر الأمر فمن
ألف طبعه رسوم الجدل أذعن ذهنه لمقتضيات الجدل وجبن عن الاذعان للدوق الفقه وإنما يشتغل
به من يشتغل لطلب الصيت والجاه ويتعلل بأنه يطلب علل للذهب وقد ينقض عليه العمر ولا
تصرف همه إلى علم للذهب فكأن من شياطين الجن في أمان واحترز من شياطين الانس فانهم
أراحوا شياطين الجن من التعب في الاغواء والاضلال وبالجملة فالمرضى عند السقاء أن تقدر
نفسك في العالم وحسبك مع الله وبين يديك الموت والمرض والحساب والمجنة والنار وتأمل فيما
يعينك مما بين يديك ودع عنك ما سواه والسلام وقد رأى بعض الشيوخ بعض الضال في المنام
فقال له ما خبر تلك الصلوات التى كنت تجادل فيها وتناظر عليها فبسط يده وضع فيها وقال
طاحت كلها هباء منثوراً وما انتفعت إلا بركتين خصلتا في جوف الليل وفي الحديث « ماض
قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل^(١) » ثم قرأ حاضريه ذلك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون -
وفي الحديث في معنى قوله تعالى - فأما الذين في قلوبهم زيغ - الآية « هم أهل الجدل الذين عنانهم
(١) حديث ماض قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل الترمذى وابن ماجه من حديث أبى
أمامة قال الترمذى حسن صحيح .

أنه بقوله تعالى فاحذروهم (١) » وقال بعض السلف يكون في آخر الزمان قوم يوافقونهم بآب العمل وينتج بهم لبم الجدل وفي بعض الأخبار « إنكم في زمان ألهمتم فيه العمل وسبأني قوم يلهمون الجدل (٢) » وفي الخبر المشهور « أبيض الحق إلى الله تعالى ألله الحسم (٣) » وفي الخبر « ما أوفى قوم للنطق إلا منوا العمل (٤) » والله أعلم .

(الباب الرابع في سبب إقبال الخلق على علم الخلاف وتصيل

آفات للنظر والجدل وشروط إيجابها)

اعلم أن الخلاف بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تولاهما الخلفاء الراشدون المهديون وكانوا أئمة علماء بالله تعالى فقهاء في أحكامه وكانوا مستقلين بالفتاوى في الأقضية فكانوا لا يستعينون بالفقهاء إلا نادراً وفي واقع لا يستغنى فيه عن المشاورة فتفرغ العلماء لطلب الآخرة وتعمدوا لها وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق بأحكام الخلق من الدنيا وأقبلوا على الله تعالى بكنه اجتهادهم كما قيل من سيرهم فلما أخذت الخلاف يدهم إلى أقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعم الفتاوى والأحكام اضطروا إلى الاستعانة بالفقهاء وإلى استصحابهم في جميع أحوالهم لاستنتاجهم في مجاري أحكامهم وكان قد بقي من علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الأول وملازم صفو الدين ومواظب على صمت علماء السلف فكانوا إذا طلبوا هربوا وأعرضوا فاضطر الخلفاء إلى الإلحاح في طلبهم لتولية القضاء والحكومات فرأى أهل تلك الأعصار عز العلماء وإقبال الأئمة والولاية عليهم مع إعراضهم عنهم فاشترأوا لطلب العلم توصلوا إلى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة فأكبوا على علم الفتاوى وعرضوا أنفسهم على الولاة وقرعوا إليهم وطلبوا الولايات والصلات منهم فبهم من حرم ومنهم من أبغى والتجسج لم يخل من ذلك الطلب ومهانة الانبذال فأصبح الفقهاء بعد أن كانوا مطلوبين طالبيين وبسبب أن كانوا أعزة بالأعراض عن السلاطين أذلة بالأقبال عليهم إلا من وقفه الله تعالى في كل عصر من علماء دين الله وقد كان أكثر الأقبال في تلك الأعصار على علم الفتاوى والأقضية لشدة الحاجة إليها في الولايات والحكومات . ثم ظهر بعدهم من الصدور والأمراء من يسع مقالات الناس في قواعد العقائد ومالت نفسه إلى سماع الحجج فيها فطلعت رغبته إلى المناظرة والمجادلة في الكلام فأكب الناس على علم الكلام وأكثروا فيه التصانيف ورتبوا طرق المجادلات واستخرجوا فادون المناقشات في المقالات وزعموا أن غرضهم الدب عن دين الله والنضال عن السنة وقمع المبتدعة كازعم من قبلهم أن غرضهم بالاعتغال بالفتاوى الدين وتقيد أحكام المسلمين إشفاقاً على خلق الله ونصيحة لهم . ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يتصوب الخوض في الكلام وقنع باب المناظرة فيه لما كان قد تولاه من فتح

بأبه من التصببات الفاحشة والخصومات القاسية للقضية إلى إهراق الدماء وتخريب البلاد ومالت نفسه إلى المناظرة في الفقه ويان الأولى من مذهب الشافعي وأبى حنيفة رضي الله عنهما على الخصوص ترك الناس الكلام وقفون العلم وانتالوا على للسائل الخلافية بين الشافعي وأبى حنيفة على الخصوص وتساهلوا في الخلاف مع مالك وسفيان وأحمد رحمهم الله تعالى وغيرهم وزعموا أن غرضهم استبساط دقائق الشرع وتقرير علل الذهب وتمهيد أصول الفتاوى وأكثروا فيها التصانيف والاستنباطات

(١) حديث هم أهل الجدل الذين عن الله بقوله فاحذروهم متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث إنكم في زمان ألهمتم فيه العمل وسبأني قوم يلهمون الجدل لم أجده (٣) حديث أبيض الحق إلى الله ألله الحسم متفق عليه من حديث عائشة (٤) حديث ما أوفى قوم للنطق إلا منوا العمل لم أجده أصلاً .

وكتاب مقصد الخلاف

وجزه في الرد على

المسكرين في بعض

ألفاظ إحياء علوم

الدين وكتبه كثيرة

وكأها ناضة . وقال

يخدح تلميذه الشيخ

الإمام أبو العباس

الأفندي المحدث

الصوفي صاحب كتاب

النجم والكوكب :

أياحمد أنت المخصص

بالمجد

وأنت الذي علمنا

سنة الرد

وضعت لنا الإحياء

تحيي نفوسنا

وتنقذنا من طاعة

التارغ الردى

فربع عبادات وعادته

التي

يأقها كالمر نظم

في العقد

ونالها في الهلكات

وأنه

لمنج من الهلك البرج

والبعد

ورأبها في التبعيات

وأنه

ليسرح بالأرواح

في جنتا الخلد

ومنها إبتاج للجوارح

ظاهر

ومنها صلاح للقلوب

من الحق

وأما سبب وجوعه
إلى هذه الطريقة
واستحسانه لها
فذكر رحمه الله
في كتابه للنقد من
الفساد ما صورته
أما بعد فقد سألتني
أيها الأخ في الدين
أن أثبت لك غاية
العلوم وأمرأها وغاية
الذاهب وأغوارها
وأحك لك ما قامته
في استخلاص الحق من
بين اضطراب الفرق
مع تباين السالك
والطريق وما استجرت
عليه من الارتفاع من
حضيض التقليد إلى
يقاع الاستبصار وما
استفدته أولا من علم
الكلام وما احتوته
من طرق أهل التعلم
الفاسرين لشرك الحق
على تعلم الامام وما
ازدريته ثائثا من طرق
أهل التألف وما
ارتشيتة آخر من طرق
أهل التصوف وما تحل
لي في تصاعيف فتيشي
عن أقاويل أهل الحق
وما صرفني عن نشر العلم
يشداد مع كثرة الطلبة
وما دعاني إلى معاودته
بنيسابور بعد طول

ورتبوا فيها أنواع المجادلات والتصنيفات ولم يستمروا عليه إلى الآن ولنا ندرى ما الذي يحدث
الله فينا بعدنا من الأعمار فهذا هو الباعث على الإكباب على الخلافات والنظرات لا غير ولومات
شوس أرباب الدنيا إلى الخلاف مع إمام آخر من الأئمة أو إلى علم آخر من العلوم لئلا يفتنوا
ولم يسكتوا عن التلبس بأن ما شغلوا به هو علم الدين وأن لا مطلب لهم سوى التقرب إلى رب العالمين .

(بيان التلبس في تشبيهه للنظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف)

اعلم أن هؤلاء قد يستدرجون الناس إلى ذلك بأن غرضنا من النظرات المباحة عن الحق ليتضح
أن الحق مطلوب والتعاون على النظر في العلم وتوارد الخواطر مفيد ومؤثر هكذا كان عادة الصحابة
رضي الله عنهم في مشاوراتهم كشاورهم في مسألة الجدة والاخوة وحد شرب الخمر وجوب الترم على
الإمام إذا أخطأ كما نقل من إجماع الراية جنيها خوفا من عمر رضي الله عنه وكما نقل من مسائل
الفرائض وغيرها وما نقل عن الشافعي وأحمد ومحمد بن الحسن ومالك وأبي يوسف وغيرهم من العلماء
رحمهم الله تعالى ويطلبك على هذا التلبس ما أذكره وهو أن التعاون على طلب الحق من الدين
ولكن له شروط وعلامات ثمان : الأول أن لا يشتغل : وهو من فروض الكفايات من لم يفرغ
من فروض الأعيان ومن عليه فرض عين فاشتغل بفرض كفاية وزعم أن مقصده الحق فهو
كذاب ومثاله من ترك الصلاة في نفسه ويحرف في تحصيل الثياب وتسجها ويقول فرضي أسرعورة
من يصلي صليانا ولا يجد ثوبا فان ذلك ربما يتفق ووقعه يمكن كما يزعم الفقيه أن وقوع النوادر
ألقى عنها البحث في الخلاف يمكن والمشتغلون بالنظرة مهملون لأمر هي فرض عين بالاتفاق ومن
توجه عليه رد ودعوى في الحال قام وأحرم الصلاة التي هي أقرب القربات إلى الله تعالى على غفلا بكني
في كون الشخص مطعما كون ضله من جنس الطاعات مالم يراع فيه الوقت والشروط والترتيب . الثاني
أن لا يرى فرض كفاية أهم من النظرة فإن رأى ما هو أهم وفعل غيره عصى بطله وكان مثاله مثال
من يرى جماعة من المطاش أشرفوا على الهلاك وقد أهملهم الناس وهو قادر على إحيائهم بأن يسقيهم
الماء فاشتغل بتعلم الحجامة وزعم أنهم فروض الكفايات ولو خلا البلد عنها لهلك الناس وإذا قيل
له في البلد جماعة من الحجابيين وفيهم غنية فيقول هذا لا يخرج هذا الفعل عن كونه فرض كفاية
فحال من يفعل هذا ويهمل الاشتغال بالواقعة لليلة بجماعة المطاش من المسلمين كحال المشتغل بالنظرة
وفي البلد فروض كفايات مهمة لا قائم بها . فأما الفتوى فقد قام بها جماعة ولا يخلو بل من جملة الفروض
المهمة ولا يلتفت الفقهاء إليها وأقرها الطب إذ لا يوجد في أكثر البلاد طبيب مسلم يجوز اعتداد
شهادته فيما يعول فيه على قول الطبيب شرطا ولا يرغب أحد من المتأخرين في الاشتغال به وكذا الأمر
بالمرء والهي عن النكر فهو من فروض الكفايات وربما يكون للنظر في مجلس مناظرته
مشاهدا للحريز مليوسا ومغروها وهو ساكت وينظر في مسألة لا يتفق وقوعها قط وإن وقت قام
بها جماعة من الفقهاء . ثم يزعم أنه يريد أن يتقرب إلى الله تعالى بفروض الكفايات وقد روى
أنس رضي الله عنه أنه « قيل يا رسول الله متى ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال عليه
السلام إذا ظهرت للمداهنة في خياركم والفاحة في شراركم وتحول للملك في منازكهم والفتنة في أراذلهم (١) »
الثالث أن يكون الناظر مجتهدا يفتي برأيه لا يذهب الشافعي وأبي حنيفة وغيرهما حتى إذا ظهر الحق

(الباب الرابع)

(١) حديث أنس قيل يا رسول الله متى ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الحديث ابن ماجه
بإسناد حسن

من مذهب أبي حنيفة ترك ما وافق رأى الشافعي وأخفى عما ظهر له كما كان يفعل الصحابة رضي الله عنهم والأئمة فأما من ليس له رتبة الاجتهاد وهو من كل أدل النصارى وإنما بقي فيها يسئل عنه ناقلًا عن مذهب صاحبه فلا يظهر له حذف مذهبه لم يحز له أن يتركه فأقوى فائدة له في المناظرة ومذهبه معلوم وليس له القدرى يغيره وما يشكل عليه يأتمره أن يقول له عند صاحب مذهبه جوابا عن هذا فاقى لست مستقلا بالاجتهاد في أصل التبرع ولو كانت مباحثته عن المسائل التي فيها وجها أو قولان لصاحبه لكان أشبه به فانه ربما بقي بأحدهما فيستفيد من البحث ميلا إلى أحد الجانبين ولا يرى للمناظرات جارا فيها خط بل ربما ترك المسئلة التي فيها وجها أو قولان وطلب مسئلة يكون الخلاف فيها متروكا . الرابع أن لا يناظر إلا في مسئلة واحدة أو قسمة الوقوع غالبانان الصحابة قرئ الله عنهم ما تناشروا وإفيا تجمدون الوقائع أو ما ينقلب وقوعه كالقراض ولا ترى المناظرين يهتمون باتخاذ المسائل التي تم البايوى فالتوى فيها بل يطلبون الطويلات التي تسمع فيسبح مجال الجدل فيها كفيها كان الأمر وربما يتركون ما يكثر وقوعه ويقولون هذه مسئلة خيرة أو هي من الزوايا وليست من الطويلات فمن العجاف أن يكون للطلب هو الحق ثم يتركون للسئلة لأخبارهم يومدرك في فيها هو الاخبار أولانها ليست من الطويل فلا تطول فيها الكلام . وللصوفي الحق أن يقصر الكلام ويصاغ القاية على القرب لا أن يطول . الخامس أن تكون المناظرة في الخاتمة أحب إليهم من الماهل وبين أظهر الأكابر والسلاطين فان الخاتمة أجمع لفهم وأحرى بصفاء الذهن والفكر ودرك الحق وفي حضور الجميع ما يحرك دواعي الرياء ويوجب الحرص على نصرته كل واحد نفسه محمدا أو مبطلا وأنت تعلم أن حرصهم على الماهل والمجامع ليس لله وأن الواحد منهم يخلو بصاحبه مدة طويلة فلا يكلمه وربما يقترح عليه فلا يجب وإذا ظهر مقدم أو اتظم جمع لم يناد في قوس الاحتياط المنزعا حتى يكون هو للتخصيص بالكلام . السادس أن يكون في طلب الحق كئيدة مالة لا يفرق بين أن تظهر المسئلة قبله أو على يد من يماونه ويرى رفيقه معينا لاضحا ويشكره إذا صرعه الخطأ وأظهر له الحق كما لو أخذ طريقا في طلب ماله فذهب صاحبه على ضلالتة في طريق آخر فانه كان يشكره ولا يذم ويكرمه ويفرح به فهكذا كانت مشاورات الصحابة رضي الله عنهم حتى إن امرأة ردت على عمر رضي الله عنه ونهته على الحق وهو في خطبته على ملا من الناس فقال أصابت امرأة وأخطأ رجل . وسأل رجل عليا رضي الله عنه فأجاب به فقال ليس كذلك يا أمير المؤمنين ولكن كذا وكذا فقال أصبت وأخطأت وفوق كل ذي علم عليم . واستدرك ابن مسعود على أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما فقال أبو موسى لتسألوني عن شيء وهذا الخبر بين أظهركم وذلك لماسئل أبو موسى عن رجل قاتل في سبيل الله قتل فقال هو في الجنة وكان أمير الكوفة فقام ابن مسعود فقال أعد له الأمير قلعه لم يفرغ فأعادوا عليه فأعاد الجواب فقال ابن مسعود وأنا أقول إن قتل فأصاب الحق فهو في الجنة فقال أبو موسى الحق ما قال وهكذا يكون إنصاف طالب الحق ولو ذكر مثل هذا الآن لأقل قلبه لأنكره واستخدم وقال لا يحتاج إلى أن يقال أصاب الحق فان ذلك معلوم لكل أحد فانظر إلى مناظري زمانك اليوم وكيف يسود وجه أحدهم إذا اتضح الحق على لسان خصمه وكيف يجبل به وكيف يجتهد في مجادته بأقصى قدرته وكيف يذم من أخفه طول عمره ثم لا يستجحي من تشبهه نفسه بالصحابة رضي الله عنهم في تمازجهم على النظر في الحق . السابع أن لا يمنع معينه في النظر من الانتقال من دليل إلى دليل ومن إشكال إلى إشكال فهكذا كانت مناظرات السلف ويخرج من كلامه جميع دقائق الجدل المبتدعة فيها له وعليه كقول هذا لا يلزمي ذكره وهذا يناقض كلامك الأول فلا يقبل منك فان الرجوع إلى الحق مناقض للباطل ويجب قبوله وأنت

لله فابدرت لاجابتك إلى طلبك بهذا الوقوف على صدق رغبتك فقلت مستعينا بالله فقلنا ومتوكلا عليه ومستوقفا منه وملتبجا إليه اعدوا أحسن الله ارشادكم ولأن إلى قبول الحق اشتباكم أن اختلاف الحق في الأديان ولللهم اختلاف الأئمة في الفذهب على كثرة الفرق وتباين الطرق بحر عميق فخرق فيه الأكثرون وما يماجم منه الأقاليم وكل فريق يزعم أنه الناجي كل حزب بما له هم فروح ولم أزل في عنوان شياي مذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين إلى أن أفاء السن على التحسين أتتكم لجة البحر العتيق وأخوض غمرته خوض الجصور لاخوض الجبان الحذور وأتوغل في كل مظلة وأهجم على كل مشكلة وأتضم كل ورة وأتضم عن غيبدة كل فرقة وأتكشف أسرار

مذاهب كل طائفة
 لأمر بين كل حق
 ومبطل ومستن
 ومبتدع لأفاد باطنيا
 إلا وأحب أن أطلع
 على باطنية ولاظهاريا
 إلا وأريد أن أعلم
 حاصل ظاهرية ولا
 فلسفيا إلا وأقصد
 الوقوف على فلسفة
 ولا متكلما إلا وأجتهد
 في الاطلاع على غاية
 كلامه ومجادلته ولا
 صوفيا إلا وأحرص
 على الثور على سر
 صوفيته ولا متعبدا
 إلا وأريد ما يرجع
 إليه حاصل عبادته ولا
 زنديقا مطلقا إلا
 وأتخس وراءه للثبته
 لأسباب جبراته في
 تعطيله وزندقته وقد
 كان التعطش إلى حركه
 حقائق الأمور ذاتي
 وديني من أول
 أمري وريهان عمري
 غريزة من الله وفطرة
 وضعا لله في جبلي
 لا باختيارى وحيثي
 حتى انحلت عن رابطة
 التقليد وانكسرت
 على العقائد الروية
 على قرب عهد مني
 بلصيا إن رأيت صيان

تري أن جميع الجبال تنفض في الدافعات والمجالات حتى يفيض للسندل على أصل بقعة ينظرها يقال
 له ما الدليل على أن الحكم في الأصل مسل بهذه العلة فيقول هذا ماظهر لي فان ظهر لك ما هو أوضح
 منه وأولى فاذكره حتى أنظر فيه فيصر للعرض ويقول فيه معان سوى ما ذكرته وقد عرفت ولا
 أذكرها إذ لا يلزم ذكرها ويقول السندل عليك إيراد ما تدعي وراء هذا ويصر للعرض على
 أنه لا يلزم ويتوخي مجالس المناظرة بهذا الجنس من السؤال وأمثاله ولا يعرف هذا للمكئين أن قوله
 في أعرفه ولا أذكره إذ لا يلزم كذب على الشرع فانه إن كان لا يعرف معناه وإنما يدعيه ليحجز
 خصمه فهو فاسق كذاب عصي الله تعالى وتعرض لسخطه بدعواه معرفة هو خال عنها وإن كان
 صادقا فقد فسق باخفائه ماعرفه من أمر الشرع وقد ساء أخوه السلم ليفهمه وينظر فيه فان كان قويا
 رجع إليه وإن كان ضعيفا أظهر له ضعفه وأخرجه عن ظلة الجهل إلى نور العلم ولا خلاف أن إظهار
 ما علم من علوم الدين بعد السؤال عنه واجب لازم فمضى قوله لا يلزم أي شرع الجدل الذي أبدعناه
 بحكم التنصيص والرغبة في طريق الاختيار للصراحة بالكلام لا يلزم وإلا فهو لازم للصرع فانه بما تنصت
 عن الذكر إما كاذب وإما فاسق فتخصص عن مشاورات الصحابة ومقاولات السلف رضي الله عنهم
 هل سمعت فيها ما يضاهي هذا الجنس وهل يمنع أحد من الانتقال من دليل إلى دليل ومن قياس إلى أثر
 ومن خبر إلى آية بل جميع مناظراتهم من هذا الجنس إذ كانوا يذكرون كل ما غطرت لهم كما يخطر
 وكانوا ينظرون فيه . الثامن أن يناظر من يتوقع الاستفادة منه بمن هو مشغل بالعلم والقاب أنهم
 يحتززون من مناظرة الجحول والأكابرة خوفا من ظهور الحق على ألسنتهم فيربغون فيمن دونهم طعنا
 في ترويج الباطل عليهم ووراء هذه شروط دقيقة كثيرة . ولكن في هذه الشروط الثمانية ما يهديك إلى
 من يناظره ومن يناظر لعله . وأعلم بالجملة أن من لا يناظر الشيطان وهو مستول على قلبه وهو
 أعدى عدوه ولا يزال يدعو إلى هلاكه ثم يشتغل بمناظرة غيره في السائل التي المجتهد فيما يصيب
 أو ساسم للعصيب في الأجر فهو ضحكة للشيطان وعبرة للمخلصين ولذلك تمت الشيطان به لاغمسه
 فيه من ظلمات الآفات التي تعددها وتذكر خاصيلها فنسأل الله حسن المون والتوفيق .

(بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق)

أعلم وتحقق أن المناظرة للوضوعة قصد الغلبة والافحام وإظهار الفضل والشرف والتشقق عند الناس
 وقصد البهاة والعمارة وإسبالة وجوه الناس هي منبع جميع الأخلاق النعمية عند الله الممودة عند
 عذو الله إبليس ونسبتها إلى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب والحسد والنافسة وتزكية النفس
 وحب الجاه وغيره كما كتبه شرب الحجر إلى الفواحش الظاهرة من الزنا والقتل والسرقة وكما
 أن الذي خير بين الشرب وسائر الفواحش استصغر الشرب فأقدم عليه فدعا ذلك إلى ارتكاب بقية
 الفواحش في سكره فكان ذلك من غلب عليه حب الافحام والغلبة في المناظرة وطلب الجاه والبهاة
 دعا ذلك إلى إضمار الحباث كلها في النفس وهيج فيه جميع الأخلاق النعمية وهذه الأخلاق
 ستأتي أكلة منبتها من الأخبار والآيات في ربيع الهللكات ولكننا نشير الآن إلى جامع ما يهيج
 للمناظرة فيها الحسد . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل
 النار الحطب » (١) ولا ينفك الناظر عن الحسد فانه تارة يغلب وتارة يظلم وتارة يحمده كلامه وأخرى
 يحمده كلام غيره فإدام يبق في الدنيا واحد يذكر بقوة العلم والنظر أو يظن أنه أحسن منه كلاما
 (١) حديث الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أبو داود من حديث أبي هريرة وقال
 البخاري لا يصح وهو عند ابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف وفي تاريخ بغداد بسند حسن .

والأوى نظرا فلا بد أن يحصده ويحب زوال ألم عنه وانصراف الضارب والوجوه عنه إليه والجسد نار محرقة فمن يلبى به فهو في الضباب في الدنيا ولضباب الآخرة أشد وأعظم وقيل قال ابن عباس رضي الله عنهما خذوا العلم حيث وجدتموه ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم بل بعض فانهم يتنايرون كما تنايرون التوس في الزرية ومنها التكبر والترفع على الناس فقد قال صلى الله عليه وسلم « من تكبر وضعه الله ومن تواضعه الله »^(١) وقال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى « العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيما قصصته »^(٢) ولا ينفك الناظر عن التكبر على الأقران والأمثال والترفع إلى فوق قدره حتى إنهم ليتقاتلون على مجلس من المجالس يتنافسون فيه في الارتفاع والانخفاض والقرب من وسادة الصدر والبعد منها والتقدم في الدخول عند مضايق الطرق وربما يتعلل النبي والمكار الحذلع منهم بأنه يفي صيانة عز العالم « وأن المؤمن مني عن الإذلال لنفسه »^(٣) فيعبر عن التواضع الذي أنقذ الله عليه وسائر أنبيائه بالذل وعن التكبر الملقوت عند الله بمنزلة من عرفوا بالاسم وإسلا للخلق به كإفصل في اسم الحكمة والعلم وغيرها ومنها الحقد فلا يكاد الناظر يخلو عنه . وقد قال صلى الله عليه وسلم « للمؤمن ليس عقود »^(٤) وورد في ذم الحقد ما لا يخفى ولا ترى منظارا بقدر على أن لا يضر حقدنا على من يحرك رأسه من كلام خصمه ويتوقف في كلامه فلا يقابله بحسن الاصناء بل يضطر إذا شاهد ذلك إلى إضمار الحقد وتزييته في نفسه وغاية تماسكه للاخفاء بالنفاق . ويشترع منه إلى الظاهر لاحاجة في غلب الأمر وكيف يفنك عن هذا ولا يتصور اتفاق جميع المستمعين على ترجيح كلامه واستحسان جميع أحواله في إيراد وإصداره بل لو صدر من خصمه أدنى سبب فيه قلبه بإزالة كلامه انقصر في صدره حقد لا يقبله مدى الدهر إلى آخر الأمر . ومنها التنية وقد شبهها الله بكل لينة ولا يزال الناظر مشابرا على كل لينة فانه لا ينفك عن حكاية كلام خصمه ومذمته وغاية تحفظه أن يصدق فيما يحكيه عليه ولا يكذب في الحسكية عنه فيحكي عنه لاحالة ما يدلك على تصور كلامه وعجزه وقصان فضله وهو التنية فأما الكذب فهتان وكذلك لا يقدر على أن يحفظ لسانه عن التعرض لمرض من يعرض من كلامه ويصفي إلى خصمه ويقبل عليه حتى ينسب إلى الجهل والحقاقة وقلة الفهم والبلاهة . ومنها تزكية النفس . قال الله تعالى - فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن أتقى - وقيل لحكما الصدق القبيح ؟ قال ثناء المرء على نفسه ولا يخلو الناظر من الثناء على نفسه بالقوة والقلية والتقصم بالفضل على الأقران ولا ينفك في أثناء المناظرة عن قوله لست بمن يخفى عليه أمثال هذه الأمور وأنا للفتن في العلوم والمستقل بالأصول وحفظ الأحاديث وغير ذلك مما يتمح به تارة على سبيل الصلف وتارة للحاجة إلى ترويح كلامه ومعلوم أن الصلف والتمح مذمومان شرعا وعقلا . ومنها التجسس وتتبع عورات الناس وقد قال تعالى - ولا تجسسوا - والناظر لا ينفك عن طلب عثرات أقرانه وتتبع عورات خصومه حتى إنه ليخبر بورود منظر إلى بلدته فيطلب من تخبر بواطن أحواله ويستخرج بالسؤال مقابحه حتى يسدده ذخيرة لنفسه في إفشاحه

(١) حديث من تكبر وضعه الله الحديث الخطيب من حديث عمر بساند صحيح وقال غريب من حديث الثوري وابن ماجه نحو من حديث أبي سعيد بسند حسن (٢) حديث الكبرياء ردائي والعظمة إزاري الحديث أبو داود وابن ماجه وابن حبان من حديث أبي هريرة وهو عند مسلم بلفظ الكبرياء رداؤه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد (٣) حديث نهى المؤمن عن إذلال نفسه الترمذي وصححه وابن ماجه من حديث حذيفة لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه (٤) حديث المؤمن ليس يحقود لم أقف على أصل .

النسارى لا يكون لهم شيء إلا على التصبر وميدان اليهود لا يكون لهم نفس إلا على اليهود وميدان الاسلام لا يكون لهم نفس إلا على الاسلام وصمت الحديث للرؤى عن النبي صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه » فحرك باطرا إلى طلب الفطرة الأصلية وحقيقة العقائد العارضة بتقليد الوالدین والأستاذین والتبني بين هذه التقاليد وأوائلها تلقينات وفي تميز الحق منها من الباطل الاختلافات قللت في نفس أولا إنما مطلوب العلم بحثا في الأمور ولا بد من طلب حقيقة العلم ما هي فظهر لي أن العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه للعلوم انكشافا لا يقي معه ريب ولا يقارنه إمكان الغلط كالهم ولا يتسع العقل لتقدير ذلك بل الأمان من الخطأ ينبغي أن يكون مقارنا للتعلم مقارنا لتوحيدي

وتحجبه إذا مست إليه حاجة حتى إنه يستخشف عن أحوال صباه وعن عيوب بدنه غصاة يستر على هفوة أو على عيب به من قرع أو غيره ثم إذا أحس بأذى غلبة من جهته عرض به إن كان متأسكا ويستحسن ذلك منه وبعد من لطائف التسبب ولا يتمتع عن الإفصاح به إن كان متبجحا بالسفاهة والاستهزاء كما حكى عن قوم من أكابر الناظرين للعدوين من فحولهم ومنها الفرص لسادة الناس والتمسارهم ومن لا يجب لأخيه السلم ما يجب لنفسه فهو بعيد من أخلاق المؤمنين فشكل من طلب الباهظة باظهار الفضل يسره لاجالة ما يسوء أقرانه وأشكاله الذين يسامونه بالفضل ويكون التباغض بينهم كإبين الضرائر فكما أن إحدى الضرائر إذا رأت صاحبها من بعيد ارتعدت فرفضها واصفروا فهاهنا ترى الناظر إذا رأى منظرًا تغير لونه واضطرب عليه فكره فكأنه يشاهد شيطانًا ماردا أو سبعًا ضارًا فأقبح الاستئناس والاسترواح الذي كان يجري بين علماء الدين عند العقائد وما قل عنهم من المؤاخذة والتناصر والتسامح في السراء والضراء حتى قال الشافعي رضي الله عنه العلم بين أهل الفضل والعقل والرحم متصل فلا أدري كيف يدعى الاقتداء بذهبه جماعة صار لهم بينهم عدو وقاطعة فهل يتصور أن ينسب الأنس بينهم مع طلب التلبه والباهظة هيئات وهايك بالشر شرًا أن يلزمك أخلاق المنافقين ويربك عن أخلاق المؤمنين وللتقين . ومنها النفاق فلا يحتاج إلى ذكر الشواهد في ذمه وهم مضطرون إليه فانهم يكون الحسوم وعبيهم وأشياعهم ولا يجدون بدا من التودد إليهم باللسان وإظهار الشوق والاعتداد بمكانهم وأحوالهم ويسلم ذلك الخاطب والمخاطب وكل من يسمع منهم أن ذلك كذب وزور ونفاق وفجور فانهم متوددون بالألسنة متباغضون بالقلوب نموذ بالله العظيم منه . قد قال صلى الله عليه وسلم « إنا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا في الأرحام لنعم الله عند ذلك فأصمهم وأعمى أبصارهم (١) » رواء الحسن وقد صمد ذلك بمشاهدة هذه الحالة . ومنها الاستكبار عن الحق وكراهته والحرص على الماراة فيه حتى إن أبض شيء إلى الناظر أن يظهر على لسان خصمه الحق ومهما ظهر تشر لجده وإنكاره بأقصى جهده وبذل غاية إمكانه في المخادعة والسكر والحيلة لدفه حتى تصير الماراة فيه عادة طبيعية فلا يسمع كلامًا إلا وينبعث من طبعه داعية الاعتراض عليه حتى يفلد ذلك على قلبه في أدلة القرآن وألفاظ الشرع فيضرب البعض منها بالبعض والمراء في مقابلة الباطل محذور إذ نذب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ترك المراء بالحق على الباطل قال صلى الله عليه وسلم « من ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتًا في ربض الجنة ومن ترك المراء وهو حق بنى الله له بيتًا في أعلى الجنة (٢) » وقد سوى الله تعالى بين من أقرى على الله كذبا وبين من كذب بالحق . فقال تعالى - ومن أظلم ممن أقرى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه - وقال تعالى - فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذا جاءه - ومنها الرياء وملاحظة الخلق والجهد في إسالة قلوبهم وصرف وجوهم . والرياء هو الله الضال الذي يدعو إلى أكبر الكبائر كسبا في كتاب الرياء والناظر لا يقصد إلا الظهور عند الخلق وانطلاق ألسنتهم بالثناء عليه فهذه عشر خصال من أمهات القواحش الباطنة سوى ما يتفق لغير المتماكين منهم من الحصاص المؤدى إلى الضرب والسك والطمع وتزييق التياب والأخذ باللعى وسب الوالدين وسمت الأستاذين والقذف الصريح فان أولئك

(١) حديث إذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب الحديث الطبراني من حديث سلمان بنسناد ضعيف (٢) حديث من ترك المراء وهو مبطل الحديث الترمذي وابن ماجه من حديث أنس مع اختلاف قال الترمذي حسن .

(الباب الخامس في آداب التعلم وللعلم)

أما للتعلم فأدابه ووظائفه الظاهرة كثيرة ولكن تنظم خارجها عشر جملة :

الوظيفة الأولى : تقدم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الأوصاف إذا علم عبادة القلب وصلاة السر وقرية الباطن إلى الله تعالى وكما لاتصح الصلاة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة إلا بتطهير الظاهر عن الأحداث والأخبار فكذلك لاتصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم إلا بعد طهارته عن خباثت الأخلاق وأنجاس الأوصاف قال صلى الله عليه وسلم « بنى الدين على النظافة »^(١) وهو كذلك باطنا وظاهرا قال الله تعالى - إنما للذين نجس - تنبيها للعقول على أن الطهارة والتجاسة غير مقصورة على الظواهر للدركة بالحس فالمشرك قد يكون نظيفا في الثوب مفسول البدن ولكنه نجس الجواهرى باطنه ملطخ بالجائبات والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب بالمعنى وخبائث صفات الباطن أم لا يجتنب فانها مع خبئها في الحال مملكت في لئال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لاتدخل لللائكة بيتا فيه كلب »^(٢) والقلب بيت هو منزل لللائكة ومهبط آروهم وعمل استقرارهم والصفات التي تشتعل غضب والسهوة والحقد والحسد والكبر والعجب وأخواتها كلاب ناجمة تأتي تدخله لللائكة وهو مشحون بالكلاب ونور العلم لا يقفده الله تعالى في القلب إلا بواسطة لللائكة - وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى إليه فإني أشاء - وهكذا ما يرسل من رحمة المومنين إلى القلوب إنما تتولاهم لللائكة التوكلون بها وهم للتدسون للطهرون للبرؤون من الصفات للنمو مات فلا يلاحظون إلا طيا ولا يعمرون عاينهم من خزائن رحمة الله لإطيا طاهرا ولست أقول للراد بل فقط البيت هو القلب وبالسكيب هو الغضب والصفات للمومة ولكن أقول هو تنبيه عليو فرق بين تغيير الظواهر إلى البواطن وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تغير الظواهر فشارك الباطنية بهذه الحقيقة فان هذه طريق الاعتبار وهو مسلك العلماء والأبرار إذ معنى الاعتبار أن يبر ما ذكر إلى غيره فلا يقتصر عليه كإبري الماقل مصيبة لغيره فيكون فيها له عبرة بأن يبر منها إلى التنبه لكونه أيضا عرضة للمصائب وكون الدنيا بصدد الانقلاب فصوره من غيره إلى نفسه ومن نفسه إلى أصل الدنيا عبرة محمودة فاعبر أنسا بضامن البيت الذي هو بناء الخلق إلى القلب الذي هو بيت من بناء الله تعالى ومن السكيب الذي ذم لصفته لا لصورته وهو ما فيه من سبقة ونجاسة إلى الروح السكيب وهي السبقة . واعلم أن القلب المشحون بالغضب والشره إلى الدنيا والتسكيب عليها والحرص على التزريق لأعراض الناس كلب في اللقي وقلب في الصورة فنور البصيرة يلاحظ للماني لا الصور والصور في هذا العالم قابلة على الماني وللماي باطنة وفيها في الآخرة تتبع الصور للماني وتقلب للماني فذلك يحشر كل شخص على صورته للعبودية « فيحشر للمزق لأعراض الناس كلبا ضاريا والشره إلى أمواليهم ذبا عاديا وللتكبر عليهم في صورة نجر وطالب الرياسة في صورة أسد »^(٣) وقد وردت بذلك الأخبار وشهدها الاعتبار عند ذوي البصائر والأبصار . فان قلت قلت من طالب ردى الأخلاق حصل العلوم فبها ما أبده عن العلم الحقيقي النافع

(الباب الخامس)

- (١) حديث بنى الدين على النظافة لاجدهم هكذا وفي الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة تنظفوا فان الاسلام نظف وللطبراني في الأوسط بسند ضعيف جدا من حديث ابن مسعود النظافة تدعو إلى الايمان
- (٢) حديث لاتدخل لللائكة بيتا فيه كلب متفق عليه من حديث أبي طلحة الأنصاري
- (٣) حديث حشر المزق لأعراض الناس في صورة كلب ضار الحديث العملي في التفسير من حديث البراء بسند ضعيف .

السهوة حيلة فيغيرها
عشيرة ضاربت شهوات
الدنيا تجاذبي بسبب
ميلها إلى اللعاب ومناهي
الإيمان ينادي الرحيل
الرحيل فلم يبق من
الصرى القليل وبين
يديك السفر الطويل
وجمع ما أنت فيه من
العمل رياء وتخييل
وإن لم تستد الآن
للاخرة ففي تستد
وإن لم تقطع الآن هذه
العلائق ففي تقطعها
فستد ذلك تنبت
الغربة وينجز الأمر
على الحرب والقراريم
يسود الشيطان ويقول
هذه حالة عارضة إليك
أن تطاوعها فانها
سريمة الزوال وإن
أذعن لها وتركت هذا
الجاه الطويل المريض
والشأن العظيم الخالي
عن التكدير والتنقيص
والأمر السالم الخالي
عن منازعة الحشوم
ربما التفت إليك فتمك
ولا تيسر لك العاودة
فلم أزل أردد بين
التجاذب بين شهوات
الدنيا والدواعي قريبا
من ستة أشهر وأولها
رجب من سنة ست

في الآخرة الجالب للمعادتة فان من أوائل ذلك العلم أن يظهر له أن العاصي موم قاتلة ماسكة وهل رأيت من يتناول سباع عليه بكونه سباعا قاتلا إنما الذي تسمه من الترمين حديث يلقونه بألسنتهم مرة ويردونه بتأويلهم أخرى وليس ذلك من العلم في شيء قال ابن مسعود رضى الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم نور ينفق في القلب ، وقال بعضهم إنما العلم الحسية لقوله تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - وكأنه أشار إلى أخص - تمرات العلم ولذلك قال بعض المحققين معنى قولهم تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا أن العلم أبي وامتنع علينا فلم تسكشف لاحقيقته وإنما حصل لنا حديثه وأنفاظه . فان قلت إنى أرى جماعة من العلماء الفقهاء المحققين برزوا في الفروع والأصول وعدوا من جملة الصالحين وأخلاصهم ذميمة لم يتطهروا منها . فيقال إذا عرفت مراتب العلوم وعرفت علم الآخرة استبان لك أن ما اشتغلوا به قليل الشأن من حيث كونه علما وإنما غناؤه من حيث كونه عملا لله تعالى إذا قصده الترتب إلى الله تعالى وقد سبقت إلى هذا إشارة وسأيتك فيه مزيد بيان وإيضاح إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثانية : أن يقلل علاقه من الاعتغال بالدنيا ويمدد عن الأهل والوطن فان الملائق شاةة وصارفة - وما جعل الله لرجل من دنيين في جوفه - ومهما توزعت الفكرة قصرت عن إدراك الحقائق ولذلك قيل العلم لا يسطيك بضه حتى تعطيه كلك فإذا أعطيتك كلك فأنت من عطائه إليك بضه على خطر والفكرة للوزع على أمور متفرقة بكمول تفرق ماؤه فنفتت الأرض بسفه واختطف الهواء بضه فلا يبقى منه ما يجمع ويبلغ الزدوع . الوظيفة الثالثة : أن لا يتسكير على العلم ولا يتأمر على التعلم بل يلقى إليه زمام أمره بالكيفية في كل ضصيل ويدعن لتسبيحه إذعات للريض الجاهل للطبيب للشفيق الحاذق وينبني أن يتواضع لعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته قال الشعي « صلى زيد بن ثابت على جنازة قهرت إليه بملته ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال زيد خلّ عنه يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن عباس : هكذا أمرنا أن نعمل بالعلماء والكبراء فقبل زيد ابن ثابت بده وقال هكذا أمرنا أن نعمل بأهل بيت نبينا ﷺ (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس من أخلاق المؤمنين الخلق إلا في طلب العلم (٢) » فلا ينبغي لطالب العلم أن يتسكير على التعلم ومن تسكيره على التعلم أن يستكشف عن الاستفادة الآمن للرموقين المشهورين وهو عين الحاجة فان العلم سبب النجاة والمعادة ومن يطلب مهرا من سبيع ضار يفترسه لم يفرق بين أن يرشده إلى الحرب مشهور أو خامل وضراوة سباع النار بالجهال بالله تعالى أشد من ضراوة كل سبيع فالحكمة ضالة المؤمن فيستمسكها حيث يظفر بها ويتقيد للتلن ساقها إليه كائنا من كان فذلك قيل :

العلم حرب لقتى للتمالى كالليل حرب للسكان العالي

فلا ينال العلم إلا بالتواضع وإلقاء السمع قال الله تعالى - إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد - ومعنى كونه ذا قلب أن يكون قابلا للعلم فهما ، ثم لا يمتنع القدرة على الفهم حتى يلقى السمع وهو شهيد حاضر القلب ليستقبل كل ما ألقى إليه بحسن الإسماء والفراعة والشكر والفرح وقبول النة فليكن للتعلم لعلمه كأرض دمنة نالت مطرا غزيرا فتسربت جميع أجزائها وأدعنت بالكيفية لقبوله ومهما أشار عليه للعلم بطريق في التعلم فليقلقه وليدع رأيه فان خطأ مرشده أضره لمن سواه

- (١) حديث أخذ ابن عباس بركاب زيد بن ثابت ، وقوله هكذا أمرنا أن نعمل بالعلماء الطبراني والحاكم والبيهقي في للدخل إلا أنهم قالوا هكذا فعل قال الحاكم صحيح الاسناد على شرط مسلم
- (٢) حديث ليس من أخلاق المؤمنين للقى إلا في طلب العلم ابن عدى من حديث معاذ وأبى أمامة بإسنادين ضعيفين .

وتمانين وأربائة وفي هذا الشر جاوز الأمر حد الاختيار إلى الاضططرار إذ قل الله على لسانى حتى اعتقل عن التدريس فكنت أجاهد نفسي أن أدرس يوما واحدا تطيبا للقلوب المختلفة إلى فكان لا ينطق لسانى بكلمة ولا أستطيعها ألبنة حتى أورت هذه العقلة في اللسان حزنا في القلب بطلت معقولة الهضم ومرى الطعام والشراب وكان لا تنساق إلى شربة ولا تهضم لي لقمة وتعنى ذلك إلى ضعف القوى حتى قطع الأطباء طعمهم في الملاج وقالوا هذا أمر نزل بالقلب ومنه سرى إلى المزاج فلا سبيل إليه بالملاج إلا بأن يتروح السر عن الملم للمهم ثم لما أحسست بعبزى وسقط بالكيفية اختياري النجات إلى الله اتجاء المضطر الذي لاحية له فأجابني الذي يجب للمضطر إذا دعاه وسهل على قلبي الاعراض عن السال

والجاءوا أهل والأولاد
وأظفرت غرض
الخروج إلى مكة وأنا
أدبر في شئ سفر
الشام حذرا من أن
يطلع الخليفة وجلة
الأصحاب على غرضي
في القيام بالشام فطلعت
بإطاف الخيل في
الخروج من بغداد على
عزم أن لا أعودها أبدا
واسهراني أئمة العراق
كافة إذ لم يكن فيه
من يجوز أن يكون
الاعراض عما كنت
فيه سببا دينا إذ ظنوا
أن ذلك هو النصب
الأعلى في الدين فكان
ذلك هو مبطلهم من
المعلم ثم ارتبك الناس
في الاستنباطات فظن
من بعد عن العراق
أن ذلك كان الاستشعار
من جهة الولاء وأما
من قرب منهم فكان
يشاهد لجأهم في
التلويح والانتكار
على وإعراض عنهم
وعن الالتفات إلى قولهم
فيقولون هذا أمر
سموي ليس له سبب
إلا عين أمات أهل
الاسلام وزمرة العلم
فشاركت بغداد وفارقت

في نفسه إذ التجربة تطاع على دقائق يستغرب سماعها مع أنه يعظم نعمها فكم من مريض عرور
يعالجه الطبيب في بعض أوقاته بالحجارة ليزيد في قوته إلى حد يحتمل صدمة العلاج فيجب منه من
لاخبرة له به وقد نبه الله تعالى بقصة الخضر وموسى عليهما السلام حيث قال الخضر - إنك لن تستطيع
معى صبرا وكيف تصبر على ما لم يحط به خبرا - ثم شرط عليه السكوت والتسليم قال - فإن ابغضت فلا تسألني
عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا - ثم لم صبر ولم يزل في فبرودته إلى أن كان ذلك سبب الفراق بينهما
والجملية كل متعلم استبق لنفسه رأيا واختيارا دون اختيار العلم فاحكم عليه بالاختناق والخسران . فان قلت
قد قال الله تعالى - فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون - فالسؤال بالمأمورية . فاعلم أنه كذلك ولكن
فيما يأذن العلم في السؤال عنه فان السؤال عما لم تبلغ مرتبتك إلى فهمه ممنوم ولذلك منع الخضر موسى
عليه السلام من السؤال أي دع السؤال قبل أوانه فالعلم أعلم بما أنت أهل له وبأوان الكشف
ومالم يدخل أوان الكشف في كل درجة من المراقي الفرجات لا يدخل أوان السؤال عنه . وقد قال
على رضى الله عنه إن من حق العالم أن لا يكثر عليه بالسؤال ولا تقتته في الجواب ولا تلج عليه إذا
كسل ولا تأخذ ثوبه إذا نهض ولا تفتش له سرا ولا تتناهى أحدا عنده ولا تظن عثرته وإن زل
قبلت معذرتك وعليك أن توقره وتطمئه فله تعالى مادام يحفظ أمر الله تعالى ولا يجلس أمامه وإن كانت له
حاجة سبقته القوم إلى خدمته . الوظيفة الرابعة : أن يمتدح الخاضع في العلم في بدئ الأمر عن الأصناف
إلى اختلاف الناس سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا أو من علوم الآخرة فان ذلك يدهش عقله
ويجبر ذهنه ويغتر رأيه ويؤسسه عن الإدراك والاطلاع بل يفيق أن يتقن أولا الطريق الجديت الواحدة
للرضية عند استأذنه ثم بعد ذلك يسعى إلى للذاهب والشبه وإن لم يكن استأذنه مستقلا بختيار رأى
واحد وإنما عادته نقل للذاهب ومقابل فيها فليحذر منه فان إضلاله أكثرون إرشاده فلا يصلح الأعمى
لقود العميان وإرشادهم ومن هذا حاله يفتي على الحيرة وتيه الجهل ومنع المبتدئ عن الشبه يضاهي منع
الحديث الهدى بالاسلام عن مخالطة الكفار وتذب القوى إلى النظر في الاختلافات يضاهي حب القوى
على مخالطة الكفار ولهذا يمنع الجبان عن التهجيم على صف الكفار ويندب الشجاع له ومن العفة
عن هذه الدقيقة ظن بعض الضعفاء أن الاقتداء بالأقوياء فيما ينقل عنهم من المساهلات جائز ولم يدرك
أن وظائف الأقوياء تخالف وظائف الضعفاء وفي ذلك قال بعضهم من رأى في البداية صار ضدقاوم
رآ في النهاية صار زنديقا إذ النهاية ترد الأعمال إلى الباطن وتكسر الجوارح إلا عن زواجب القرائن
فتراءى للنظرين أنها باطلة وكسل وإعمال وهيات فذلك سر ابطلة القلب في عين الشهود والحضور وملازمة
الذكر الذي هو أفضل الأعمال على الدوام وتبته الضعيف بالقوى فيأمرى من ظاهره أنه مقهور يضاهي
اعتذار من يلقى نجاسة يسيرة في كوزماء ويشتمل بأن أضعاف هذه النجاسة قديلي في البحر والبحر أعظم
من السكون فاجاز للبحر فهو للسكون أجوز ولا يدري المسكين أن البحر بقوة تحيل النجاسة ماء فقلب
عين النجاسة بأستيلاته إلى صفته والقليل من النجاسة يغلب على الكوزم ويحمله إلى صفته ولعل هذا جواز
للشيء على الله عليه وسلم مالم يجوز لغيره حتى أصبح له تسع نسوة^(١) إذ كان له من القوة ما يتعدى
منه صفة العدل إلى نساءه وإن كثرن وأما غيره فلا يقدر على بعض العدل بل يتعدى ما يتبين من الضرار
إليه حتى يتجر إلى مصيبة الله تعالى في طلبه رضاهن فأقلع من قاس الملائكة بالجدادين . الوظيفة
الخامسة : أن لا يسع طالب العلم فنا من العلوم المحمودة ولا توطن أنوعه إلا وينظر فيه نظرا يطلع به
(١) حديث أبي سعيد رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم تسع نسوة وهو معروف وفي الصحيحين من حديث ابن عباس كان عند النبي صلى الله عليه وسلم تسع الحديث .

على مقصده وغايته ثم إن ساعده العمر طلب التبحر فيه والاستشغال بالأهم منه واستوفاه وتطرف من البقية
ثان العلوم متعانة وبعتها مرتبط ببعض ويستفيد منه في الحال الانشغال عن عادوة ذلك العلم بسبب
جهله فان الناس أعداء ما جهلوا قال تعالى - ولذ لم يهتدوا به فيقولون هذا إذاك قديم - قال الشاعر :

ومن يك ذاقهم مر مريض يحسد مره بالاء الزلزالا

فالعلوم على درجاتها إما سالكة بالهدى إلى الله تعالى أو معنية على السلوك نوعان من الاعانة ولهما من الزلزلة
في الترتيب والبدء من القصد والوقوف أم بها حنفلة كخاظر الباطن والخوف والكل واحد رتبة وله بحسب درجته
أجر في الآخرة إذا قصد به وجه الله تعالى . الوظيفة السادسة : أن لا غرض في فن من فنون العلم دفعة بل
يراعى الترتيب ويتدرج بالأهم فان العمر إذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالبا فالعزم أن يأخذ من كل شيء
أحسنه ويكتفي منه بشيء ويصرف جهام قوته في المسور من علمه إلى استكمال العلم الذي هو أشرف العلوم
وهو علم الآخرة أعنى قسمة المالملة والمكشوفة فغاية المالملة للمكشوفة وغاية المكشوفة معرفة الله تعالى
ولست أعنى به الاعتقاد الذي يتلقفه العاصي ورائة أو تلقا ولا طريق تحريير الكلام والمجادلة في تحصيل
الكلام عن مرادوات الحسوم كما هو غاية التكلم بل ذلك نوع بيقين هو عمرة نور يقنقه الله تعالى في قلب
عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الجائحات حتى يتنهي إلى رتبة إيمان أبي بكر رضى الله عنه الذي لو وزن
إيمان المالمين لرجح (١) كاشهده به سيد البشر ﷺ فاعندى أن ما يتقدمه العاصي ويرتبه التكلم الذي
لا يزيد على العاصي إلا في صنعة الكلام ولأجله حيث صناعته كلاما وكان يسجزعته عمر وعثمان وعلى وسائر
الصحابه رضى الله عنهم حتى كان يفضلهم أبو بكر بالسر الذي وفر في صدره والسبب بمن يسمع مثل
هذه الأقوال من صاحب الشريعة صلات الله وسلامه عليه ثم يزدري ما يسمعه على وقته ويزعم أنه من
ترهات الصوفية وأن ذلك غير معقول فينبغي أن تتخذ في هذا ضننه ضيعة رأس المال فكيف حريصا
على معرفة ذلك السر الخارج عن بضاعة الفقهاء والتكلمين ولا يرعدك إليه إلا حرصك في الطلب
وعلى الجملة فأشرف العلوم وغايتها معرفة الله عز وجل وهو بحر لا يدرك منتهى غوره وأقصى درجات
البشر فيه رتبة الأنبياء ثم الأولياء ثم الذين يلونهم وقد روى أنه رأى صورة حكيم من الحكماء
للتقدمين في مسجد وفي بدأ أحدهما رقعة فيها إن أحسنت كل شيء فلا تظن أنك أحسنت شيئا حتى تعرف
الله تعالى وتعلم أنه مسبب الأسباب وموجد الأشياء وفي يد الآخر كتبت قبل أن أعرف الله تعالى أشرب
وأظلم حتى إذا عرفته رويت بلا شرب . الوظيفة السابعة : أن لا غرض في فن حتى يستوفى الفن الذي
قبلة فان العلوم مرتبة ترتيبا ضروريا وبضها طريق إلى بعض واللوق من راعى ذلك الترتيب والتدرج .
قال الله تعالى - الذين آتاهم الكتاب يتلوه حق تلاوته - أى لا يجاوزون فنا حتى يحكموه علما وعملا
ولكن قصده في كل علم يتجراه الترقى إلى ما هو فوقه فينبغي أن لا يحكم على علم بالفساد لوقوع الخلف بين
أصحابه فيه ولا يخطأ واحد أو أحاد فيه ولا يخالفهم موجب علمهم بالعمل فترى جماعة تركوا النظر
في التقلبات والفتقيات متطلبين فيها بأنها لو كان لها أصل لأدركه أربابها وقدمضى كشف هذه الشبه
في كتاب معيار العلم وترى طائفة يعتقدون بطلان الطب لخطأ عاهده من طبيب وطائفة اعتقدوا بصحة
النجوم لمصوب اثق لو احدث وطائفة اعتقدوا بطلانه لخطأ اثق لآخر والكسل خطأ بل يبينى أن يعرف
الشيء في نفسه فلا كل علم يستقل بالأحاطة به كل شخص ولذلك قال على رضى الله عنه لا تعرف الحق
بالرجال اعرف الحق تعرف أهله . الوظيفة الثامنة : أن يعرف السبب الذي به يدرك أشرف العلوم

(١) حديث لوزن إيمان أبي بكر بإيمان المالمين لرجح ابن عدى من حديث ابن عمر باسناد ضعيف
ورواه البيهقي في الشعب موقوفا على عمر باسناد صحيح .

ما كان معى من مالى
ولم أدخر من ذلك
إلا قدر الكفاف
وقوت الأطفال ترخصا
بأن مال العراقة مرصد
للمصالح لكونه وقفا
على المسلمين ولم أر في
العالم ما يأخذ العالم
لياله أصلح منه ثم
دخلت الشام وأقلت
فيه قريبا من سنتين
لا شغل لى إلا الزلزلة
والخولة والرياضة
والمجاهدة استخلا
بتركيبه النفس
وتنذيب الأخلاق
وتصفية القلب لذكر
الله تعالى كما كنت
حصلته من علم الصوفية
وكننت اعتكف صمدة
بمسجد دمشق أصمد
منارة للمسجد طول
النهار وأغلقت بابها على
نفسى ثم تحركت في
داعية فريضة الحج
والاستدانة من بركات
مكة وللدنية وزيارة
النبي صلى الله عليه
وسلم بعد الفراغ من
زيارة الحليل صلات
الله عليه وسلامه ثم
سرت إلى الحجاز ثم
جذبني الحمم ودعوات
الأطفال إلى الوطن

وعاودته ببدان كنت
أبعد الخلق عن أن
أرجع إليه وآثرت
العزلة حرصا على
الحلوة وتصفية القلب
للمذكر وكانت حوادث
الزمان ومهمات العيال
وضرورات العيشة تغير
في وجه المراد وتشوش
صفوة الحلوة وكان
لا يصوب لي الحال إلا في
أوقات متفرقة لكي
مزعك لا أقطع طمعي
عنها فيدفعني عنها
العوائق وأعود إليها
ودمت على ذلك مقدار
عشر سنين وانكشف
لي في أثناء هذه
الحلوات أمور لا يمكن
إحصاؤها واستعاضوا بها
والقدر الذي ينبغي أن
نذكره ليلتفع به
أن غلت يقينا أن
الصوفية هم السالكون
لطريق الله خاصة
وأن سيرتهم أحسن
السيروطيقهم أصوب
الطرق وأخلاقهم أذكى
الأخلاق بل لو جمع
عقل العقلاء وحكمة
الحكماء وعلم الواقفين
على أسرار الشرع من
العلماء لغيروا شيئا
من سيرتهم وأخلاقهم

وأن ذلك يراد به شيان أحدهما شرف الحرقة والثاني وثاقة الدليل وقوته وذلك كعلم الدين وعلم الطب فان
ثمره أحدهما الحياة الأبدية وثمره الآخره الحياة الفانية فيكون علم الدين أشرف ومثل علم الحساب وعلم
النجوم فان علم الحساب أشرف لوثاقته أدلتها وقوتها وان نسب الحساب إلى الطب كان الطب أشرف باعتبار
ثمرته والحساب أشرف باعتبار أدلته وملاحظته الثمرة الأولى وذلك كان الطب أشرف وإن كان أكثره
بالتخمين وبهذا تبين أن أشرف العلوم العلم بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسمه والسموات والأرض والوصول
إلى هذه العلوم فإياك وأن ترغب إلا فيه وأن تحرص إلا عليه . الوظيفة التاسعة : أن يكون قصدك تعلم
في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة وفي المالك القرب من المسبحاته والرقى إلى جوار الملأ الأعلى من
الملائكة والمقربين ولا يقصد به الرياسة والملا والجاه ومعاراة السفهاء ومباهاة الأقران وإذا كان هذا
مقصده طلب لاهمة الأقرب إلى مقصوده وهو علم الآخرة ومع هذا فلا ينبغي له أن ينظر بين الحاضرة إلى
سائر العلوم أمضى على الفتاوى وعلم النحو واللغة والتلحين بالكتاب والسنة وغير ذلك مما أوردناه في
القدميات والتمعات من ضروب العلوم التي هي فرض كفاية ولا تفهم من غلوها في الشاء على علم الآخرة
تهجين هذه العلوم فالتكفلون بالعلوم كانتكفلين بالنور والرباطين بها والفرقة المجاهدين في سبيل الله فهم
للمقاتل ومنهم الرد ومنهم الذي يسقم للآء ومنهم الذي يحفظ دواهم ويتهدم ولا ينك أحد منهم عن
أجر إذا كان قصده إعلام بكلمة الله تعالى دون حيازة الفناء فكذلك العلماء قاله تعالى - يرغب الله الذين
آمنوا منكم والذين آمنوا المراد درجات - وقال تعالى - هم درجات عند الله - والفضيلة نسيئة واستحسانا
للسيارة عند قياسهم بالملوك لا بد على حقا رتهم إذا قيسوا بالسكاكين فلا تظن أن مازل عن الرتبة
القوى ساقط القدر بل الرتبة العليا لا لبنياء ثم الأولياء ثم العلماء الراغبين في العلم ثم الصالحين على تفاوت
درجاتهم وبالجملة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ومن قصده الله تعالى
بالمعلم علم كان قصده روضة لاهمة . الوظيفة العاشرة : أن يعلم نسبة العلوم إلى المقصد كما يؤثر الرضيع
القريب على البعيد وللمعلم على غيره ومعنى لهم ما همك ولا همك إلا شأنا لك الدنيا والآخرة وإذا لم
يمكنك الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة كما نطق به القرآن وشهد له من نور البصائر ما يجري مجرى
البيان فالأهم ما يبق أبدا الآباد وعند ذلك تصير الدنيا بمنزلة البدن مركبا والأعمال السعي إلى المقصد ولا مقصد
إلا لقاء الله تعالى فيه النعيم كل ما كان لا يعرف في هذا العالم قدره إلا الأقولون والعلوم بالإضافة إلى سعادة
لقاء الله سبحانه والنظر إلى وجهه الكريم أعنى النظر الذي طلبه الأنبياء وفهم مدون ما ينسب إلى فهم
العوام والتسكين على ثلاث مراتب تفهمها بالموازنة بمثال وهو أن البدن الذي علق عنقه وعمكينه من
الملك بالحب وقيل له إن حببت وأعمت وصلت إلى العلق وللك جميعا وإن ابتدأت بطريق الحب
والاستعداد له وعاقبك في الطريق مانع ضروري فلك العلق والخلص من شقاء الرق تقطعون سعادة
الملك فله ثلاثة أصناف من الشغل : الأول : تهئية الأسباب بشراء الناقة وخرز الرواية وإعداد الزاد
والراحة . والثاني السلوك ومفارقة الوطن بالنوجه إلى السكينة منزلا بمنزل . والثالث الاشتغال
بأعمال الحب ركنها بمنزلة ركن نعيم القراغ والزروع عن هيئة الاحرام وطواف الدواعي استحق الترض
للملك والسلطنة وله في كل مقام منازل من أول إعداد الأسباب إلى آخره ومن أول سلوك البوادي إلى
آخره ومن أول ما كان الحب إلى آخره وليس قرب من ابتدأ بأركان الحب من السعادة كقرب من هو
بعد في إعداد الزاد والراحة ولا كقرب من ابتدأ بالسلوك بل هو أقرب منه فالعلوم أيضا ثلاثة أقسام
قسم يجري مجرى إعداد الزاد والراحته وشراء الناقة وهو علم الطب والفقه وما يتعلق بمصالح البدن في الدنيا
وقسم يجري مجرى سلوك البوادي وقطع العقبان وهو تطهير الباطن عن كدورات الصفات وطولوع

تلك العقبات الشائعة التي يحير عنها الأولون والآخرون إلا للواقفين بهذا سلوك الطريق وتحصيل علمه كتحصيل علم جهات الطريق ومنازله وكما لا يفي علم المنازل وطرق البوادي دون سلوكها كذلك لا يفي علم تهذيب الأخلاق دون مباشرة التهذيب ولكن للباصرة دون العلم غير ممكن . وقسم ثالث يجري مجرى نفس الحج وأركانها وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وأفعاله وجميع ما ذكرناه في تراجم علم المكشوفة وهنا نجاة وفوز بالسعادة والتجاة خاصة لكل مالك للطريق إذا كان غرضه المصداق وهو السلامة . وأما الهوى بالسعادة فلا يثاله إلا العارفون بالله تعالى وهم القربون للعمود في جوار الله تعالى بالروح والرحان وجنة النعيم وأما للمنعون دون ذروة الكمال فلهم التجاة والسلامة كما قال الله عز وجل - فأما إن كان من اللذين فروع ورحان وجنة نعيم وأما إن كان من أصحاب الجحيم فسلامة لمن أصحاب الجحيم - وكل من لم توجه إلى التقصد ولم يتحصن به أو اتهم إلى جبهته لاطي قصدا لامتثال والمبودية بل لفرض عاجل فهو من أصحاب الشيا ومن النزالين فله من حميم وتصلية جسيم . واعلم أن هذا هو حق اليقين عند العلماء الراسخين أعني أنهم أدركوه بمشاهدة من الباطن هي أقوى وأجلى من مشاهدة الأبصار وترقوا فيمن حد التقليد لبحر السماع وحلم حاله من أخبر صدق ثم شاهد تحقق وحال غيرهم حال من قبل بحسن التصديق والایمان ولم يحظ بالمشاهدة والعيان فالسعادة وراء علم المكشوفة وعلم المكشوفة وراء علم العامة التي هي سلوك طريق الآخر وتقطع عقبات الصفات وسلك طريق محو الصفات للمنومة وراء علم الصفات وعلم طريق المألجة وكيفية السلوك في ذلك وراء علم سلامة البدن ومساعدة أسباب الصحة وسلامة البدن بالاجتماع والتظاهر والتعاون الذي يتوصل به إلى اللبس والمطم والمسكن وهو منوط بالسلطان وقانونه في ضبط الناس على منجى العدل والياسة في ناصية الفقيه . وأما أسباب الصحة في ناصية الطبيب ومن قال العلم علان علم الأبدان وعلم الأديان وأشار به إلى الفقه أراد به العلوم الظاهرة الشاملة للعلوم العزرة الباطنة . فان قلت لم يشمت علم الطب والفقه بإعداد الزاد والراحلة فاعلم أن الساعي إلى الله تعالى لينال قربه هو القلب دون البدن ولست أعني بالقلب الجهم المحسوس بل هو سر من أسرار الله عز وجل لا يدركه الحس ولطيفة من لطائفه تارة يعبر عنه بالروح وتارة بالنفس المطننة والشرع يعبر عنه بالقلب لأنه اللطية الأولى لذلك السر وبواسطته صار جميع البدن مطية وآلة لتلك اللطيفة وكشف الغطاء عن ذلك السر من علم المكشوفة وهو ممنون به بل لا رخصة في ذكره وغاية للأذون فيمن قال هو جوهر نفيس ودرّ عزيز أشرف من هذه الأجرام الرقيقة وإنها هو أمر إلى كما قال تعالى - ويسألونك عن الروح قل الروح من أمري - وكل المخلوقات منسوبة إلى الله تعالى ولكن نسبتة أشرف من نسبة سائر أعضاء البدن فله الخلق والأمر جميعا والأمر أعلى من الخلق وهذه الجوهرية النفيسة الحاملة لأمانة الله تعالى للتقدمة بهذه الرتبة على السموات والأرضين والجبال إذ أين أن يعلمها وأشفق منها من عالم الأمر ولا يفهم من هذا أن تعريض بقدمها فان القائل بقدم الأرواح مغرور جاهل لا يدري ما يقول فلتقبض عنان البيان عن هذا الفن فهو وراء ما نحن بصدده وللتصود أن ههنا اللطيفة هي الساعية إلى قرب الرب لأنها من أمر الرب فنه مصدرها وإلهم مرجعها وأما البدن فطينا التي تركيبها وقسمي بواسطتها فالبدن لها في طريق الله تعالى كالناقة للبدن في طريق الحج وكالراوية الخازنة للماء الذي يشترى إليه البدن فشكل علم مقصده مصلحة البدن فهو من جملة مصالح اللطية ولا يخفى أن الطب كذلك فانه قد يحتاج إليه في حفظ الصحة على البدن ولو كان الانسان وحده لا يحتاج إليه والفقه يشارفه في أنه لو كان الانسان وحده ربما كان يستغنى عنه ولكنه خلق على وجه لا يمكنه أن يعيش وحده إذ لا يستقل بالسعي وحده في تحصيل طعامه بالحرارة والزرع

ويدلوه بما هو خير منه لمجدوا إليه سبيلا فان جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به وبالجملة ماذا يقول القائل في طريقة أول شروطها تطهير القلب بالكليّة عماسوى الله تعالى ومفتاحها الجارى منها مجرى التحريم في الصلاة استغراق القلب بذكر الله وآخرها التناهي بالكليّة في الله تعالى وهو أقواها بالإضافة إلى ما تحت الاختيار انتهى قال العراقي فها قدت كلمته وبديته وعلت منزلته وشدت إليه الرحال وأدعت له الرجال شرفت نفسه عن الدنيا واشتاتت إلى الأخرى فاطرحتها وسمى في طلب الباقية وكذلك النفوس الزكية كما قال عمر بن عبد العزيز إن لي نفاة توافقه لما نالت الدنيا تانت إلى الآخرة قال بعض العلماء رأيت

الترالى رضى الله عنه
في البرية وعليه مرقعة
ويده عكاز وركوة
قلته له يا إمام أليس
الدرس ينفاد
أضل من هذا فظفر
إلى شذرا وقال لما بزغ
بدر السعادة في فلك
الارادة وظهرت شمس
الوصل :

ترصعت هوى ليلي
وسعدنى بمنزل

وعدت إلى مصحوب
أول منزل

وناديت الأشواق مهلا
فيه

منازل من تهوى
رودك قانزل

اتهى كتاب تعريف
الأحياء بفنائل الإحياء

عبدالله وعونه .
[هذا كتاب الاملا

في إشكالات الإحياء]
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ماخص
وعمم وصلى الله على

سيد جميع الأنبياء
للبعث إلى العرب

والصحب على آل وعترته
وسلم كثيرا وكرم

سألت يورك الله
لربائب العلم تصعد

مراتبها وقرب لك
مقامات الولاية محل

والخير والطيب وفي تحصيل للمسلم والسكن وفي إعداد آلات ذلك كله فاضطر إلى المخالطة والاستعانة
ومهما اختلط الناس وثار تشبهاتهم تجاذبوا أسباب الشهوات وتنازعوا وتقاتلوا وحصل من قاتلهم
هلاكمهم بسبب التنافس من خارج كما حصل هلاكهم بسبب تضاد الأخلاق من داخل ، وبالبط
يحفظ الاعتدال في الأخلاق للتنازع من داخل ، وبالسباسة والعدل يحفظ الاعتدال في التنافس
من خارج ، وعلم طريق اعتدال الأخلاق بط ، وعلم طريق اعتدال أحوال الناس في اللامعات
والأعمال فقه وكل ذلك لحفظ البدن الذي هو مطية فالتجرد لعم الفقه أو الطب إذا لم يجاهد نفسه
ولا يصلح قلبه للتجرد لشراء الناقة وعلفها وشراء الراوية وخرزها إذا لم يسلك بادية الحج وللمستغرق
عمره في دقائق الكلمات التي تجري في مجادلات الفقه كالمستغرق عمره في دقائق الأسباب التي بها
تستحكم الحيوان التي تخرز بها الراوية للحج ونسبة هؤلاء من السالكين لطريق إصلاح القلب
للموصل إلى علم المكاشفة كنسبة أولئك إلى السالكين بطريق الحج أو ملابسي أركانه تأمل هذا أولا
واقبل النصيحة جماتا عن قام عليه ذلك غالبا ولم يصل إليه إلا بعد جهد جهيد وجرامة تأمل على مباينة
الحلق العامة والخاصة في التزوع من تقليد بجمرد الشهوة فهذا القدر كاف في وظائف العلم .

(بيان وظائف الرشد العلم)

اعلم أن للإنسان في علمه أربعة أحوال كحاله في إقتناء الأموال إذ لصاحب المال حال استغادة فيكون
مكتسبا وحال ادخار لما اكتسبه فيكون به غنيا عن السؤال وحال إفاق على نفسه فيكون متفعا
وحال بذل لغيره فيكون بمسخيا متفضلا وهو أشرف أحواله فكذلك العلم يقتضي كما يقتضي المال فله
حال طلب واكتساب وحال تحصيل يفتي عن السؤال وحال استثمار وهو التفكير في الحاصل والتمتع
به وحال تبصير وهو أشرف الأحوال فإن علم وعمل وعلم فهو الذي يدعى عظميا في ملكوت السموات
فانه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة في نفسها وكذلك الذي يطيب غيره وهو طيب والذي يعلم
ولا يعمل به كالقدر الذي يفيد غيره وهو خال عن العلم وكذلك الذي يشجع غيره ولا يقطع والإبرة
التي تكسو غيرها وهي عارية وذباله الصباح تضيء لغيرها وهي تحرق كاقيل :

ما هو إلا نبال وقدت تضيء للناس وهي تحرق

ومهما اشتغل بالتعليم فقد ضل أمر اعظيا وخطرا جسيما فليحفظ آدابه ووظائفه . الوظيفة الأولى :
الشفقة على المتعلمين وأن يجريهم بحرى بنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما أنا لكم مثل
الوالد لولده » (١) بأن قصد إقازهم من نار الآخرة وهو أمم من إقازد الوالدين ولها من نار الدنيا
ولذلك صار حق المعلم أعظم من حق الوالدين فان الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفاني والقولم
سبب الحياة الباقية ولولا للملم لا نفاق ما حصل من جهة الأب إلى الملاك الهائم وإنما للملم هو القيد
للحياة الأخروية الدائمة أعنى معلم علوم الآخرة أو علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا فأما
التسلية على قصد الدنيا فهو هلاك وإهلاك نعوذ بالله منه وكأ أن حق أبناء الرجل الواحد أن يتجاوبوا
ويتعاونوا على المقاصد كلها فكذلك حق تلامذة الرجل الواحد التحاب والتوادد ولا يكون إلا كذلك
إن كان مقصدهم الآخرة ولا يكون إلا التحامد والتباغض إن كان مقصدهم الدنيا فان الغناء وأبناء
الآخرة مسافرون إلى الله تعالى وسالكون إلى الطريق من الدنيا وسنوها وشهورها منازل الطريق
والترافق في الطريق بين المسافرين إلى البصائر سبب التوادد والتحاب فكيف السفر إلى الفردوس
الأعلى والترافق في طريقه ولا ضيق في سعادة الآخرة فلذلك لا يكون بين أبناء الآخرة تنازع ولا سعة
(١) حديث « إنما أنا لكم مثل والد الولد أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان من حديث أبي هريرة

في مساعدات الدنيا فان ذلك لا ينفك عن منيق التزامح والمادولن إلى طلب الرياسة بالعلوم خارجون عن موجب قوله تعالى - إنا لأؤمنون إخوة - وداحلون في مقتضى قوله تعالى - الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين - الوظيفة الثانية : أن يتدنى بصاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فلا يطلب على إفادة العلم أجرا ولا يقصده جزاء ولا شكرا بل يعلم لوجه الله تعالى وطبعا لتقرب إليه ولا يرى لنفسه منة عليهم وإن كانت اللة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم إذ هدبوا قلوبهم لأن تقرب إلى الله تعالى بزرعة المعلوم فيها كالذي يعمرك الأرض لترزق فيها لنفسك زراعة فمنعتك بهاتزيد على منفعة صاحب الأرض فكيف تتعلمهنة وثوابك في التحليم أكثر من ثواب التعلم عند الله تعالى ولولا التعلم مانلت هذا الثواب فلا تطلب الأجر إلا من الله تعالى كما قال عز وجل - ويقوم لأأسألكم عليه مالا إن أجرى لإعلى الله - فان المال وما في الدنيا خادم البدن والبدن مركب النفس ومطيتها والخدوم هو العالم إذ به شرف النفس فمن طلب العالم المال كان كمن مسح أسفل مداسه بوجهه لينقله فجعل الخدوم خادمه والخادم غنوما وذلك هو الاتكاس على أم الرأس ومثله هو الذي يقوم في الأرض الأكرهم الجرمين ناكس رؤوسهم عند ربهم وعلى الجلفة فالفضل والمنة للمعلم فانظر كيف انتهى أمر الدين إلى قوم يزعمون أن مقصودهم التقرب إلى الله تعالى عام في من علم الفقه والكلام والتدريس فيما وفي غيرها فانهم يبدلون المال والجاه ويتحملون أصناف الذل في خدمة السلاطين لاستطلاق الجرابات ولوتركو ذلك لتركوا ولم يختلف اليهم شمه توقع العلم من التعلم أن يقول له في كل نأبة وينصرو له ويهادى عدوم ويتنهض جهارا في حاجاته ومسخرين يديهم في أوطاره فان قصر في حقه ثار عليه صامر من أعدى أعدائه فأخس بالمرضى لنفسه بهذه التزلة ثم يفرح بها ثم لا يستحي من أن يقول غرضي من التدريس نشر العلم تقربا إلى الله تعالى ونصرة لدينه فانظر إلى الأمارات حتى ترى ضروب الاعتقارات - الوظيفة الثالثة : أن لا يدع من نصع التعلم شيئا وذلك بأن عنقه من التصدي لربة قبل استحقاقها والتشاغل بعلوم حتى قبل المراع من الجلى ثم ينه على أن الفرض بطلب المعلوم التقرب إلى الله تعالى دون الرياسة واللباهة وللنافة ويقدم تنصيص ذلك في نفسه بأقصى ما يمكن فليس ما يصلحه العالم الفاجر بأكثر مما يفسده فان علم من باطنه أنه لا يطلب العلم إلا للدنيا نظر إلى العلم الذي يطلبه فان كان هو علم الخلاف في الفقه والجدل في الكلام والقناوى في الخصومات والأحكام فيمنعه من ذلك فان هذه المعلوم ليست من علوم الآخرة ولا من المعلوم التي قيل فيها تعلمنا لتعريف الله فأن العلم أن يكون إلا لله وإعنا ذلك علم التفسير وعلم الحديث وما كان الأولون يشتغلون به من علم الآخرة ومعرفة أخلاق النفس وكيفية تهذيبها فذا تعلمه الطالب وتقدمه الدنيا فلا بأس أن يتركه فانه يشمره طمعا في الوعظ والاستباج ولكن قد رتبته في أثناء الأمر وأخره إذ فيه المعلوم المحفوة من الله تعالى المحرقة للدنيا للمظنة للآخرة وذلك يوشك أن يؤدي إلى الصواب في الآخرة حتى تنطق بما يسطر به غيره ويجرى حب القبول والجاه يجري الحب الذي ينثر حوالى الفسخ ليقتنس به الطير وقد فعل الله ذلك بعباده إذ جعل الشهوة لصل الحلق بها إلى بقاء النسل وخلق أيضا صاحب الجال ليكون سببا لإحياء المعلوم وهنما توقع في ههما المعلوم فأما الخلافات المحفوة بمجادلات الكلام ومعرفة الفاربع القرية فلا يزيد التجرد لتمام الاعراض عن غيرها إلا اقسوة في القلب وغفلة عن الله تعالى وتغايا في الفضائل وطلبا للجاه إلا من تدارك الله تعالى برحمته أو مزجه به غيره من العلوم الدينية ولا يبرهان على هذا كالتجربة والشاهدة فانظر واعتبر واستصبر لتشاهد تحقيق ذلك في اليباد والبلاد والله للستمان . وقد رؤى سفيان الثوري رحمه الله عزنا قبله ماله قال صرنا متجرا لأبناء الدنيا يلزمنا أحدهم حتى إذا تعلم جل قاضيا أو عاملا أو قهرا منا - الوظيفة الرابعة : وهي من دقائق

معالها عن بعض ما وقع في الملل واللقب بالإحياء مما أشكل على من حجب فهمه وقصر علمه ولم يفز به من الحفظ لللكية : دعوهم واهوا ظهرت التحزن لما شاش به شركاء الطعام وأمثال الأنام وأجاع المولم وسهوا الأعلام وذغار أهل الاسلام حتى طغوا عليه ونهوا عن قراءته ومطالعة وآقوا بغيره الهوى على غير بصيرة باطل راحه ومناكبته ونسبوا محله إلى ضلال وإضلال وينذوا قراءه وموتحله بزيف في الشريعة واختلال في الله انصرافهم ومآبهم وعليه في العرض الأكبر إيقافهم وحسابهم فستكتب شهادتهم ويستولون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه وإذا لم يتدوا به فسقواون هذا إنك قد علم ولو رددوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعله يدين

يستطيعونه منهم
ولكن الظالمون في
شقاق بعيد ولا يحب
قدتوى أدلاء الطريق
وذهب أرباب التحقيق
ولم يبق في الغالب
إلا أهل الزور والفسوق
متشبهين بدعوى
كاذبة متصفين بحكايات
موضوعة متزيين
بصفات متعفة
متظاهرين بظواهر
من السلم فاسدة
متطابقين لحجج غير
صادقة كل ذلك لطلب
الدنيا أو محبة ثناء أو
مغالبة نظراء قد ذهبت
الواصلة بينهم بالبر
وتألفوا إجماعا على السكر
وعدمت النصائح بينهم
في الأمر وتساءفوا
بأسرهم على الخديعة
والسكر إن نصحتهم
العلماء وأخروا بهم وإن
صمت عنهم الفقاء
أزروا عليهم أولئك
الجهالة في علمهم الفقراء
في طولهم البخلاء عن
الله عز وجل بأنهم
لا يفلحون ولا ينجح
تأبهم وكذلك لا تظهر
عليهم موارث الصدق
ولا تسطع حولهم أنوار
الولاية ولا تحقق لديهم

صناعة التعلم أن يزجر التعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح وبطريق
الرحمة لا بطريق التوبيخ فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرا على المهجوم بالخلاف ويهيج
الحرس على الأصرار إذ قال صلى الله عليه وسلم وهو مرشد كل معلم « لو منع الناس عن فت البصر لقتوه
وقالوا ماتينا عنه إلا وفيه شيء » (١) وينبئك على هذا قصة آدم وحواء عليهما السلام وما نها عنه
فأذرت القصة ملكك لتكون ممرا بل لتقتبها بها على سبيل العبرة ولأن التعريض أيضا يعلل النفوس
الفاضلة والأذهان الذكية إلى استنباط معانيه فيفيد فرح التفتن لمنهارة رغبة في العلم به ليعلم أن ذلك
جما لا يعزب عن فطنته . الوظيفة الخامسة : أن للتشكك بعض العلوم ينبغي أن لا يمتدح في نفس للتعلم
العلوم التي ورأه كعلم الفقه إذ عادت تقيح علم الفقه ومعلم الفقه عادت تقيح علم الحديث والتفسير وأن
ذلك نقل محض وسماع وهو شأن المجازئ ولا نظر للقل في معلم الكلام ينفر عن الفقه ويقول ذلك
فروعه وهو كلام في حيز النساء فأين ذلك من الكلام في صفة الرحمن فهذه أخلاق بمنومة للمعلمين
ينبغي أن يختص بل للتشكك بعلم واحد ينبغي أن يوسع على التعلم طريق التعلم في غيره وإن كان متفكلا
بعلم فينبغي أن يراعى التدرج في ترقية التعلم من رتبة إلى رتبة . الوظيفة السادسة : أن يقتصر بالتعلم
على قدرهم فلا يبق إلى ما لا يلائمه عقله فيفتره أو يخط عليه عقله اقتداء في ذلك بسيد البشر صلى
الله عليه وسلم حيث قال « نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نزل الناس منازلهم ونسلكهم على قدر
عقولهم » (٢) فليست إليه الحقيقة إذا علم أنه يستقل بفهمها وقال عليه السلام « ما أحدثت قوم ما أحدث
لابلغه عقولهم إلا كان فتنة على بطنهم » وقال على رضى الله عنه وأشار إلى صدره إن ههنا للولما
جدة لو وجدت لها حلقه وصدق رضى الله عنه قلوب الأبرار قبور الأسرار فلا ينبغي أن يفتي العالم كل
ما يعلم إلى كل أحد هذا إذا كان يفهمه للتعلم ولم يكن أهلا لا لتفاه به فكيف فيا لأفهمه وقال عيسى
عليه السلام لا تلقوا الجواهر في أعناق الخنازير فإن الحكمة خير من الجوهر ومن كرههم فهو شر من
الخنازير ولذلك قيل كل لكل عبد بميار عقله وزن له ميزان فهمه حتى تسلم منه وينتفع بك والإوقع
الانكار لتفاوت العيار . وسئل بعض العلماء عن شيء فله يجب فقال السائل أما سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال « من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار » (٣) فقال أترك للجام واذهب
فإن جاء من يفقه وكتمته فليجمن فقد قال الله تعالى - ولا تؤنوا السفهاء أموالكم - فنبها على أن
حفظ العلم بمن فسدته ويضره أولى وليس الظلم في إعطاء غير المستحق بأقل من الظلم في منع المستحق

أأثر درأين سارحة النعم فأصبح عزونا براعية النعم
لأنهم أمسوا بمجمل قدره فلا أنا أضنى أن أطوقه بهم
فإن لطف الله اللطيف بلطفه وصادفت أهلا للعلوم ولحكم
نشرت مفيدا واستندت مودة وإلا فمخزون لشيء ومكتم
فمن منح الجهال علما أشاعه ومن منع المستحقين فقد ظلم
الوظيفة السابعة : إن للتعلم القاصر ينبغي أن يلق إلى الجلى اللائق به ولا يذكر له أن نور هذا تدققا
(١) حديث لو منع الناس عن فت البصر لقتوه الحديث لم أجده (٢) حديث نحن معاشر الأنبياء
أمرنا أن نزل الناس منازلهم الحديث رويناه في جزء من حديث أبي بكر بن الأشعر من حديث عمر
أخسر منه وعند أبي داود من حديث عائشة أنزلوا الناس منازلهم (٣) حديث من كتم علما نافعا
جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار ابن ماجه من حديث أبي سعيد بسناد ضعيف وقدم حديث
أبي هريرة بنحوه .

وهو يدخره عنه فإن ذلك يفر رغبته في الجلي ويشوش عليه قلبه ويومئ إليه البخل به عنه إذ يظن كل أحد أنه أهل لكل علم حتى فرأى من أحد الإلهو راض عن التمسح به في كمال عقله وأدبهم حماقة وأضعفهم عقلا هو أفرحهم بكامل عقله وبهذا يعلم أن من يقدم الموم بقيد الشرع ورسوخ في نفسه العقائد الثابتة عن السلف من غير تشييع ومن غير تأويل وحسن مع ذلك سريره ولم يحتمل عقله أكثر من ذلك فلا ينبغي أن يشوش عليه اعتقاده بل ينبغي أن يغلى وحرقة فانه لو ذكر له تأويلات الظاهر انحل عنه قيد الموم ولم يتيسر قيده بقيد الحواس فيرتفع عنه السد الذي بينه وبين المعاصي وينقلب شيطانا مريدا يهلك نفسه وغيره بل لا ينبغي أن يخاض مع الموم في حقائق العلوم الدقيقة بل يقتصر معهم على تعليم البدايات وتعليم الأمانة في الصناعات التي هم بسددها وعلاؤهم من الرغبة والرغبة في الجنة والنار كما نقله في القرآن ولا يحرك عليهم شبهة فانه ربما تعلققت الشهية بقلبه وبصر عليه حلما فيشقي ويهلك وبالحجة لا ينبغي أن يفتح الموم باب البحث فانه يعطل عليهم صناعاتهم التي بها قوام الحلق ودوام عيش الحواس . الوظيفة الثامنة : أن يكون المعلم عالما بعلومه فلا يكذب قوله فله لأن المعلم يدرك البصائر والعمل يدركه بالأبصار وأرباب الأبصار أكثر فاذا خالف العمل العلم منع الرشد وكل من تناول شيئا وقال للناس لا تأكلوا منه فانه سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم على ما هو عنه فيقولون لولا أنه أطيب الأشياء وألذها لما كان يستأثر بموئيل العلم المرشد من المسترشد من مثل النقش من الطين والظلم من المود فكيف ينقش الطين بما لا ينش فيه ومتى استوى الظلم والمود أعوج ولذلك قيل في النسي :

لا تته عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا قلت عظيم

وقال الله تعالى - أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم - ولذلك كان وزر العالم في معاصيه أكبر من وزر الجاهل إذ زلزلته عالم كثير ويقتدون به ومن سن سنة سيئة فليعه وزرها ووزر من عمل بها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم قسم ظهري رجلان عالميتك وجاهل متنسك فالجاهل يفر الناس بتسكك والمالم يفرهم بتسكك والله أعلم .

(الباب السادس في آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء)

قد ذكرنا ما ورد من فضائل العلم والعلماء وقد ورد في العلماء السوء تشديدات عظيمة دلت على أنهم أشد الخلق عذابا يوم القيامة فمن المهمات المظيعة معرفة العلامات الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة ونفى بطلان الدنيا علماء السوء الذين قصدتهم من العلم بالتنم بالدنيا والتوصل إلى الجاه والمزلة عند أهلها قال صلى الله عليه وسلم « إن أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله تعالى على خلقه وعلم في القلب فذلك العلم النافع (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق (٣) »

(الباب السادس)

(١) حديث لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا ابن حبان في كتاب روضة القلاء والبيهقي في الدخل موقوفا على أبي البرداء ولم أجده مرفوعا (٢) حديث العلم علمان علم على اللسان الحديث الترمذي الحكيم في التوادروا بن عبد البر من حديث الحسن مرسل باسناد صحيح وأسناده خطيب في التاريخ من رواية الحسن عن جابر باسناد جيد وأعله ابن الجوزي (٣) حديث يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فسقة الحاكم من حديث أنس وهو ضعيف .

أعلام المعرفة ولا يستر عوراتهم لباس الخشعة لأنهم لم ينالوا أحوال التقية وصراحت التبعاء وخصوصية البدلاء وكرامة الأوتاد وفوائد الأقطاب وفي هذه أسباب السعادة وتتمة الطهارة لو عرفوا أنفسهم لظهر لهم الحق ونعلوا علة أهل الباطل وداء أهل النصف ودواء أهل القوة ولكن ليس هذا من بضائهم حببوا عن الحقيقة بأربع بالجهل والاصرار وعجبة الدنيا وإظهار الدعوى فالجهل أورثهم السخف والاصرار أورثهم التهاون وعجبة الدنيا أورثهم طول الفلفة وإظهار الدعوى أورثهم العكبر والاعجاب والرياء والتمسك ورغبتهم عبط . وهو على كل شيء شهيد . فلا يترك أحدنا الله وليلك من أحوالهم شأنهم ولا ينهلون عن الاشتغال ويصلح نفسك بمرمد وطغيانهم ولا يوفونك

بما زين لهم من سوء
أعمالهم شيئا منهم
فكان قد جهم المخلاق
في صيد - وجاءت كل
نفس معها سائق
وشهيد - وتلا - لقد
كنت في غفلة من هذا
فكشفتنا عنك غطاءك
فبصرك اليوم حديد -
فإياه من موقف قد
أهمل ذوى العقول
عن القاتل والقيل
ومتابعة الأباطيل
فأعرض عن الجاهلين
ولا تطع كل أفاك
أثم ، وإن كان كبير
عليك إعراسهم فإن
استعظت أن تتنى نقا
في الأرض أو سلا في
السماء فتأتهم بآية
ولو شاء الله لمحمد ط
الهدى فلا تكونن
من الجاهلين ولو شاء
ربك لجلل الناس أمة
واحدة فاصبر حتى يحكم
الله وهو خير الحاكمين
كل شيء هالك إلا وجهه
له الحكم وإليه
ترجعون ولقد جئتكم
بعول الله وقوته وبعد
استخارته عما سألت
عنه وخاصة ما زعمت
فيه من تخصيص
الكلام بالمثل الذي

وقال صلى الله عليه وسلم « لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتخاروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه
الناس إليكم فمن فعل ذلك فهو في النار^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من كتم علما عنده ألجأه الله
إياهم من نار » وقال صلى الله عليه وسلم « لأنامن غير الدجال أخوف عليكم من الدجال قليل وما ذلك ؟
فقال من الأئمة السلفين^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من ازداد علما ولم يزد هدى لم يزد من الله
إلا بعدا^(٣) » وقال عيسى عليه السلام إلى متى تصفون الطريق للمدجلين وأنتم مقيمون مع التجيرين
فهذا وظيره من الأخبار يدل على عظم خطر العلم فإن العالم إما متعرض لمهلك الأبد أو لسعادة الأبد
وإنه بالخوض في العلم قد حرم السلامة إن لم يدرك السعادة . وأما الآثار فقد قال عمر رضي الله عنه
إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة للناقض عليهم قالوا وكيف يكون مناهقا علما قال علم اللسان جاهل
القلب والسمل وقال الحسن رحمه الله لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطراف الحكماء ويجري في العمل
مجري السفهاء وقال رجل لأبي هريرة رضي الله عنه أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيقه فقال
كن في ترك العلم إضاعة له وقيل لإبراهيم بن عيينة أي الناس أطول نهما قال أما في عاجل الدنيا
فصانع المعروف إلى من لا يشكره وأما عند الموت فطالم مفترط وقال الحليل بن أحمد : الرجال أربعة
رجل يدرى ويدري أنه يدرى فذلك عالم قاتنوه ، ورجل يدرى ولا يدرى أنه يدرى فذلك نائم
فأيقظوه ، ورجل لا يدرى ويدري أنه لا يدرى فذلك مسترشد فأرشده ، ورجل لا يدرى ولا يدرى
أنه لا يدرى فذلك جاهل فارقضوه وقال سفيان الثوري رحمه الله ينف العلم بالمثل فإن أجابه
وإلا ارتحل وقال ابن المبارك لا يزال للرد عالما ما طلب العلم فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل وقال الفضيل
ابن عياض رحمه الله إني لأرحم ثلاثة عزيز قوم ذل وغنى قوم أفقر وعالمنا تلعب به الدنيا وقال الحسن
عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة وأنشدوا :

صعبت لبنات الضلالة بالهدى ومن يشتري دنياه بالدين أعجب
وأعجب من هذين من يضيع دينه بدنيا سواء فهو من ذين أعجب

وقال صلى الله عليه وسلم « إن العالم يحب عذابا يطيف به أهل النار استعظاما لشدة عذابه^(٤) » أراد به
العالم الفاجر وقال أسامة بن زيد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يؤتى العالم يوم القيامة فيلقى
في النار فتدلق أفتابه فيدور بها كيدور الحمار بالرحى فيطيف به أهل النار فيقولون مالك فيقول كنت
أمر بالحير ولا آتية وأمرني عن الشر وآتية^(٥) » وإنما يضاعف عذاب العالم في مصيبتيه لأنه عصى عن علم
وأنه قال الله عز وجل - إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار - لأنهم جحدوا بعد العلم وجعل اليهود شرا
من النصارى مع أنهم ما جعلوا شيا سحبا نولدا ولا قالوا إنه ثالث ثلاثة إلا أنهم أنكروا بدلالة إقرار الله

(١) حديث لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء الحديث ابن ماجه من حديث جابر بن اسناد صحيح
(٢) حديث غير الدجال أخوف عليكم من الدجال الحديث أحمد من حديث أبي ذر بن اسناد جيد
(٣) حديث من ازداد علما ولم يزد هدى لم يزد من الله إلا بعدا أبو منصور الديلمي في مسند
الفرود وسحدث على بن اسناد ضعيف إلا أنه قال زهدا ، وروى ابن حبان في روضة السقاء موقوفا
على الحسن من ازداد علما ثم ازداد بالله على الدنيا حرصا لم يزد من الله إلا بعدا ، وروى أبو القاسم الأزدي
في الضعفاء من حديث علي بن ازداد بالله علما ثم ازداد الدنيا حيا ازداد الله عليه غضبا (٤) حديث
إن العالم يحب عذابا يطيف به أهل النار الحديث لم أجده بهذا اللفظ وهو معنى حديث أسامة
للمذكور بعده (٥) حديث أسامة بن زيد يؤتى العالم يوم القيامة ويلقى في النار فتدلق أفتابه الحديث
متفق عليه بلقظ الرجل بدل العالم .

— يعرفونه كإيرفون أبناءهم — وقال تعالى — فلما جاءهم موعر فورا كفروا به فلحقته الله على الكافرين — وقال تعالى في قصة بلعام بن باعوراء — وائل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الفاقرين — حتى قال — فثله كذلك الكلب إن عمل عليه بايث أو تركه ليث — فكذاك العالم العار جفا بلعام أوى كتاب الله تعالى فأخذه إلى الشهوات فشبها بالكتب أي سوادها وأن الحكمة أول ما يؤت فهو يلبث إلى الشهوات وقال عيسى عليه السلام مثل علماء السوء كمثل صخر خروقت في قم التهر لاهي تشرب الماء ولاهي ترك الماء غلخ إلى الزرع ومثل علماء السوء مثل قنات الحش ظاهرها جص وباطنها تن ومثل القبور ظاهرها عمار وباطنها عظام التي في هذه الأخبار والآثار بين أن العالم الذي هو من أبناء الدنيا أخس حالا وأشد عذابا من الجاهل وأن الفائزين للقرين هم علماء الآخرة ولهم علامات : فمنها أن لا يطلب الدنيا بعلمه فان أقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا وخساستها وكدورتها وانصرامها وعظم الآخرة ودولها وصفاء نصيها وجلالة ملكها ويعلم أنهما متضادتان وأنها كالضربين مهما أرضيت إحداها أسخطت الأخرى وأنها ككفتي لليزان مهما رجحت إحداها خفت الأخرى وأنها كالشرق والمغرب مهما قربت من أحدهما بدت عن الآخر وأنها كقديحين أحدهما ملوؤ والآخر فارغ فيقدر ما نصب منه في الآخر حتى ينتفى فيغفر الآخر فان من لا يعرف حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لثتها بألها ثم انصرام ما يصرفونها فهو قاصد العقل فان للشاهدة والتجربة ترشد إلى ذلك فكيف يكون من العلماء من لا عقل له ومن لا يعلم عظم أمر الآخرة ودوامها فهو كافر مسلوب الإيمان فكيف يكون من العلماء من لا إيمان له ومن لا يعلم مضادة الدنيا للآخرة وأن الجمع بينهما مطمع غير مطمع فهو جاهل بشرائع الأنبياء كلهم بل هو كافر بالقرآن كله من أوله إلى آخره فكيف يعد من زمرة العلماء ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر الآخرة على الدنيا فهو أمير الشيطان قد أهلكته شهوته وغلبت عليه شهوته فكيف يعد من حزب العلماء من هذه درجته وفي أخبار داود عليه السلام حكاية عن الله تعالى إن أدنى ما أصنع بالعالم إذا أثر شهوته على محبتي أن أحرمه لذيذ مناجاتي يا داود لاتسأل عني عالما قد أسكرته الدنيا فيصدمك عن طريق محبتي أولئك قطع الطريق على عبادي يا داود إذا رأيت لي طالبا فكن له خادما يا داود من رد إلى هاربا كنتبه جهنما ومن كنتبه جهنما لم أعذبه أبدا ولذلك قال الحسن رحمه الله عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بسمل الآخرة ولذلك قال يحيى بن معاذ إنما ينهب بهاء العلم والحكمة إذا طلب بهما الدنيا وقال سعيد بن المسيب رحمه الله إذا رأيته العالم ينشئ الأمراء فهو لئس وقال عمر رضي الله عنه إذا رأيته العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم فان كل محب محوس في أحب وقال مالك بن دينار رحمه الله قرأت في بعض الكتب السالفة إن الله تعالى يقول إن أهون ما أصنع بالعالم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة مناجاتي من قلبه وكتب رجل إلى أخيه إنك قد أدويت علما فلا تطفن نور علمك بظلمة الذنوب تبقى في الظلمة يوم يسمى أهل العلم في نور علمهم وكان يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله يقول لعلماء الدنيا بأصحاب العلم قصوركم قصيرة ويوتسكم كسروية وأثوابكم ظاهرية وأخفافكم جالوتية ومرا بكم قارونية وأوائكم فرعونية وما تمسككم جاهلية ومذاهبكم شيطانية فأين الثمرة الحميدة قال الشاعر :

وراعى الشاة يحسب الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب

وقال الآخر : يا مشير أقراء يا ملع البلد . ما يصلح للبح إذا للبح قد

وقيل لبعض العارفين أترى أن من تكون للماضي قرة عينه لا يعرف الله فقال لا أشك أن من تكون الدنيا عنده آثر من الآخرة أنه لا يعرف الله تعالى وهذا دون ذلك بكثير ولانظان أن ترك المال يكتفي في المصالح

ذكر فيه الأقلام إذ اتفق أن يكون أشهر مافي الكتاب وأكثر تصرفا على السنة الصدور الأصحاب حتى قد صار ثلث للذكور في المجالس تحية الداخل وحديث المجالس فصاعدتنا أمتيتك ولولا العجولة والاشتغال لأحسنا إلى املائنا هذا يا نا غيره معاذوه مشكلا وصا لمقولهم الضعيفة غيلا ومضلا ونحن نستعذ بالله من الشيطان ونستصم به من جرأة فقهاء الزمان ونسرع إليه في المزيد من الإحسان إنه الجواد للسان [ذكر مراسم الأسئلة في الليل]

ذكرت رزقك الله ذكره وجعلك تعقل نبيه وأمره كيف جاز انقسام التوحيد على أربعة مراتب ولقطة التوحيد ثانی التسمي في للشهود كما ينافي التكرير التصديق وان صرح انقسامه على وجه لا يتدفع فهل تصح تلك التسمية فيما يوجد أو فيما يقدر ورغب

بعلماء الآخرة فإن إلهامه أضر من اللال وتلك قال بشر حدثنا باب من أبواب الدنيا فإذا سمعت الرجل يقول حدثنا فاعلم أن أوسعوا إلى ودغ في شر بن الحارث بن عشرين مائة من قطرة وقوصرة من الكتب وكان يقول أنا أشبه أن أحدث ولو ذهبت عن شهوة الحديث لحدثت وقال هو وغيره إذا اشتريت أن تحدث فاسكت فادام تشته فحفت وهذا لأن التلذذ بمجاهد الأداة ومنصب الارشاد أعظم للتمتع كل تتعرف الدنيا فإن أوجب شهوته فيه فهو من أبناء الدنيا ولذلك قال التوزي فتنة الحديث أشد من فتنة الأهل والمال والولد وكيف لا تخاف فتنة وقد قيل لسيد المرسلين عليه السلام - ولولأن تمتنا لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً - وقال سهل رحمه الله العلم كدنيا والآخرة منه العمل به والعمل كله هباء إلا الاخلاص وقال الناس كلهم مولى إلا العلماء والعلماء سكارى إلا العلماء والمؤمنون والعاملون كلهم مفرورون إلا المحققين والمخلص على وجل حتى يدري ماذا يحتم له وقال أبو سليمان الله اراني رحمه الله إذا طلب الرجل الحديث أو تزوج أو سافر في طلب المعاش فقد تكرر إلى الدنيا وإن غار أده بطلب الأسانيد العالية أو طلب الحديث الذي لا يحتاج إليه في طلب الآخرة وقال عيسى عليه السلام كيف يكون من أهل العلم من مسيره إلى آخرته وهو مقبل على طريق دنياه وكيف يكون من أهل العلم من يطلب السلام ليخبر به لا ليعمل به وقال صالح بن كيسان البصري أدرت الشيوخ وهم يمتو ذون بالله من الفاجر المانسانة وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من طلب علماً مما يتنهي به وجهه تعالى ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة (١) » وقد وصف الله علماء السوء بأكل الدنيا بالعلم ووصف علماء الآخرة بالخشوع وأزهد فقال عز وجل في علماء الدنيا - وإذا أخذتم عاقبة الدين أو اتوا الكتاب لينتبه للناس ولا تسكنوه فبنوه وراء ظهورهم واشتروا بهما قليلاً - وقال تعالى في علماء الآخرة - وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله بما هو آتزل إليكم كما آتزل إليهم خاشعين له لا يشتركون بك بآيات الله ثمناً قليلاً وألك لهم أجرهم عند ربهم - وقال بعض السلف العلماء يخشون في زمرة الأنبياء والقضاة يخشون في زمرة السلاطين وفي معنى القضاء كل فقيه قصده طلب الدنيا بعلومه وروى أبو البرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « أوحى الله عز وجل إلى بعض الأنبياء قل للذين يتفقون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا يعمل الآخرة يلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كغلوب الذئاب ألسنتهم أحلى من العمل وقلوبهم أمر من الصبر إياي مخادعون وبني يستمزنون لأتيح لهم فتنة تذر الخليم حيران (٢) » وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « علماء هذه الأمة رجلان رجل آتاه الله علماً فبذله للناس ولم يأخذ عليه طعاماً ولم يشتر به ثمناً فذلك يصلي عليه طير السماء وحيتان الماء ودواب الأرض والسكرام الكاتبون يقدم على الله عز وجل يوم القيامة سيدهم شرفاً حتى يرافق للرسول ورجل آتاه الله علماً في الدنيا ففطن به على عبادة الله وأخذ عليه طعاماً واشترى به ثمناً فذلك يأتي يوم القيامة ملجماً بلجماً من نار ينادي مناد على رؤوس الخلائق هذا فلان بن فلان آتاه الله علماً في الدنيا ففطن به على عباده وأخذ به طعاماً واشترى به ثمناً فغضب حتى يفرغ من حساب الناس (٣) » وأشد من هذا ما روى أن رجلاً كان يخدم موسى عليه السلام فجعل يقول حدثني موسى صلى الله عليه وسلم حدثني موسى بنى الله حدثني موسى عليه السلام فقال لا تحسبوا أني سألت عنه ولا تحسبوا أني سألت عنه ولا تحسبوا أني سألت عنه حتى جاءه رجل ذات يوم

(١) حديث أبي هريرة من طلب علماً مما يتنهي به وجهه الله ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة وما منه في الحديث (٢) حديث أبي البرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « أوحى الله عز وجل إلى بعض الأنبياء قل للذين يتفقون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا يعمل الآخرة يلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كغلوب الذئاب ألسنتهم أحلى من العمل وقلوبهم أمر من الصبر إياي مخادعون وبني يستمزنون لأتيح لهم فتنة تذر الخليم حيران (٣) » الحديث ابن عبد البر بإسناد ضعيف (٤) حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « علماء هذه الأمة رجلان رجلان الحديث الطبراني في الأوسط بإسناد ضعيف .

مزيد البيان في تحقيق كل مرتبة وانقسام طبقات أهلها فيها إن كان يقع بينهم التفاوت وما وجه تنبئها بالجواز في القشور والبواب ولم كانت الأول لا يرفع والآخر الذي هو الرابع لا يعمل فيناؤه وما معنى قول أهل هذا الشأن إنشاء سر الربوبية كفر أين أصل ما قالوه في الشرع إذ الإيمان والكفر والهداية والضلال والتقريب والتباعد والصديقة وسائر مقامات الولاية ودرجات الخالفة إمامي مأخذ شرعية وأحكام نبوية وكيف تصور مخاطبة العقلاء المخادات ومخاطبة المخادات بين القلم المحسوس والقلم الإلهي وما حد عالم الملك وعالم الجبروت وحد عالم الملكوت وما معنى أن الله تعالى خلق آدم

وفي يده خنزير وفي عنقه جبل أسود فقال له موسى عليه السلام أترف فلا تبال نعم وهذا الخنزير فقال
موسى يارب أسألك أن ترده إلى حاله حتى أسأله ثم أسأله هذا وحى الله عز وجل إليه لودعوني بالذي
دعاني به آدم فمن دونه ما أجتك فيه ولكن أخبرك لمصمت هذا به لأنه كان يطالب الدنيا بالدين .
وأعظم من هذا ما روي معاذ بن جبل رضي الله عنه موقوفاً ومرفوعاً في رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال « من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع ^(١) » وفي السلام تنميق وزيادة ولا يؤمن على
صاحبه الخطأ وفي الصمت سلامة وعلم من العلماء من يخزن علمه فلا يحب أن يوجد عند غيره فذلك في
الدرك الأول من النار ومن العلماء من يكون في علمه بمنزلة السلطان إن ردد عليه شيء من علمه أو شؤون
بشيء من حقه غضب فذلك في الدرك الثاني من النار ومن العلماء من يجعل علمه وغرائب حديثه لأهل
الشرف واليسار ولا يرى أهل الحاجة له أهلاً فذلك في الدرك الثالث من النار ومن العلماء من ينصب نفسه
لفتيا فيبقى بالخطأ والله تعالى يفضي للتكلفين فذلك في الدرك الرابع من النار ومن العلماء من يتكلم
بكلام اليهود والنصارى ليغزى به علمه فذلك في الدرك الخامس من النار ومن العلماء من يتخذ علمه
مروة ونبل وذكر في الناس فذلك في الدرك السادس من النار ومن العلماء من يستغزى به وهو العجب
فإن وعظ عنف وإن وعظ أرف فذلك في الدرك السابع من النار فليكن يا أخي بالصمت فيه قلب
الشيطان وإياك أن تفعل من غير حجب أو تخشى في غير أرب وفي خبر آخر « إن العبد لينشر له من الثناء
ما يعلو ما بين الشرق والغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة ^(٢) » وروى أن الحسن حمل إليه رجل من خراسان
كيساً بعد انصرافه من مجلسه فيه خمسة آلاف درهم وعشرة أثواب من رقيق البر وقال يا أبا سعيد هذه
نفقة وهذه كسوة فقال الحسن عافاك الله تعالى ضم إليك تفقك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك إنه من
جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس مثلي هذا لم يأت الله تعالى يوم القيامة ولا خلاق له وعن جابر رضي
الله عنه موقوفاً ومرفوعاً قال قال رسول الله ﷺ « لا تجلسوا عند كل عالم إلا إلى عالم يدعوكم من
خمس إلى خمس من الشك إلى اليقين ومن الرياء إلى الاخلاص ومن الرغبة إلى الزهد ومن التكبر إلى
التواضع ومن العداوة إلى الصيحة ^(٣) » قال تعالى - فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون
الحياة الدنيا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه ذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير
لن آمن - الآية - فصر أهل العلم بإتار الآخرة على الدنيا . ومنها أن لا يخالف فله قوله بل لا يأمر
بالتي مالم يكن هو أول عامل به . قال الله تعالى - أئامرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم - وقال
تعالى - كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون - وقال تعالى في قصة شعيب - وما أريد أن أخالفكم
إلى ما أنتم كنتم - وقال تعالى - واتقوا الله ويحكم الله - وقال تعالى - واتقوا الله واعلموا - واتقوا
الله واسمعوا - وقال تعالى لميسى عليه السلام . يا ابن مريم عطف ففسك فإن اعطيت ففسط الناس
وإلا فاستحي مني » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مررت ليلة أسرى بي بأقوم تعرض شفاههم
بقماريس من نار قلت من أنتم فقالوا كنا نأمر بالخير ولا نأته ونهى عن الشر ونأته ^(٤) » وقال

على صورتهما الفرق
بين الصورة الظاهرة
التي يكون مقتضاها
منها مجللاً وما معنى
الطريق في فانك
بالوادي للقدس طوى
ولله ينداداً وأصفهان
أونيسابوراً وطبرستان
في غير الوادي الذي
سمع فيه موسى عليه
السلام كلام الله تعالى
وما معنى فاستمع يسر
قليل لما يوحى وهل
يكون سمع القلب ينير
سره وكيف يسمع لما
يوحى من ليس بنبي
أذلك على طريق
التعميم أم على سبيل
التخصيص ومن له
بالنسبة إلى مثل ذلك
للقام حتى يسمع أسرار
الاله وإن كان على سبيل
التخصيص والتبوة
ليست محجوزة على أحد
إلا على من قصر عن
سلوك تلك الطريق
وما يسمع في النداء إذا
سمع هل أسمع موسى
أو أسمع قبه وما معنى
الأمر بالسالك بالرجوع
من عالم القدرة ونبيه
عن أن يتخطى رقاب
الصدقين وما الذي

أوصله إلى مقامهم وهو في الرتبة الثالثة وهي توحيد القرابين وما معنى انصراف السالك بعد وصوله إلى ذلك الرقيق وإلى أين وجهته في الانصراف وكيف صفة انصرافه وما الذي يمنه من البقاء في الوضع الذي وصل إليه وهو أرفع من الذي خلفه وأين هذا من قولنا في سلجان الداراني المذكور في غير الإحياء لو وصلوا ما رجعوا ما وصل من رجوع وامتنع بأن ليس في الإمكان أبعد من صورة هذا العالم ولا أحسن ترتيباً ولا أكل صنماً ولو كان وادخره مع القدرة عليه كان ذلك بخسلاً يناقض الجود وعجزاً يناقض القدرة الإلهية وامتكم هذه العلوم للكونة هل طلبها فرض ومنسوب إليه أو غير ذلك ولم كسبت للشكل من الألفاظ والغرض من العبارات وإن جاز ذلك للشارع فيا له أن يختبر به ويتمنن فما بال من ليس شارحاً

صلى الله عليه وسلم « هلاك أمي نادم فاجر وعابد جاهل وشرا شرار العلماء وخير الخواص العلماء (١) » وقال الأوزاعي رحمه الله حكيت النواويس ما نجد من نفن جيف الكفار طأوحى الله إليهم بطون علماء السوء أنتم مما أنتم فيه وقال الفضيل بن عياض رحمه الله يلتقي أن الفسقة من العلماء يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الأوثان وقال أبو الدرداء رضى الله عنه ويل لمن لا يعمل مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات وقال الشعبي يطلع يوم القيامة قوم من أهل الجنة طوى قوم من أهل النار فيقولون لهم ما أدخلكم النار وإنما أدخلنا الله الجنة بفضل تأديكم وتعليمكم فيقولون إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله ونهى عن الشر ونفعله وقال حاتم الأصم رحمه الله ليس في القيامة أشد حسرة من رجل علم الناس علماً فعملوا به ولم يعمل هو به فجازوا بسببه وهلك هو وقال مالك ابن دينار إن العلم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كأيول القطر عن الصفا وأنشدوا :

يا واعظ الناس قد أصبحت متهماً إذ عبت منهم أموراً أنت تأتمها

أصبحت تصحهم بالوعظ مجتهداً فالوقفات لعمري أنت جانيها

تريب دنيا وناساً وراشدين لها وأنت أكثر منهم رغبة فيها

وقال آخر : لآسنة عن خلقى وتأتى مثله عار عليك إذا قلت عظيم

وقال إبراهيم بن آدم رحمه الله مررت بحجر يحكى مكتوب عليه اقلبنى تعتبر قلبته فإذا عليه مكتوب أنت بما تعلم لا تعلم فكيف تطلب علم ما لم تعلم وقال ابن السكك رحمه الله كم من مذكر بالله ناس قد وكم من عوف بالله جرى على الله وكم من مقرب إلى الله بعيد من الله وكم من داع إلى الله فار من الله وكم من تال كتاب الله منسلخ عن آيات الله وقال إبراهيم بن آدم رحمه الله لقد أعربنا في كلامنا فلم نلحن ولحننا في أعمامنا فلم نعرب وقال الأوزاعي إذا جاء الإعراب ذهب الخشوع وروى مسكويه عن عبد الرحمن بن غنم أنه قال حدثني عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا كنا ندرس العلم في مسجد بقاء إذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعلموا (٢) » وقال عيسى عليه السلام مثل الذي يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت في السر فحملت فظهر حملها فافضحت فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تعالى يوم القيامة على رؤس الأشهاد وقال معاذ رحمه الله احفروا زلة العالم لأن قدره عند الخلق عظيم فيعتبونه على زلته وقال عمر رضى الله عنه إذا زل العالم زل يزلته عالم من الخلق وقال عمر رضى الله عنه ثلاث بهن يهدم الزمان إحداهن زلة العالم وقال ابن مسعود سيأتى على الناس زمان تلعج فيه عذوبة القلوب فلا يفتضح بالعلم يومئذ عاله ولا تعلمه تسكون قلوب علمائهم مثل السباح من ذوات اللعج يزل عليها قطر السباح فلا يوجد لها عذوبة وذلك إذا مالت قلوب العلماء إلى حب الدنيا وإثارتها على الآخرة فند ذلك يسلب الله تعالى ينابيع الحكمة ويطفى مصابيح الهدى من قلوبهم فيجربك عالمهم حين تلقاه أنه يخفى الله لسانه والتجور ظاهر في عمله فإذا غضب الألسن يومئذ وما أجذب القلوب فوالله الذي لا إله إلا هو ما ذلك إلا لأن العلمين علما لغير الله تعالى ولتعليمين تعلموا لغير الله تعالى وفي التوراة والإصحاح مكتوب

(١) حديث هلاك أمي عالم فاجر وشرا شرار العلماء الحديث الدارمي من رواية الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسل بآخر الحديث نحوه وقد تقدم ولم أجد صدر الحديث (٢) حديث عبد الرحمن بن غنم عن عشرة من الصحابة تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعلموا قلعه ابن عبد البر وأسند ابن عدى وأبو نعيم والخطيب في كتاب اقتضاء العلم للعمل من حديث معاذ فقط بسند ضيف ورواه الدارمي موقوفاً على معاذ بسند صحيح .

لا تظنوا علم عالم تعلموا حتى تعملوا واعلمتم وقال حذيفة رضي الله عنه إنكم في زمان من ترك فيه عشر ما يمل هلك وسيأتي زمان من عمل فيه بشر ما يمل نجا وذلك لكثرة الباطلين . واعلم أن مثل العالم مثل القاضى وقد قال صلى الله عليه وسلم « القضاء ثلاثة قاضى قاضى بالحق وهو يمل فذلك في الجنة وقاضى قضى بالجور وهو يمل أو لا يمل فهو في النار وقاضى قضى بينهما أمر الله به فهو في النار »^(١) وقال كعب رحمه الله يكون في آخر الزمان علماء يزهدون الناس في الدنيا ولا يزهدون ويخوفون الناس ولا يخافون ويهنون عن غشيان الولاية وآبؤتهم ويؤثرون الدنيا على الآخرة بأكلون بالسنتهم يقرّبون الأغنياء ودون الفقراء يتنايرون على العلم كاتفاير النساء على الرجال يضرب أحدكم على جليسه إذا جالس غيره أولئك الجبارون أعداء الرحمن وقال صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان ربما يسوفك بالمعلم قبل أن يرسل الله وكيف ذلك قال صلى الله عليه وسلم يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال للمعلم قاتلا وللمعلم مسوفا حتى يموت وما عمل »^(٢) وقال سري السقطي اعتزل رجل للتعب كان حرصا على طلب علم الظاهر فسأته فقال رايت في النوم قائلا يقول لي إلى كم قضيع العلم ضيكت الله قتلتي لأنى أحفظه فقال حفظ العلم العمل به فترك الطلب وأقبلت على العمل وقال ابن مسعود رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم الحشية وقال الحسن تعلموا ما شئتم أن تعلموا فوالله لا يأجركم الله حتى تعملوا فان السفهاء همهم الرواية والعلماء همهم الرعاية وقال مالك رحمه الله إن طلب العلم لحسن وإن نشره لحسن إذا صحته في النية ولكن انظر ما يملك من حين تصبح إلى حين تمسي فلا تؤثرون عليه شيئا وقال ابن مسعود رضي الله عنه أنزل القرآن ليعمل به فاتخذتم دراسته عملا وسيأتي قوم يشقون مثل القنائة ليسوا بخياركم والعالم الذي لا يعمل كالمرضى الذي يصف الدواء وكالجائع الذي يصف لانه الأظمة ولا يجدها وفي مثله قوله تعالى - ولكم الولد لما تصفون - وفي الخبر « بما أخاف على أمي زلة عالم وجدال منافق في القرآن »^(٣) . ومنها أن تكون عنايته تحصيل العلم النافع في الآخرة للرب في الطاعات مجتنبيا للعلوم التي يقل نفعها ويكثر فيها الجدل والقليل والقال فتعال من يفرض عن علم الأعمال ويشغل بالجدال مثل رجل مريض به على كثيرة وقد صادف طبيا حاذقا في وقت ضيق غشى فواته فاستغل بالسؤال عن خاصية العقاقير والأدوية وغرائب الطب وترك مهمه الذي هو مؤاخذ به وذلك محض السفوق قد روى « أن رجلا جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم هل عرفت الرب تعالى قال نعم قال فما صنعت في حقه قال ما شاء الله فقال صلى الله عليه وسلم هل عرفت الموت قال نعم قال فما أعددت له قال ما شاء الله قال صلى الله عليه وسلم اذهب فأحكم ما هناك ثم تعال نملك من غرائب العلم »^(٤) بل ينبغي أن يكون المتعلم من جنس ماروى عن حاتم الأصم تلميذ شقيق البخري رضي الله عنهما أنه قال له شقيق منذ كم صبحتي قال حاتم منذ ثلاث وثلاثين سنة قال فما تعلمت مني في هذه المدة قال ثمانى مسائل قال شقيق له إن الله ولنا إليه راجعون ذهب عمرى معك ولم تتعلم إلا ثمانى مسائل قال يا أستاذ لم أتعلم غيرها وإنى لأحب أن أكذب فقال هات هذه الثمانى مسائل حتى أحصمها قال حاتم نظرت إلى هذا الخلق

اتى جملة مراسم الأسماء في الثلث فأسأل الله تعالى أن يعلى علينا ما هو الحق عنده في ذلك وأن يجري على ألسنتنا ما يستشاه به في ظلمات السالك وأن يعم بنعمه أهل البادية والمدارك ثم لابد أن أمهد مقفلة وأؤكد قاعدة وأؤكد كدوسية أما المقدمة فالعرض بهائين عبارات افرد بها أرباب الطريق تضمن معانيها على أهل القصور فنذكر ما ينمض منها ونذكر للتصديها عندهم فرب واقف على ما يكون من كلامنا عنخصا بهذا الفن في هذا وغيره فيتوقف عليه فهم معناه من جهة اللفظ وأما القاعدة فنذكر فيها الاسم الذي يكون سلوكنا في هذه العلوم عليه والسمت الذي نوى بتقصدا إليه ليكون ذلك أقرب على التأمل وأسهل على الناظر التفهم وأما الوصية فتقتصد فيها تعريف ما على من نظر في كلام الناس وأخذ

فأريت كل واحد يحب محبوباً فهو محبوه إلى القبر فإذا وصل إلى القبر فارتته فجعلت الحسنات محبوبة فإذا دخلت القبر دخل محبوه معي قال أحسنت يا حاتم في الثانية فقال نظرت في قول الله عز وجل - وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي للآوى - فسلمت أن قوله سبحانه وتعالى هو الحق فأجهت نفسي في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى الثالثة أتى نظرت إلى هذا الخلق فأريت كل من معه شيء له قيمة ومقدار وهو يحفظه ثم نظرت إلى قول الله عز وجل - ما عندكم ينفد وما عند الله باق - فكلما وقع معي شيء له قيمة ومقدار وجهته إلى الله ليقبضه عندي محفوفاً الرابعة أتى نظرت إلى هذا الخلق فأريت كل واحد منهم يرجع إلى اللال وإلى الحسب والشرف والنسب فنظرت فيها فإذا هي لا شيء ثم نظرت إلى قول الله تعالى - إن أكرمكم عند الله أتقاهم - فسلمت في التقوى حتى أكون عند الله كريماً الخامسة أتى نظرت إلى هذا الخلق وهم يطنون بعضهم في بعض ويلعنون بعضهم بسناً وأمل هذا كله الحسد ثم نظرت إلى قول الله عز وجل - نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا - فتركت الحسد واجتنبت الحق وعلمت أن القسمتين عند الله سبحانه وتعالى فتركت عدواة الخلق عن السادسة نظرت إلى هذا الخلق ينو بعضهم في بعض ويقاتل بعضهم بسناً فرجعت إلى قول الله عز وجل - إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً - فباديته وحده واجتهدت في أخذ حذري منه لأن الله تعالى شهد عليه أنه عدو لي فتركت عدواة الخلق غيره السابعة نظرت إلى هذا الخلق فأريت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيفيل فيها ضمه ويدخل فيها ليجل به ثم نظرت إلى قوله تعالى - وما من دابقي الأرض إلا على الله رزقي - فسلمت في واحد من هذه السواب التي على الله رزقي فاشغلت بما لله تعالى علي وتركت مالي عنده الثامنة نظرت إلى هذا الخلق فأريتهم كلهم متوكلين على مخلوق هذا في ضيمته وهذا في تجارتهم وهذا على صناعته وهذا على صحة بدنه وكل مخلوق متوكل على مخلوق مثله فرجعت إلى قوله تعالى - ومن يتوكل على الله فهو حسبه - فتوكلت على الله عز وجل فهو حسبي . قال شقيق يا حاتم وفقك الله تعالى فأتى نظرت في علوم التوراة والإنجيل والزيور والقرآن العظيم فوجدت جميع أنواع الخير والدينات في يدور على هذه الثمان مسائل فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة فهذا الفن من العلم لا يهتم بأدراكه والتفطن له إلا العلماء الآخرة فأما علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسر به اكتساب اللال والجاه ويهملون أمثال هذه العلوم التي بث الله بها الأتباء كلهم عليهم السلام وقال الضحاك بن مزاحم أدر كنتم وما يتعلمون من بعض الأورع وهم اليوم ما يتعلمون إلا الكلام . ومنها أن يكون غير مائل إلى الترفه في اللطم والشراب والتمتع في اللبس والتجمل في الأثاث والسكن بل يؤثر الاقتصاد في جميع ذلك ويتشبه فيه بالسلف رحمهم الله تعالى ويميل إلى الاكتفاء بالأقل في جميع ذلك وكلما زاد إلى طرف القلة ماله زاد من الله قربه وارتفع في علماء الآخرة حظه . وشهد لذلك ما حكى عن أبي عبد الله الخواص وكان من أصحاب حاتم الأصم قال دخلت مع حاتم إلى الري ومنا ثلاثة وعشرون رجلاً يريد الحج وعليهم اثرون مائة وأربعون درهم جراب ولطعام فدخلنا على رجل من التجار متعجباً يحب الساكن فأضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد قال حاتم ألا حاجة فأتى أريد أن أعود قديماً لناهو عليل قال حاتم عيادة للريض فيها فضلاً والنظر إلى القديع عبادة وأتت أيضاً أجيء معك وكان الليل محمد بن مقاتل قاضي الري فلما جئنا إلى الباب فإذا قصر مشرف حسن فبقى حاتم متفكراً يقول باب عالم على هذه الحالة ثم أذن لهم فدخلوا فإذا دار حسنة فوراء واسعة مزينة وإذا برفستور فبقى حاتم متفكراً ثم دخلوا إلى المجلس الذي هو فيه وإذا فرش وطيفة وهور أقدم عليها وعند رأسه غلام ويده مذبذبة الزائر عند رأسه وسأله عن حاله وحاتم قائم فأومأ إليه ابن مقاتل أن اجلس فقال لا اجلس فقال لعل لك حاجة

فقال نعم قال وما هي قال مشكلة أسألك عنها قال سل قال قم فاستوى جالسا حتى أسألك واستوى جالسا قال حاتم علمك هذا من أين أخذته فقال من الثقات حدثوني به قال عمن قال عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعت قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم سمعت قال عن جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل قال حاتم قضا آداه جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأداه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وإلى الثقات وأداه الثقات إليك هل سمعت فيه من كان في داره إشراق وكانت سمعها أكثر كان له عند الله عز وجل للترلة أكبر قال لا قال فكيف سمعت قال سمعت أنه من زهد في الدنيا ورغب في الآخرة وأحب للساكنين وقدم لآخرته كانت له عند الله للترلة قال له حاتم فأنت عين اقتديت بأبائي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم والصالحين رحمهم الله أم فرعون وبمروذ أول من بنى بالجلس والأجر يا علماء السوء مثلكم يرله الجاهل للثكال على الدنيا الراضب فيها فيقول العالم لي هذه الحلة أفلا أكون أنا شرا منه وخرج من عنده فزاد ابن مقاتل مرضا وبلغ أهل الري ما جرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له إن الطائفي بقرؤن أكثر توسعا منه فسار حاتم متعمدا فدخل عليه فقال رحمك الله أنا رجل أعجمي أحب أن تملقني مبدأ ديني ومفتاح صلاتي كيف أتوسأ لصلاة قال نعم وكرامة يا علماء هات إناء فيه ماء فأني به بقدم الطائفي قوساً ثلاثاً ثلاثاً ثم قال هكذا قوساً فقال حاتم مكانك حتى أتوسأ بين يديك فيكون أوكد لما أريد فقام الطائفي وقعد حاتم قوساً ثم غسل ذراعيه أربعا أربعا فقال الطائفي يا هذا أسرفت قال له حاتم فإنا قال غسلت ذرايعي أربعا فقال حاتم يا سبحان الله العظيم أنا في كف من ماء أسرفت وأنت في جميع هذا كله لم تسرف فلع الطائفي أنه قد صدك دون التلم فدخل منزله فلم يخرج إلى الناس أربعين يوما فلما دخل حاتم بضداد اجتمع إليه أهل بضداد فقالوا يا أبا عبد الرحمن أنت رجل ألسكن أعجمي وليس بكلمك أحد إلا قطعته قال معي ثلاث خصال أظهرهن مني خصمي أفرح إذا أصاب خصمي وأحزن إذا أخطأ نفسي أن لا أجعل عليه قبيل ذلك الإمام أحمد بن حنبل فقال سبحان الله ما أعتله قوموا بنا إليه فلما دخلوا عليه قال له يا أبا عبد الرحمن ما السلام من الدنيا قال يا أبا عبد الله لا سلم من الدنيا حتى يكون معك أربع خصال تغفر للقوم جهلكم وتنجع جهلكم منهم وتبذل لهم شيئا وتكون من شيعتهم آيسا فإذا كنت هكذا سلمت ، ثم سار إلى المدينة فاستقبله أهل المدينة فقال يقوم أية مدينة هذه فقالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأين قصر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصلي فيه قالوا ما كان له قصر إنما كان له بيت لا طوى بالأرض قال فأين قصور أصحابه رضي الله عنهم قالوا ما كان لهم قصور إنما كان لهم بيوت لا طعة بالأرض قال حاتم يقوم فهذه مدينة فرعون فأخذوه وذهبوا به إلى السلطان وقالوا هذا الجمعي يقول هذه مدينة فرعون قال الوالي ولم ذلك قال حاتم لا تصلح لي أنا رجل أعجمي هرب من البلد قتلت مدينة من هذه فقالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلت فأين قصره وقص القصة ، ثم قال وقد قال الله تعالى - لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة - فأتمم بن تأسيتم برسول الله صلى الله عليه وسلم أم بفرعون أول من بنى بالجلس والأجر غلوا عنه وتركوه . فهذه حكاية حاتم الأصم رحمه الله تعالى وسيأتي من سيرة السلف في البدانة وترك التجمل ما يشهد بذلك في مواضع

إلا أن يكون ذلك بالانفاق من غير قصد وتكون للشاركة إذا اغتقت إما في صورة اللفظ دون المعنى أو في المعنى وصورة اللفظ جميعا وهذا يبره من بحث عن مجاري الألفاظ عند الجمهور وأرباب الصنائع وإنما سمينا من العلوم نتائج ما قصد فيها التصنع بالترتيب في التقسيم واختيار لفظ دون غيره موحد بطرفين مبدأ وبغاية ومعلم يكن كذلك فلا نسيه صناعة كعلوم الأنبياء صلوات الله عليهم والصلابة رضى الله عنهم فانهم لم يكونوا فيما عندهم من العلم على طريق من يبدم ولا كانت العلوم عندهم بالرسم الذي هو عند من خلفهم ومثل ذلك علوم العرب ولسانها لانسبها عندهم صناعة ونسبها بذلك عند ضبطها بما اشتهر من القوانين وقرر من الحصر والترتيب ولأرباب العلوم الروحانية وأهل الاشارات إلى الحقائق

والمسكين بالسادة
والمقربين بالصوفية
والمشبهين بالفقراء
والمعروفين بالزفة
والمزى إليهم العلم
والعمل ألقاظ جرى
رسمهم بالتخاطب بها
فيا يتذاكرون أو
يذكرونه ونحن إن
شاه الله نذكر ما يفض
منها إذ قد يقع منا
عند ما نذكر شيئا من
علومهم ونشير إلى
غرض من أغراضهم
فلم نر أن يكون ذلك
بشير ما عرف من
ألقاظهم وعباداتهم
ولا حرج في ذلك عقلا
وشرعا ونحن بحكم
مصرف التقدير وهو
على كل شيء تقدير . فمن
ذلك السفر والسالك
والمسافر والحال والمقام
والمكان والشطح
والطوالع والذهب
والنفس والسر والوصل
والفصل والأدب
والرياضة والتخلي
والتخلي والتجلي والعلّة
والأزجاع والشاهدة
والمكاشفة والووائح
والتلون والتبريد والحوية
واللطيفة والفتوح
والوسم والرسم والبسط

والتحقيق فيه أن التزين بالمباح ليس بحرام ولكن الحوض فيه يوجب الأذى حتى يشق تركه واستدامة الزينة لا يمكن إلا بمباشرة أسباب في الغالب يلزم من مراعاتها ارتكاب المعاصي من اللذات ومراعاة الخلق ومراعاتهم وأمور أخرى هي معطوبة والحزم اجتناب ذلك لأن من خاض في الدنيا لا يسلم منها البتة ولو كانت السلامة مبنولة مع الحوض فيمكن أن يكون صلى الله عليه وسلم لا يتابع في ترك الدنيا حتى تزع القمص المطرز بالسلم^(١) وتزع خاتم الذهب في أثناء الخطبة^(٢) إلى غير ذلك مما سيأتي بيانه . وقد حكى أن يحيى بن يزيد النوفلي كتب إلى مالك بن أنس رضي الله عنها بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على رسوله محمد في الأولين والآخرين من يحيى بن يزيد بن عبد الملك إلى مالك بن أنس أما بعد فقد بلغني أنك تلبس الدقاق وتأكل الرقاق وتجلس على الوطء وتجعل على بابك حاجبا وقد جلست مجلس السلم وقد ضربت إليك الملعقة وارتملت إليك الناس واتخذوك إماما ورضوا بقولك فاتق الله تعالى بأمالك وعليك بالتواضع كتب إليك بالصحة مني كتابا ما طالع عليه غير الله سبحانه وتعالى والسلام ، فكتب إليه مالك بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم من مالك بن أنس إلى يحيى بن يزيد سلام الله عليك . أما بعد فقد وصل إلى كتابك فوقع مني موقع النصيحة والشفقة والأدب أمتك الله بالتقوى وجزاك بالصحة خيرا وأسأل الله تعالى التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فأما ما ذكرت لي أني آكل الرقاق وألبس الدقاق وأحجب وأجلس على الوطء فتحن تعمل ذلك ونستغفر الله تعالى فقد قال الله تعالى - قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق - وإني لأعلم أن ترك ذلك خير من الدخول فيه ولا تدعنا من كتابك فلنسا ندعك من كتابنا والسلام . فانظر إلى إنصاف مالك إذ اعترف أن ترك ذلك خير من الدخول فيه وأتى بأنه مباح وقد صدق فيها جميعا ومثل مالك في منصبه إذا سمحت نفسه بالإنصاف والاعتراف في مثل هذه النصيحة فتقوى أيضا نفسه على الوقوف على حدود المباح حتى لا يعمله ذلك على المراءاة والمداينة والتجاوز إلى المكروهات ، وأما غيره فلا يقدر عليه فالتمس على التزم بالمباح خطر عظيم وهو بيبس من الخوف والحشية وخاصة علماء الله تعالى الحشية وخاصة الحشية التباعد من مظان الخطر . ومنها أن يكون مستقصيا عن السلاطين فلا يدخل عليهم البتة مادام يحسد إلى الفرار عنهم سبيلا بل ينبغي أن يحترز عن مخالطهم وإن جاءوا إليه فإن الدنيا حلوة خضرة وزمامها بأيدي السلاطين والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف في طلب مرضاتهم واستئالة قلوبهم مع أنهم ظلمة ويجب على كل متدين الإنكار عليهم وتضييق صدورهم باظهار ظلمهم وتضييق فمهم فالدخول عليهم إما أن يلتفت إلى تجملهم فيزدرى نعمة الله عليه أو يكتف عن الإنكار عليهم فيكون مدهانا لهم أو يتكلف في كلامه كلاما لمرضاتهم وتخمين حالهم وذلك هو البت الصريح أو أن يطعم في أن ينال من دنياهم وذلك هو السحت وسيأتي في كتاب الحلال والحرام ما يجوز أن يؤخذ من أموال السلاطين وما لا يجوز من الادرار والجوائز وغيرها وعلى الجملة فتخالطهم مفتاح للشروع وعلماء الآخرة طريقهم الاحتياط . وقد قال صلى الله عليه وسلم « من بدا جفا » يعني من سكن البادية جفا « ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى السلطان افتتن »^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم « سيكون عليكم أمراء

(١) حديث نزع القمص العلم متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث نزع الخاتم النصب في أثناء الخطبة متفق عليه من حديث ابن عمر .

(٣) حديث من بدا جفا الحديث أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي من حديث ابن عباس .

تعرفون منهم وتذكرون فمن أنكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ولكن من رضى وتابع أبغده الله تعالى قبل أن تغلق آفاقهم قال صلى الله عليه وسلم لا ماصوا ولا قال سيفان في جهنم واحد لا يسكه إلا القراء الزائرون للملوك وقال حذيفة إذا كنتم ومواقف الفتن قبل ومما هي ؟ قال أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول فيه ما ليس فيه وقال رسول الله ﷺ « العلماء أمانة الرسل على عباد الله تعالى ما لم يخالطوا السلاطين فإذا خالطوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم » (١) رواه أنس . وقيل للأعشى لقد أحيت العلم لكثرة من يأخذ به فقال لا تمسوا ثلث يموتون قبل الإدراك وثلث يلزمون أبواب السلاطين فهم شر الخلق وثلث الباقي لا يفلح منه إلا القليل ولذلك قال سعيد بن المسيب رحمه الله إذا رأيتم العالم ينشئ الأمراء فاحذروا منه فإنه لى وقال الأوزاعي ما من شيء أبغض إلى الله تعالى من عالم يزور عاملا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « شرار العلماء الذين يأتون الأمراء وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء » (٢) وقال مكحول الدمشقي رحمه الله من تلم القرآن وتفقه في الدين ثم صعب السلطان تحلقا إليه وطعما فبا لديه خاض في بحر من نار جهنم يمد خطاه وقال ممنون ما أجمع بالمالان يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيسئل عنه فيقال هو عند الأمير قال وكنت أسمع أنه يقال إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جبرت ذلك إذ ما دخلت قط على هذا السلطان إلا وحاصبت نفسي بعد الخروج فأرى عليها الدرك وأتم نزول ما ألقاه به من النظرة والقطعة وكثرة الخافضة لهواء ولوددت أن أجو من الدخول عليه كغافا مع أنى لا أخذ منه شيئا ولا أشرب له شربة ماء ثم قال وعلماء زماننا شر من علماء بنى إسرائيل يشبهون السلطان بالرخس وما يوافق هواه ولو أخبروه بالحق عليه وفيه نجاته لاستقبلهم وكره دخولهم عليه وكان ذلك نجات لهم عند ربهم وقال الحسن كان فيمن كان قبلكم رجل له قدم في الإسلام وصعبة لرسل الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن المبارك عن به سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال وكان لا ينشئ السلاطين وينصر عنهم فقال له بنوه يأتى هؤلاء من ليس هو مثلك في الصعبة والقدم في الإسلام فلو أنيتهم فقال يأتى آتى جيفة قد أحاط بها قوم واهلثن استطعت لأشأركم فيها . قالوا يأتى بآنا إذن نهلك هز لا قال يأتى لأن أموت مؤمنا مهزولا أحب إلى من أن أموت منافقا سمينا قال الحسن خضهم والله إذا علم أن التراب يأكل اللحم والسمن دون الإيمان وفي هذا إشارة إلى أن الداخل على السلطان لا يسلم من اتفاق البتة وهو مضاد للإيمان وقال أبوذر سلمة بإسلمة لا تنشئ أبواب السلاطين فانك لتصيب شيئا من دنياهم إلا أصابوا من دينك أفضل منه وهذه فتنة عظيمة للعلماء وندمة سببة للشيطان عليهم لاسيا من له شهية مقبولة وكلام حلو لا يزال الشيطان يلقي إليه أن فى وعظك لهم ودخولك عليهم ما يجرهم عن الظلم ويقيم شأركم الشرع إلى أن يغيل إليه أن الدخول عليهم من البين ثم إذا دخل لم يلبث أن يتلطف في الكلام ويداهن ويغوض في التناهد والإطراء وفيه هلاك الدين وكان يقال العلماء إذا علموا عملوا فإذا علموا اشتغلوا فإذا شغلوا فسدوا فإذا قدوا طلبوا فإذا طلبوا هربوا وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى الحسن : أما بعد فأشركى بأقوام

والبيض والنفاء والبقا والجمع والتفرقة وعين التحول والرواثة والارادة والمريد والمراد والمهمة والفرية والمسكر والاصطلام والربة والرهبة والوجود والتواجد فنذكر شرح هذه على أوجز ما يمكن بعشيرة الله تعالى وإن كانت أفعالهم المصرفة بينهم في علومهم أكثر مما ذكرنا فلما قصدنا أن نريك منها أعوذ جواد دستورنا تصلى به إذا طرأ عليك ما لم تذكره لك ههنا إذ لما بحيث وإلها سيل تطلبه بعد ذلك على وجهه (فأما السفر والطريق) فالمراد بهما سفر القلب بالالفكر في طريق العقول وعلى ذلك يبقى لفظ السالك والمسافر في لغتهم ولم ير يد ذلك سلوك الأقدام إلى ما يقطع مسافات الأجسام فإن ذلك مما حاركه فيه البهائم والأنعام وأول مسالك السفر إلى الله تعالى عز وجل معرفة

- (١) حديث سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتذكرون الحديث مسلم من حديث أم سلمة
- (٢) حديث أنس العلماء أمانة الرسل على عباد الله الحديث الثقلبي في الضعفاء وذكره ابن الجوزى في الموضوعات (٣) حديث شرار العلماء الذين يأتون الأمراء وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء ابن ماجه بالشرط الأول نحوه من حديث أبي هريرة بسند ضعيف .

قواعد الشرع وخرق
حجب الأرض والنبى
وتملق القرض فيها
واللاد بها ومنها فاذا
خلفوا وانواحبوا وقطعوا
معاطنها أشرفوا على
مفاوز أوسع وبرزت
لهم مهام أعرض
وأطول من ذلك معرفة
أركان المعارف النبوية
والنفس والعدو والدينا
فاذا تخلصوا من
أوعارها أشرفوا على
غيرها أعظم منها في
الانتساب وأعرض
بغير حساب من ذلك
سر التدروك في
حكم في الخلائق وقادهم
بلطف في عفو وشدة
في لين وبقوة في منصف
وباختيار في جبر إلى
ملهو في مجاري لا غير
المختلفون عنه طرفة
عين ولا يتقدمون
ولا يتأخرون عنه
والإشراف على
للكسوت الأعظم
ورؤية تعجب ومشاهدة
غرائب مثل العلم
الإلهي واللوح المحفوظ
والجنين الكسابة
وملائكة الله بطوفون
حول العرش وباليث
للمعور وهم يسبحونه

أستعين بهم على أسرار الله تعالى فكتب إليه أما أهل الدين فلا يريدونك وأما أهل الدنيا فلن تريدكم ولكن
عنايت بالإشراف فانهم يصنون شرفهم بأن يدنسوه بالحاجة هذا في عمر بن عبد المز رحمة الله وكان
أزهد أهل زمانه فاذا كان شرط أهل الدين الحرب منه فكيف يستنصب طلب غيره ومخالطته ولم يزل
السلف العلماء مثل الحسن والثوري وابن المبارك والفضيل وإبراهيم بن آدم ويوسف بن أسباط
يتكلمون في علماء الدنيا من أهل مكة والشام وغيرهم إما ليبلغهم إلى الدنيا وإما لخالفهم السلاطين .
ومنها أن لا يكون مسارعا إلى الفتيا بل يكون متوقفا ومحترزا ما وجد إلى الخلاص سبيلا فان مثل
عما يسله تحقيقا بنص كتاب الله أو بنص حديث أو إجماع أو قياس جلى أفتى وإن سئل عما يشك
فيه قال لا أدري وإن سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه وأحال على غيره إن كان
في غيره غنية هذا هو الخرم لأن تله خطر الاجتهاد عظيم وفي الخبر « العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة
قائمة ولا أدري (١) » قال الشيخ لا أدري نصف العلم ومن سكت حيث لا يدري لله تعالى فليس بأقل
أجرا من نطق لأن الاعتراف بالجهر لأمد على النفس فكذلك كانت عادة السجاية والسلف رضي الله عنهم
كان ابن عمر إذا سئل عن الفتيا قال اذهب إلى هذا الأمير الذي تقلب أمور الناس فضعها في عصفوق قال ابن
مسعود رضي الله عنه إن الذي يفتى الناس في كل ما يستفتونه لجنون وقال جنة العالم لا أدري فان
أخطأها فقد أصيبت مفاصله وقال إبراهيم بن آدم رحمه الله ليس شيء أشد على الشيطان من عالم يتكلم بيلم
ويسكت بيلم يقول انظروا إلى هذا سكوتة أشد على من كلامه ووصف بعضهم الأبدال فقال أكلهم فاقة
ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة أى لا يتكلمون حتى يسألوا وإذا سألوا ووجدوا من يكلمهم سكتوا
فان اضطروا أجابوا وكانوا يصدون الإبداء قبل السؤال من الشهوة الخفية للكلام وصر على
وعبد الله رضي الله عنهما بزل يتكلم على الناس فقال هذا يقول اصرفوني وقال بعضهم إنما العالم
الذى إذا سئل عن المسئلة فكأنما يقلع ضره وكان ابن عمر يقول تريدون أن تجعلوا نجسرا تصرون
علينا إلى جهنم وقال أبو حفص النيسابورى العالم هو الذى يخاف عند السؤال أن يقال له يوم القيامة من
أين أحببت وكان إبراهيم بن آدم والثوري يتكلمون على الاثنين والثلاثة والنفر اليسر فاذا كثروا
انصرفوا وقال صلى الله عليه وسلم « ما أدري أعزيرني أم لا وما أدري أتبع ملعون أم لا وما أدري
ذو القرنين بني أم لا (٢) » واما رسول الله ﷺ عن خير البقاع في الأرض وشرها قال لا أدري حتى
نزل عليه جبريل عليه السلام فسأله فقال لا أدري إلى أن أعلمه الله عز وجل أن خير البقاع للساجد
وشرها الأسواق (٣) » وكان ابن عمر رضي الله عنهما يسئل عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة
ويسكت عن تسع وكان ابن عباس رضي الله عنهما يجيب عن تسع ويسكت عن واحدة وكان في الفقهاء
من يقول لا أدري أكثر من يقول أدري منهم سفيان الثوري ومالك بن أنس وأحمد بن حنبل والفضيل
ابن عياض وبشر بن الحارث وقال عبد الرحمن بن أبي أدركت في هذا المسجد مائة وعشرين من
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتهم أحديسئل عن حديث أو فتيا إلا ود أن أخاه كذا ذلك
(١) حديث العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا أدري، الخطيب في أسماء من روى عن مالك موقفا
على ابن عمر ولأبي داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر مرفوعا نحوه مع اختلاف وقد تقدم
(٢) حديث ما أدري أعزيرني أم لا الحديث أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة
(٣) حديث لما سئل عن خير البقاع وشرها قال لا أدري حتى نزل جبريل الحديث أحمد وأبو يعلى
والبخاري والحاكم وصححه ونحوه من حديث ابن عمر .

وفي لفظ آخر كانت الشبهة تعرض على أحدكم فيردها إلى الآخر ويردها الآخر إلى الآخر حتى تعود إلى الأول . وروى أن أصحاب الصفة أهدى إلى واحد منهم رأس مشوي وهو في غاية الضر فأهداه إلى الآخر وأهداه الآخر إلى الآخر هكذا دار بينهم حتى رجع إلى الأول فانظر الآن كيف انكسر أمر العلماء فصار للهراب منه مطلوب والمطلوب مهروباً منه ويهدد لحسن الاحتراز من تقلد الفتاوى ماروى مسنداً عن بعضهم أنه قال لا يفتي الناس إلا ثلاثة أمير أو مأمور أو متكلف وقال بعضهم كان الصحابة يتناقضون أربعة أشياء الإمامة والوصية والودية والفتيا وقال بعضهم كان أسرعهم إلى الفتيا أقلهم علماً وأقدم دُفعاً لها أورعهم وكان شغل الصحابة والتابعين رضي الله عنهم في خمسة أشياء قراءة القرآن وعمارة المساجد وذكر الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك لما سمعوه من قوله صلى الله عليه وسلم « كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ثلاثة أمور بمسوف أو نهى عن منكر أو ذكر الله تعالى (١) » وقال تعالى - لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس - الآية ورأى بعض العلماء بعض أصحاب الرأي من أهل الكوفة في المنام فقال ما رأيت فيها كنت عليه من الفتيا والرأي فكره وجهه وأعرض عنه وقال ما وجدناه شيئاً وما حمدنا عقابته وقال ابن حصين إن أحدكم ليفتي في مسئلة لو وردت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر فلم يزل السكوت دأب أهل العلم إلا عند الضرورة . وفي الحديث « إذا رأيتم الرجل قد أوتي صمتاً وزهداً فالتقوا منه فإنه يلقن الحكمة (٢) » وقيل العالم إما عالم عام وهو للفق والمجتر خاصة وهو العالم بالتحديد وأعمال الصلوات وهم أصحاب الروايات المتفرقون للتفرقون وكان يقال مثل أحمد بن حنبل مثل دجلة كل أحد يشتر منها ومثل جبر بن الحارث مثل بئر عذبة مظغة لا يقصدها إلا أولاد بعد واحد وكانوا يقولون فلان عالم وفلان منكم وفلان أكثر كلاماً وفلان أكثر عملاً وقال أبو سليمان المعرفة إلى السكوت أقرب منها إلى الكلام وقيل إذا كثرت العلم قل الكلام وإذا كثرت الكلام قل العلم وكتب سلمان إلى أبي الهرداء رضي الله عنهما وكان قد أتى بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) : يا أخى بلقي أنك قدمت طيباً فتدأوى الرضى فانظر فإن كنت طيباً فسلم فإن كلامك شفاء وإن كنت متطيباً فافقه الله لا تفتل مسلماً فكان أبو الهرداء يتوقف بعد ذلك إذا سئل وكان أنس رضي الله عنه إذا سئل يقول سلوا مولانا الحسن وكان ابن عباس رضي الله عنهما إذا سئل يقول سلوا حارثة بن زيد وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول سلوا سعيد بن المسيب . وحكى أنه روى صحابي في حضرة الحسن عشرين حديثاً فسل عن خبرها فقال ما عندي إلا ما رويت فأخذ الحسن في تفسيرها حديثاً حديثاً فتصبروا من حسن تفسيره وحفظه فأخذ الصحابي كفاً من حصي ورماه به وقال تسألوني عن العلم وهذا الخبر بين أظهركم . ومنها أن يكون أكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الآخرة وسلوكه وصديق الرجا في انكشاف ذلك من المجاهدة والرقابة فإن المجاهدة تفضي إلى المشاهدة ودقائق علوم القلب تنفع بهاتين الحيكمتين القلب وأما الكتب والتعليم فلا تنفي بذلك بل الحكمة الخارجة عن الحصر والمدد إنما تفتح بالمجاهدة والرقابة ومباشرة الأعمال

(١) حديث كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ثلاثة الحديث الترمذي وابن ماجه من حديث أم حبيبة قال الترمذي حديث ضريب (٢) حديث إذا رأيتم الرجل قد أوتي صمتاً وزهداً الحديث ابن ماجه من حديث ابن خلد بإسناد ضيف (٣) حديث مؤاخاته صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبي الهرداء البخاري من حديث أبي جعفر .

ويقصدونه وفيهم كلام الخلوقة من الحيوانات والجمادات ثم التخطي منها إلى معرفة الخالق للكل وللكل للجميع والقادر على كل شيء فتشام الأنوار المحرقة ويتجلى لملة قلوبهم الحقائق المستتجة فيملكون الصفات ويشاهدون اللوصوف ويحبون حيث غاب أهل الدعوى ويصرون ماعى عنه أولو الأيصار الضعيفة بحجب الهوى . والحال منزلة البدي في الحين فيسوف في الوقت حاله ووقته وقيل هو ما يتحول فيه البعد ويتغير عما يرد على قلبه فإذا صفا تارة وتغير أخرى قبل حال وقال بعضهم الحال لا يزال فإذا زال لم يكن حالاً . وللقام هو الذي يقوم به العبد في الأوقات من أنواع للمملات وصنوف المجاهدات فتى أنتم العبد شيء منها على التمام والكمال فهو مقامه حتى ينقل منه إلى غيره

واللكان هو لأهل
الكمال والتهكمين
والنهاية فإذا ألبس
في معانيه قد تمكن
من اللكان وغير
القسمات والأحوال
فيكون صاحب مكان
كأقال بعضهم :

مكانك من قبي هو
القلب كله

فليس شيء فيه غيرك
موضع

والشطح كلام يترجم
به اللسان عن وجد

يفيض عن معدنه
مقرون بالدعوى إلا أن

يكون صاحبه مخطوفا
والطوائع أنواع

التوحيد يطلق على
قلوب أهل العرفة

شعاعها فيطمس
سلطان نورها الألوان

كما أن نور الشمس
يمحو أنوار الكواكب

والذهاب هو أن يذهب
القلب عن حب كل

محسوس بمشاهدة
محبوبها . والنفس

روح سلطه الله على
نار القلب ليضيئ مشرها

والسر ما خفي عن
الحلق فلا يعلم إلا بالحق

وسر السر ما لا يحس
به السر . والسر ثلاثة

الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله عز وجل في الخلوة مع حضور القلب يصاق الفكرة والانعطاف إلى الله تعالى محاسنهم فذلك مفتاح الإلهام ومنبع الكشف فكيف من متعلم طال تلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة وكمن من مقصر على التلم ومتوفر على العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطائف الحكمة ما خاف فيه عقول ذوى الألباب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من عمل بما علم ورثه الله عام ما لم يعلم ^(١) » وفي بعض الكتب العالقة يابن إسرائيل لاقهوا العلم في السماء من ينزل به إلى الأرض ونزق غيوم الأرض من يصدبه ولا من وراء البحار من يبر بأقبحه ، العلم مجبول في قلوبكم تأدبوا بين يدي بآداب الروحانيين وتخلقوا إلى بأخلاق الصديقين أظهر العلم في قلوبكم حتى يضيقكم ويغمركم وقال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله خرج العلماء والعباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم تفتح إلا قلوب الصديقين والشهداء ثم تلا قوله تعالى - وعنده مفتاح لا يفتحها إلا هو - الآية ولولا أن إدراك قلب من له قلب بالنور الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال ^(٢) « استغث قلبك وإن أقنوك وأقنوك وأقنوك » وقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تعالى « لا يزال العبد يتقرب إلى دائر الوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ^(٣) » الحديث فكيف من ممان دقيقة من أسرار القرآن تخطر على قلب التجردن للذكر والفكر تخلو عنها كتب التفسير ولا يطلع عليها أفاضل المفسرين وإذا انكشف ذلك للمريد المراقب وعرض على المفسرين استحسنوه وعلموا أن ذلك من تنبيهات القلوب الزكية وأنطاف الله تعالى بلهم العالمة للتوجه إليه وكذلك في علوم للكاشفة لأسرار علوم العالمة ودقائق خواطر القلوب فإن كل علم من هذه العلوم محر لا يدرك عمقه وإنما يخوضه كل طالب يقدر مارزق منه وبحسب ما وفق له من حسن العمل وفي وصف هؤلاء العلماء قال صلى الله عليه وسلم عنه في حديث طويل القلوب أوعية وخبرها أوعاها للخير والناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة ومهجر عارح أشباع لسكن تاعق يميلون مع كل ريح لم يستقيشوا بنور العلم ولم يلجؤا إلى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يبرك والمال يزكو على الإضاق وللإضاق ينقصه الإضاق والعلم دين يبدن به تكسب به الطاعة في حياته وجمل الأحدث بعد وفاته العلم حاكم وللال محكوم عليه ومنفعة المال تزول بزواله مات خزان الأموال وهم أحياء والعلم أحياء باقون ما بقى الدهر ثم تنفس الصمداء وقالدها إنهن عالمات جمال لو وجدت له حمة بل أجدر طالباً غير مأمون يستعمل آله الدين في طلب الدنيا ويستطيل بنعم الله على أوليائه ويستظهر بحجة على خلقه أو متقاد لأهل الحق لكن يزرع الشك في قلبه بأول عارض من شبهة لا بصيرة له لذا ولا ذاك أو منهما بالذات سلس القيادة طلب الشهوات أو مفرى بجمع الأموال والادخار متقاد لهواه أقرب شياهم الأنعام الساعة اللهم هكذا يموت العلم إذ مات حاملوه ثم لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهر مكتشف وإما خائف مقهور لكيلا تبطل حجج الله تعالى وبيناته وكمن وأين أولئك هم الأقولون عددا الأعظمون قدرا أيمانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة يحفظ الله تعالى بهم حججه حتى يودعها من ورائهم ويزرعها في قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فيأشروا روح اليقين فاستلنا ما استوعر منه المتفرون وأنسوا بما استوحش منه التافلون صبحوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالهل الأعلى أولئك أولياء الله عز وجل من خلقه وأمنائه وعماله في أرضه والدعاة إلى دينه ثم يحيى وقال واشوقه إلى رؤيتهم

(١) حديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم أبو نعم في الحلي من حديث أنس وصفه (٢) حديث لا يزال العبد يتقرب إلى دائر الوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعا وبصيرا متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ كنت سمعه وبصره وهو في الحلية كذا ذكره للؤلؤف من حديث أنس بسند ضيف.

فهذا الذي ذكره أخيراً هو وصف علماء الآخرة وهو العلم الذي يستفاد أكثره من العمل واللوامة على المجاهدة . ومنها أن يكون شديد العناية بتقوية اليقين فإن اليقين هو رأس مال الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « **اليقين الإيعان كله** » (١) فلا بد من تعلم علم اليقين أعني أو الله ثم يفتح القلب طريقه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « **تعلموا اليقين** » (٢) ومعناه جالسوا للوقوف واستمعوا منهم علم اليقين وواظبوا على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كما قوى يقينهم وقيل من اليقين خير من كثير من العمل وقال صلى الله عليه وسلم « **لما قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل جهل في العبادة قليل اليقين فقال صلى الله عليه وسلم : مامن آدمي إلا وله ذنوب ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم يفسره الذنوب لأنه كلما أذنب تاب واستغفر ونعم فتكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة** » (٣) ولذلك قال **عليه السلام** « **إن من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمته الصبر ومن أعطى حظه منها لم يبال ما فات من قيام الليل وصيام النهار** » (٤) وفي وصية لقمان لابنه يابى لا يستطاع العمل إلا باليقين ولا يعمل للرب إلا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه وقال عجي : معاذ إن للتوحيد نوراً وللشرك ناراً وإن نور التوحيد أحرق لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات الشركين وأراد به اليقين وقد أشار الله تعالى في القرآن إلى ذكر اللوقين في مواضع دل بها على أن اليقين هو الرابطة للخيرات والسماعات . فان قلت فما معنى اليقين وما معنى قوته وفضته فلا بد من فهمه أولاً ثم الاشتغال بطلبه وتعلمه فان ما لا فهم صورته لا يمكن طلبه فاعلم أن اليقين لفظ مشترك يطلقه فريقان لحنيين مختلفين أما النظار وللتكلمون فيعبرون به عن علم الشك إذ ميل النفس إلى التصديق بالله . له أربع مقامات : الأول أن يستدل التصديق والتكذيب ويبر عنه بالشك كما إذا سئل عن شخص معين أن الله تعالى يماقيه أم لا وهو مجهول الحال عندك فان نفسك لا تميل إلى الحكم فيه بإثبات ولا نفي بل يستوي عندك إمكان الأمرين فيسمى هذا شكاً . الثاني أن تميل نفسك إلى أحد الأمرين مع الشعور بإمكان تغيبه ولكنه إمكان لا يمنع ترجيح الأول كما إذا سئل عن رجل تعرفه بالصلاح والتقوى أنه يسيه لومات على هذه الحالة هل يماقك فان نفسك تميل إلى أنه لا يماقك أكثر من ميلها إلى العقاب وذلك لظهور علامات الإصلاح ومع هذا فأنت تجوز إخفاء أمر موجب للعقاب في باطنه وسريته فهذا التجوز مساو لذلك الليل ولكنه غير دافع رجحانه فهذه الحالة تسمى ظناً . الثالث أن تميل النفس إلى التصديق بجيء بحيث يثلب عليها ولا تخبط بالبال غيره ولو خطر بالبال تأني النفس عن قبوله ولكن ليس ذلك مع معرفة حقيقة إذ لو أحسن صاحب هذا القام التأمل والإصغاء إلى التشكيك والتجوز اتسمت قسه لتجوز وهذا يسمى اعتقاداً مقاربا لليقين وهو اعتقاد العوام في الشريعات كلها إذ لم يرسخ في تفوسهم بمجرد السماع حتى إن كل فرقة تثق بصحة مذهبها وإصابة إمامها ومتبعيها ولو ذكر لأحدهم إمكان خطأ إمامه نقر عن قبوله . الرابع للفرقة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان لا يشك فيه ولا يتصور الشك فيه فإذا امتنع وجود الشك وإمكانه يسمى يقيناً

(١) حديث اليقين الإيعان كله البيهقي في الزهد والخطيب في التاريخ من حديث ابن مسعود بإسناد حسن (٢) حديث تعلموا اليقين أبو نعيم من رواية ثور بن يزيد مرسل وهو معضل ورواه ابن أبي الدنيا في اليقين من قول خاله بن معدان (٣) حديث قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب الترمذي الحكيم في التوادر من حديث أنس بإسناد مظلم (٤) حديث من أولى ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث له على أصل وروى ابن عبد البر من حديث معاذ ما أنزل الله شيئاً أقل من اليقين ولا هم شيئاً بين الناس أقل من العلم الحديث .

سر العلم وسر الحال
وسر الحقيقة فسر
العلم حقيقة العالمين
بالله عز وجل وسر
الحال معرفة مراد الله
في الحال من الله وسر
الحقيقة ما وقست به
الإشارة . والوصل
إدراك القاتل .
والفضل قوت ما تجره
من محبوبك . والأدب
ثلاثة : أدب الشريعة
وهو التعلق بأحكام
العلم بصحة عزيم الخدعة
والثاني أدب الخدمة
وهو التمسك عن
العلامات والتجرد
عن اللاحظات .
والثالث أدب الحق
وهو موازنة الحق
بالحكمة . والرابعة
اثان رياضة الأدب
وهو الخروج عن
طبع النفس ورياضة
الطلب وهو صفة الراد
والتمنى التشبه
بأحوال الصادقين
بأحوال وإظهار
الأعمال . والتخلي
اختيار الخلو
والإعراض عن كل
ما يشغل عن الحق
والتجمل هو ما يتكشف
للقاصب من أنوار

عند هؤلاء ومثاله أنه إذا قيل لعالم هل في الوجود شيء هو قديم فلا يمكنه التصديق به بالبدية لأن القديم غير محسوس كالشمس والقمر فإنه يصدق بوجودهما بالحس وليس العلم بوجود شيء قديم أولى ضرورياً مثل العلم بأن الاثنين أكثر من الواحد ومثل العلم بأن حدوث حادث بلا سبب محال فإن هذا أيضاً ضروري خلق غرزة العقل أن تنفص عن التصديق بوجود القديم على طريق الأرتجال والبدية ثم من الناس من يسمح بذلك ويصدق بالباع تصديقاً جزئياً ويستمر عليه وذلك هو الاعتقاد وهو حال جميع العوام ومن الناس من يصدق به بالبرهان وهو أن يقال له إن لم يكن في الوجود قديم فالموجودات كلها حادثة فإن كانت كلها حادثة فهي حادثة بلا سبب وأنها حادث بلا سبب وذلك محال فإدعى إلى المحال محال فيلزم في العقل التصديق بوجود شيء قديم بالضرورة لأن الأقسام ثلاثة وهي أن تكون الموجودات كلها قديمة أو كلها حادثة أو بعضها قديم وبعضها حادثة فإن كانت كلها قديمة قد حصل المطلوب إذ ثبت على الجملة القديم وإن كان السكل حادثاً فهو محال إذ يؤدي إلى حدوث بغير سبب فيثبت القسم الثالث أو الأول وكل علم حصل على هذا الوجه يسمى يقيناً عند هؤلاء سواء حصل بنظر مثل ما ذكرناه أو حصل بحس أو بضرورة العقل كالمعلم باستحالة حادث بلا سبب أو بتواتر كالمعلم بوجود مكة أو بتجربة كالمعلم بأن السموم تهايطبوع مسهل أو بدليل كما ذكرنا فشرط إطلاق هذا الاسم عندهم عدم الشك فكل علم لا شك فيه يسمى يقيناً عند هؤلاء وعلى هذا لا يوصف اليقين بالضعف إذ لا تفاوت في نفي الشك . الاصطلاح الثاني اصطلاح الفقهاء والتصوف كأكثر العلماء وهو أن لا يلتفت فيه إلى اعتبار التجويز والشك بل إلى استيلائه وغلبته على العقل حتى يقال فلان ضعيف اليقين بالموت مع أنه لا شك فيه ويقال فلان قوي اليقين في إتيان الرزق مع أنه قد يجوز أنه لا يأتيه فهم ما انتفى النفس إلى التصديق بشيء وغلب ذلك على القلب واستولى حتى صار هو المتكلم والتصرف في النفس بالتجويز ولتنتج من ذلك يقيناً ولا شك في أن الناس مشتركون في القطع بالموت والانفكاك عن الشك فيه ولكن فيهم من لا يلتفت إليه ولا ولا إلى الاستعداد له وكأنه غير موقن به ، ومنهم من استولى ذلك على قلبه حتى استغرق جميع همه بالاستعداد له ولم يبادر فيه متسعاً لغيره فيبر عن مثل هذه الحالة بقوة اليقين ولذلك قال بعضهم ما رأيت يقيناً لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من اللوث وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالضعف والقوة ونحن إنما أردنا بقولنا إن من شأن علماء الآخرة صرف العناية إلى تقوية اليقين بالمعنيين جميعاً وهو نفي الشك ثم تسليط اليقين على النفس حتى يكون هو الغالب المتكلم عليها التصرف فيها فإذا فهمت هذا علمت أن المراد من قولنا إن اليقين ينقسم ثلاثة أقسام بالقوة والضعف والسكر والوقالة والخفاء والجلالة فأما بالقوة والضعف فله الاصطلاح الثاني وذلك في القلب والاستيلاء على القلب ودرجات معاني اليقين في القوة والضعف لا تنتهي وتفاوت الخلق في الاستعداد للموت بحسب تفاوت اليقين بهذه المعاني وأما التفاوت بالخفاء والجلالة في الاصطلاح الأول فلا ينسكراً أيضاً فيما يطرق إليه التجويز فلا ينسكراً ، أعنى الاصطلاح الثاني وفيما انتفى الشك أيضاً عنه لا سبيل إلى إنكاره فإنه تدرك فترقب بين تصديقك بوجود مكوك وجود فذلك لا وبين تصديقك بوجود موسى وجود يوشع عليهما السلام مع أنك لا تشك في الأمرين جميعاً فستجد جميعاً التواتر ولكن ترى أحدهما أجلى وأوضح في قلبك من الثاني لأن السبب في أحدهما أقوى وهو كثرة الخبرين وكذلك يدرك الناظر هذا في النظريات المعروفة بالأدلة فإنه ليس وضوح ماله له بدليل واحد كوضوح ماله له بالأدلة الكثيرة مع تساويهما في نفي الشك وهذا قد ينسكراً للتكلم الذي يأخذ العلم من الكتب والباع ولا يراجع نفسه في يدرك من تفاوت الأحوال وأما القوة والسكر فذلك بكثرة

التجرب والملة تنبه
عن الحق والارتجاع
إتباع القلب من سنة
الفطنة والتحرك للأش
والوعدة . والمشاهدة
ثلاثة مشاهدة الحق
وهي رؤية الأشياء
بدلائل التوحيد
ومشاهدة الحق وهي
رؤية الحق في الأشياء
ومشاهدة الحق وهي
حقيقة اليقين
بلا رتاب . والمكاشفة
أتم من المشاهدة وهي
ثلاثة مكاشفة بالعلم
وهي تحقيق الإساءة
بالقيم ومكاشفة بالحال
وهي تحقيق رؤية
زيادة الحال ومكاشفة
بالتوحيد وهي تحقيق
صحة الإشارة . واللوائح
ما يلوح من الأسرار
الظاهرة الصافية مو
السوء من حالة إلى
حالة أتم منها والارتقاء
من درجة إلى ما هو
أعلى منها . والتلوين
تلوين البعد في أحواله
وقالت طائفة علامة
الحقيقة رفع التلوين
يظهور الاستقامة
وقال آخرون علامة
الحقيقة التلوين

متعلقات اليقين كما قاله فلان أ كثر علم فلان أي معلوماته أ كثر ولذلك قد يكون العلم قوياً اليقين في جميع ما ورد الشرع به وقد يكون قوى اليقين في بعضه . فان قلت قد فهمت اليقين وقوته وضعفه وكثرته وقلة وجلاءه وخفاه بمعنى نفي الشك أو بمعنى الاستيلاء على القلب فما معنى متعلقات اليقين وجاريه وفيما ذا يطلب اليقين فاني ما لم أعرف ما يطلب فيه اليقين لم أقدر على طلبه . فاعلم أن جميع ما ورد به الأنبياء صوات الله وسلامه عليهم من أوله إلى آخره هو من مجاري اليقين فان اليقين عبارة عن معرفة مخصوصة ومتعلقة بالمعلومات التي وردت بها الترائع فلا مطمع في إحصائها ولكني أشير إلى بعضها وهي أمهاتها فمن ذلك التوحيد وهو أن يرى الأشياء كلها من مسبب الأسباب ولا يلتفت إلى الوسائط بل يرى الوسائط مسخرة لأحكامها فالصدق بهذا موقن فان اتقى عن قلبه مع الإيمان إمكان الشك فهو موقن بأحد الضمين فان غلب على قلبه مع الإيمان غلبة زالت عنه الغضب على الوسائط والرضا عنهم والشكر لهم ونزل الوسائط في قلبه منزلة العلم والصدق حق النعم بالتوقيع فانه لا يشكر القبول ولا يذولوا ينضب عليها بل يراها آياتين مسخرتين وواسطتين قد صار موقناً بالمعنى الثاني وهو الاشراف وهو ثمرة اليقين الأول ووروجه وفائدته ومهما تحقق أن الشمس والقمر والنجوم والجماد والنبات والحيوان وكل مخلوق فهي مسخرات بأمره حسب تسخير القلب بدالكاتب وأن القدرة الألية هي المصدر للسل استولى على قلبه غلبة التوكل والرضا والتسليم وصار موقناً بربا من الغضب والحقد والحسد وسوء الخلق فهذه أحد أبواب اليقين ومن ذلك الثقة بضم الله سبحانه بالرزق في قوله تعالى - وما من دابة في الأرض إلا على إغز أزنيها - واليقين بأن ذلك يأتيه وأن ما قدر له يساق إلى وجهه غلب ذلك على قلبه كان محققاً للطوبى ولشدت حرصه وشهره وتأسفه على مفاته وأمر هذا اليقين أيضاً بحمله من الطاعات والأخلاق الحميدة . ومن ذلك أن يطلب على قلبه أن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره . وهو اليقين بالثواب والقابح يرى نسبة الطاعات إلى الثواب كنسبة الحزب إلى الشيع ذرئتها يره . وهو اليقين بالثواب والقابح يرى نسبة الطاعات إلى الثواب كنسبة الحزب إلى الشيع ونسبة المعاصي إلى العقاب كنسبة السموم والأفاعى إلى المهلك فكما يحرس على التحصيل للغير طلباً للشيع فيحفظ قلبه وكثيره فكذلك يحرس على الطاعات كلها قليلها وكثيرها وكما يجتنب قليل السموم وكثيرها فكذلك يجتنب المعاصي قليلها وكثيرها وصغيرها وكبيرها فاليقين بالمعنى الأول قد يوجد لمعوم المؤمنين أما بالمعنى الثاني فيختص به القربون وثمره هذا اليقين صدق الرافية في الحركات والسكنات والخطرات والمبالغة في التقوى والتحرز عن كل السيئات وكلما كان اليقين أغلب كان الاحتراز أشد والتشهير أبلغ . ومن ذلك اليقين بأن الله تعالى مطلع عليك في كل حال ومشاهد ما هو أسخبرك وخافيا خواطره وفكره فكذا يتقن عند كل مؤمن بالمعنى الأول وهو عدم الشك وأما بالمعنى الثاني وهو المقصود فهو عزيز يختص به الصديقون وثمرته أن يكون الإنسان في خلوة متأدباً في جميع أحواله كالجالس يشهد ملك معظم ينظر إليه فانه لا يزال مطرقة متأدباً في جميع أعماله متمسكاً بمحترزاً عن كل حركة تخالف هيئة الأدب ويكون في فكرته الباطنة كمو في أعماله الظاهرة إذ يتحقق أن الله تعالى مطلع على سريرة كما يطلع الخلق على ظاهره فكون مبالغة في عمارة باطنه وتطهير مورتين به بين الله تعالى الكاتبة أشد من مبالغة في تزين ظاهره لسان الناس وهذا القام في اليقين بورث الحياء والخوف والانسكاس والذل والواستكانة والخضوع وجملة من الأخلاق المحمودة وهذه الأخلاق تورث أنواعاً من الطاعات رفيعة فاليقين في كل باب من هذه الأبواب مثل الشجرة وهذه الأخلاق في القلب مثل الأغصان للفرعة منها وهذه الأعمال والطاعات السائرة من الأخلاق كالجاروك الأناوار المنفرعة من الأغصان فاليقين هو الأصل والأساس وله مجار وأبواب أكثر مما عدته وسبب ذلك في ربع

لأنه يظهر فيه قدرة القادر فيكسب منه العبد القيرة . والقيرة غيرة في الحق وغيره على الحق وغيره من الحق فالغيرة في الحق برؤية الفواحش والنهائ وغيره على الحق هي كيان الترائع والغيرة من الحق ضنة على أولياته . والحرية إقامة حقوق المبدئية فتكون لله عبداً وعند غيره حرّاً . واللطفية إشارة دقيقة المعنى تلوح في القم ولا يسعها العبارة . والتزويج ثلاثة تزوج العبادة في الظاهر وذلك سبب إخلاص التصديق في الحلوة في الإيمان وهو سبب جذب الحق بأعطائه وتزويج المسكافة وهو سبب للمرفق الخلق . والوسم والرسم معنيان يجران في الأبد بما جريا في الأول . والبسط عبارة عن حال الرجاء والتبني عبارة عن حال الخوف . والثناء فناء المعاصي ويكون فناء رؤية العبد لقلبه

قيام الله تعالى على ذلك . والبقاء بقاء الطاعات ويكون بقاء رؤية البعد قيام الله سبحانه على كل شيء والجمع للتسوية في أصل الخلق وعن آخرين معناه إشارة من أشار إلى الحق بلا خلق والفرقة إشارة إلى اللون والخلق فمن أشار إلى تفرقة بلا جمع فقد جحد الباري سبحانه ومن أشار إلى جمع بلا تفرقة فقد أنكر قدرة القادر وإذا جمع بينهما فقد وجد . عين التحمل إظهار غاية الخصوصية بلسان الانبساط في الدعاء . والزوائد زيادات الإيمان بالغيب واليقين والإرادات ثلاثا لإرادة الطالب من الله سبحانه وتعالى وذلك موضع التضييق وإرادة الحظ منه وذلك موضع الطمع وإرادة الله سبحانه ذلك موضع الإخلاص والريد هو التي منح له الابتلاء ودخل في جملة المقطعين إلى الله عز وجل بالاسم .

النجيات إن شاء الله تعالى وهذا القدر كاف في معنى اللفظ الآن . ومنها أن يكون حزينا منكسرا مطرقا صامتا يظهر أثر الحشية على هيئته وكسوته وسيرته وحركته وسكونه ونطقه وسكونه لا ينظر إليه ناظر إلا وكان نظره مذكرا لله تعالى وكانت صورته دليلا على عمله فالجود عنه مرآته وعلماء الآخرة يعرفون بسام في السكنية والذلة والتواضع وقديما ألبس الله عبدا لبسة أحسن من خشوع في سكنية فهي لبسة الأنبياء وسبا الصالحين والصدّيقين والعلماء وأما التفات في السلام والتشدد والاستتراق في الضحك والحدة في الحركة والنطق فكل ذلك من آثار البطر والأمن والنفقة عن عظيم عقاب الله تعالى وعديد من خطه وهودأب أبناء الدنيا الفاعلين عن الله دون العلماء وهذا لأن العلماء ثلاثة كما قال سهل التستري رحمه الله يأمر الله تعالى لا يأبى الله وهم للفقير في الحلال والحرام وهذا العلم لا يورث الحشية وعالم بالله تعالى لا يأمر الله ولا يأبى الله وهم عموم للمؤمنين وعالم بالله تعالى وبأمر الله تعالى وبأبام الله تعالى وهم الصدّيقون والحشية والخشوع إنما تغلب عليهم وأراد يأبى الله أنواع عقوباته القائمة ونعمه الباطنة التي أفاضها على القرون السالفة واللاحقة فمن أحاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر خشوعه وقال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا العلم بالسكنية والوفاء والحلم وتواضعوا لمن تتعلمون منه وليتواضع لكم من يتعلم منكم ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بهلكم ويقال ما أتى الله عبدا علما إلا آتاه معه حملا وتواضعوا وحسن خلقي فذلك هو العلم النافع وفي الأثر من آتاه الله علما وزهدا وتواضعوا وحسن خلق فهو إمام التقين وفي الخبر « إن من خيار أمتي قوما يصحكون جهرا من سعة رحمة الله ويكون سرا من خوف عذابه أبناءهم في الأرض وقلوبهم في السماء أرواحهم في الدنيا وعقولهم في الآخرة يمشون بالسكنية ويتبرون بالوسيلة » وقال الحسن الخلمي وزير العلم والرفق أبوه والتواضع سرباله وقال جبر بن الحرث من طلب الرياسة بالعلم تقرب إلى الله تعالى بيفضه فانه يموت في السماء والأرض ويروي في الأسراليات أن حكيا صنف ثلثمائة وستين مصنفات في الحكمة حتى وصف بالحكيم فأوحى الله تعالى إلى نبيهم قل لفلان فعملت الأرض خاقا ولم تردني من ذلك بشيء وإني لأقبل من فاقك شيئا فندم الرجل وترك ذلك وخالط العامة ومضى في الأسواق ووا كل بني إسرائيل وتواضع في نفسه فأوحى الله تعالى إلى نبيهم قل له الآن وهت لرضائي . وحكي الأوزاعي رحمه الله عن بلال بن سعد أنه كان يقول ينظر أحداكم إلى الشرطي فيستحيذ بالله منه وينظر إلى علماء الدنيا للتعصين للخلق للتشوفين إلى الرياسة فلا يحقهم وهم أحق بالحق من ذلك الشرطي وروي أنه قيل « يا رسول الله أي الأعمال أفضل ؟ قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبيا من ذكرته قيل فأى الأعمال خير قال صلى الله عليه وسلم صاحب إن نسيت لم يذكرك وإن ذكرت لم ينسك قيل فأى الناس أعلم قال أشدهم لله خشية قيل فأخبرنا بخيارنا نجالسهم قال صلى الله عليه وسلم الدين إزار وروا ذكر الله قيل فأى الناس شر قال اللهم غفرا قالوا أخبرنا يا رسول الله قال العلماء إذا قدسوا » (١)

(١) حديث إن من خيار أمتي قوما يصحكون جهرا من سعة رحمة الله ويكون سرا من خوف عذابه الحديث الحاكم والبيهقي في شعب الإيمان وضعه من حديث عياض بن سليمان (٢) حديث قبل يا رسول الله أي الأعمال أفضل قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبيا من ذكرته الحديث لها جده هكذا بطوله وفي زيادات الزهد لابن المبارك من حديث الحسن مرسلا سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل قال أن تموت يوم تموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى ولقد مرمني من رواية الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسلا ألا إن شر الشر شرار العلماء وإن خير الخير خيار العلماء وقد قدم .

وقال صلى الله عليه وسلم « إن أكثر الناس أماناً يوم القيامة أكثرهم فكراً في الدنيا وأكثروا كثر الناس ضحكا في الآخرة أكثرهم بكاء في الدنيا وأشد الناس فرحاً في الآخرة أطولهم حزناً في الدنيا » (١) وقال علي رضي الله عنه في خطبة له في منبره « وأنا به زعيم بأنه لا يسبح على التقوى زرع قوم ولا ينظم على الهدى سنخ أسل وإن أجمل الناس من لا يعرف قدره وإن أفضى الخلق إلى الله تعالى رجل قش على أغاربه في أغباش الفتنة سماء أشباهه من الناس وأرذلهم علماً ولم يسبق في العلم بهوماً سائلاً بكر واستكثر لفافلهم وكفى خيراً ما كثر وألمى حتى إذا ارتوى من ماء آجن وأكثر من غير طائل جالس للناس معاً لتخليص ما التبس على غيره فإن نزلت به إحدى الهيمات هيأ لها من رأيه حشواً رأى فهو من قطع الشبهات في مثل نسج النكبوت لا يدري أسخط أم أصاب ركاب جهالات خطاط عشوات لا يعتذر بما لا يعلم فيسلم ولا يرضى على العلم بضرر قاطع فيفتم تبيكن منه الدماء وتستحل بفضائه الفروج الحرام لاملء والله بأصدار ما ورد عليه ولا هو أهل لما قوض إليه عنه إذا صمتم العلم فاطمأنا عليه ولا تخططوه بهزل فتجبه القلوب أيام حياة الدنيا وقال علي رضي الله عنه إذا صمتم العلم فاطمأنا عليه ولا تخططوه بهزل فتجبه القلوب وقال بعض السلف العالم إذا صمحت منكبة مع من العلم عجة وقيل إذا جمع العلم ثلاثاً تمت النعمة بها على التعلم الصبر والتواضع وحسن الخلق وإذا جمع للتعلم ثلاثاً تمت النعمة بها على العلم العقل والأدب وحسن الفهم وعلى الجملة فالأخلاق التي ورد بها القرآن لا ينفك عنها علماء الآخرة لأشهم يتعلمون القرآن للعمل لا للرياسة وقال ابن عمر رضي الله عنهما لقد عشنا برهة من الدهر وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن وتزله السورة فيتعلم حلالها وحرامها وأوامرها وزواجرها وما ينبغي أن يقف عندهمنا وقد رأيت رجلاً يؤتى أحداهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاعثاً الكتاب إلى خاتمة لا يدري ما أمره وما زاجره وما ينبغي أن يقف عنده ينزله الدقل » (٢) ، وفي آخره يثقل معناه كنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتينا الإيمان قبل القرآن وسيأتى بمدرك قوم يؤتون القرآن قبل الإيمان فيقيمون حره وفهمهم حدوده وحقوقه يقولون قرأنا فمن أقرأنا فمعنا فمن أقرأنا فمعنا فذلك عظمهم (٣) وفي لفظ آخر أولئك شرار هذه الأمة وقيل خمس من الأخلاق هي من علامات علماء الآخرة فهمومة من خمس آيات من كتاب الله عز وجل الخشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق وإشارة الآخرة على الدنيا وهو الزهد فأما الخشية فمن قوله تعالى « إنما يخشى الله من عباده العلماء » وأما الخشوع فمن قوله تعالى « خاشعين لله لا يشركون بك آيات الله متقابلين » وأما التواضع فمن قوله تعالى « وأما الزهد فمن قوله جنانك المؤمنين » وأما حسن الخلق فمن قوله تعالى « فبأمره من الله تلتعلم » وأما الزهد فمن قوله تعالى « وقال الذين أوتوا العلم وبأسرهم ثواب الله خير من آمن وعمل صالحاً » ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام » فقيل له ما هذا الشرح فقال إن النور إذا قذف في القلب انشرح له الصدر وانشرح قبل فهل لذلك من علامة قال صلى الله عليه وسلم نعم التجاني عن دار الغرور والإنيابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله (٤) . » ومنها أن يكون

والرأد هو العارف الذي لم يبق له إرادة وقد وصل إلى النهاية وغير الأحوال والقامات. والهمة ثلاثة : همة منبهوه تحرك القلب للمنى وهمة إرادة وهى أول صدق المراد وهمة حقيقة التصور عن ملاحظة ذروة هذا الأمر والمجهل فإن الأمراء والخطب جد والآخر متقبلة الدنيا مدبرة والأجل قريب والسفر بعيد والزاد طفيف والخطر عظيم والطريق سد وما سوى الخالص لوجه الله من العلم والعمل عند الناقد البصير رد وسلوك طريق الآخرة مع كثرة التوائل من غير دليل ولا رفيق متعب ومكد فأدلة الطريق هم العلماء الذين هم ورة الأنبياء وقد شرفهم الزمان ولم يبق إلا التزمون وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان واستولاهم الطغيان وأصبح كل واحد بما جل حظه مشغولاً ضار يرى العروف

أكثر غشيه عن علم الأعمال وعمما يفسدها ويشوش القلوب ويهيج الوسواس ويشير الشرفان أصل الدين التوفيق من الشر ولذلك قيل :

عرفت الشر لا الشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه ولأن الأعمال الفعلية قربة وأضاهها بل أعلاها للواجبة على ذكر الله تعالى القلب واللسان وإعسا الشأن في معرفة لا يفسدها ويشوشها وهذا ما أكثر شبهه ويطول تفرسه وكل ذلك مما يخلب ميسر الحاجة إليه وتم به البلوى في سلوك طريق الآخرة وأما علماء الدنيا فانهم يتبعون غرائب التفرجات في الحكومات والأقضية ويتبعون في وضع صور تمتص الدهور ولا تقيم أبدا وإن وقعت فاعا تقع لغيرهم لا لهم وإذا وقعت كان في القائمين بها كثرة ويركون ما يبلزهم ويتكرر عليهم أثناء الليل وأطراف النهار في خواطرهم ووسوسهم وأعمالهم وما أبعد عن السعادة من باع منهم نفسه للآلئ بهم غيره النادر إشارتا التقرب والقبول من الخلق على التقرب من الله سبحانه وشرفا في أن يسميه البطالون من أبناء الدنيا فاضلا محققا عالما بالقائق وجزاؤه من الله أن لا ينتفع في الدنيا بقبول الخلق بل يتكدر عليه صفوه بنوائب الزمان ثم رد القيامة مفلسا متحسرا على ما شاهد من ربح العالمين وفوز المقربين وذلك هو الحسنان اللين ولقد كان الحسن البصري رحمه الله أشبه الناس كلاما بكلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأقرهم هديا من الصحابة رضى الله عنهم أفتت الحكمة في حقه على ذلك وكان أكثر كلامه في خواطر القلوب وفساد الأعمال ووساوس النفوس والصفات الخفية العائمة في شهبوات النفس وقد قيل له بأيا سعيد إنك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك فمن أين أخذته قال من حديثه بن الحبان وقيل الحديثه نالك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة فمن أين أخذته قال خصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر عرافة أن أقع فيه وعلت أن الخير لا يسبقني عليه (١) وقال مرة فقلت أن من لا يعرف الشر لا يعرف الخير وفي لفظ آخر كانوا يقولون يارسول الله ما نعمل كذا وكذا يسألونه عن فضائل الأعمال وكنت أقول يارسول الله ما يفسد كذا وكذا فلا رأي أسأله عن آفات الأعمال خصى بهذا العلم وكان حديثه رضى الله عنه أيضا قد خصى بلم المناقذين وأفرد بمعرفة علم النفاق وأسبابه ودقائق الفتن فكان عمر وعثمان وأكابر الصحابة رضى الله عنهم يسألونه عن الفتن العامة والخاصة وكان يسأل عن المناقذين فيجبر بسدد من يقي منهم ولا يخبر بأحاديثهم وكان عمر رضى الله عنه يسأله عن نفسه هل يعلم فيه شيئا من النفاق فقرأه من ذلك وكان عمر رضى الله عنه إذا دعى إلى جنازة ليصلى عليها نظرفان حضر حديثه صلى عليها ولا تزل وكان يسمى صاحب السر فالغاية بمقامات القلب وأحواله دأب علماء الآخرة لأن القلب هو الساعى إلى قرب الله تعالى وقد صار هذا الفن غريبا مندسرا وإذا تعرض العالم لشيء منه استغرب واستبعد وقيل هذا تزويق للذكرين فأين التحقيق وبرون أن التحقيق في دقائق المجادلات ولقد صدق من قال :

الطريق شتى وطريق الحق مفردة والسالكون طريق الحق أفراد

لا يعرفون ولا تدرى مقاصدهم فهم على مهمل يمشون قصاد

والناس في غفلة عما يراد بهم يظلمهم عن سبيل الحق رقاد

وعلى الجملة فلا يميل أكثر الخلق إلا إلى الأسهل والأوفق لطباعهم فان الحق مر والوقوف عليه صعب وإدراكه شديد وطريقه مستوعر ولا سيما معرفة صفات القلب وتطهيره عن الأخلاق

(١) حديث حديثه كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر الحديث أخرجه مختصرا .

متكرا والذكر معروفا
حتى ظل علم الدين
مندرسا ومنار الهدى
في أنظار الأرض
منطمسا ولقد خيلا
إلى الخلق أن لا علم إلا
قوى حكومة تستعين
به القضاة على فصل
الحصام عند تهاوش
الطعام أو جدل يتدرب
به طالب البهايات إلى
الغلبة والإطعام أو جمع
مزخرف يتوصل به
الواعظ إلى استدراج
العوام إلى روماسوى
هذه الثلاثة مصيدة
للحرام وشبكة للخطام
فأما علم طريق الآخرة
هو مبادئ عليه السلف
الصالح وجمع جميع المهمة
بصفاء الإلهام
والغربة ثلاثة : غربة
عن الأوطان من أجل
حقيقة التصد وغربة
عن الأحوال من
حقيقة التفرج بالأحوال
وغربة عن الحق من
حقيقة الهش عن
للرقة . والاسطلام :
نعت وله رد على القلوب
بقوسطنان فيسكنها .
والسكر ثلاثة : مكبر
عموم وهو الظاهر
في بعض الأحوال

للمومة قال ذلك نزع الروح على الدوام وصاحبه ينزل منزلة الشارب للدواء يصبر على مرارته رجاء الشفاء وينزل منزلة من جعل مدة العمر صومه فهو يقاسي الشدائد ليكون فطره عند الموت ومن تكثر الرغبة في هذا الطريق ولذلك قيل إنه كان في البصرة مائة وعشرون متسككاً في العوظ والتذكر ولم يكن من يتكلم في علم اليقين وأحوال القلوب وصفات الباطن إلا ثلاثة منهم سهل التستري والصديقي وعبد الرحيم وكان يجلس إلى أولئك الخلق الكثير الذي لا يحصى وإلى هؤلاء عدد يسير قلما يجاوز العشرة لأن النفيس المزيز لا يصلح إلا لأهل الخصوص وما يسهل للعموم فأمره قريب . ومنها أن يكون اعتياده في علومه على بصيرته وإدراكه بصفاء قلبه لا على الصحف والكتب ولا على تقليد ما يسمعه من غيره وإعانة التقليد صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فيما أمر به وقاله وإعانة بقوله الصحابة رضي الله عنهم من حيث إن فطهم يدل على سباجهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم إذا قلده صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم في تلقى أقواله وأفعاله بالقبول فينبغي أن يكون حرصاً على فهم أسرارهم فإن التقليد إنما يفضل لأن صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم فضله لابد وأن يكون لسر فيه فينبغي أن يكون شديد البحث عن أسرار الأعمال والأقوال فإنه إن اكتفى بحفظ ما يقال كان وعاء للعلم ولا يكون عالماً ولذلك كان يقال فلان من أوعية العلم فلا يسمى عالماً إذا كان شأنه الحفظ من غير اطلاع على الحكم والأسرار ومن كشف عن قلبه الغطاء واستثار بنور الهداية صار في نفسه متبوعاً مقبلاً فلا ينبغي أن يقلد غيره ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما ما من أحد إلا يؤخذ من علمه ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) وقد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه وقرأ إلى أبي كعب ثم خالفهما في الفقه والقرأة جميعاً . وقال بعض السلف ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلناه على الرأس والعين وما جاءنا عن الصحابة رضي الله عنهم فأخذ منهم وتركوا عنه وتركوا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال وإعانة فضل الصحابة لمشاهدتهم قرائن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتلاق قلوبهم أموراً أدركت بالقرائن فسددهم ذلك إلى الصواب من حيث لا يدخل في الرواية والعبارة إذ فاض عليهم من نور النبوة ما يحرسهم في الأكثر عن الخطأ وإذا كان الاعتناء للسموع من الغير تقليداً غير مرضى فلا اعتناء على الكتب والتصانيف أبداً بل الكتب والتصانيف عدتها لم يكن شيء منها في زمن الصحابة وصدر التابعين وإنما حدثت بعد ستمائة وعشرين من الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة وجملة التابعين رضي الله عنهم وبعد وفاة سعيد بن المسيب والحسن وخيار التابعين بل كان الأولون يكرهون كتب الأحاديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القرآن وعن التدبر والتذكر وقالوا احفظوا كما كنا نحفظ ولذلك كره أبو بكر وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم تصنيف القرآن في مصحف وقالوا كيف نقول شيئاً ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وخافوا اتسكال الناس على المصاحف وقالوا ترك القرآن يتلقاه بعضهم من بعض بالتقوى والإقراء ليسكن هذا شغلهم وهممهم حتى أشار عمر رضي الله عنه بوجبة الصحابة بكتب القرآن خوفاً من تحاذل الناس وتكاسلهم وحذراً من أن يقع نزاع فلا يوجد أصل يرجع إليه في كلنا وقراءة من للتشابهات فاتسرح صدر أبي بكر رضي الله عنه لذلك فجعل القرآن من مصحف واحد وكان

(١) حديث ابن عباس ما من أحد إلا يؤخذ من علمه ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الطبراني من حديثه يرفعه بحفظه من قوله ويصح .

ومكر خصوص وهو في سائر الأحوال ومكر خفي في إظهار الآيات والكرامات . والرغبة ثلاثة : رغبة النفس في التواب ورغبة القلب في الحقيقة ورغبة السر في الحق . والرغبة رغبة النبي لتحقيق أمر السبق . والوجد : مصادفة القلب بصفاء ذكر كان قد قدمه والوجود : تمام وجد الواجدين وهو أتم الوجود عندهم . وسئل بعضهم عن الوجد والوجود فقال الوجد ما يطلبه فتجده بكسبك واجتهادك والوجود ما يجده من الله الكريم والوجد عن غير تمكن والوجود مع التمكن والتواجد : استدعاء الوجد والتشبه في تكلفه بالصادقين من أهل الوجد (القاعدة) وأما القاعدة التي يبنى عليها هذا الفن بأسره فذلك اجتذاب أرواح القلبي والاشارة إلى البعد في القرب قصد الاستدلال بالأقوال

أحمد بن حنبل ينكر على مالك في تصنيفه للوطأ ويقول ابتدع ما لم تفعله الصحابة رضي الله عنهم
وقيل أول كتاب صنف في الإسلام كتاب ابن جرير في الآثار وحروف التفسير عن مجاهد وعطاء
وأصحاب ابن عباس رضي الله عنهم بمكة . ثم كتاب معمر بن راشد التنعاني باليمن جمع فيه سنا
مأثورة نبوية ، ثم كتاب اللوطأ بالمدينة لماك بن أنس ، ثم جامع سفيان الثوري ، ثم في القرن
الرابع حدث مصنفات الكلام وكثر الخوض في الجدل والنقض في إبطال العقائد ، ثم ما للناس
إليه وإلى القصص والوعظ بها فأخذ علم اليقين في الاندرا من ذلك الزمان فصار بعد ذلك
يستغرب علم التصوف والتفتيش عن صفات النفس ومكاييد الشيطان وأعرض عن ذلك إلا الأقنون
فصار يسمى المجادل للتكلم علما والواقف للزخرف كلامه بالعبارة المسجعة علما وهذا لأن العوام
هم للسمعون إليهم فكان لا يتعين لهم حقيقة العلم من غيره ولم تكن سيرة الصحابة رضي الله عنهم
وعالومهم ظاهرة عندهم حتى كانوا يعرفون بها ميانة هؤلاء لم فاستمر عليهم اسم العلماء وتوارث
اللقب خلف عن سلف وأصبح علم الآخرة مطويا وغاب عنهم الفرق بين العلم والكلام إلا عن
الخواص منهم كانوا إذا قيل لهم فلان أعلم أم فلان يقولون فلان أكثر علما وفلان أكثر كلاما
فكان الخواص يدركون الفرق بين العلم وبين القدرة على الكلام هكذا صنف الدين في قرون
سابقة فكيف الظن بزمانك هذا وقد انتهى الأمر إلى أن مظهر الانكار يستهدف لنسبته إلى
الجنون فالأولى أن يشتغل الانسان بنفسه ويكتسب . ومنها أن يكون شديد التوق من محدثات
الأموال وإن اتفق عليها الجمهور فلا يفرته لإطباخ الحلق على ما أحدث بعد الصحابة رضي الله عنهم
وليكن حرصا على التنبيه عن أحوال الصحابة وسيرتهم وأعمالهم وما كان فيه أكثر همهم
أكان في التدريس والتصنيف وللناظر والقضاة والولاية وتولى الأوقاف والوصايا أو كال مال الأيتام
ومعاطلة السلاطين ومجاملتهم في الشرية أم كان في الخوف والحزن والتفكير والمجاهدة ومراقبة
الظاهر والباطن واجتناب دقيق الآثم وجلبه والحرس على إدراك خفايا شهوات النفوس ومكاييد
الشيطان إلى غير ذلك من علوم الباطن . واعلم حقيقة أن أعلم أهل الزمان وأقربهم إلى الحق
أشبههم بالصحابة وأعرفهم بطريق السلف منهم أخذ الدين ولذلك قال على رضي الله عنه خيرنا أتينا
لهذا الدين لما قيل له خالفت فلانا فلا ينبغي أن يكثر بمخالفة أهل الصرى في موازنة أهل عصر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الناس رأوا رأيا فيما هم فيه ليل طباعهم إليه ولم تسمع نفوسهم
بالاعتراف بأن ذلك سبب الحرمان من الجنة فادعوا أنه لا سبيل إلى الجنة سواه فذلك قال الحسن
محدثان أحدثا في الإسلام رجل ذو رأي سيء زعم أن الجنة لمن رأى مثل رأيه ومترف يبس
الدنيا لها ينضب ولها يرضى وإياها يطلب فارضوها إلى النار وإن رجلا أصبح في هذه الدنيا
بين مترف يدعو إلى دنياه وصاحب هوى يدعو إلى هواه وقد عصمه الله تعالى منها محن
إلى السلف الصالح يسأل عن أفعالهم ويتقن آثارهم متعرض لأجر عظيم فكذلك ككونوا وقد
روى عن ابن مسعود موقوفا ومسندا أنه قال « إنما هما إختان الكلام والمسدى ، فأحسن
الكلام كلام الله تعالى ، وأحسن المسدى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ألا وإياكم
ومحدثات الأمور ، فإن شر الأمور محدثاتها ، وإن كل محدثة بدعة ، وإن كل بدعة ضلالة ،
ألا لا يظنون عليكم الأبد فتسوقوا بكم ، ألا كل ما هو آت قريب ، ألا إن العبد ما ليس بآت (١) »

(١) حديث ابن مسعود إنما هما إختان الكلام والمسدى الحديث ابن ماجه .

والأعمال والأحوال على
الله تعالى قصدا ذاتيا
لا يلبى ما يملكه أرباب
علوم الظاهر ، ثم
التصديق بالقوة والنظر
إلى الملكوت من
كوة ومعرفة العلوم
في الانصراف ومصاحبة
القدر بالمساعدة
وبالمعروف ومعاونة
الوجودات الحسنة
والدافئ والحسنة والحالي
والحق والشهي
حسبا فهم من الصرع
وثبت معناه في المحفوظ
من الوحي وقفا أدرك
شئ من العجز والعلم
لا يزال براحة الجسم
ومن يتق الله يحصل
له من أمره يسرا
ذلك أمر الله أنزه
إليكم ومن يتوكل
على الله فهو حسبه
إن الله بالغ أمره قد
جعل الله لكل شئ
قدرا (والوهمية) أيها
الطالب للعلوم
والناظر في التصانيف
والمستصرف على كلام
الناس وكتب الحكمة
ليكن نظرك فيما
تنتظر فيه بالله وقه
وفي الله لأنه إن لم يكن

لم يبر عنه والمطمح
بنظر قلبك في كلامه
إلى غاية ما يحتمل فذلك
يعرفك قدره ويفتح
باب قصده ولا تقطعه
بصحة ولا تحسم عليه
بساد ولكن تحسب
النظر أغلب عليك فيه
حتى يزول الإشكال
عك بما تتيقن من
معانيه وإذا رأيت له
حسنة وبسطة فاشتر
الحسنة واطلب العاذر
للسيئة ولا تكن
كالنحلة تنزل على أفند
ما تجده ولا تبجل على
أحد بالتخطئة ولا تبادر
بالتجمل فربما غاد
عليك ذلك وأنت
لا تشعر فكل علم
عودة وله في بعض
ما يأتي به احتجاج
وتأهيك ماجرى بين
ولى الله تعالى الخضر
وكليمه موسى على
نبينا وعليهما السلام
وإذا عرض لك من
كلام عالم إشكال
يؤذن في الظاهر بحال
أو اختلال فحفظه من
عليه ودع ما اعتاص
عليك فهمه وكل
العلم فيه إلى الله

وفي الحديث المشهور «من أحدث في ديننا ما ليس منه فهو رد»^(١) وفي خبر آخر «من غش أمي قلبه
لعنة الله والملائكة والناس أجمعين قيل يا رسول الله وما غش أمي قلبه يعني يبدع بدعة يحمل الناس
عليها»^(٢) وقال رسول الله ﷺ «إن الله عز وجل ملكا ينادي كل يوم من خالف سنتي رسول الله صلى
الله عليه وسلم لم تبه شفاعته»^(٣) ومثال الجاني على الدين بآداب مخالف السنة بالنسبة إلى من يذنب ذنبا
مثال من عصى الملك في قلب دولته بالنسبة إلى من خالف أمره في خدمة معينة وذلك قد يفرق له فامقابل
الدولة فلا يمشى العلماء ماتسكهم فيه السلف فالكسوت عنه جفاء وما سكنت عنه السلف فالسلام فيه
تسكف وقال غيره الحق قيل من جاوزه ظلم ومن قصر عنه عجز ومن وقف معه اكتفى وقال صلى الله عليه
وسلم «عليكم بالوسط الذي يرجع إليه العالي ويرتفع إليه التالي»^(٤) وقال ابن عباس رضي الله
عنهما الضلالة لها حلالة في قلوب أهلها قال الله تعالى - وذو الدين اغتوا دينهم لبنا ولهاوا - وقال
تعالى - أفن زين له سوء عمله فرآه حسنا - فكل ما أحدث بعد الصحابة رضي الله عنهم مجاوز قدر
الضرورة والحاجة فهو من اللبس واللهو وحكي عن إبليس لعنه الله أنه بث جنوده في وقت الصحابة رضي الله
عنهم فرجعوا إليه محمدين قالوا ما رأينا مثل هؤلاء مناصيب منهم شيئا وقد آمنونا
فقال إنكم لا تدرون عليهم قد سمعوا نبيهم وشهدوا نزيل ربهم ولكن سيأتى بهم قوم تتألون
منهم حاجتكم فلما جاء التابعون بث جنوده فرجعوا إليه منكسين فقالوا ما رأينا أعجب من هؤلاء
نصيب منهم الشيء بعد الشيء من الذنوب فإذا كان آخر النهار أخذوا في الاستغفار فيبدل أنفسهم
حسنات فقال إنكم لن تتألون من هؤلاء شيئا لصحة توحيدهم واتباعهم لسنة نبيهم ولكن سيأتى بهم
هؤلاء قوم تشر أعينهم بظنهم لبنا وتؤدونهم بأزمة أهوائهم كيف شئتم إن استغفروا لم يغفر لهم
ولا يتوبون فيبدل الله سيئاتهم حسنات قال لما قوم بعد القرن الأول فبث فيه الأهواء وزين لهم البعد
فاستحلوها وأخذوها ديناً لا يستغفرون الله منها ولا يتوبون عنها فسلط عليهم الأعداء وقادومهم بأن
شاهدوا فان قلت من أين عرف قائل هذا ما قاله إبليس ولم يشاهد إبليس ولا حدثه بذلك فاعلم أن أرباب
الغلو يكافسون بأسرار الكسوت تارة على سبيل الإلهام بأن يخطر لهم على سبيل الورد عليهم
من حيث لا يسمون وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة وتارة في النقطة على سبيل كشف المعاني بمشاهدة
الأمثلة كما يكون في المنام وهذا أعلى الدرجات وهي من درجات النبوة العالية كما أن الرؤيا الصادقة
جزء من سنة وأربعين جزءا من النبوة فإياك أن يكون حظك من هذا العلم إنكار مجاوز حد
قصورك فيه هلك للتحذرون من العلماء الزاعمون أنهم أحاطوا بعلوم العقول فالجهل خير من عقل
يدعو إلى إنكار مثل هذه الأمور لأولياء الله تعالى ومن أنكر ذلك للأولياء لزمه إنكار الأنبياء
وكان خارجا عن الدين بالكافة قال بعض السافرين إنما اتطع الأبدال في أطراف الأرض واستمروا
عن أعين الجمهور لأنهم لا يطيقون النظر إلى علماء الوقت لأنهم عندهم جهال بالله تعالى وهم عند أنفسهم
وعند الجاهلين علماء قال سهل التستري رضي الله عنه إن من أعظم المعاصي الجهل بالجهل والنظر
إلى العامة واستماع كلام أهل الخلقة وكل عالم خاض في الدنيا فلا ينبغي أن يصغى إلى قوله بل ينبغي أن يتم

(١) حديث من أحدث في ديننا ما ليس فيه فهو رد متفق عليه من حديث عائشة بلطف في أمرنا
ما ليس منه وعند أبي داود فيه (٢) حديث من غش أمي قلبه لعنة الله الحديث البخاري
في الأفراد من حديث أنس بسند ضعيف جدا (٣) حديث إن الله ملكا ينادي كل يوم من خالف
سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تبه شفاعته لم أجده أصلا (٤) حديث عليكم بالوسط
الحديث أبو عبيد في غريب الحديث موقوفا على أبي بن أبي طالب ولم أجده مرفوعا .

في كل ما يقبل لأن كل إنسان غرض في أحب ويدع ما لا يوافق غرضه. ولذلك قال الله عز وجل - ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً - والموافق العصاة أسعدنا من الجاهل بطريق الدين للمعتدين أنهم من العلماء لأن المصالح المصيرية تقتضي فيستغنى ويحب وهذا الجاهل الظان أنه عالم وأن ما هو مشتغل بمن المعلوم التي هي وسائله إلى الدنيا عن سلوك طريق الدين فلا يتوب ولا يستغفر بل لا يزال مستمر على الموت وإن غلب هذا على أكثر الناس إلا من عصمه الله تعالى وأعطاه الطمع من إصلاحهم فالأسلم لدى الدين المحتاط العزلة والافتراق عنهم كلياً حتى في كتاب العزلة يأنه إن شاء الله تعالى ولذلك كتب يوسف بن أسباط إلى جديته للرعي ما ظنك بمن يبق لا يجد أحداً يذكر الله تعالى معه إلا كان آثماً أو كانت مذاكرته معصية وذلك أنه لا يجد أهله ولقد صدق فان مخالطة الناس لا تنفك عن غيبة أو سماع غيبة أو سكوت على منكر أو أن أحسن أحواله أن يفيد أيا أو يستدعيه ولو تأمل هذا للسكين وعلم أن سماع الغيبة لا يخلو عن شوائب الرياء وطلب الجمع والرياسة علم أن السكينة إنما يريد أن يجعل ذلك آلة إلى طلب الدنيا ويوسيلة إلى الترفيح كون هو مبعوثاً إلى ذلك ورداء أو ظهوراً وميثاقاً لأسباب كالذي يبيع السيف من قطع الطريق فالعلم كالسيف وصلاحه للخير كصلاح السيف فلهذا ولا يرضى له في البيع عن علم بقرائن أحواله أنه يريد الاستعانة على قطع الطريق فهذه اثنتا عشرة علامة من علامات علماء الآخرة تجمع كل واحدة منها جملة من أخلاق علماء السلف فكان أحد رجلين إما متصفاً بهذه الصفات أو متعرفاً بالتصغير مع الإقرار به وإياك أن تكون الثالث قلبك على نفسك بأن بدلت آلة الدنيا بالدين وأتبعه سيرة البطالين بسيرة العلماء الراسخين وتلتحق بمجتهدك وإنكارك زمرة المالكين الآيسين نمود بالله من خضع للشيطان فيها هلك الجهمر ففسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن لا نقره الحياة الدنيا ولا ينزله بالله الفرور .

الباب السابع في العقل وشرفه وحقيقته وأقسامه

بيان شرف العقل

اعلم أن هذا مما لا يحتاج إلى تكلف في إظهاره لاسيما وقد ظهر شرف العلم من قبل العقل والعقل منبع العلم ومطلعه وأساسه والعلم يجري منه مجرى النخلة من الشجرة والتور من الشمس والرؤية من العين فكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة في الدنيا والآخرة أو كيف يشرب فيه واليه جمع قصور تميزها تحتكم العقل حتى إن أعظم البهائم بدنا وأشد هاضرة واقواها سطوة إذا رأى صورة الإنسان احتشمته وهابة لشعوره باستنائه عليه لما خص به من إدراك الحيل . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « الشيخ في قومه كالنبي في أمته ^(١) » وليس ذلك لكثرة ماله ولا لكبر شخصه ولا لزيادة قوته بل لزيادة تجربته التي هي ثمرة عقله ولذلك ترى الأتراك والأكراد وأجلاف العرب وسائر الخلق مع قرب منزلتهم من رتبة البهائم يوقرون للشايخ بالطبع ولذلك حين قصد كثير من الماندين قد تزلزل رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما وقت أعينهم عليه واكتحلوا بفرته الكريمة هابوه وتراعى لهم ما كان يتلأ على دياجة وجهه من نور النبوة وإن كان ذلك باطناً في نفسه بطون العقل خسر العقل مدرك بالضرورة وإنما القصد أن نورد ما وردت به الأخبار والآيات في ذكر شرفه وقد ساء الله أنورا في قوله تعالى - الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة - وسمى العلم للاستفادة منه روحاً وحيوة قال تعالى - وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا - وقال سبحانه - أو من كان ميتاً نأخذه وجنتاً له نوراً نعيش به

الباب السابع في العقل

(١) حديث الشيخ في قومه كالنبي في أمته ابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عمر وأبو منصور الديلمي عن حديث أبي رافع بسند ضعيف .

عز وجل - فهذه وصيقي لك فاحفظها ونذكرى إليك فلا تفهل عنه :

اسمع وصيقي إن حفظت بها

وإن تخالف فقد بردي بك الخلف

وأزيدك زيادة تقتضي التعرف بأصناف

العلماء لكي يصف أهل الحقيقة من

غيرهم فك في ذلك أكبر منفعة ولي في

وصفهم أبلغ غرض فلهذا علماً : العلماء

ثلاثة حجة وحجاج ومحجوج فالخبرة عالم

بالله وبأمرة وبآياته مهابت الخشية لله سبحانه

والورع في الدين والزهد في الدنيا

والإثبات في عز وجل المستقيم والمحجج

مدفوع إلى إقامة الحجة وإطعام نار البدة قد

أخرس للتكلمين وأخمس التخرسين

برهانه سامع وبإياته قاطع وحفظه ما يترفع

شواهد بينة ونجومه نيرة قدح صراط الله

المتقن والمحبوج عالم بالله وبأمرة وبآياته

في الناس وحيث ذكر النور والظلمة أراد به العلم والجهل كقوله - يخرجهم من الظلمات إلى النور - وقال صلى الله عليه وسلم « يا أيها الناس اعتقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا ما أمرتم به وما نهيتهم عنه واعلموا أنه يجذبكم عند ربكم واعلموا أن العاقل من أطاع الله وإن كان دميم للنظر حقيق الخاطر دنى القزقرث الهينة وأن الجاهل من عصى الله تعالى وإن كان جليل للنظر عظيم الخطر شريف التزلة حسن الهيئة نصيحاً نطوقاً فالفردة والخنزير أعقل عند الله تعالى ممن عصاه ولا تتر بتعظيم أهل الدنيا إياكم فانهم من الخاسرين (١) » . وقال ﷺ « أول ما خلق الله العقل فقال له أول فأقبل ثم قال له أدير فأدير ثم قال الله عز وجل وعزى وجلالى ما خلقت خلقاً أكرم على منك بك اتخذ وبك أعطى وبك أئيب وبك أعاقب (٢) » فان قلت فهذا العقل إن كان عرضاً فكيف خلق قبل الأجسام وإن كان جوهرًا فكيف يكون جوهر قائم بنفسه ولا يتجزأ . فاعلم أن هذا من علم للكاشفة فلا يليق ذكره بعلم للعامة وعرضنا الآن ذكر علوم العامة وعن أنس رضي الله عنه قال « أتى قوم على رجل عندنا صلى الله عليه وسلم حتى قالوا فقال صلى الله عليه وسلم كيف عقل الرجل فقالوا نخبرك عن اجتهداه في العبادة وأصناف الخير وتسلنا عن عقله فقال ﷺ : إن الأحقق يصيب بجهله أكثر من فجور الفاجر وإنما يرتفع العباد عندنا في الدرجات الثلاث من ربهم على قدر عقولهم (٣) » . وعن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أكتبب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه إلى هدى ويرده عن ردى ومات إيمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله (٤) » وقال ﷺ « إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فتندلك ثم إيمانه وأطاع ربه وعصى عدوه إبليس (٥) » وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل شيء دعة ودعة المؤمن عقله فيقدر عقله تسكون عبادته أمامهم قولوا الفجار في النار - لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير (٦) » وعن عمر رضي الله عنه أنه قال لقيم الداربي « ما السوء فيكم قال العقل قال صدقت سألت رسول الله ﷺ كسألتك فقال كقلت ثم قال سألت جبريل عليه السلام ما السوء فقال العقل (٧) » وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال كثرت السائل يوم ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا أيها الناس إن لكل شيء مطية ومطية للرء العقل وأحسنكم دلالة ومعرفة بالحجة أفضلكم عقلاً (٨) »

(١) حديث يا أيها الناس اعتقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل الحديث داود بن المغيرة أحد الضعفاء في كتاب العقل من حديث أبي هريرة وهو في مسند الحرث بن أبي أسامة عن داود (٢) حديث أول ما خلق الله العقل قاله أبو القليل الحديث الطبراني في الأوسط من حديث أبي أسامة، وأبو نعيم من حديث عائشة بإسنادين ضعيفين (٣) حديث أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ حتى قالوا في الشتاء فقال كيف عقل الرجل الحديث ابن المغيرة في العقل بتمامه والترمذي والحكيم في النوادر مختصراً (٤) حديث عمر ما أكتبب رجل مثل فضل عقل الحديث ابن المغيرة في العقل وعنه الحرث بن أبي أسامة (٥) حديث إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله الحديث ابن المغيرة من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده به والحديث عند الترمذي مختصر دون قوله ولا يتم من حديث عائشة وصححه (٦) حديث أبي سعيد لكل شيء دعة ودعة المؤمن للمؤمن عقله الحديث ابن المغيرة وعنه الحرث (٧) حديث عمر أنه قال لقيم الداربي ما السوء فيكم قال العقل قال صدقت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث ابن المغيرة وعنه الحرث (٨) حديث البراء كثرت للسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس إن لكل شيء مطية الحديث ابن المغيرة وعنه الحرث .

ولكنه قد أحسبته قد برزته لنفسه وحجبه عن الورع والزهدي في الدنيا والغبوة الحرس وبسده من بركات علمه عجة العلو والشرف وخوف السقوط والفقر فهو عبد لبيد الدنيا خادم لخدمتها مفتون بسد علمه مغتر بسد معرفته مخدول بسد نصرتة غشاه الاحترار لنعم الله والازدراء لأوليائه والاستخفاف بالجمال من عباده وفخره ببقائه أميره وصلة سلطانه وطاعة القاضي والوزير والحاجبه قد أهلك نفسه حين ينتفع بعلمه والانابع له ومن يكون بسده قدوة به ومراده من الدنيا مثله في مثل هذا ضرب الله المثل حين قال - وأتلف عليهم نأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتيناه الشيطان فسان من التاوين ولو غشنا لفنئنا بها ولصكنه أشد إلى الأرض واتبع هولاء فثله ككل الكلب إن تحمل

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال « لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة أحد سمع الناس يقولون فلان أشجع من فلان وفلان أبي مالميل فلان ونحو هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فلا أعلم لكم به قالوا وكيف ذلك يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم إنهم قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل وكانت نصرتهم وينتقم على قدر عقولهم فأصيب منهم من أميب على منازل شتى فإذا كان يوم القيامة اقتصموا المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم ^(١) » وعن البراء بن عازب أنه صلى الله عليه وسلم قال « جدلاً لا تذكروا واجتهدوا في طاعة الله سبحانه وتعالى بالعقل وجد المؤمنين من بني آدم على قدر عقولهم فأعملهم بطاعة الله عز وجل أوفرهم عقلاً ^(٢) » وعن عائشة رضي الله عنها قالت « قلت يا رسول الله عايتنا نزل الناس في الدنيا قال بالعقل قلت وفي الآخرة قال بالعقل قلت أليس إنما يجزون بأعمالهم فقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة وهل علموا إلا بقدر ما أعطاهم عز وجل من العقل فيقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم وقدر ما عملوا يجزون ^(٣) » وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل شيء آلة وعدة وإن آلة المؤمنين العقل ولكل شيء مطية ومطية للره العقل ولكل شيء دعامة ودعامة الدين العقل ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل ولكل قوم دواعي ودواعي المابدين العقل ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل ولكل أهل بيت قيم وقيم يوت بالصديقين العقل ولكل خراب عمارة وعماراة الآخرة العقل ولكل امرئ عقب ينسب إليه ويذكر به وعقب الصديقين الذي ينسبون إليه ويذكرون به العقل ولكل مسفر قسطا وقسطا ^(٤) » وقال ^(٥) « إن أحب المؤمنين إلى الله عز وجل من نصب في طاعة الله عز وجل ونصح لعباده وكل عقله ونصح نفسه فأبصر وعمل به أيام حياته ففعل ما أوصى ^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « أتمكم عقلاً أشدكم تهماً على خولوا أحسنكم فيما أمركم به مني عنه نظرا وإن كان أقلكم تطوعا ^(٧) »

(بيان حقيقة العقل وأقسامه)

اعلم أن الناس اختلفوا في حد العقل وحقيقته وذهل الأكثرون عن كون هذا الاسم مطلقا على معان مختلفة فصار ذلك سبب اختلافهم والحق الكاشف للغطاء فيه أن العقل اسم يطلق بالاشتراك على أربعة معان كما يطلق اسم العين مثلا على معان عدة وما يجري هذا المجرى فلا ينبغي أن يطلب لجميع أقسامه حد واحد بل يرد لكل قسم بالكشف عنه . فالأول : الوصف الذي يشارك الإنسان به سائر البهائم وهو الذي استعده قبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الحفية الفكرية وهو الذي أراده الحارث بن أسد الحماسي حيث قال في حد العقل إنه غريزة يتأ بها إدراك العلوم النظرية وكأنه نور يتدفق في القلب به يستمد إدراك الأشياء ولم ينصف من أنكر هذا ورد العقل إلى مجرد العلوم الضرورية فإن النافل عن

(١) حديث أبي هريرة لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة أحد سمع الناس يقولون فلان أشجع من فلان وفلان أبي مالميل فلان ونحو هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فلا أعلم لكم به قالوا وكيف ذلك يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم إنهم قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل وكانت نصرتهم وينتقم على قدر عقولهم فأصيب منهم من أميب على منازل شتى فإذا كان يوم القيامة اقتصموا المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم ^(١) » وعن البراء بن عازب أنه صلى الله عليه وسلم قال « جدلاً لا تذكروا واجتهدوا في طاعة الله سبحانه وتعالى بالعقل وجد المؤمنين من بني آدم على قدر عقولهم فأعملهم بطاعة الله عز وجل أوفرهم عقلاً ^(٢) » وعن عائشة رضي الله عنها قالت « قلت يا رسول الله عايتنا نزل الناس في الدنيا قال بالعقل قلت وفي الآخرة قال بالعقل قلت أليس إنما يجزون بأعمالهم فقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة وهل علموا إلا بقدر ما أعطاهم عز وجل من العقل فيقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم وقدر ما عملوا يجزون ^(٣) » وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل شيء آلة وعدة وإن آلة المؤمنين العقل ولكل شيء مطية ومطية للره العقل ولكل شيء دعامة ودعامة الدين العقل ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل ولكل أهل بيت قيم وقيم يوت بالصديقين العقل ولكل خراب عمارة وعماراة الآخرة العقل ولكل امرئ عقب ينسب إليه ويذكر به وعقب الصديقين الذي ينسبون إليه ويذكرون به العقل ولكل مسفر قسطا وقسطا ^(٤) » وقال ^(٥) « إن أحب المؤمنين إلى الله عز وجل من نصب في طاعة الله عز وجل ونصح لعباده وكل عقله ونصح نفسه فأبصر وعمل به أيام حياته ففعل ما أوصى ^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « أتمكم عقلاً أشدكم تهماً على خولوا أحسنكم فيما أمركم به مني عنه نظرا وإن كان أقلكم تطوعا ^(٧) »

عليه يلهث أو تركه يلهث سرفولاً من حجب مثل هذا في دينه وويل لمن تبعه في دينه وهذا هو الذي أكل بدينه غير منصف لله سبحانه في نفسه ولا ناصبه في عباده تراه إن أعطى من الدنيا رضى باللدحة لمن أعطاه وإن منع رضى بالهم لمن منه وقد نسي من قسم الأرزاق وقدر الأقدار وأجرى الأسباب وفرغ من الخلق كلهم فتعوز بالله من المحور بسالكور ومن الضلالة بسالمهدي وإنما زدتك هذه البرائة وإن ظهر لكثيراً أنها ليست من الترض الذي نعينه قصدي أن يعلم من ذهب من الناس ومن يقى ومن أبصر الحقائق ومن عى ومن اهتدى على الصراط للستقيم ومن غوى قليل أن الصنفين الأولين من العلماء قد ذهبوا وإن كان يقى منهم أحد فهو غير محسوس للناس ولا مدرك بالملاحظة :

غالب الذين إن لم يحدثوا

صدوا

وظنهم كيعين إن هم

حسبوا

وذلك لما سبق في

القضاء من ظهور

الفساد وعدم أهل

الصلاح والرشاد ثم

وعدم الصنف الثالث

على غيرته وأعرّض

على وجه الأرض وفي

الكتاب ما يقع عليه في

الحقيقة اسم علم عند

شخص مشهور به

وإنما الوجود اليوم

أهل سخافة ودعوى

وحماقة وإجترار وعجب

بغير فضيلة ورياء

يعبون أن يحسدوا

بما لم يفعلوا وهم أكثر

من عمر الأرض

وصيروا أنفسهم أوتاد

البلاد وأركان العوام

وهم خلفاء إبليس

وأعداء الحقائق

وأخذوا لعوائد السوء

وعظم رددت الحكم

الشائعة وانتقض أهل

الارادة والدين :

مثل البهائم جهال مخالفتهم

لم تصاور لم يعرف

لمن حبا

كل يروم على مقدار

جبلته

العلوم والناسم إسمان عاقلين باعتبار وجود هذه الفرقة فيهم مع قدر العلوم وكأن الحياة غريزة بها ينبت الجسم الحركات الاختيارية والإدراكات الحسية فكذلك العقل غريزة بها تنبت بعض الحيوانات للعلوم النظرية ولو جاز أن يسمّى بين الإنسان والجماد في الفرقة والإدراكات الحسية يقال لافرق بينهما إلا أن الله تعالى بحكم إجراء العادة خلق في الإنسان علوما وليس خلقها في الجماد والبهائم لجاز أن يسمّى بين الجماد والحياة ويقال لافرق إلا أن الله عز وجل خلق في الجماد حركات عضوية بحكم إجراء العادة فانه لو قدر الجماد حياة لوجب القول بأن كل حركة تشاهد منه فانه سبحانه وتعالى قادر على خلقها في مثل الترتيب للشاهد وكما وجب أن يقال لم يكن مفارقة الجماد في الحركات إلا بفرقة اختلفت به عبرتها بالحياة فكذلك مفارقة الإنسان البهيمة في إدراك العلوم النظرية بفرقة يبرعها بالعقل وهو كالمرآة التي تفرق غيرها من الأجسام في حكاية الصور والألوان بصفة اختلفت بها وهي الصفاة فكذلك العين تفرق الجبهة في صفات وجهياتها استمدت للرؤية فتنسب هذه الفرقة إلى العلوم كنسبة العين إلى الرؤية ونسبة القرآن والشرع إلى هذه الفرقة في سياقها إلى انكشاف العلوم لها كنسبة نور الشمس إلى البصر فكذلك ينبغي أن تنسب هذه الفرقة . الثاني : هي العلوم التي تخرج إلى الوجود في ذات الطفل المميز بجواز الجائزات والمستحالة للمستحيلات كالملم بأن الاثنين أكثر من الواحد وأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين في وقت واحد وهو الذي عنه بعض المتكلمين حيث قال في حد العقل إنه بعض العلوم الضرورية كالملم بجواز الجائزات والمستحالة للمستحيلات وهو أيضا صحيح في نفسه لأن هذه العلوم موجودة وتسميتها عقلا ظاهرياً إنما القاسدان تنسك تلك الفرقة وقال موجود إلا هذه العلوم . الثالث : علوم تستفاد من التجارب بجاري الأحوال فإن من حسنكته التجارب وهذه لهذه يقال إنه عاقل في العادة من لا يتصف بهذه الصفة يقال إنه غبي غمر جاهل فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلا . الرابع : أن تنهى قوة تلك الفرقة إلى أن يعرف عواقب الأمور ويقع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة ويقرها فإذا حصلت هذه القوة سمى صاحبها عقلا من حيث إن إقدامه وإحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في المواقف لا بحكم الشهوة العاجلة وهذه أيضا من خواص الإنسان التي بها يتميز عن سائر الحيوان فالأول هو الأس والسنخ ولذبح والثاني هو القرع الأقرب إليه والثالث فرع الأول والثاني إذ قوة الفرقة والعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب والرابع هو الفرقة الأخيرة وهي الغاية القصوى فالأولان بالطبع والأخيران بالاكتساب ولذلك قال على كرم الله وجهه :

رأيت العقل عاقلين فطويوع ومسموع . ولا ينفع مسموع

إذا لم يك مطبوع كالاتق الشمس وضوء العين ممنوع

والأول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم « ما خلق الله عز وجل خلقاً أكرم عليهن العقل (١) » والأخير هو المراد بقوله عليه السلام « إذا تقرب الناس بأبواب البر والأعمال الصالحة فتقرب أنت بقلبك (٢) » وهو المراد بقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة رضي الله عنه « ازدد عقلا تزد من ربك تقربا قال بآبي أنت وأمي وكيف لي بذلك قال اجتنب محارم الله تعالى وأدقرائن الله سبحانه تمكن ما قلا واعمل بالصالحات من الأعمال تزد في عاجل الدنيا رفة وكرامة وتتل في آجل التقى بها من ربك

(١) حديث ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل الترمذي الحكيم في التوارد بسند ضعيف من رواية الحسن عن عدة من الصحابة (٢) حديث إذا تقرب الناس بأنواع البر تقرب أنت بقلبك أبو نعيم في الحلية من حديث على إذا اكتسب الناس من أنواع البر ليشرى بها إلى ربنا عز وجل فاكسب أنت من أنواع العقل تسبقهم بالزفة والقرب وإسناده ضعيف .

عز وجل القرب والقرابة^(١) وعن سعيد بن السيب «أن عمر وأبى بن كعب وأبا هريرة رضى الله عنهم دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله من أعلم الناس فقال صلى الله عليه وسلم العاقل. قالوا فمن أعبد الناس قال العاقل قالوا فمن أفضل الناس قال العاقل قالوا أليس العاقل من تحت مروه وتظهر فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته فقال صلى الله عليه وسلم وإن كل ذلك لما متاع الدنيا والآخرة عندك للفتنين إن العاقل هو التقي وإت كان في الدنيا خيسا ذليلا^(٢) قال صلى الله عليه وسلم في حديث آخر «إنما العاقل من آمن بالله وصدق رسوله وعمل بشارعه^(٣)» ويشبه أن يكون أصل الاسم في أصل اللغة تلك القرينة وكذلك في الاستعمال وإنما أطلق على العاقل من حيث إنها عمرتها كما يعرف الشيء بثمرته فيقال العلم هو الحشية والعالم من غشى الله تعالى فإن الحشية ثمرة العلم تحسكون كالحجاز لغير تلك القرينة ولكن ليس الغرض البحث عن اللغة وللتقصود أن هذه الأقسام الأربعة موجودة والاسم يطلق على جميعها ولا خلاف في وجود جميعها إلا في القسم الأول والصحيح وجودها بل هي الأصل وهذه العلوم كانت مضمنة في تلك القرينة بالفطرة ولكن تظهر في الوجود إذا جرى سبب يفرجها إلى الوجود حتى كأن هذه العلوم ليست شيء وارد عليها من خارج وكأنها كانت مستكنة فيها فظهرت ومثاله الماء في الأرض فإنه يظهر بخبر البر والبحر ويشتمل بالحي لا بأن يساق إليها شيء جديد وكذلك البهمن في اللوز وماء الورد في الورد ولذلك قال تعالى - وإذ أخذ ربك من بنى آدم ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى - فالمراد به إقرار نفوسهم لا إقرار الألسنة فانهم اشتموا في إقرار الألسنة حيث وجدت الألسنة والأشخاص إلى مقر وإلى جاهد ولذلك قال تعالى - ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله - معناه إن اعتبر أحوالهم شهدت بذلك نفوسهم وبواطنهم - فطرة الله التي فطر الناس عليها - أي كل آدمي فطر إلى الإيمان بالله عز وجل بل على معرفة الأشياء على ما هي عليه أعنى أنها كالمضمنة فيها فبقر استعدادهما للادراك ثم لما كان الإيمان مركزا في النفوس بالفطرة انقسم الناس إلى قسمين إلى من أمرض ففسى وهم الكفار وإلى من أجل خاطره فذكر فكان كمن حمل شهادة ففسا بفعله ثم تذكرها ولذلك قال عز وجل - لهم يذكرون - وليتذكر أولوا الألباب - واذكروا نعمته الله عليكم ويثاقه الذي واتكم به - ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر - وتسمية هذا النمط تذكر ليس بعيد فكان التذكر ضربان أحدهما أن يذكر صورة كانت حاضرة الوجود في قلبه ولكن غاب بعد الوجود والآخر أن يذكر صورة كانت مضمنة فيه بالفطرة وهذه حقائق ظاهرة للناظر بنور البصيرة فقبل على من يستوجه^(٤) السماع والتقليد دون الكشف والبيان ولذلك تراه يتخطى في مثل هذه الآيات ويتصفى في تأويل التذكر وإقرار النفوس أنواعا من التسميات ويتخيل إليه في الأخبار والآيات ضروب من التناقضات وربما يغلب ذلك عليه حتى ينظر إليها بسين الاستحقار ويعتمد فيها التهاوت ومثاله مثال الأعمى الذي يدخل دارا فيشرب فيها الأواني للصفوة في الدار فيقول

(١) حديث أزد عفلا تزدد من ربك قربا الحديث قاله لأبي البراء ابن الحري ومن طريقه الحارث ابن أبي أسامة والترمذي الحكيم في النوادر (٢) حديث ابن السيب أن عمر وأبى بن كعب وأبا هريرة دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله من أعلم الناس فقال العاقل الحديث ابن الحري (٣) حديث إنما العاقل من آمن بالله وصدق رسوله وعمل بطاعته ابن الحري من حديث سعيد بن السيب مرسل وفيه قصة .

(٤) قوله يستوجه : من الزواج أى يكون السماع والتقليد رائجا عنه فتأمل اه مصححه .

زوائر الأسد والنباح

الاهتا

فاحذرهم فانهم الله
أبى : وقولون اخذوا
أعيانهم جنة تصدوا
عن سبيل الله إنهم
سأ ما كانوا يملكون .
أولئك كانوا يملكون
أصل أولئك هم
العاقلون .

أولو النفاق فإن قلت
اصدقوا كذبوا
من السفاه وإن قلت
اكذبوا صدقوا

ولأخذ في جواب
مما سألت عنه على
نحو ما رغبت فيه
واستوهب الله فتوى
البصيرة وحسن
البرية وغفران
الجريرة وهو رب ورب
كل شيء وإليه المصير .

[ابتداء الأجوبة عن
مراسم الأسئلة]

جرى الرسم في الإجابة
بتقسيم التوحيد على
أربع مراتب تشبه
لمواقفة الغرض في
التجليل بهو كرت أن
للتعرض وسوس أو
بالخواطر هبى بأن
لفظ التوحيد يتألف
التقسيم إذ لا غلو بأن
يتعلق بوصف الواحد

التي ليس بزائد عليه
فذلك لا ينقسم
لاجلاني ولا بالفضل
ولا بغير ذلك وإما أن
يتعلق يوسف للكافرين
الذين توجب لهم حكمة
إذا وجد فيهم فذلك
أيضا لا ينقسم من
حيث انقسام إليه
بالعقل وذلك لصيق
الجمال فيه ولهذا
لا تصور فيه مذاهب
وإنما التوحيد مسلوك
حق بين مسلمين
باطلين أحدهما الشرك
والثاني الإلحاد وكلا
الطرفين كفر
والوسط إيمان بعض
وهو أحد من السيف
وأضيق من خط
الظل ولهذا قال كثرة
للمسلمين بتائل
إيمان جميع المؤمنين
واللائكة والنبيين
والرسلين وسائر عموم
الرسلين وإنما تختلف
طرق إيمانهم التي هي
علومهم ومذاهبهم في
ذلك معروف ونحن
لأنهم في هذه الإجابة
كلها شيء من أمحاء
الجدال ومعاينة الأفعال
بالأفعال بل يتحدد
إزالة غير الإشكال

المهذبة الأولى لا ترفع من الطريق وترد إلى مواضعها يقال له إنها في مواضعها وإنما الخلل في بصرك
فكذلك خلل البصيرة يجري مجراه وأظم منه وأعظم إذ النفس كالقارص والبدن كالقارص وعسى
القارص أضر من عسى القارص ولشبهة بصيرة الباطن لبصيرة الظاهر قال الله تعالى - ما كذب القواد
مارأى - وقال تعالى - وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض - الآية وعسى ضده
عسى فقال تعالى - فإنها لا تسمى الأبدان ولكن تسمى القلوب التي في الصدور - وقال تعالى - ومن
كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا - وهذه الأمور التي كشفت للأنياب بعينها
كان بالبصر وببعضها كان بالبصيرة وعسى الكل رؤية وبالجملة من لم تمكن بصيرته الباطنة ثابتة لم يلق
بهم من الدين إلا قصوره وأمثله دون لبها وبوحاثة هذه أقسام ما ينطق اسم العقل عليها .

(بيان تفاوت النفوس في العقل)

فداختلف الناس في تفاوت العقل ولا معنى للاشتغال بنقل كلام من قل تحصيله بل الأولى والأهم البادرة
إلى التصريح بالحق والصريح فيه أن يقال إن التفاوت يتطرق إلى الأقسام الأربعة سوى القسم
الثاني وهو العلم الضروري بجواز المجازات واستحالة المستحيلات فإن من عرف أن الاثنين أكثر
من الواحد عرف أن شأنا استحالة كون الجسم في مكانين وكون الشيء الواحد قدما حادثا وكذا سائر الظواهر
وكل ما يدركه إدراكا حقيقيا من غير شك وأما الأقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرق إليها . أما القسم الرابع
وهو استيلاء القوة على قبح الشهوات فلا يخفى تفاوت الناس فيه بل لا يخفى تفاوت أحوال الشخص الواحد
فيه وهذا التفاوت يكون تارة لتفاوت الشهوة إذ قد يقدر العاقل على ترك بعض الشهوات دون بعض
ولكن غير مقصور عليه فإن الشاب قد ينج عن ترك الزنا وإذا كبر وتم عقله قدر عليه وشهوة
الرياء والرياسة تزداد قوة للكبر لا ضعف وقد يكون سببه التفاوت في العلم للعرف لغات تلك الشهوة
ولهذا يقدر الطبيب على الإحشاء عن بعض الأطعمة الضرة وقد لا يشعر من يساويه في العقل على ذلك
إذا لم يكن طبيبا وإن كان يعتقد على الجملة فيه مضرة ولكن إذا كان علم الطبيب أنهم كان خوفه
أشد فيكون الخوف جندا للعقل وعدله في قبح الشهوات وكسرها وكذلك يكون العالم أقدر على ترك
المعاصي من الجاهل لقوة علمه بضر المعاصي وأعنى به العالم الحقيقي دون أرباب الطيالة وأصحاب
الهديان فإن كان التفاوت من جهة الشهوة لم يرجع إلى تفاوت العقل وإن كان من جهة العلم فقد سمي
هذا الضرب من العلم عقلا أيضا فإنه أقوى غريزة العقل فيكون التفاوت فيما رجحت التسمية إليه
وقد يكون بمجرد التفاوت في غريزة العقل فإنها إذا قوت كان قبحها للشهوة لأعماله أشد وأما القسم
الثالث وهو علوم التجارب فتفاوت الناس فيها لا ينكر فأنهم يتفاوتون بكثرة الإحاطة وسرعة الإدراك
ويكون سببه إما تفاوت في الغريزة وإما تفاوت في الممارسة فأما الأول وهو الأصل أغنى الغريزة فالتفاوت
فيه لا سبيل إلى جده فانه مثل نور يشرق على النفس ويطلع صبحه ومبادئ إشراقه عند سن التمييز
ثم لا يزال ينمو ويزداد نواحي التدريج إلى أن يتكامل بقرب الأربعين سنة ومثاله نور الصبح فإن
أوائله يخفى فضاء يشرق إدراكه ثم يتدرج إلى الزيادة إلى أن يكمل بطول قرص الشمس وتفاوت نور
البصيرة كفتاوت نور البصر والفرق مدرك بين الأعمش وبين حاد البصر بل سنألفه عز وجل جارية
في جميع خلقه بالتدريج في الإيجاد حتى إن غريزة الشهوة لا تظهر في الصبي عند البلوغ دفقة وبنته بل تظهر
شيئا فشيئا على التدريج وكذلك جميع القوى والصفات ومن أنكر تفاوت الناس في هذه الغريزة فكأنه
متنخلع عن رقة العقل ومن ظن أن عقل النبي ﷺ مثل عقل آحاد السوادية وأجلاف البوادي فهو
أخس في نفس من آحاد السوادية وكيف ينكر تفاوت الغريزة ولولاه لما اختلف الناس في فهم العلوم

ولما انصموا إلى بليد لا يفهم بالثبوت إلا بعد تعب طويل من السلم وإلى ذكي يفهم بأدنى رمز وإشارة وإلى كامل تثبت من نفسه حقائق الأمور بدون التلامي كالكامل تعالى - يكادز تلاميذه ولولم تفسه تار نور على نور - وذلك مثل الأنبياء عليهم السلام إذ خرج لهم في بواطنهم أمور عاضدة من غير تعلم ومراع وبير عن ذلك الإلهام وعن مثله عبر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال «إن روح القدس نفث في روعي أحب من أحببت فانك مفارقة وعشى ماشئت بالأنبياء والعمل ماشئت فانك توحى به» (١) وهذا الخيط من قهرض للانسكة للأنبياء يخالف الوحي الصريح الذي هو صانع الصوت في الأذن ومشاهدة لللك بحاسة البصر ولذلك أسير عن هذا بانفث في الروح ودرجات الوحي كثيرة والحوض فيها لا يقيق بعلم المأملة بل هو من علم المكشعة ولا تظن أن معرفة درجات الوحي تستدعي منصب الوحي إذ لا يمد أن يعرف الطبيب للراض درجات الصحة ويعلم العالم الفاسق درجات العدالة وإن كان خاليا عنها فاعلم شيء ووجود للملوم شيء آخر فلا كل من عرف النبوة والولاية كان نبيا ولا وليا ولا كل من عرف التقوى والورع ودقائه كان تقيا وانقسم الناس إلى من يتقيه من نفسه ويفهم وإلى من لا يفهم إلا بتدبيره وتعليم وإلى من لا ينفعه التعليم أيضا ولا التذية كاقسام الأرض إلى ما يجتمع فيه للناس يقوى فينفض بنفسه عبرنا وإلى ما يحتاج إلى الخذر ليخرج إلى القنوات وإلى ما لا ينفع في الحفر وهو اليابس وذلك لاختلاف جواهر الأرض في صفاتها فكذلك اختلاف النفوس في غريزة العقل ويدل على تفاوت العقل من جهة النقل ما روى أن عبد الله بن سلام رضى الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم في حديث طويل في آخره وصف عظم العرش وأن الملائكة قالت «بارئنا هل خلقت شيئا أعظم من العرش قال نعم العقل قالوا وما بلغ من قدره قال هيئات لا يحاط بعلمه هل لكم علم بعد الرمل قالوا لا قال الله عز وجل فاني خلقت أمتا شتى كمد الرمل فمن الناس من أعطى حبة ومنهم من أعطى حبتين ومنهم من أعطى التلات والأربع ومنهم من أعطى فرقا ومنهم من أعطى وسقا ومنهم من أعطى أكثر من ذلك» (٢) «فان قلت فما بال أقول من الصوفة يذمون العقل واللقول . فاعلم أن السبب فيه أن الناس هلوا اسم العقل واللقول إلى المجادة والناظرة بالناقضات والإزاعات وهو صنعة الكلام فلم يقدروا على أن يقرروا عندهم أنهم أخطأتم في التسمية إذ كان ذلك لا ينمى عن قلوبهم بعد تداول الألسنة به وروسخة في القلوب فذموا العقل واللقول وهو للسمى به عندهم فأمنور البصرة الباطنة التي بها يعرف الله تعالى ويعرف صدق رسله فكيف يصور ذمه وقد أثنى الله تعالى عليه وإن ذم فما الذي يذمه محمد فان كان المهود هو الصرع فبم علم صحة الشرع فان علم بالعقل المذموم الذي لا يوثق به فيكون الشرع أيضا مذموما ولا يلتفت إلى من قول إن يدرك بين اليقين ونور الإيمان لا بالعقل فاننا نزيد بالعقل ما يريد بين اليقين ونور الإيمان وهي الصفة الباطنة التي تتميز بها الأدمى عن البهائم حتى أدركها حقائق الأمور وأكثر هذه التخيلات إنما ثارت من جهل أقول طلبوا الحقائق من الألفاظ فتخطوا فيها لتحيط اصطلاحات الناس في الألفاظ فهذا القدر كاف في بيان العقل والله أعلم .

- (١) حديث إن روح القدس نفث في روعي أحب من أحببت فانك مفارقة الحديث الشريازي في الألقاب من حديث سهل بن سعد نحوه والطبراني في الأسف والأوسط من حديث علي وكلامه ضيف
- (٢) حديث ابن سلام سأل النبي صلى الله عليه وسلم في حديث طويل في آخره وصف عظم العرش وأن للملائكة قالت يارب هل خلقت شيئا أعظم من العرش الحديث ابن الجبر من حديث أنس بن مالك والترمذي الحكيم في النوادر مختصرا .

ورد ما ظن به أهل
النسب والإشلال .
واعلم أن التقسيم على
الانطلاق يستعمل على
أعاريته وجوهنا شري
قبح به الشريش أو
هيجس به الحاطر وإنما
للتستعمل ههنا من
أعائه ما تتميز به بعض
الأشخاص بما اخضعت
به من الأحوال وكل
حالة منها تسمى توحيدا
على جهة تفردها
لا يشاركها فيها غيرها
فمن وجد التوحيد
بلسانه يسمى لأجله
موحدا مادام يظن أن
قلبه موافق لسانه وإن
علم منه خلاف ذلك
سلب عنه الاسم وأقيم
عليه ما شرع في الحكم
ومن وجد قلبه على
طريق الزكون إليه
والليل إلى اعتقاده
والسكون نحوه بلا
علم صحبه فيه
ولا برهان يربط به
سمى أيضا موحدا
على معنى أنه يعتقد
التوحيد كما يسمى
من يعتقد منه
الشافعي شافيا
والحنبلي حنبليا

وبن رزق علم التوحيد
وما يتحقق به عنده
وسمى من أجله
بشكوكه العارضة له
فيسمى موحدا لأنه
عارف به يقال بجدي
ونحوي وقبه ومعناه
يعرف الجدل والفتنة
والشعو . وأما من
استغرق علم التوحيد
قلبه واستولى على عقله
حق لا يجد فيه فضلا
لغيره إلا على طريق
التبعية له ويصكون
شهود التوحيد لكل
ماعداه سابقا له مع
التذكر والفكر مصاحبا
من غير أن يترتب
ذهول ولا نسيان له
لأجل اشتغاله بغيره
كالعادة في سائر العلوم
فهذا يسمى موحدا
ويكون القصد بالمسمى
من ذلك الباطنة فيه .
فأما النصف الأولوم
أرباب النطق المفرد.
فلا يضربون في
التوحيد بسم ولا
يفوزون منه بنصيب
ولا يكون لهم شيء من
أحكام أهله في الحياة
إلا ما ملأ الظن بهم أن
قلب أحدهم موافق
لسانه كما يفرد القول

كتاب العلم بحمد الله تعالى ومنه . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء ، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب قواعد العقائد والحمد لله وحده أولا وآخرا .

بسم الله الرحمن الرحيم

(كتاب قواعد العقائد ، وفيه أربعة فصول)

الفصل الأول : في ترجمة عقيدة أهل السنة في كُتبي الشهادة التي هي أحد مباني الإسلام فتقول
وان الله التوفيق : الحمد لله البديع للعبد الفقير لما يريد ذي العرش المجيد والبطش الشديد الهادي
صفوة المريد إلى النهج الرشيد والسلوك السديد التزم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقائدهم عن
ظلمات التشكيك والترديد الصالح بهم إلى اتباع رسوله للسطفي واقفاء آثار محبة الأكرمين الكرمين
بالتأييد والتسديد المتجلى لهم في ذاته وأفعاله بحاسن أو صافه التي لا يدركها إلا ما أنقى السمع وهو
شاهد للعرف إياهم أنه في ذاته واحد لا شريك له فرد لا مثيل له صمد لا ضد له مفرد لا ند له وأنه واحد
قديم لا أول له أنزى لا بداية له مستمر الوجود لا آخر له أبدى لا نهاية له قويم لا انقطاع له دائم لا انصرام
له لم يزل ولا يزال موسوفا بنصوت الجلال لا يقضى عليه بالانقضاء والانفصال بتصرم الآباد وانقراض
الآجال بل هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ، التنزيه : وأنه ليس بحجم مصور
ولا جوهري محدود مقدر وأنه لا يعامل الأجسام لاقى التقدير ولا يقبل الانقسام وأنه ليس بجوهر ولا مخل
الجواهر ولا يبرش ولا يخلع الأعراض بل لا يعامل موجودا ولا يعامله موجود ليس كشيء ولا هو مثل
شيء . وأنه لا يحد له المقدار ولا يحويه الأفقار ولا يحيط به الجهات ولا تكتشفه الأرضون ولا السموات
وأنه مستو على العرش على الوجه الذي قاله والبلغي الذي أراده استواء منزها عن العمامة والاستقرار
والتمسكين والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في
قبضته وهو فوق العرش والسماء وفوق كل شيء إلى غيوم الترقى فوقه لا يزيد قربا إلى العرش والسماء
كلا تزيده بعدا عن الأرض والترى بل هو رفيع الدرجات عن العرش والسماء كما أنه رفيع الدرجات
عن الأرض والترى وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو أقرب إلى العبد من جبل الوريد وهو
على كل شيء شهيد إذ لا يعامل قربه قرب الأجسام كما لا يعامل ذاته ذات الأجسام وأنه لا يعمل في شيء
ولا يعمل في شيء تعالى عن أن يحويه مكان كما تهدس عن أن يحده زمان بل كان قبل أن خلق الزمان
والمكان وهو الآن على ما عليه كان وأنه بائن عن خلقه بصفاته ليس في ذاته سواه ولا في سواه ذاته
وأنه مقدس عن التثريب والانتقال لخلع الحوادث ولا تثر به العوارض بل لا يزال في نفوس جلالة منزلها
عن الزوال وفي صفات كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال وأنه في ذاته معلوم الوجود بالمقول مرئي
الذات بالأبصار نعمة منه ولطفًا بالأبصار في دار القرار وإتماما منه للتمتع بالنظر إلى وجهه الكريم .
الحياة والقدرة : وأنه تعالى حي قادر جبار قادر لا يترتب قصور ولا يحجز ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا يمارسه
فناء ولا موت وأنه ذو ذلك والملكوت والعرز والجللوت له السلطان والقهر والخلق والأمر والسموات
مطويات بيمينه والخلق خلق مقهورون في قبضته وأنه المفرد بالخلق والاختراع التوحيد بالإنجاد والإبداع
خلق الخلق وأعمالهم وقدر أركانهم وأجسامهم لا يشعن قبضته مقدور ولا يضر بغيره قدرته بتصرف
الأمر لأخصى مقدوره ولا تنتهي معلوماته . العلم : وأنه عالم بجميع المعلومات محيط بما يجري من
نجوم الأرضين إلى أعلى السموات وأنه عالم لا يضر عن علمه متقال ذرة في الأرض ولا في السماء بل

(كتاب قواعد العقائد)

يلم ديب الخلة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ويدرك حركة النذر في جو الهواء ويصل السر وأخفى ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الحواطر وخفيات السرائر يعلم قدم أزل لم يزل موصوفاً بقى أزل الأزال لا يعلم متجدد حاصل في ذاته بالحلول والانتقال . الأرادة : وأنه تعالى صمد للكنائس مدبر للحادثات فلا يجرى في الملك والملكوت قليل أو كثير صغير أو كبير خير أو شر تقع أو ضر إيمان أو كفر عرفان أو نكر فوز أو خسران زيادة أو نقصان طاعة أو عيبان إلا بقضائه وقدره وحكمته ومشيتة فلهما كان وما لم يشأ لم يكن لا يخرج عن مشيتة لقته ناظر ولا قلته خاطر بل هو للبدى للبعد الفعل لما يريد لأراد لأمره ولا مقب لقضائه ولا مهرب لمبدع من مصيته لا يتوقفه ورحمته ولا قوة على طاعته إلا بمشيته وإرادته فلو اجتمع الانس والجن واللائكة والشياطين على أن يخرجوا في العالم ذرة أو يسكنوها دون إرادته ومشيتة لمجزوا عن ذلك وأن إرادته قاعة بذاته في جملة صفاته لم يزل كذلك موصوفاً بها مريد في أزه لوجود الأشياء أو وقتها التي قهرها فوجدت في أوقاتها كأرادته في أزه من غير تقدم ولا تأخير بل وقفت على وفق عله وإرادته من غير تبدل ولا تغير دبر الأمور لا ترتب أنسكار ولا ترس زمان فذلك لم يشغله شأن عن شأن . السمع والبصر : وأنه تعالى سميع بصير يسمع ويرى لا يهرب عن سمعه مسموع وإن خفي ولا يغب عن رؤيته سري وإن دق ولا يحجب سمعه بعد ولا يدفع رؤيته ظلام يرى من غير حدة وأجفان ويسمع من غير أصمخة وأذان كأبصار يبر قلب ويطش بغير جارح ويخلق بغير آلة إذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق . الكلام : وأنه تعالى متكلم أمثاته وأعد متوعده بكلام أزل قدم قائم بذاته لا يشبه كلام الخلق فليس بصوت يحدث من اسلال هواء أو سطكك أجرام ولا بحرف ينقطع بإطباق شفة أو تحريك لسان وأن القرآن والتوراة والإنجيل والزيور كنيه للقرآن على رسله عليهم السلام وأن القرآن مقروء باللسنة مكتوب في الصالح محفوظ في القلوب وأنه مع ذلك قدم قائم بذاته تعالى لا يقبل الانقصال والاتراق بالانتقال إلى القلوب والأوراق وأن موسى عليه السلام سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف كإيرى الأبرار ذات الله تعالى في الآخرة من غير جوهر ولا عرض وإذا كانت له هذه الصفات كان حيا عالما قادرا مريدا سيما بصيرا متكلما بالحياة والقدرة واللم والإرادة والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات . الأفعال : وأنه سبحانه وتعالى لا موجود سواه إلا وهو حادث بفسله وفائق من عدله على أحسن الوجوه وأكملها وأعماها وأعلمها وأنه حكيم في أفعاله عادل في أخصيته لا يقاس عدله بعدل العباد إذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه في ملك غيره ولا يتصور الظلم من الله تعالى فإنه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما فكل مملوء من إنس وجن وملوك وشيطان ومماء وأرض وحيوان ونبات وجماد وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العلم اخترعها وأنشأ لإنشاء بصدان لم يكن شيئا إذ كان في الأزل موجودا وحده ولم يكن معه غيره فأحدث الخلق بصدك إظهارا لقدرة وتحققا لما سبق من إرادته تملسا حتى في الأزل من كنهه لا لا فقاره إليه حاجته وأنه متفضل بالخلق والاختراع والتسكين لا عن وجوب ومتطول بالانعام والإصلاح لا عن لزوم فله الفضل والاحسان والتعمق والامتنان إذ كان قادرا على أن يصب على عباده أنواع العذاب ويتلهم بضروب الآلام والأوصاب ولو فعل ذلك لكان منه عدلا ولم يكن منه قبيحا ولا ظلما وأنه عز وجل يثيب عباده للؤمنين على الطاعات يحكم الكرم والوعود لا يحكم الاستحقاق واللزوم له إذ لا يجب عليه لأحد فضل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب لأحد عليه حق وأن حقه في الطاعات وجب على الخلق بإيجابه على أنسنة أنبيائه عليهم السلام لا بمجرد القول ولكنه بثالرسول وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فليعلموا أمرهم به ويعلموا وعدهم

عليه بعد هذا إن شاء الله عز وجل . وأما الصنف الثاني وهم أرباب الاعتقاد الذين سموا النبي صلى الله عليه وسلم أو الوارث أو البلغ يخبر عن توحيد الله عز وجل أو يأمر بعبادته البشرية قول لإله الله للنبي عنه قبلوا ذلك واعتقدوه على الخلة من غير تفصيل ولا دليل فتنسبوا إلى التوحيد وكانوا من أهله بمنزلة مولى القوم الذي هو منهم وبمنزلة من كثر سواد قومه فهو منهم . وأما الصنف الثالث والرابع فهم أرباب البصائر السليمة الذين نظروا بها إلى أنفسهم ثم إلى سائر أنواع المخلوقات فخالوها غرا وأعطى كل منها خطا منطبقا فيها ليس بعربي ولا سرياني ولا عبراني ولا غير ذلك من أجناس المخلوط فإدرا إلى قراءة من لم يستحجم عليه وقلمه منهم من استحجم عليه فاذا هو الخط الإلهي المكتوب على صفحة

كل مخلوق الناطع فيه من مركب ومفرد وصفة وموصوف وحى ومجد وناطق وصامت ومتحرك وساكن ومظلم ونير وهو الذى يسمى تارة بسلامة وتارة بسمة وتارة بأثر القدرة وتارة بأية كما قال الشاعر ولا أدري من جماع أو رؤى يقرب: وفى كل شئ له آية تدل على أنه واحد ففرقوا ذلك الخط وجدوا تفسير ذلك المكتوب عليه وشرحه بأية مالكه والتصرف له بالقدرة على حكم الازالة بما سبق في ثابت العلم من غير مزيد ولا تخصيص فتركوا الكتابة والمكتوب وتركوا معرفة الكتاب إلا أحدث الأشياء وكوّنهم ولا يخرج عن ملكه شئ منها ولا استغنى بأفسها عن حوله وقوته ولا انتقلت إلى الحرية عن رقبته استعباده فوجئوا كما وصف نفسه - ليس كله شئ وهو المسمى البصير - غطت لهم

فخرج على الخلق تصديقهم فيما جاءوا به - معنى السكلة الثانية: وهى الشهادة بالرسالة وأنه من الذى لا شئ القريبى مجدداً على الله عليه وسلم رسالته إلى كافة العرب والعجم والجن والأنس فتدخ بشريته الشرائع إلا ما قرره منها وفضلته على سائر الأنبياء وجعله سيد البشر ومنع كمال الإيمان بشهادة التوحيد وهو قول لا إله إلا الله ما يخفون به الشهادة الرسول وهو قول محمد رسول الله وآلهم الحاقى تصديقه في جميع ما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة وأنه لا يقبل إيمان عبد حتى يؤمن بما أخبر به بعد الموت، وأوله سؤال منكر ونكير وما شئ من هاتلان بقعدان البدي قبره سوا إذا روح وجسد فسالانه عن التوحيد والرسالة ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك (١) وما خانا القبر (٢) وسؤالهما أول فتنة بعد الموت (٣) وأن يؤمن بهذب القبر (٤) وأنه حق وحكمه عدل على الجسم والروح على ما يشاء، وأن يؤمن بالميزان ذى الكفتين واللسان وصفته في العظم أنه مثل طبقات السموات والأرض توزن فيه الأعمال بقدره الله تعالى، والصنع يومئذ مثاقيل الدر والحردل تحقياً لحلم العدل وتوضع صحاف الحسنات في صورة حسنة في كفة النور فيقبل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله بفضل الله وتطرح صحاف السيئات في صورة قبيحة في كفة الظلمة فيضف بها الميزان بعد الله (٥) وأن يؤمن بأن الصراط حق وهو جسر ممدود على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعرة تزل عليه أقدام الكافرين بحكم القسبحانة تهوى بهم إلى النار وتثبت عليه أقدام المؤمنين بفضل الله فيساقون إلى دار القرار (٦) وأن يؤمن بالحوض الورود

(١) حديث سؤال منكر ونكير الترمذى وصححه وابن حبان من حديث أبى هريرة إذا قرأ الميت أو قال أحكم أنا ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما للسكر وللآخر للنكير وفى الصحيحين من حديث أنس إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع ناله ملكان فيعبدانه الحديث (٢) حديث إنيما خانا القبر أحمد وابن حبان من حديث عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر ثنائى القبر فقال عمر أنرد علينا عقولنا الحديث (٣) حديث إن سؤالهما أول فتنة بعد الموت لم أجده (٤) حديث عذاب القبر أخرجهما من حديث عائشة إنكم تقتنون أو تغدبون في قبوركم الحديث ولهما من حديث أبى هريرة وعائشة استعاذته صلى الله عليه وسلم من عذاب القبر (٥) حديث الإيمان بالميزان ذى الكفتين واللسان وصفته في المظن أنه مثل طباق السموات والأرض البهيقي في البث من حديث عمر قال الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالجنة والنار والميزان الحديث وأصله عندهم ليس فيه ذكر الميزان ولا نبي داود من حديث عائشة أما في ثلاثة مواطن لا يذك أحد أحدا عند الميزان حتى يعلم ميزانه أم يشغل زاد ابن مردويه في تفسيره قالت عائشة أى حى قبلنا اللوازم هى الكتان فيوضع في هذه الشئ ويوضع في هذه الشئ فترج إحدهما وتحف الأخرى والتزمى وحسنه من حديث أنس وأطالين عند الميزان ومن حديث عبد الله بن عمر في حديث البطاقة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة الحديث وروى ابن شاهين في كتاب السنة عن ابن عباس كفة للميزان كأطباق الدنيا كلها (٦) حديث الإيمان بالصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعر الشيطان من حديث أبى هريرة ويضرب الصراط بين ظهراى جهنم ولهما من حديث أبى سعيد ثم يضرب الجسر على جهنم زاد مسلم قال أبو سعيد إن الجسر أدق من الشعر وأدق من السيف ورفضه أحمد من حديث عائشة والبيهقي في الشعب والبيهق من حديث أنس وضعه وفي البعثين رواية عبيد بن عمير مرسلان من قول ابن مسعود الصراط كحد السيف وفى آخر الحديث ما يدل على أنه مفروق .

حوض محمد صلى الله عليه وسلم ضرب منه للؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط (١) من شرب منه شربة لم يظلمأ بعدها أبدا عرضه مسيرة شهر ماؤه أشدّ بياضا من اللبن وأحلى من العسل حوله أباريق عدها بعد نجوم السماء (٢) فيه ميزان يمين فيه من الكوثر (٣) وأن يؤمن بالحساب وتفاوت الناس فيه إلى مناقض في الحساب وإلى مسامح فيه وإلى من يدخل الجنة بغير حساب وهم للقرىون فيسأل الله تعالى (٤) من شاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب للرسلين (٥) ويسأل للتدعة عن السنة (٦) ويسأل للسلفين عن الأعمال (٧) وأن يؤمن بإخراج الودعين من النار بعد الاتمام حتى لا يبق في جهنم موحد بفضل الله تعالى فلا يخلد

(١) حديث الأيمان بالحوض وأنه ضرب منه للؤمنون مسلم من حديث أنس في نزول - إنا أعطيناك الكوثر - هو حوض ترد عليه أمق يوم القيامة آنيته عدد النجوم ولها من حديث ابن مسعود وعقبة ابن عامر وجندب وسهل بن سعد أنا فرطك على الحوض ومن حديث ابن عمر أنا لكم حوض كابين جربا وأدج . وقال الطبراني كما ينسك وبين جرباء وأدج وهو الصواب وذكر الحوض في الصحيحين من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وعبد الله بن عمر وحذيفة وأبي ذر وحابس بن حمزة وجارية بن وهب وثوبان وعائشة وأم سلمة وأسماء (٢) حديث من شرب منه شربة لم يظلمأ بعدها أبدا عرضه مسيرة شهر أشدّ بياضا من اللبن وأحلى من الصل حوله أباريق عدد نجوم السماء من حديث عبد الله بن عمرو ولها من حديث أنس فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء وفي رواية لمسلم أكثر من عدد نجوم السماء (٣) حديث فيه ميزان يمين من الكوثر مسلم من حديث ثوبان يفت فيه ميزان بمذاته من الجنة أحدها من ذهب والآخر من ورق (٤) حديث الأيمان بالحساب وتفاوت الخلق فيه إلى مناقض في الحساب ومسامح فيه وإلى من يدخل الجنة بغير حساب البقي في البعث من حديث عمر قال يا رسول الله ما الأيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالوحي وبالبعث من بعد الموت والحساب والجنة والنار والقدر كله الحديث وهو عند مسلم دون ذكر الحساب وللشيخين من حديث عائشة من نوقس الحساب عذب قالت قلت أليس يقول الله تعالى - فسوف يحاسب حسابا يسيرا - قال ذلك العرض ولها من حديث ابن عباس عرضت على الأم قبيل هذه أمك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب . ولمسلم من حديث أبي هريرة وعمران بن حصين يدخل من أمق الجنة سبعون ألفا بغير حساب زاد البقي في البعث من حديث عمرو بن حزم وأعطاني مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا زاد أحمد من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر بعه هذه الزيادة فقال فاعطاني هكذا وفرج عبد الرحمن بن أبي بكرين بيده الحديث (٥) حديث سؤال من شاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب للرسلين . البخاري من حديث أبي سعيد يدعى نوح يوم القيامة فيقول ليك وسعديك يارب فيقول هل بلغت فيقول نعم فيقال لأمتيه فيقولون ما أنانا من نذير فيقول من يشهد لك فيقول محمد وأمتي الحديث . ولابن ماجه يحيى النبي يوم القيامة الحديث وفيه فيقال هل بلغت قومك الحديث (٦) حديث سؤال للتدعة عن السنة ابن ماجه من حديث عائشة من تسكلم بشئ من القدر سئل عنه يوم القيامة . ومن حديث أبي هريرة ما من داع يدعو إلى شئ إلا وقف يوم القيامة لازما لدعوة مادعا إليه وإن دعا رجل رجلا وإن سادها ضعيف (٧) حديث سؤال للسلفين عن الأعمال أصحاب السنن من حديث أبي هريرة إن أول ما يحاسب به البعيد يوم القيامة من عمله صلاته الحديث وسيأتي في الصلاة .

الفرقة والجمع وعقلت نفس كل واحد منهم توحيد خالقها بأذنه وإيمانه عن غيره وعقلت أنها عقلت توحيد فصحان من يسرها لذلك وفصح عليها بما ليس في نفسها أن تذكره إلا بهو هو اللطيف الخبير لكن الصنف الثالث لم يقصر كل منهم أن يعرف نفسه موحدا لله في لا يزال وهم للقرىون والصنف الرابع لم يقصر كل واحد منهم أن عرف ربه موحدا لنفسه في لا يزال وهم الصديقون وبينهما تفاوت كثير . وأما طريق معرفة محبة هذا التقسيم فلأن الضلال بأسرهم لا يخلو كل واحد منهم أن يوجد أثر التوحيد بأحد الأعمال المذكورة عنده فأما من عنيت عنه فهو كافر إن كان في زمن الدعوة أو على قرب يمكن وصول علمها إليه أو في فترة يتوجه عليه فيها التكليف وهذا صنف مبعد عن مقام هذا

في النار موحد^(١) وأن يؤمن بشفاعة الأنبياء ثم العلماء ثم سائر المؤمنين على حسب جاهه ومنزله عند الله تعالى ومن بقي من المؤمنين ولم يكن له شفيع أخرج بفضل الله عز وجل فلا يغلد في النار مؤمن بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان^(٢) وأن يعتقد فضل الصحابة رضي الله عنهم وترتيبهم وأن أفضل الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم^(٣) وأن يحسن الظن بجميع الصحابة ويثنى عليهم كما أثنى الله عز وجل^(٤) ورسوله صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين^(٥) فكل ذلك مما وردت به الأخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك موثقاً به كان من أهل الحق وعصابة السنة وظارق رهط الضلال وحزب البعدة فنسأل الله كمال اليقين وحسن الثبات في الدين لنا ولكافة المسلمين برحمته إنه أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى .

الفصل الثاني في وجه التدرج إلى الارشاد وترتيب درجات الاعتقاد . اعلم أن ما ذكرناه في ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدم إلى الصبي في أول نشوه ليحفظه حفظاً ثم لا يزال يكشف له معناه في كبره شيئاً فشيئاً فابتداءه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والإيقان والتصديق به وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان فمن فضل الله سبحانه على تلب الإنسان أن شرحه في أول نشوه للإيمان من غير حاجة إلى حجة وبرهان وكيف يتذكر ذلك وجميع عقائد المولم مبادئها التلقين المجرد والتقليد المحض نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع من الضعف في الابتداء على معنى أنه يقبل الإزالة بقبضه لوالق إليه فلا بد من قوته وإثباته في نفس الصبي والعلماني حتى ترسخ ولا يزال وليس الطريق في قوته وإثباته أن يسلم سنة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره وقرآءة الحديث ومعانيه ويشغل بوظائف العبادات فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخاً بما يقرع صممه من أدلة القرآن وحججه وبما يرد عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها وبما يسقط عليه من أنوار

(١) حديث إخراج اللوحدين من النار حتى لا يبقى فيها موحد بفضل الله سبحانه الشيطان من حديث أبي هريرة في حديث طويل حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر لللائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول لا إله إلا الله الحديث (٢) حديث شفاعة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين ومن بقي من المؤمنين ولم يكن لهم شفيع أخرج بفضل الله فلا يغلد في النار مؤمن بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان ابن ماجه من حديث عثمان بن عفان يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء وقد تقدم في الملم ولشيوخين من حديث أبي سعيد الخدري من وجدته في قلبه مثقال حبة من خردل من الإيمان فأخرجوه وفي رواية من خير وفيه فيقول الله تعالى خفف لللائكة وغفقت التيبون وشفع للؤمنون ولم يبق إلا الأرحم الراحمين فيقيض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يسألوا خيراً قط الحديث (٣) حديث أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي البخاري من حديث ابن عمر قال كنا نغير بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فتخير أبو بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ولأبي داود كنا نقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حي أفضل أمة النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان رضي الله عنهم زاد الطبراني ويسمع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ولا يشكره (٤) حديث إحسان الظن بجميع الصحابة والتناء عليهم الترمذي من حديث عبد الله بن مغفل الله في أصحابي لا تتخوهم غرضاً بمدى ولشيوخين من حديث أبي سعيد لا تسبوا أصحابي . ولطبراني من حديث ابن مسعود إذا ذكر أصحابي فأمسكوا .

وهذا التقسيم ظاهر الصحة إذ هو دائر بين النبي والائمة وعصوم بين البادى والغايات ولم يدخل أهل للربة الأولى في شيء من تصحيح هذا التقسيم إذ ليس هم من أهله إلا بالتساب كاذب ودعوى غير صافية ثم لا بد من الوفاء بما وعدناك به من إنباء بحث مزيد شرح وبسط بيان تعرف منه باذن الله حقيقة

العبادات ووظائفها وتيسر إليه من مشاهدة الصالحين ومجالسهم وسماهم وسماعهم وحياتهم في الخشوع لله عز وجل وال خوف منه والاستكانة له فيكون أول التلقين كالقلاء بدر في الصدر وتكون هذه الأسباب كالسقي والتريقه حتى ينمو ذلك البذر ويقوى ويرتفع شجرة طيبة راسخة أصلها ثابت وفرعها في السماء وينبغي أن يحرس صمم من الجدل والكلام غاية الحراسة فإن ما يشوشه الجدل أكثر مما يهدمه وما يفسده أكثر مما يصلحه بل تقويته بالجدل ضاهى ضرب الشجرة بالمدقة من الحديد رجاء توفيقها بأن تكثر أجزاؤها وربما يفتتها ذلك ويفسدها وهو الأغلب والشاهدة تكفيك في هذا بيانا فهاهيك بالبيان برهانا قس عقيدة أهل الصلاح والتي من عوام الناس بعقيدة للتكلمين والمجادلين قسرى اعتقاد العالمى في الثبات كالطود الشامخ لا تحركه البواهى والصواعق وعقيدة للتكلم الحارس باعتقاده بتصحات الجدل كخيط مرسل في الهواء يغيبه الرياح مرة هكذا لإلزام صمم منهم دليل الاعتقاد قلقله تقليدا كما قلقت نفس الاعتقاد تقليدا لإلزام في التقليد فإن تعلم الدلائل أو تعلم للدلول تلقين الدليل شيء والاستدلال بالنظر شيء آخر بعيد عنه ثم الصبي إذا وقع نشوء على هذه العقيدة إن اشتغل بكسب الدنيا لم يفتتح له غيرها ولكنه يسلم في الآخرة باعتقاد أهل الحق إذ لم يكلف الشرع أجلاف العرب أكثر من التصديق الجازم بظاهر هذه العقائد فأما البحث والتفتيش وتكسلف نظم الأدلة فلم يكن هو أصلا وإن أراد أن يكون من سالكى طريق الآخرة وساعده التوفيق حتى اشتغل بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى واشتغل بالريضة والمجاهدة افتتحت له أبواب من الهداية تكتشف عن حقائق هذه العقيدة بنور يلى يقذف في قلبه بسبب المجاهدة تحقيقا لوعده عز وجل "إذ قال - والذين جاهدوا فى الله وهم يدينهم سلبنا وإن الله لمع المحسنين - وهو الجوهر النفيس الذى هو غاية إيمان الصديقين وللقربين وإليه الإشارة بالسر الذى يورق في صدر أنى بكر الصديق رضى الله عنه حيث فضل به الخلق وإن كشف ذلك السر بل تلك الأسرار لهدى جات بحسب درجات المجاهدة ودرجات الباطن في النقاظة والطهارة حماسى الله تعالى وفي الاستغناء بنور اليقين وذلك كشاوت الخلق في أسرار الطب والفقه وسائر العلوم إذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد واختلاف القطرة في الفقاء والقطنة وكما لا تنصير تلك الدرجات فكذلك هذه . مسئلة : فان قلت تعلم الجدل والكلام مذموم كتعلم النجوم أو هو مباح أو مندوب إليه فاعلم أن الناس في هذا غلوا وإسرافا في أطراف فمن قائل إنه بدعة وحرام وإن العبد إن لقي الله عز وجل بكل دنس سوى الشرك خير له من أن يلقاه بالكلام ومن قائل إنه واجب وفرض إما على الكفاية أو على الأعيان وإنه أفضل الأعمال وأعلى القربات طانه تحقيق لمع التوحيد ونضال عن دين الله تعالى وإلى التحريم ذهب الشافعى ومالك وأحمد بن حنبل ومفياى وجميع أهل الحديث من السلف قال ابن عبد الأكلى رحمه الله سمعت الشافعى رضى الله عنه يوم ناظر حفصا الفرد وكان من متكلى المعتزلة يقول لأن يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب ماخلل الشرك بالله خير له من أن يلقاه بغيره من علم الكلام ولقد سمعت من حفص كلاما لا أقدر أن أحكيه وقال أيضا قد اطلمت من أهل الكلام على شيء ما ظننته قط ولأن يتلى العبد بكل ما نبى الله عنه ماعدا الشرك خير له من أن يظفر في الكلام . وحكى الكرابيسى أن الشافعى رضى الله عنه سئل عن شيء من الكلام فضرب وقال سل عن هذا حفصا الفرد وأصحابه أخزاهم الله ولما مرض الشافعى رضى الله عنه دخل عليه حفص الفرد فقال له من أنا فقال حفص الفرد لا حظ لك الله ولا رعاك حتى تتوب بما أنت فيه وقال أيضا لو علم الناس ما فى الكلام من الأهواء لقروا منه فرارهم من الأسد وقال أيضا إذ أصبحت الرجل يقول الاسم هو الذى أسمى أو غير الذى أسمى فاشهد بأنه من أهل الكلام ولادين له قال الزعفرانى قال الشافعى حكى فى أصحاب

كل مرتبة ومقام وأقسام أهله فيه بحسب الطاقة والإمكان بما يجرب به الواحد الخلق على القلب والاسان (بيان مقام أهل النطق المجرد وتميز فرقهم) فأقول أرباب النطق المجرد أربعة أصناف أحدهم نطقوا بكلمة التوحيد مع شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم لم يستدوا معنى ما نطقوا به لما لم يفهموا لا يتصورون صحته ولا فسادة ولا صدقه ولا كذبه ولا خطاه ولا سوا به أن ليس هو عليه ولا أرادوا فهمه إما بعد فهمهم وقلة أكثرهم وإما لنفورهم من التلب وخوفهم أن يكلفوا البحث عما نطقوا به أو يندو لهم ما يلزمهم من الاعتقاد والعمل وما يمسد ذلك فإن التزموها فارقوا راحت أبادتهم الحاجة وفرغ أنفسهم وإن لم يتزمو شيئا من ذلك وقد حصل لهم العلم فتكون عيشتهم منفصلة وملازم مكدره من خوف

عقاب ترك ما علوه
لزومه ومثل هؤلاء
مثل من يريد قراءة
الطب أو يعرض عليه
ولكنه يمنع عنه
خفاة أن يتطلع منه على
ما يثير عنه بعض ملاذه
من الأطعمة والأشربة
والأنسجة أو كثير
منها فيحتاج إلى أن
يرتكبها أو يرتكبها
على ريقه وخوف أن
يصبه صورة ما يصل
ضرورة منها فيدع
قراءة الطب رأساً.
مثل هذا الصنف عن
مضى مانطقوا به هل
اعتقدوه فيقولون
لأنهم فيه يعتقد
وما دعانا النطق إلا
مساعدة الجهل
وأغراض اظهار القول
في الجمل الغير ولا نعرفه
هل ماقلناه بالحقيقة
من قبل العرف
والنكير ولا شك أن
هذا الصنف الذي أخبر
صلى الله عليه وسلم
عن حاله بمسئلة للمكين
أحدكم في التبريد يقولان
من ربك ومن نبيك
وما دينك فيقول
لأدرى سمعت الناس
يقولون قولاً قتلته

السلام أن يضربوا بالجريد ويطلق بهم في التبايل والعشار وقال هذا جزء من ترك الكتاب
والسنة وأخذ في الكلام وقال أحمد بن حنبل لا يخلع صاحب السلام أبداً ولا تكد ترى أهدأ نظر
في الكلام إلا وفي قلبه دغل وبالحق في فمه حتى هجر الحارث المحاسبي مع زهد مورعه بسبب تصنيفه
كتاباً في الرد على البدعة وقال له ويحك أأنت تحكي بدعتهم أو لأنهم ترد عليهم أأنت تحمل الناس
بصفتك على مطالعة البدعة والتفكير في تلك الشبهات فيدعهم ذلك إلى الرأي والبحث. وقال أحمد
رحمه الله علماء الكلام زنادقة. وقال مالك رحمه الله أأنت إن جاءه من هو أجلم منه أبعد دينه كل
يوم لدين جديد يعني أن أقوال المتجادلين تتفاوت وقال مالك رحمه الله أيضاً لا تجوز شهادة أهل البدع
والأهواء فقال بعض أصحابه في تأويله إنه أراد بأهل الأهواء أهل الكلام على أي مذهب كانوا وقال
أبو يوسف من طلب العلم بالكلام تزدق وقال الحسن لا تجادلوا أهل الأهواء ولا تجالسوهم ولا تسامحوهم
منهم وقد اتفق أهل الحديث من السلف على هذا ولا ينحصر ما قل عنهم من التشديدات فيه وقالوا
ما سكت عنه الصحابة مع أنهم أعرف بالحقائق وأصعب ترتيب الألفاظ من غيرهم إلا أنهم بما يتولفسه
من الشر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم «هالك التنظون هالك للتنظون هالك للتنظون»^(١)
أي التمتعون في البحث والاستقصاء واحتجوا أيضاً بأن ذلك لو كان من الدين لكان ذلك أهم ما يأمر
به رسول الله ﷺ وسلم طريقه ويشي عليه وعلى أربابه فقد علمهم الاستجاء^(٢)، وندهم إلى
علم القرائن وأثنى عليهم^(٣) ونهاهم عن الكلام في القدر وقال أمسكوا^(٤) عن القدر، وعلى هذا استمر
الصعابة رضي الله عنهم فلم يبادء في الأستاذ طليان وظلهم الأستاذون والقدوة ونحن الأتباع والتلامذة
وأما الفرقة الأخرى فاحتجوا بأن قالوا إن المخذور من الكلام إن كان هو لفظ الجوهرو هو المراد بهذه
الاصطلاحات القرية التي لم تصدها الصحابة رضي الله عنهم فالأمر فيه قريب إذ ما من علم إلا وقد
أحدث فيه اصطلاحات لأجل التفهيم كالحديث والتفسير والفقهاء ولوعرض عليهم عبارة النفس والكسر
والتركيب والتعدي وفساد الوضع إلى جميع الأشتة التي تور على القياس لما كانوا يفقهون فحدثت
عبارة للدلالة بها على مقصود صحيح كاحداث آية على هيئة جديدة لاستعمالها في مباح وإن كان المخذور
هو النفس فحق لا تنفي به الإلمام الذي لعل على حدوث العالم ووحدانية الخالق وصفاته كجاء في الشرع فمن
أبى نحر معرفة الله تعالى بالدليل وإن كان المخذور هو الشعب والتصبب والعداوة والبغضاء وما يقضى
إليه السلام فذلك محرم ويجب الاحتراز عنه كما أن الكبر والعجب والرياء وطلب الرياسة مما يقضى
إليه علم الحديث والتفسير والفقهاء وهو محرم يجب الاحتراز عنه ولكن لا يمنع من العلم لأجل أدائه إليه
وكيف يكون ذكر الحجة وللطائفة بها والبحث عنها محظورا وقد قاله الله تعالى قلهاوا برهانكم -
وقال عز وجل - ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة - وقال تعالى - قل هل عندكم
من سلطان بهذا سوى حجة وبرهان وقال تعالى قل فله الحجة البالغة - وقال تعالى - أأمر إلى الذي
حاج لإبراهيم في ربه - إلى قوله - فبنت الذي كفر - إذ ذكر سبحانه احتجاج إبراهيم ومجادلته وإقامته
في معرض التناء عليه وقال عز وجل - وتلك حجتنا آتيناها لإبراهيم على قومه - وقال تعالى - قالوا
يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فقلنا لا نسمع لك ولا نطع لك ولا نقول ما تشاء - إلى قوله - وأولو

(١) حديث هالك التنظون مسلم من حديث ابن مسعود (٢) حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم
علمهم الاستجاء مسلم من حديث سلمان الفارسي (٣) حديث ندهم إلى علم القرائن وأثنى عليهم
ابن ماجه من حديث أبي هريرة تعلموا القرائن وعلموها الناس الحديث والقرمذي من حديث أنس
وأقرضهم زيد بن ثابت (٤) حديث نهاهم عن الكلام في القدر وقال أمسكوا - تقدم في العلم .

جنتك بشي مبين على الجنة فالقرآن من أوله إلى آخره حجة مع الكفار فمعدة أدلة للتكليم في التوحيد قوله تعالى - لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا - وفي التوبة - وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله - وفي البعث - قل يحيا الذي أنشأها أول مرة - إلى غير ذلك من الآيات والأدلة ولم تزل الرسل صلوات الله عليهم يحاجون النكيرين ويمجدونهم قال تعالى وجادلهم بالتي هي أحسن - فالصالح بقضى الله عنهم أيضا كانوا يحاجون النكيرين ويمجدون ولكن عند الحاجة إلى الله عن الحاجة إليه قليلة في زمانهم وأول من من دعوة للبتدعة بالمجادلة إلى الحق على بني أبي طالب رضى الله عنه إذ بعث ابن عباس رضى الله عنهما إلى الحوارج فكلهم فقال ماتتمون على إمامكم قالوا فاطل ولم يسب ولم ينم فقال ذلك في قتال الكفار أرايت لو سويت عائشة رضى الله عنها في يوم الجمل فقتعت الكتاب فقالوا لا فخرج منهم أحدكم أكنتم تستحلون منها ما تستحلون من ملككم وهي أمكم في نص وناظر على بن أبي طالب كرم الله وجهه رجلا من القدرية وناظر عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يزيد ابن عمرة في الإيمان قال عبد الله لقلت إني مؤمن فقلت إني في الجنة فقال له يزيد بن عمرة يا صاحب رسول الله ههنا لئن كنتك وهل الإيمان إلا أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث والبرزخ وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتزكو وتدين بالحق وتؤمن بما بين يديك من الرسل قالوا نعم قالوا فإنا مؤمنون ولا حول وإنا من أهل الجنة فقال ابن مسعود صدقت والله إيمانهم زلة فينبغي أن يقال كان خوضهم فيه قليلا لا كثيرا وقصيرا لا طويلا وعند الحاجة لا بطريق التصنيف والتدريس واتخاذ صناعة يقال أما فلة خوضهم فانه كان فلة الحاجة إذ لم تكن البدعة تطير في ذلك الزمان وأما القصر فقد كان الغاية إتمام الحسم واعترافه وانكشاف الحق وإزالة الشبهة فلو طال إشكال الحسم أو لجابه لطلال لإعالة لإتمامهم وما كانوا يقدرون قدر الحاجة بميزان ولا مكيال بعد الشروع فيها وأما عدم تقديمه للتدريس والتصنيف فيه فكذلك كان حاجهم في الفقه والتفسير والحديث أيضا فان جاز تصنيف الفقه ووضع الصور النادرة التي لا تنفق إلا على الندور إما ادخار ليوم وقوعها وإن كان نادرا أو تشجيذا للخواطر فضع أيضا ترتب طرق المجادلة لتوقع وقوع الحاجة بثوران شبهة أو هيجان مبتدع أو لتشجيد الخاطر وألا دخار الحجة حتى لا يبعثر عنها عند الحاجة على البداهة والارتيال كمن يمد السلاح قبل القتال ليوم القتال فهذا ما يمكن أن يذكره للفريقين . فان قلت فما المختار عندك فيه فاعلم أن الحق فيه أن إطلاق القول بنسبه في كل حال أو محمدي في كل حال خطأ بل لا بد فيه من تفصيل فاعلم أولا أن الشيء قد يحرم لذاته كالخمر والنية وأخى بقوله لذاته أن علة تحريمه وصف في ذاته وهو الاسكار واللوث وهذا إذا سلمنا عنه إطلاق القول بأنه حرام ولا يلتفت إلى إباحة للبتدعة عند الاضطراب وإباحة تجرع الخمر إذا غص الإنسان بقلعه ولم يجد ما يسبغها سوى الخمر وإلى ما يحرم لغيره كالبيع على بيع أخيك المسلم في وقت الحجاز والبيع وقت التداوم أو كل الطين فانه محرم لما فيمن الأضرار وهذا ينقسم إلى ما مضى عليه وكثيره فيطلق القول عليه بأنه حرام كالم الذي يقتل قلبه وكثيره وإلى ما مضى عند الكثرة فيطلق القول عليه بالإباحة كالمس لسان كثيره يضرب بالحرور وكأ كل الطين وكان إطلاق التحريم على الطين والخمر والتحليل على العسل التفات إلى أغلب الأحوال فان تصدى شيء تقابلت فيه الأحوال فالأولى والأبعد عن الالتباس أن يفصل تعود إلى علم الكلام يقول إن فيه منفعة وفيه مضرة فهو باعتبار منفته في وقت الانتفاع حلال أو مندوب إليه أو واجب كما يحضه الحال وهو باعتبار مضرة في وقت الاستضرار ومحله حرام أما مضرة فثائرة الشبهات وتحريك العقائد وإزالتها عن الحزم والتصميم فذلك مما يحصل في الابتداء ورجوعها بالدليل

فيقولان له لا حديث ولا عليت وجهه النبي صلى الله عليه وسلم الثالث والرباب والصنف الثاني نطق كما نطق الذين من قبلهم ولكنهم أضافوا إلى قولهم ما لا يحصل معه الإيمان ولا ينظم به معنى التوحيد وذلك مثل ما قالت السبابة طائفة من الصلبة التقدم أن عليا هو الإله وبلغ أمرهم عليا رضى الله عنه وكانوا في زمنه يفرقون منهم جماعة وأمثال من نطق بالشهادتين كثير ثم أصحاب نطقه مثل هذا النكير ويسمون الزنادقة وقد رأينا حديثا عنه صلى الله عليه وسلم في ذلك « ستفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الجنة إلا الزنادقة » . والصنف الثالث نطقوا كما نطق الصنفان للذكور ان قلمهم ولكنهم أتوا التشذيب واعتقدوا الرد واستنبطوا خلاف ما ظهر منهم من الإقرار وإذا رجعوا إلى أهل

الإلحاد أعلنوا عتدم
بكلمة الكفر فؤلا
لناقون الدين ذكرهم
الله في كتابه بقوله :
وإذا لقوا الذين آمنوا
قالوا آمنا وإذا خلوا
إلى شياطينهم قالوا
إننا معكم إنما نحن
مستترون بالله يستهزي
بهم ويمدح في طغيانهم
يسمرون . الصنف
الرابع قوم لم يعرفوا
التوحيد وما نشأوا
عليه ولا عرفوا أهله
ولاسكنوا بين أظهرهم
ولكنهم حين وصلوا
إلينا أو وصل إليهم
أحد منا خاطبوا
بالأمي للتقضى لفظق
بالشهادتين والاقرا
بهما فقالوا لا نفهم
مقضى هذا اللفظ
ولانقل معنى الأمور به
من التلق فأمرنا أن
نظهروا الرضا وضموا
بلا ملة فسكنوا إلى
ما قيل لهم ونلقوا
بالشهادتين ظاهرا
وم على الجهل بما
يستدعون فيها فاستقم
أحدهم من حينه من
قبل أن يأتي منه
استنهاما وتصور يمكن
أن يكون له معه معتقد

مشكوك فيه ويختلف فيه الأشخاص فهذا ضرره في الاعتقاد الحق وله ضرر آخر في تأكيد اعتقاد
البتدعة للبدعة وتثبيتته في صدورهم بحيث تنبت دواعيم ويستند حرصهم على الأصرار عليه ولكن
هذا الضرر بواسطة التصيب الذي يثور من الجدل ولذلك ترى للبتدع الماي يمكن أن يزول اعتقاده
بالطيف في أسرع زمان إلا إذا كان نشوءه في بطن يظهر فيها الجدل والتصيب فإنه لو اجتمع عليه الأولون
والآخرون لم يقدروا على زرع البدعة من صدره بل الهوى والتصيب ويضن خصوم المجادلين وفرقة
المخالفين يستولى على قلبه ويتمن من إدراك الحق حتى لو قيل له هل ترد أن يكشف الله تعالى لك الغطاء
ويرفك بالبيان أن الحق مع خصمك لكراهة ذلك خيفة من أن يفرح به خصمه وهذا هو السوء الفاضل
الذي استطار في البلاد والعباد وهو نوع فساد أثاره المجادلون بالتصيب فهذا ضرره وأما مقصده فتدبير
أن فائده كشف الحقائق ومعرفة ما على ما عليه وهيات فليس في السلام وفاء بهذا للطلب التعريف
ولعل التخييل والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف وهذا إذا سمعته من محدث أو حوشر بما
خطر يبال أن الناس أعداء ماجهاوا فاصحع ما عن خبر الكلام ثم قلاد بدع حقيقة الحجة وبعد التخلل
فيه إلى منتهى درجة للتكلمين ولباوع ذلك إلى التعمق في علوم آخر تناسب نوع الكلام وتعمق أن
الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود ولعمري لا ينفك الكلام عن كشف وتعميق وإيضاح
لبعض الأمور ولكن على الدور في أمور جلية تكادهم قبل التعمق في صنعة الكلام بل ينفعتهم
واحد وهو حراسة العقيدة التي ترجعها على العوام وحفظها عن تشويشات للبتدعة بأنواع الجدل
فان الماي ضيف يستغزه جدل للبتدع وإن كان فاسدا فمعارضة الفاسد بالفاسد تدفعه والناس
متبعون بهذه العقيدة التي دفنناها إذ ورد التمرع بها لما فيا من صلاح دينهم ودينام وأجمع السلف
الصالح عليها والمساء يتجدون بحفظها على العوام من تلبسات للبتدعة كما تعبد الملاطين بحفظ
أموالهم عن تهجمات الظلمة والتصاب وإذا وقعت الإحاطة بضرره ومنعته فينبى أن يكون كالطبيب
الحاذق في استعمال الدواء الحظر إذ لا يرضه إلا في موضعه وذلك في وقت الحاجة وعلى قدر الحاجة .
ونفصله أن العوام للشغلين بالحرف والصناعات يجب أن يتركوا على سلامة عقائدهم التي اعتقدوها
مهما تلقوا الاعتقاد الحق الذي ذكرناه فان تعليمهم الكلام ضرر محض في حقهم إذ ربما يثير لهم
شكا ويزلزل علمهم الاعتقاد ولا يمكن القيام بذلك بالأصلاح وأما الماي المتقدم للبدعة فينبى أن
يدعى إلى الحق بالتلفظ لا بالتصيب والكلام اللطيف للفتح لنفس للوثر في القلب القريب من سياق
أدلة القرآن والحديث للمزوج بشئ من الوعظ والتحذير فان ذلك أقنع من الجدل للوضع على
شرط للتكلمين إذ الماي إذا سمع ذلك اعتقد أنه نوع منتمن من الجدل تعلمها للتكلم ليستدرج الناس
إلى اعتقاده فان عجز عن الجواب قدر أن المجادلين من أهل منعه أيضا يقدرون على دفع ما يجدل
مع هذا ومع الأول حرام وكذلك ممن وقع في شك إذ يجب إزالته بالطيف والوعظ والأدلة القرية
القبولة البعيدة عن تعمق الكلام واستقصاء الجدل إنما يقع في موضع واحد وهو أن يفرض على
اعتقد البدعة ينوع جدل صمه فيقابل ذلك الجدل بثله فيعود إلى اعتقاد الحق وذلك فيمن ظهر له
من الأئسي بالمجادة ما ينعمه عن القناعة بالوعظ والتحذيرات العامة قد انتهى هذا إلى حالة لا يشفيه
منها إلا دواء الجدل لحاز أن يلقى إليه وأما في بلاد تهل فيها البدعة ولا تختلف فيها المذاهب فيقتصر
فيها على ترجمة الاعتقاد الذي ذكرناه ولا يترض للأدلة ويترض وقوع شبهة فان وقعت ذكر
بقدر الحاجة فان كانت البدعة شائعة وكان يخاف على الصبيان أن يخذلوا فلا بأس أن يلجوا
القدر الذي أودعناه كتاب الرسالة القديمة ليكون ذلك سببا لدفع تأثير مجادلات للبتدعة وإن وقت

إليهم وهذا مقدار مختصر وقد أودعناه هذا الكتاب لاختصاره فان كان فيه ذكاء وتبذنه بذكائه لموضع سؤال أو ثارت في شبهة فقد بدت العلة المحذورة وتظهر الهداه فلا بأس أن يرقى منه إلى القدر الذي ذكرناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد وهو قدر خمسين ورقة وليس فيه خروج عن الطرق قواعد العقائد إلى غير ذلك من مباحث التكميل فان أقمه ذلك كفت عنه وإن لم يقم ذلك فقد صارت العلة مزمنة والهداه غالبا والمرض ساريا فيلتطف به الطبيب بقدر إمكانه وينتظر قضاء الله تعالى فيه إلى أن ينكشف له الحق بتبذنه من الله سبحانه أو يستمر على الشك والشبهة إلى ما قدر له فالقدر الذي يحويه ذلك الكتاب وجنسه من الصفات هو الذي يرجى تفعه فأما الخارج منه فقصان أحدهما بحث عن غير قواعد العقائد كالبحت عن الاعتادات وعن الأكران وعن الادراكات وعن الخوض في الرؤية هل لها ضد يسمى للنسج أو العدم وإن كان فذلك واحدهو منع عن بيع حلال يرى أو ثبت لكل مرئي يمكن رؤيته منع محسب عنده إلى غير ذلك من الترهات الضلالت والقسم الثاني زيادة ضرر تلك الأدلة في غير تلك القواعد وزيادة أسئلة وأجوبة وذلك أيضا استقصاء لا يزيد إلا ضللا وجهلا في حق من لم يقمته ذلك القدر فرب كلام يزيده الإطباب والتقرير غموضا . ولو قال قائل البحت عن حكم الادراكات والاعتادات فيه فائدة تشجيد الخواطر والحاطر آلة الدين كالسيف آلة الجهاد فلا بأس بتشجيد كان كقوله لب الشطرنج يشجدا الحاطر فهوم الدين أيضا وذلك هوس فان الحاطر يتشجد بسائر علوم الشرع ولا يخاف فيها مضرة فقد عرفت بهذا القدر للنوم والقدر المحمود من الكلام والحال الذي ينم فيها والحال التي يعمد فيها والشخص الذي يتنعم بهو الشخص الذي لا يتنعم به . فان قلت متهما اعترف بالحاجة إليه في دفع اللبدة والآن قد ثارت البديع وعمت البليوى وأرهقت الحاجة فلا بد أن يصير القيام بهذا العلم من فروض الكفايات كالقيام بحراسة الأموال وسائر الحقوق كالتقضاء والولاية وغيرها وما لم يشغل العلماء بنشر ذلك والتدريس فيه والبحث عنه لا يدوم ولولئك بالكلية لا تدرس وليس في مجرد الطباع كفاية لحل شبهة للبتدع تعلم فينبغي أن يكون التدريس فيه والبحث عنه أيضا من فروض الكفايات بخلاف زمن الصباغة رضي الله عنهم فان الحاجة كانت ماسة إليه فاعلم أن الحق أنه لا بد في كل بلد من قائم بهذا العلم مستقل بدفع شبهة للبتدعة التي ثارت في تلك البلدة وذلك يدوم بالتعليم ولكن ليس من الصواب تدريسه على العموم كتدريس الفقه والتفسير فان هذا مثل الدواء والفقه مثل الغذاء وضرب الغذاء لا يحذر وضرب الدواء محذور لما ذكرنا فيه من أنواع الضرر فالعالم ينبغي أن يخص بتعليم هذا العلم من فيه ثلاث خصال إحداها التجرد لعلم والحرس عليه فان المحترف بمنه الشغل عن الاستمقام وإزالة الشكوك إذا عرشت . الثانية الفكاهة والفطنة والفصاحة فان البليد لا يتنعم بفهمه والقدم لا يتنعم بحجابه فيخاف عليه من ضرر الكلام ولا يرجى فيه فقه . الثالثة أن يكون في طبعه الصلاح والبيان والتقوى ولا تكون الشهوات غالبية عليه فان الفاسق بأذى شبهة ينطع عن الدين فان ذلك يجعل على الحجر ويرفع السد الذي بينه وبين الملاذ فلا يحرس على إزالة الشبهة بل ينتمها ليخلص من أعباء التكليف فيكون ما يغصه مثل هذا المتعلم أكثر بما يصلحه وإذا عرفت هذه الاقسامات اتضح لك أن هذه الحجة المحموده في الكلام إنما هي من جنس حجج القرآن من الكلمات اللطيفة للزورة في القلوب للفتنة للفوس دون التخلل في التقنيات والتدقيقات التي لا يفهمها أكثر الناس وإذا فهموها اعتقدوا أنها شعوزة وصناعة تمطها صاحبها للتلبس فانما قاله مثله في الصنعة قاومه، وعرفت أن الشافعي وكافة السلف إنما منعوا عن الخوض فيه والتجرد له ما فيه من الضرر الذي نبتا عليه وأن ما قل عن ابن عباس رضي الله عنهما من مناظرة الحوارج

فبرجى أن لا تشق عنه
سعة رحمة الله عز
وجل والحكم عليه
النار والخلود فيها مع
الكفار تحكم على غيب
الله سبحانه وربما
كان من هذا الصنف
في الحكم عند الله عز
وجل قوم زرقوا ببد
القيم وغيب الدين
وفرط البسالة أن
يدعوا إلى النطق
فيحيوا مساعدة
وعاذة ثم يدعوا إلى
نظم القى بكل وجه
فلا يتأق منهم قبول
لما يمرض عليهم فهمه
كأنما تخاطب بجمعة
ومثل هذا أيضا في
الوجود كثير ولا أحكم
على أحد مثله بخلود
في النار ولا ببدن هذا
الصنف بأسره أعنى
المحترم قبل تحصيله
القدم مع هذا البليد
البعيد بعض ما ذكره
النبي صلى الله عليه وسلم
في حديث الشفاعة
الدين أخرجهما عز
وجل من النار بشفاعته
حين يقول تعالى: فرفرت
شفاعة اللائكة والنبين
وبقيت شفاعتي . وهو
أرحم الراحمين فيخرج

من النار أو ما لم يعملوا
حسنة قط ويدخلون
الجنة يكونون في أعاقهم
سمات ويسمون عتقاء
الله عز وجل والحديث
يطول وهو صحيح
وإنما اختصرت منه
قدر الحاجة على اللفظ
وحكم الصنف الأول
والثاني والثالث جميعين
أن لا يجب لهم حرمة
ولا يكون لهم عصمتولا
ينسبون إلى إيمان ولا
إسلام بل هم أجمعون
من زمرة الكافرين
وجملة المالكين فإن
عثر عليهم في الدنيا
قتلوا فيها بسيف
الوحدين وإن لم يثر
عليهم فهم صافرون إلى
جهنم خالون تلقح
وجوههم النار وهم فيها
كالخون .

[فصل] ولما كان
اللفظ للنسبة عن
التوحيد إذا انفرد
عن القد وتجرد عنه
لم يبق به في حكم الشرع
منفعة ولا لصاحبه
بسيه نجات إلا مائة
حياته عن السيف
أن يراق دمه والبدان
تسلط على ماله

وما نقل عن علي رضي الله عنه من الناظرة في القدر وغيره كان من الكلام الجلي الظاهر وفي محل
الحاجة وذلك محمود في كل حال ، ثم قد تختلف الأعصار في كثرة الحاجة وقلها فلا يعد أن يختلف
الحكم لذلك فهذا حكم العقيدة التي تصب الحلق بها وحكم طريق التذلل عنها وحفظها فأما إزالة
الشبهة وكشف الحقائق ومعرفة الأشياء على ما هي عليه وإدراك الأسرار التي يترجمها ظاهر ألقاظ
هذه العقيدة فلا متفاحه إلا بالمجاهدة وقمع الشهوات والأقبال بالسكينة على الله تعالى وملازمة الفكر
الصافي عن شوائب المجاذلات وهي رحمة من الله عز وجل تفيض على من يترضى لنفحاتها بقدر
الرزق ومحجب التعرض ومحجب قبول الحسل وطهارة القلب وذلك البحر الذي لا يدرك غوره
ولا يبلغ ساحله [مثله] فإن قلت هذا الكلام يشير إلى أن هذه العلوم لها ظواهر وأسرار وبعضها
جلى يبدو أولا وبعضها خفي يتضح بالمجاهدة والرياسة والطلب الحديث والفكر الصافي والسر الخالي
عن كل شيء من أشغال الدنيا سوى للطلوب وهذا يكاد يكون غائفا للشرع إذ ليس للشرع ظاهر
وباطن وسر وعن بل الظاهر والباطن والسر والعلاني واحد فيه فاعلم أن انقسام هذه العلوم إلى
خفية وجلية لا ينكرها ذو بصيرة وإنما ينكرها القاصرون الذين تلقفوا في أوائل الصبا شيئا
وجمدا عليه فلم يتمكن لهم ترقى إلى شأوا العلماء ومقامات العلماء والأولياء وذلك ظاهر من أدلة
الشرع قال صلى الله عليه وسلم « إن للقرآن ظاهرا وباطنا وحدا ومطلعا »^(١) وقال علي رضي الله
عنه وأشار إلى صدره إن ههنا علوما جمة لو وجدت لها حكمة . وقال صلى الله عليه وسلم « نحن
معاشر الأنبياء أمرنا أن نعلم الناس على قدر عقولهم »^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم « ما حدث
أحد قوما يحدث لم تبلغه عقولهم إلا كان فتنة عليهم »^(٣) وقال الله تعالى - وتلك الأمثال نضربها
للناس وما يعلوها إلا العالون - وقال صلى الله عليه وسلم « إن من العلم كبرية السكنون لا يعلمه
إلا العالون بالله تعالى »^(٤) الحديث إلى آخره كما أوردناه في كتاب العلم . وقال صلى الله عليه وسلم
« لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا »^(٥) فليت شعري إن لم يكن ذلك سر مانع من
إفشائه لقصور الأفهام عن إدراكه أولم يكن آخر فلم يذكره لهم ولا شك أنهم كانوا يصدقون ما ذكره
لهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل - الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض
مثلهن يتزل الأمر بينهن - لو ذكرت تفسيره لم يمتحن وفي لفظ آخر قلتم إنه كافر . وقال
أبو هريرة رضي الله عنه حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين أما أحدهما فبنته
وأما الآخر لو بنته لقطع هذا الحقوم . وقال صلى الله عليه وسلم « ما فضلكم أبو بكر بكرة صيام
ولا صلاة ولكن بسروقه في صدره »^(٦) رضي الله عنه ولا شك أن ذلك السر كان متعلقا بقواعد
الدين غير خارج منها وما كان من قواعد الدين لم يكن خافيا بقولاهم على غيره وقال سهل التستري
رضي الله عنه لعالم ثلاثة علوم علم ظاهر يبذل لأهل الفناء وعلم باطن لا يسهل إظهاره إلا لأهله
وعلم هو بينه وبين الله تعالى لا يظنره لأحد . وقال بعض المارفين إنشاء سر الربوبية كفر وقال
بعضهم الربوبية سر لوظهر لبطلت النبوة والنبوة سر لو كشف لبطل العلم والعلماء باق سر لو أظهروه

- (١) حديث إن للقرآن ظاهرا وباطنا الحديث ابن حبان في صحيحه من حديث ابن مسعود بنحوه
- (٢) حديث نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نعلم الناس على قدر عقولهم الحديث تقدم في العلم (٣) حديث ما حدث أحد قوما يحدث لم تبلغه عقولهم الحديث تقدم في العلم (٤) حديث إن من العلم كبرية السكنون الحديث تقدم في العلم (٥) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا أخرجه من حديث عائشة وأنس (٦) حديث ما فضلكم أبو بكر بكرة صيام الحديث تقدم في العلم .

لبطلت الأحكام وهذا fatal إن لم يرد بذلك بطلان النبوة في حق الضمائر لقصور فهمهم فإذا كره ليس بحق بل الصحيح أنه لا تناقض فيه وأن الكامل من لا يخطئ^(١) نور معرفته نور ورعه وملاك الودع النبوة [مسألة] فإن قلت هذه الآيات والأخبار يتطرق إليها تأويلات فبين لنا كيفية اختلاف الظاهر والباطن فإن الباطن إن كان مناقضا للظاهر فله إبطال الشرع وهو قول من قال إن الحقيقة خلاف الشريعة وهو كفر لأن الشريعة عبارة عن الظاهر والحقيقة عبارة عن الباطن وإن كان لا يناقضه ولا يخالفه فهو فيزول به الأقسام ولا يكون للشرع سر لا يغشى بل يكون الخفي والجلي واحدا . فاعلم أن هذا السؤال يحرك خطبا عظيما وينجر إلى علوم للكشفة ويخرج عن مقصود علم للعامة وهو غرض هذه الكتب فإن العقائد التي ذكرناها من أعمال القلوب وقد تعبدنا بتلقيها بالقول والتصديق بمقتضى القلب عليها لأن يتوصل إلى أن ينكشف لنا حقائقها فإن ذلك لم يكلف به كافة الخلق ولولا أنه من الأعمال لما أوردناه في هذا الكتاب ولولا أنه عمل ظاهر القلب لاعمل بالباطن لما أوردناه في الشطر الأول من الكتاب وإنما الكشف الحقيقي هو صفة سر القلب وباطنه ولكن إذا أجمعت السلام إلى تحريك خيال في مناقضة الظاهر للباطن فلا بد من كلام وجيز في حله فإن الحقيقة تخالف الشريعة أو الباطن يناقض الظاهر فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الإيمان بل الأسرار التي يختص بها المقربون يدركها ولا يشاركونها الأكثرون في عملها ويعتنون عن إفشائها إليهم ترجع إلى خمسة أقسام : القسم الأول أن يكون الشيء في نفسه دقيقا تكلأ أكثر الأنفهام عن دركه فيختص بدركه الخواص وعليهم أن لا يشعروا إلى غير أهله فيصير ذلك فتنة عليهم حيث تنصر أفهامهم عن الدرك وإخفاء سر الروح وكلف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يانه^(٢) من هذا القسم فإن حقيقته مما تكل الأنفهام عن دركه وتنصر الأوهام عن تصور كنهه ولا تظن أن ذلك لم يكن مكشوفاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإن من لم يعرف الروح فكأنه لم يعرف نفسه ومن لم يعرف نفسه فكيف يعرف ربه سبحانه ولا يبعد أن يكون ذلك مكشوفاً لبعض الأولياء والعلماء وإن لم يكونوا أنبياء ولكم يتأبدون بأدب الشرع فيستكون مما سمكت عنه بل في صفات الغمغمز وجل من الحفايا ما تنصر أفهام الجماهير عن دركه ولم يذكر رسول الله ﷺ منها إلا الظواهر للأنفهام من العلم والقدرة وغيرها حتى فهمها الخلق بنوع مناسبة توهموها إلى علمهم وقدرتهم إذ كان لهم من الأوصاف ما يسمى علما وقدرة فيتوهمون ذلك بنوع مقايسة ولو ذكر من صفاته ما ليس للخلق مما يناسبه بعض المناسبة شيء لم يفهموه بل لذة الجماع إذا ذكرت للشيء أو المتين لم يفهموا إلا بمناسبة إلى لذة الطعوم التي يدركه ولا يكون ذلك فهماً على التحقيق والمخالفة بين علم الله تعالى وقدرته وعلم الخلق وقدرتهم أكثر من المخالفة بين لذة الجماع والأكل . وبالجملة فلا يدرك الإنسان لإنشائه وصفات نفسه مما هي حاضرة في الحال أو ما كانت لهن قبل ثم بالمقايسة إليه يفهم ذلك لغيره ثم يصدق بأن بينهما تفاوتاً في الشرف والكمال فليس في قوة البشر إلا أن يثبت الله تعالى ما هو ثابت لنفسه من العلم والقدرة وغيرها من الصفات مع التصديق بأن ذلك أكل وأشرف فيكون معظم تحريره على صفات نفسه لا على ما اختص الرب تعالى به من الجلال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك^(٣) » وليس

إذا لم يعلم خفي حاله حسن فيه أن يشبه بقدر الجوز الأعلى فهو لا يخطر ولا يرضع في البيوت ولا يحضر في المجالس أي مجالس الطعام ولا تشبه النفوس إلا مادام منطويا على مطعمه صونا على لبه فإذا أزيل عنه بكسر أو علم منه أنه منطو على فراغ أوسوس أو طعمه فاسد لم يصلح للشيء ولم يبق فيه غرض لأحد وهذا لا خفاء في محته والقرص بالتشكيل تقرب ما غشيت إلى نفس الطالب وتسبيل ما اعتصم على التلمز والسمع فهمه وليس من شرط للثال أن يطابق المثل به من كل وجه فكان يكون هو ولكن من شرطه أن يصحكون مطابقا للواحد الراد منه .

[فصل] فإن قلت لما أثنى صدق هؤلاء الأصناف الثلاثة من أهل التلقي عن النظر والبحث حتى تملوا أو عن الاعتقاد حتى تخلفوا من عذاب الله

- (١) حديث نف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيان الروح الشيخان من حديث ابن مسعود حين سأله اليهود عن الروح قال فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم قل يرد عليهم شيئا الحديث (٢) حديث لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك مسلم من حديث عائشة أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك في سجوده .

وهي الظاهر قادرون على ذلك وما للانع الحشنى الذى منهم وأبصم عنه وهم يملون أن ما عليهم كبير مؤنة ولا عظيم نفقة فاعلم أن هذا السؤال يفتى بابا عظيما ويبرز قاعدة كبيرة يخاف من التوغل فيها أن يخرج من القصد ولكن لا بد إذا وقع في الأسماع ووعته قلوب الطالبين واشتاق إلى سماع الجواب عنه أن نورد في ذلك قدر ما يقع به الكفاية ونشع به النفوس بحول الله وقوته، ثم ماسبق في العلم القديم لا تجرى خلافه التقادير فهم من ذلك بإرادة الله عز وجل جاء اختصاص قلوبهم بالأخلاق السكانية والشيم القلبية والطباع السبعة وغلبها عليهم ولللافة لا تدخل بيتا فيه كلب كذلك قال عليه الصلاة والسلام والصلوات بيوت تولى الله بناها يسهل وأعداها لأن

الذى أنى أعجز عن التعبير عما أدركته بل هو اعتراف بالصور عن إدراك كنه جلالة وتلك قال بعضهم ما عرف الله بالحقيقة سوى الله عز وجل وقال الصديق رضى الله عنه الحمد لله الذى لم يجعل الخلق سبيلا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته . ولتقيض عنان السلام عن هذا الخط وترجع إلى النرض وهو أن أحد الأقسام ما تكمل الأنفاه عن إدراكه ومن جملة الروح ومن جملة بعض صفات الله تعالى ولعل الإشارة إلى مثله في قوله صلى الله عليه وسلم « إن لله سبعين حجابا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل من أدركه بصره ^(١) » القسم الثانى من الحفياث التى تتمتع الأنبياء والصديقون عن ذكرها ماهو مفهوم في نفسه لا بكل الفهم عنه ولكن ذكره يضر بأكثر المستمعين ولا يضر بالأنبياء والصديقين وسر القدر الذى منع أهل العلم من إفشائه من هذا القسم فلا يبعد أن يكون ذكر بعض الحقائق مضرا بعض الخلق كما يضر نور الشمس بأبصار الحفانيش وكأقصر راس الورد بالجمل وكيف يمد هذا وقولنا إن السكر والزنا والمصا والتبرور كله قضاء الله تعالى وإرادته ومشئته حق في نفسه وقد أضر جماعه بقوم إذ أوم ذلك عندهم أندالة على السنف وهيش الحكمة والرضا بالبيع والظلم وقد ألد ابن الراوندى وطائفة من المتحولين بخل ذلك وكذلك سر القدر لأتواهم عند أكثر الخلق عجزا إذ تقصروا فهمهم عن إدراك ما يزيل ذلك الوهم عنهم ولو قال قائل إن القيامة لو ذكر ميقاتها وأنها بعد ألف سنة أو أكثر أو أقل لكان مفهومها ولكن لم يذكر لمصلحة العباد وخوفا من الضرر فعمل الله إليها بعيدة فيطول الأمد وإذا استبطأت النفوس وقت العقاب قل أكثرها ولعلها كانت قرية في علم الله سبعاته ولو ذكرت لظم الخوف وأعرض الناس عن الأعمال وخربت الدنيا فهذا الذى لوانجه وصح فيكون مثالا لهذا القسم .

القسم الثالث : أن يكون الشيء بحيث لو ذكر صرحا لقهم ولم يكن فيه ضرر ولكن يكتفى عنه على سبيل الاستمارة والزمن ليكون وقعه في قلب المستمع أغلب وله مصلحة في أن يظلم وقت ذلك الأخرى في قلبه كالأقوال التي رأيت فلانا يفتد الدر في أعناق الخنازير فكيف به عن إفشاء العلم وبث الحكمة إلى غير أهلها فالمستمع قد يسبق إلى فهمه ظاهر اللفظ والمحقق إذا نظر وعلم أن ذلك الإنسان لم يكن معه در ولا كان في موضعه خنزير فظن إدراك السرو الباطن فيفتاوت الناس في ذلك ومن هذا قال الشاعر:

رجلان خياط وآخر حائك متقابلان على السالك الأعزل
لا زال ينسج ذلك خرقة مدير ويخط صاحبه ثياب للقب

فانه عبر عن سبب مماوى في الأقبال والادبار رجلين صائمين وهذا النوع يرجع إلى التعبير عن الذى بالصورة التى تتضمن عين للذى أو مثله ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « إن المسجد ليتزوى من النخامة كما تزوى الجملة على النار ^(٢) » وأنت ترى أن ساحة المسجد لا تنقبض بالنخامة ومعناه أن روح المسجد كونه معظا وروح النخامة فيه تحميره فيضاد معنى للسجدية مضادة النار لاصال أجزاء

(١) حديث إن لله سبعين حجابا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهها أدركه بصر ما أبو الشيخ ابن حبان في كتاب العظمة من حديث أنى هريرة بين الله وبين اللافة الذين حول العرش سبعون حجابا من نور وإسناده ضعيف . وفيه أيضا من حديث أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل هل ترى ربك قال إن بينى وبينه سبعين حجابا من نور ، وفي الأكبر للطبراني من حديث سهل بن سعد دون الله تعالى ألف حجاب من نور وظلعة لمسلم من حديث أبي موسى حجاب التور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ولا ين ماجه شيء أدركه بصره .

(٢) حديث إن المسجد ليتزوى من النخامة الحديث لم أجده أصلا .

الجله و كذلك قوله صلى الله عليه وسلم « أما غشى الذي رفع رأسه قبل الامام أن يحول انوارسه رأس حمار (١) » وذلك من حيث الصورة لم يكن قط ولا يكون ولكن من حيث المثل هو كأن إذا رأس الحمار لم يكن حقيقته لكونه وشكله بل خاصيته وهى البلادة والحق ومن رفع رأسه قبل الامام قد صار رأسه رأس حمار فى معنى البلادة والحق وهو للقصود دون الشكل الذى هو قالب المثل الذى من غاية الحق أن يجمع بين الاعتقاد وبين التقدم فانها متناقضان وإنما يصرّف أن هذا السر على خلاف الظاهر إما بدليل نفعى أو شرعى أما العقل فأن يكون حمله على الظاهر غير ممكن كقوله صلى الله عليه وسلم « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن (٢) » إذ لو فقتنا عن قلوب المؤمنين فلم نجد فيها أصابع فلم أنها كناية عن القدرة التى هى سر الأصابع وروحها الحق. وكفى بالأصابع عن القدرة لأن ذلك أعظم وصفاً في فهم تمام الاعتقاد ومن هذا القبيل فى كنياته عن الاعتقاد قوله تعالى - إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقوله كن فيكون - فإن ظاهره محتجذ قوله كن إن كان خطا بالشيء قبل وجوده فهو محال إذ المعلوم لا يفهم الخطاب حتى يتصل وإن كان بعد الوجود فهو مستغن عن التكوين ولكن لما كانت هذه الكناية أوقع فى النفوس فى فهم غاية الاعتقاد عدل إليها. وأما للمترك بالسر فهو أن يكون إجراؤه على الظاهر محتملا ولكنه يروى أنه أريد بغير الظاهر كأورد فى تفسير قوله تعالى - أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها - الآية وأن معنى الماء هنا هو القرآن بمعنى الأودية هى القلوب وأن بعضها احتملت شيئا كثيرا وبسببها قليلا وبسببها لم يحتمل والزيد مثل الكفر والتناقى فانه وإن ظهر وطفا على رأس الماء فانه لا يثبت ولهذا ياتى تنوع الناس بمحك وفي هذا القسم تعمق جماعة فأولوا ما ورد فى الآخر من اللزاز والصراف وغيرها وهو بدعى إذ لم يتغلب ذلك بطريق الرواية وإجراؤه على الظاهر غير محال فيجب إجراؤه على الظاهر. القسم الرابع : أن يدرك الانسان الشيء حمة ثم يدركه تخصيصا بالتحقيق والتدقيق بأن يصير حاله لا يلبس فيه تفاوت العلمان ويكون الأول كالتشعر والثاني كالإبواب والأول كالظاهر والثاني كالباطن وذلك كما يمثل للانسان فى عينه شخص فى الظلمة أو على البعد فيحصل له نوع علم فإذا رآه بالقرب أو بعد زوال الظلام أدركه بفرقة بينهما ولا يكون الأخير ضد الأول بل له استكمال له فكذلك العلم والإيمان والتصديق إذ قد يصدق الانسان بوجوده المشق والمرضى والموت قبل وقوعه ولكن تحققه به عند الوقوع أو كل من تحققه قبل الوقوع بل للانسان فى الشهوة والعشق وسائر الأحوال ثلاثة أحوال متفاوتة وإدراكات متباينة الأول تصديقه بوجوده قبل وقوعه والثاني عند وقوعه والثالث عند تصدّقه فان تحققك بالجوع بعد زواله بخالف التحقيق به قبل الزوال وكذلك من علوم الدين ما يصير ذوقا فيكمل فيكون ذلك كالباطن بالإضافة إلى ما قبل ذلك ففرق بين علم المريض بالصحة وبين علم الصحيح بها فى هذه الأقسام الأربعة متفاوت الحق وليس فى شيء منها باطن يتناقض الظاهر بل يتممه ويكمله كما يتمم القلب القشر والسلام. القسم الخامس : أن يعبر بلسان المقلد عن لسان الحال فاقصر الفهم بشف على الظاهر ويستقده نطقا والبصير بالحقائق يدرك السرىة وهذا كقول القائل : قال الجدار للودت لم تشقى قال سل من يدقنى فلم يتراكنى ورائى الحجر الذى ورائى فهذا تعبير عن لسان الحال بلسان المقلد، ومن هذا قوله تعالى - ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين - فالبلد يغتر فى فهمه إلى أن يقدّر لها حياة وعقلا وفيها للخطاب وخطابها هو صوت وحرف تسمعه السماء والأرض فتجيان

(١) حديث أما غشى الذى رفع رأسه قبل الامام الحديث أخرجه من حديث أبى هريرة .

(٢) حديث قلب البديع بين أصبعين من أصابع الرحمن مسلم من حديث عبد الله بن عمرو .

تكون خدائن عليه ومشارك ممكناته ومبسط مالاكتنه ومغشى أنواره ومهاب نصحاته ومجال مكاشفاته ومجارى رحمة وهبهاها لتحصيل المعرفة بهفى كان فيها شيء من تلك الأخلاق النذومة لم يدخلها للملائكة ولم ينزل عليها شيء من الخير من قبله إذ هى الوساطة بين الله تعالى وبين خلقه وهم الوفود منه بالخيرات وللوصال إليه وعنه بالباقيات الصالحات ولولا تلك الأخلاق للنذومة التى حلت فيهم وهى التى فى السكيب لأجلها لما احترمت للملائكة بأذن الله عن حولها فيها وهى لا تخلو من خير تنزل به ويكون معها لحيتا حلت حل الخير فى ذلك القلب بحولها وإنما هى لها خفيوا جدت قلب خاليا ولو حينما من الشهر وزمنا زلت عليه ودخلته وثبتت ما عندها من الخير عنده فان لم يظهر على للملائكة ما زعمها عنه

من تلك الأخلاق
للنموءة بواسطة
الشياطين الذين هم في
مقابلة اللائكة ثبتت
عنده وسكنت فيه ولم
تخرج عنه وعمرته
بقدر سعة البيت
والشرائح من الخير
فان كان البيت كبير
الاشغال أكثر فيه
من متاعها واستعانت
بغيرها حتى يتلى البيت
من متاعها وجهازها
وهو الإيمان بالله
والصلاح وضروب
للمعارف النافعة عند
الله عز وجل فانا
طريق ذلك البيت طريق
شيطان ليسرق من
ذلك الخير الذي هو متاع
للك وثبت فيه خلقا
مذموما لا يوجد إلا
في السلك وهو متاع
الشيطان قاله الله
وطرده عن ذلك المخل
فان جاء للشيطان مند
من الهوى من قبل
النفس ولم يجد لللك
نصره وهوعزم اليقين
من قبل الروح انهزم
للك وأخلى البيت
ونهب التمتع وخرب
البيت بعد عمارته وأظلم
بعد نوره وساق بعد

بحرف وصوت وتقولان أينما طامنين والبصير يعلم أن ذلك لسان الحال وأنه إنباء عن كونها
مسخرتين بالضرورة ومضطرتين إلى التسخير ومن هنا قوله تعالى - وإن من شيء إلا يسبح
بحمده - فالبايد يشقر فيه إلى أن يقدر لاجتماع حياة وعقلا ونطقا بصوت وحرف حتى يقول
سبحان الله ليتحقق تسبيحه والبصير يعلم أنه ما أريد به نطق اللسان بل كونه مسبحا بوجوده ومقدسا
بذاته وشاهدا بوحداية الله سبحانه كما يقال :

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

وكما يقال هذه الصنعة المحكمة تشهد لسانها بحسن التدبير وكال العلم لا يمتنع أنها تقول أشهد بالقول
ولكن بالذات والحال وكذلك مادن شيء إلا وهو محتاج في نفسه إلى موجد يوجهه ويقيه ويدبر
أوصافه ويرده في أطواره فهو بحاجة يشهد خالقه بالتقديس يدرك شهادته ذوو البصائر دون
الجامدين في الظواهر ولذلك قال تعالى - ولكن لا يفقهون تسبيحهم - وأما القاصرون فلا يفقهون
أسما وأما القربون والعلما الراسخون فلا يفقهون كنهه وكاله إذ لكل شيء شهادات حتى على تقديس
الله سبحانه وتسبيحه ويدرك كل واحد بقدر عقله وبصيرته وتعداد تلك الشهادات لا يليق بسلم
للعامة فهذا الفن أيضا يحتاج لأرباب الظواهر وأرباب البصائر في علمه وتظهر به مفارقة الباطن
للظاهر وفي هذا المقام لأرباب للقامات إسراف وإقتصاد فمن مسرف في رفع الظواهر انتهى إلى تشييد
جميع الظواهر والبراهين أو أكثرها حتى حملوا قوله تعالى - وتكملنا أيديهم وتشهد أرجلهم -
وقوله تعالى - وقالوا لجلوسهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء - وكذلك
المخاطبات التي تجري من منكر ونكير وفي اليزان والصراط والحساب ومناظرات أهل النار وأهل
الجنة في قولهم - أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله - زعموا أن ذلك كله لسان الحال وغلا
آخرون في حسم الباب منهم أحمد بن حنبل رضي الله عنه حتى منع تأويل قوله - كن فيكون -
وزعموا أن ذلك خطاب بحرف وصوت يوجد من الله تعالى في كل لحظة بعدد كون كل مكون حتى
سمعت بعض أصحابه يقول إنه حسم باب التأويل إلا ثلاثة أقسام قوله صلى الله عليه وسلم « الحجر
الأسود بين الله في أرضه (١) » وقوله ﷺ « قلب المؤمن بين يمينين من أصابع الرحمن » وقوله
صلى الله عليه وسلم « إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمين (٢) » ومال إلى حسم الباب أرباب الظواهر
والظن بأحمد بن حنبل رضي الله عنه أنه علم أن الاستواء ليس هو الاستقرار والتزول ليس هو الانتقال ولكنه
منع من التأويل حسم الباب ورعاية صلاح الخلق فانه إذا فتح الباب اتسع الخرق وخرج الأمر عن
الضبط وجاوز حد الاقتصاد إذ حدهما جاوز الاقتصاد لا يضبط فلا بأس بهذا الترجوع ويشهد له سلف
فانهم كانوا يقولون أمرها كاجامد حتى قال مالك رحمه الله لا سئل عن الاستواء الاستواء معلوم
والسكينة جهولة والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وذهبت طائفة إلى الاقتصاد ونحوها باب
التأويل في كل ما يتعلق بصفات الله سبحانه وتركوا ما يتعلق بالآخرة على ظواهرها ومنعوا التأويل فيه
وهم الأشعرية وزاد للتمزلة عليهم حتى أولوا من صفاته تعالى الرؤية وأولوا كونه جميعا بصيرا وأولوا
للبراج وزعموا أنه لم يكن بالجسد وأولوا عذاب القبر واليزان والصراط وجملة من أحكام الآخرة
ولكن أقروا بحصر الأجساد والجانة واشتغالها على لئلا كولات وللصوموات وللشكوكات وللألاذ

(١) حديث الحجر بين الله في الأرض الحاكم وصحبه من حديث عبد الله بن عمر (٢) حديث
إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمين أحمد من حديث أبي هريرة في حديث قال فيه وأجد نفس
ربكم من قبل اليمين ورجاه هات .

المحسوسة وبالدار ولشأنها على جسم شخص يحرق بحرق الجلود وذئب النجوم ومن ترفيعهم إلى هذا الحد زاد القسامة فأولئك كل ماورد في الآخرة ودموه إلى آلام عقلية وروحانية والذات عقابية وأنكروا خبر الأجساد وقالوا يقاء النفوس وأنها تكون إما معذبة وإما منتصبة بعذاب ونعم لا يدرك باليس وهو لا هم السرفون وحد الاقتصاديين هذا الاعتلال كله وبين جود المناجاة دقيق فاقض لا يطلع عليه إلا اللوحيون الذين يدركون الأمور بنور الهي لا بالسمع ثم إذا انكشفت لهم أسرار الأمور على ما هي عليه نظروا إلى السمع والألفاظ الواردة لها وافق ما شاهدوه بنور البينين قرووه وما خالف أولوه فأما من يأخذ معرفة هذه الأمور من السمع المجرد فلا يستقر لها قدم ولا ينصير له موقف والأليق بالتنصير على السمع المجرد مقام أحمد بن حنبل رحمه الله والآن فكشف الغطاء عن حد الاقتصاد في هذه الأمور داخل في علم الكشفة والقول فيه يطول فلا نخوض فيه والنرض بيان موافقة الباطن الظاهر وأنه غير مخالفة فقد انكشف بهذه الأقسام الخمسة أمور كثيرة وإذا رأينا أن تنصير بكافة العلوم على ترجمة العقيدة التي حررتها وأنهم لا يكفون غير ذلك في الدرجة الأولى إلا إذا كان خوف تشويش لشيوخ البعدة فبرق في الدرجة الثانية إلى عقيدة فيها لوامع من الأدلة مختصرة من غير تعمق فلتورد في هذا الكتاب تلك اللوامع ولتقتصر فيها على ما حرمناه لأهل القدس ومبيناته الرسالة القدسية في قواعد العقائد وهي مودعة في هذا الفصل الثالث من هذا الكتاب . الفصل الثالث : من كتاب قواعد العقائد في لوامع الأدلة للعقيدة التي ترجمناها بالقدس نقول : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي بعثنا بالنبوة صلى الله عليه وآله وسلم وأمرنا بالهداية إلى دعائم الدين وبيّنه زينة الزايعين وضلال الملحدين ووقفهم للاقتداء بسيد المرسلين وسددهم للتأسي بصحبه الأكرمين ويسر لهم اقتفاء آثار السلف الصالحين حتى اعتصموا من مقتضيات القول بالجلل للدين ومن سير الأولين وعقائدهم بالمتبعين فجمعوا بين تنازع القول وقضايا الشرع المنقول والمحققوا أن النطق باعتقاده به من قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ليس له طائل ولا حصول إن تمتحقق الإحاطة بما تدور عليه هذه الشهادة من الأقطاب والأسول وعرفوا أن كفاي الشهادة على إنجازها تضمن إثبات ذات الإله وإثبات صفاته وإثبات أهله وإثبات صدق الرسول وعلموا أن بناء الإيمان على هذه الأركان وهي أربعة ويدور كل ركن منها على عشرة أصول . الركن الأول في معرفة ذات الله تعالى ومداره على عشرة أصول وهي العلم بوجود الله تعالى وقدمه وقائه وأنه ليس بجهول ولا جسم ولا عرض وأنه سبحانه ليس مختصا بجهة ولا مستقرا على مكان وأنه يرى وأنه واحد . الركن الثاني في صفاته ويشتمل على عشرة أصول وهو العلم بكونه حيا عالما قادرا مريدا مهيما بصرا متكبها منزها عن حلول الحوادث وأنه قديم الكلام والعلم والإرادة . الركن الثالث في أهله تعالى ومداره على عشرة أصول وهي أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وأنها مكتسبة للعباد وأنها مرادة لله تعالى وأنه متفضل بالخلق والاختراع وأنه تعالى تكليف مالا يطاق وأنه لا يلام البرى ولا يجب عليه رعاية الأمم ولا واجب إلا بالشرع وأن أئمة الأنبياء جائزة وأن نبوة نبينا محمد ﷺ ثابتة مؤيدة بالمعجزات . الركن الرابع في السمعات ومداره على عشرة أصول وهي إثبات الحشر والنشر وسؤال منكر ونكير وعذاب القبر ولزينة النواصر والخلق والجن والنار وأحكام الإمامة وأن فضل الصحابة على حسب ترتيبهم وشروط الإمامة . فأما الركن الأول من أركان الإيمان في معرفة ذات الله سبحانه وتعالى وأن الله تعالى واحد ومداره على عشرة أصول .

انصرحه وهكذا حال من آمن وكفر وأطاع وعصى وذل واهتدى فان قلت : فينبغي أنصاف هذه الأشكال للذمومة التي صدرت هؤلاء الأصناف المذكورين عن اعتقاد الإيمان ونفرت لللائكة عن النزول إلى قلوبهم يكشف معنى التوحيد ومنهم من حاول فيها حتى لم يبالوا شيئا من الحريات الكائنة معها فاعلم أن الأخلاق التي لا يجمع معها اللائكة في قلب واحد كثيرة والتي في قلوب هؤلاء منها مظهر ما هو الطمع في غير خبطه والحرص على فان حقيق . وأما الصنف الأول فاهم رجوعوا وحافوا أن تبدو لهم جهة ما يشغلهم عن لغاتهم وينص عليهم ما رغبوا فيه من راحاتهم وتكبر لديهم مثال شهواتهم فأقوا أمرهم على ما هم عليه . وأما الصنف الثاني والثالث فضمهم أيضا خوف وجزع وحرص على ما ألقوه من تبجيل أحدهم أن يزول

الأصل الأول : معرفة وجوده تعالى وأول ما يستفاد به من الأنوار ويسلك من طريق الاعتبار

ومؤانسة أشياهم أن
تتغير وتذهب ومواساة
إيلانهم أن تقطع
واستغناء لما يشاهدونه
من أهل الإيمان أن
يلزموه وفراراً من
شرائطه وما يصعبه
من الأعمال والوظائف
إذ يتشبهه والكلب
ما ذم بصورته وإنما ذم
بهذه الأخلاق التي
هي الطمع في الحسنى
والجزع من الصبر على
ما يصعب من الفضائل
حقاً احترمت اللائكة
أن تدخل بيتاً فيه كلب
فان قلت فكيف آمن
من كفر وأطاع من
عصى واهتدى من
ضل إذا كانت
الشياطين لا تشارك
قلب الكافر والعاصي
والضال بما تثبتون
من الأخلاق الذمومة
التي هي كلاب نابغة
وذئاب عادية وصياع
ضارية وأصناف الخير
إنما ترد من الله عز
وجل بواسطة اللائكة
وهي لا تدخل مريضاً
يحل فيه شيء مما ذكرنا
وإذا لم تدخل لم يصل
إلى الخير الذي يكون
معه ولم يصل إلى الفضل

ما أرشد إليه القرآن فليس بعد بيان الله سبحانه بيان وقد قال تعالى - ألم نجعل الأرض مهاداً
والجبال أوتاداً وخلقناكم أزواجاً وجعلنا نومكم سباتاً وجعلنا الليل لباساً وجعلنا النهار معاشاً وبنينا
فوقكم سبعاً شداداً وجعلنا سراجاً وهاجاً وأنزلنا من السماء ماء فنجاً لخرج به الجبال نباتاً وجنت
الغاف - وقال تعالى - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في
البحر بما ينفع الناس - وما أنزل الله من السماء من ماء فأجابه الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة
وتصرف الرياح والسحاب للسخرين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون - وقال تعالى - ألم تروا كيف
خلق الله سبع سموات طباقاً وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجاً وأما أنبتكم من الأرض نباتاً
ثم بعثكم فيها وبخرجكم لإخراجها - وقال تعالى - أفرأيت ما تمنون ما أنتم خلقونه أم نحن الخالقون - إلى
قوله لعلقون - فليس يخفى على من معه أدنى مسكة من عقل إذا تأمل بأدنى فكر مضمون هذه الآيات وأدار
نظره على عجائب خلق الله في الأرض والسموات وبداية فطرته الحيوان والنبات أن هذا الأمر العجيب
والترتيب المحكم لا يستغنى عن صانع يدره وفاعل يحكمه وقدره بل تكاد فطرته النفوس تشبه بكونها
مفهورة تحت تسخيرها ومعرفة بمقتضى تدبيره ولذلك قال الله تعالى - أفي الله شك فاطر السموات والأرض -
ولهذا يثبت الأنبياء صلوات الله عليهم دعوة الخلق إلى التوحيد ليقولوا لا إله إلا الله ما أمروا أن يقولوا
لنا إله والعالم إلا أن ذلك كان عجولاً في فطرته عقولهم من مبدأ نشوهم وفي عفوان شياهم ولذلك قال
عز وجل - ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله - وقال تعالى - فأمر وجهك للدين حنيفاً
فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم - فإذا في فطرة الإنسان وشواهد القرآن
ما يضي عن إقامة البرهان ولكن على سبيل الاستظهار والاقتداء بالعلماء النظار قول من بداهه القول
أن الحادث لا يستغنى في حدوثه عن سبب محدثه والعالم حادث فاذن لا يستغنى في حدوثه عن سبب أما
قولنا إن الحادث لا يستغنى في حدوثه عن سبب بقى فإن كل حادث مختص بوقت يجوز في العقل
تقدير شديده وتأخير فاختصاصه بوقته دون ما قبله وما بعده يفتر بالضرورة إلى المخصص وأما قولنا
العالم حادث فبرهانه أن أجسام العالم لا تخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لا تخلو عن الحوادث
فهو حادث ففي هذا البرهان ثلاث دعاوى : الأولى قولنا إن الأجسام لا تخلو عن الحركة والسكون وهذه
مدركة بالبداهة والاضطرار فلا يحتاج فيها إلى تأمل واحتكار فإن من عقل جسيلاً لا ساكنوا ولا متحركاً
كان لفتن الجهل راكباً وعن نهج العقل ناكباً . الثانية قولنا إنهما حادثان وبدل على ذلك تعاقبهما
ووجود البعض منهما بعد البعض وذلك مشاهد في جميع الأجسام ما شوهد منها وما لم يشاهد فما
من ساكن إلا والعقل قاض بجواز حركته ومان متحرك إلا والعقل قاض بجواز سكونه فالطاري
منهما حادث لطريانه والسابق حادث لعدمه لأنه لو ثبت قدمه لاستحال عدمه على ما سيأتي بيانه
وبرهانه في إثبات بقاء الصانع تعالى وتقدس . الثالثة قولنا ما لا تخلو عن الحوادث فهو حادث وبرهانه
أنه لو لم يكن كذلك لكان قبل كل حادث حوادث أولاً ولما تخلو من تلك الحوادث جملة ما
لا تنبئ التوبة إلى وجوه الحادث الحاضر في الحال وانقضاء ما لا نهاية له محال ولأنه لو كان للفلك
دورات لا نهاية لها لكان لا تخلو عددها عن أن تكون شفعاً أو وتراً أو شفعاً ووتراً جميعاً أو لا شفعاً
ولا وتراً ومحال أن تكون شفعاً ووتراً جميعاً أو لا شفعاً ولا وتراً فإن ذلك جمع بين التثنية والاثبات
إذ في إثبات أحدهما نفي الآخر وفي نفي أحدهما إثبات الآخر ومحال أن يكون شفعاً لأن الشفع يصير
وتراً بزيادة واحد وكيف يجوز ما لا نهاية له واحد ومحال أن يكون وتراً إذ الوتر يصير شفعاً بواحد
فكيف يجوز ما واحد ومحال أنه لا نهاية لاعداده ومحال أن يكون لا شفعاً ولا وتراً إذ لا نهاية لخصائص من

هذا أن العالم لا يتغير عن الحوادث وما لا يتغير عن الحوادث فهو إذن حادث وإذا ثبت حدوثه كان افتقاره إلى المحدثين للدرجات الضرورية. الأصل الثاني : العلم بأنه تعالى قد يرزله، أرلى ليس لوجوده أول بل هو أول كل شيء وقيل كل ميت وحى . وبرهانه أنه لو كان حادثاً لم يكن قدعياً لا فخر هو أيضاً إلى محدث واقتصر محدثه إلى محدث وتسلسل ذلك إلى ما لا نهاية وما تسلسل لم يتصل أو ينتهي إلى محدث قديم هو الأول وذلك هو المطلوب الذى سمينه صانع العالم ومبدئه وبأمره ومحدثه ومبدعه . الأصل الثالث : العلم بأنه تعالى مع كونه أزلياً أزلياً ليس لوجوده آخر فهو الأول والآخر والظاهر والباطن لأن ما ثبت قدمه استحالة عدمه ، وبرهانه أنه لو انعدم لمكان لا يتغير إيماناً بنسب نفسه أو بعدم تضاده ولو جاز أن ينعدم شيء يتصور دوامه بنفسه لجاز أن يوجد شيء يتصور عدمه بنفسه فكما يحتاج طريان الوجود إلى سبب فكذلك يحتاج طريان العلم إلى سبب وباطل أن ينعدم بعدم تضاده لأن ذلك لعدم لو كان قديماً لما تصور الوجود معه وقد ظهر بالأصليين السابقين وجوده وقدمه فكيف كان وجوده في القدم ومعه ضده فإن كان اللحد لعدم حادثاً كان محالاً إذ ليس الحادث في مضادته للقديم حتى يقطع وجوده بأولى من القديم في مضادته للحادث حتى يذبح وجوده بل الدفع أهون من القطع والقديم أقوى وأولى من الحادث . الأصل الرابع : العلم بأنه تعالى ليس بجوهر متغير بل يتعالى ويتقدس عن مناسبة الجبر وبرهانه أن كل جوهر متغير فهو محتض بجبره ولا يتغير من أن يكون ساكناً فيه أو متحركاً عنه فلا يتغير عن الحركة والسكون نحوها حادثان وما لا يتغير عن الحوادث فهو حادث ولو تصور جوهر متغير قديم لمكان يقل قدمه جواهر العالم فإن مدام مسم جوهرها ولم يرد به للتغير كان محطاً من حيث اللفظ لا من حيث المعنى . الأصل الخامس : العلم بأنه تعالى ليس بجسم مؤلف من جواهر إذ الجسم عبارة عن اللواصن الجواهر وإذا بطل كونه جوهرها عضوياً بطل كونه جسماً لأن كل جسم محتض بجبر وصرك من جوهر فالجوهر يستحيل خالوه عن الاقتران والاجتماع والحركة والسكون والهيئة والقدر وهذه سمات الحوادث ولو جاز أن يعتقد أن صانع العالم جسم لجاز أن يعتقد الإلهية للشمس والقمر أو لشيء آخر من أقسام الأجسام فإن تجاسر متجاسر على تسعته تعالى جسماً من غير إرادة التأليف من الجواهر كان ذلك غلطاً في الاسم مع الأصابع في بني معنى الجسم . الأصل السادس : العلم بأنه تعالى ليس بمرض قائم بجسم أو حال في محل لأن المرض ما يحل في الجسم فكذلك جسم فهو حادث لا محالة ويكون محدثه موجوداً قبله فكيف يكون حالاً في الجسم وقد كان موجوداً في الأزل وحده وما معه غيره ثم أحدث الأجسام والأمراض بعده ولأنه عالم قادر مريد خالق كاسمائه يانه وهذه الأوصاف تستحيل على الأمراض بل لا تتصل إلا بالموجود قائم بنفسه مستقل بذاته وقد حصل من هذه الأصول أنه موجود قائم بنفسه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وأن العالم كله جواهر وأعراض وأجسام فاذن لا يشبه شيئاً ولا يشبه شيء بل هو الحى القيوم الذى ليس كشيء شيء وأنى يشبه الخلق خالقه وللقدور مقدرة وللصور مصوره والأجسام والأعراض كلها من خلقه وصنعه فاستحال القضاء عليها بمقتضى مشابته . الأصل السابع : العلم بأنه الله تعالى منزلة الذات عن الاختصاص بالجهات فإن الجهة إما فوق وإما أسفل وإما عين وإما شمال أو قدام أو خلف وهذه الجهات هو الذى خلقها وأحدثها بواسطة خلق الإنسان إذ خلق له طرفين أحدهما يستند على الأرض ويسمى رجلاً والآخر يقابلها ويسمى رأساً محدث اسم الفوق لما يلي جهة الرأس واسم السفلى لما يلي جهة الرجل حتى إن الثقلات تدب منكم تحت السقف فتقلب جهة القوق في حقها تحتاً وإن كان في حقنا فوقاً وخلق للإنسان الدين وإحداها أقوى من الأخرى في الغالب فحدث اسم

هذا يجب أن يتق كل كافر على حاله ومن لم يخلق مؤمناً معوما فلا يسله إلى الأمان على هذا التهم . فاعلم أن هذا يستدعى أمناً من علم القلوب ولا سبيل إلى ذلك في مثل هذا المقام للعلوم والقول والمعنى في جواب ما سألت عنه أن للشيطان غفلات ولا إخلق للدمومة عدمات كما أن لللائكة لها عن القلوب غفلات وثواب الجبر عليها فترات فإذا وجد للملك كما أعلمت قلباً خالياً ولو زماناً فادخل فيه وأراه ما عنده من الجبر فإن صادف منه قبولاً ولما عرض عليه من الجبر تشوقاً ما يعلو ويسترق له وإن صادف منه مصراً وممع منه مجنود الشياطين استغاثت بالأخلاق السكلية استعانة راحل عنه وتركه ولهذا قيل ما خلا بل عن لمة ملك أو زفة شيطان . فان قلت : فأى بيت فهم

الجبن للأقوى واسم الثعال لما يقابله وتسمى الجبهة التي تلى العينين بينا والأخرى شهما وخلق له جانبين يصير من أحدهما ويتحرك إليه فحدث اسم القدم للجبهة التي يتقدم إليها بالحركة واسم الخلف لما يقابها فالجبهة حادثة بحوث الانسان ولولم يخلق الانسان بهذه الحلقة بل خلق مستديرا كالكرة لم يكن لهذه الجهات وجود ألبتة فكيف كان في الأرض غمضا بجبهة والجبهة حادثة أو كلف صار غمضا بجبهة بسد أن لم يكن له أبأن خلق العالم فوقه ويتعالى عن أن يكون له فوق إذ تعالى أن يكون له رأس والفوق عبارة عما يكون جهة الرأس أو خلق العالم تحته فتعالى عن أن يكون له تحت إذ تعالى عن أن يكون له رجل والتحت عبارة عما يلي جهة الرجل وكل ذلك مما يستحيل في العقل ولأن المقول من كونه غمضا بجبهة أنه غمض بحيز اختصاص الجواهر أو غمض بالجواهر اختصاص العرض وقد ظهر استحالة كونه جوهرًا أو عرضا فاستحال كونه غمضا بالجبهة وإن أريد بالجبهة غير هذين العنيتين كان غلطًا في الاسم مع المساعدة على المعنى ولأنه لو كان فوق العالم لكان محاذيًا له وهو محاذ لجسم فيما أن يكون مثله أو أصغر منه أو أكبر وكل ذلك تقدير عجوز بالضرورة إلى مقدر ويتعالى عنه الخالق الواحد للدر فأمّا رفع الأيدي عند السؤال إلى جهة السماء فهو لئلا يها قبل الدعاء ونبيه أيضا إشارة إلى ما هو وصف للمدعو من الجلال والكبرياء تنبيهًا بقصد جهة العلو على صفة المجد والعلوّ فانه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء . الأصل الثامن : العلم بأنه تعالى مستو على عرشه بالمعنى الذي أراد الله تعالى بالاستواء وهو الذي لا ينافي وصف الكبرياء ولا يتطرق إليه سبب الحدوث والقضاء وهو الذي أريد بالاستواء إلى السماء حيث قال في القرآن - ثم استوى إلى السماء وهي دخان - وليس ذلك إلا بطريق القهر والاستيلاء كما قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهران

واضطرّ أهل الحق إلى هذا التأويل كما اضطرّ أهل الباطن إلى تأويل قوله تعالى - وهو معكم أينما كنتم - إذ حل ذلك بالانفاق على الإحاطة والعلم وحمل قوله صلى الله عليه وسلم « قلب للؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » على القدرة والقهر وحمل قوله صلى الله عليه وسلم « الحجر الأسود بين الله في أرضه » على التشريف والإكرام لأنه لو ترك على ظاهره لزم منه المحال فكذلك الاستواء لو ترك على الاستقرار والتحكم لزم منه كون للتمكن جسمًا محاسا للعرش إما مثله أو أكبر منه أو أصغر وذلك محال وما يؤدى إلى المحال فهو محال . الأصل التاسع : العلم بأنه تعالى مع كونه منزها عن الصورة والقدار مقدسا عن الجهات والأقطار مرتبًا بالأعين والأبصار في الدار الآخرة دار القرار قوله تعالى - وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة - ولا يرى في الدنيا تصديقًا لقوله عز وجل - لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار - ولوله تعالى في خطاب موسى عليه السلام - لن تراني - وليت شعري كيف عرف للقول من صفات ربّ الأرباب ما جعله موسى عليه السلام وكيف سأل موسى عليه السلام الرؤية مع كونها محالا ولعل الجبل بنوى البقع والأهواء من الجهة الأغنياء أولى من الجبل بالأنبياء صلوات الله عليهم وأما وجه إجراء آية الرؤية على الظاهر فهو أنه غير مؤد إلى المحال فان الرؤية نوع كشف وعلم إلا أنه أتمّ وأوضح من العلم فاذا جاز تعلق العلم به وليس في جهة جاز تعلق الرؤية به وليس بجبهة وكما يجوز أن يرى الله تعالى الخلق وليس في مقابلتهم جاز أن يراه الخلق من غير مقابلة وكما جاز أن يعلم من غير كيفية وصورة جاز أن يرى كذلك الأصل العاشر : العلم بأن الله عز وجل واحد لا شريك له فرد لاند له انفرد بالخلق والإبداع واستبد بالإنجاد والاختراع لامتلاكه بسامحه ويساويه ولا ضلّه فينازعه ويناووه وبرهانه قوله تعالى - لو كان

عن الي ملى الله عليه وسلم في الخطاب وأنى كلب أنهل بيت القلب كلب الخلق أو بيت اللاب وكاب الحيوان فاعلم أن الحديث خارج على سبب ومعناه جعلته أن للتصود بالإنجاره و بيت اللاب وكاب الحيوان معلوم ولا يتك في ذلك ولكن يستقرأ منه ما قلناه ويستنبط من مفهومه ما هنالك عليه ويتخطى منه إلى ما أثرنا لك نحوه ولا نكر في ذلك إذ دلّ عليه العلم وحجة الاستنباط ولم تجبه القلوب للستقاء ولم تصادم به شيئا من أركان الشريعة فلا تكن جاحدا ولا تجنح من تشليح جاهل ولا من تفور مقفد فكثيرا ما ورد شرع مقرون بسبب فرأى أهل الاعتبار وجه تشبيه عن سببه إلى مافى معناه ومشابهه من الجهة التي تصلح أن يمد بها إليه ولولا ذلك لما قال النبي صلى الله عليه وسلم « ربّ مبلغ أوعى من سامع وحامل

فيما آلهة إلا الله لقد استأنا - وبياته أنه لو كانا اثنين وأراد أحدهما أمرا فالتاني إن كان مضطرا إلى مساعدته كان هذا الثاني مقهورا عاجزا ولم يكن إلهيا قادرا وإن كان قادرا على مخالفته ومداخلة كان الثاني قويا قاهرا والأول ضعيفا قاصرا ولم يكن إلهيا قادرا .

(الركن الثاني العلم بصفات الله تعالى ، ومداره على عشرة أصول)

الأصل الأول : العلم بأن صانع العالم قادر وأنه تعالى في قوله - وهو على كل شيء قدير - صادق لأن العالم يحكم في صنعه مرتب في خلقه ومن رأى ثوبا من ديباج حسن النسيج والتأنيف متناسب التطريز والتطريف ثم توهم صدور نسجه عن ميت لاستطاعة له أو عن إنسان لإقدرته على صنعه فلا عن غريزة العقل ومنخرطا في سلك أهل النبوة والجهل . الأصل الثاني : العلم بأنه تعالى عالم بجميع الموجودات ومحيط بكل المحالقات - لا يميز عن علمه متغال ذرة في الأرض ولا في السماء - صادق في قوله - وهو بكل شيء عليم - ومرشد إلى صدقه بقوله تعالى - ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير - أرشدك إلى الاستدلال بالخلق على العلم بأنك لاستتريب في دلالة الخلق اللطيف والصنع الزين بالترتيب ولوفى الشيء الحقير الضعيف على علم الصانع بكيفية الترتيب والترصيف فما ذكره الله سبحانه هو انتهى في الهداية والتعريف . الأصل الثالث : العلم بكونه عز وجل - حيا فان من ثبت علمه وقدرته ثبت بالضرورة حياته ولو تصور قادر وعالم فاعل مدبر دون أن يكون حيا لجاز أن يشك في حياة الحيوانات عند ترددها في الحركات والسكنات بل في حياة أرباب الحرف والصناعات وذلك انقماش في غمرة الجهالات والضلالات . الأصل الرابع : العلم بكونه تعالى مريدا لأفعاله فلا موجود إلا وهو مستند إلى مشيئته وصادر عن إرادته فهو البديء للسيد والفعال لما يريد وكيف لا يكون مريدا وكل فعل صدر منه أمكن أن يصدر منه ضده وما لا ضده له أمكن أن يصدر منه ذلك بعينه قبله أو بعده والقدرة تناسب الضدين والوقتين مناسبة واحدة فلا بد من إرادة صادقة للقدرة إلى أحد القديرين ولوأغنى العلم عن الإرادة في تخصيص المعلوم حتى يقال إنما وجد في الوقت الذي سبق العلم بوجوده لجاز أن يفي عن القدرة حتى يقال وجد بغير قدرة لأنه سبق العلم بوجوده فيه . الأصل الخامس : العلم بأنه تعالى صميع يصير لا يميز عن رؤيته هو اجس الضمير وخفايا الوهم والتفكير ولا يشذ عن سمعه صوت ديب الخلة السوداء في الليلة الظلماء على الشجرة الصماء وكيف لا يكون سمعيا بصيرا والسمع والبصر كال لاهماة وليس بنفس فكيف يكون الخلق أكل من الخالق والمصنوع أسنى وأتم من الصانع وكيف تتدل القسمة مهما وقع النقص في جهته والكمال في خلقه وصنعه أو كيف تستقيم حجة إبراهيم صلى الله عليه وسلم على أبيه إذ كان يبعد الأستانم جبلا وغيا فقال له - لم تعبد مالا يسمع ولا يسمع ولا يمشي ولا يمشي عنك شيئا - ولو انقلب ذلك عليه في معبوده لأضحت حجته دافعة ودلائلها ساطعة ولم يصدق قوله تعالى - وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه - وكما قلل كونه فاعلا بلا جراحة وعالم بلا قلب وماغ فليقل كونه بصيرا بلا دقة وميميا بلا إذن لا ذراق بينهما . الأصل السادس : أنه سبحانه وتعالى متكلم بكلام وهو وصف قائم بذاته ليس بصوت ولا حرف بل لا يشبه كلامه كلام غيره كما لا يشبه وجوده وجود غيره والكلام بالحقيقة كلام النفس وإنما الأصوات طلعت حروفا للدلالات كما يدل عليها تارة بالحركات والإشارات وكيف التبس هذا على طائفة من الأغبياء ولم يلتبس على جهة الشعراء حيث قال قائلهم :

إن الكلام لفي القواد وإنما جعل اللسان على القواد دليلا

ومن لم يقه عقله ولا نهامها عن أن يقول لسانى حادث ولكن ما يحدث فيه بغير الحادثة قديم

قته إلى من هو أقدم منه

سؤال : فان قلت قد

قال النبي صلى الله عليه

وسلم « لا تدخل

للالسكة بيتا فيه

صورة » وعلم السبب

الذي جاء هذا الحديث

عليه وفيه فهل يدعى

عن سببه ويرتقى منه

إلى مثل ما ترقى من

الحديث الآخر فهذا كما

قيل الحديث عجوز

وأشنع هذا الباب

ما قرب منه ويعد

علينا التخلص عنه ثم

يرتقى منه إلى قريب من

ذلك وشبهه ويكون

هذا الحديث منها

عليه وهو أن الصورة

للنحوقة قد أخذت

آلهة وعبدت من

دون الله عز وجل وقد

نهى الله عز وجل قلوب

المؤمنين على عيب فعل

من رضى بذلك ونفى

إحداك من دان به حين

قال خبرنا عن إبراهيم

عليه السلام حيث قال -

أتبعون ما تحتون

والله خلقكم وما

تعملون - فكان

امتناع اللامسكة من

دخول بيت فيه صورة

لأجل أن فيه ماعبد

فأقطع عن عقله طمعك وكف عن خطابه لسانك ومن لم يفهم أن القديم عبارة عما ليس قبله شيء وأن الباء قبل السين في قولك بسم الله فلا يكون السين المتأخر عن الباء قديما فتره عن الالتفات إليه قلبك فله سبحانه سر في إبعاد بشرى العباد - ومن يضلل الله فإله من هاد - ومن استبعد أن يسمع موسى عليه السلام في الدنيا كلاما ليس بصوت ولا حرف فليستكر أن يرى في الآخرة موجودا ليس بحجم ولا لون وإن عقل أن يرى ما ليس بلون ولا جسم ولا قدر ولا كمية وهو إلى الآن لم ير غيره فليقل في حاسة السمع ما عقله في حاسة البصر وإن عقل أن يكون له علم واحده علم جميع الموجودات فليقل صفة واحدة لذات هو كلام بجميع مادل عليه من العبارات وإن عقل كون السموات السبع وكون الجنة والنار مكتوبة في ورقة صغيرة ومحفوفة في مقدار ذرة من القلب وأن كل ذلك مرئي في مقدار عدسة من الحديقة من غير أن تحل ذات السموات والأرض والجنة والنار في الحديقة والقلب والورقة فليقل كون الكلام مقروءا باللسنة محفوظا في القلوب مكتوبا في الصاحف من غير حلول ذات الكلام فيها إذ لو حلت بكتاب الله ذات الكلام في الورق لحل ذات الله تعالى بكتابه اسمه في الورق وحلت ذات النار بكتابه اسمها في الورق ولا حرق - الأصل السابع : أن الكلام القائم بنفسه قديم وكذا جميع صفاته إذ يستحيل أن يكون محلا للأحداث داخل تحت التغير بل يجب للصفات من نعوت القدم ما يجب للذات فلا تفرقه التغيرات ولا تحله الأحداث بل لم يزل في قدمه موصولا بمحماد الصفات ولا يزال في أبده كذلك مزها عن تغير الحالات لأن ما كان محل الحوادث لا يخلو عنها وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وإنما ثبتت الحوادث للأجسام من حيث تعرضها للتغير وتقلب الأوصاف فكيف يكون خالقها مشاركا لها في قبول التغير وينبغي على هذا أن كلامه قديم قائم بذاته وإنما الحادث هي الأصوات الباطنة عليه وكما عقل قيام طلب التلم وإرادته بذات الواحد لله قبل أن يخلق ولمه حتى إذا خلق ولمه وعقل وخلق الله له علما متعلقا بما في قلب أيه من الطلب صار مأمورا بذلك الطلب الذي قام بذات أيه ودام وجوده إلى وقت معرفة ولمه له فليقل قيام الطلب الذي دل عليه قوله عز وجل - أخلق لعلي - بذات الله ومصر موسى عليه السلام مخاطبا به بيد وجوده إذ خلقت له معرفة بذلك الطلب ومع ذلك الكلام القديم، الأصل الثامن : أن علمه قديم فلم يزل علما بذاته وصفاته وما يحدث من مخلوقاته حدثت المخلوقات لم يحدث له علم بها بل حصلت مكتوفة به بالعلم الأزلي إذ لو خلق لنا علم بقدوم زيد عند طلوع الشمس ودلم ذلك العلم تقديرا حتى طلعت الشمس لكان قدوم زيد عند طلوع الشمس معلوما لنا بذلك العلم من غير تجديد علم آخر فكذا ينبغي أن يفهم قدم علم الله تعالى . الأصل التاسع : أن إرادته قديمة وهي في القدم تعلقت بإحداث الحوادث في أوقاتها الثلاثة بها على وفق سبق العلم الأزلي إذ لو كانت حادثة لصار محل الحوادث ولو حدثت في غير ذاته لم يكن هو مريدا لها كما لا تكون أنت متحركا بحركة ليست في ذاتك وكيفها قدرت فيقتصر حدوثها على إرادة أخرى وكذلك الإرادة الأخرى تنفصل إلى أخرى ويتسلسل الأمر إلى غير نهاية ولو جاز أن يحدث إرادة بغير إرادة لجاز أن يحدث العالم بغير إرادة . الأصل العاشر : أن الله تعالى عالم يعلم على حجة قادر بقدره ومريد بارادة ومتكلم بكلام وسميع بسمع وبصير بصير وله هذه الأوصاف من هذه الصفات القديمة وقول القائل عالم بلا علم كقوله غنى بلا مال وعلم بلا عالم ولا معلوم فإن العلم والمعلوم والعالم متلازمة كالتسل والتقتول والقاتل وكما لا يتصور قاتل بلا قتل ولا قاتل ولا يتصور قاتل بلا قاتل ولا قاتل كذلك لا يتصور عالم بلا علم ولا علم بلا معلوم ولا معلوم بلا عالم بل هذه الثلاثة متلازمة في العقل لا ينفك بعض منها عن البعض فن جواز احتكاك العالم عن العلم

من دون الله سبحانه
أو محاكبه به ماهو على
مثاله ويرتق من ذلك
المعنى إلى أن القلب
الذي هو بيت بناء الله
ليكون مهيأ للالفة
ومحلا للذكر ومعرفة
عبادته وحده دون
غيره فإذا حل فيه
معبود غير الله سبحانه
وهو الهوى لم يفرقه
للالفة أيضا . فان
قيل فظاهر الحديث
يقضي منافرة للالفة
لكل صورة عموما وما
ذكرته تعليلا ينبغي أن
لا يقتضى إلا منافرة
ماعد أو ما تحت على
مثاله . قلنا تشابهت
الصورة للتوبة كلها
في المعنى الذي قصد بها
التصور لأجله وهو
مضارعة ذي الأرواح
وما تحت لقيادة إنما
قصد به تشييد روج
فما كان هذا المعنى
الجامع لما وجب تحريم
كل صورة منافرة
للالفة . فان قيل
لما وجه الترخيص فيها
رقم في ثوب فذلك لأنها
ليست مقصورة في
نفسها وإنما المقصود
الثوب الذي يرتق فيه .

فليجوز اهتساكه عن العلوم واشتراكه العلم عن العالم إذ لا فرق بين هذه الأوصاف .

(الركن الثالث العلم بأضال الله تعالى ، ومداره على عشرة أصول)

الأصل الأول : العلم بأن كل حادث في العالم فهو ضلوه خلقه واختراعه لا خالق له سواء ولا محدث له إلا إياه خلق الحق وصنعه وأوجد قدرتهم وحر كتهم جميعاً أفعال عباده مخلوقه ومتعلقة بقدرته تصديقا له في قوله تعالى - الله خالق كل شيء - وفي قوله تعالى - والله خلقكم وما تعملون - وفي قوله تعالى - وأسرأ قولكم أوجهروا به إنه علم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير - أمر العباد بالتحرز في أفعالهم وأضالهم وإسراهم وإضارهم لعله بعباده واستدل على العالم بالخلق وكيف لا يكون خالقا لخلق العبد وقدرته تامة لا تقصور فيها وهي متعلقة بغيره كإبدان العباد والحر كات منأله وتلق القدرة بما قدأها فما الذي يقصر تعلقها عن بعض الحر كات دون البعض مع تماثلها أو كيف يكون الحيوان مستقيدا بالاختراع ويصدر من العنكبوت والنحل وسائر الحيوانات من لطائف الصناعات ما يتحير فيه عقول ذوى الأبواب فكيف انفردت هي باختراعها دون رب الأرباب وهي غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها من الاكتساب هيئات هيئات ذلت المخلوقات وتفرذ بالملك والمملكوت جبار الأرض والسموات . الأصل الثاني : أن اشراد الله سبحانه باخترع حر كات العباد لا يخرجها عن كونهما مقدورة للعبد على سبيل الاكتساب بل الله تعالى خلق القدرة وللقدرور جميعا وخلق الاختيار والاختار جميعا فأما القدرة فوصف للعبد وخلق للرب سبحانه وليست بكسبه وأما الحر كة فخلق للرب تعالى ووصف للعبد وكسبه فانها خلقت مقدورة بقدرته هي وصفه وكانت لحر كة نسبة إلى صفة أخرى تسمى قدرة فتسمى باعتبار تلك النسبة كسبا وكيف تكون جبرا لمحضها وهو بالضرورة بدرك الفرقة بين الحركة القدرورة والعدة الضرورية أو كيف يكون خلقا للعبد وهو لا يحيط علما بتفاصيل أجزاء الحر كات المكتسبة وأعدادها وإذا بطل الطرفان لم يبق إلا الاقتصاف الاعتقاد وهو أنها مقدورة بقدرته الله تعالى اخترعها وقدره العبد على وجه آخر من التعلق بغيره عبالا ككتابا وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور أن يكون بالاختراع قطع إذ قدرة الله تعالى في الأزلة قد كانت متعلقة بالعالم ولم يكن الاختراع حاصلها بها وهي عند الاختراع متعلقة به نونا آخر من التعلق فيه يظهر أن تعلق القدرة ليس مخصوصا بحصول المقدور بها . الأصل الثالث : أن فعل العبد وإن كان كسبا للعبد فلا يخرج عن كونه مراداً لله سبحانه فلا يخرج في الملك والمملكوت طرفه عين ولا لقنة خاطر ولا لقنة ناظر إلا بقضاء الله وقدرته بمرادته ومشيئته ومنه الشر والخير والنفع والضمر والإسلام والكفر والعرفان والتسكرو والقوز والحسرة والقوى والقوى والشاء والطاعة والصيان والترك والإيمان لآراد لقضائه ولا معقب لحكمه مضل من يشاء ويهدي من يشاء - لا يستل عما يغفلونهم يسألون - ويدل عليه من النقل قول الأمة قاطبة ما شاء كان وما لم يكن وقول الله عز وجل - أن لو شاء الله لهدى الناس جميعا - وقوله تعالى - ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها - ويدل عليه من جهة العقل أن المعاصي والجرائم إن كان اعتيكرها ولا يريد بها وإعاصي جارية على وفق إرادة العدو لا ليس لئنه اتفق أنه عدو لله سبحانه والجارية على وفق إرادة العدو أكثر من الجارية على وفق إرادته تعالى فليت شعري كيف يستعجز المسلم أن يرد ملك الجبار ذى الجلال والاكرام إلى رتبة لوردت إليها ويساء زعيم ضيعة لاستكف منها ياذلو كان ما يستمر لعبدو الزعيم في القرية أكثر مما يستعجزه لاستكف من زعامته وتبرأ عن ولايته وللصبيغة الغالبة على الحق وكل ذلك جبار عند البتعة على خلاف إرادة الحق تعالى وهذا غاية الضمضوال المعجز تعالى رب الأرباب عن قول الظالمين علوا كبيرا ثم يماظهر أن أفعال العباد مخلوقة لله سبحانه إرادته له . فان قيل فكيف ينهى عما يريد وما يعايريد

فان قيل فما بال الشاب رخص في محاسنها بالتصوير وذات أنواط في السرب مشهورة معلومة فاعلم أن ذات أنواط إنما كانت شجرة في أيام العرب الجاهلية تعلق عليها يوما في السنة فآخر ثيابها وحلى نسائها لأجل اجتماعها عندها وراحتها في ذلك اليوم ولم يكونوا يقصدونها بالعبادة لما كانت بغير صفة التماثيل للنجوة والأصنام ولو كان ذلك مسائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم ذات أنواط حق أنكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك عليهم ولو عدت فقد عبد كثير من خلق الله تعالى كالكائنات والشمس والقمر وبعض النجوم والسيح عليه السلام وعلى رضى الله عنه ولم يعبدا ما تحت على شكل النبات فلم تعبد من ههنا إلا ذات روح فما أبعد عن دركهم أن حرمة الله تعالى بإيهاه فله الحمد وهو الله .

فقال الأمر غير الإرادة ولذلك إذا ضرب السيد عبده ضابته السلطان عليه فاعتذر بتمرد عبده عليه فكذبه السلطان فأراد إظهار حجة بأن أمر العبد بفعل ومخالفة بين يديه فقال له أسرج هذه الدابة بعشيد من السلطان فهو بأمره بالأيدي امتثاله ولولم يكن آمرا لما كان عنده عند السلطان محمد اولو كان مريدا لامتناله لكان مريدا لهلاك نفسه وهو محال . الأصل الرابع : أن الله تعالى متفضل بالخلق والاختراع ومتول بتركليف العباد ولم يكن بالخلق والتركليف واجبا عليه وقالت المعتزلة وجب عليه ذلك لما فيه من مصلحة العباد وهو محال إذ هو الموجب والأمر والنهي وكيف يهدف لإيجاب أو ينقض للزوم وخطاب والمراد بالواجب أحد أمرين إما التعلل الذي في تركه ضرر إما أجل كما يقال يجب على العبد أن يطيع الله حتى لا يذهب في الآخرة بالنار أو ضرر عاجل كما يقال يجب على العطشان أن يشرب حتى لا يموت وإما أن يراده الله الذي يؤدي عدمه إلى محال كما يقال وجود المعلوم واجب إذ عدمه يؤدي إلى محال وهو أن يصير الملم جهلا فان أراد الخصم بأن الخلق واجب على الله بالمعنى الأول فقد عثر منه للضرر وإن أراد به للمعنى الثاني فمسل إذ سبق الملم لا بد من وجود المعلوم وإن أراد به معنى ثالثا فهو غير مفهوم وقوله يجب لمصلحة عباده كلام فاسد فانه إذا لم يتضرر بترك مصلحة العباد لم يكن للوجوب في حقه معنى ثم إن مصلحة العباد في أن يخلتهم في الجنة فاما أن يخلتهم في دار البلاء ويسرهم للتطاولا ثم يهدفهم لخطر العقاب وهول العرش والحساب فإني في ذلك غبطة عند ذوي الألباب . الأصل الخامس : أنه يجوز على الله سبحانه أن يكشف الخلق ما لا يطقونه خلافا للمعتزلة ولو لم يحز ذلك لاستحال السؤال ذووق قدسنا لو ذلك قالوا ربنا ولا يحملنا ما لا طاعة لنا به - ولأن الله تعالى أخبرني صلى الله عليه وسلم بأن أجاهل لا يصدقه ثم أمره بأن يصدقه في جميع أقواله وكان من جهة أقواله أنه لا يصدقه فكيف يصدقه فإنه لا يصدقه وهل هذا إلا محال وجوده . الأصل السادس : أن الله عز وجل إلام الخلق وتعليمهم من غير جرم سابق ومن غير ثواب لاحق خلافا للمعتزلة لأنه متصرف في ملكه ولا يتصور أن يسلو تصرفه ملكه والظلم هو عبارة عن التصرف في ملك الغير بغير إذنه وهو محال على الله تعالى فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه ظلمًا ويدل على جواز ذلك وجوده فان ذبح البهائم إلام لها وما صب عليها من أنواع العذاب من جهة آدميين لم يتقدمه جرم . فان قيل إن الله تعالى يحشرها ويمجازها على قدر ما قلته من الآلام وبموجب ذلك على الله سبحانه . فقول من زعم أنه يجب على الله إحياء كل نقة وطئت وكل قلة عركت حتى يشها على آلامها فقد خدع عن الشرع والحق إذ يقال وصف الثواب والحشر بكونه واجبا عليه إن كان المراد به أنه يتضرر بتركه فهو محال وإن أريد به غيره فقد سبق أنه غير مفهوم إذا خرج عن المعاني المذكورة للواجب . الأصل السابع : أنه تعالى يفعل بعباده ما يشاء فلا يجب عليه رعاية الأصلح لعباده ما ذكرناه من أنه لا يجب عليه سبحانه شيء بل لا يمتثل له في حقه الوجوب فانه لا يمتثل عما يمتثل وهم يشاؤون وليت شعري ما يجاب للمعتزلة في قوله إن الأصلح واجب عليه في مسئلة نرضها عليه وهو أن يرض مناظرة في الآخرة بين صبي وبين بالغ مائتين فإني قد علمت أن الله سبحانه يزيد في درجات البالغ ويضله على الصبي لأنه يحب بالإيمان والطاعات بعد البلوغ ويجب عليه ذلك عند المعتزلة فيقول الصبي يارب لم رقت منزلة على فيقول لأنه بلغ واجتهد في الطاعات ويقول الصبي أنت امتنى في الصبا فكان يجب عليك أن تدب حياي حتى أبلغ فأجتهد قد عدلت عن العدل في التفضل عليه بطول العمر لدوني فلم تفضله فيقول الله تعالى لأنى علمت أنك لو بلغت لأشركت أو عصيت فكان الأصلح لك الموت في الصبا هذا عذر المعتزلة عن الله عز وجل وعند هذا ينادي الكفار من دركات ظلمة ويقولون يارب أما علمت أننا إذا بلغنا أشركنا فعلا امتنا في الصبا فانارضنا بآدمون منزلة الصبي فلماذا يجب عليك ذلك وهل يجب عند

[بيان أصناف أهل

الاعتقاد المجرد]

وأما أهل الاعتقاد

المجرد عن تحصيل العلم

وتوثيقه بالأدلة وشده

بالبراهين قدما سمعوا

في الوجود إلى ثلاثة

أصناف أحدهم صنف

اعتقدوا مضمون

ما أقرأوه وحشوا به

قلوبهم من غير تردد

ولا تكذيب أسروا في

أفهامهم ولكنهم غير

عارفين بالاستدلال

على ما اعتقدوا وذلك

فقرط بدمهم وظن

طبايعهم واعتباس

طرق ذلك عليهم ويقع

عليهم اسم الوحدون

وتحققنا وجودنا لهم

كثيرا على عهد سيد

الرسائل صلى الله عليه

وسلم والسلف الصالحين

رضى الله عنهم ثم لم

يلفتنا أنه اعترض

أحد إسلامهم ولا

أوجب عليهم الخروج

منه والوقوف عنه ولا

كلفوا بمقصود فهمهم

وبدمهم عن فهم ذلك

بعلم الدلالة وقراءة

ترك البراهين وترتيب

الحجج بل تركوا على

مام عليه وهؤلاء

هذا إلا القطع بأن الأمور الإلهية تتعالى بحكم الجلال عن أن يوزن بميزان أهل الاعتزال . فان قيل ، بما قدر على رعاية الأصل للعباد ثم سلط عليهم أسباب العذاب كان ذلك قبيحا لا يليق بالحكمة . قلنا القبيح مالا يوافق الترض حتى إنه تديكون الشيء قبيحا عند شخص حسنا عند غيره إذا وافق غرض أحدهما دون الآخر حتى يستعجب قتل الشخص أو إياؤه ويستحسنة أعداؤه فان أريد بالقبيح مالا يوافق غرض الباري سبحانه فهو محال إذ لا غرض له فلا يتصور منه قبيح كما لا يتصور منه ظلم إذ لا يتصور منه التصرف في ملك الغير وإن أريد بالقبيح مالا يوافق غرض الغير فلم قلتم إن ذلك عليه محال وهل هذا إلا مجرد تنه يشهد بخلافه ما قدر ضناه من خصاصة أهل النار ثم الحكيم معناه العالم بمخائيل الأشياء القادر على إحكام فعلها على وفق إرادته وهذا من أن يوجب رعاية الأصل ، وأما الحكيم من أراعى الأصل نظرا لنفسه ليستغديه في الدنيا ثناء وفي الآخرة ثوابا أو يدفع به عن نفسه آفة وكل ذلك محال على الله سبحانه وتعالى . الأصل الثامن : أن معرفة الله سبحانه وطاعته واجبة بإيجاب الله تعالى وشرعه لا بالقتل خلافا للمعتزلة لأن القتل وإن أوجب الطاعة فلا يخلو إما أن يوجب له ثيرا فائدة وهو محال فان العقل لا يوجب البعث وإما أن يوجبها فائدة وغرض وذلك لا يخلو إما أن يرجع إلى المعبود وذلك محال في حقه تعالى فإنه يتقدس عن الأغراض والقوائد بل الكفر والإيمان والطاعة والصيانة في حقه تعالى سياتر وإما أن يرجع ذلك إلى غرض البعد وهو أيضا محال لأنه لا غرض له في الحال بل يتعب به وينصرف عن الشهوات ليسببه وليس في المال إلا التواب والمقاب ومن أين سلم أن الله تعالى شيب على اللصبة والطاعة ولا ياقب عليها مع أن الطاعة وللصبة في حقه بتساويان إذ ليس له إلى أحدهما ميل ولا به لأحدهما اختصاص وأما عرف تبيين ذلك بالسرعة ولقد نزل من أخذ هذا من القاسية بين الخالق والمخلوق حيث يفرق بين الشكر والكفران لما له من الارتياح والاهتزاز والتلذذ بأحدهما دون الآخر . فان قيل قلنا فإما يجب النظر والفرقة إلا بالشرع والشرع لا يستقر ما ينظر للكلف فيه فاذا قال للكلف لئني إن العقل ليس يوجب على النظر والشرع لا يثبت عندى إلا بالنظر ولست أقدم على النظر أذي ذلك إلى إضمار الرسول صلى الله عليه وسلم . قلنا هذا يضاهي قول القائل الواقف في موضع من المواضع إن وراءك سبيحا متاريا فان لم تبرح عن المكان فذلك وإن التفت وراءك ونظرت عرفت صدق فيقول الواقف لا يثبت صدقك ما لم ألتفت ورائي ولا ألتفت ورائي ولا أنظر ما لم يثبت صدقك فيدل هذا على حماقة هذا القائل وتهديفه للهلاك ولا ضرر فيه على المهادي للرشد فكذلك التي صلى الله عليه وسلم يقول « إن وراءكم الموت وكونه السباع الضاربة والتهران المحرقة إن لم تأخذوا منها حذركم وتعرفوا إلى صدق الاعتدال إلى مجزئ وإلهلكم فمن التفت عرف واحترز ونجا ومن لم يلفظ وأمر هلك وتردى ولا ضرر على إن هلك الناس كلهم أجمعون وإعاطى « البالغ اللين » القابض يعرف وجود السباع الضاربة بعد الموت والعقل يفيد فهم كلامه والإحاطة بإمكان ما يقوله في المستقبل والطبع يستحث على الحذر من الضرر ومعنى كون الشيء واجبا أن في تركه ضررا ومعنى كون الشرع موجبا أنه معرف للضرر للتوق فان العقل لا يهدي إلى التهدي للضرر بعد الموت عند اتباع الشهوات فهذا معنى الشرع والعقل وتأثيرها في تقدير الواجب ولولا خوف العقاب على ترك ما أمر به لم يكن الوجوب ثابتا إذ لا معنى للواجب إلا ما يرتبط تركه ضرر في الآخرة . الأصل التاسع : أنه ليس يستحيل بثرة الأنبياء عليهم السلام خلافا للبراهمة حيث قالوا لا فائدة في بعثهم إذ في العقل مندوحة عنهم لأن العقل لا يهدي إلى الأصول للتجربة في الآخرة كما لا يهدي إلى الأدوية للقيسة للصحة فحاجة الخلق إلى الأنبياء كحاجتهم إلى الأطباء ولكن يعرف صدق الطبيب بالتجربة ويعرف صدق النبي بالمعجزة .

عندي معذورون
يعدم مقبولون بما
توافقوا عليه من إقرارهم
وعقدتهم والله سبحانه
قد عذرهم مع غيرهم
فوله سبحانه لا يكلف
الله نفسا إلا وسعها ولا
يخرجون عن مقتضى
هذه الآيات بحال
وسنبدى لك طريقا
من الاعتبار تصرفه
بصحة إسلامهم وسلامة
توحيدهم إن شاء الله
عز وجل . والسنف
الثاني اعتقدوا الحق
مع ما ظهر منهم من
الطلق واعتقدت مع
ذلك أنواعم من الخافيل
قام في غيبها أنها أدلة
وطأها براهين وليس
كذلك وقد وقع في
هذا كثير ممن يشار
إليه فضلا عن دونهم
فان وقع إلى هذا
الصف من يزعم
عليهم تلك الخافيل
بالقدح ويطلبها
عليهم بالمراضة أو
الاعتراض لم يلتفتوا
إليه ولا أضفوا ما يأتي
به ويرفعوا إلى أن
يحاولوه لما جعلهم
عليه من سوء الفهم
أو رداة الاعتقاد

وعندهم أن جميع تلك الخليل في باب الاستدلال أرسخ من شوامع الجبال فثبهم من يعتقد دليله مذهب شيخه الرفيع القدر الطالع على العلوم ومنهم من يكون دليله خبرا لهم منهم يكون دليله بعض محتلات آية أو حديث صحيح ولعمري أهم ينبغي إذا صادفوا السنة باعتقادهم ولم يتقوا في شيء من الضلال أن يتركوا كل ما هم عليه ولا يتركوا بأمر آخر بل يصدقوا بذلك ويسلم لهم لئلا يكون إذا تتبع الحال معهم ربما لقنوا شبهة أو ترسخ في قوسهم بدعة يسر إغلاصها أو ضلوا في تكفير مسلم وتضلله بل هناك أسباب كثيرة - وإعلم أن اعتقاد الخلق وعلمها من أغذية النفوس فمن رغب في أكلها لم يفتح بطنها وإذا حصل له ذلك قوى به ومن فتح بطنها ولم تفتح همتها إلى ما هو أعلى

الأصل العاشر : أن الله سبحانه قد أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم خاتما للنبيين وناسخا لما قبله من شرائع اليهود والنصارى والمساكين وأيده بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة كانشقاق القمر ^(١) وتسييح الحصى ^(٢) وإنطاق المعجاء ^(٣) وما مضى من بين أساميهم من اللاء ومن آياته الظاهرة التي تحدى بها مع كافة العرب القرآن العظيم فاتهم مع تبرمهم بالقصاحة والبلاغة تهدفوا لسيده وتبهقونه وإخراجه كما أخبر الله عز وجل عنهم ولم يقدروا على معارضة مثل القرآن إذ لم يكن في قدرة البشر الجمع بين جزالة القرآن ونظمه هذا مع ما فيه من أخبار الأولين مع كونه أميا غير محارص للكتب والإناء عن النيب في أمور تحقق صدقه فيها في الاستقبال كقوله تعالى - لدخلن للسجد الحرام إن شاء الله آمين علفين رؤوسكم ومقصرون - وكقوله تعالى - ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في سبع سنين - ووجه دلالة المعجزة على صدق الرسل أن كل ما حجز عنه البشر لم يكن إلا فضلا لله تعالى فلهما كان مقرونا بتحدى النبي ﷺ ينزل منزلة قوله صدقت وذلك مثل القائم بين يدي الملك الدعوى على رعيته أنمرسول الملك إليهم فانه مهما قال الملك إن كنت صادقا فقم على سرك ثلاثا واقصد على خلاف عادتك فضل الملك ذلك حصل للحاضرين علم ضروري بأن ذلك نازل منزلة قوله صدقت الركن الرابع في السمعات وتصدق عليه صلى الله عليه وسلم فيها أخبر عنه ومداره على عشرة أصول الأصل الأول : الحشر والنشر ^(٤) وقدورد بهما الشرع وهو حق والتصدق بهما واجب لأنه في العقل يمكن ومعناه إعادة بعد الأفاء وذلك مقدور لله تعالى كابتداء الانشاء قال الله تعالى - قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة - فاستعمل بالابتداء على الإعادة وقال عز وجل - ما خلقكم ولا يبشركم إلا كنفس واحدة - والإعادة ابتداء ثان فهو ممكن كالابتداء الأول. الأصل الثاني سؤال منكر ونكير ^(٥) وقد وردت به الأخبار فيجب التصديق به لأنه ممكن إذ ليس يستدعي الإعادة الحياة إلى جزء من الأجزاء الذي يفهم الخطاب وذلك ممكن في نفسه ولا يضر ذلك ما يشاهد من سكوت أجزاء الميت وعدم ماعنا لسؤال الله فان التأم ساكن بظاهره ويدرك بباطنه من الآدم والذات ما يحس بتأثيره عند انتبه وقد كان رسول الله ﷺ يسمع كلام جبريل عليه السلام ويشاهده ومن حوله لا يسمعون ولا يرونه ^(٦) ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء فاذ لم يخلق لهم السمع والرؤية لم يدركوه .

(١) حديث انشقاق القمر متفق عليه من حديث أنس وابن مسعود وابن عباس (٢) حديث تسييح الحصى البيهقي في دلائل النبوة من حديث أبي ذر . وقال صالح بن أبي الأخضر ليس بالحافظ والمخطوط رواية رجل من بني سلم بن يسلم عن أبي ذر (٣) حديث إنطاق المعجاء أحمد والبيهقي بإسناد صحيح من حديث يمل بن مرة في البعر الذي شكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أهله وقد ورد في كلام الضب والذئب والحرة أحاديث رواها البيهقي في الدلائل (٤) حديث الحشر والنشر الشيخان من حديث ابن عباس إنكم لحشرون إلى الله الحديث ومن حديث سهل بن بشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء الحديث ومن حديث عائشة عشرين يوم القيامة حفاة ومن حديث أبي هريرة يحشر الناس على ثلاث طرائق الحديث ولابن ماجه من حديث ميمونة مولاة النبي صلى الله عليه وسلم أفتنا في بيت للقدس وأرض الحشر والنشر الحديث وإسناده جيد (٥) حديث سؤال منكر ونكير تقدم (٦) حديث كان يسمع كلام جبريل ويشاهده ومن حوله لا يسمعون ولا يرونه البخاري ومسلم من حديث عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام فقلت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ترى مالا أرى قلت وهذا هو الأغلب ولا أقدر رأي جبريل جماعة من الصحابة منهم عمر وابنه عبد الله وكعب بن مالك وغيرهم .

الأصل الثالث : عذاب القبر وقدره والشرع به قال الله تعالى - النار يرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب - واشترع رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف السالغ الاستعاذة من عذاب القبر (١) وهو ممكن فيجب التصديق به ولا ينفع من التصديق به تفرق أجزاء البيت في بطون السباع وحواصل الطيور فإنّ للدرك لألم العذاب من الحيوان أجزاء عضوصة بقدر الله تعالى على إعادة الإدراك إليها . الأصل الرابع : لليزان وهو حق قال الله تعالى - ونضع الموازين القسط ليوم القيامة - وقال تعالى - فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه - الآية ووجهه أن الله تعالى يحدث في محائف الأعمال وزنا بحسب درجات الأعمال عند الله تعالى تخيير مقادير أعمال العباد معلومة للمبادي حتى يظهر لهم المدخل في العقاب أو الفضل في الغفور وتغيب الثواب . الأصل الخامس : الصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم أرق من الشعرة وأحد من السيف قال الله تعالى - فاهدوهم إلى صراط الجحيم وقومهم إنهم مسئولون - وهذا ممكن فيجب التصديق به فإن القادر على أن يطير الطير في الهواء قادر على أن يسير الإنسان على الصراط . الأصل السادس : أن الجنة والنار مخلوقتان قال الله تعالى وسارعا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين - قوله تعالى أعدت دليل على أنها مخلوقة فيجب إجراءه على الظاهر إذ لا استعالة فيه ولا يقال لا فائدة في خلقها قبل يوم الجزاء لأن الله تعالى - لا يستل عما يفعلهم يستلون - . الأصل السابع : أن الامام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم ولم يكن نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على إمام أصلا إذ لو كان لكان أولى بالظهور من نصبه أحد الولاة والأسماء على الجنود في البلاد ولم يخف ذلك فكيف خفي هذا وإن ظهر فكيف اندرس حتى لم يتبق لنا فلم يكن أبو بكر إماما إلا بالاختيار والبيعة وأما تحدير النص على غيره فهو نسبة للصعابة كلهم إلى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرق الإجماع وذلك مما يستجري على اختراعه إلا الواضخ واعتقاد أهل السنة تركية جميع الصحابة والتناء عليهم كما أثبت الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وما جرى بين معاوية وعلي رضي الله عنهما كان مبني على الاجتهاد لا مناعة من معاوية في الإمامة إذ ظنّ علي رضي الله عنه أن تسليم خلة عثمان مع كثرة عشارهم واختلاطهم بالمسكر يؤدي إلى اضطراب أمر الإمامة في بدايتها فرأى التأخير أصوب وظن معاوية أن تأخير أمرهم مع عظم جنايتهم يوجب الاغراء بالأثم ويرضى السماء السفك ، وقد قال أفاضل العلماء كل مجتهد مصيب وقالوا فلون للصيب واحد ولم يغب إلى خطئة على ذو محصيل أصلا . الأصل الثامن : أن فضل الصحابة رضي الله عنهم على حسب ترتيبهم في الخلافة إذ حقيقة الفضل ما هو فضل عند الله عز وجل وذلك لا يطلع عليه إلا الرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ورد في الثناء على جميعهم آيات وأخبار كثيرة (٢) وإنما يدرك دقائق الفضل والترتيب في المشاهدين للوحي والتزيل بقرآن الأحوال ودقائق التفصيل فلولا فهمهم ذلك لما رتبوا الأمر كذلك إذ كانوا لا تأخذهم في الله لومة لائم ولا يصرفهم عن الحق صارف ، الأصل التاسع : أن شرائط الإمامة بعد الاسلام والتكليف خمسة الكورة والورع والعلم والكفاية ونسبة قريش لقوله صلى الله عليه وسلم « الأئمة من قريش » (٣) وإذ اجتمع عدد من الموصوفين بهذه الصفات فالامام من التقى له البيعة من أكثر الخلق والخالف للأكثر باغ يجب رده إلى

من ذلك ضعف ولكنه يمشي عيش الطفيل وإنما يهلك من لا يابنة له ولا يبعدها أو يجدها ولكنها تكون مشابهة ممن جاء بضرة بدعة وسموم كفر فلا تنهل عما يشار لك إليه وإنما لرغوب تنبيهك والله المستعان ولما بين الحصف الثاني والأول من التفاوت من حيث إن أولئك مقلدون فيما يتقدونه دليلا غير أنهم أوثق رباطا من الأولين لأن أولئك إن وقع إليهم من حركاتهم ربما حشوا وأهل رباط عقدم وهؤلاء في الأغلب لا سبيل إلى اخلال عقودهم إذ لا يرون أنفسهم أنهم مقلدون وإنما يظنون أنهم يستدلون عارفون فلهذا كانوا أحسن حالا . والصف الثالث آخروا واعتقدوا كأهل الدين من قبلهم وقد تموا النظر أيضا ولكنهم لعدم سألهم سبيله مع القدرة عليهم ومعهم من الذكاء والنقطة واليقظ ما لو نظرأولوا

(١) حديث استعاذ من عذاب القبر أخرجه من حديث أبي هريرة وعائشة وقد تقدم .

(٢) حديث الثناء على الصحابة تقدم .

(٣) حديث الأئمة من قريش للنسائي من حديث أنس والحاكم من حديث ابن عمر .

للتحقوا ولو طابوا
لأدر كواهيل للعارف
ووصاؤا كونهم آثروا
الراحم وما إلى الدعة
واستبعدوا طريق العلم
واستغنوا الأعمال
للوصله إليه وقنوا
بالقعود في حضيض
الجهل كونه لاء فهم
إشكال عند كثير من
الناس في البديهة
ويردّد في حالهم النظر
وهل يسمون عصاة أو
غير ذلك يحتاج إلى
تبييض آخر ليس هذا
مقامه والانتفا إلى
هذا السنف أوجب
خلاف للتكلمين في
العوام على الإطلاق
من غير تفرق يلا
بليد ويتنطق وفعل
فهم من لم ير أنهم
مؤمنون ولكن لم
يحفظ عنهم أنهم أطلقوا
اسم الكفر عليهم
ولملك تقول إن
مذهبهم للشور أن
الحل لا يخلو عن
الصفات إلى شذها
فمن لم يحكم له بالإيمان
حكم عليه بالكفر كما
أن من لم يحكم له
بالحركة حكم عليه
بالسكون وكذلك

الاشهاد إلى الحق . الأصل الناصر : أنه لو تضر وجود الورع والعلم فيمن يتبدى للإمامة وكان في صفة
إثارة فتنة لا تطاق حكنا بانفاد إمامته لأننا بين أن محرك فتنة الاستبدال فما يلي للسكون فيه من
الضرر يزيد على ما يفتونهم من ضمان هذه الشروط التي أثبتت لزمية الصلحة فلا يهدم أصل الصلحة
شغفا بزيادها كالأدي بني قصرا ويهدم مصرا وبين أن تحمّ نحو البلاد عن الامام وبفساد الأفضية
وذلك حال ونحن نقض بنقضنا أهل النبي في بلادهم لميس حاجتهم فكيف لا نقض بصحة الإمامة
عند الحاجة والضرورة فهذه الأركان الأربع للحماية للأصول الأربعة هي قواعد القائلين واعتقدها
كان موافقا لأهل السنة ومباينا لرهط البديعة فالحق تعالى يدنا بتوفيقه ويهدينا إلى الحق وتحقيقه
بمنه وسعة جوده وفضله ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وكل عبد مصطفى .

[الفصل الرابع من قواعد العقائد في الإيمان والاسلام وما بينهما من الاتصال والافتصال وما ينطرق
إليه من الزيادة والقصان ووجه استثناء السلف فيه وفيه ثلاث مسائل [مسألة] اختلقت في أن
الاسلام هو الإيمان أو غيره وإن كان غيره فهل هو منفصل عنه يوجد دونه أو مرتبط به بلازمه قبل
إنهما شيء واحد وقيل إنهما شيان لا يتواصلان وقيل إنهما شيان ولكن يرتبط أحدهما بالآخر ،
وقد أورد أبو طالب للسك في هذا كلاما شديد الاضطراب كثير التطويل فلهذهم الآن على التصريح
بالحق من غير ترجيح على ثقل مالا تحصيل له فنقول في هذا ثلاثة مباحث : بحث عن موجب القلقين
في اللثة ، وبحث عن اللزاديهما في إطلاق الشرع ، وبحث عن حكمهما في الدنيا والآخرة ، والبحث
الأول لقوى والثاني تفسيرى والثالث فقهي شرعى . البحث الأول : في موجب اللغة والحق : فإن
الإيمان عبارة عن التصديق قال الله تعالى - وما أنت بمؤمن لنا - أى بصدق في والاسلام عبارة عن
التسليم والاستسلام بالأذعان والالقياد وترك التجرّد والاياء والعناد والتصديق محل خاص وهو القلب
واللسان ترجمان وأما التسليم فانه عام في القلب واللسان والجوارح فان كل تصديق بالقلب فهو تسليم
وترك الأباء والجحود وكذلك الاعتراف باللسان وكذلك الطاعة والالقياد بالجوارح فوجب اللغة أن
الاسلام أعم والإيمان أخص فكان الإيمان عبارة عن أتمرف أجزاء الاسلام فاذن كل تصديق
تسليم وليس كل تسليم تصديقا . البحث الثاني : عن إطلاق الشرع والحق فيه أن الشرع قد ورد
باستعمالها على سبيل الترادف والتوارد وورد على سبيل الاختلاف وورد على سبيل التداخل . أما
الترادف ففي قوله تعالى - فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين - لما وجدنا فيها غيريت من المسلمين -
ولم يكن بالاضاق إلا بيت واحد وقال تعالى - يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فليته توكأوا إن كنتم مسلمين -
وقال صلى الله عليه وسلم « بنى الإسلام على خمس (١) » ومثل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة
عن الإيمان فأجاب بهذه الخمس (٢) وأما الاختلاف فقله تعالى - قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا
ولكن قولوا أسلمنا - ومعناه استسلمنا في الظاهر فأراد بالإيمان ههنا التصديق بالقلب فقط وبالاسلام
الاستسلام ظاهرا باللسان والجوارح ، وفي حديث جبرائيل عليه السلام لما سأله عن الإيمان فقال
« أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالبعث بدلولت وبالجناب وبالقدر خيره .

(١) حديث بنى الاسلام على خمس أخرجه من حديث ابن عمر (٢) حديث مثل عن الإيمان
فأجاب بهذه الخمس ، البهق في الاعتقاد من حديث ابن عباس في قصة وفد عبد القيس تدرون
ما الإيمان شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن تعيموا الصلوات وتؤتوا الزكاة وتقوموا
رمضان وتحبوا البيت الحرام ، والحديث في الصحيحين لكن ليس فيه ذكر الحج وزاد أن تؤتوا
خمساً من الثمن .

وشبهه فقال: «الاسلام فأجاب بذلك (الحديث السابق)» «فبشر بالاسلام عن تسليم الظاهر بالتور والعهود وفي الحديث عن سعد أنه صلى الله عليه وسلم «أعطى رجلا عطاء ولم يحط الآخر فقال له سعد يا رسول الله تركت فلانا لأنه طمعه وهو مؤمن فقال صلى الله عليه وسلم أو مسلم فأعاده عليه فأعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم» (٢) «وأما التداخل فيروى أيضا أنه قيل «أي الأعمال أفضل فقال صلى الله عليه وسلم الاسلام فقال أي الاسلام أفضل فقال صلى الله عليه وسلم (الايان)» وهذا دليل على الاختلاف وعلى التداخل وهو أن في الاستعمالات في اللغة لأن الايمان عمل من الأعمال وهو أفضلها والاسلام هو تسليم إيمان القلب وإيمان اللسان وإيمان الجوارح وأفضلها التي بالقلب وهو التصديق الذي يسمى إيمانا والاستعمال لها على سبيل الاختلاف وعلى سبيل التداخل وعلى سبيل الترادف كله غير خارج عن طريق التجوز في اللغة أما الاختلاف فهو أن يجعل الايمان عبارة عن التصديق بالقلب فقط وهو موافق للغة والاسلام عبارة عن التسليم ظاهرا وهو أيضا موافق للغة فإن التسليم بعض عمال التسليم ينطق عليه اسم التسليم فليس من شرط حصول الاسم عموم للعق لعل يمكن أن يوجد للعق فيه ما من ليس غيره بعض بدنه يسمى لاسما وإن لم يستغرق جميع بدنه فاطلاق اسم الاسلام على التسليم الظاهر عند عدم تسليم الباطن مطابق للسان وعلى هذا الوجه جرى قوله تعالى «قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا» وقوله صلى الله عليه وسلم «أو مسلم» لأنه فضل أحدهما على الآخر ويريد بالاختلاف تفاضل للمعنيين وأما التداخل فهو أن أيضا لغة في خصوص الايمان وهو أن يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والقول والعمل جميعا والايان عبارة عن بعض ما يدخل في الاسلام وهو التصديق بالقلب وهو الذي عنينا به بالتداخل وهو موافق للغة في خصوص الايمان وعموم الاسلام للكل وعلى هذا خرج قوله الايمان في جواب قول السائل أي الاسلام أفضل لأنه جعل الايمان خصوصا من الاسلام فأدخله فيه وأما استعماله فيه على سبيل الترادف بأن يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والظاهر جميعا فإن كل ذلك تسليم وكذا الايمان ويكون التصرف في الايمان على الخصوص بتعميمه وإدخال الظاهر في معناه وهو جائز لأن تسليم الظاهر بالقول والعمل ثمرة تصديق الباطن وتبنيته وقد يطلق اسم الشجر ويراد به الشجر مع ثمره على سبيل التسميح فيصير بهذا التقدير من التعميم مرادفا لاسم الاسلام ومطابقا له فلا يزيد عليه ولا ينقص وعليه خرج قوله «فأوجدنا فيها غير بيت من المسلمين - البحث الثالث : عن الحكم الشرعي، والاسلام والايمان حكمان أخروى ودنيوى . أما الأخروى فهو الإخراج من النار ومنع التخليد إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان » (٤)

الحياة والوث والصلم والجليل وسائر ما لمن الصفات. قلنا فلان صح ذلك في الصفات التي هي أعراض فقد لا يصح في الأوصاف التي هي أحكام الايمان والكفر والهداية والضللال والبدعة والسنة وما كانت ليست من قبيل الأعراض وإنما ذكرنا هذا في معرض الشك في شعوب ما نورد على ذلك ومنهم من أوجب لهم الايمان ولكن أوجب لهم المعرفة وقدرها لهم وعصمهم عن الباطنة ووجوب العبادة في الشرع جار على هذا النحو وهؤلاء ما عاقلوا للذكورين قبلهم لأن أولئك سلبوا الايمان ممن لم يصدر اعتقاده عن دليل وهؤلاء

(١) حديث جبريل لمأسأله عن الايمان فقال أن تؤمن بالله وملائكته الحديث أخرجه من حديث أبي هريرة ومسلم من حديث عمر دون ذكر الحساب فرواه البيهقي في البعث وقد تقدم (٢) حديث سعد أعطى رجلا عطاء ولم يحط الآخر فقال له سعد يا رسول الله تركت فلانا لم تحط وهو مؤمن فقال أو مسلم الحديث أخرجه بنحوه (٣) حديث سئل أي الأعمال أفضل فقال الاسلام فقال أي الاسلام أفضل فقال الايمان أحمد والطبراني من حديث عمرو بن عبسة بالشرط الأخير قال جبريل رسول الله أي الاسلام أفضل قال الايمان وإسناده صحيح (٤) حديث يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان أخرجه من حديث أبي سعيد الخدري في الشفاعة وفيه انهجوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه الحديث ، ولها من حديث أنس فيقال انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردة من إيمان لفظ البخاري منها ، وله تعليق من حديث

أوجبوا الايمان لمن أضافوا إليه المعرفة الشروطة في صحة الايمان وإيمان فروا عن الشناعة الظاهرة فشدوا عن الجمود بهذا الاحتمال وزادوا على أنفسهم أنهم ألوا بقول من جعل المعارف

كلها ضرورية ولم يشعروا بذلك حين قالوا إذنا عجزت العامة عن سرد الدليل وتعلم العبارة عنه وأنه لا يجب عليهم إذناهم وإعراض عنهم ما قرب من الألفاظ واعتادوا من المخاطبات دلائل الحدوث ووجوه الافتقار إلى المحدث بدلائل اعتدوا وعدوا من هذه المنافع كثيرا ووجدوا أنفسهم عارفين بذلك ، واعلم أن من يقول إن المعارف كلها ضرورية هكذا يقول إنما اختر الناس إلى التسمية وانتم نواحي العبارة على مواضع العلوم وإلا فهم إذناهم واعلموا وتلف بهم في شربها بالزوال إلى ما أقوه من البارات وجدوا أنفسهم غير منكرة لما نبهوا عليه وسارعوا إلى القية ومثال هذا كمن نسي شيئا كان معه أو إنسانا نفسه أو رآه فسيه وغفل عنه لأجل غيبت ثم رآه بعد

وقد اختلفوا في أن هذا الحكم على ماذا يترتب وعبروا عنه بأن الإيمان ماذا هو فن قال إنه مجرد العقيد ومن قال يقول إنه عقد القلب وشهادة باللسان ومن قال يزيدنا وهو العمل بالأركان ونحن نكشف النطاء عنه ونقول من جمع بين هذه الثلاثة فلا خلاف في أن مستقره الجنة وهذه درجة ، والدرجة الثانية أن يوجد ثبات وبعض الثالث وهو القول والعقد وبعض الأعمال ولكن ارتكب صاحبه كبيرة أو بعض الكبائر فنهى هذا قالت المعتزلة خرج بهذا عن الإيمان ولم يدخل في الكفر بل اسمه فسق وسوق على منزلة بين المنزلتين وهو عند في النار وهذا بل كما سنذكره . الدرجة الثالثة أن يوجد التصديق بالقلب والشهادة باللسان دون الأعمال بالجوارح وقد اختلفوا في حكمه فقال أبو طالب للشيء العمل بالجوارح من الإيمان ولا يتم دونه وادعى الإجماع فيه واستدل بأدلة تشر بتقيض غرضه كقوله تعالى - الذين آمنوا وعملوا الصالحات - إلهذا يدل على أن العمل وراء الإيمان لا من نفس الإيمان وإلا فيكون العمل في حكم اللامد والسبب أنه ادعى الإجماع في هذا وهو مع ذلك ينقل قوله صلى الله عليه وسلم « لا يكفر أحد إلا بعد جوده لما أقر به (١) » ويكر على المعتزلة قولهم بالتخليد في النار بسبب الكبائر والقائل بهذا قائل بنفس مذهب المعتزلة إذ قال له من صدق قبله وشهد بلسانه ومات في الحال فهل هو الجنة فلا بد أن يقول نعم وفيه حكم بوجود الإيمان دون العمل فتزيد وتقول لو بقي حيا حتى دخل عليه وتم صلاة واحدة فتركها ثم مات أوزن ثمات قول غلظ في النار فان قال نعم فهو مراد المعتزلة وإن قال لا فهو تصريح بأن العمل ليس ركنًا من نفس الإيمان ولا شرطًا في وجوده ولا في استحقاق الجنة وإن قال لا فهو تصريح بأن العمل ليس ركنًا من نفس الإيمان ولا شرطًا في وجوده ولا في استحقاق الجنة به وإن قال أردت به أن يعيش مدة طويلة ولا يصل ولا يقدم على شيء من الأعمال الشرعية فتقول فما ضبط تلك الدلة وما عدد تلك الطاعات التي تركها يظل الإيمان وما عدد الكبائر التي ارتكبها يظل الإيمان وهذا لا يمكن التحكم بتقديره ولم يصح إليه صائر أصلا . الدرجة الرابعة أن يوجد التصديق بالقلب قبل أن ينطق باللسان أو يشتغل بالأعمال ومات فهل قولومات مؤمنا بينه وبين الله تعالى وهذا عما اختلف فيه ومن شرط القول تمام الإيمان يقول هذا مات قبل الإيمان وهو فاسد إذ قال صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان » وهذا قلبه طافح بالإيمان فكيف يغلد في النار ولم يشترط في حديث جبريل عليه السلام الإيمان إلا التصديق بالله تعالى وملائكته وكتبه واليوم الآخر كسبق . الدرجة الخامسة أن يصدق بالقلب ويساعده من المرممة النطق بكلمات الشهادة وعلم وجوبها ولكنه لم ينطق بها فيحمل أن يحمل امتناعه عن النطق كامتناعه عن الصلاة وقول هو مؤمن غير غلظ في النار والإيمان هو التصديق المحض واللسان ترجمان الإيمان فلا بد أن يكون الإيمان موجودا بتمامه قبل اللسان حتى ترجمه اللسان وهذا هو أظهر إذ لا يستند إلا اتباع موجب الألفاظ ووضع اللسان أن الإيمان هو عبارة عن التصديق بالقلب . وقد قال صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة » ولا ينضم الإيمان من القلب بالسكوت عن النطق الواجب كالانعدام بالسكوت عن الفعل الواجب وقال قانون القول ركن إذ ليس تكلم الشهادة إخبارا عن القلب بل هو إنشاء متقدّم وإبداء شهادة والزام والأول أظهر وقد غلا في هذا طائفة المرجئة فقالوا هذا لا يدخل النار أصلا وقالوا إن المؤمن وإن عصي فلا يدخل النار وسنطلب ذلك عليهم . الدرجة السادسة أن يقول بلسانه لإله إلا الله أنس يخرج من النار من قال لإله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من إيمان وهو عنده متصل بلطف خير مكان إيمان (١) حديث لا تكفروا أحدا إلا بمجوده بما أقر به الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد أن يخرج أحد من الإيمان إلا بمجوده ما دخل فيه وإسناده ضعيف .

عند رسول الله ولكن لم يصدق بآيه فلا تشك في أن هذا في حكم الآخرة من الكفار وأنه محذوف النار ولا تشك في أنه في حكم الدنيا الذي يتلق بالآفة والولاء من المسلمين لأن قلبه لا يطاع عليه وعلينا أن نظن به أنه ما قاله لسانه إلا وهو منطوق عليه في قلبه وإنما تشك في أمثاله وهو الحكم الذي يرى فيه بينه وبين الله تعالى وذلك بأن يموت له في أمثال قريب مسلم ثم يصدق ببذلك بآيه ثم يستحق ويقرل كست غير مصدق بالقلب حالة الموت والبراث الآن في يدى فهل يجلل بينى وبين الله تعالى أو نكح مسلمة ثم يصدق بقلبه هل يتزومه إعادة النكاح هذا محل نظر فيتمهل أن يقال أحكام الدنيا منطوقة بالقول والظاهر ظاهرا وباطنا ويحتسب أن يقال تناط بالظاهر في حق غيره لأن باطنه غير ظاهر لغيره وباطنه ظاهر له في نفسه بينه وبين الله تعالى والأظهر والمعلم عند الله تعالى أنه لا يجلل ذلك للبراث ويلزمه إعادة النكاح ولذلك كان حذيفة رضى الله عنه لا يحضر جنازة من يموت من المنافقين وعمر رضى الله عنه كان يراعى ذلك منه فلا يحضر إذا لم يحضر حذيفة رضى الله عنه والصلاة فعل ظاهر في الدنيا وإن كان من المبادات والتوفى عن الحرام أيضا من جملة ما يجب لله كإسلامه لقوله صلى الله عليه وسلم « طلب الحلال فرصة بعد القرصة » وليس هذا من أفضالنا وإن الإثرب حكم الإسلام وهو الاستسلام بل الاستسلام التام هو ما يشمل الظاهر والباطن وهذه مباحث قديمة غنية تبنى على ظواهر الألفاظ والعمومات والأقضية فلا ينبغي أن يظن القاصر في العلوم أن المطلوب فيه القطع من حيث جرت العادة بإبراده في فن الكلام الذي يطلب فيه القطع فما أفلح من نظر إلى المبادات والرسوم في العلوم . فان قلت فإشبهه المعتزلة وللرجية ومحاجة بطلان قولهم . فأقول شبههم عمومات القرآن أما للرجية فقلوا لا يدخل المؤمن النار وإن أنى بكل لما صلى قوله عز وجل . فمن يؤمن بربه فلا يخاف ضياله رقا . وقوله عز وجل . والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون . الآية وقوله تعالى . كلما أتى فافوج سالم خربت . إلى قوله : فكذبنا وقلنا منازل أقمم شيء . وقوله كلما أتى فافوج عام فينبى أن يكون كل من أتى في النار مكذبا وقوله تعالى . لا صلاها إلا الأعمى الذي كذب وتولى . وهذا حصر وإثبات وتوفى وقوله تعالى . من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون . فالإيمان رأس الحسنات وقوله تعالى . والله يحب المحسنين . وقال تعالى . إنا لانضع أجر من أحسن عملا . ولا حجة لهم في ذلك فانه حيث ذكر الإيمان في هذه الآيات أريد به الإيمان مع العمل إذ بينا أن الإيمان قد يطلق ويراد به الإسلام وهو للواقفة بالقلب والقول والعمل ودليل هذا التأويل أخبار كثيرة في معاقبة العصاة ومقادير العقاب وقوله صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان » فكيف يخرج إذا لم يدخل ومن القرآن قوله تعالى . إن الله لا يفرق بينك وبينه وبينه ما دون ذلك لمن يشاء . والاستثناء بالشيئة يدل على الانقسام وقوله تعالى . ومن يصح الله ورسوله فانه نار جهنم خالده فيها . وتخصيصه بالكفر يحكم وقوله تعالى . ألبان الظالمين في عذاب مقيم . وقال تعالى . ومن جاء بالباطية فكذب وجوههم في النار . فهذه العمومات في معارضة عموماتهم ولا بد من تليط التخصيص والتأويل على الجانبين لأن الأخبار مصرحة بأن العصاة يمدحون^(١) بل قوله تعالى . وإن منكم إلا واربعا . كالصريح في أن ذلك لا بد منه للكل إذ لا يؤمن مؤمن عن ذنب يرتكبه وقوله تعالى . لا صلاها إلا الأعمى الذي كذب وتولى . أريد به جماعة عضوصين أو أرباب الأعمى شخصا معينا أيضا وقوله تعالى . كلما أتى فافوج سالم خربت . أي فوج من الكفار وتخصيص العمومات

(١) حديث تذيب العصاة البخارى من حديث أنس لم يبين أقواما منع من النار بذنوب أصابوها الحديث وآتى ذكر الموت عدة أحاديث .

ذلك فذكر فانه يقال بدا لأنه كان عارفا بما شاب عنه لكنه ناس له أو غافل عنه ولولا عرفانه به ما وجد عدم الانكار وسرعة الآفة عنه ومطابقة من التكلمين أيضا أوجب لهم الإيمان مع عدم المعرفة للشرط عند أولئك وأى الآراء أحمق بالحق وأولى بالصواب ليس من غرضنا في هذا للوضوح وإنما غرضنا تبديد ما أشاعه في الأحياء أهل القول والأغلال فلا يفتتح مثل هذا الباب وقد أبدينا من وجه ذلك في مراتق الخلف ما بين فيها إبدان الله عز وجل .

[فضل في بيان أصناف أهل الاعتقاد]

تخصيص آخر من جهة أخرى هو من جهة ما جرى فالتعلل أن ما منهم صنف إلا أنه على التقريب ثلاثة أحوال لا يستبد أحدهم من أحدها بحكم الاعتقاد الضروري فأقصى الحالات لم أن يتخذ أحدهم جميع أركان

الإيمان على ما يكمل عليه في القالب لكنه على طريق التفات كا سبق . الحالة الثانية أن لا يتقدموا إلا بضع الأركان مما يخالف إذا قرر ولم ينصف إليه في اعتقاده سواء هل يكون مؤمنا أو مسلما أن يتقدموا الواحد فقط أو يتقدم موجود حتى لا غير وأمثال هذه التقديرات وخرجوا عن اعتقاد باقي الصفات خلوا كاملا لا يخطر بباله ولا يتقدم فيها حق ولا باطلا ولا صوابا ولا خطأ ولكن التقدير الذي يعتقد من الأركان الثلاثة موافق للحق غيب منسوب لغيره . الحالة الثالثة أن يتقدم الوجود كما قلنا والوحدانية والحياة ويكونون فيما يتقدم في باقي الصفات على ما لا يوافق الحق ماهو عليه مما هو بدعة وضلالة وليس بكنز صريح فائق يدل عليه العلم ويستتبط من طواهر الشرع أن أبواب الحالة الأولى

قريب ومن هذه الآية وقع للأشعري وطائفة من التسكلمين إنكار صيغ العموم وأن هذه الألفاظ يتوقف فيها إلى ظهور قرينة تدل على معناها . وأما القرينة فثبتهم قوله تعالى - ولئن لفار لن تاب وآذن وعمل صالحا ثم اهتدى - وقوله تعالى - والصر إن الإنسان لني خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات - وقوله تعالى - وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا - ثم قاله - ثم نجي الذين اتقوا - وقوله تعالى - ومن يصرف الله وسرولفان له نارجهم - وكل آية ذكر الله عز وجل العمل الصالح فيها مقرونا بالإيمان وقوله تعالى - ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالد فيها - وهذه العمومات أيضا مخصوصة بدليل وقوله تعالى - ويصرف مادون ذلك لمن يشاء - فينتهي أن تبقى له مشيئة في مغفرة ماسوى الشرك وكذلك قوله عليه السلام « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان » وقوله تعالى - إنا لانضع أجر من أحسن عملا - وقوله تعالى - إن الله لا يضع أجر المحسنين - فكيف يضع أجر أصل الإيمان وجميع الطاعات بمسبة واحدة وقوله تعالى - ومن يقتل مؤمنا متعمدا - أى إيمانه وقد ورد على مثل هذا السبب . فان قلت قد يقال الاختيار إلى أن الإيمان حاصل دون العمل وقد اشترى عن السلف قولهم الإيمان عقد قول وعمل فامتناء قلنا لا يعد أن يجد العمل من الإيمان لأنه يكمله ويتمم كما يقال الرأس واليدان من الإنسان ومعلوم أنه يخرج عن كونه إنسانا بعد الرأس ولا يخرج عنه بكونه مقطوع اليد وكذلك يقال التسيجات والتكبيرات من الصلوات إن كانت لا تبطل بفقدها فالصديق بالقلب من الإيمان كالرأس من وجود الإنسان إذ ينضم بدنه وبقية الطاعات كالأطراف بضعها أعلى من بعض وقد قال عليه السلام « لا إني الرأى حين رزى وهو مؤمن ^(١) » والصحابة رضي الله عنهم ما اعتقدوا مذهب القرينة في الخروج عن الإيمان بالزنا ولكن منتهى غير مؤمن حقا إيمانا تاما كاملا كما يقال المعجز المقطوع الأطراف هذا ليس بالناسن أى ليس له الكمال الذى هو وراء حقيقة الانسانية . (مسئلة) فان قلت فقد اشترى السلف على أن الإيمان يزيد وينقص بزيادة الطاعة وينقص بالمعصية فاذا كان التصديق هو الإيمان فلا يتصور فيه زيادة ولا نقصان . فأقول السلف هم الشهود المدلول وما لأحد من قولهم عدول فما ذكره حق وإنما الشأن في فهمه وفيه دليل على أن العمل ليس من أجزاء الإيمان وأركان وجوده بل هو مزيد عليه يزيد به والرائد موجود والنقص موجود والذى لا يزيد بذاته فلا يجوز أن يقال الإنسان يزيد برأسه بل يقال يزيد ببعثته ومنه ولا يجوز أن يقال الصلاة يزيد بالركوع والسجود بل يزيد بالأدب والسنن فهذا تصريح بأن الإيمان له وجود ثم بعد الوجود يختلف حاله بالزيادة والنقصان . فان قلت فلا إشكال قائم في أن التصديق كيف يزيد وينقص وهو خصلة واحدة فأقول إنا تركنا المداينة ولم نكثر بتشبيها تشبوه كفتنا النظام ارفع الإشكال فنقول: الإيمان اسم مشترك يطلق من ثلاثة أوجه : الأول أنه يطلق للتصديق بالقلب على سبيل الاعتقاد والتقليد من غير كشف وانسراح صدر وهو إيمان العوام بل إيمان الخلق كله إلا الخواص وهذا الاعتقاد عقدة على القلب تارة تشد وتقوى وتارة تضعف وتسترخى كالعقدة على الحيط مثلا ولا تستبعد هذا واعتبره اليهودى وصلابته في عقيدته التى لا يمكن تزوع عنها بتخويف وتحذير ولا بتخييل ووعظ ولا تحقيق وبرهان وكذلك النصرانى والبدعة وفيهم من يمكن تشكيكه بأدنى كلام ويمكن استنزاه عن اعتقاده بأدنى استئالة أو تخويف مع أنه غير خائف عقده كالأول ولو لكهما متفاوتان في شدة التصميم وهذا موجود فى الاعتقاد الحق أيضا والعمل يؤثر في تمام هذا التصميم وزيادته كما يؤثر في تمامه الأشجار ولذلك قال تعالى - فزادهم إيمانا - وقال تعالى - ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم - وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث لا إني الرأى حين رزى وهو مؤمن متفق عليه من حديث أبي هريرة .

فما يروى في بعض الأخبار «اليمان يزيد وينقص» (١) وذلك بتأثير الطاعات في القلب وهذا لا يدرك إلا من راقب أحوال نفسه في أوقات المراقبة على العبادة والتجرب دليلاً بحسور القلب مع أوقات الشعور وإدراك الفناوت في الكون إلى عقائده الإيمان في هذه الأحوال حتى يزيد عليه استغناء على من يريد حله بالتحسك، بل من يشتد في اليتيم معنى الرحمة إذا علم بحسب استغناء شمس رأسه وعلقت به أدراك من باطنه تأكد الرحمة وقت اغتها بسبب العمل و كذلك، مستند التواضع إذا عمل بحسبه عملاً مذبلاً أو ساجداً لغيره أحسن من قلبه بالتواضع عند إقلامه علم الشامة وهكذا جميع صفات القلب تصدر منها أعمال الجوارح ثم يرد أثر الأعمال عليها فيؤكدها ويزيدها وسأني هذا في ربع النجيات والمهلكات عند بيان وجه تعلق الباطن بالظاهر والأعمال بالقلوب والقلوب فان ذلك من جنس تعلق الملك بالملكوت وأعلى بالملك عالم الشهادة للملك بالحواس وبالملكوت عالم اليبس المدرك بنور البصرة والقلب من عالم الملكوت والأعضاء وأعمالها من عالم الملكوت وطبقت الارتباط وقته بين الطرفين انتهى إلى حد ظن بعض الناس اتحاداً بعدها بالآخر وظن آخرون أنه لا عالم إلا عالم الشهادة وهو هذه الأجسام المحسوسون أدرك الأمرين وأدرك تمددها ثم ارتباطها عبر عنه فقال:

رق الرجاء و رقت الحرج وثابها فتشاكل الأمر
فكأنما حجر ولا قبح وكأنما قبح ولا حجر

ولترجع إلى المقصود فان هذا العلم خارج عن علم العامة ولكن بين الملمين أيضاً اتصال وارتباط فذلك ترى علوم البكاشفة تتلاقى كل ساعة على علوم العامة إلى أن يكف عنها بالتكليف فهذا وجه زيادة الإيمان بالطاعة بموجب هذا الإطلاق ولهذا قال علي كرم الله وجهه : إن الإيمان ليدو لملة يشاء فإذا عمل العبد الصالحات تمت فزادت حتى يبيض القلب كله وإن التناق ليدو نكتة سوداء فإذا انتهت الحرمان تمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع عليه فذلك هو الحتم وتلا قوله تعالى - كلاً بل ران على قلوبهم - الآية . الإطلاق الثاني : أن يراد به التصديق والعمل جميعاً كما قال صلى الله عليه وسلم «الإيمان بضغ وسبعون باباً» (٢) وكما قال صلى الله عليه وسلم «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» وإذا دخل العمل لم يقتض لفظ الإيمان لم تحضر زاده وقصانه وهل يؤثر ذلك في زيادة الإيمان الذي هو مجرد التصديق هذا فيه نظر وقد أشرنا إلى أنه يؤثر فيه . الإطلاق الثالث : أن يراد به التصديق اليقيني على سبيل الكشف واتسراح الصدر وللشاهدة بنور البصرة وهذا أبعد الأقسام عن قبول الزيادة ولكن أقول الأمر اليقيني الذي لا شك فيه يختلف طمأنينة النفس إليه فليس طمأنينة النفس إلى أن الاثنين أكثر من الواحد كطمأنيتها إلى أن العالم مصنوع حادث وإن كان لا شك في واحد منها فان اليقينات تختلف في درجات الإيضاح ودرجات طمأنينة النفس إليها وقد تعرضنا لهذا في فصل اليقين من كتاب العلم في باب علامات علماء الأخره فلا حاجة إلى الإعادة وقد ظهر في جميع الاطلاقات أن مقالوه من زيادة الإيمان وقصانه حتى

(١) حديث الإيمان يزيد وينقص ابن عدى في الكامل وأبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث أبي هريرة وقال ابن عدى باطل فيه محمد بن أحمد بن حرب للحلي يعتمد الكذب وهو عند ابن ماجه موقوف على أبي هريرة وابن عباس وأبي العزراء (٢) حديث الإيمان بضغ وسبعون باباً وذكر بعد هذا فزاد فيه: أدناها إمطة الأذى عن الطريق البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة الإيمان بضغ وسبعون زاد مسلم في رواية وأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها قد كرهه ورواه بلفظ المصنف الترمذي وصحه .

واقه أعلم على سبيل
نجاة ومسلك خلاص
ووصف إيمان أو سبيلهم
وسواء في ذلك الصنف
الأول والثاني من أصل
الاعتقاد وبقى الصنف
الثالث على بتمتلات
النظر كما نبهناك عليه
وأما أهل الحالة الثانية
وهي الانحصار على
الوجود الفرد والوجود
ووصف آخر معه مع
الحلو عن اعتقاد سائر
الصفات التي للكمال
والجلال وأركانها
فالتقدم من السلف
لم تشتر عنهم في صورة
السنة ما يخرج صاحب
هذا الشد عن حكم
الإيمان والاسلام
وللتأخرون مختلفون
فكثير خاف أن يخرج
من اعتقد وجود الله
عز وجل وأظهر
الاقرار بنيه صلى الله
عليه وسلم من الاسلام
ولا يبعد أن يكون
كثير ممن أسلم من
الأحلاف والرعان
وضغاف النساء والاتباع
على هذا بلامزيد عليه
لو سئلوا واستكشفوا
عن الله عز وجل هل
له إرادة أوجاء أو كلام

ويعمل وفي الأخبار « أنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان » وفي بعض المواضع في خبر آخر « مثقال دينار (١) » فاعني لا اختلاف بمقاديره إن كان ما في القلب لا يتفاوت (مثلاً) قال قلت لمارجه قول السلف أنا مؤمن إن شاء الله والاستثناء شك والشك في الإيمان كفر وقد كانوا كلهم يتعنون عن جزم الجواب بالإيمان ويحذرون عنه فقال السفيان الثوري رحمه الله من قال أنا مؤمن عند الله فهو من الكذابين ومن قال أنا مؤمن حقا فهو بدعة فكيف يكون كاذبا وهو يعلم أنه مؤمن في نفسه ومن كان مؤمنا في نفسه كان مؤمنا عند الله كما أن من كان طويلا وسخيا في نفسه وعلم ذلك كان كذلك عند الله وكذا من كان مسرورا أو حزيناً أو ميمماً أو بصيراً ولو قيل للإنسان هل أنت حيوان لم يحسن أن يقول أنا حيوان إن شاء الله ولما قال سفيان ذلك قبله فإذا هو قال قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وأبى فرق بين أن يقول آمنا بالله وما أنزل إلينا وبين أن يقول أنا مؤمن وقيل للحسن مؤمن أنت فقال إن شاء الله قيل له لم تستثنى يا أبا سعيد في الإيمان فقال أخاف أن أقول نعم فيقول الله سبحانه كذبت يا حسن فحق على الكلمة وكان يقول ما يؤمنني أن يكون الله سبحانه قاطع على في بعض ما يكره فمضى وقال اذهب لآياتك عمداً فأنا أعلم في غير معمل وقال إبراهيم بن آدم إذا قيل لك أمؤمن أنت قل لا إله إلا الله وقال مرة قل أنا لأشك في الإيمان وسؤالك إياي بدعة وقيل لقمة أمؤمن أنت قال أرجو إن شاء الله وقال الثوري نحن مؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله وما ندرى ما نحن عند الله تعالى فامني هذه الاستثناءات فالجواب أن هذا الاستثناء صحيح وله أربعة أوجه وجهان مستندان إلى الشك في أصل الإيمان ولكن في خاتمة أوكاله وجهان لا يستندان إلى الشك . الوجه الأول الذي لا يستند إلى معارضة الشك الاحترار من الجزم خيفة ما فيه من تزكية النفس قال الله تعالى - فلا تزكوا أنفسكم - وقال - ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم - وقال تعالى - انظر كيف يفترون على الله الكذب - وقيل لحكيم ما الصدق التسبيح فقال ثناء للرم على نفسه والإيمان من أعلى صفات المجد والجزم به تزكية مطلقة وصيغة الاستثناء كأنها نقل من عرف التزكية كما يقال للإنسان أنت طيب أو قبيح أو مفسر فيقول نعم إن شاء الله لافي معرض التشكيك ولكن لاخراج نفسه عن تزكية نفسه فالصفة صفة التردد والتضعيف لنفس الخبر ومعناه التضعيف للازم من لوازم الخبر وهو التزكية وهذا التأويل لوسيل عن وصف ذم لم يحسن الاستثناء . الوجه الثاني : التأدب بذكر الله تعالى في كل حال وإحالة الأمور كلها إلى مشيئة الله سبحانه فقد أدب الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى - ولا تقولن شيئا على باطل إن فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله - ثم لم يقتصر على ذلك فيما لا يشك فيه بل قال تعالى - لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين - وكان الله سبحانه عالماً بأنهم يدخلون لأحالة وأنه شاء . ولكن القصد تعليمه ذلك فتأدب رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما كان خبر عنه معلوماً كان أو مشكوكاً قال صلى الله عليه وسلم لا تدخل المقابر « السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإننا إن شاء الله بكم لاحقون (٢) » والحقوق بهم غير مشكوك فيقولون مقتضى الأدب ذكر الله تعالى وربط الأمور به وهذه الصفة ذلة عليه حتى صار يعرف الاستعلاء عبارة عن اظهار الرغبة والتعني فإذا قيل لك إن فلانا يموت سرعاناً تقول إن شاء الله فيفهم منه رغبتك لا تشكك وإذا قيل لك فلان سيؤول مرضاً يصح فتقول إن شاء الله بمعنى الرغبة قد صارت الكلمة معدولة عن معنى التشكيك إلى

(١) حديث يخرج من النار من كان في قلبه مثقال دينار متفق عليه من حديث أبي سعيد وسبأني في ذكر اللوت وما بعده (٢) حديث لا تدخل المقابر قال : السلام عليكم دار قوم مؤمنين الحديث مسلم من حديث أبي هريرة .

أوما شاكل ذلك وهل
له صفات معنوية ليست
هي هو ولا هي غيره
ربما وجدوا جهلون
هكذا ولا يقولون
وجه ما يخاطبون
به وكيف يخرج من
اعتقد وجود الله
ووجدانيته مع الإقرار
بالنبوة من حكم
الاسلام والاصل في الله
عليه وسلم قد رفع
القتال والقتل وأوجب
حكم الإيمان أو الاسلام
لمن قال لا إله إلا الله
واعتقد عليها وهذه
الكلمات لا تقتضي
أكثر من اعتقاد
الوجود مع الوحدة
في الظاهر وعلى البديهة
من غير نظر ثم ممنا
عن عالمنا في صدر
الاسلام أن يعلم بها
إلا فراق الضوء
والصلاة وهيات
الأعمال البديهة
والكف عن أذى
السلم ولم يسلنا أنهم
درسوا علم الصفات
وأحوالها ولاهل الله
تعالى عالم يعلم أو ظالم
بنفسه وهواي بقاء
أولئك بنفسه وأشياءه

معنى الرغبة وكذلك الصدور إلى من التأديب بذكر الله تعالى كيف كان الأمر - الوجه الثالث مستنده الشك ومعناه أنا مؤمن حقا إن شاء الله إذ قال الله تعالى قوم خصوصين بأعيانهم - أولئك هم المؤمنون حقا فانقسموا إلى قسمين ويرجع هذا إلى الشك في كمال الإيمان لاقى أصله وكل انسان شاك في كمال إيمانه وذلك ليس بكفر والشك في كمال الإيمان حق من وجهين : أحدهما من حيث إن الفاعل يريد كمال الإيمان وهو حق لا يتسرق البراءة منه . والثاني أنه بكل بأعمال الطاعات ولا يدري وجودها على الكمال أما العمل فقد قال الله تعالى - إنما للمؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون - فيكون الشك في هذا الصدق وكذلك قال الله تعالى - ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين - فشرط عشرين وصفا كالقراءة بالهدى والسير على السبيل ثم قال تعالى - أولئك الذين صدقوا - وقد قال تعالى - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات - وقال تعالى - لا يستوي منكم من أشقى من قبل الفتح وقال - الآية وقد قال تعالى - هم درجات عند الله - وقال عليه السلام « الإيمان عريان ولباسه التقوى » الحديث وقال صلى الله عليه وسلم « الإيمان ينزع وسيمون بابا أذناها إمطلة الأذى عن الطريق » فهذا يدل على ارتباط كمال الإيمان بالأعمال وأما ارتباطه بالبراءة عن النفاق والشرك الحثي قوله صلى الله عليه وسلم « أربع من كنّ فيه فهو منافق خالص وإن صام وصلى وزعم أنه مؤمن : من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان وإذا خاصم فجر » وفي بعض الروايات « وإذا عاهد غدر » وفي حديث أبي سعيد الخدري « القلوب أربعة : قلب أجرد وفيه سراج يزهو فذلك قلب المؤمن وقلب ممتنع فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان فيه كمثل التمرة عدها للماء العذب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة عدها للسم والصديد فأى اللاتين غلب عليه حكم لها » وفي لفظ آخر « غلبت عليه فحبت به » قال عليه السلام « أكثر منافق هذه الأمة قراؤها » وفي حديث « الشرك أخفى في أمق من ديب الخيل على الصفا » وقال حذيفة رضي الله عنه « كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا إلى أن يموت وإنى لأسمعها من أحدكم في اليوم عشر مرات » وقال بعض العلماء أقرب الناس من النفاق من يرى أنه يرى من النفاق وقال حذيفة الناقون في اليوم أكثر منهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا إذا ذك مخفونه وهم اليوم يظهرونه وهذا النفاق يضاد صدق الإيمان وكأله وهو خفي وأبعد الناس منه من يتخفونه وأقرهم منه من يرى أنه يرى منه فقد قيل للحسن البصري يقولون أن لانا في اليوم فقال يا أخى لو هلك للناقون لاستوحشتم في الطريق وقال هو أو غيره لو نبتت للناقين أذنان ما قدسنا أن نطأ على الأرض بأقدامنا

(١) حديث الإيمان عريان تقدم في العلم (٢) حديث أربع من كنّ فيه فهو منافق الحديث متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو (٣) حديث القلوب أربعة قلب أجرد الحديث أحمد من حديث أبي سعيد وفيه لث بن أبي سلمة عتلف فيه (٤) حديث أكثر منافق هذه الأمة قراؤها أحمد والطبراني من حديث عتبة بن عامر (٥) حديث الشرك أخفى في أمق من ديب التمرة على الصفا أبو يعلى وابن عدى وابن جبان في الضعفاء من حديث أبي بكر ولأحمد والطبراني نحوه من حديث أبي موسى وسياق في ذم الجاه والرياء (٦) حديث حذيفة كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا الحديث أحمد بساند فيه جهالة وحديث حذيفة الناقون اليوم أكثر منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث البخاري إلا أنه قال شر يدل أكثر .

عنه المعارف ولا يدفع ظهور هذه لإمعان أو جاهل سيرة السلف وما جرى بينهم وبدل على قوة هذا الجانب في الشرع أن من استكشف منه على هذه الحالة وتحقت منه وأبى أن يذعن فعمل مازاد على معانده لم يفت أحد يقته ولا استرافقه والحكم عليه بالخلافة في النار عصر جدا أو خطر عظيم مع ثبوت الشرع بأن من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ولعل قول قد قال في مواطن أخرى إلا بحفظها ثم قول اعتقاد باقي الصفات التي بها يكون اعتقاد جلال الله جل وعز وكأله من حقهان هي من حقه عند من بلغ أمرها وسمع بها أن يستحقها وأما من خلا من اعتقادها ولم يقله أن يقامها ولم يسمع بها فيه رمى هذا النظر وعليه يقع مثل هذا الاحتفاظ وفي مثله مخاف أن يطلق عليه اسم الكفر وهذا وأنت

تسمع عن الله عز وجل يقول في الآخرة أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان وذكر من التعلق إلى البصرة والحردة من الإيمان إلى أن أخرج منها من لم يعمل حسنة قط فسا يدريك أن يكونوا هؤلاء أمثالهم الرادين لأن التقدير وقع في الإيمان لاق الأعمال فان قلت فان من الناس وأئمة الطهارة من لم يوجب الإيمان لمن اعتقد جميع الأركان إذا لم يصحبها معرفة ولم يفسدها دليل فكيف بمن فانه اعتقاد بعضها أو كلها قلنا قد أوردناك وجه الاعتراض على هذا للذهب وبهناك يدل أهل عن وجه الحق فيه وأهم أرباب تصف ولو استقصى مع كثير منهم القول في ذلك لبدأ له أنه تسبب إلى ما يظهر له من تصويره عن معرفة شرطها في إيمان غيره ولآخر من حسه الكون إلى ما رأيناه أولى من رأيه وأحق بالصواب

«سمع ابن عمر رضي الله عنهما رجلا يمرض للحجاج فقال أ رأيت لو كان حاضرا يسمع أ كنت تسلك فيه فقال لا فقال كئنا هذا فقال على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) وقال صلى الله عليه وسلم «من كان ذا لسانين في الدنيا جعله الله في الآخرة» وقال أيضا صلى الله عليه وسلم «شر الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه ويأتي هؤلاء بوجه» وقيل للحسن إن قومًا يقولون إنا لا نخاف النفاق وقال الله لأن أكون أعلم أتى برى من النفاق أحب إلي من تلاع الأرض ذهبًا وقال الحسن إن من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر والملاينة وللدخل والمخرج وقال رجل لحذيفة رضي الله عنه إني أعافأ أن أكون منافقًا فقال لو كنت منافقًا ما خضت النفاق إن النفاق قد أمن من النفاق وقال ابن أبي مليكة أذكرت ثلاثين ومائة وفي رواية خمسين ومائة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخافون النفاق وروى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسًا في جماعة من أصحابه فذكروا رجلاً وأكثروا الثناء عليه فينبأهم كذلك إذ طلع رجل عليهم الرجل ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء وقد علق نعله يدمو بين عينيه أثر السجود فقالوا يا رسول الله هو هذا الرجل الذي وصفناه فقال صلى الله عليه وسلم أرى على وجهه سقم من الشيطان فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : نشدتك الله هل حدثت نفسك حين أشرفت على القوم أنه ليس فيهم خير منك فقال اللهم نعم^(٢) وقال يونس في دعائه اللهم إني أستغفرك لما علمت ولم أعلم قيل له أخاف يا رسول الله فقال وما يؤمنني والقلوب بين أعينهم من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وقد قال سبحانه - وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يعتقبون^(٣) » قيل في التفسير علوا أعمالًا فظنوا أنها حسنات فكانت في كفة السيئات وقال سري السقطي لو أن إنسانًا دخل بستانًا فيه من جميع الأشجار عليها من جميع الطيور غابله كل طير منها بلغة فقال السلام عليك يا ولي الله فكنت تشبه إلى ذلك كان أسيرًا في يديها فهذه الأخبار والآثار تعرفك خطر الأمر بسبب دقائق النفاق والشرك الخفي وأنه لا يؤمن منه حتى كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأل حذيفة عن نفسه وأنه هل ذكر في المناقير وقال أبو سليمان الداراني سمعت من بعض الأسماء شيئًا فأردت أن أنكر فغضت أن يأمر بقتلي ولم أخف من الموت ولكن خشيت أن يعرض قلبي التزين للخلق عند خروج روعي فكففت وهذا من النفاق الذي يضاد حقيقة الإيمان وصدقه وكلمه وصفاءه لأسأله فالتفاق تفان أحدهما يخرج من الدين ويلحق بالكافرين ويسلك في زمرة المخدعين في النار والثاني يقضي بصاحبه إلى النار مدة أو ينقص من درجات عليين ويمحط من رتبة الصديقين وذلك مشكوك فيه ولذلك حسن الاستثناء فيه وأصل هذا النفاق تفاوت بين السر والملاينة والأمن من مكر الله والعيب وأمور أخر لا يخلو عنها إلا الصديقون . الوجه الرابع : وهو أيضا مستند إلى الشك وذلك من خوف الخاتمة فانه لا يدري أي سلم له الإيمان عند الموت أم لا فان ختم له بالكفر حبط عمله السابق لأنه موقوف على سلامة الآخر ولو سئل (١) حديث ابن عمر رضي الله عنهما رجلا يمرض للحجاج فقال أ رأيت لو كان حاضرا أ كنت تسلك فيه قال لا قال كئنا هذا فقال على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحمد والطبراني بنحوه وليس فيه ذكر الحجاج (٢) حديث كان جالسًا في جماعة من أصحابه فذكروا رجلاً فأكثروا الثناء عليه فينبأهم كذلك إذ طلع رجل عليهم وجهه يقطر ماء من أثر الوضوء الحديث أحمد والبرقي والدارقطني حديث أنس (٣) حديث اللهم إني أستغفرك لما علمت وما لم أعلم الحديث مسلم من حديث عائشة اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعلم ولائي بكر بن الصديق في الثمال في حديث مرسل وشر ما أعلم وشر ما لا أعلم .

التي هي صفة الكبر من جهة موهبة فقال أنا في حق قلما فلو أقول في أثناء شهره لم يد ذلك لئلا
 كذبه إذ كانت الحجة بقوة على التمام إلى غروبها من آخر الأروكا أن الأروكا ميثاق أم
 الصوم فالصوم ميثاق تمام حجة الإيمان ووصفه بالصفة قيام آخره بتأجيل الاستعجاب وهو مشمول
 فيه والذاتية شريعة ولا يطاعها كان كمال أكثر الخائفين لأن أهلها بحرية القضية السابقة وللحرية الأولية
 التي لا تتأخر إلا بظهور للقضي به ولا يطاع عليه لأحد من الدين سائر الحجة فكيف السابعة ورجا
 يظهر في الحان ما مضت الكفاة بتجديد قرن الذي يدعى أنه من الدين سميت لهم من الله الحشر
 وتبين معنى قوله تعالى - ويا أيها منكم لارت بالحق - أي بالسابعة بين الأروكا - وقال بعض السلف
 إنما يؤخذ من الأعمال خواتيمها وكان أبو الدرداء رضي الله عنه خلف بالله ما من أحد يأمن أن يسلب
 إيمانه إلا ساء وقيل من الذنوب ذنوب عقوبتها سره الحاشية فتود بالله من ذلك وقيل على عقوبات
 دعوى الولاية والكرامة بالاعتقاد وقال بعض التارفين بل عرضت على الشهادة عند باب الدار والمرت
 على التوحيد عند باب الحجر لا تحت الموت على التوحيد عند باب الحجر لأني لأدري ما يعرض
 قلبي من التغير عن التوحيد إلى باب الدار . وقال بعضهم لو عرفت واحدا بالتوحيد خسين سنة
 ثم حال بيني وبينه سارية ومات لم أحكم أنه مات على التوحيد وفي الحديث «من قال أنا مؤمن فهو
 كافر ومن قال أنا عالم فهو جاهل»^(١) وقيل في قوله تعالى - ونعت كلة ربك صدقا وعدلا - صدق قلن مات
 على الإيمان وعدلا لأن مات على الشرك - وقد قال تعالى - وفي عاقبة الأمور - فهذا كان الشك بهذه الثابتة
 كان الاستثناء واجبا لأن الإيمان عبارة عما يفيد الجنة أن أكل الصوم عبارة عما يرى الصدق وما يصدق
 الغروب لا يرى النعمة فيخرج عن كونه صوماً وكذلك الإيمان بل لا يبعد أن يسأل عن الصوم لما في الذي
 لا يشك فيه بعد الترافع منه فيقال أصححت بالأمس فيقول نعم إن شاء الله تعالى إذ الصوم الحقيقي هو القبول
 والقبول غاب عنه لا يطالع عليه إلا الله تعالى فن هذا حسن الاستثناء في جميع أعمال البر ويكون ذلك
 شكاً في القبول إذ يقع من القبول بعد جريان ظاهر شروط الصحة أسباب خفية لا يطاع عليها إلا الرب الأرباب
 جلّ حلاله فيحسن الشك فيه فهذه وجوه حسن الاستثناء في الجواب عن الإيمان وهي آخر ما نختص به
 كتاب قواعد العقائد ثم الكتاب بحمد الله تعالى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى .

(كتاب أسرار الطهارة وهو الكتاب الثالث من ربيع العبادات)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تطف بعباده فعمدهم بالظافة ، وأفاض على قلوبهم تزيك لسائرهم أنواره وألطافه ،
 وأعد لظواهرهم تطيرا لها لواء الخصوص بالزفة والظافة ، وصلى الله على النبي محمد المستترق
 بنور الهدى أطراف العالم وأكنافه ، وعلى آله الطيبين الطاهرين صلاة تتجينا بركاتها يوم المحافه ،
 وتنصب جنة بيننا وبين كل آفة . أما بعد : فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « بنى الدين على النظافة »^(٢)

(١) حديث من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال أنا عالم فهو جاهل الطبراني في الأوسط بالشرط
 الأخير منه من حديث ابن عمر وفيه ليث بن أبي سليم تقدم والشرط الأول روى من قول يحيى بن
 أبي كثير رواه الطبراني في الأوسط بلفظ من قال أنا في الجنة فهو في النار وسنده ضعيف .

(كتاب الطهارة)

(٢) حديث بنى الدين على النظافة لم أجده هكذا وفي الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة تنطقه وان
 الاسلام نظيف والطبراني في الأوسط بسند ضعيف جدا من حديث ابن مسعود لا نظافة تدعو إلى الإيمان .

ولذلك عن مسنده
 ثم بعد ذلك تراجم بين
 أخبروا عن سبب
 الإيمان عنهم لم يقولوا
 ثم السكون عليهم
 ثم شروط الاستغابة
 إن كانت من مغيبه
 ثم يحكم فيه بالقتل
 والاسترقاق فإذا تأملت
 هذا لم يخف عليك
 عيب ما قالوه وقص
 ما قالوا إليه لخرج إلى
 ما عن بسببه ونسبتين
 بالله عز وجل وأما
 أرباب الحالة الثالثة
 وهي اعتقاد البعده
 في الصفات أو بعضها
 فان حكايتها بصحة إيمان
 أهل الحالة المذكورة
 قبل هذا وإسلامهم
 حقا أمر هؤلاء فما
 اعتقدوه اذ لم يشعروا
 فيه بوجه قصد يقطعهم
 عن إكمال الصبر
 لأن هؤلاء قد حصل
 لهم في السعد ما هو
 شرط الخلاص والنجاه
 من المهلك الدائم
 وأصبروا فبإزاء ذلك
 فان أمكن ردم
 في الدنيا وزجرهم عنه
 أن أظهروا النج عن
 الاقتلاع والرجوع

بالقوة المؤنة دون
تقل كان ذلك وإن
قالوا بلوث بضمير
في اعتقادنا عن أرباب
الحالة الثانية المذكورة
قبلهم والله أعلم بالناجى
والهالك من خلقه
والطبع والعاصى من
عباده هكذا ينبغي أن
يكون مذهب من نظر
في خلق الله تعالى بين
الرافة والرحمة قول
يدخل بين الله عز وجل
وبين عباده فيها غاب
عنه علمه وعدم فيه
سبيل اليقين وفهم
معنى قوله عز وجل
- ولا تقف ما ليس
لك به علم إن السمع
والبصر والنوادر كل
أولئك كان عند
مستولوا - . فان قلت
وأي أنت من تكفير
كثير من الناس لجميع
أهل البع ما هو خاصة
وقول النبي صلى الله
عليه وسلم في القدرة
« إهم يحوس هذه
الأمه » وقوله صلى الله
عليه وسلم « متفرق
أمتي إلى ثلاث وسبعين
فرقة كلها في النار إلا
واحدة » وقال عن

وقال صلى الله عليه وسلم « مفتاح الصلاة الطهور ^(١) » وقال الله تعالى - فيرجل يحون أن يطهروا
والله يحب الطهرين - وقال النبي صلى الله عليه وسلم « الطهور نصف الإيمان ^(٢) » قال الله تعالى
- ما يريد الله ليصل إليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم - ففطن ذوو البصائر بهذه الظواهر أن
أهم الأمور تطهير السائر إلى مبدآن يكون للراد هو - صلى الله عليه وسلم « الطهور نصف الإيمان »
عمارته الظاهر بالتنظيف باطنه الماء وإيقاظه مشحونا بالأخيات والأفكار هيات
هيئات والطهارة لها أربع مراتب : للرتبة الأولى تطهير الظاهر عن الأحداث وعن الأخيات
والفضلات . للرتبة الثانية : تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام . للرتبة الثالثة : تطهير القلب عن
الأخلاق للذمومة والردائل للمقوته . للرتبة الرابعة : تطهير السر مما سوى الله تعالى وهي طهارة الأنبياء
صوات الله عليهم والصديقين والطهارة في كل رتبة نصف العمل الذي فيها فان الغاية القصوى في عمل
السر أن ينكشف له جلال الله تعالى وعظمته ولن تعلم معرفة الله تعالى بالحقيقة السر ما لم يرخل
ماسوى الله تعالى عنه ولذلك قال الله عز وجل - قل الله ثم زدني في خوضهم يلعبون - لأنها لا يجتمعان
في قلب - وما جل الله لرجل من قلبين في جوفه - وأما عمل القلب فالغاية القصوى عمارته بالأخلاق
المحمودة والعقائد المشروعة ولني نصف بها ما لم ينظف عن هائلها من العقائد القاسية والردائل
الممقوته تطهيره أحد الشطرين وهو الشطر الأول الذي هو شرط في الثاني فكان الطهور شرط
الاجان بهذا المعنى وكذلك تطهير الجوارح عن الناهي أحد الشطرين وهو الشطر الأول الذي هو
شرط في الثاني تطهيره أحد الشطرين وهو الشطر الأول وعمارته بالطاعات الشطر الثاني فيه
مقامات الإيمان ولكل مقام طبقة ولن ينال المبدأ الطبقة العالية إلا أن يجاوز الطبقة السافلة فلا يصل
إلى طهارة السر عن الصفات للذمومة وعمارته بالمحمودة ما لم يفرغ من طهارة القلب عن الخلق
للذموم وعمارته بالخلق المحمود ولن يصل إلى ذلك من لم يفرغ من طهارة الجوارح عن الناهي
وعمارته بالطاعات وكلما عز للطلوب وشرف صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته فلا تظن
أن هذا الأمر يترك بالمنى وينال بالمؤني ، نعم من عيبت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من
مراتب الطهارة إلا الدرجة الأخيرة التي هي كالقشرة الأخيرة الظاهرة بالاضافة إلى القلب للطلوب فصار
يعن فيها ويستقصي في مجارها ويستوعب جميع أوقاته في الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف الظاهر
وطلب المياه الجارية السكونية نظامه بحكم الوسوسة وتخليل العقل أن الطهارة للطلوب الشرعية هي
هذه فقط وجهالة بسيرة الأولين واستغراقهم جميع المم والفكر في تطهير القلب وتساؤلهم في أمر
الظاهر حتى إن عمر رضي الله عنه مع حلو منصبه توحنا من ماء في جرة نصرانية وحسب إهم
ما كانوا يضلون اليد من السمومات والأطعمة بل كانوا يحسبون أصابعهم بأخمس أقدامهم وعدوا
الأشئان من البعد المحدث ولقد كانوا يصلون على الأرض في الساجد ويمشون خفاة في الطرقات
ومن كان لا يحيل بينه وبين الأرض حاجزا في مضجعه كان من أكابرهم وكانوا يقتصرون
على الحجارة في الاستنجاء وقال أبو هريرة وغيره من أهل الصفة : « كنا نأكل الشواء فقام
الصلاة فندخل أصابعنا في الحصى ثم نركبها بالتراب ونكبر ^(٣) » وقال عمر رضي الله عنه :

(١) حديث مفتاح الصلاة الطهور د ت ه من حديث علي قال الترمذي هذا أصح شيء في هذا الباب
وأحسن (٢) حديث الطهور نصف الإيمان ت من حديث رجل من بني سالم وقال حسن ورواه مسلم
من حديث أبي مالك الأشعري يافظ شطر كافي الإحياء (٣) حديث كنا نأكل الشواء فقام الصلاة
فندخل أصابعنا في الحصى الحديث ه من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء ولم أذكر من حديث أبي هريرة.

« ما كنا نعرف الأثنان في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما كانت متدايلا بطون أرجلنا كنا إذا أكلنا السم مسحنا بها (١) » ويقال أول ما ظهر من البع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع الناحل والأشنان واللوائد والشبع فكانت غايتهن كلها بظافة الباطن حتى قال بهنهم الصلاة في التلحين أفضل « لأن رسول الله ﷺ لا نزع عليه في صلاته بإختيار جبرائيل عليه السلام له أن يمسحاً بخمسة وحلج الناس نعالهم قال صلى الله عليه وسلم لم خلتهم نعالكم (٢) » وقال النضى في الأبن يخلمون نعالهم وددت لو أن محتاجا جاء إليها فأخضعها منكرها لخلج النعال فكذا كان نعالهم في هذه الأمور بل كانوا يشون في طين الشوارع خفاة ويحسبون عليها ويصان في المساجد على الأرض ويأكلون من دقيق البر والشعر وهو يداس بالذباب وتبول عليه ولا يحترزون من عرق الإبل والحمل مع كثرة عرقها في التجلصات ولم يقل قط عن أحد منهم سؤال في دقائق التجلصات فكذا كان تساهلهم فيها وقد انتهت التوبة الآن إلى طاعة يسعون الرعونة نظافة فيقولون هي ميني الدين فأكثر أوقاتهم في تزينهم الظواهر كغسل اللامطة بروسها والباطن خراب مشحون بجنائث الكبر والعجب والجهل والرياء والنفاق ولا يستكرون ذلك ولا يتعجبون منه ولو أقصر مقتصر على الاستعجاب بالحجر أو مشى على الأرض حافيا أو صلى على الأرض أو صلى بوارى المسجد من غير سجادة مفروشة أو مشى على القرش من غير غلاف للقدم من آدم أو تواضاً من آية عجز أو رجل غير متعفف أقاموا عليه القيامة وشدوا عليه النكير ولبقوه بالقدرة وأخرجوه من زميرهم واستنكفوا عن مؤاكلة كتبه وغالطته فسموا البذاءة التي هي من الإيمان قدارة والرعونة نظافة فانظر كيف صار للنكر معروفا وللعرف منكر وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس حقيقته وعلمه . فان قلت أقول إن هذه العادات التي أحدثها الصوفية في هيئاتهم ونظافتهم من المخطورات أو للسكرات . فأقول حاشى لله أن أطلق القول فيه من غير تفصيل ولكني أقول إن هذا التنظيف والتكف وإعداد الأواني والآلات واستعمال غلاف القدم والإزار للقنص به لدفع الشبار وغير ذلك من هذه الأسباب إن وقع النظر إلى ذاتها على سبيل التجرد فهي من اللبايات وقد بقرت بها أحوال ونيات تلحقها تارة بالمروفات وتارة بالسكرات فأما كونها مباحة في نفسها فلا ينبغي أن صاحبها متصرف بها في ماله وبدنه وثيابه فيفعل بها ما يريد إذا لم يكن فيه إضاعة وإسراف وأما مصيرها منكرها فإن يجعل ذلك أصل الدين ويفسر به قوله ﷺ « بني الدين على النظافة » حتى ينكر به على من يتساهل فيه تساهل الأولين أو يكون القصد به تزين الظاهر للخلق وتحسين موقع نظرم فان ذلك هو الرياء المخطور فيصير منكرها بهذين الاعتبارين وأما كونه معروفاً بأن يكون التقصد منه الحير دون الزين وأن لا ينكر على من ترك ذلك ولا يؤخر بسببه الصلاة عن أوائل الأوقات ولا يشتغل به عن عمل أو ضل منه أو عن علم أو غيره فإذا لم يقرن به شيء من ذلك فهو مباح يمكن أن يعمل قربة بالية ولكن لا يتيسر ذلك إلا للطلبة الذين لولم يشتغلوا بصرف الأوقات فيه لاشتغلو إبتوم أو حديث فجاءوا فيفسر شغلهم به أولى لأن الاشتغال بالطهارات يبعد ذكر الله تعالى وذكر العبادات فلا بأس به إذا لم يخرج إلى منكر أو إسراف . وأما أهل العلم والعمل فلا ينبغي أن

(١) حديث عمر ما كنا نعرف الأثنان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما كانت متدايلا باطناً . أرجلنا الحديث لم أجده من حديث عمرو لابن ماجة نحوه مختصراً من حديث جابر (٢) حديث خلق عليه في الصلاة إذ أخبره جبريل عليه الصلاة والسلام أن عليه نجاسة ذلك وصححه من حديث أبي سعيد الخدري .

قوم « يخرجون على حين فرقة من الناس يقولون يقول خير البرية أو من قول خير البرية يعرفون من الذين كانوا يعرفونهم من الرياء » والأحاديث الواردة فيمن اعتقد شيئاً من الأهواء والبصع كثيرة غير هذه مما توجب في الظاهر تكفيرهم بالاطلاق فاعلموا وإن كان كفرهم كثير من العلماء قد أتى عليهم دينهم ونردد فيهم كثير أو أكثر منهم وكل فريق منهم في مقابلة من خالفه فليقع الحاكم عند العالم الأكبر للؤيد بالصمة سيد البشر إمام التبيين صلى الله عليه وسلم فهو عليه الصلاة والسلام حين قال عجوس هذه الأمة أضافهم إلى الأمة وما حكم بأن لم يقل عجوس على الإطلاق وحين أخبر عن الفرق أنهم في النار فما أخبر أنهم خالفون فيها وحين قال يخرجون من الدين كما يخرج السهم

بصرفوا من أوقاتهم إليه إلا قدر الحاجة قال زيادة عليه منكر في حقهم وتضييع العمر الذي هو أغنى الجواهر وأعزها في حق من قدر على الاتفاف به ولا يتجمل من ذلك طأن حسنة الأبرار سيئات القربى ولا ينبغي لابطال أن يترك النظافة وينكر على المتصوفة وزعم أنه ينشبه بالصحاب إذ التشبه بهم في أن لا يتفرغ إلا لما هو أهم منه كما قيل لداود الطائي لا تسرح طيكتك قال إني إذن أفرار فلهذا لا يرى للعالم ولا للتعلم ولا للعامل أن يضيع وقته في غسل الثياب احترازا من أن يلبس الثياب المقصورة وتوها بالقصار تضرى في السبل قد كانوا في العصر الأول يصلون في القراءة للذبوة ولم يعلم منهم من فرق بين المقصورة والذبوة في الطهارة والتجاسة بل كانوا يجتنبون التجاسة إذا شاهدوها ولا يدقون نظركم في استنباط الاحتمالات الدقيقة بل كانوا يتأملون في دقائق الرياء والطمع حتى قال سفيان الثوري لرفيق له كان يعيش معه فخطر إلى باب دار مرفوع معمور لاضمحل ذلك فأن الناس لو لم ينظروا إليه لكان صاحبها يتعاطى هذا الأسراف فالتأطر إليه معين له على الأسراف فكانوا يمدون حمام الذهب لاحتساب مثل هذه الرافق لا في احتمالات التجاسة فلو وجد المال عاميا يتعاطى له غسل الثياب محتاطا فهو أفضل فانه بالإضافة إلى التساهل غير ذلك العاى يتعسف بتعاطيه إذ يشغل نفسه الأمانة بالسوء بعمل الباح في نفسه فيمتنع عليه للمعاصي في تلك الحال والنفس إن تشغل بشيء شغلت صاحبها وإذا قصد به التقرب إلى العالم صار ذلك عنده من أفضل القربات فوقت العالم أشرف من أن يصرفه إلى مثله فيبقى عمر طاعليه وأشرف وقت العاى أن يشغل بئله فيتفرغ الخير عليم من الجوانب كلها وليتفضل بهذا للتل لنظاره من الأعمال وترتيب فضائلها ووجه تقديم البعض منها على البعض فتدقيق الحساب في حفظ لحظات العمر بصرفها إلى الأفضل أهم من التدقيق في أمور الدنيا بخلافها وإداعرف هذه القذمة واستبنت أن الطهارة لها أربع مراتب . فاعلم أنا في هذا الكتاب لسناسككم إلى الرتبة الرابعة وهي نظافة الظاهر ثانيا في الشطر الأول من الكتاب لا تسرح طيكتك من قصدا لا لظواهر فتقول طهارة الظاهر ثلاثة أقسام طهارة عن الحيث وطهارة عن الحدث وطهارة عن فضلات البدن وهي التي تحصل بالقلم والاستحداد واستعمال النورة والحناء وغيره . (القسم الأول في طهارة الحيث والنظر فيه يتناق بالزوال والزال به والازالة)

(الطرف الأول في الزوال)

وهي التجاسة . والأعيان ثلاثة جمادات وحيوانات وأجزاء حيوانات أما الجمادات فطاهرة كلها إلا الحجر وكل منبذ مسكر والحيوانات طاهرة كلها إلا الكلب والحزير وما تولد منهما أو من أحدها فإذا مات فكلها نجسة إلا خمسة الآدمي والسمك والجراد ودود الفئاض وفي معناه كل ما يستحيل من الأطعمة وكل ما ليس له نفس سائلة كالآباب والخنفساء وغيرها فلا ينجس الماء بوقوع شيء منها فيه وأما أجزاء الحيوانات فقسبان : أحدها ما يقطع منه وحكمه حكم الميت والشعر لا ينجس بالجزء والموت والمظهر منجس . الثاني الرطوبات الخارجة من بطنه فكل ما ليس مستحيلا ولا همتق فهو طاهر كالدم والعرق واللعاب والباطل وما له مقر وهو مستحيل منجس إلا ما هو مادة الحيوان كاللبن والبيض والقيح والدم والروث والبول نجس من الحيوانات كلها ولا يبقى عن شيء من هذه النجاسات قليلها وكثيرها إلا عن خمسة : الأول أثر التجويد الاستجبال بالأحجار يعني عنه ما لم يمد المخرج . والثاني طين الشوارع وغبار الروث في الطريق يعني عنه مع تيقن التجاسة بقدر ما يتعذر الاحتراز عنه وهو الذي لا ينسب للتلفع في إلى نضرب أو سقطه . الثالث ما طي أسفل الحنف من نجاسة لا يخلو الطريق عنها فيبقى عنه بعد ذلك للعاجلة . الرابع دم البراغيش مائل منه أو كثر إلا إذا جاوز حد العادة سواء كان في ثوبك أو في ثوب غيره فليسته . الخامس دم البثرات وما ينضل منها من قيح وصديد وذلك ابن عمر رضي الله عنه بشرة على وجه

من الرمية قد قال .
متصلا بهذا القول
وتبارى في الفرق وما
وضع هذا التبارى
من التل الذي ضربه
فيهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فإلى
أراك تلاحظ جهة
وترك أخرى وتذكر
شيثا وتذهل عن غيره
عليك بالعدل تكن
من أهله واستعمل
الطنن تناهد
المجالب للعبية
وتقسم قول الله
- وكذلك جعلناكم
أمة وسطا لتكونوا
شهداء على الناس
ويكون الرسول
عليكم شيدا - .

[فصل] ولما كان

الاعتقاد الجرد عن
الم بصحته ضيفا
وغرفة عن للسرقة
قريبا من رآه القى
عليه فيه القشر الثاني
من الجوز لأن ذلك
القشر يؤكل مع ما هو
عليه صونا وإذا انفرد
أمكن أن يكون طهما
للتنج وبلا للجامع
وبالحلة فهو لن لا شيء
مع خير من قد

مخرج منها الصموصلى لم يندل رضى عنه ما يترشح من لطيفات السمائل التي تدمر غالبا وكذلك أنراحمه إلا ما يقع نادرا من خراج أو غيره فيلحق بدم الاستحاضة ولا يكون في معنى البثرات التي لا تغلوا إلا سان عنها في أحواله ومساحة النزع في هذه النجاسات الخبيث تترك أن أمر الطهارة على التساهل وما ابتدع فيها وسوسة لأصل لها .

(الطرف الثاني في الزلل به)

وهو إمامنا وإمامنا أما الجامة فجر الاستنجاء وهو مطهر تطهر بخفيف بشرط أن يكون صلبا طاهرا من شوائب غير محرم وأما اللامات فلا تزال النجاسات شيء منها إلا الماء ولا كل ماء بل الطاهر الذي لم يتأخض تغيره بمخالطة ما يستحق عنه ويخرج الماء عن الطهارة بأن يتغير بملاقاة النجاسة طعمه أو لونه أو ريحه فإن لم يتغير وكان قريبا من مائتين وخمسين منا وهو خسائة رطل وطل العراق لم ينحس لقوله صلى الله عليه وسلم «إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا» (١) وإن كان دون نصاب نجسا عند الشافعي رضي الله عنه هذا في الماء الراكد وأما الماء الجاري إذا تغير بالنجاسة فالجارية النظيرة نجسة دون ما فوقها واحتجنا لأن جرى الماء متفاضلات وكذا النجاسة الجارية إذا جرت بجري الماء فالنجس موقوف من الماء وما عن يمينها وشمالها إذا تخاصر عن قلتين وإن كان جرى الماء أقوى من جرى النجاسة لما فوق النجاسة طاهر وما سفلى عنها فنحس وإن تباعد وكثر إلا إذا اجتمع في حوض قدر قلتين وإذا اجتمع قلتان من ماء نجس طهر ولا يعود نجسا بالتفريق هذا هو مذهب الشافعي رضي الله عنه وكنت أود أن يكون منهجه كذهب مالك رضي الله عنه في أن الماء وإن قل لا ينحس إلا بالتغير إذا احتاج قسامة إليه ومثار الوسواس اشتراطا للقلتين وأجابه شق على الناس ذلك وهو لم يرد سبب للشبهة ويرى من يجربه ويتأمل وما لا أشك فيه أن ذلك لو كان مشروطا لكان أولى للواضع بتسريح الطهارة مكة وللدينة إذ لا يكثر فيها لياه الجارية ولا الراكة الكثيرة ومن أول عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى آخر عصر أصحابه لم تنقل واقعة في الطهارة ولا سؤال عن كيفية حفظ الماء عن النجاسات وكانت أواني مياههم يتأطها الصبيان والإماء الذين لا يجترزون عن النجاسات وقد نوصنا عمر رضي الله عنه بماء في جرة نصرانية وهذا كالصريح في أنه لم يقول إلا على عدم تغير الماء ولا في نجاسة النصرانية وإنها غالبية تعلم بظن قريب فإذا عسر القيام بهذا الذهب وعدم وقوع السؤال في تلك الأعصار دليل أول وفصل عمر رضي الله عنه دليل ثان والدليل الثالث إضفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الأثناء للهرة (٢) وعدم تقطية الأواني منها بعد أن يرى أنها تأكل الفأرة ولم يكن في بلادهم حياض تلغ السنابير فيها وكانت لاتزل الآبار . والراجح أن الشافعي رضي الله عنه نص على أن غسالة النجاسة طاهرة إذا لم تتغير ونجسة إن تغيرت وأى فرق بين أن يلاقى الماء النجاسة بالورود عليها أو بورودها عليه وأى معنى لقوله القائل إن قوة الورد تدفع النجاسة مع أن الورد لم يمنع مخالطة النجاسة وإن أجل ذلك على الحاجة فالجاجة أيضا ماسة إلى هذا فلا فرق بين طرح الماء في إجانة فيها ثوب نجس أو طرح الثوب النجس في الاجانة وقها ماء وكل ذلك متعادل بغسل الثياب والأواني . والخاس أنهم كانوا يستنجون على أطراف اللياه الجارية القليلة بخلاف في مذهب الشافعي رضي الله عنه أنه إذا وقع بول في ماء جار ولم يتغير أنه يجوز التوضؤ به وإن كان قليلا وأى فرق بين الجاري والراكد ولدت

(١) حديث إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا أصحاب السنن وابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابن عمر (٢) حديث إضفاء الآناء للهرة الطبراني في الأوسط والدارقطني من حديث عائشة وروى أصحاب السنن ذلك من فضل أبي قتادة .

وكذلك اعتقاد التوحيد وإن كان مجردا عن سبيل المعرفة وغير منوط بشيء من الأدلة ضيقا فهو في الدنيا والآخرة وعند الله عز وجل خير من التطييل والكفر ومضى ركب أحد هذا فقد وقع في أعظم المخرج والسكر .

[بيان أرباب للرجمة

الثالثة وهو

توحيد للقرنين]

والسلام في هذا النوع

من التوحيد له ثلاثة

حدود : أحدها أن

يشكلم في الأسباب

التي توصل إليه

والسالك التي يسير

عليها نحوه والأحوال

التي يتخذه بحصوله

كقوله العزيز بن الطيمي

واختار ذلك ورضاه

وسماه الصراط السليم

والحد الثاني أن يكون

الكلام في عين ذلك

التوحيد وقسه

وحقيقته وكيف يصور

للسالك إليه والطالب

له قبل وصوله إليه

واستكشافه بالمشاهدة

والحد الثالث في عمرات ذلك التوحيد وما يقى أهله وبطلون عليه بسبه وكرمونه من أجله ويستحقون من فوائده المزيد من جهته أما الحد الأول فالكلام عليه والبيان له والكشف لدقائقه وتذلل الصغير والكبير مأمور به مشدداً أمره متوعد بالنار على كنهه في بث الأنبياء ومن أجله أرسل الرسل وبيانه للناس كافة نزلت من عند الله عز وجل على أمته وحيه الصنف والكتب ولحق الفقه في القلوب بتحقيقه وتصديقه أيدت الرسل بالمعجزات والأولياء والأنبياء بالكرامات لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وعليه أخذ الله لثباته على الدين أوتوا الكتاب لبيته للناس ولا يكتموه وفيه أنزل الله بأمره الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن أرسلت فإلست رسالته ولما عن رسول الله

شعري هل الخوالة على عدم التبرير أولى أو على قوة الماء بسبب الجريان ثم ما حد تلك القوة تجري في المياه الجارية في أنابيب الحمامات أم لا فإن لم تجر في الفروق وإن جرت في الفروق بين ما يقع فيها وبين ما يقع في جري الماء من الأواني على الأبدان وهي أيضاً جارية ثم البول أشد اختلاطاً بالماء الجاري من نجاسة جامدة ثابتة إذا قضى بأن ما يجري عليها وإن لم يتغير نجس إلى أن يجمع في مستنقع فلتان فأى فرق بين الجامد والائع والماء واحد والاختلاط أشد من الجاورة . والسادس أنه إذا وقع رطل من البول في قلتين ثم فرقنا فكل كوز يشتر منه طاهر ومعلوم أن البول منتشر فيه وهو قليل ولت شعري هل تمليل طهارته بعدم التبرير أولى أو بقوة كثرة الماء بعد انقطاع السكره وزوالها مع تحقق بقاء أجزاء النجاسة فيها . والسابع أن الحمامات لم تزل في الأعصار الحالية يتوضأ فيها المتشفون ويضمون الأيدي والأواني في تلك الحياض مع قلة الماء ومع العلم بأن الأيدي النجسة والطاهرة كانت تتوارد عليها فهذه الأمور مع الحاجة الشديدة تقوى في النفس أنهم كانوا ينظرون إلى عدم التبرير . مولين على قوله صلى الله عليه وسلم « خلق الماء طهوراً لا ينجسه شيء إلا ما غير طعمه أولوته أورعه (١) » وهذا فيه عتق وهو أن طبع كل مائع أن يعلب إلى صفة نفسه كل ما يقع فيه وكان منلو من جهته فكما ترى الكلب يقع في الملعقة فيستجلب ملعاً ويعكم بطهارته بصيرورته ووالحق الكلبية عنه فكذلك الخلل يقع في الماء وكذا اللبن يقع فيه وهو قليل فينبط صفته ويتصور بصفة الماء وينطبع بطعمه إلا إذا كثر وغلب وتعرف غلبته بشبه طعمه أولوته أورعه فهذا للبار وقد أشار الشرع إليه في الماء القوي على إزالة النجاسة وهو جدير بأن يحول عليه فيندفع به الحرج ويظهر به معنى كونه طهوراً إذ يذهب عليه فيطهره كحاصر كذلك في بدالقتين وفي النسالة وفي النسالة وفي إسماء الاناء للهرة ولا تظن ذلك غفوا إذ لو كان كذلك لكان أكثر الاستنجاء ودم البراغيث حتى يصير الماء للملائي نجساً ولا ينحس بالنسالة ولا يبولغ السنوري في الماء القليل وأما قوله صلى الله عليه وسلم « لا يعمل خبثاً » فهو في قسمهم فانه يعمل إذ تدير . فإن قيل أراد به إذا لم يتغير فيمكن أن يقال إنه أراد به أنه في الغالب لا يتغير بالنجاسات المتأخرة فهو تمسك بالقهوم في إذا لم يبلغ قلتين وترك القهوم بأقل من الأدلة التي ذكرناها يمكن وقوله لا يعمل خبثاً ظاهره في الخلل أي يعلبه إلى صفة نفسه كما يقال للملعقة لا تعمل كلباً ولا غيره أي يتقلب وذلك لأن الناس قد يستنجون في المياه القليلة وفي القدران ويضمون الأواني النجسة فيها ثم يترددون في أنها خربت خربت لمؤثرها أم لا فتبين أنه إذا كان قلتين لا يتغير بهند النجاسة المتأخرة . فإن قلت قد قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يعمل خبثاً » ومهما كثرت حملها فهذا يتقلب عليك فاتها مهما كثرت حملها حكماً كما حملها حاصلاً من التخصيص بالنجاسات المتأخرة للذهبيين جيماً وعلى الجملة فينبى في أمور النجاسات المتأخرة إلى التساهل فهما من سيرة الأولين وحماطة الوسواس وبذلك أفتيت بالطهارة فيما وقع الخلاف فيه في مثل هذه السائل .

(الطرف الثالث في كيفية الإزالة)

والنجاسة إن كانت حكمية وهي التي ليس لها جرم محسوس فيكنى إجراء الماء على جميع مواردها وإن كانت عينية فلا بد من إزالة العين وبقاء الطعم يدل على بقاء العين وكذا بقاء اللون لإفائه يلتصق به فهو معفو عنه بعدا لثقة والقرص أما الرائحة فتأخرها يدل على بقاء العين ولا يفي عنها إلا إذا كان الشيء رائحة فائحة يصير إزالتها فإلا ذلك والصبر مرات متواليات يقوم مقام الحث والقرص في اللون

(١) حديث خلق الله الماء طهوراً لا ينجسه شيء إلا ما غير طعمه أولوته أورعه . من حديث أبي أمامة . باستانضعف وقدرناه بدون الاستثناء . من حديث أبي سعيد ومحمد وغيره .

والزليل للوسواس أن يعلم أن الأشياء خاليت طاهرة يمين في لا يشاهد عليه نجاسة ولا يمسها شيئاً يعلى معه ولا ينبغي أن يتوصل بالاستقباط إلى تهدير التجاسات . القسم الثاني طهارة الأحداث : ومنها الوضوء والتسل والتيمع وتقديمهما الاستنجاء ، فلو رد كفيهما على الترتيب مع آدابها وسنها مبتدئين بسبب الوضوء وآداب قضاء الحاجة إن شاء الله تعالى .

(باب آداب قضاء الحاجة)

ينبغي أن يعد عن أعين الناظرين في الصحراء وأن يستتر بشيء إن وجدته وأن لا يكشف عورته قبل الانتهاء إلى موضع الجلوس وأن لا يستقبل الشمس والقمر وأن لا يستقبل القبلة ولا يستديرها إلا إذا كان في بناء والمذلول أيضاً عنها في البناء أحب وإن استتر في الصحراء براحتة جاز وكذلك يذبه وأن يتق الجالس في متحدث الناس وأن لا يول في الماء الراكد ولا تحت الشجرة المثمرة ولا في الجحر وأن يتقى الوضع الصلب ومهب الريح في البول استترها من رشاشه وأن يتكئ في جلوسه على الرجل اليسرى وإن كان في بيان يقدم الرجل اليسرى في الدخول واليمين في الخروج ولا يبول قائماً قالت عائشة رضي الله عنها « من حدثك أن النبي ﷺ كان يبول قائماً فلا تصدقوه » (١) وقال عمر رضي الله عنه « رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبول قائماً فقال : يا عمر لا تلبس قائماً » (٢) قال عمر فلبت قائماً بعد ، وفيه رخصة إذ روى حذيفة رضي الله عنه « أنه عليه الصلاة والسلام بال قائماً فأثبته بوضوءه وضوءاً ومسح على خفيه » (٣) ولا يبول في القنصل قال صلى الله عليه وسلم « عامة الوسواس منه » (٤) وقال ابن المبارك قد وسع في البول في القنصل إذا جرى للماء عليه ذكره الترمذي وقال عليه الصلاة والسلام « لا يبولن أحدكم في مستحمته ثم يمشي فيه فان عامة الوسواس منه » وقال ابن المبارك إن كان الماء جارياً فلا بأس به ولا يصحب شيئاً عليه اسم الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم ولا يدخل بيت للماء حاسر الرأس وأن يقول عند الدخول بسم الله أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث الخبيث الشيطان الرجيم وعند الخروج الحمد لله الذي أذهب عني ماؤذي وأجنى علي ما ينفى ويكون ذلك خارجاً عن بيت الماء وأن يبدل قبل الجلوس وأن لا يستنجي بالماء في موضع الحاجة وأن يشترى من البول بالتمنح والتمنح ثلاثاً وإمرار اليد على أسفل القفص ولا يكره التذكير في الاستبراء فيتوسوس ويشق عليه الأمر وما يحس به من بطل فليقدر أنه بقية الماء فإن كان يؤذيه ذلك فليرش عليه الماء حتى يتقوى في نفسه ذلك ولا يتسلط عليه الشيطان بالوسواس وفي الخبر أنه صلى الله عليه وسلم فعلها عني رش الماء (٥) وقد كان أخهم أقمهم قتل الوسوسة فيه على قلة الفقه وفي حديث سلمان رضي الله عنه « علنا رسول الله ﷺ كل شيء حتى الحرارة فأمرنا أن لا نستنجي بظم ولا روث ونهانا أن نستقبل القبلة بفائط أبول » (٦) وقال رجل لبعض الصحابة من العرب وقد

صلى الله عليه وسلم قوله « من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجامه من نار » وجميع ذلك محصور في اثنتين العلم بالمسيرة والعمل بالنسبة وهما مبنيان على آيتين الحرج الشديد والثبوت الخاصة والسرف في تحصيلهما إلتان نظافة الباطن وسلامة الجوارح ويسمى جميع ذلك بعلم العامة وأما الحد الثاني فالكلامة فيها كثر ما يكون على طريقة ضرب الأمثال تشبهاً بالرمز تارة وبالتصریح أخرى ولكن على الجملة بما يناسب علوم الظواهر ولكن يشرف بذلك الخبيب الحاذق على بعض الراد ويفهم منه كثيراً من القصور وينكشف له جل ما يشار إليه إذا كان سالماً من شرك التعصب بعيداً من هوة الهوى نظيفاً من دنس التقليد ، وأما الحد الثالث فلا ميل إلى ذكر شيء منه إلا مع أهله بعد عليهم به في

(٢) حديث عائشة من حدثك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبول قائماً فلا تصدقوه ن د قال ت هو أحسن شيء في هذا الباب وأصح (٣) حديث عمر رأي النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أبول قائماً فقال يا عمر لا تلبس قائماً ابن ماجه باسناد ضيف ورواه ابن حبان من حديث ابن عمر ليس فيه ذكر لعمر (٤) حديث أنه عليه الصلاة والسلام بال قائماً الحديث متفق عليه (٥) حديث قال في البول في القنصل عامة الوسواس منه أصحاب السنن من حديث عبد الله بن مغفل قال الترمذي غريب قلت واسناده صحيح (٥) حديث رش للماء بعد الوضوء وهو الانتشاح ن د من حديث سفيان بن الحكم الثقفى أو الحكم بن سفيان وهو مضطرب كقالت وابن عبد البر (٦) حديث سلمان علنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى الحرارة الحديث م وقد تقدم في قواعد العقائد .

سبيل التذكير لاطي
العلم بما كانت أحكام
هذه الحدود الثلاثة
على ما وصفناه لأن الحد
الأول فيه محض النصح
للخلق واستغناهم من
غمرة الجهل والتكيب
بهم من مهادي المطب
وتودهم إلى معرفة هذا
التمام وما وراءه مما هو
أعلى منه مما لهم فيه
الملك الأبروفوز الأبد
وقد بين لهم غاية البيان
وأقيم عليه واضح
البرهان وهو يومئذ
الطريق وأول سبيل
السادة في حجر عن
ذلك كان عن غيره
أعجز ومن سلكه على
استقامة فالتألب عليه
الوصول إلى الله لا ينضب
أجر من أحسن عمله
ومن وصل شاهد من
شاهد علم وذلك غاية
الطلب وبها إلى الرغوب
والجوب ومن قصد
حرم الوصول وما بعده
فضل الله المجاهد على
القاعدن أجرا عظيما
ومن ظالم تنفسه
الأخبار ولم يفسده
كثير من الأحاديث
وأبضا فان الإخبار
بما وراء الحد الأول

خاصه لأحبك تحسن الخراء قال بلى وأنيك إنى لأحسنها وإنى بها خلقت أهد الأثر وأعد الدرد
وأستقبل الشيع وأستدر الریح وأصق إصماء الطي وأجفل إجهال النعام . الشيع نبسط الطير الرائحة
بالبادية والاقام . ههنا أن يستوفى على مدور قلميه ، والأجفل أن يرفع بحجره ومن الرخصة أن يبول
الانسان قريبا من صاحبه مستترا عنه (١) فصل فذكر رسول الله ﷺ مع شدة حياته ليبن للناس ذلك .

(صكيفة الاستنجاء)

ثم يستنجى بقعدة ثلاثة أحجار فان أتى بها كفى وإلا استعمل رابعا فان أتى استعمل خامسا لأن الإهاء
واجب والإيتار مستحب قال عليه السلام « من استنجر فليوتر (٢) » ويأخذ الحجر بيساره ويضعه
على مقدم القدمة قبل موضع الجلوس ويمر به بالمسح والأداة إلى المؤخر ويأخذ الثاني ويضعه على المؤخر
كذلك ويمر به إلى القدمة ويأخذ الثالث فيديره حول للسربة إدارة فان عسرت الإدارة وسح
من القدمة إلى المؤخر أجزاء ثم يأخذ حجرا كبيرا يمينه والقبض بيساره ويمسح الحجر بقضيه
ومحرك اليسار فيمسح ثلاثا في ثلاثة مواضع أو في ثلاثة أحجار أو في ثلاثة مواضع من جذار إلى أن
لا يرى الرطوبة في محل المسح فان حصل ذلك عزمين آتى بالثالثة ووجب ذلك إن أراد الاقتصاد على
الحجر وإن حصل الرابطة استحب الخامسة لليتار ثم ينتقل من ذلك الموضع إلى موضع آخر ويستنجى
بالماء بأن يفيضه باليمين على محل التجويدك باليسرى حتى لا يبق أثر يدركه الكسب بحس السور ترك
الاقتصاد فيه بالعرض بلابن فان ذلك منبع اليسرى حتى لا يبق أثر يدركه الكسب بحس السور ترك
ولا يثبت حكم التجاسة للفضلات الباطنة ما لم تظهر وكل ما هو ظاهر وبين له حكم التجاسة فخطوه أنه
يصل الماء إليه فيزيله ولا معنى للوسواس وغول عند الفراغ من الاستنجاء اللهم طهر قلبي من النفاق وحسن
فرجي من الفواحش وبذلك يده غاطط أو بالأرض إزالة للرائحة إن بقيت والجمع بين الماء والحجر
مستحب فقد روى « أنه لما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين قال
رسول الله ﷺ لأهل قباء ما هذه الطهارة التي أتى الله بها عليكم قالوا كنا نجتمع بين الماء والحجر (٣) »

(صكيفة الوضوء)

إذا فرغ من الاستنجاء اشتغل بالوضوء فلم ير رسول الله ﷺ قط خارجا من الماء إلا توضأ ويبتدئ
بالسواك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أفواهكم طرق القرآن فليطيبوها بالسواك (٤) »
فينبغي أن يتوى عند السواك تطهير فيه لقراءة القرآن وذكر الله تعالى في الصلاة وقال صلى الله عليه وسلم
« صلاة في أثر سواك أفضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم

- (١) حديث البول قريبا من صاحبه متفق عليه من حديث حذيفة (٢) حديث من استنجر فليوتر متفق عليه في حديث أبي هريرة (٣) حديث لما نزل قوله تعالى - فيه رجال يحبون أن يتطهروا - الحديث من أهل قباء وجميع بين الحجر والماء البزار من حديث ابن عباس بسند ضعيف ورواه ك وصححه من حديث أبي أيوب وجابر وأنس في الاستنجاء بالماء ليس فيه ذكر الحجر وقول النووي تبعا لابن الصلاح إن الجمع بين الماء والحجر في أهل قباء لا يعرف مردود بما تقدم
- (٤) حديث إن أفواهكم طرق القرآن أبو نعيم في الحلية من حديث علي ورواه موقوف على ح وكلامه ضعيف (٥) حديث صلاة في أثر سواك أفضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك أبو نعيم في كتاب السواك من حديث ابن عمر بسند ضعيف ورواه ك وصححه والبيهقي وضعفه من حديث عائشة وضعفه بلفظ من سبعين صلاة .

«لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة» (١) «وقال صلى الله عليه وسلم «مالي أراكم تدخلون على قلحا استاكوا» (٢) أي صفر الأسنان «وكان عليه السلام يستاك في الآية مرارا» (٣) وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «لم يزل صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالسواك حتى ظننا أنه سيزل عليه فيه شيء» (٤) «وقال عليه السلام «عليكم بالسواك فإنه مطهرة لافهم ومبرضة للرب» (٥) وقال علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه: السواك يزيد في الحفظ وينهب البلم» (٦) . وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يروحون بالسواك على آذانهم وكيته أن يستاك غشبا الأراك وأغرم من قضبان الأشجار مما يخنش ويزيل القلق ويستاك عرضا وطولا وإن اقتصر فمرضا ويستحب السواك عند كل صلاة وعند كل وضوء وإن لم يصل عقيه وعند تغير النكبة باليوم أو طول الأزم أو أكل مانكره راحته ثم عند الفراغ من السواك يجلس للوضوء مستقبل القبلة ويقول بسم الله الرحمن الرحيم قال صلى الله عليه وسلم «لا وضوء لمن لم يسم الله تعالى» (٧) أي لا وضوء كامل ويقول عند ذلك أعوذ بك من هزرات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ثم يسل يديه ثلاثا قبل أن يدخلهما الإناء ويقول اللهم إني أسألك العيين والبركة وأعوذ بك من الشؤم والمهلكة ثم ينوي رفع الحدث أو استباحة الصلاة ويستديم النية إلى غسل الوجه فإن نسيها عند الوجه لم يجزه ثم يأخذ غرة قلبيه يمينه فيغسلها ثلاثا ويغمر رأسه بأن يرد الماء إلى الفصمة إلا أن يكون صانعا فيرقع ويغسل اللحية أعني على ثلاثة كتابك وكثرة ذلك كركك ثم يأخذ غرة لأذنه ويستنشق ثلاثا بالنفس إلى خياشيمه ويستتر ما فيها ويقول في الاستنشاق اللهم أوجد لي راحة الجنة وأنت عني راض وفي الاستنثار اللهم إني أعوذ بك من روائح النار ومن سوء الدار لأن الاستنشاق وإصال والاحتثار إزالة ثم يرف غرة لوجه فيغسله من مبدئ مطلع الجبهة إلى منتهى ما يقبل من اللقن في الطول ومن الأذن إلى الأذن في العرض ولا يدخل في حد الوجه الزنتان التان على طرفي الجبين فيها من الرأس ويوصل الماء إلى موضع التحليف وهو ما يعتاد النساء تحفة الشعر عنه وهو القدر الذي يقع في جانب الوجه مهما وضع طرف الخيط على رأس الأذن والظرف الثاني على زاوية الجبين ويوصل الماء إلى منابت الشعور الأريمة الحاجبان والشاربان والمذاران والأهداب لأنها خفيفة في الغالب والمذاران هما ما يوازيان الأذنين من مبدئ اللحية ويحب إصال الماء إلى منابت اللحية الخفيفة أعني ما يقبل من الوجه وأما الكشيفة فلا وحكم المتفقة حكم اللحية في الكشافة والحفة ثم يفعل ذلك ثلاثا أو يغيب الماء على ظاهره ما استرسل

(١) حديث لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث مالي أراكم تدخلون على قلحا استاكوا البزار والبيهقي من حديث العباس بن عبد المطلب والنبوي من حديث عامر بن العباس والبيهقي من حديث عبد الله بن عباس وهو مضطرب (٣) حديث كان يستاك من الليل مرارا من حديث ابن عباس (٤) حديث ابن عباس لم يزل يأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسواك حتى ظننا أنه سيزل عليه فيه شيء رواه أحمد (٥) حديث عليكم بالسواك فإنه مطهرة لهم مرضاة الرب البخاري طليحا مجزوما من حديث عائشة والنسائي وابن خزيمة موصولا قلت وصل المصنف هذا الحديث بحديث ابن عباس الذي قبله وقدره من حديث ابن عباس الطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان (٦) حديث كان أصحاب رسول الله ﷺ يروحون بالسواك على آذانهم الخطيب في كتاب أسماء من روى عن مالك وحدثت وبجحه أن يزيد بن خالد كان يشهد الصلوات وسواك على أذنه موضع القلم من أدن الكتب (٧) حديث لا وضوء لمن لم يسم الله ت من حديث سعيد بن زيد أحد الشرة ونقلت عن البخاري أنه أحس شيء في هذا الباب.

والثاني على وجهه لو كشف للخلق كافة وأمكن بما أعد من الكلام وجري بين الناس من عرف التخطاب كان فيه زيادة عنه وسبب فيه إهلاك أكثرهم ممن ليس من أهل ذلك القام وذلك لتراية السلم وكثرة غموضه ودقة معناه وعلاوه في منازل الرفعة وبسده بالجملة والتفصيل من جميع ما عهد في عالم الملك والشهادة وخروجه عن تلك الحدود المألوفة وما ينتهك لكل ما تشاء عنه ولم يشاهدوا غيره من محسوسات ومعقولات وضرويات ونظريات فلما كان لا يدرك شيء من ذلك بقياس ولا يتصور بواسطة لفظ ولا يحمل عليه مثل كما قال عز وجل : فلا تلم نفس ما أخفى لهن من قرآن عني وحكي عن ابن عباس رحمه الله أنه قال ليس عند الناس من علم الآخرة إلا الأسماء وأراد من لم يشكف له شيء من علمها وحققها

في الدنيا وأيضاً فليجاز
الاخبار بهاتين أهلها
ليكن لهم سبيل إلى
تصورها إلا على خلاف
ما هي عليه بمجرد
تقليد وينظر إليه
من أهل الفقه وذوي
التصور وجود ونبيد
فلماذا أمروا بالكتم
إشفاقاً على من حجب
من العلم ولهذا قال
سيد البشر صلى الله
عليه وسلم « لا تتحدثوا
الناس بما تصله عقولهم
أتريدون أن يكذب
الله ورسوله » وقال صلى
الله عليه وسلم « ما حدث
أحدكم قوماً بحيث لم
تصله عقولهم إلا كان
عليهم فتنة » وعلى هذا
يخرج قول الشافعي
إفشاء سر الرواية
كفهرقنا الله وليناكم
قلوباً وافية الخير إنه
ولي كل صالح وإذا
علمت أن الحد الأول
قد تقرر عنه في كتب
الرواية والدراسة فليعلم
منه الطروس وكثرت
به في المحافل الدروس
وهو غير محجوب عن
طالب ولا ممنوع عن
راغب قد أمر الجهال
به أن يتعلموه والطالب

من اللحية ويدخل الأصابع في محاجر العينين وموضع الرمض ويجمع السكحل وينشأه وقد روي
أنه عليه السلام فعل ذلك ^(١) ويأمل عند ذلك خروج الخطايا من عينيه وكذلك عند كل عضو ويقول
عنده اللهم ينش وحيي بنورك يوم تبيض وجوه أوليائك ولا تسود وجوهي بظلماتك يوم تسود
وجود أعدائك ويخلل اللحية الكثيفة عند غسل الوجه فإنه مستحب ثم يفسل يديه إلى مرفقيه ثلاثاً
ويحرك الحفام ويطلب الفرة ويرفع الماء إلى الضد فاتهم يحشرون يوم القيامة غرا محجلين من آثار
الوضوء كذلك ورد الخبر قال عليه السلام « من استطاع أن يطيل غرته فليفعل ^(٢) » وروي أن الحلية تبلغ
مواضع الوضوء ^(٣) ويبدأ باليمنى ويقول اللهم أعطني كتابي يميني وحاسبي حساباً يسيراً ويقول عند
غسل النبال اللهم إني أعوذ بك أن تطعن كتابي بشمالى أو من وراء ظمري ثم يستوعب رأسه بالمسح بأن
يل يديه ويصق رموس أصابع يديه اليمنى اليسرى ويضعهما على مقدمة الرأس ويمدحها إلى الخفاء ثم
يردها إلى المقدمة وهذه مسحة واحدة يفعل ذلك ثلاثاً ويقول اللهم غشني برحمتك وأنزل علي من
بركاتك وأطفي نحت ظلم عرشك يوم لا ظلك إلا ظلك ثم مسح أذنيه ظاهرهما وباطنهما بآء جديد بأن
يدخل مسبحته في صفاي أذنيه ويدبر إصبعه على ظاهر أذنيه ثم يضع الكف على الأذنين استظهاراً
ويكرره ثلاثاً ويقول اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اللهم اسمعني منادياً
الجنة مع الأبرار ثم مسح رقبته بماء جديد لقوله صلى الله عليه وسلم « مسح الرقبة أمان من القتل
يوم القيامة ^(٤) » ويقول اللهم فك رقبتي من النار وأعوذ بك من السلاسل والأغلال ثم يفسل رجله
اليمنى ثلاثاً ويغسل باليد اليسرى من أسفل أصابع الرجل اليمنى ويبدأ بالخصر من الرجل اليمنى ويختم
بالخصر من الرجل اليسرى ويقول اللهم ثبت قدمي على الصراط للستقيم يوم تزل الأقدام في النار
ويقول عند غسل اليسرى أعوذ بك أن تزل قدمي عن الصراط يوم تزل فيه أقدام الناس في النار
ويرفع الماء إلى أضاف الساقين فاذا فرغ رفع رأسه إلى السماء وقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سبحانه اللهم ويصمد لا إله إلا أنت عملت سودا
وظلمت نفسى أستغفرك اللهم وأتوب إليك فاغفر لي وتب علي إنك أنت الثواب الرحيم اللهم
اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين واجعلني عبداً صبوراً
شكوراً واجعلني أذكرك كثيراً وأسبحك بكرة وأصلياً يقال إن من قال هذا بعد الوضوء ختم على
وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله تعالى ويقدمه ويكتب له ثواب ذاك إلى يوم
القيامة . ويكره في الوضوء أمور منها أن يزيد على الثلاث فمن زاد فقد ظلم وأن يسرف في الماء « توصاً عليه
السلام ثلاثاً وقال من زاد فقد ظلم وأساء ^(٥) » وقال « سيكون قوم من هذه الأمة يعتدون في الدعاء
والطهور ^(٦) » ويقال من وهن علم الرجل ولوعه بالماء في الطهور ^(٧) وقال إبراهيم بن آدم يقال

- (١) حديث إدخاله الأصبع في محاجر العينين وموضع الرمض ويجمع السكحل أحمد من حديث أبي
أمامة كان يتماهد للآتين ورواه الدارقطني من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف أشربوا الماء أعينكم
- (٢) حديث من استطاع منك أن يطيل غرته فليفعل أخرجه من حديث أبي هريرة (٣) حديث
تبلغ الحلية من اللؤم من ما يطلع ماء الوضوء أخرجه من حديثه (٤) حديث مسح الرقبة أمان من القتل
أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث عمر وهو ضعيف (٥) حديث توصاً ثلاثاً ثلاثاً
وقال من زاد فقد أساء وظلم دن واللفظ له . من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده
(٦) حديث سيكون قوم من هذه الأمة يعتدون في الدعاء والطهور . وابن حبان . وك من حديث
عبد الله بن مغفل (٧) حديث من وهن علم الرجل ولوعه في الماء في التطهير لم أجده أصلاً .

إن أول ما ينبغي الوضوء من قبل المهور ، ودل الحسن إن شئنا ينضح بالنايس في الوضوء .
 يتلوه الموطأ ويكره أن ينفذ اليد في ريش الماء وأن يتكلم في أثناء الوضوء وأن يالم وجهه بالماء .
 لما ذكره قوم المشيب وقالوا الوضوء يؤمن قاله سيد بن السب والزهري لكن روى معاذ رضى
 الله عنه « أنا عليه السلام مسح وجهه بطرف ثوبه » (١) وروته عائشة « أنه صلى الله عليه وسلم
 كاتله بمشقة » (٢) ولكن طعن في هذه الرواية عن عائشة ويكره أن يتوضأ من إناء صفر وأن
 يتوضأ بالماء للشخص وذلك من جهة الطيب وقد روى عن ابن عمر وأبي هريرة رضى الله عنهما
 كراهية إناء الصفر وقال بعضهم أخرجه لمصلحة . في إناء صفر فأنى أن يتوضأ منه وهل كراهية
 ذلك عن ابن عمر وأبي هريرة رضى الله عنهما ومهما فرغ من وضوئه وأقبل على الصلاة فينبى أن
 يخط إليه أنه طهر ظاهره وهو موضع نظر الخلق فينبى أن يستحي من مناجاة الله تعالى من غير
 تشهير قلبه وهو موضع نظر الرب سبحانه وليستحق أن يطهر القلب بالطوبة والخلو عن الأخلاق
 للسمومة والتخلق بالأخلاق الحميدة أولى وأن من يقتصر على طهارة الظاهر كمن أراد أن يدس
 ماكا إلى بيته فتركه مشعونا بالهاذورات وانتقل بنجهم ظاهر الباب البراني من الدار وما أجدر
 مثل هذا الرجل بالعرض للوقت والبور والله سبحانه وتعالى أعلم .

(فتية الوضوء)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من توضأ فأحسن الوضوء وصلى الركعتين لم يحدث نفسه فيها شيء »
 من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » (١) وفي لفظ آخر « ولم يسه فيها غفلة ما تقدم من ذنبه »
 وقال صلى الله عليه وسلم أيضا « ألا أتيتكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ إيساغ الوضوء على
 للكرم وهل الأقدام إلى الساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلك الرباط ثلاث مرات » (٢) « وتوضأ
 صلى الله عليه وسلم مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به وتوضأ مرتين مرتين وقال من توضأ
 مرتين مرتين أتاه الله أجره مرتين وتوضأ ثلاثا ثلاثا وقال هذا وضوئي وضوء الأنبياء من قبلي وضوء
 خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام » (٣) وقال عليه السلام « من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله ومن
 لم يذكر الله لم يطهر منه إلا ما أصاب الماء » (٤) وقال عليه السلام « من توضأ على طهر كتب الله له عشر
 حسنات » (٥) وقال عليه السلام « الوضوء على الوضوء نور على نور » (٦) وهذا كله حث على تجديد الوضوء

(١) حديث معاذ أن النبي صلى الله عليه وسلم مسح وجهه بطرف ثوبه ت وقال غريب وإسناده
 ضعيف (٢) حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان له مشقة وقال ليس بالقائم قال ولا
 يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب شيء (٣) حديث من توضأ وأسنخ الوضوء وصلى
 ركعتين لم يحدث فيها نفسه شيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وفي لفظ آخر لم يسه
 فيها غفلة ما تقدم من ذنبه ابن المبارك في كتاب الزهد والرقائق باللفظين معا وهو متفق عليه من
 حديث عثمان بن عفان دون قوله شيء من الدنيا ودون قوله لم يسه فيها و د من حديث زيد بن
 خالد ثم صلى ركعتين لاسهو فيها الحديث (٤) حديث ألا أتيتكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به
 الدرجات الحديث م عن أبي هريرة (٥) حديث توضأ مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله
 الصلاة إلا به الحديث م من حديث ابن عمر باسناد ضعيف (٦) حديث من ذكر الله عند وضوئه
 طهر الله جسده كله الحديث الدارقطني من حديث أبي هريرة باسناد ضعيف (٧) حديث من
 توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات د ت م من حديث ابن عمر باسناد ضعيف (٨) حديث
 الوضوء على الوضوء نور على نور لم أجد له أصلا .

أن ينالوه ويلاوه
 ولا يحد في مهنا قولا
 ولما كان حكم البعد
 الثالث الحكم نارة
 وتمسكت السكالم عنه
 مع عبر أهله على كل
 .الم لم يكن لنا سبيل
 إلى قدر إلى عذوبات
 الشرع قلنن العنان
 إلى السكالم بالذي
 يليق بهذا الحال وللقام
 فقول : أرباب اللقام
 الثالث في التوحيدوم
 للقربون على ثلاثة
 أصناف ، وعلى الجملة
 فكلهم نظروا إلى
 الخلق فأتوا علامات
 الحدوث فيها لأحثة
 وما بنا حالات الاقار
 إلى الله تعالى عليهم
 واضحة ومما واجهها
 تدل على توحيد
 وتضريده راحة ناصحة
 ثم رأوا الله تعالى بإيمان
 قلوبهم ، وشاهدوه
 بغير أرواحهم
 ولا حظوا بجلاله وجلاله
 غنى أسرارهم ومهمهم
 ذلك في درجات القرب
 على قدر حظ كل واحد
 منهم في اليقين وصفاء
 القلب وهو لا الأضاف
 الثلاثة إنما عرفوا الله
 سبحانه بمخالفاته

وإلا عليه السلام « إذا توضأ الغسل التيمم فتمضمض خرجت الخطايا من فيه فإذا استنثر خرجت
أما من أنفه فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أظفاره عينية فإذا
غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفاره فإذا مسح برأسه خرجت الخطايا من
رأسه حتى تخرج من تحت أذنيه وإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت
أظفار رجليه ثم كان مشياً إلى المسجد وملائة نافذة له^(١) ويروى « إن الطاهر كالصائم^(٢) » قال
عليه الصلاة والسلام « من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء قال أشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله تحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها
شاء^(٣) » وقال عمر رضي الله عنه: « إن الوضوء الصالح يطرده عنك الشيطان وقال مجاهد من استطاع
أن لا يبيت إلا طاهراً إذا كرا مستغفراً فليقل فإن الأرواح تبحث على ما قبضت عليه .

(كيفية الغسل)

وهو أن يضع الإنسان عن يمينه ثم يسمي الله تعالى ويغسل يديه ثلاثاً ثم يستنجي كما ومن ذلك ويزيل
ما على يده من نجاسة إن كانت ثم يتوضأ وضوءاً للصلاة كما وصفتنا لإغسل القدمين فإنه يؤخرهما فإن
غسلهما ثم وضعهما على الأرض كان إضاعة للماء ثم يصب الماء على رأسه ثلاثاً ثم يمسح باليمين ثلاثاً
ثم يمسح باليسار ثلاثاً ثم يمسح بطنه ومأذنه ويغسل شعر الرأس والوجه ويوصل للماء
إلى منابت ما كسفت منه أو خف وليس على المرأة حضض الضفائر إلا إذا علمت أن الماء لا يصل إلى
خلال الشعر ويشهد بما طلب البدن وليتق أن يسد كره في أثناء ذلك فإن فعل ذلك فليعد الوضوء
وإن توضأ قبل الغسل فلا يبيده بعد الغسل فإنه سأن الوضوء والغسل ذكرنا منها ما لا بد لساكن
طريق الآخرة من عمله وعمله وماعده من المسائل التي يحتاج إليها في عوارض الأحوال فليرجع
فيها إلى كتب الفقه والواجب من جملة ما ذكرناه في الغسل أمران التيمم واستيعاب البدن بالغسل.
وفرض الوضوء التيمم وغسل الوجه وغسل البدن إلى المرقعين ومسح ما يطلق عليه الاسم من
الرأس وغسل الرجلين إلى الكعبين والترتيب ، وأما الموالاة فليست بواجبة والغسل الواجب بأربعة
مخروج للتي والتقاء الحناتين والحيض والنفاس وماعده من الأغسال سنة كغسل العبدن والجمعة
والأعياد والأحرام والوقوف بهرة ومزدلفة والدخول مكة وثلاثة أغسال أيام التشريق ولطواف
الوداع على قول والكافر إذا أسلم غير جنب والمجنون إذا أفاق ولمن غسل ميتاً فكل ذلك مستحب.

(كيفية التيمم)

من تعذر عليه استعمال الماء فقدعه بعد الطلب أو مانعه عن الوصول إليه من سبع أو حابس أو كان
الماء الحاضر يحتاج إليه لظف أو لعطش رقيقه أو كان ملكاً فقيره ولبيته إلا بأكثر من ثلث أو
كان به جراحة أو مرض وخاف من استعماله ففساد الضو أو شدة الضم فغسل يديه حتى يدخل عليه
وقت الفريضة ثم يقصد صيداً طيباً عليه تراب طاهر خالص لين بحيث يثور منه غبار وضرب عليه

(١) حديث إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فتمضمض خرجت الخطايا من فيه الحديث د ه من حديث
الصابحي إسناده صحيح ولكن اختلف في صحته وعند م من حديث أبي هريرة وعمر بن عبد العزيز
مختصراً (٢) حديث الطاهر التيمم كالصائم أبو منصور الديلمي من حديث عمرو بن حريز الطاهر التيمم
كالصائم إسناده ضعيف (٣) حديث من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء قال أشهد أن
لا إله إلا الله الحديث د من حديث عقبة بن عامر وهو عند م دون قوله ثم رفع هكذا عزاه المزني في
الأطراف وقد رواه في اليوم واليلة من رواية عقبة بن عامر وكذا رواه الديلمي في مسنده .

واستماعهم في تلك
للعرفة كاستماع حفاظ
تلاوة القرآن مثلاً فمن
حافظ لبعضه ويكون
ذلك البعض أكثر
أو كثيراً منه دون
كامله ومن حافظ لجمعه
لكنه متلهم فيه
متوقف على الإهمار
في قراءته ومن حافظ
في تلاوته غير متوقف
في شيء منه وكلهم
ينسب إليه ويد في
الشهد والتب من
أهله وكذلك أهل
هذه الرتبة أيضاً منهم
متوصل إلى للعرفة
من قراءة صفحات
أكثر المخطوآت أو
كثير منها وربما كان
فيها قرأ من الصفحات
ما يمين عليه ومن قارى
لجميعها متفهما لكن
ينوع تب وزوم
فكرة ومداومة عبرة
ومن ماهر في قراءتها
مستخرج لرموزها
ناقد البصرة في رؤية
حقيقتها مفتوح السمع
تأمله الأشياء في
فراشه وشغله وبحسب
ذلك اختلفت أحوالهم
في الخوف والرجاء
والقبض والبسط

كفيه ضاماً بين أصابعه ويمسح بهما جميع وجهه مرة واحدة ويتوى عند ذلك لاستباحة الصلاة ولا يكلف إصصال الثياب إلى ما تحت الشعور خفت أو كثفت ويجتهد أن يستوعب بشرة وجهه بالثياب ويحصل ذلك بالضربة الواحدة فإن عرض الوجه لا يزيد على عرض السكتين ويكفي في الاستيعاب غالب الظن ثم يتم خاتمه ويصرب بضربة ثانية يفرج بين أصابعه ثم يعلق ظهور أصابع يده اليمنى بظنون أصابع يده اليسرى بحيث لا يجاوز أطراف الأنامل من إحدى اليدين عن السجدة من الأخرى ثم يمر يده اليسرى من حيث وضعها على ظاهر ساعده الأيمن إلى المرفق ثم يقاب بطن كفه اليسرى على باطن ساعده الأيمن وعمرها إلى السكوع ويمر بطن إبهامه اليسرى على ظاهر إبهامه اليمنى ثم يفعل باليسرى كذلك ثم يمسح كفيه ويخلل بين أصابعه وغرض هذا التكليف تحصيل الاستيعاب إلى الرقبة بضربة واحدة فإن عسر عليه ذلك فلا بأس بأن يستوعب بضربتين وزيادة وإذا ضيق به الفرض فلا أن يتنفل كيف يشاء فإن جمع بين فرضتين فينبغي أن يجد التيمم للثانية وهكذا يفرد كل فرضة بتميم لله وأعلم .

(القسم الثالث : في النظافة والتنظيف عن الفضلات الظاهرة ، وهي نوعان أو سواخ وأجزاء)

(النوع الأول : الأوساخ والرطوبات المترسقة وهي ثمانية)

الأول ما يجتمع في شعر الرأس من العرق والقمل والتنظيف عنه مستحب بالنسل والترجيل والتدهين إزالة للثمت عنه « وكان صلى الله عليه وسلم يدهن الشعر ورجلها وبأمر به » (١) ويقول عليه الصلاة والسلام : « ادهنوا غيا » (٢) وقال عليه الصلاة والسلام « من كان له شعرة فليكرمها » (٣) أي ليصنعها من الأوساخ « ودخل عليه رجل ثائر الرأس أشعث اللحية فقال أما كان لهذا دهن يسكن به شعره ثم قال يدخل آدم كمن كانه شيطان » (٤) الثاني ما يجتمع من الوسخ في ما مطب الأذن واللسع زيل ما يظهر منه وما يجتمع في قعر الصباغ فينبغي أن ينظف برفق عند الخروج من الحمام فإن كثرة ذلك ربما قهر بالسمع . الثالث ما يجتمع في داخل الأنف من الرطوبات المتقدمة للتهوية بجوانبه وزيلها بالاستنشاق والاستنثار . الرابع ما يجتمع على الأسنان وطرف اللسان من التلع فيزيله السواك والمضمضة وقد ذكرناها . الخامس ما يجتمع في اللحية من الوسخ والقمل إذا لم يتعهد ويستحب إزالة ذلك بالنسل والتسريح بالمشطوف الخبر المشهور أنه صلى الله عليه وسلم « كان لا يفارقه المشطوف والمدري والمرأة في سفر ولا حضر » (٥) « وهي سنة العرب وفي خير عرب أنه صلى الله عليه وسلم كان يمسح لحيته في اليوم مرتين » (٦) « وكان صلى الله عليه وسلم كثر اللحية » (٧) وكذلك كان أبو بكر وكان عثمان طويل اللحية رقيقها

(١) حديث كان يدهن الشعر ورجلها الترمذي في الثبائيل باسناد ضعيف من حديث أنس كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته وفي الثبائيل أيضاً باسناد حسن من حديث يحيى بن يسلم أنه عليه الصلاة والسلام كان يترجل غيا (٢) حديث ادهنوا غيا قال ابن الصلاح لم أجده له أصلاً وقال النووي غير معروف وعنده دت ن من حديث عبد الله بن مغفل التبرج عن الترجل إلا غيا باسناد صحيح (٣) حديث من كانت له شعرة فليكرمها من حديث أبي هريرة وقال به شعر فليكرمها وليس إسناده بالقوي (٤) حديث دخل عليه رجل ثائر الرأس أشعث اللحية فقال أما كان لهذا دهن يسكن به شعره الحديث دت وابن حبان من حديث جابر باسناد جيد (٥) حديث كان لا يفارقه المشطوف والمدري في سفر ولا حضر ابن طاهر في كتاب صفة التصوف من حديث أبي سعيد كان لا يفارق مصلاه سواكه ومشطه ورواه الطبراني في الأوسط من حديث عائشة وإسنادهما ضعيف وسأى في آداب السفر مطولاً (٦) حديث كان يمسح لحيته كل يوم مرتين تقدم حديث أنس كان يكثر تسريح لحيته وللخيط في الجامع من حديث الحكم مرسلاً كان يمسح لحيته بالمشط (٧) حديث كان كثر اللحية ت في الثبائيل من حديث هند ابن أبي هالة وأبو نعيم في دلائل النبوة من حديث علي وأصله عند ت .

والقناء والبقا ولا مزيد على هذا لكثا فهو أصلح لدوى الأنفام من فمس الثبار وقت الزوال وعلقت لم يمس أهل هذه المرتبة . قر بين ذلك لعدم عن ظلمات الجمل وأقرهم من أنوار المعرفة والعلم ولا أبعد من الجاهل ولا أقرب من العارف العالم والقرب والبعد ههنا عبارتان عن حالتين على سبيل التجوز في لسان الجمهور وعلى الحقيقة عند السمعين لها في هذا الفن إحدى الحالتين حماء البصرة والطناس القلب والحوار عن معرفة الرب سبحانه وتعالى ويسمى هذا بعدا مأخوذاً من البعد عن محل الراحة والتزلز الواجب وموضع العبادة والأدنى والاقطاع في مهامه القفر وأمكنة الخوف ومطمان الانصراف والوحشة والحالة الثانية عبارة عن افتقاد الباطن والمستعمال القلب واتساح الصدر بنور اليقين وللمعرفة

والعقل وعمارة البيت
بمشاهدة منابذ عنه
أهل الثقة والنور
ولكنه يدل على أنه لم
يصل لذلك يقول أرى
بعض أئمة الكلام عن
لحوق هذا المقام كأن لم
يضيروا فيه بسهم ولم
يفر قدسهم منه بحظ
ولاسهم وأرام عند
الجمهور في الظاهر
وعند أنفسهم أنهم
أهل اللطافة على الله
تعالى وقادته الخلق إلى
مرادهم ومجاهدون
أرباب النحل المردية
وللنحل الضالة الهلكة
وقد سبق في الإحياء
أنهم مع العوالم في
الاعتقاد سواء وإعنا
فارقوم بإحسانهم
حراسة عقودهم . فاعلم
أن ما رأيت في الإحياء
صحيح ولكن بقي في
كشفه أمر لا يخفى على
المتبحرين ولا يغيب
عن الشاذين إذا كانوا
منصفين وهو أن
التكلمين من حيث
صناعة الكلام قسّم لم
يفارقوا عقود العوالم
وإعنا فارقوم بالبلد
عن الانحراف والجلد
علم لفظي وأكثره

وكان على عريض الحجة قدمات ما بين منكيه وفي حديث أغرب منه قالت عائشة رضي الله عنها
« اجتمع قوم يباب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فرأيتهم يطلع في الحب يسوى من رأسه
ولحيته قفلت أو قفل ذلك يارسل الله ؟ قال : نعم إن الله يحب من عبده أن يتجمل لإخوانه
إذا خرج إليهم » (١) والجاهل ربما يظن أن ذلك من حب الزين للناس قياساً على أخلاق غيره وتشبهاً
للملائكة بالجدادين وهيات فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مأموراً بالدعوة وكان من
وظائفه أن يسمى في تعظيم أمره في قلوبهم كيلا تزدره فهوهم ومحسن صورته في أعينهم كيلا
تستغفروا عنهم فيفهم ذلك ويتعلق للناهون بذلك في تنفيرهم وهذا القصد واجب على كل عالم
تصدى لدعوة الخلق إلى الله عز وجل وهو أن يراعى من ظاهره مالا يوجب فرة الناس عنه
والاعتقاد في مثل هذه الأمور إلى النية فاتها أعمال في أنفسها تكتسب الأوصاف من القعود والتزين
على هذا القصد محبوب وترك الشتم في اللحية إظهاراً للزهد وقلة المبالاة بالنفس محذور وترك شغلا
بما هو أهم منه محبوب وهذه أحوال باطنة بين البعد وبين الله عز وجل والتأكد بصير والتليس
غير راجع عليه بحال وكمن من جاهل يتعاطى هذه الأمور التفاتا إلى الخلق وهو يلبس على نفسه وعلى
غيره ويرغم أن قصده الخير قرى جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة ويرغمون أن قصدهم
إرغام للبتدة والمجادين والتقرب إلى الله تعالى به وهذا أمر ينكشف - يوم تبلى السرائر - ويوم
يعثر مافي القبور ويحصل مافي الصدور ، فند ذلك تميز السبيكة الخالصة من البهجة فتعود بالله
من الحزى يوم العرض الأكبر . السادس وسخ البراجم وهي معاطف ظهور الأتامل كانت العرب
لا تنكر غسل ذلك لتركها غسل اليد عقب الطعام فيجمع في تلك القفون وسخ فأمرهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بغسل البراجم . السابع تنظيف الرواجب (٢) أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على
وسلم العرب بتنظيفها وهي رموس الأتامل وما تحت الأنف من الوسخ لأنها كانت لا يحضرها
القراض في كل وقت فتجتمع فيها أوساخ فوقتلم رسول الله ﷺ قلم الأنف وتنف الإبط وحلق
العانة أربعين يوماً (٣) لكنه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنظيف ما تحت الأنف (٤)
وجاء في الأثر « أن النبي صلى الله عليه وسلم استبطأ الوحي فحاط عليه جبريل عليه السلام قاله
كيف تنزل عليك وأنت لا تنسلون برأجكم ولا تنظفون رواجبكم وقلها لا تنسلون مرأمتك
بذلك » (٥) والآن وسخ الظفر والنفوسخ الأذن وقوله عز وجل - فلا تقل لها أف - فهما أي

(١) حديث عائشة اجتمع قوم يباب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فرأيتهم يطلع في
الحب يسوى من رأسه ولحيته ابن عدى وقال حديث منكر (٢) حديث الأمر بغسل البراجم
الترمذي الحكيم في النوادر من حديث عبد الله بن بسر هوأ برأجكم وابن عدى في حديث
لأنس وأن يتعاهد البراجم إذا نوحاً وسلم من حديث عائشة عشر من القطرة وفيه وغسل البراجم
(٣) حديث الأمر بتنظيف الرواجب أحمد من حديث ابن عباس أنه قيله يارسل الله لقد أبطلت
عك جبريل قبيل ولم لا يطعى . وأنت لا تستنون ولا تملون أنفارك ولا تقصون شواربكم ولا
تنظفون رواجبكم وفيه إسماعيل بن عياش (٤) حديث التوقيت في قلم الأنف وتنف الإبط وحلق
العانة أربعين يوماً من حديث أنس (٥) حديث الأمر بتنظيف ما تحت الأنف الطبراني من
حديث وابسة بن سعيد سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن كل شيء حتى سأله عن الوسخ الذي
يكون بين الأنف فقال دع ما يريك إلى مالا يريك (٦) حديث استبطأ الوحي فحاط عليه جبريل عليه
السلام قاله كيف تنزل عليك وأنت لا تنسلون برأجكم ولا تنظفون رواجبكم ثم قبل هذا بعشرين

تتلقى من الوشم وذلك لما زاد بها كائناتنا تحت الظفر . الثامن البدن الذي يجتمع فيه جميع البدن بضع الذي في عيار الخابرق وذلك يزيله الحمام ولا بأس بدخول الحمام ، دخل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حمامات الشام وقال بعضهم فم البيت بيت الحمام يطهر البدن ويذكر الله روى ذلك عن أبي البرداء وأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنهما وقال بعضهم بشي البيت بيت الحمام سبب العورة ونسب الجارية فهذا تعرض لأفنه وذلك تعرض لقائمه ولا بأس بطباع قائمته عند الحاجة . ولكن على داخل الحمام وظائف من السلق والواجبات ، فطليه واجبان في عورته والباد في عورته غيره أما الواجبات في عورته فهو أن يصونها عن نظر الغير ويصونها عن مس الغير فلا يتساخل أمرها وإزالة زينة إلابهده . ويحجب الله ذلك من مس القصد وما بين السر إلى البانة وفي زيادة من ما ليس بسوءة لازالة الوشم . وباللكن الأفيس التحريم إذ انقلب من السوءة في التحريم بالظفر فكذلك ينبغي أن تكون شجة العورة أشكى الخدين ، والواجبان في عورة الغير أن يفض بصرة شهدها وأن ينهي عن كشفها لأن النبي عن النبي واجب وعليه ذكر ذلك وليس عليه الدليل ولا يسقط عنه وجوب الذكر إلا لحوف ضرباً أو شتم أو ما يجري عليه ما هو حرام في نفسه فليس عليه أن يشكر حراماً يرهق الشكره إلى مباشرة حراماً أحرق ما قوله اعلم أن ذلك لا يفيد ولا يعمل به فإذا لا يكون عنداً بل لا بد من الله ذكر فلا يخلو قلب عن التأثر من معان التنكر واستشعار الاحتراز عند التعبر بالخاص وذلك يؤثر في تشجيع الأمر في عينه وتغفير نفسه عنه فلا يجوز تركه ولكل هذا صار الحزم ترك دخول الحمام في هذه الأوقات إذ انخلو عن عورات مكشوفة لاسما ما عت السرة إلى ما فوق العانة إذ الناس لا يبدونها عورة وقد ألفتها السرة بالورة وجماعها كالرجم لها ولهذا يستحب تخفية الحمام وقال جبر بن الحرث ما أعنف رجلاً عاكلاً لإدرهما دفعه ليخيل له الحمام وروى ابن عمر رضي الله عنهما في الحمام ووجهه إلى الخائط وقد تعصب عينيه بصاية وقال بعضهم لا بأس بدخول الحمام ولكن يلزمن إزار العورة وإزار الرأس يتعنه به وحفظ عينيه . وأما السن فمضرة : فالأول النية وهو أن لا يدخل لما جل دنيا ولا نية لأجل هوى بل يقصده بالنظف المحبوب ترين الصلاة ثم يعطى الحمامي الأجرة قبل الدخول فإن ما يستوفيه بمجره وكذا ما ينتظره الحمامي فتسليم الأجرة قبل الدخول دفع للجاهل من أحد العوضين وتطبيب لنفسه ثم يقدم رجله اليسرى عند الدخول ويقول بسم الله الرحمن الرحيم أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث الخبيث الشيطان الرجيم ثم يدخل الخلو أو يتكف تخفية الحمام فإنه إن لم يكن في الحمام إلا أهل الدين والمحتاجين للوراث فالنظر إلى الأبدان مكشوفة فيماتية من قلة الحياء وهو مذكر للنظر في العورات ثم لا يخلو الإنسان في الحركات عن انكشاف العورات بانطفاق في أطراف الإزار فيقع البصر على العورة من حيث لا يدري ولأجله عصب ابن عمر رضي الله عنهما عينيه ، ويضل الجناحين عند الدخول ولا يسجل بدخول البيت الحار حتى يبرق في الأول وأن لا يكثر صب الماء بل يقتصر على قدر الحاجة فإنه للأذن فيه بقرينة الحال والزيادة عليه لوعنه الحمامي لكرهه لاسما للماء الحار فتمتوعة وفيه نص وأن يتذكر حر النار بخرارة الحمام ويقدر نفسه يحسوا في البيت الحار ساعة ويقبضه إلى جهنم فإنه أشبه بيت جهنم النار من تحت والظلام من فوق نموذج بالله من ذلك ، بل الماقل لا يفتل عن ذكر الآخرة في لحظة قائمته مصيره ومستقره فيكون له في كل ما يراه من ماء أنوار أو غيرها عبرة وموعظة فإن الله ينظر حسب منه فإذا دخل برزخ ونجار وبناء وحائك دار معمرة مفروشة فإذا تقدمتهم رأيت البرزخ ينظر إلى القرش تأمل قيمتها والحاكك ينظر إلى الثياب تأمل نسجها والتجار ينظر إلى السفن تأمل كيفية تركيبها

وبين ما رآه لوقت حاجته إن دعت وخضام صاحب بدنة ومنافسة في ضلالة بما ينمى على ذوى اليقين العيش ويشغل الدهن ويكدر النفس وما أهله الذين حفظ عنهم ووقع عنه فبا مضى من الإيمان اليهم لا تقول في أكرهم لهم لا يحسنون غيره ولا يقتصون بالتوحيد بتمام سواء بما هو على منه بل الظن بهم أنهم علماء مثل ما ذكرنا فهم نصراء لكم لم يروا من السلم في الظاهر إلا ما كانت الحاجة إليه أمس والصلحة به لتوجه الضرورة أنهم أوكد ولما كان نجم في وقتهم من البقع وظهر من الأهواء وشاع مسن تشبثت كل أهل الحق وبنجروا الولم مع كل ناعق قرأوا الردي عليهم والنزاعة لهم والسعي في اجتاع الكثرة على السنة بعد اقتراحها وإهلاك ذوى الكيد في احتياهم وإخمد نارهم الذين هم أهل

والبناء ينظر إلى الحيطان تأمل كآية إحكامها واستقامتها فكذلك سالك طريق الآخرة لا يرى من الأعياء شيئاً إلا ويكون له موعلة وذرى للآخرة بل لا ينظر إلى شيء إلا ويفتح الله عز وجل له طريق عبرة فإن نظر إلى سواد تذكر ظلمة اللحد وإن نظر إلى حية تذكر أفاعي جهنم وإن نظر إلى صورة قبيحة شنيعة تذكر منكراً ونكيراً والزبانية وإن سمع صوتاً هائلاً تذكر حققة الصور وإن رأى شيئاً حسناً تذكر نعم الجنة وإن سمع كلمة رد أو يقول في سوق أودار تذكر ما ينكشف من آثاره . بعد الحساب من الرد والقبول وما أجدر أن يكون هذا هو القالب على قلب العاقل إذ لا يصرفه عنه إلا مهمات الدنيا فإذا نسب مدة للقيام في الدنيا إلى مدة للقيام في الآخرة استبحرها إن لم يكن ممن أغفل قلبه وأعميت بصيرته . ومن السنن أن لا يسلم عند الدخول وإن سلم عليه لم يجب باقظ السلام بل يسكت أن أجاب غيره وإن أحب قال عفاك الله ولا بأس بأن تصافح الداخل ويقول عفاك الله لا تبدأ بالكلام . ثم لا يكثر الكلام في الحمام ولا يقرأ القرآن الأسرا ولا بأس بظهور الاستمادة من الشيطان ويكره دخول الحمام بين المشاءين وقرىبا من القروب فإن ذلك يوفت انتشار الشياطين ولا بأس بأن يدلّكه غيره فقد قيل ذلك عن يوسف بن أسباط أوصى بأن يفسله إنسان لم يكن من أصحابه وقال إنه دخل في الحمام مرة فأردت أن أكاثه بما يفرح به وإنه ليفرح بذلك ويدل على جواز ما روى بعض الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل منزلاً في بعض أسفاره فنام على بطنه وبعد أسود يميز ظهره فقلت ما هذا يا رسول الله؟ فقال إن الناقة تصحمت في (١) ثم منها فرغ من الحمام شكر الله عز وجل على هذه النعمة فقد قيل للاء الحمار في الشتاء من التسم الذي يسأل عنه وقال إن عمر رضي الله عنهما: الحمام من التسم الذي أحدثوه هذا من جهة الشرع . أمان من جهة الطب فقد قيل الحمام بعد التوراة أمان من الجذام ، وقيل التوراة في كل شهر مرة تطفي للرة الصفراء وتقي اللون وتزيد في الجماع ، وقيل بولة في الحمام قائم في الشتاء أتفع من شرية دواء ، وقيل نومة في الصيف بعد الحمام تعدل شرية دواء وغسل القدمين بماء بارد بعد الخروج من الحمام أمان من القرمص ويكره صب لاء البارد على الرأس عند الخروج وكذا شربه هذا حكم الرجال . وأما النساء فقد قال صلى الله عليه وسلم «لا يحل للرجل أن يدخل حليلته الحمام» (٢) وفي البيت المستحم وللشهور أنه حرام على الرجال دخول الحمام إلا بغير (٣) وحرام على المرأة دخول الحمام إلا قضاء أو مريض قد دخلت عائشة رضي الله عنها حماماً من سقم بها فإن دخلت لضرورة فلا تدخل إلا بغير ما يكره للرجل أن يطيها أجرة الحمام فيكون معينا لها على السكره .

(النوع الثاني فيما يحدث في البدن من الأجزاء وهي ثمانية)

الأول شعر الرأس ولا بأس بحلقه لمن أراد التنظيف ولا بأس بتركه لمن يدهنه ويرجله إلا إذا تركه قزماً أي قطعاً وهو دأب أهل الشطارة أو أرسل الدواب على هيئة أهل الترف حيث صار ذلك

(١) حديث نزل منزلاً في بعض أسفاره فنام على بطنه وبعد أسود يميز ظهره الحديث الطبراني في الأوسط من حديث عمر بن سعد ضعيف (٢) حديث لا يحل للرجل أن يدخل حليلته الحمام الحديث يأتي في الذي يليه مع اختلاف (٣) حديث حرام على الرجال دخول الحمام إلا بغير الحديث النسائي والحاكم وصححه من حديث جابر من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بغير ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام ولها حكم من حديث عائشة الحمام حرام على نساء أمي قال صحيح الاستاذ ولأبي داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر فلا يدخلها الرجال بالازار وامتنعوا النساء إلا من مريضة أو تفسد .

الأهواء والفنون الأولى

بهم من السلام يعلم

الإشارات وكشف

أحوال أرباب القامات

ووصف قبه الأرواح

والنفوس وتضم كل

ناطق وجامد فان هذه

كلها وإن كانت أسمى

وأعلى فان ذلك من

علم الخفوس وهم

مكتوبون للزينة والمنة

أحق بالحفظ وعقائد

أولى بالحراسة واستناد

من يخاف عليه الهلاك

أولى من مؤانسة وحيد

والصديق في ذي بلغة

من العيش فكيف

إن كان عن غناء أيضا

فان علم السلام إنما

يراد كما قلنا للجدال

وهو يقع من العلماء

العارفين مع أهل الأحاد

والزينة قصورهم عن

ملاحظة الحق موضع

السيف للأنياب

وللسلكن عليهم السلام

بعد التبليغ مع أهل

العدا والتمادي على

التي وسبيل الفساد

فكما لا يقال السيف

أبلغ حجة التي صلى الله

عليه وسلم كذلك

لا يقال علم السلام

والجدال أبلغ مقام من

ظهر منه من العلماء

شعرا لهم فانه اذا لم يكن شريفا كان ذلك تلبسا . الثالث شعر الشارب وقد قال صلى الله عليه وسلم
«قصوا الشارب» وفي لفظ آخر «جزوا الشوارب» وفي لفظ آخر «حقوا الشوارب وأعفوا الله» (١)
أي احصلوها خفاف الشفة أي حولها وخفاف الكلى حولها منه وترى للالكه حافين من حول العرش -
وفي لفظ آخر احفوا وهذا شعر بالانتمثال وقوله حقوا يدل على مادون ذلك قال الله عز وجل
«إن يسلكوكم فاحكمهم» أي يستصحب عسكم وأما الحاق فلم يرد والحقنا . القريب من
الحلق نقل عن الصحابة نظر بعض التابعين إلى رجل أحنى شارب فقال ذكر تني أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم . وقال للتيرة بن شعبة «نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد طال شاربه
فقال تعال قصه على سواك» (٢) ولا بأس بترك سباليه وطرفا الشارب فعل ذلك عمرو وغيره لأن
ذلك لا يستر القوم ولا يبقى فيه غير الطعام إذ لا يصل إليه وقوله صلى الله عليه وسلم أعفوا الله أي
كثروها وفي الخبر «أن اليهود ينفون شواربهم ويقصون لحامهم» (٣) غافقوهم» وكره بعض العلماء الحلق
وراء بدعة . الثالث شعر الأبط ويستحب تنفه في كل أربعين يوما مرة وذلك سهل على من تعود
تنفنه في الابتداء فأمّا من تعود الحلق فيكتفي بالحلق إذ في التنف تضييق وإيلاج المقصود النظافة وأن
لا يجمع الوسخ في خلفها ويحصل ذلك بالحلق . الرابع شعر العانة ويستحب إزالة ذلك إما بالحلق
أو بالنودة ولا ينبغي أن يتأخر عن أربعين يوما . الخامس الأظفار وتقليمها مستحب لشناعة صورتها
إنما طالت ولما يجمع فيها من الوسخ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا أبا هريرة قلم أظفارك فان
الشيطان يقعد على أطال منها» (٤) ولو كان تحت الظفر وسخ فقلع تلك حصة الوضوء لأنه لا ينع
وصول الماء ولأنه يتساهل فيه للحاجة لاسيما في أظفار الرجل وفي الأوساخ التي يجمع على البراحم
وتظهر الأرجل والأيدي من العرب وأهل السواد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرهم بالقلم
ويذكر عليهم ما يرى تحت أظفارهم من الأوساخ ولم يأمرهم بأعادة الصلاة ولو أمر به لكان فيه فائدة
أخرى وهو التغليظ والزرع عن ذلك ولم أر في الكتب خيرا مرويا في ترتيب قلم الأظفار ولكن
سمعت «أنه صلى الله عليه وسلم بدأ بمسحته اليمنى وختم بها يمامة اليمنى وأبتدأ باليسرى فاحصر إلى
الإبهام» (٥) ولما تأملت في هذا خطر لي من اللئى ما يدل على أن الرواية فيه صحيحة إذ مثل هذا اللئى
لا يكشف ابتداء إلا بنور النبوة وأما العالم ذو البصيرة فانه أن يستنبطه من القل بعد هذا الفعل إليه
فالذي لاح لي فيه والعالم عند الله سبحانه أنه لا بد من قلم أظفار اليد والرجل واليد أشرف من الرجل
فيبدأ بها ثم اليمنى أشرف من اليسرى فيبدأ بها ثم على اليمنى خمسة أصابع وليسبحه أشرفها إذ هي للشيعة

(١) حديث قصوا وفي لفظ جزوا وفي لفظ أحفوا الشوارب وأعفوا الله المعنى متفق عليه من حديث
ابن عمر بلفظ أعفوا ولمسلم من حديث أبي هريرة جزوا وأولاً محمد بن حنبل (٢) حديث للتيرة
ابن شعبة نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد طال شاربه فقال تعال قصه على سواك ذكر تني
في التامثل (٣) حديث إن اليهود ينفون شواربهم ويقصون لحامهم غافقوهم أحمد من حديث أبي أمامة
قلنا يا رسول الله إن أهل الكتاب يقصون عتائهم ويوفرون سيالهم فقال قصوا سيالكم وفروا عتائكم
وخالفوا أهل الكتاب قلت والشهور أن هذا أفضل للجوس في صحيح ابن حبان من حديث ابن عمر في الجوس
اتهم يوفرون سيالهم ويعقون لحامهم غافقوهم (٤) حديث جابر قصوا أظفاركم فان الشيطان يقعد على
أطال منها الخطيب في الجامع بساند ضعيف من حديث جابر قصوا أظفاركم فان الشيطان يعمرى
ما بين اللحم والظفر (٥) حديث البداة في قلم الأظفار مسحها اليمنى واليمنى بأمرها وفي اليسرى
بالخمس إلى الإبهام لم أجده أصلا وقد أنكره أبو عبد الله اللزري في الرد على الفزالي وشنع عليه به .

وكما لا يزال في الصدر
الأول قتها، الأمصار
ومن قبلهم حين لم يحفظ
عنهم في الغالب إلا عوام
آخر كالفقه والحديث
والفقه لأن الخلق
أحوج إلى علم ما حفظ
عنهم وذلك لتلبية
الجهل على أكثرهم
فلا أن حفظ الله
تعالى تلك العلوم بمن
ذكرنا جهلت العبارات
واقطع علم الشرع
ونحن مع هذه الحالة
نعم أنهم عارفون
بالتوحيد على جهة
اليقين بغير طرق علم
الكلام والجدل
يتحلون بالمقامات
للكورة وإن لم يشتهر
عنهم ذلك اشتهر
ما أخذ عنهم الخاص
والعام ومثل ذلك حالة
الصعابة رضى الله
عنهم بعد النبي صلى الله
عليه وسلم لما خافوا
دروس الإسلام وأن
يضف وقيل أهله
ورجع البلاد والعمامة
إلى الكفر كما كانوا
أول مرة قد مات
صاحب المعزة صلى الله
عليه وسلم والبعوث
لدعوة الحق عليه

في كل الشهادة من جهة الأصابع ثم بعدها ينبغي أن يتدبر بما على يمينها إذ الشرع يستحب إدارة
الظهور وغيره على اليمين وإن وضعت ظهر الكف على الأرض فالأصابع هو اليمين وإن وضعت بطن
الكف فالوسطى هي اليمين واليد إذا تركزت بطبعها كان الكف مائلا إلى جهة الأرض إذ جهة حركة
اليمين إلى اليسار واستقامت الحركة إلى اليسار يعمل ظهر الكف عاليا لا يتفضيه الطبع أولى ثم إذا وضعت
الكف على الكف صارت الأصابع في حكم حلقة دائرية فيقتضي ترتيب الدور الذهاب عن يمين
السبحة إلى أن يعود إلى السبحة قطع البداة بخمسة اليسرى والخمسة يمينها ويرقى بها إلى الوسط فيختم
به التعليل وإنما قدرت الكف موضوعا على الكف حتى قصير الأصابع كأشخاص في حلقة ليظهر
ترتيبها وتهدير ذلك أولى من تهدير موضع الكف على ظهر الكف أو وضع ظهر الكف على ظهر الكف
فإن ذلك لا يتفضيه الطبع . وأما أصابع الرجل فالأولى عندي إن لم يثبت فيها غل أن يبدأ بخمسة
اليمنى ويختم بخمسة اليسرى كما في التخليل فإن للماني التي ذكرناها في اليد لاتباعه هنا إذ لا سبحة
في الرجل وهذه الأصابع في حكم صف واحد ثابت على الأرض فيبدأ من جانب اليمن فإن تهديرها
حلقة بوضع الأخصى على الأخصى يأباه الطبع بخلاف اليدين وهذه المانتي في الترتيب تتكشف
بنور النبوة في لحظة واحدة وإنما يطول التبع علينا ثم لو سلمنا ابتداء عن الترتيب في ذلك ربما
لم يخطر لنا وإذا ذكرنا أنه صلى الله عليه وسلم وترتيبه ربما تسرنا بما عايناه صلى الله عليه وسلم شهادة
الحكم وتنبه على الفنى استبطاط الفنى ولا تظن أن أماله عليه السلام في جميع حركاته كانت خارجة عن
وزن وقانون وترتيب بل جميع الأمور الاختيارية التي ذكرناها يتردد فيها الفاعل بين قسمين أو أقسام
كان لا يقسم على واحد معين بالاتفاق بل بمعنى يقتضى الاقدام والتقدم فإن الاستمرار مهيلا كما يتفق
سجية اليدين وضبط الحركات بموازين للماني سجية أولياء الله تعالى ، وكلما كانت حركات الإنسان
وخطراته إلى الضبط أقرب وعن الإهمال وتركه سدى أبعد كانت مرتبته إلى رتبة الأنبياء وأولياء
أكثر وكان قربهم من الله عز وجل أظهر إذا القريب من النبي صلى الله عليه وسلم هو القريب من الله
عز وجل والقريب من الله لا بد أن يكون قريبا فالقريب من القريب قريب بالإضافة إلى غيره فتعوز بالله
أن يكون زمام حركاته وسكناته في يد الشيطان بواسطة الهوى واعتبر في ضبط الحركات باكتفائه
صلى الله عليه وسلم « فإنه كان يكتحل في عينه اليمنى ثلاثا وفي اليسرى اثنين ^(١) » فيبدأ باليمنى لشرفها وتفاوته
بين اليمنى لتكون الجملة وترا فإن للوتر فضلا عن الزوج فإن التمسك به وتر عب الوتر فلا ينبغي أن
يغادر فصل اليد من مناسبة لوصف من أوصاف الله تعالى ولذلك استحب الإتيان بالاستجمار زائعا لم
يقتصر على الثلاث وهو وتر لأن اليسرى لا يخصها إلا واحدة والغالب أن الواحدة لا تستوعب أصول
الأجفان بالكحل وإنما يخص اليمنى بالثلاث لأن التفضيل لا بد منه للإتقان واليمين أفضل فهي ذات زيادة
أحق . فإن قلت فلم اقتصر على اثنين اليسرى وهي زوج فالجواب أن ذلك ضرورة أدخلو جعل لكل
واحدة وترا كان المجموع زوجا إدخال وتر مع الوتر زوج ورعايته الإتيان في مجموع القتل وهو في حكم
الحصلة الواحدة أحب من رعايته في الأحاديث وقلنا أيضا وجه وهو أن يكتحل في كل واحدة ثلاثا
على قياس الموضوع ^(٢) وقد قل ذلك في الصحيح وهو الأولى ولو نعتت استقصى دقائق ما راعاه صلى
الله عليه وسلم في حركاته لطال الأمر قص بما سمعته ما لم تسمعه . واعلم أن العالم لا يكون وارثا لنبي

(١) حديث كان يكتحل في عينه اليمنى ثلاثا وفي اليسرى اثنين الطبراني من حديث ابن عمر بإسناد
ضعيف (٢) حديث الاكتحال في كل عين ثلاثا قال الترمذى ونقل ذلك في الصحيح قلت هو عند
الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عباس قال الترمذى حدث حسن .

صلى الله عليه وسلم إذا أخطأ على جميع مائة الدرجة حتى لا يكون منه وبين الذي صلى الله عليه وسلم لإحدى درجة واحدة وهي درجة التوبة وهي الدرجة الفارقين الوارث للورث وإدلاوروث هو الذي حصل للمال واشتغل بتحصيه واقتدر عليه والوارث هو الذي لم يحصل ولم يقدر عليه ولكن انتقل إليه وتقامت به مدحه له فأما هذا المانع مع سهولة أمرها فلاضافة إلى الأغوار والأسرار لا يستل بدرها ابتداء إلا الأنبياء ولا يستل باستباطها تلقيا بعد تنبيه الأنبياء عليها إلا العلماء الذين هم وروثة الأنبياء عليهم السلام . السادس والسابع زيادة السرة وقلة الحشفة أما السرة فتقطع في أول الولادة وأما التطهير بالحنان فعادة اليهود في اليوم السابع من الولادة ومخالفهم بالتأخير إلى أن يشر الوالد أحب وأبعد عن الخطر قال **عليه السلام** « الحنان سنة للرجال ومكرمة للنساء ^(١) » وينبغي أن لا يبالغ في خفض المرأة قال صلى الله عليه وسلم لم عطية وكانت تخفض « يا أم عطية أسمى ولاتنكي فانه أسرى للوجه وأحظى عند الزوج ^(٢) » أي أكثر له الوجه ووجه وأحسن في جماعها فانظر إلى جزالة لفظه صلى الله عليه وسلم في الكناية وإلى إشراق نور النبوة من مصالح الآخرة التي أهم مقاصد النبوة إلى مصالح الدنيا حتى انكشف له وهو أمي من هذا الأمر النازل بقدره والوقت الفطرية عن تخفيف ضرره فسيحان من أسلمهم رحمة للملأين ليجمع لهم يعين يشته مصالح الدنيا والدين صلى الله عليه وسلم . الثامنة أطال من اللحية وإنما أخرناها لتلحق بها مافي اللحية من السنو البعد إذ هذا أقرب موضع يليق به ذكرها وقد اختلفوا فيما طال منها قليل إن قبض الرجل على لحته وأخذ ماضل عن القبضة فلا بأس قد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبي وابن سيرين وكرهه الحسن وقادة وقالوا تركها عافية أحب لقوله صلى الله عليه وسلم « أعفوا الأحيى » والأمر في هذا قريب إن لم يفته إلى نقصان اللحية وتدويرها من الجوانب فإن الطول المفرط قد يشوه الحلقة ويطلق ألسنة الفتيان بالنبذ إلى فلا بأس بالاحتراز عنه على هذه النية . وقال النخعي عجت لرجل عاقل طويل اللحية كيف لا يأخذ من لحته ويعملها بين لحيين فإن التوسط في كل شيء حسن ، ولذلك قيل كالمطال اللحية تشمر العقل .

(فصل) وفي اللحية عشر خصال مكروهة وبضها أشد كراهة من بعض ، خضابها بالسواد وتبييضها بالكبريت وتنفها وتنف الشيب منها والتقصان منها والزيادة وتسرعها فصنا لأجل الرياء وتركها شمة إظهارا للزهد والنظر إلى سوادها عجا بالشباب وإلى ياضها تكبرا بعوا السن وخضابها بالحناء والصفرة من غير نية تشبها بالصالحين . أما الأول وهو الخضاب بالسواد فهو منهي عنه لقوله صلى الله عليه وسلم « خير شبابكم من تشبه بشيوخكم وشر شيوخكم من تشبه بشبابكم ^(٣) » والمراد بالتشبه بالشيوخ في الوقار لافي تبييض الشعر و « نهى عن الخضاب بالسواد ^(٤) » وقال « هو خضاب أهل النار ^(٥) » وفي لفظ آخر « الخضاب بالسواد خضاب الكفار

(١) حديث إحتان سنة الرجال مكربة النساء أحمد والبيهقي من رواية أبي الليث عن أسامة عن أبيه بإسناد ضعيف (٢) حديث أم عطية أسمى ولا تنكي الحديث الحاكم والبيهقي من حديث الضحاك بن قيس ولأبي داود نحوه من حديث أم عطية وكلاهما ضعيف (٣) حديث خير شبابكم من تشبه بشيوخكم الحديث الطبراني من حديث وثالة بإسناد ضعيف (٤) حديث نهى عن الخضاب بالسواد ابن سعد في الطبقات من حديث عمرو بن العاص بإسناد متقطع ، ولمسلم من حديث جابر وغيره وهذا جهل واجتنبوا السواد قاله حين رأى ياض شعر أبي عاتقة (٥) حديث الخضاب بالسواد خضاب أهل النار ، وفي لفظ خضاب الكفار الطبراني والحاكم من حديث ابن عمر بلفظ الكافر قال ابن أبي حاتم منكر .

الصلاة والاعمال وأما أن الجهاد والرباط في ثمر الصلوات والوقوف سبيل الله وضرب وجوه الكفار بالسيف وإدخال الناس في دين الله أولى بهم من سائر الأعمال وأحق من تدريس العالم كلها ظاهرا وباطنا وإنما كانت تؤخذ عنهم علوم الشرع على الأئمة وفي حال ذلك الشغل والنظر إلى حال العموم أو صكد من النظر إلى الخصوص لأن الخصوص لهم بأنفسهم عنه ولهم بحالهم قيام والعموم إن لم يكن مشتغلا بهم وإذا بداهم عن هلكاتهم وساقوا بهم إلى مراضهم وصالحهم كان الهلاك إليهم أسرع ثم لا يكون من بعد ذلك إن فسد حال العموم للخصوص قدر ولا يظهر لهم نور ولا يقدرون على شيء كذل من البر فلاحامة إلا بامة ولقد كانت رعاية النبي صلى الله عليه وسلم حال الجماهير أكثر والخوف عليهم من الزحف والضلال

والهلاك أشد الألف
 بهم في تحيف الوظائف
 والأخذ بالرفق أبلغ
 وكان أهل القوة ودوا
 الصائر في الحقائق
 يأخذون أنفسهم
 بالمشقات وكان هو
 صلى الله عليه وسلم
 يحب أن يعمل بالعمل
 من الطاعة فيما عنده
 منه أومن اللادومة
 عليه إلا خوف أن
 يفرض على أمته حين
 علم من أكثرهم
 النصف ولم يكره لهم
 وفيه زيادة الأجر
 وكثرة الثواب والقرب
 من الله تعالى ولكن
 خاف عليهم أن يبعوا
 في تشيع الفرض
 فيكون عليهم كفل
 من الورد الأثري كيف
 نهي الخلق عن قيام
 الليل كله وكان عيان
 رضى الله عنه يقومه
 فلم يهتد ومنع السيف
 من كل من أراد أخذه
 بما شرط عليه فيه
 حتى جاء من علم منه
 القدرة على الوفاء بما
 شرط عليه فأعطاه
 إياه وقال لعائشة
 رضى الله عنها لولا
 حدثان عهد قومك

وتزوج رجل على عهد عمر رضى الله عنه وكان يحسب بالسواد فتسل خنياه وظهرت شيعة فرضه
 أهل المرأة إلى عمر رضى الله عنه فرد نكاحه وأوجه ضربا وقال غررت القوم بالشباب ولست عليهم
 شيئا وقال أول من خضب بالسواد فرعون لعنه الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله
 عليه وسلم أنه قال « يكون في آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد كحواصل الجمال لا يرعون راحمنا الجنة (١) »
 الثاني الخضاب بالصفرة والحمره وهو جائز تليسا للشيب على الكفار في القزو والجهاد فأن لم يكن على
 همنانية بل لقتله بأهل الدين فهو مذموم وقد قال رسول الله ﷺ « الصفرة خضاب للمسلمين
 والحمره خضاب للمؤمنين (٢) » وكانوا يخضبون بالحناء الحمره وبالحناء والسكنج بالصفرة وخضب بعض
 العلماء بالسواد لأجل القزو وذلك لأبأس به إذا صحت النية ولم يكن فيه هوى وشهوة . الثالث
 تبييضها بالكبريت استجمالا لإظهار علو السن توصلا إلى التوقير وقبول الشهادة والتصديق بالرواية
 عن الشيوخ وترضا عن الشباب وإظهارا لكثرة العلم قلنا بأن كثرة الأيام تطويه فضلا وهيات فلا
 يزيد كبر السن للجاهل إلا جهلا فالعلم غرة العقل وهى غريزة ولا يؤثر الشيب فيها ومن كانت غريزته
 الحق فطول اللذة يؤكد صحاقه وقد كان الشيوخ يقدمون الشباب بالعلم كان عمر بن الخطاب رضى
 الله عنه يقدم ابن عباس وهو حديث السن على أكابر الصحابة ويسأله دونهم وقال ابن عباس
 رضى الله عنهما : ما آتى الله عز وجل عبدا علما إلا شابا والحبر كله في الشباب ثم تلا قوله عز وجل -
 قالوا سمعنا فما يذكرهم يقال له إبراهيم - وقوله تعالى - إنهم فيه آمنوا برهم وزدناهم هدى -
 وقوله تعالى - وآتيناه الحكم صبيا - وكان أنس رضى الله عنه يقول « قبض رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة يضاء قليل له يا أبا حمزة قد أسن فقال لم يشته
 الله بالشيب قليل أو مشين فقال كلكت يكرهه (٣) » وقال ابن عبي بن أكرم ولي القضاء وهو ابن
 إحدى وعشرين سنة فقال له رجل في مجلسه يريد أن يحمله بفرض سنة كم سن القاضي أبده الله
 فقال مثل سن عتاب بن أسيد حين ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إمارة مكة وقضاءها فأفحمة (٤)
 وروى عن مالك رحمه الله أنه قال قرأت في بعض الكتب لا تترنمك الهى فان التيس له لجة
 وقال أبو عمرو بن العلاء إذا رأيت الرجل طويل القامة صغير الحامة عريض اللحية فاقض عليه
 بالحق ولو كان أمة بن عبد شمس وقال أيوب السخيتي أدرت الشيخ ابن ثمانين سنة يتبع

(١) حديث يكون في آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد الحديث أبو داود والنسائي من حديث ابن
 عباس بإسناد جيد (٢) حديث الصفرة خضاب للمسلمين والحمره خضاب للمؤمنين الطبراني والحاكم
 بقظ الأفراد من حديث ابن عمر قال ابن أبي حاتم منكر (٣) حديث قبض رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة يضاء قليل له يا أبا حمزة وقد أسن فقال لم يشته الله
 بالشيب متفق عليه من حديث أنس دون قوله قليل الخ وسلم من حديثه وسئل عن شيب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال ما شأنه الله يبيضاء (٤) حديث عبي بن أكرم ولي القضاء وهو ابن إحدى
 وعشرين سنة فقيل له كم سن القاضي فقال مثل سن عتاب بن أسيد حين ولاه رسول الله صلى الله
 عليه وسلم إمارة مكة وقضاءها يوم الفتح وأنا أكبر من معاذ بن جبل حين وجهه رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قاضيا لاهل اليمن . الحطيط في التاريخ بإسناديه نظر وما ذكره ابن أكرم صحيح بالنسبة
 إلى عتاب بن أسيد فانه كان حين الولاية ابن عشرين سنة وأما بالنسبة إلى معاذ فأنما يتم له ذلك على
 قول عبي بن سعيد الأنصاري ومالك وابن أبي حاتم إنه كان حين مات ابن ثمان وعشرين سنة والرجح
 أن مات ابن ثلاث وثلاثين سنة في الطاعون سنة ثمانية عشر وألفه أعلم .

السلام يعلم منه . وقال علي بن الحسين من سبق فيه العالم قبلك فهو إمامك فيه وإن كان أصغر منك ، وقيل لأبي عمرو بن الملاء أحسن من الشيخ أن تعلم من الصغير فقال إن كان الجهل يبعث به فالتعلم يحسن به وقال يحيى بن معين لأحمد بن حنبل وقد رآه يحيى خلف بقعة الشامي يا أبا عبد الله تركت حديث سفيان يماؤه وتحتى خلف بقعة هذا التقى وتسمع منه فقال له أحمد لو عرفت كنت غنى من الجانيب الآخر إن علم سفيان إن غنى يماؤه أدركته بزولوا إن عقل هذا الشاب إن فاقته لم أدركه يماؤه ولا نزول . الرابع تنف يياضها استكشافا من الشيب ٥ وقد نهي عليه السلام عن تنف الشيب وقال هو نور المؤمن (١) وهو في معنى الحضاب بالسواد وعلة الكراهية مابق والشيب نور الله تعالى والرغبة عمرغبة عن النور . الخامس تنفها أوتف بضها يحكم العيب والحوس وذلك مكروه ومشوه للخلفة وتنف الصبيكين بدعة وهما جانيا النفقة . شهد عند عمر بن عبد العزيز رجل كان ينتف فيكيه فرد شهادته ورد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابن أبي ليلى قاضي المدينة شهادة من كان ينتف لحية وأما تنفها في أول النبات تشبها بالمرء للفسكرات الكبار فان اللحية زينة الرجال فان تشبه بجانها ملائكة يسمون والذي زين بني آدم بالحي وهو من عام الخلق وبها تميز الرجال عن النساء وقيل في غريب التأويل اللحية هي المراد بقوله تعالى - يزيد في الخلق ما يشاء - قال أصحاب الأحنف بن قيس ودنا أن نشترى للأحف لحية ولو بعشرين ألفا وقال شريح القاضي وددت أن لي لحية ولو بشرة آلاف وكيف تسكره اللحية وفيها تعظيم الرجل والنظر إليه بين العلم والوقار والرفق في المجالس وإقبال الوجوه إليه والتدبير على الجماعة ووقاية العرض فان من يشتم يمرض باللعية إن كان للمشتوم لحية وقد قيل إن أهل الجنة مرد إلا هرون أبا موسى صلى الله عليه وسلم فان له لحية إلى سترته تخصصا إليه وتفضيلا . السادس تنفصها كالتعبية طاقة على طاقة لزين للنساء والتصنع قال كعب يكون في آخر الزمان أقوام يقصون لحام كذنب الحمامة ويرقبون ناهما كالمناجل أولئك لأخلاق لهم . السابع الزيادة فيها وهو أن يزيد في شعر العارضين من الصدين وهو من شعر الرأس حتى يجاوز عظم الحى وينتهي إلى نصف الحد وذلك يابن هيئة أهل السلاح . الثامن تسريحها لأجل الناس قال بشر في اللحية شر كان تسريحها لأجل الناس وتركها مفتتلة لأظهار الزهد . التاسع والعاشر النظر في سوادها وفي يياضها بين العجب وذلك ممنوم في جميع أجزاء البدن بل في جميع الأخلاق والأفعال على ما سيأتي بيانه فهذا ما أردنا أن نذكره من أنواع الزين والنظافة وقد حصل من ثلاثة أحاديث من سنن الجسد اثنتا عشرة خصلة خمس منها في الرأس وهى فرق شعر الرأس (٢) والضمضة والاستنشاق (٣) وقص الشارب والسواك وثلاثة في اليد والرجل وهى القلم

(١) حديث نهي عن تنف الشيب وقال هو نور المؤمن دت وحسنه ن من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٢) حديث فرق شعر الرأس اخ من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسدل شعره إلى أن قال ثم فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه (٣) حديث عثر من القطرة الحديث مسلم من حديث عائشة ولقظه قص الشارب وإغفاء اللحية والسواك واستنشاقه الماء وقص الأنف وغسل البراجم وتنف الإبط وحلق العانة وانتقاص الماء قال وكعب يعني الاستنجاء قال مصعب ونسيت العاشرة إلا أن تكون الضمضة فنهت ولأبي د من حديث عمار بن ياسر نحوه فذكر فيه للضمضة والاختان والانتضاح ولم يذكر إغفاء اللحية وانتقاص الماء قاله روى نحوه عن ابن عباس قال خمس كلها في الرأس وذكر منها الفرق ولم يذكر إغفاء اللحية وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة القطرة خمس الختان الحديث .

بالكفر لرددت البيت على قواعد إبراهيم وقال للأشجار أماترون أن يذهب النار بالشاء والبرص فتذهبون رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رحالكم ومع ذلك فأنى حفظ عنه صلى الله عليه وسلم وعن الصحابيين بعده وبقاء الأمصار وأعيان التكلمين من الاشارات تلك العلوم للذكورة مكتبر لا يحصى وإنما القليل من جملة اليوم عنهم وفتحه مثلهم فاصد تحم وقصد لا تلبس للعارف تعلم وطالع كتب الحديث والتواريخ ومصنفات العلوم توفى ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب .

[بيان للربة الرابعة]

وهو توحيد الصديق وأما أهمل للربة الرابعة فهم قوم رأوا الله سبحانه وتعالى وحده ثم رأوا الأشياء بعد ذلك به فلم يروا في الدارين غيره ولا اطلموا في الوجود

على سواه قد كان يان
شاربات الصحابة رضى
الله عنهم أجمعين فيها
نصوا من العرفة في
هجير لهم فكان هجير
أبى بكر الصديق رضى
الله عنه : لا إله إلا الله
وكان هجير عمر رضى
الله عنه : الله أكبر وكان
هجير عثمان رضى الله
عنه : سبحان الله وكان
هجير علي رضى الله
عنه : الحمد لله فاستقرى
السابقون من ذلك
أن أبى بكر لم يشهد في
الدارين غير أقسبحانه
وقملى فلذا كان
الصديق ومى به كما
علمت وكان يقول
لا إله إلا الله وكان عمر
يرى مادون الله صغيرا
مع الله في جنب عظمه
فيقول الله أكبر وكار
عثمان لا يرى التنزه
إلا لله تعالى إذ السكل
قائم به غير معرى من
الانفصال والقائم بغيره
مملول فكان يقول
سبحان الله وعلى
لا يرى نعمة في الصفح
والرفع والطعام والنعم
في الكسوة والمهروب
إلا من الله سبحانه
فكان يقول الحمد لله

وغسل البراجم وتنظيف الرواجب^(١) وأربعة في الجسد وهي تنف الايط والاستجداد والحنان والاستنجاء بالماء قد وردت الأخبار بجمع ذلك وإذا كان غرض هذا الكتاب الترضي للظاهرة والباطنة فلنقتصر على هذا وليتحقق أن فضلات الباطن وأوساخه التي يجب التنظيف منها أكثر من أن تحصى وسيأتي تفصيلها في ربع للهسكات مع تعرف الطرق في إزالتها وتطهير القلب منها إن شاء الله عز وجل . تم كتاب أسرار الطهارة بحمد الله تعالى وعونه . ويتاوه إن شاء الله تعالى كتاب أسرار الصلاة والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى .

(كتاب أسرار الصلاة ومهماتا)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي غمر البعاد بطافه وعمر قلوبهم بأنوار الدين ووظائفه التي تنزل عن عرش الجلال إلى الساء الدنيا من درجات الرحمة إحدى عواطفه فارق اللوكنع التفرد بالجلال والكبرياء بترغب الخلق في السؤال والنداء فقال هل من داع فاستجب له وهل من مستنفر فأغفر له وبأن السلاطين بفتح الباب ورفع الحجاب فرخص للعباد في النجاة بالصوات كيفما تقلبت بهم الحلات في الجماعات والخلوات ولم يقتصر على الرخصة بل تطفف بالترغب والدعوة وغيره من صفاء اللوكنع لا يسمع بالخلوة إلا بمدتقديم الهدية والرشوة فسبحانه ما أعظم شأنه وأقوى سلطانه وأتم لطفه وأعم إحسانه والصلاة على محمد نبيه الصطفى وولي المجتبى وعلى آله وأصحابه مغنايع الهدى ومصايح الدجى وسلم تسلياً . أما بعد : فان الصلاة عماد الدين وعصام اليقين ورأس القربات ووفرة الطاعات وقد استصينا في فن القفه في بسط للذهب ووسيطه وجيزاً أصولها وفروعها صار في جماع العناية إلى تماريها النادره ووقايتها الشائنة تكون خزانة لفق منها يستمد ومعولاً إلى بابها فزوع ويرجع ونحن الآن في هذا الكتاب تقتصر على ما لا بد للمريد منه من أعمالها الظاهرة وأسرارها الباطنة وكاشفون من دقائق معانيها الحفية في معاني الخشوع والاحلاص والنية ما لم تجر الصلاة بد كره في فن القفه، ومربون الكتاب على سبعة أبواب . الباب الأول : في فضائل الصلاة . الباب الثاني : في فضائل الأعمال الظاهرة من الصلاة . الباب الثالث : فضائل الأعمال الباطنة منها . الباب الرابع : في الإمامة والقدوة . الباب الخامس : في صلاة الجمعة وآدابها . الباب السادس : في مسائل متفرقة تم بها البلوى يحتاج المريد إلى معرفتها . الباب السابع : في التطوعات وغيرها . (الباب الأول : في فضائل الصلاة والسجود والجماعة والأذان وغيرها)

(فضيلة الأذان)

قال صلى الله عليه وسلم « ثلاثة يوم القيامة على كتيب من مسك أسود لا يهولهم حساب ولا يبالغهم فزع حق يفرغ ما بين الناس رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل وأتم يقوم وهو به راضون ورجل أذن في مسجودنا إلى الله عز وجل ابتغاء وجه الله عز وجل ابتلى بالرزق في الدنيا فبشبهه ذلك عمل الآخرة^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا يسمع نداء المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة^(٣) »

(١) حديث تنظيف الرواجب شمس .

(باب أسرار الصلاة)

(٢) حديث ثلاثة يوم القيامة على كتيب من مسك الحديث ت وحسنه من حديث ابن عمر غنصرا وهو في الصغير للطبراني بنحو مما ذكره المؤلف (٣) حديث لا يجمع صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة بخ من حديث أبي سعيد .

ويقال صلى الله عليه وسلم «يد الرحمن على رأس المؤمن حتى يفرغ من أذانه»^(١) وقيل في تفسير قوله عز وجل - ومن أحسن قولاً ممن يتألى الله وعمل صالحاً - زلتني للؤذين وقال صلى الله عليه وسلم «إذا سمعت النداء يقولوا مثل ما يقول المؤمن»^(٢) وذلك مستحب لإني الجماعتين فإنه يقول فيها لا حول ولا قوة إلا بالله في قوله تدهات الصلاة أقامها الله وأدامها وأدامت السموات والأرض وفي الشوب صدقت وبررت ونصحت وعند الفراعنة قول الله عز وجل «يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً»^(٣) والدرجة الرفيعة وإيتمه القام المحمود الذي وعدته إنك لا تخلف اليعاد. وقال سعيد بن المسيب من صلى بأرض فلا صلى عن عينه ملك وعن شماله ملك فان أذن وأقام صلى وراءه أمثال الجبال من الملائكة.

(فضيلة المكتوبة)

قال الله تعالى - إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً - وقال عليه السلام «خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيئاً استخفافا بحضن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة»^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم «من أتى بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة»^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم «من أتى الصلوات الخمس ككل نهر عدب غمر يباب أحدهم يفتح فيه كل يوم خمس مرات فأتون ذلك سبق من درنه قالوا لا شيء»^(٦) قال صلى الله عليه وسلم «فإن الصلوات الخمس تنصب الذنوب كما يذهب الماء العذر»^(٧) وقال صلى الله عليه وسلم «إن الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنب الكبائر»^(٨) وقال عليه السلام «بيننا وبين المؤمنين اثنا عشر عهد الشمة والصبر لا يستطيعونها»^(٩) وقال صلى الله عليه وسلم «من لم يأت الله وهو مضيق للصلاة لم يأت الله شيء»^(١٠) من حسنته»^(١١) وقال صلى الله عليه وسلم «الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين»^(١٢) وسئل عليه السلام «أى الأعمال أفضل قال الصلاة»^(١٣) وقال صلى الله عليه وسلم «من حافظ على الخمس لم يكال طهورها ومواقبها كانت له نوراً وريحاناً يوم القيامة ومن ضيعها حشره مفرعون وهامان»^(١٤) وقال صلى الله عليه وسلم «مفتاح الجنة الصلاة»^(١٥) وقال «ما اقترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب إليه من الصلاة ولو كان شيء أحب إليه منها لتعبد به ملائكته فنهزها ركع ومنهم ما جردوا منها قائم وقاعد»^(١٦)

(١) حديث يدل الرحمن على رأس المؤمن حتى يفرغ من أذانه الطبراني في الأوسط والحسن بن سعيد في مسنده من حديث أنس باسناد ضعيف (٢) حديث إذا سمعت النداء يقولوا مثل ما يقول المؤمن متفق عليه من حديث أبي سعيد (٣) حديث خمس صلوات كتبهن الله على العباد الحديث ذكره ح من حديث عبادة بن الصامت ومحمد بن عبد البر (٤) حديث مثل خمس صلوات كمثل نهر الحديث مسلم من حديث جابر ولما نحوه من حديث أبي هريرة (٥) حديث الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنب الكبائر من حديث أبي هريرة (٦) حديث بيننا وبين المؤمنين اثنا عشر عهد الشمة والصبر مالك من رواية سعيد بن المسيب مرسلاً (٧) حديث من لم يأت الله مضيقاً للصلاة لم يأت الله شيء من حسنته وفي معناه حديث أول ما يحاسب به العبد الصلاة وفيه فإن فسد فسد سائر عمله رواه طبر في الأوسط من حديث أنس (٨) حديث الصلاة عماد الدين البيهقي في الشعب بسند ضعه من حديث عمر قال لا عزمة لم يسمع من عمر قال رواه ابن عمر ولم يقف عليه ابن الصلاح فقال في مشكل الوسيط إنه غير معروف (٩) حديث سئل أى الأعمال أفضل قال الصلاة لمواقبها متفق عليه من حديث ابن مسعود (١٠) حديث من حافظ على الخمس لم يكال طهورها ومواقبها كانت له نوراً وريحاناً الحديث أحمد ح من حديث عبد الله بن عمرو (١١) حديث مفاتيح الجنة الصلاة د الطيالسي من حديث جابر وهو عند الترمذي ولكن ليس داخلاً في الرواية (١٢) حديث ما اقترض الله على خلقه بعد التوحيد شيئاً أحب إليه من الصلاة الحديث لم أجده هكذا وآخر الحديث عند الطبراني من حديث جابر وعند الحاكم من حديث ابن عمر .

وأهل هذه الرتبة على الجفة في حال خدوصهم فيها صفان مريدون ومرادون فالمريدون في الغالب لا يد لهم من أن يحلوا في المرتبة الثالثة وهي توحيد القرنين ومنها ينتقلون وعليهم يرون إلى المرتبة الرابعة ويتمكنون فيها ومن أهل هذا المقام يكون القطب والأوتاد والبداية ومن أهل المرتبة الثالثة يكون النقباء والنجباء والقهضاء والصالون بالله أعلم . فإن قلت ليس الوجود مشتركاً بين الحادث والقديم والمألوه والآله ثم معلوم أن الآله واحد . والحوادث كثيرة فكيف يرى صاحب هذه للرتبة الأشياء شيئاً واحداً ذلك على طريق قلب الأعيان فعود الحوادث قديمة ثم تتحدث بالواحد فتترجم هي وفي هذا من الاستحالة والروق عن مصدر العقل ما ينبغي عن إطالة القول فيه وإن كان على طريق

التخيل للولى لما لا حقيقة له فكيف يخرج به أو كيف يمد حالا لولى أو فضيلة لبشر ؟ . الجواب عن ذلك أن الحوادث لم تنقلب إلى القدم ولم تتحد بالفاضل ولا اعتزى للولى تخيل فضيل ما لا حقيقة له وإنما هو لى مجنى وصديق مرتضى خسه الله تعالى بمفرقه على سبيل التيقن والكشف التام وكشف قلبه مالورة يضره عيانا ما ازداد للإيقنا وإن أنكرت أن يكون وهب الله للعرفة به على هذا السبيل أحدا من خلقه فما أعلم مصيبتك وما أعظم العزاء فيك حين فقت الحلق بمبارك وكثر عبيكائك وفضلت نفسك على الجميع إذ لا سبب لانكارك إن صح إلا أنك تخيلت أنه لم يرق أحدا مالم ترزق أو يخص من للعرفة مالم يخص فاذا تخررت هذه القاعدة صار ما كشف قلبه

وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من ترك صلاة متعمدا فقد كفر ^(١) » أى قارب أن يتخلف عن الإتيان بأعمال عروته وسقوط عماده كما يقال لمن قارب البلدة إنه يلتمها ودخلها وقال صلى الله عليه وسلم « من ترك صلاة متعمدا فقد بصرى من ذمة محمد عليه السلام ^(٢) » وقال أبو هريرة رضى الله عنه : من توتأ فأحسن وضوءه ثم خرج عامدا إلى الصلاة فاته في صلاة ما كان يعد إلى الصلاة وأنه يكتب له بإحدى خطوبته حسنة ونجى عنه بالأخرى سيئة فاذا جمع أحدهم الإقامة فلا ينبغي له أن يتأخر فإن أعظمكم أجرا أبدمكم دارا قالوا لم يا بَاهِريرة ؟ قال من أجل كثرة الخطأ . وروى « إن أول ما ينظر فيه من عمل العبد يوم القيامة الصلاة ^(٣) » فإن وجدت تامة قبلت منه وسائر عمله وإن وجدت ناقصة ردت عليه وسائر عمله وقال صلى الله عليه وسلم « يا بَاهِريرة مر أهلك بالصلاة فإن الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحسب ^(٤) » وقال بعض العلماء مثل السلى مثل التاجر الذى لا يحسب له الربح حتى يغسل له رأس المال وكذلك للسلى لا تقبل له نافعة حتى يؤدى الفريضة وكان أبو بكر رضى الله عنه يقول إذا حضرت الصلاة قوموا إلى ناركم التى أوقدتوها فاطفئوها .
(فضيلة إتمام الأركان)

قال صلى الله عليه وسلم « مثل الصلاة للكتابة كمثل لليزان من أوفى استوفى ^(٥) » وقال يزيد الرقاشى « كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية كأنها موزونة ^(٦) » وقال ^(٧) « إن الرجلين من أمق ليقومان إلى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وإن ما بين صلاتهما ما بين السماء والأرض ^(٨) » وأشار إلى الحشوع وقال صلى الله عليه وسلم « لا ينظر الله يوم القيامة إلى العبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده ^(٩) » وقال صلى الله عليه وسلم « أما يخاف الذى يحول وجهه في الصلاة أن يحول الله وجهه وجه حمار ^(١٠) » وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر البزار من حديث أبى الشرداء بإسناد فيه مقال .
(٢) حديث من ترك صلاة متعمدا فقد تبرأ من ذمة محمد صلى الله عليه وسلم حم قن من حديث أم أيمن بنحوه ورجاله ثقات (٣) حديث أول ما ينظر الله فيه يوم القيامة من عمل العبد الصلاة الحديث رويناه في الطيوريات من حديث أبى سعيد بإسناد ضعيف ولأصحاب السنن ك وصح إسناد نحوه من حديث أبى هريرة وسيأتى (٤) حديث يا بَاهِريرة مر أهلك بالصلاة فإن الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحسب لم أقف له على أصل (٥) حديث مثل الصلاة للكتابة كمثل لليزان من أوفى استوفى ابن المبارك في الزهد من حديث الحسن مرسلا وأسنده الباقى في الشعب من حديث ابن عباس بإسناد فيه جهالة (٦) حديث يزيد الرقاشى كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية كأنها موزونة ابن المبارك في الزهد ومن طريقه أبو الوليد الصغار في كتاب الصلاة وهو مرسل ضعيف (٧) حديث إن الرجلين من أمق ليقومان إلى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد الحديث ابن المبر في العقل من حديث أبى أيوب الأنصارى بنحوه وهو موضوع ورواه الحارث ابن أبى أسامة في مسنده عن ابن المبر (٨) حديث لا ينظر الله إلى عبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده أحمد من حديث أبى هريرة بإسناد صحيح (٩) حديث أما يخاف الذى يحول الله وجهه وجه حمار فى الصلاة أن يحول الله وجهه وجه حمار ابن عدى فى عوالى مشايخ مصر من حديث جابر ما يؤمنه إذا التفت في صلاته أن يحول الله عز وجل وجهه وجه كلب أو وجه خنزير قال منكر بهذا الإسناد وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة أما يخشى الذى يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله وجهه وجه حمار .

« من صلى صلاة لوقتها وأسبغ وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهي بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظني ومن صلى لغير وقتها ولم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهي سوداء مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعني حتى إذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق فيضربها وجهه (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته (٢) » وقال ابن مسعود رضي الله عنه وسلمان رضي الله عنه : الصلاة مكيا ل من أو في استوفى ومن طلف قد علم ما قال الله في اللطيفين -

(فضيلة الجماعة)

قال صلى الله عليه وسلم « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة (٣) » وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قد ناسا في بعض الصلوات فقال « لقد هممت أن آمر رجلا يصلي بالناس ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فأحرق يوتهم (٤) » وفي رواية أخرى « ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فأمرهم فحرق عليهم يوتهم يحرق الحطب ولو علم أحدكم أنه يجد عظامي أو مرماتين لشهدا بمني صلاة المشاء . وقال عيان رضي الله عنه مرفوعا « من شهد المشاء فكأنما قام نصف ليلة ومن شهد الصبح فكأنما قام ليلة (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى صلاة في جماعة قد مدلا ثم عرجه عبادة (٦) » وقال سعيد بن السيب ما أذن مؤذن منذ عشرين سنة إلا وأنا في المسجد وقال محمد بن واسع ما أضحى من الدنيا إلا ثلاثة أخوا إنه إن تموجت قومي وقوتنا من الرزق عفا من غير تبة وصلاة في جماعة يرفع عن سبها ويكتب لي فضلا . وروى أن أبا عبيدة بن الجراح أم قوما مرة فلما انصرف قال مازال الشيطان في آخا حتى أريت أن لي فضلا على غيره لأتم أبدا . وقال الحسن لاصلوا خلف رجل لا يتخلف إلى السماء . وقال الخبي مثل الذي يؤم الناس بغير علم مثل الذي يكيل للاء في البحر لا يدري زباده من هصانه . وقال حاتم الأسم فائق الصلاة في الجماعة فعزاني أبو إسحق البخاري وحده ولو مات في ولد لمزاني أكثر من عشرة آلاف لأن مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا وقال ابن عباس رضي الله عنهما من مع للنادي فلم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به خير وقال أبو هريرة رضي الله عنه لأن تملأ أذن ابن آدم رصاصا ملذا بخيره من أن يسمع النداء ثم لا يجب وروى أن يسمون بن مهران أتى المسجد فقبله إن الناس قد انصرفوا فقال إنا فله ولنا إليه راجعون تفضل هذه الصلاة أحب إلى من ولاية المراق وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى أربعين يوما الصلوات في جماعة لا ضوته فيها تكبيرة الإحرام كتب الله له براءة من برادة من التفارق وبراءة من النار (٧) »

لا يخرج منه وما اطلع عليه لا ينيب عنه وما ذكره من ذلك لا يناسب ولا في حال نومه وشغله وهذا موجود فيمن أكثر اهتمامه بشيء وثبت في قلبه حاله أنه إذا نام أو اشتغل لم يفقه في شغله ونومه كما لا يفقه في يقظته وفرغه ولهذا والله أعلم إذا رأى الولي المتكبر في رتبة الصديقين عولقا كان حيا أو جامدا صغيرا أو كبيرا لم ير من حيث هو هو وإنما يراه من حيث أوجده الله تعالى بالقدرة وميزه بالإرادة على سابق العلم القديم ثم أدام النظر عليه في الوجود ثم لما كانت الصفات للشهوة آثارها في المخلوقات ليست تغير الوصف الذي هو الله عز وجل له ألهمت الولي عن غيره وصار لم ير سواه ومعنى ذلك أنه لا يتميز بالذكر في سر القلب وخير المعرفة ولا بالإدراك في ظاهر الحس دون ما كان موجودا به

(١) حديث من صلى الصلاة لوقتها وأسبغ وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرضت وهي بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظني الحديث طيب في الأوسط من حديث أنس بسند ضعيف والطحاوي والبيهقي في الشعب من حديث عبادة بن الصامت بسند ضعيف نحوه (٢) حديث أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته أحمد والحاكم وصححه إسناده من حديث أبي قتادة (٣) حديث صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة متفق عليه من حديث ابن عمر (٤) حديث أني هريرة لقد هممت أن آمر رجلا يصلي بالناس ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فأحرق يوتهم الحديث متفق عليه (٥) حديث عيان من شهد صلاة المشاء فكأنما قام نصف ليلة الحديث م من حديثه مرفوعا قال الترمذي وروى عن عيان موقوفا (٦) حديث من صلى صلاة في جماعة قد مدلا ثم عرجه عبادة لم أجده مرفوعا وإنما هو من قول سعيد بن السيب رواه محمد بن نصر في كتاب الصلاة (٧) حديث من صلى أربعين يوما الصلوات في جماعة لا ضوته تكبيرة الإحرام الحديث م من حديث أنس بإسناد رجاله ثقات.

وصار عنه فانما فبعد
هذا طي من أعينه
أن لا يحتاج إليها مع
هذا الوضوح ولا فهم
إلا بالله ولا شرح إلا
منه ولا نور إلا من
عنده وله الحول والقوة
وهو العلي العظيم
[فصل] أو أمانى إفشاء
سر الرواية كسر
فيخرج طي وجهين
أحدهما أن يكون
الراد به كفرا دون
كفر ويسمى بذلك
تظليما لما أتى به للقصي
وتظليما لما ارتكبه
ويترض هذا بأن
يقال لا يصح أن يسمى
هذا كفرا لأنه ضد
الكفر إذا الكفر الذي
سمى طي معناه سائر
وهذا القضي ليس
ناشر وأين النشر
والإظهار من التغطية
والاعلان من الكتم
واندفاع هذا به بأن
يقال ليس الكفر
الشرعي تابع الاشتقاق
ولمّا هو حكم الخفاقة
الأمر وارتاب التي
فمن رد إحسان حسن
أو جحد نعمة متفضل
فيقال عليه كافر

ويقال إنه إذا كان يوم القيامة يحشر قوم وجوههم كالسكوب المرى فتقول لهم لا تشكوا ما كانت أعماركم فيقولون كنا إذا سمعنا الأذان قننا إلى الطهارة لا يشغلنا غيرها ثم يحشر طائفة وجوههم كالأنهار فيقولون بعد السؤال كنا متوسّأ قبل الوقت ثم يحشر طائفة وجوههم كالشمس فيقولون كنا نسبح الأذان في السجدة . وروى أن السلف كانوا يزعمون أنفسهم ثلاثة أيام إذا فاتهم التكبير الأولى ويمزجون سبعا إذا فاتهم الجماعة .

(فضيلة السجود)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما تقرب العبد إلى الله بشيء أفضل من سجود خفي » (١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وخط عنه بها سيئة » (٢) وروى « أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يجعلني من أهل غفاته وأن يرزقني مراعاتك في الجنة قال ﷺ « أعني بكثرة السجود » (٣) وقيل أقرب ما يكون العبد من الله تعالى أن يكون ساجدا » (٤) وهو معنى قوله عز وجل - واسجد واقترب - وقال عز وجل - سيأتي وجوههم من أثر السجود - قيل هو ما يتصلق بوجوههم من الأرض عند السجود وقيل هو نور الخشوع فانه يشرق من الباطن على الظاهر وهو الأصح وقيل هي القرر التي تكون في وجوههم يوم القيامة من أثر الوضوء وقال صلى الله عليه وسلم « إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويلدة أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت أنا بالسجود فصصت في النار » (٥) وروى عن طي بن عبد الله بن عباس أنه كان يسجد في كل يوم ألف سجدة وكانوا يسمونه السجاد وروى أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان لا يسجد إلا على التراب وكان يوسف بن أسباط يقول يا معشر الشباب بادروا بالصحة قبل المرض فسا بق أحد أحسنه إلا رجل يتم ركوعه وسجوده وقد حيل بيني وبين ذلك وقال سعيد بن جبير ما سمى طي شيء من الدنيا إلا على السجود ، وقال عقبة بن مسلم : ما من خصلة في العبد أحب إلى الله عز وجل من رجل يحب لقاء الله عز وجل وما من ساعة العبد فيها أقرب إلى الله عز وجل منه حيث غر ساجدا وقال أبو هريرة رضي الله عنه أقرب ما يكون العبد إلى الله عز وجل إذا سجد فأكثروا الصلوات عند ذلك .

(فضيلة الخشوع)

قال الله تعالى - وأقم الصلاة له كرى - وقال تعالى - ولا تكن من الخافلين - وقال عز وجل - لا تهربوا الصلاة وأتموا سكركم حتى تملأوا ما تقولون - قيل سكركم من كثرة الهم وقيل من حب الدنيا وقال وهب للراد به ظاهره فيه تنبيه على سكر الدنيا إذ بين في الملة فقال - حتى تملأوا ما تقولون - وكم من مصل لم يهرب خرا وهو لا يعلم ما يقول في صلاته وقال النبي صلى الله عليه وسلم

(١) حديث ما تقرب العبد إلى الله بشيء أفضل من سجود خفي ابن المبارك في الزهد من حديث حمزة بن حبيب مرسل (٢) حديث ما من مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وخط عنه بها خطيئة من حديث عبادة بن الصامت بإسناد صحيح ولمسلم نحوه من حديث ثوبان وأبي الدرداء (٣) حديث إن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يجعلني من أهل غفاته ويزقني مراعاتك في الجنة الحديث م من حديث ربيعة بن كعب الأسدي نحوه وهو الذي سأل ذلك (٤) حديث إن أقرب ما يكون العبد إلى الله أن يكون ساجدا م من حديث أبي هريرة (٥) حديث إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي الحديث م من حديث حديث أبي هريرة .

«من صلى ركعتين لم يحدث، نفسه فيما بشئ» من الدنيا غير لما تقدم من ذنبه^(١) وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إنما الصلاة تمسكن وتواضع وتضرع وتادب وتضع يدك تقول اللهم اللهم فمن لم يزل في خدج^(٢) وروى عن الله سبحانه في الكتب السابقة أنه قال «ليس كل معص أقبل صلاته إنما أقبل صلاته من تواضع لعظمي ولم يتكبر على عبادي وأطمع الفقير الجائع لوجبي» وقال صلى الله عليه وسلم «إنما فرضت الصلاة وأمر بالخشوع والطواف وأشعرت للناسك لإقامة ذكر الله تعالى فإذا لم يكن في قلبك لذتكور الذي هو للقعود والبطي عظمة ولاهية فاقمته ذكر^(٣)» وقال صلى الله عليه وسلم الذي أوصاه «وإذا صليت فصل صلاة مودع^(٤) أي مودع لنفسه مودع لهواه مودع لغيره سائر إلى مولاه قال كمال عز وجل - يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه - وقال تعالى - واشتوا الله ويسلك الله - وقال تعالى - واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه - وقال صلى الله عليه وسلم «من لم تنه صلاته عن الفحشاء والنكر لم يزد من الله إلا بعدا^(٥)» والصلاة مناجاة فكيف تكون من الغفلة وقال بكر بن عبد الله أبان آدم إذا علمت أن تدخل على مولاك بنير إذن وتكلمه بلا ترجمان دخلت قبل وكيف ذلك قال تسبغ وضوءك وتدخل على مولاك فإذا أتت قد دخلت على مولاك بنير إذن تكلمه بنير ترجمان . وعن عائشة رضي الله عنها قالت «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه^(٦)» اشتغلا بعظمة الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله إلى صلاة لأحضر الرجل فيها قلبه مع يده^(٧)» وكان إبراهيم الخليل إذا قام إلى الصلاة يسمع وجوب قلبه على ميلين وكان سعيد التنوخي إذا سلم لم يقطع الدموع عن خديه بل حثته «ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يبيت ببلحته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لحشت جوارحه^(٨)»

(١) حديث من صلى ركعتين لم يحدث فيما نفسه بشئ من الدنيا غير لما تقدم من ذنبه ابن أبي شيبة في المصنف من حديث صلة بن أشفم مرسل وهو في الصحيحين من حديث عثمان بن زياد في قوله له دون قوله بشئ من الدنيا وزاد طس إلا بنير (٢) حديث إنما الصلاة تمسكن وتواضع وتضرع الحديث ت ن بنحوه من حديث الفضل بن عباس باسناد مضطرب (٣) حديث إنما فرضت الصلاة وأمر بالخشوع والطواف وأشعرت للناسك لإقامة ذكر الله ت ن من حديث عائشة بنحوه دون ذكر الصلاة قالت ت حسن صحيح (٤) حديث إذا صليت فصل صلاة مودع ابن ماجه من حديث أبي أيوب و ت من حديث سعد بن أبي وقاص وقال صحيح الإسناد والبيهقي في الزهد من حديث ابن عمر ومن حديث أنس بنحوه (٥) حديث من لم تنه صلاته عن الفحشاء والنكر لم يزد من الله إلا بعداه على بن معبد في كتاب الطاعة وللحصى من حديث الحسن مرسل باسناد صحيح ورواه طب وأسنده ابن مردويه في تفسيره من حديث أبي عباس بإسناد لين والطبراني في قول ابن مسعود من لم تأمره صلاته بالمعروف ونهه عن النكر الحديث وإسناده صحيح (٦) حديث عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه الأزدي في الضعفاء من حديث سويد بن غفلة مرسل كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سمع الأذان كأنه لا يعرف أحد من الناس (٧) حديث لا ينظر الله إلى صلاة لأحضر الرجل فيها قلبه مع يده لا أحمد بهذا اللفظ وروى محمد بن نصر في كتاب الصلاة من رواية عثمان بن أبي دهريش مرسل لا يقبل إسناده من عبد علاح حتى يشهد قلبه مع يده ورواه أبو منصور الديلمي في مستدرک الدوروس من حديث أبي بن كعب وإسناده ضعيف (٨) حديث رأى رجلا يبيت ببلحته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لحشت جوارحه الحكيم في النوادر من حديث أبي هريرة بسند ضعيف المعروف أن من قول سيد بن السيب روى ابن أبي شيبة في المصنف وفيه رجل لم يسم.

لجنتين إحداهما من جهة الاشتقاق ويكون إذ ذاك أصحا بنى عن وصف والثانية من جهة التضرع ويكون إذ ذاك حكما يوجب تقوية والتضرع قد ورد بشكر النعم فأنهم ولا تلعب مع الألفاظ ولا يفرنك العبارات ولا تحجب التسميات وتخطئ عند اعتبارها واحترس من استدراجها فاذن من أظهر ما أمر بكتمه كان كمن كتم ما أمر بشهره في مخالفة الأمر فيها حكم واحد على هذا الاعتبار ويدل على ذلك من جهة التضرع قوله صلى الله عليه وسلم «لا تحذثوا الناس بما لم تصله عقولهم» وفي ارتكاب التي عصيان ويسمى في باب القياس على المذكور كخفران البدن وقسمه أخرى وذلك أن العلم إن حلل إلى ما علم من أجزائه بالاستقراء فرأس الإنسان تشابه سماء العالم من حيث

وروى أن الحسن نظر إلى رجل يبست بالحمى ويقول اللهم زوجني الحور العين قال بشي الحظاب أنت تغضب الحور العين وأنت تميت بالحمى وقيل لحلف بن أيوب ألا يؤذيكَ الباب في صلاتك فظنرها قال لأعرد نفسي شيئا يفسد علي صلاتي قيل له وكيف تصير على ذلك قال بطني أن القساق يصرون تحت أسواط الساطان ليقال فلان صبور ويشترون بذلك فأنا قائم بين يدي ربنا فأعرك للعبادة وروى عن مسلم بن يسار أنه كان إذا أراد الصلاة قال لأهله عذبتوا أنفسي فاني لست أصحكم وروى عنه أنه كان يصلي يوما في جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد فاجتمع الناس ذلك فلم يشمر به حتى انصرف من الصلاة وكان علي بن أبي طالب رضى الله عنه وكرم وجهه إذا حضر وقت الصلاة يتزول ويتلون وجهه قبيل له مالك يا أمير المؤمنين فيقول جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها وروى عن علي بن الحسين أنه كان إذا توضأ اصفر لونه فيقول له أهله ماهذا الذي يمتريك عند الوضوء فيقول أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: قال داود صلى الله عليه وسلم في مناجاته: إلهي من يسكن بيتك ومن يتقبل الصلاة فأوحى الله إليه يادادو إنعاسكن بيق وأقبل الصلاة متمن من تواضع لعظمك وقطع نهارك بذكرى وكف نفسه عن الشهوات من أجلي، يطعم الجائع ويؤوى الغريب ويرحم اللصاب فذلك الذي يضيئ نوره في السموات كالشمس إن دعاني لبيتني وإن سألتني أعطيتني أجلا في الجبل حما وفي التلة ذكرا وفي الظلة نورا وإنعاسك في الناس كالفرسوس في أعلى الجنان لا تيس أنهارها ولا تنفير ثمارها وروى عن حاتم الأصم رضى الله عنه أنه سئل عن صلاته فقال إذا كانت الصلاة أصبحت الوضوء وأقيمت الوضوء الذي أريد الصلاة فيه فأقصد فيه حتى يجتمع جوارحي ثم أقوم إلى صلاتي وأجمل السكبة بين حاجتي والضرر تحت قدسي والجنة عن يميني والنار عن شمالي ومملك الموت ورأى أنظنها آخر صلاتي ثم أقوم بين الرجاء والخوف وأكبر تكبيرا بتحقيق وأقرأ قراءة بتريل وأركع ركوعا بتواضع وأسجد سجودا بتخشع وأقصد على الورك الأيسر وأفرش ظمردنهما وأنصب القدم اليمنى على الإلهام وأنصبها الإخلاص ثم لا أدري أقبلت أم لم لا وقال ابن عباس رضى الله عنهما ركتان مقتصدتان في تفكير خير من قيام ليقوا القلبساء.

(فضيلة السجدة وموضع الصلاة)

قال الله عز وجل - إنعاسك مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر - وقال صلى الله عليه وسلم «من بنى منى مسجدًا ولو كمحفص قطاة بنى الله قصرًا في الجنة» (١) وقال عليه السلام «من ألف للسجدة الله الله تعالى» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس» (٣) وقال صلى الله عليه وسلم «لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «للا تسكة تصلي على أحدكم مادام في مصلاه الذي يصلي فيه تقول اللهم صل عليه اللهم ارحمه اللهم اغفر له ما لم يحدث أو يخرج من المسجد» (٥).

- (١) حديث من بنى مسجدًا ولو كمحفص قطاة بنى الله قصرًا في الجنة من حديث عثمان دون قوله ولو كمحفص قطاة
- (٢) حديث من ألف للسجدة ألفه الله تعالى طيب في الأوسط من حديث أبي سعيد بسند ضعيف
- (٣) حديث إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس متفق عليه من حديث أبي قتادة
- (٤) حديث لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد الدارقطني من حديث جابر وأبي هريرة بسنادين ضيفين ولا من حديث أبي هريرة (٥) حديث للانسكة تصلي على أحدكم مادام في مصلاه الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة .

إن كل ما علا فهو
سما وحواش تشابه
الكواكب والنجوم
ميت حيث إن
الكواكب أجسام
مشقة تستمد من نور
الشمس قضى بها
والحواس أجسام لطيفة
مشقة تستمد من
الروح فيض مسلك
للدرجكات وروح
الانسان مشابهة
للشمس فضياء العالم
ونور نباته وحركة
منسواره وحيوانه
وحياته فيها تظهر
بتلك الشمس وكذلك
روح الانسان به حصل
في الظاهر نمو أجزاء
بدنه ونبات شعره
وحلول حياته وجعلت
الشمس وسط العالم
وهي تطلع بانوارها
وتقرب بالليل وجعلت
الروح وسط جسم
الانسان وهي تقيبه
بالنوم وتطلع باليقظة
ونفس الانسان تشابه
القمر من حيث إن
القمر يستمد من
الشمس ونفسه تستمد
من الروح والقمر
خالف الشمس والروح

وذلك صلى الله عليه وسلم « يأتي في آخر الزمان ناس من أمي يأتون للساجد فيقدمون فيها حلقات حاتميا ذكركم الدنيا وحب الدنيا لا يجالسوهم فليس قبيحهم حاجة »^(١) وقال صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل في يومئذ ينزل من السماء السحاب فينزل على الأرض للساجد وإن زوارى فيها عمارها فتلون لبيد تظهر في بته ثم زارني في بيتي حتى مل الزور أن يكرم زاره »^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم الرجل يبتدئ للسجد فاشهدوا له بالإيمان »^(٣) وقال سعيد بن جابر في الحديث في السجد فأتينا بالرسول فبأسا حقه أن يقول إلا شيئا يروى في الأمر أو الخبر « الحديث في السجد بأكل الحسنات كما تأكل كل الهم الحشيش »^(٤) وقال النخعي كانوا يرون أن الشيء في الآية لا تلة إلى السجد موجب للجنة وقال أنس بن مالك من أسرج في السجد سراجا لم تزل الملائكة وحمة العرش يستقفرون له ما دلم في ذلك السجد ضوؤه وقال علي كرم الله وجهه إذا مات المؤمن يصلي عليه مصلاه من الأرض ومصدق عمله من السماء ثم قرأ فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين وقال ابن عباس تبي على الأرض أربعين صباحا وقال عطاء الخراساني ما من عيد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت وقال أنس بن مالك ما من بقعة يذكر الله تعالى عليها صلاة أو ذكر إلا أفضرت على ما حولها من البقاع واستبشرت بذكر الله عز وجل إلى منهاها من سبع أرضين وما من عبد يقوم يصلي إلا تزخرت له الأرض ويقال ما من منزل ينزل فيه قوم إلا أصبح ذلك المنزل يصلي عليهم أو يلتمهم -

(الباب الثاني في كيفية الأعمال الظاهرة من الصلاة والبدادة والتكبير وما قبله)

ينبغي للفعل إذا فرغ من الوضوء والطهارة من الخبث في البدن والملكان والياب وستر العورة من السرة إلى الركبة أن ينتصب قائما متوجها إلى القبلة وبراح بين قدميه ولا يضمهما فإن ذلك مما كان يستدل به على قبه الرجل وقد « نهى صلى الله عليه وسلم عن الصفن والصفن في الصلاة »^(٥) والصفن هو اقتران القدمين معا ومنه قوله تعالى - مفرنين في الأصناد - والصفن هو رفع إحدى الرجلين ومنه قوله عز وجل - الصافات الجياد - هذا ما راعيه في رجله عند القيام براعى في ركبتيه ومعتقد نطقه الانتصاب وأما رأسه إن شاء تركه على استواء القيام وإن شاء أطرق أو انطرق أو ثقب للخشوع

(١) حديث يأتي في آخر الزمان ناس من أمي يأتون للساجد فيقدمون فيها حلقات حاتميا الحديث ابن حبان من حديث ابن مسعود ولك من حديث أنس وقال صحيح الاسناد (٢) حديث قال الله تعالى : إن يوتي في أرضي للساجد وإن زوارى فيها عمارها الحديث أبو نعيم من حديث أبي سعيد بسند ضعيف يقول الله عز وجل يوم القيامة أين جيرانى فتقول الملائكة من هذا الذي ينبغي لأن يجاورك فيقول أين قرأ القرآن وعمار للساجد وهو في الشعب نحوه موقولا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم باسناد صحيح وأسد ابن حبان في الضعفاء آخر الحديث من حديث سلمان وضعه (٣) حديث إذا رأيتم الرجل يبتدئ للسجد فاشهدوا له بالإيمان وحسنه و و ك وصحه من حديث أبي سعيد (٤) حديث الحديث في السجد بأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش لم أقف له على أصل .

(الباب الثاني)

(٥) حديث النهي عن الصفن والصفن في الصلاة عزاه رزين إلى تلميذ أجدنه عنده ولا عند غيره وإنما ذكره أصحاب التريب كابن الأثير في النهاية وروى سعيد بن منصور أن ابن مسعود رأى رجلا صاغا أوصافنا فقدمه فقال أخطأ هذا السنة .

خالف ادريس والتمر آية محوثة والنفس مثلها وعو القصر في أن لا يكون ضياؤه منه وعو النفس في أن ليس عقلها منها ويستري الشمس والتمسر وسائر السكواكب كسوف وتعتري النفس والروح وسائر الحواس غيب وفهول وفي العالم نبات ومياه ورياح وجبال وحوان وفي الانسان نبات وهو الشعر ومياه وهو العروق والدموع والريق والغم وفيه جبال وهي العظام وحوان وهي هولم الجسم فخلت للشابة عسى كل حال ولما كانت أجزاها في العالم كثيرة ومنها ما هي لنا غير معروفة ولا معلومة كان في استقصاء مقالة جميعها تطويل وفيما ذكرناه ما يحصل به لدوى العقول تشبيه وتخييل . فان قلت أراك فرقت بين النفس والروح وجعلت كل واحد منهما غير الآخر وهذا قلنا تساعد

عليه إذ قد كنت
الخلاف في ذلك فاعلم
أنه إنما على الإنسان
أن يفي كلامه على
ما يميل لا على ما يجمل
وأنت لو علمت النفس
والروح علمت أنهما
إثنان فإن قلت قد
سبق في الإحياء أنهما
شيء واحد قلت في
هذه الإجابة إن النفس
من أمم الروح فالذي
سبق في الإحياء ورأيت
في هذه الإجابة وهو
شيء واحد لا يتناقض
مع ما قلناه الآن وذلك
أن لها معنى يسمى
بالروح تارة وبالنفس
أخرى ويشير ذلك
ثم لا يبعد أن يكون
لها معنى آخر ينفرد
باسم النفس فقط ولا
يسمى بروح ولا غير
ذلك فهذا آخر الكلام
في حلوجي الإضافة
التي في ضمير صورته
والوجه الآخر وهو أن
من حل الإضافة الصورة
إلى الله تعالى في معنى
التخصيص به فذلك
لأن الله سبحانه نابعاً
حي قادر مهيمن
علم مريد متكلم فاعلم

وأن البصر ولكن بصره محصوراً على مصلاته الذي يصل على فان لم يكن له مصل فليرب
من جدار الحائط أو ليخط خطاً فان ذلك يقصر مسافة البصر ويمنع تفرق الشكر ويعسر على
بصره أن يجاوز أطراف المصلى وحدود الخط وليعلم على هذا التيام كذلك إلى الركوع من غير
الفتات هذا أدب القيام فإذا استوى قيامه واستقبله وإطرافه كذلك قليلاً قل أعوذ برب الناس
تخصاً به من الشيطان . ثم ليأت بالإقامة وإن كان يرجو حضور من يتقدم به فليؤذن أولاً ثم ليحضر
النية وهو أن ينوي في الظهر مثلاً ويقول قلبه أؤدي فريضة الظهر لله ليزها بقوله أؤدي عن
القضاء وبالفرصة عن النفل وبالأظهر عن البصر وغيره ولكن معاني هذه الألفاظ حاضرة في قلبه
فانه هو النية والألفاظ مذكرات وأسباب لحضورها ويجهل أن يستديم ذلك إلى آخر التكبير حتى
لا يرب فاذا حضر في قلبه ذلك فليرفع يديه إلى حنوه منكبيه بعد إرسالهما بحيث يجاذي بكفيه
منكبيه وبأهاميته شحني أذنيه وبرؤوس أصابعه رؤوس أذنيه^(١) ليكون جامعاً بين الأخبار الواردة
فيه ويكون مقبلاً بكفيه وإهاميته إلى القبلة ويسط الأصابع ولا يقبضها ولا يتكلف فيها تحريفاً
ولا ضللاً بل يتركها على مقتضى طبيعتها إذ قل في الأثر النشر والضم^(٢) وهذا بينهما فهو أولى وإذا
استقرت اليدين في مقرها ابتدأ التكبير مع إرسالهما وإحضار النية . ثم يضع اليدين على ما فوق
السرة وتحت الصدر ويضع اليمنى على اليسرى إكراماً لليمنى بأن تكون محمولة وينشر السبعة
والوسطى من اليمنى على طول الساعد ويقبض بالابهام والخنصر والبصر على كوع اليسرى
وقد روي أن التكبير مع رفع البدن^(٣) ومع استقرارهما^(٤) ومع الإرسال^(٥) فكل ذلك لا حرج
فيه وأراه بالارسل أليق فانه كلمة التقيد ووضع إحدى اليدين على الأخرى في صورة التقيد ومبدؤه
الإرسال وآخره الوضع ومبدأ التكبير الألف وآخره الرأ فليقل مراعاة التتابق بين الفعل والتقدير
وأما رفع اليد فكل كلمة لهذه البداية . ثم لا ينبغي أن يرفع يديه إلى قدام رها عند التكبير
ولا يردهما إلى خلف منكبيه ولا ينفصهما عن يمين وشمال نقضاً إذا فرغ من التكبير ويرسلهما
إرسلاً خفيفاً رقيقاً ويستأنف ويضع اليمنى على الشمال بعد الإرسال وفي بعض الروايات أنه صلى الله
عليه وسلم « كان إذا كبر أرسل يديه وإذا أراد أن يقرأ وضع اليمنى على اليسرى^(٦) » فان صح هذا
فهو أولى مما ذكرناه وأما التكبير فينبغي أن يضم الماء من قوله الله ضمة خفيفة من غير مبالغة

(١) حديث رفع اليدين إلى حدو للكتفين وورد إلى شحمة أذنيه وورد إلى رؤوس أذنيه متفق
عليه من حديث ابن عمر بالفظ الأول و د من حديث وائل بن حجر بإسناد ضعيف إلى شحمة
أذنيه ولمسلم من حديث مالك بن الحويرث فروع أذنيه (٢) حديث نشر الأصابع عند الانتحاح
ونقل ضمها . وقال عطاء وابن خزيمة من حديث أبي هريرة واليهي لم يفرج بين أصابعه ولم يضمها
ولم أجد التصريح بضم الأصابع (٣) حديث التكبير مع رفع اليدين البخاري من حديث ابن عمر
كان يرفع يديه حين يكبر ولأن داود من حديث وائل يرفع يديه مع التكبير (٤) حديث التكبير
مع استقرار البدن أي مرفوعتين مسلم من حديث ابن عمر كان إذا قام إلى الصلاة رفع يديه حتى
يكونا حنوه منكبيه ثم كبر زاد د وهما كذلك (٥) حديث التكبير مع إرسال اليدين د من
حديث أبي حميد كان إذا قام إلى الصلاة يرفع يديه حتى يجاذي بهما منكبيه ثم كبر حتى يقرأ
كل عظم في موضعه معتدلاً قال ابن الصلاح في الشكل فكل كلمة حتى التي هي لتأية عند الملقى على
ما ذكره أي من ابتدأ التكبير مع الإرسال (٦) حديث كان إذا كبر أرسل يديه فاذا أراد أن يقرأ
وضع اليمنى على اليسرى الطبراني من حديث معاذ بإسناد ضعيف .

ولا يدخل بين الماء والألف شبه الواو وذلك ينساق إليه بالمبالغة ولا يدخل بين باء أكبر ورائه ألفا كأنه يقول أكبر وبزمن راء التكبير ولا يضمها فنهية التكبير وما معه (القراءة)

ثم يبتدئ بدعاء الاستفتاح وحسن أن يقول عقب قوله الله أكبر ، الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا (١) وجهه وجبهى إلى قوله وأتأمين المسلمين (٢) ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك أعظم وتعالى يدك وجل ثناؤك ولا إله غيرك (٣) ليكون جابجا ما بين منفرقات ماورد في الأخبار وإن تأن خلف الإمام استحسن إن لم يكن الإمام سكتة طويعة يقرأ فيها ثم يقول أعز الله من الشيطان الرحمن ثم يقرأ فاتحة يبتدئ فيها بيسم الله الرحمن الرحيم بتأم تشديداتها وحروفها ، ويحمده في الفرق بين الضاد والظاء ويقول آمين في آخر الفاتحة ويمد هامدا ولا يصل آمين بقوله ولا الضالين وسلا ويحمر بالقرءاء في المصحح وللغرب والعشاء إلا أن يكون مأموما ويحمر بالآمين ثم يقرأ السورة أو قدر ثلاث آيات من القرآن ثم يقرأ في آخر السورة بتكبير الهوى بأن يفصل بينها بغير قوله سبحان الله يقرأ في الصبح من السور الطوال من الفصل في الترتيب من قصاره وفي الظهور والعصر والعشاء نحو السجدة البروج وما قاربها وفي الصبح في السمر . قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وكذلك في ركعتي الفجر والطواف والتحية وهو في جميع ذلك مستديم للقيام ووضع اليدين كما وضعنا في أول الصلاة .

(الركوع ولواحقه)

ثم يركع ويراعي فيه أمورا وهو أن يكبر للركوع وأن يرفع يديه مع تكبيرة الركوع وأن يعد التكبير مدا إلى الانتهاء إلى الركوع وأن يضع راحتيه على ركبتيه في الركوع وأما بعد منقوشة وموجهة نحو القبلة على طول الساق وأن يصبر ركبته ولا يشبه وأن يعد ظهره مستويا وأن يكون عنقه ورأسه مستويين مع ظهره كالصفحة الواحدة لا يكون رأسه أخفض ولا أرفع وأن يخفى مرقبه عن جنبه وتضم لزاما رقبته إلى جنبها وأن يقول سبحان ربّي العظيم ثلاثا والزيادة إلى السبعة وإلى العشرة حسن إن لم يكن إماما ثم يرتفع من الركوع إلى القيام ويرفع يديه ويقول مع الله لمن حمده ويطمئن في الاعتدال ويقول ربنا لك الحمد لك السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء يد ولا يطول هذا القيام إلا في صلاة التيسيع والكسوف والصبح ويقت في الصبح في الركعة الثانية بالكلمات المأثورة قبل السجود (١) .

(السجود)

ثم يهوى إلى السجود مكبرا فيضع ركبتيه على الأرض ويضع جبهته وأذنه وكفيه مكشوفة ويكبر

(١) حديث أنه يقول بعد قوله الله أكبر الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا م من حديث ابن عمر قال بينا نحن نصلّي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال رجل من القوم الله أكبر كبيرا الحديث و د - من حديث جبير بن مطعم أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال الله أكبر كبيرا الحديث (٢) حديث دعاء الاستفتاح وجهه الحديث م من حديث علي (٣) حديث سبحانك اللهم وبحمدك الحديث في الاستفتاح أيضا ذلك وصححه من حديث عائشة وضفّت فقط ورواه م موقفا على عمر وعنه حق من حديث جابر الجعفي وجهه وسبحانك اللهم (٤) حديث القنوت في الصبح بالكلمات المأثورة حق من حديث ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة الصبح وفي وتر الليل هؤلاء الكلمات اللهم اهدني فيمن هديت الحديث د ت وحسنه ون من حديث الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يله هؤلاء الكلمات يقولهن في الوتر وإسناده صحيح .

وخلق آدم عليه السلام

حياء قادرا عالما مهيما

يسيرا مردها مستكلما

فاسلا وكانت لآدم عليه

السلام صورة محسوسة

مكتونة مخلوقة مقدرة

القول وهي لله تعالى

مصافاة للفظ وذلك أن

هذه الأسماء لم تجتمع

مع صفات آدم إلا في

الأسماء التي هي عبارة

تلفظ تقطع لا يفهم من

ذلك نفي الصفات فليس

هو مرادنا وإنما مرادنا

تبين ما بين صورتين

بأبعد وجوه الامكان

حتى لم تجتمع مع صفات

الله تعالى إلا في الإجماع

للفوظ بها لا غير

وفرار أن تثبت صورة

له تعالى ويطلق عليها

حالة الوجود فافهم هذا

فانه من أدق ما يقع

سمكك ويلج قلبك

ويظهر لقلبك ولهذا

قيل لك فان كنت

تستعد الصور الظاهرة

ومعها إن حملت

إحدى صورتين على

الأخرى في الوجود

تسكن مشبا مطلقا

ومعناه يتبين أنك من

الضاهين لامن للزاهين

على تسك بالتشهيه
معتدولاً وتسكركا
كن يهوديا صرفا ولا
فلا تطلب بالثورة أى
تلبس بدنيهم وتريد
أن لا تنسب إليهم أى
تقرأ التوراة ولا تعمل
بها وإن كنت تعتقد
الصورة الباطنة منها
مجللا ومقدساً مخلصاً
أى ليس تعتقد من
الإضافة في الضمير إلى
الله تعالى إلا الأسماء
دون المعاني ذلك المعاني
السابعة لا تقع عليها اسم
سورة على حال وقد
حفظ عن النبي رحمة
الله عليه في معنى
ما ذكرناه من هذا
الوجه قول بلخ مختصر
حيث سئل عن معنى
الحديث فقال خلقه الله
على الأسماء والصفات
لا على الألقاب . فان قلت
فكذلك قال ابن تيمية
في كتابه العروق
يتناقض الحديث حين
قال هو صورة لا كالصور
فلم أأخذ عليه في ذلك
وأقيمت عليه الشاعة
به وأطرح قوله ولم
يرضه أكثر العلماء
وأهل التحقيق . فاعلم

عندما هو ولا يرفع يديه في غير الركوع ويذهب أن يكون أول ما يقع منه على الأرض ركناً وأن يرفع يدها ثم يضع يدها وجهه وأن يمشى جبهته وأنته على الأرض وأن يمشى مرقبه عن جنبه ولا تضل المرأة ذلك وأن يخرج بين رجله ولا تضل المرأة ذلك وأن يكون في سجوده نحو ما على الأرض ولا تكون المرأة غوية ولا تخوة رفع البطن عن التفتين والتفتين إلى الكتفين وأن يضع يده على الأرض حذاء منكبيه ولا يفرج بين أصابعها بل يضمها ويضم الإبهام إليها وإن لم يضم الإبهام فلا بأس ولا يفرش ذراعيه على الأرض كما يفرش السكاب^(١) فانه منى عنه وأن يقول سبحان ربى الأعلى ثلاثاً فان زاد خسن إلا أن يكون إماماً ثم يرفع من السجود فيطمئن جالساً مستديراً يرفع رأسه مكبراً ويجلس على رجله اليسرى وينصب قدمه اليمنى ويضع يديه على فخذه والأصابع منشورة ولا يتكفف منها ولا تفرجها ويقول رب اغفرلى وارحمنى وارزقنى واهدنى واجرنى وعافنى وأعافنى ولا يأتول هذه الجاسة إلا في سجود التيسيع وبأى السجدة الثانية كذلك ويستوى منها جالساً على خفيقة للاستراحة في كل ركعة لا تشهد عليها ثم يقوم فيضع اليد على الأرض ولا يقدم إحدى رجله في حال الارتفاع وبعد التكبير حتى يستقر ما بين وسط ارتفاعه من القعود إلى وسط ارتفاعه إلى القيام بحيث تكون الماء من قوله الله عند استوائه جالساً وكاف أكبر عند اعتاده على اليد للقيام وراء أكر فى وسط ارتفاعه إلى القيام ويبتدئ في وسط ارتفاعه إلى القيام حتى يقع التكبير في وسط ارتفاعه ولا يخلو عنه إلا طرفاه وهو أقرب إلى التعميم ويصل الركعة الثانية كالأولى ويبدأ بالصلاة كالأولى .

(التشهد)

ثم يتشهد في الركعة الثانية التشهد الأول ثم يصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويضع يده اليمنى على فخذه اليمنى ويضم أصابعه اليمنى إلى السبحة ولا بأس بارسال الإبهام أيضاً ويشترى بسجدة عند وسعها عند قوله لا إله إلا الله لا عند قوله لا إله إلا الله ويجلس في هذا التشهد على رجله اليسرى كما بين السجدة وفى التشهد الأخير يستكمل الدعاء المأثور^(٢) بعد الصلاة على النبي ﷺ وسننه كسنة التشهد الأول لكن يجلس في الأخير على ركعة الأيسر لأنه ليس مستوفزاً للقيام بل هو مستقر ويضع رجله اليسرى خارجة من تحت وينصب اليمنى ويضع رأس الإبهام إلى جهة القبلة إن لم يشق عليه ثم يقول السلام عليكم ورحمة الله ويثبث يميناً بحيث يرى خده الأيمن من وراءه من الجانب الأيمن ويثبث شمالاً كذلك ويسلم تسليمية ثانية وينوى الخروج من الصلاة والسلام وينوى بالسلام من على يمينه للأئمة والسلمين في الأولى وينوى مثل ذلك في الثانية ويجزم التسليم^(٣) ولا يعمد مداً فهو السنة وهذه هيئة صلاة المنفرد ويرفع صوته بالتكبيرات ولا يرفع صوته إلا بقدر ما يسمع نفسه وينوى الامام الامامة لينال الفضل فان لم يتوجه صلاة القوم إذا نواوا الاقتداء ونالوا فضلاً للجماعة ويرى بدهاء الاستفتاح والتعوذ كلنفرد ويجهر بالقراءة والسورة في جميع الصبح وأولى النساء والغرب وكذلك المنفرد ويجهر بقوله آمين في الصلاة الجهرية وكذلك للأموم ويقرن للأموم تأميتهم بتأمين الامام مما لاحتقيا وسكت الامام سكتة عقيب القاءة ليثوب إليه نفسه ويقرأ للأموم القاءة في الجهرية في هذه السكتة يتمكن من الاستماع عند قراءة الامام ولا يقرأ للأموم السورة في الجهرية إلا إذا لم يسمع

- (١) حديث النهي عن أن يفرش ذراعيه على الأرض كما يفرش السكاب متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث الدعاء المأثور بعد التشهد من حديث علي في دعاء الاستفتاح قال ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم اللهم اغفرلى ما قدمت الحديث في الصحيحين من حديث عائشة إذا تشهد أحدكم فليستند بالله من أربع من عذاب جهنم الحديث وفي الباب غير ذلك جميعها في الأصل (٣) حديث جزم السلام سنة دت من حديث ابن هريرة وقال حسن صحيح وضمنه ابن القطان.

صوت الامام ويقول الامام مع الله لمن حمده عند رفع رأسه من الركوع وكذا الاموم ولا يزيد الامام على الثلاث في تسبيحات الركوع والسجود ولا يزيد في التشهد الأول بعد قوله اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد ويقتصر في الركعتين الأخيرتين على التأمعة ولا يطول على القوم ولا يزيد على دعائه في التشهد الأخير على قدر التشهد والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينوي عند السلام السلام على القوم وللادسكة وينوي القوم بتلبيهم جوابه وشهد الامام ساعة حتى يذرع الناس من السلام ويقبل على الناس بوجهه والأولى أن يثبت إن كان خلف الرجال نساء لينصرفن قبله ولا يقوم واحد من القوم حتى يقوم وينصرف الامام حيث يشاء عن يمينه وشماله واليمين أحب إلى ولا يخفى الامام نفسه بالقاء في قنوت الصبح بل يقول اللهم اهدها وبجر به ويؤمن القوم ويروضون أيديهم هذه الصدور ويصيح الوجه عند ختم الدعاء الحديث هل فيه وإلا فليقل أن لا يرفع اليد كما في آخر التشهد .

(التيات)

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السفن في الصلاة والصنف وقد ذكرناها وعن الإماء (١) وعن السدل (٢) والكف (٣) وعن الاختصار (٤) وعن الصلب (٥) وعن اللواصة (٦) وعن صلاة الحاقن (٧) والحاقب (٨) والحازق (٩) وعن صلاة الجامع والتضيان والتلثم (١٠) وهو متر الوجه أما الإقماء فهو عند أهل اللغة أن يجلس على ركبته وينصب ركبته ويجعل يديه على الأرض كالكلب وعند أهل الحديث أن يجلس على ساقيه جاثيا وليس على الأرض منه إلا راس أصابع الرجلين

(١) حديث النهي عن الإقماء تـ من حديث علي بن بسند ضعيف لا تتبع بين السجدين وم من حديث عائشة كان ينهى عن عقبة الشيطان وك من حديث مرة وصححه نهى عن الإقماء (٢) حديث النهي عن السدل في الصلاة تـ ك وصححه من حديث أبي هريرة (٣) حديث النهي عن الكف في الصلاة متفق عليه من حديث ابن عباس أمرونا النبي ﷺ أن نسجد على سبعة أعظم ولا نكف شرا ولا نوبا (٤) حديث النهي عن الاختصار ك وصححه من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه بلفظ نهى أن يصلي الرجل عذرا (٥) حديث النهي عن الصلب في الصلاة ذـ من حديث ابن عمر بإسناد صحيح (٦) حديث النهي عن اللواصة عزاه رزين إلى تـ ولم أجده عنده وقد فسره القرأى بوصل القراءة بالتكبير ووصل القراءة بالركوع وغير ذلك وقد روى تـ وحسنه وابن ماجه من حديث مرة سكتان حفظهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل في صلاته: إذا فرغ من قراءته وإذا فرغ من قراءة القرآن وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة كان يسكت بين التكبير والقراءة إسكاته الحديث (٧) حديث النهي عن صلاة الحاقن هـ وقط من حديث أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يصلي الرجل وهو حاقن و د من حديث أبي هريرة لا يجلس لرجل أن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصلي وهو حاقن وله وت وحسنه نحوه من حديث ثوبان وم من حديث عائشة لاصلاة بحضرة طعام ولا وهو يداخه الأخيان (٨) حديث النهي عن صلاة الحاقب لم أجده بهذا اللفظ وفسره للصف تـ بما للأزهرى بعبادة القائل وفيه حديث عائشة الذي قيل بهذا (٩) حديث النهي عن صلاة الحازق عزاه رزين إلى تـ ولم أجده عنده والذي ذكره أصحاب الغريب حديث لا رأى لحازق وهو صاحب الحنف الضيق (١٠) حديث النهي عن التلثم في الصلاة دـ من حديث أبي هريرة بسند حسن نهى أن يضطى الرجل فاه في الصلاة رواه الحاكم وصححه قال الخطابي هو التلثم على الأقوال .

أن الذي لو تركه ابن قمية غشا الله عنه عن أشد إعرافا عنه وأبلغ في الانكار عليه وأبعد الناس عن تسويغ قوله وليس هو الذي أئمتنا نحن به وأفدناك بحول الله وقوته إياه بل يدل منك أنك لم تخفهم رضنا وذهلت عن تحصل مرادنا ولم تفرق بين قولنا وبين مقاله ابن قمية ألم أخبرك أنا أئمتنا السورة في القسميات وهو أثبتنا حالة للثبات فآين من لب الجوز قد شورت فرقع والذي يطلب على الظن في ابن قمية أنه لم يفرع معه هذه الله فائق الحق أمرونا إليها وأخرجناها إلى حب الوجود بتأييد الله تعالى بالبيعة عنها وإعنا ظهر له شيء لم يكن له باللف وعلاه المصطفى فوقف بين ظاهر الحديث الذي هو موجب عند ذوي القصور تشبها وبين التأويل الذي يفتيه فأثبت لفتي للرغوب

والرَّبَّيْنِ . وأما السدل فنهب أهل الحديث فيه أن يتخف بثوبه ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد كذلك وكان هذا فعل اليهود في صلاحهم قهروا عن التشبه بهم والقيص في معناه فلا ينبغي أن يركع ويسجد ويده في بدن القيص وقيل معناه أن يضع وسط الإزار على رأسه ويرسل طرفه عن يمينه وشماله من غير أن يجعله على كفيه والأول أقرب وأما السكف فهو أن يرفع ثيابه من بين يديه أو من خلفه إذا أراد السجود وقد يكون السكف في شعر الرأس فلا يصلح وهو عاصي شره والتهى للرجال وفي الحديث « أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء ولا أكف شعرا ولا ثوبا (١) » وكره أحمد بن حنبل رضي الله عنه أن يأتزر فوق القيص في الصلاة ورآه من السكف . وأما الاختصار فإن يضع يديه على خاصرتيه . وأما الصلب فإن يضع يديه على خاصرتيه في القيام وبجاء بين عضديه في القيام . وأما الواصلة فهي خمسة اثان على الامام أن لا يصل قراءته بتكبيره الاحرام ولا ركوعه بقرائه واثان على للمؤمن أن لا يصل تكبيرة الاحرام بتكبيره الامام ولا تسليمه بتسليمه وواحدة بينهما أن لا يصل لتسليمه الفرض بالتسليم الثانية ويفصل بينهما . وأما الحاقن فمن البول والحالب من العاقل والحاقن صاحب الحنف الضيق فان كل ذلك يمنع من الحشوع وفي معناه الجائع ولهم وفهم نهي الجائع من قوله صلى الله عليه وسلم « إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدؤوا بالعشاء إلا أن يضيق الوقت أو يكون ساكن القلب (٢) » وفي الخبر « لا يدخلن أحدكم الصلاة وهو مقطب ولا يصلين أحدكم وهو غضبان (٣) » وقال الحسن كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع وفي الحديث « سبعة أشياء في الصلاة من الشيطان العراف والناس والوسوسة والتأوُّب والحكاك والافتات والبث بالتي (٤) » وزاد بعضهم السهو والشك وقال بعض السلف أربعة في الصلاة من الجفاء الافتات ومسح الوجه وتسوية الحصى وأن تصلى بطريق من يمر بين يديك « ونهى أيضا عن أن يشبك أصابعه (٥) » أو يرفع أصابعه (٦) أو يستر وجهه (٧) أو يضع إحدى كفيه على الأخرى ويدخلهما بين فتليه في الركوع (٨) » وقال بعض الصحابة رضي الله عنهم كنا نعمل ذلك قهنا عنه ويكره أيضا أن ينفخ في الأرض عند السجود لتنظيف وأن

(١) حديث أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء ولا أكف شعرا ولا ثوبا متفق عليه من حديث ابن عباس (٢) حديث إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدؤوا بالعشاء متفق عليه من حديث ابن عمر وعائشة (٣) حديث لا يدخل أحدكم الصلاة وهو مقطب ولا يصلين أحدكم وهو غضبان لم أجده (٤) حديث سبعة أشياء من الشيطان في الصلاة: العراف والناس والوسوسة والتأوُّب والافتات وزاد بعضهم السهو والشك ت من رواية عدى بن ثابت عن أبيه عن جده فذكر منها العراف والناس والتأوُّب وزاد ثلاثة أخرى وقال حديث غريب ولسم من حديث عثمان بن أبي العاص يارسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي والحديث وللبخاري من حديث عائشة في الافتات في الصلاة هو اختلاس يغتله الشيطان من صلاة أحدكم ولشيوخ من حديث أبي هريرة التأوُّب من الشيطان ولهم من حديث أبي هريرة إن أحدكم إذا قام يصلي جاء الشيطان فليس عليه صلاته حتى لا يدركه صلى (٥) حديث التهي عن تديك الأصابع أحمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة ود ت ه ب نحوه من حديث كعب بن عجرة (٦) حديث التهي عن تنقيع الأصابع في الصلاة من حديث علي بن إسحاق ضعيف لا تقع أصابعك في الصلاة (٧) حديث التهي عن ستر الوجه د ه ك وصححه من حديث أبي هريرة حديث نهي أن ينطى الرجل فاه في الصلاة قد تقدم (٨) حديث التهي عن التطبيق في الركوع متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص قال كنا نعمله قهنا عنه وأمرنا أن نضع الأيدي على الركب .

عنه وأردنا في مخاف من الوقوع فيه فلم يأت له اجتماع مارام ولا نظام ما اقتراف نها هو صورة لا كالصور ولكل ساقطة لاقطة فبادر الناس إلى الأخذ عنه .

[فصل] ومعنى قاطع الطريق فابك بالواو

القدس ملوى - أي مم على ما أنت عليه من البحث والطلب فانك على هداية ورشد والوادي القدس عبارة عن مقام الحكيم موسى عليه السلام مع الله تعالى في الوادي وإنما قدس الوادي بما أنزل فيه من الذكر وسمع كلام الله تعالى وأقيم ذكر الوادي مقام ما حله فيه فعذف للضاف وأقام للضاف إليه مقامه وإلا فالنصود ما حلف لاما أظهر بالقول إذ الواضع لا تأثير لها وإنما هي ظروف .

[فصل] ومعنى فاستمع أي سر بقلبك لما يوحى فملك تجد على النار هدى وملكك من

يسوى الحصى يده قائما أذال يستقي عنها ولا يرفع إحدى قدميه فيضمها على فخذه ولا يستند في قيامه إلى حائط فان استند بحيث لو سل ذلك الحائط لسطط فالأظهر بطلان ملأه والله أعلم .

(تيميز الفرائض والسنة)

جملة ما ذكرناه يشتمل على فرائض وسنة وآداب وحيثات مما يبنى لمريد طريق الآخرة أن يراعى جميعها . فالفرض من حيثها اثنتا عشرة خصلة النيّة والتكبير والقيام والقاعة والأعضاء في الركوع إلى أن تنال راحتها ركبتيه مع الطمأنينة والاعتدال عنه قائما والسجود مع الطمأنينة ولا يجب وضع اليدين والاعتدال عنه قاعدا والجلوس للتشهد الأخير والتشهد الأخير والصلاة التي سلى الله عليه وسلم والسلام الأول فأمانية الخروج فلا تلبس وماعدا هذا فليس بواجب بل هي سنن وحيثات فيها وفي الفرائض . أما السنن فمن الأفعال أربعة رفع اليدين في تكبيرة الإحرام وعند الهوى إلى الركوع وعند الارتفاع إلى القيام والجلسة للتشهد الأول فأما ما ذكرناه من كيفية شتر الأصابع وحد رضاء فبهي حيثات تابعة لسنة والتورك والاقتراس حيثات تابعة للجلسة والاطراق وترك الانثناءات حيثات للقيام وتحسين صورته وجلسة الاستراحة لم ينفذها من أصول السنة في الأفعال لأنها كالتحسين لمحة الارتفاع من السجود إلى القيام لأنها ليست مقصودة في نفسها ولذلك لم يفرّد بذكر . وأما السنن من الأذكار فدعاء الاستفتاح ثم التمدد ثم قوله آمين فانه سنة مؤكدة ثم قراءة السورة ثم تكبيرات الانتقال ثم الذكر في الركوع والسجود والاعتدال عنهما ثم التشهد الأول والصلاة في التي سلى الله عليه وسلم ثم الدعاء في آخر التشهد الأخير ثم التسليمة الثانية وهذه وإن جمناها في اسم السنة فلها درجات متفاوتة إذ تكبير أربعة منها بسجود السهو . وأما من الأضأن فواحدة وهي الجلسة الأولى للتشهد الأول فانها مؤثرة في ترتيب نظم الصلاة في أعين الناظرين حتى يصر فيها أنها رباعية أم لا يخالف رفع اليدين فانه لا يؤثر في تغيير النظم فبهر عن ذلك البعض وقيل الأبعاض تغير بالسجود وأما الأذكار فكلها لا تقتضى سجود السهو إلا ثلاثة القنوت والتشهد الأول والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه بخلاف تكبيرات الانتقال وأذكار الركوع والسجود والاعتدال عنهما لأن الركوع والسجود في صورتها مختلفان للمادة ويحصل بهما معنى العبادة مع السكوت عن الأذكار وعن تكبيرات الانتقال فقدم تلك الأذكار لا لتغير صورة العبادة . وأما الجلسة للتشهد الأول ففعل متعاد وما زيدت إلا للتشهد فتركها ظاهر التأثير وأما دعاء الاستفتاح والسورة فتركها لا يؤثر مع أن القيام صار معمورا بالقاعة ومجيزا عن العادة بها وكذلك الدعاء في التشهد الأخير والقنوت أبعد ما يجبر بالسجود ولكن شرع فيه الاعتدال في الصبح لأجله فكان كدجلسة الاستراحة إذ صارت بالدم مع التشهد جلسة للتشهد الأول فبقى هذا قاعدا ممدودا متعادا ليس فيه ذكر واجب وفي الممدود احتراز عن غير الصبح وفي خلوه عن ذكر واجب احتراز عن أصل القيام في الصلاة . فان قلت تيميز السنن عن الفرائض معقول إذ نفوت الصحة بفوت الفرض دون السنة ويتوجه العقاب به دونها فأما تيميز سنة عن سنة والسكوت مأثور به على سبيل الاستحباب ولا عقاب في ترك السكوت والثواب موجود على السكوت في مناه . فاعلم أن اشتراكهما في الثواب والعقاب والاستحباب لا يرفع تفاوتهما ولتكشف ذلك لك بشأن وهو أن الانسان لا يكون إنسانا موجودا كاملا إلا بمعنى باطن وأعضاء ظاهرة ، فالغنى الباطن هو الحياة والروح والظاهر أجسام أعضائه ثم بعض تلك الأعضاء يعلم الانسان بعمدها كقلب والكبد والماغ وكل عضو نفوت الحياة بفواته وبعضها لا نفوت بها الحياة ولكن نفوت بها مقاصد الحياة كالعين واليد والرجل واللسان وبعضها لا نفوت بها الحياة ولا مقاصدها ولكن نفوت بها الحسن

سراقات العز تنادي
بناودي به موسى إلى
أنتابك أي فرغ قلبك
لما يرد عليك من
فوائد المزيد وحوادث
الصق وعار المعارف
وارتياح سالك الطريق
وإشارات قرب الوصول
وسر القلب كما يقول
أذن الرأس ووسع
الآذان وما يوصي أي
ما يرد من الله تعالى
بواسطة ملك أو إلقاء
بواسطة ملك أو إلقاء
فدروع أو مكاشفة
بحقيقة أو ضرب مثل
مع العلم بتأويله
ومعنى تلك حرف
ترويع ومعنى إن لم
تدرك آفة فخطبك
عن سماع الوحي من
إعجاب بحال أو إضافة
دعوى إلى النفس أو
قنوع بما وصلت إليه
واستبداده عن غيره
وسراقات الحيد هي
حجب للسكوت وما
نودي به موسى هو علم
التوحيد الق وسعت
العبارة اللطيفة عنه
بقوله حين قال له
يا موسى إنّي أنا الله لا اله
إلا أنا وللأدى باسمه
أزلا وأبدا هو اسم

موسى لما سمى السالك
 للوجود في كلام الله
 تعالى فأزول الأزل قبل
 أن خلق موسى لآلئ
 أول وكلام الله تعالى
 صفته لا يتغير كالأنف
 هو إذ ليست صفاته
 للنوعية لتغيره وهو
 الذي لا يحول ولا يزول
 وقد زل قوم عظم
 اقتراحهم وهو أنهم
 حملوا صدور هذا
 القول على اعتقاد
 اكتساب النبوة وعياد
 بالله من أين غنم
 هذا القول ما حمله
 من للذهب اليسوا
 وهم يعرفون أن كثير
 من يسكنون بحضرة
 ملك من ملوك الدنيا
 وهو مخاطب إنسانا
 آخر فقد ولاية كبيرة
 وفوض إليه عملا عظيما
 وجاءه جاء خطيرا
 وهو ينادي باسمه أو
 باسمه بما يتل من
 أمره ثم إن السامع
 لذلك الحاضر معه غير
 الولي لم يشارك الولي
 الخلو عليه وللخوض
 إليه في شيء مما ولى
 وأعطى ولم تجب له
 بسامعه ومشاهدته

الحاجين والحية والأهداب وحسن اللون وبضها لا يفوت بها أصل الجمال ولكن كاله كاستقواس
 الحاجبين وسواد شعر اللحية والأهداب وتناسب خلقة الأعضاء وامتزاج الحرة بالبياض في اللون
 فهذه درجات متفاوتة فكذلك العبادة صورها الشروع وتبدينا باكتسابها فروجها وجانها
 الباطنة المشعشعة والنية وحضور القلب والاخلاس كما سيأتي ونحن الآن في أجزائها الظاهرة فالأركان
 والسجود والقيام وسائر الأركان تجري منها مجرى القلب والرأس والمكبد إذ يفوت وجود الصلاة
 بفواتها والسنن التي ذكرناها من رفع اليدين ودعاء الاستفتاح والتشهد الأول تجري منها مجرى
 اليدين والعينين والرجلين ولا يفوت الصحة بفواتها كما لا يفوت الحياة بفوات هذه الأعضاء ولكن
 يصير الشخص بسبب فواتها مشوه الحلقة مذمومة غير مرغوب فيه فكذلك من انحصر على أقل
 ما يجزى من الصلاة كان كمن أهدي إلى ملك من الملوك عبدا حيا مقطوع الأطراف . وأما الهيئات
 وهي ما وراء السنن فتجري مجرى أسباب الحسن من الحاجبين واللحية والأهداب وحسن اللون .
 وأما وظائف الأركان في تلك السنن فهي مكملات للحسن كاستقواس الحاجبين واستدارة اللحية
 وغيرها فالصلاة عندك قربة ونعمة تقرب بها إلى حضرة ملك الملوك كوصيفة يهدى بها طالب القربة
 من السلاطين إليهم وهذه النعمة تعرض على الله عز وجل ثم ترد عليك يوم العرض الأكبر فإليك
 الخيرة في تحصيل صورتها وتضييها فإن أحسنت فلنفسك وإن أسأت فلطيفها ولا ينبغي أن يكون
 حظك من ممارسة الفقه أن يتميز لك السنة عن الفرض فلا يعلق به منك من أوصاف السنة إلا أنه
 يجوز تركها فتركها فإن ذلك ضاهي قول الطبيب إن فقه العين لا يبطل وجود الإنسان ولكن
 يخرج من أن يصدق رجاء المتوفى في قبول السلطان إذا أخرجه في مرض الهدية فمكنا ينبغي
 أن نضم مراتب السنن والهيئات والأداب فكل صلاة لم يتم الإنسان ركوعها وسجودها فهي
 الحطم الأول على صاحبها تحول ضيق الله كما ضيعت فطالع الأخبار التي أوردناها في كمال أركان
 الصلاة يظهر لك وقها .

(الباب الثالث في الشروط الباطنة من أعمال القلب)

ولقد ذكر في هذا الباب ارتباط الصلاة بالخشوع وحضور القلب ثم ندكر للماني الباطنة وحدودها وأسبابها
 وعلاجها ثم ندكر تفصيل ما ينبغي أن يحضر في كل ركن من أركان الصلاة لتكون سالما لحقار الآخرة .

(بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب)

اعلم أن آجال ذلك كثيرة فمن ذلك قوله تعالى ... أقم الصلاة لذكري ... وظاهر الأمر الوجوب والنهية تضاد
 الله كرفي غفل في جميع صلاته كيف يكون منها للصلاة له كره وقوله تعالى ... ولا تكن من الغافلين ...
 نهى وظاهره التحريم وقوله عز وجل ... حتى تعلموا ما تقولون ... تليل لئى السكران وهو مطرد
 في الغافل المستغرق المغم بالوسواس وأفكار الدنيا وقوله صلى الله عليه وسلم « إنما الصلاة تحسكن
 وتواضع » حصر بالأفب واللام وكلمة « إنما للتحقيق والتوكيد وقد فهم الفقهاء من قوله عليه السلام
 « إنما الشفة فيما لم يقصر » الحصر والانتباة والتقي وقوله صلى الله عليه وسلم « من لم ته صلاته عن
 التمشاء والنسكر لم يزد من الله إلا عبدا » وصلاة الغافل لا تمنع من التمشاء والنسكر . وقال صلى
 الله عليه وسلم « كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب (١) » وما أراد به إلا الغافل وقال

(الباب الثالث)

(١) حديث كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب . من حديث أبي هريرة ربه قائم
 ليس له من قيامه إلا السهر ولأحمد ربه قائم حظه من صلاته السهر وإسناده حسن .

صلى الله عليه وسلم «ليس العبد من صلاته إلا ما غفل من (١)» والتحقق فيه أن الصلح مناجاة به عز وجل (٢) كورده الخبر والكلام مع الغفلة ليس بتناجاة البتة ويانه أن الزكاة غفل الإنسان عنها مثلاً فهي في نفسها غفلة للشهوة شديدة على النفس وكذا الصوم ظاهر فقوى كسر لسطورة الهوى الذي هو آفة للشيطان عدو الله فلا يمد أن يحصل منها مقصود مع الغفلة وكذلك الحج أضال الشاقة شديدة وفيه من المجاهدة ما يغصل به الإيلا م كان القلب حاضراً مع أضاله أو لم يكن أما الصلاة فليس فيها إلا ذكر وقراءة ور كوع وسجود قيام وقعود فأما الذكر فإنه عاورة ومناجاة مع الله عز وجل فاما أن يكون المقصود منه كونه خطاباً ومحاوراً والمقصود منه الحروف والأصوات امتحاناً للسان بالعمل كما تمتحن المعدة والقرح بالمساك في الصوم وكما تمتحن البدن بمشاق الحج و تمتحن القلب بمشقة إخراج الزكاة وقطاع المال للمشوق ولا شك أن هذا القسم باطل فإن تحريك اللسان بالمغنيان مألوف على الناقل فليس فيه امتحان من حيث إنه عمل بل للمقصود الحروف من حيث إنه نطق ولا يكون نطقاً إلا إذا أعرب بمحامي الصمير ولا يكون عرباً إلا بحضور القلب فأى سؤال في قوله إهدنا الصراط المستقيم إذا كان القلب غافلاً وإذا لم يقصد كونه مقصراً ودعاء فأى مشقة في تحريك اللسان به مع الغفلة لاسيما بعد الاعتياذ هذا حكم الأذكار بل أقول لو حلف الإنسان وقال لأشكرن فلانا وأثنى عليه وأسأله حاجة ثم جرت الألفاظ الدالة على هذه المعاني على لسانه في النوم لمير في بينه ولو جرت على لسانه في ظلمة وذلك الإنسان حاضراً وهو لا يعرف حضوره ولا يراه لا يصير باراً في بينه إلا لا يكون كلامه خطاباً ونطقاً مع ما لم يكن هو حاضراً في قلبه فلو كانت تجري هذه الكلمات على لسانه وهو حاضراً إلا أنه في رياض التهار غافل لكونه مستغرق المهيم فمكر من الأفاكار ولم يكن له قصد توجيه الخطاب إليهم عند نطقه لم يصر باراً في عينه ولا عاكف في أن المقصود من القراءة والأذكار أخذ الوفاء والتضرع والثناء والخطاب هو الله عز وجل وقلبه بحجاب الغفلة محبوب عنه فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن الخطاب ولسانه يتحرك بحكم المادة فما أبعد هذا عن المقصود بالصلاة التي شرعت لتسقيط القلب وتجديده كالله عز وجل ورسوخ عقد الإيمان به هذا حكم القراءة والله كروياً بالجللة فهذه الخاصة لا سبيل إلى إنكارها في النطق وتميزها عن الفعل وأما الركوع والسجود فالمقصود بهما التعظيم قطعاً ولو جاز أن يكون معظماً لله عز وجل بفضله وهو غافل عنه لجاز أن يكون معظماً لضم موضوع بين يديه وهو غافل عنه أو يكون معظماً للعاطف الذي بين يديه وهو غافل عنه وإذا خرج عن كونه معظماً لم يبق إلا مجرد حركة الظهر والرأس وليس فيمن لشقة ما يقصد الامتحان به ثم يجعله عماد الدين والفاصل بين الكفر والاسلام ويقدم على الحج وسائر العبادات ويجب القتل بسبب تركه على المحسوس وما أرى أن هذه المظلمة كلها للصلاة من حيث أعمالها الظاهرة إلا أن يضاف إليها مقصود المناجاة فإن ذلك يتقدم على الصوم والزكاة والحج وغيره بل الضحايا والقرابين التي هي مجاهدة للنفس بتقيص المال قال الله تعالى - لن يبال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منك - أي الصفة التي استولت على القلب حتى حلتها على امتثال الأوامر هي المطلوبة فكيف الأمر في الصلاة ولا أرب في أضالها فهذا ما يدل من حيث المعنى على اشتراط حضور القلب . فان قلت إن حكمت ييطان الصلاة وجعلت حضور القلب شرطاً في صحتها خالفت إجماع الفقهاء فاتهم بل يشترطوا

(١) حديث ليس العبد من صلاته إلا ما غفل من أجده مرفوعاً وروى محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة من رواية عثمان بن أبي دهرش مرسل لا يقبل الله من عبد عملاً حتى يشهد قلبه مع بدنه ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي بن كعب ولا بن المبارك في الزهد موقفاً على عمار لا يكتب للرحل من صلاته ما سبى عنه (٢) حديث الصلح بناهى ربه متفق عليه من حديث أنس .

أكثر من حطوة القرية وشرفاً لحضور وميزة للكشفة من غير وصول إلى درجة الخطاب بالولاية والقبول إلى الله الأسر وتلك هذا السالك فلذلك إذا وصل في طريقه ذلك بحيث يصل بالمكشوفة وللشاهدة واليقين التام الذي يوجب المعرفة والعلم بتفاصيل العلوم فلا يمتنع أن يسمع ما يوحى لغيره من غير أن يقصد هو بذلك إذ هو على صانع الوحي على البوام وموضع للاتسكة وكفى بها أنها الحاضرة الربوبية وموسى عليه السلام ما استحق الرسالة والنبوة ولا استوجب التكليم وصانع الوحي مقصوداً بذلك محله في هذا المقام الذي هو للربة الثالثة قطع بل قد استحق ذلك بفضل الله تعالى حين خصه بمعى آخر ترقى إلى ذلك المقام أضماطاً لجاوز للربة الرابعة لأن آخر مقامات

الأنبياء أول مقامات
الأنبياء موسى عليه
السلام نبي مرسى
فقامه ألقى بكثير ٤٤
نحن أخذون في أطرافه
لأن هذا المقام الذي
هو الرتبة الثالثة
ليست من غايات مقام
الولاية بل هو إلى
مباديها أقرب منه إلى
غايتها فمن لم يفهم
درجات المقام وخاصة
النسوة وأحوال
الولايات كيف يتعرض
للكلام فيها والطنين
على أهلها هذا لا يصلح
إلا لمن لا يعرف أنه
مؤاخذ بكلامه صاحب
بظنه وشيئه مكتوب
عليه خطراته محفوظ
عليه لحظاته مخلصا
منه بقطاته وغفلاته
فما يلقظ من قول إلا
له رقيب عتيد . فإن
قلت أراك قد أوجبت
له نداء الله تعالى
ونداء كلامه والله
تعالى يقول - تلك
الرسائل فضنا بعضهم
على بعض منهم من
كلم الله ورفع بعضهم
درجات - فقد نبهنا
تسليم الله تعالى لمن

الاحتمار القلب عند التكبير . فاعلم أنه قد تقدم في كتاب العلم أن الفقهاء لا يتصرفون في الباطن ولا
يشفون عن القلوب ولا في طريق الآخرة بل يبنون ظاهر أحكام الدين على ظاهر أعمال الجوارح وظاهر
الأعمال كالفصول والفتاوى فالسلطان فأما أنه ينفع في الآخرة فليس هذا من حدود الفقه على أنه
لا يمكن أن يدعى الاجماع فقد هل عن يمين الحارث فبارواه عنه أبو طالب للسك عن صفيان الثوري
أنه قال من لم يسمع فقد صلاته وروى عن الحسن أنه قال كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى
العقوبة أسرع وعن معاذ بن جبل من عرف من على يمينه وشماله متمدا وهو في الصلاة فلا صلاة له
وروى أيضا مسندا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليصل الصلاة لا يكتب له سجدتها ولا
عشرها وإنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها » وهذا لو قل عن غيره لجعل مذهبا فكيف
لا يتسبك به وقال عبد الواحد بن زيد أجمعت العلماء على أنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها فجعله
إجماعا وما نقل من هذا الجنس عن الفقهاء للتورعين وعن علماء الآخرة أكثر من أن يحصى والحق
الرجوع إلى أدلة الشريعة والأخبار والآثار ظاهرة في هذا الشرط إلا أن مقام الفتوى في التكليف الظاهر
يتقدر بقدر قصور الحاقق فلا يمكن أن يشترط على الناس إحضار القلب في جميع الصلاة فإن ذلك يعجز
عنه كل البشر إلا الأقلين وإذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرده إلا أن يشترط منه
ما ينطبق عليه الاسم ولو في اللحظة الواحدة وأولى اللحظات به لحظة التكبير فاتصرت على التكليف
بذلك ونحن مع ذلك نرجو أن لا يكون جال التناقل في جميع صلاته مثل حال التارك بالكيفية فانه على
الجهة أقدم على الفعل ظاهرا وأحضر القلب لحظة وكيف لا والذي صلى مع الحدث ناسيا صلاته بإطلا
عند الله تعالى ولكن له أجر ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره ومع هذا الرجاء فيخفى أن
يكون حاله أشد من حال التارك وكيف لا والذي يحضر الخدمة ويتهاون بالخدمة ومتكلم بكلام
التناقل المتشجر أشد حالا من الذي يمرض عن الخدمة وإذا تمارض أسباب الخوف والرجاء وصار
الأمر خطرا في نفسه فإليك الحيرة بعده في الاحتياط والتساهل ومع هذا فلا مطمع في مخالفة الفقهاء فيما
أفتوا به من الصحة مع التسفلة فإن ذلك من ضرورة الفتوى كما سبق التنبيه عليه ومن عرف سر
الصلاة علم أن الغفلة تضادها ولكن قد ذكرنا في باب الفرق بين العلم الباطن والظاهر في كتاب
قواعد العقائد أن تصور الخلق أحد الأسباب لثامته عن التصريح بكل ما ينكشف من أسرار
السرع فلنقتصر على هذا القدر من البحث فإن فيه مقنا للرديد الطالب لطريق الآخرة وأما المجادل
للشغب فلنسا قصد غماطته الآن . وحاصل الكلام أن حضور القلب هو روح الصلاة وأن أقل
ما يبقى به رمق الروح الحضور عند التكبير فالتقصان منه هلاك . ويحذر الزيادة عليه بتسبب الروح
في أجزاء الصلاة وكل من حى لأحراكه بقرب من ميت فصلاة التناقل في جميعها لإلغاء التكبير كمثل
حى لأحراكه به نسأل الله حسن العون .

(بيان للماني الباطنة التي تتم بها حياة الصلاة)

اعلم أن هذه للماني تتكرر الممارات عنها ولكن يجمعها تحت جل وهي حضور القلب والذهن والتعظيم
والهيبة والرجاء والحياة فلنذكر تفاصيلها ثم أسماها ثم العلاج في كتابها . أما التفاصيل
فالأول حضور القلب ونفى به أن يفرغ القلب عن غير ما هو ملازم له ومتكلم به فيكون العلم بالعمل
والقول مقرونا بهما ولا يكون الفكر جازلا في غيرهما ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه وكان
(١) حديث إن العبد ليصل الصلاة لا يكتب له سجدتها ولا عشرها الحديث من حبان حديث
عمار بن ياسر بنحوه .

في قلبه ذكر لاهو فيه ولم يكن فيه غفلة عن شيء فقد حصل حضور القلب ولكن النظم لم ي
 السلام أمر وراء حضور القلب قريبا يكون القلب حاضرا مع اللفظ ولا يكون حاضرا مع معنى اللفظ
 فاشتغال القلب بالمعنى هو الذي أردناه بالنظم وهذا مقام يتفاوت الناس فيه إذ ليس يشترك الناس
 في فهم الماني للقرآن والتسيجات وكمن دمان لطيفة يفهمها للقلبي أثناء الصلاة ولم يكن قد خطر
 بقلبه ذلك قبله ومن هذا الوجه كانت الصلاة تامة عن النشأ وللشكر فانها تفهم أمورا تلك
 الأمور تنبع عن النشأ لاجتماع . وأما العظم فهو أمر وراء حضور القلب والفهم إذ الرجل ينطاب
 عده بسلام هو حاضر القلب فيه ومتعمق لهناه ولا يكون معظما له فالتعظيم زائد عليها . وأما الهيبة
 فزائدة على التعظيم لعلها عبارة عن خوف منشؤه التعظيم لأن من يخاف لا يسمى عابثا والخافة من
 القرب وسوء خلق العبد وما يجري مجراه من الأسباب الخسية لا تسمى مهابة بل الخوف من السلطان
 العظم يسمى مهابة والهيبة خوف مصدرها الاجلال . وأما الرجا فلا شك أنه لا تدرك من معظم ملكا من
 اللوكة بهابه أو يخاف سطوته ولكن لا يرجو موته والبعد ينبغي أن يكون راجيا بصلاته نواب الله
 عز وجل كما أنه خائف بتقصيره عقاب الله عز وجل . وأما الحياء فهو زائد على الجلة لأن مستنده
 استعمار قصير وتوهم ذنب ويتصور التعظيم والخوف والرجاء من غير حياء حيث لا يكون توهم
 قصير واترك ذنب . وأما أسباب هذه الماني الستة فاعلم أن حضور القلب سببه الهمة فان قلبك
 تابع لهتك فلا يحضر إلا بما يحبك ومهما أهلك أمر جسر القلب فيه شاء أم أبي فهو يجوب على
 ذلك ومسخر فيه والقلب إذا لم يحضر في الصلاة لم يكن متعللا بل جائلا فبها الهمة مصروفة إليه من
 أمور الدنيا فلاحية ولا علاج لإحضار القلب إلا بصرف الهمة إلى الصلاة والهمة لا تصرف إليها مالم
 يتبين أن الغرض للطوبى منوط بها وذلك هو الإيمان والتصديق بأن الآخرة خير وأبقى وأن
 الصلاة وسيلة إليها فإذا أضيف هذا إلى حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهماتها حصل من مجموعها حضور
 القلب في الصلاة ويمثل هذه العلة يحضر قلبك إذا حضرت بين يدي بعض الأكابر عن لا يتدبر على
 مضرتك ومنفعتك فإذا كان لا يحضر عبد للناجاة مع ملك اللولا الذي بيده الملك والمكوت والنعيم
 والضرب فلا تظن أن له سببا سوى ضعف الإيمان فاجتهد الآن في تقوية الإيمان وطريقه يستقي في
 غير هذا الوضع . وأما التفهم فسيه بعد حضور القلب إيمان الفكر وصرف الذهن إلى إدراك
 الماني وعلاجه ماهو علاج إحضار القلب مع الأفعال على الفكر والتشعر لدفع الحواطر وعلاج دفع
 الحواطر الشاغلة قطع موادها أعنى الزنوع عن تلك الأسباب التي تجذب الحواطر إليها ومالم تقطع
 تلك اللواد لا تصرف عنها الحواطر فمن أحب شيئا أكثر ذكره فذكر المحبوب يهجم على القلب
 بالضرورة فلذلك ترى أن من أحب غير الله لا تصفو له صلاة عن الحواطر وأما التعظيم فهي حالة
 للقلب تولد من معرفتين إحداهما معرفة جلال الله عز وجل وعظمته وهو من أصول الإيمان فان
 من لا يشهد عظمته لا تدفع النفس لتنظيمه . الثانية معرفة حقارة النفس وخساستها وكونها عبدا
 مستخرا مربوبا حتى يتولد من المررتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله سبحانه فيغير عنه
 بالتنظيم ومالم يتجزع معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الله لا تتعظم حالة التعظيم والخشوع فان
 السخني عن غيره الأمن على نفسه يجوز أن يعرف من غيره صفات العظمة ولا يكون
 الخشوع والتنظيم حالة لأن القرنة الأخرى وهي معرفة حقارة النفس وساجتها لم تقرر إليه .
 وأما الهيبة والخوف فعلة للنفس تولد من المعرفة بقدرته الله وسطوته وقود مشيئة فيه
 مع قلة البالابة به وأنه لو أهلك الأولين والآخرين لم ينقص من ملكه ذرة هذا مع مطالعة

كله من الرسل إنما هو على سبيل المبالغة في التفضيل وهذا لا يصلح أن يكون لغيره ممن ليس بنبي ولا رسول وإذا بان السبب وقصد بادر الشك العارض في مسالك الحقائق فتقول ليس في الآية ما يريد ما قلنا ولا يكسر لانا ما أوجبنا أنه كلمه قصدا ولا توخاه بالخطاب عمدا وإنما قلنا يجوز أن يسمع ما يخاطب الله تعالى به غيره مما هو أعلى منه أليس من يسمع كلام إنسان مثلا مما يشكلم به غير السامع فيقال فيه إنه كلمه وقد حكى أن طائفة من بني إسرائيل سمعوا كلام الله تعالى الذي خاطب به موسى حين كلمه ثم إذا ثبت ذلك لم يجب لهم به درجة شوى عليه السلام ولا للشاركة في نبوته ورسالته على أنا قول شس ورود الخطاب إلى السامعين من الله تعالى يمكن

دايمى على الأنياء والأولياء من المصائب وأنواع البلاء مع القدرة على الدفع على خلاف ما يشاهد من ملوك الأرض ، وبالجملة كلما زاد العلم بالله زادت الحسنة والمهنية وسبب أسباب ذلك في كتاب الحروف من ربيع اللججيات . وأما الرجاء فسيه معرفة لطف الله عز وجل وكرمهم نعمهم إنعامهم ولطف الله صفة ومعرفة صدقة في وعده الجنة بالصلاة ، فإذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بطقه انبث من مجموعها الرجاء لاجلها . وأما الحياة فاستشعاره التقصير في العبادة وعله بالسجود عن القيام بطلب حق الله عز وجل ويقوى ذلك بالمعرفة بيبوب النفس وآفاتنا وقلة إخلاصها وخبت دخلتها وميلها إلى الحظ العاجل في جميع أفعالها مع العلم بطلب ما يقتضيه جلال الله عز وجل والعلم بأنه مطلع على السرّ وخطرات القلب وإن دقت وخفيت وهذه للمارف إذا حصلت يقينا انبث منها بالضرورة حالة تسمى الحياة فهذه أسباب هذه الصفات وكل ما طلب تحصيله فلابد إحضار سببه في معرفة السبب معرفة العلاج ورباطة جميع هذه الأسباب بالإيمان واليقين أعني به هذه المعارف التي ذكرناها ومعنى كونها يقينا أثناء الشك واستيلائها على القلب كما سبق في بيان اليقين من كتاب السلم ويقتدر اليقين بضع القلب ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عدينا ونحوه فإذا حضرت الصلاة كأنه لم يعرف ولم يعرفه » ، وقد روى أن الله سبحانه أوحى إلى موسى عليه السلام « يا موسى إذا ذكرتني فاذكرني وأنت تنتفض أعضاؤك وكن عند ذكرى خاشعا مطمئنا وإذا ذكرتني فأجعل لسانك من وراء قلبك وإذا قلت بين يدي قم قيام العبد الدليل وناجي قلب وجل ولسان صادق » ، وروى أن الله تعالى أوحى إليه « قل لصدا أمتك لا بد كروناني آيتي على نفسي أن من ذكرني ذكرته فإذا ذكروني ذكرتهم بالجنة هذا في عاص غير غافلي ذكره فكيف إذا اجتمعت الغفلة والعصيان واختلاف اللماي التي ذكرناها في القلوب انهم الناس إلى غافل يقيم صلاته ولم يحضر قلبه في لحظة منها وإلى من يقيم ولم ينب قلبه في لحظة بل ربما كان مستوعب الله بها بحيث لا يحس بما يجري بين يديه ولذلك لم يحس مسلم بن يسار بسقوط الأسطوانة في للسجد اجتمع الناس عليها وبضهم كان يحضر الجماعة مدة ولم يعرف قط من على يمينه ويساره ويجب قلب إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه كان يسمع على ميلين وجماعة كانت تصفر وجوههم وترتد فرائصهم وكل ذلك غير مستبعد فإن أضعافه شاهد في هم أهل الدنيا وخوف ملوك الدنيا مع مجرم وضهم وخساسة المخلوط الحاصلة منهم حتى يدخل الواحد على ملك أو وزير ويحدثه بمهنته ثم يخرج ولو سئل عن حواله أو عن ثوب للك لكان لا يفتد على الأخبار عنه لاقتضال همه به عن ثوبه وعن الحاضرين حواله ولكل درجات مما عملوا حفظ كل واحد من صلاته بقدر خوفه وخشوعه وتنظيمه فإن موقع نظر الله سبحانه القلوب دون ظاهر الحركات ولذلك قال بعض الصالحين رضي الله عنهم عشر الناس يوم القيامة على مثال هيتهم في الصلاة من الطمأنينة والهدوء ومن وجود التميم بها والذلة ولقد صدق فانه عشر كل على مامات عليه يوت على ما عاش عليه وراعى في ذلك حال قلبه لاجل شخصه صفات القلوب تصاغ الصور في الدار الآخرة ولا ينبغي إلا من آتى الله قلب سليم ، نسأل الله حسن التوفيق بطقه وكرمه .

(بيان الدواء النافع في حضور القلب)

اعلم أن التأمل لابد أن يكون معظا لله عز وجل وخائفا منه وراجيا له ومستحيما من تقصيره فلا تنفك عن هذه الأحوال بعد إيمانه وإن كانت قوتها بقدرة قوة يقينه فاضكها عنها في الصلاة لاسبب له إلا تضرع التضرع وتقسيم الحائظ وغية القلب عن للتاجاة والغفلة عن الصلاة ولا يلهي عن الصلاة

الاختلاف فيه فيكون
التي الرسل يسمع
كلام الله تعالى عز
وجل الداني القدم
بلا حجاب في السمع
ولا واسطة بينه وبين
القلب ومن دونه يسمعه
على غير تلك الصورة
عما يليق في روعه ومحا
ينادي به في صميه أو
سره وأغياه ذلك كما
ذكر أن قوم موسى
عليه السلام حين سمعوا
كلام الله سبحانه مع
موسى أنهم سمعوا
صوتا كالشور وهو
القرآن فذا صحت ذلك
فتبين القامات اختلف
ورود الخطاب فرسى
سمع كلام الله بالحقيقة
الذي هو صفة له بلا
كيف ولا صورة نظ
الحروف ولا أصوات
والذين كانوا معه أيضا
سمعوا ما نطقوا به
لم علامة ودلالة على
سحة التكليم وخلق الله
سبحانه تلك العلم
الضروري وسمى ذلك
الذي سمعوه كلامه
إذ كان دالة عليه كما
تسمى التلاوة وهي
الحروف المتكلم بها

الإلحاط والورد النشأة فالله في إحضار القلب هو دفع تلك الحواطر ولا بدع الذي لا بدع فيه
 قتلتم فيه وسبب موارد الحواطر إيمان يكون أمرا خارجا أو أمرا في ذاته باطنا أما الخارج فلا يقرع
 السمع أو يتطير للبصر فإن ذلك قد يحفظ الهم حتى يقبض ويتصرف فيه ثم تنجر منه السكرة إلى
 غيره ويسلسل ويكون الابصار سببا للافتكار ثم تصير بعض تلك الأفكار سببا للبعض ومن قويت
 فيه وعلت عنه لم يلزم ما جرى على حواسه ولكن التصفية لابد وأن يتفرق به فكره وعلاجه
 قطع هذه الأسباب بأن يغنى بصره أو يسل في بيت مظلم أو لا يترك بين يديه ما يشغل حسه وقرب
 من حائط عند صلاته حتى لا تنسج مسافة بصره ويحترز من الصلابة على الشوارع وفي المواضع للنقوشة
 للصنوعة وعلى القرش للصبغة ولذلك كان المتعبون يتعبون في بيت صغير مظلم سمته قدر السجود
 ليكون ذلك أجمع للهم والأقواء منهم كانوا يحضرون للساجد وضوضون البصر ولا يجاوزون به
 موضع السجود ويرون كمال الصلاة في أن لا يرفقوا على طي بينهم وشغلهم ، وكان ابن عمر رضي الله
 عنهما لا بدع في موضع الصلاة مصحفا ولا سيفا إلا نزع ولا كتابا إلا عماء ، وأما الأسباب الباطنة
 فهي أشد فأن من تشعبت به المعلوم في أودية الدنيا لا ينصرف فكره في فن واحد بل لا يزال يطير من
 جانب إلى جانب وغض البصر لا يفنيه ، فان ما وقع في القلب من قبل كاف للشغل فهذا طريقه أن
 يرد النفس قهرا إلى فهم ما قرؤه في الصلاة ويشغلها به عن غيره ويغنى على ذلك أن يستبدل قبل
 التحريم بأن يجدد على نفسه ذكر الآخرة وموقف الناجاة وخطر اللقاع بين يدي الله سبحانه وهو
 للطلوع ويفرق قلبه قبل التحريم بالصلاة عما بهمه فلا يترك نفسه شغلا يلتفت إليه خاطره . قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لعنان بن أبي شية « إني نسيت أن أقول لك أن تحذر القدر الذي
 في البيت (١) » فانه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل الناس عن صلاتهم فهذا طريق تسكين
 الأفكار فان كان لا يسكن هوائج أفكاره بهذا الدواء المسكن فلا ينبغي إلا السهل الذي يقع مادة
 الداء من أعماق المروق وهو أن ينظر في الأمور الصارفة الشاغلة عن إحضار القلب ، ولا شك أنها
 تعود إلى مهماته وأنها إنما صارت مهمات لشهواته فيه أقبح نفسه بالزروع عن تلك الشهوات وقطع
 تلك العلائق فكل ما يشغله عن صلاته فهو ضد دينه وجدد بإبليس عدوه فامساكه أضمر عليه
 من إخراجها فيتخلص منه بإخراجها كما روى أنه صلى الله عليه وسلم « لما لبس الخميصة التي أتاه بها
 أبو جهم وعليها علم وصلى بها نزعها بعد صلاته ، وقال صلى الله عليه وسلم : اذهبوا بها إلى أبي جهم
 فانها ألفتني اتقا عن صلاتي واتقوا بأنيجانية أبي جهم (٢) . وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بتجديد شركائه فله نظر إليه في صلاته إذ كان جديدا فأمر أن يترفع منها ويرد الشركاء الخلق (٣) .
 وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى نملا فأعجبه حسنا فسجد وقال تواضعت لربي عز وجل كي لا يعقني
 ثم خرج بها فدفعها إلى أول سائل لقيه ، ثم أمر عليا رضي الله عنه أن يشتري له ثلثين سبتيين
 جرداوين فلبسها (٤) . وكان صلى الله عليه وسلم في يده خاتم من ذهب قبل التحريم وكان على المنبر
 (١) حديث إني نسيت أن أقول لك تحذر القربين الذين في البيت الحديث د من حديث عثمان الجعي
 وهو عثمان بن طلحة كافي مسند أحمد ووقع للصف أنه قال ذلك لعنان بن شية وهو وهم (٢) حديث
 نزع الخميصة وقال اتقوا بأنيجانية أبي جهم متفق عليه من حديث عائشة وقد تقدم في العلم .
 (٣) حديث أمره بنزع الشركاء الجديد ورد الشركاء الخلق إذ نظر إليه في صلاته ابن المبارك في الزهد
 من حديث أبي النضر مرسلنا بإسناد صحيح (٤) حديث احتذى نملا فأعجبه حسنا فسجد وقال تواضعت
 لربي الحديث أبو عبد الله بن حنظلي في شرف الفقراء من حديث عائشة مسند صحيح .

القرآن كلام الله تعالى
 إذعي دلالة عليه ، فان
 قلت فابق على السامع
 إذ اسمع كلام الله تعالى
 الذي يستفيد معرفة
 وحدانيته وقته أمره
 ونبيه وفيهم مراده
 وحكمه يلحقه السلم
 الضروري فيما أرى
 بأنه الشيء المرسل
 إلا بأن يشغل بأصالح
 الخلق دونه ولو كان
 عوضا منه أخسر
 عنه ومقامه مقامه ؟
 فاعلم أن الذي أوجب
 عثورك ودوام ذلك
 واعتراضك على المعلوم
 بالجهل وعلى الخفايا
 بالمقابل إنك بعيد
 عن غور المطالب قبيد
 في شرك للمطالب قبيد
 صوب الصوت عتيق
 صعب السحاب إن
 الذي استحق به
 الناظر السالك الواصل
 للربة الثالثة صانع
 نداه الله تعالى معنى
 ومقام وحال وخاصة
 أطي من تلك الأولى
 وأجل وأكبر وبينها
 ما بين من استحق
 للواجبة بالمطالب
 والقصد به وبين من

غرماء ودل شغلي هذا فطرة إليه ونظرة إليكم (١) « وروى « أن أباطحة صلى في حائط وقبض فاعجبه
 - بنى طائر في الشجر يلمس عن جأ أتبعه بصراصة ثم لم يدرك صلى فقد كر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 ما أصابه من القته ثم قال يا رسول الله هو صدقة فضعه حيث شئت (٢) - وعن رجل آخر أنه روى
 في حائط له والكل ملوطة بشجره فاعتقل إليها فاعجبه ولم يدرك صلى فذكر ذلك لثمان رضي الله عنه وقال
 هو صدقة فاحمله في سبيل الله عز وجل فباعه ثمان مائة الفكانوا يفعلون ذلك قطعا لمادة الفكر
 وكفارة لما جرى من تعصان الصلاة وهذا هو الهواء القامع لمادة العلة ولا ينبغي غيره فأما ما ذكرناه
 من التلطف بالتسكين والرد إلى فهم الذكر فذلك ينفع في الشهوات الضعيفة والمسمات التي تشغل الأحوال
 القلب فأما الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع فيها التسكين بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك ثم تقلبك وتقتضي
 جميع صلاتك في شغل المجاذبة ومثالها رجل نعت شجرة أراد أن يصفو له فكره وكانت أصوات الصائرين
 تشوش عليه فلا يزال يطيرها بخشبة في يد ويود إلى فكره فتعود الصائرين فيعود إلى التنثير بالخشبة
 قليله إن هذا أمير السواني ولا ينفذ علم أن أردت الخلاص فاقطع الشجرة فكذلك شجرة الشهوات
 إذا تشعبت وتفرعت أغصانها انجذبت إليها الأفكار انجذاب الصائرين إلى الأشجار وانجذاب القباب إلى
 الأقدار والشغل يطول في دفعها فإن الباب كلما يآب ولأجله صلى ذبا فكذلك الحواطر وهذه الشهوات
 كثيرة وقلمنا غلو البعد عنها وبجمعها أصل واحد وهو حب الدنيا وذلك رأس كل خطيئة وأساس
 كل نقصان ومنبع كل فساد ومن أنطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال إلى شيء منها لا يتزود منها ولا
 ليستعين بها على الآخرة فلا يطمئن في أن تصفوه لفته للنجاسة في الصلاة فإن من فرح بالدنيا لا يفرح بالله
 سبحانه وعبادته وهما الرجل مع قرعته فإن كانت قرعته في الدنيا انصرف لاجعالة إليها له ولكن مع
 هذا فلا ينبغي أن يترك المجاهدة ورد القاب إلى الصلاة وتقليل الأسباب الشاغلة فهذا هو البؤاء للزوال وطره
 استبشعته الطباع وبقيت العلة مزمنة وصار الداء عضالا حتى إن الأكابر اجتمعوا أن يصاوا ركنين
 لا يحدثوا أنفسهم فيها بأمر الدنيا فصجزوا عن ذلك فاذن لا مطمع فيه لأماناتنا وليسلم ثامن الصلاة شرطها
 أولئها من الوسواس لتكون ممن خلط عملها صالحا وآخر سيئا وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الآخرة في القلب
 مثل الداء الذي يصيب قدس مخلوق محل ففقد ما يدخل فيه من الماء يخرج ممنحل لاجعالة ولا يجمعان.

(بيان تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة)

فقول حك إن كنت من اللادين للآخرة أن لا تنفل أولا عن التنبيهات التي في شروط الصلاة
 وأركانها . أما الشروط السوابق فهي الأذان والطهارة وستر المورة واستقبال القبلة والانتصاب قائما
 والنية فإذا صحت نداء للؤذن فأحضر في قلبك هول النداء يوم القيامة وتشمير بظاهرك وباطنك
 للجابة والمسرعة فالسارع إلى هذا النداء هم الذين ينادون بالطف يوم العرض الأكبر فأعرض
 قلبك على هذا النداء فإن وجدته مخلو بالقرح والاستبشار مشحونا بالرغبة إلى الاجتياز فاعلم أنه
 يأتيك النداء بالبري والقوز يوم القضاء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أرحنا يا بل (٣) » أي أرحنا بها
 وبالنداء إليها إذ كان قرعته في سبيل الله عليه وسلم وأما الطهارة فإذا أتيت بها في مكانك وهو ظرك

(١) حديث روي به بالحاقم القصب من يده وقال شغلي هذا نظرة إليه ونظرة إليكم من حديث
 ابن عباس بإسناد صحيح وليس فيه بيان أن الحاقم كان ذهابا ولاضة إياه مطلق (٢) حديث إن
 أباطحة صلى في حائط له فيه شجر فأعجبه روى طائر في الشجر الحديث فيسهو في الصلاة وتصدقه
 بالحائط مالك عن عبدالله بن أبي بكر أن أباطحة الأنصاري فذكره بنحوه (٣) حديث بها أرحنا يا بل
 قط في العلل من حديث بلال ولأبي داود وهو من حديث رجل من الصحابة لم ينسب بإسناد صحيح .

لاستحق أكثر من
 معانه من غناط به
 غيره فهذا من الأثر
 باختلاف ورود
 الخطاب إليها مما
 يوجب شورا وتبيان
 ما بينهما فإن فهمت
 الآن ولا قصد عنى
 لا ندر بحال! فإن قيل
 أرحم الله تعالى - «
 يظهر على غيره أحدا
 إلا من ارتضى من
 رسول - ومع كل كلام
 الله تعالى بحجاب أو
 بغير حجاب وعلم ماني
 للكنوت ومشاهدة
 لللائكة وبإعانة عن
 للشاهدة والحسن من
 أجل الثيوب فكيف
 يطلع عليها من ليس
 يرسل قلنا في الكلام
 حذف يدل على صحتها
 تقديره الشرع الصادق
 وللشاهدة الصورية
 وهو أن يكون معناه
 إلا من ارتضى من
 رسول ومن اتبع
 الرسول بالإخلاص
 والاستقامة أو عمل بها
 جاءه النبي لأن النبي
 صلى الله عليه وسلم قال
 « اتقوا فراسة المؤمن
 فإنه ينظر بنور الله »

والله يثق بالإمام عنه أن ينكشف إليه وقال « إن يكن منكم محدثون فصر » أو كما قال « المؤمن ينظر بؤرقه » وفي القرآن العزيز - قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك - فلم ينافب عن غيره من إصصكان بيان ما وعد به وأراد أنه قدر عليه ولم يكن نبيا ولا رسولا وقد آتانا الله سبحانه وتعالى عن ذي القرنين من إخباره عن العالمين في توصفه فيهمين قال - فإذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقا - وإن كان وقع الاختلاف في نبوة ذي القرنين فالاجماع على أنه ليس برسول وهو خلاف للسطور في الآية وإن رام أحد الدافعة بالاحتيال لما أخبر به ذو القرنين وما ظهر على يدي التي كان عنده علم من الكتاب وأراد أن يجوز على

الذي هو ذاك وهو فليك تاجيده له تطهيرا بالتوبة والتدم على ما فطرت وتضميع العزم على التزل في المستقبل فإبر بها باطك فانه موضع نظر محبوبك . وأما ستر العورة فاعلم أن معناه تخفية نتائج بدتك عن أبصار الخلق فإن ظاهر بدتك موقع نظر الخلق فإياك في عورت باطك وفنائك سرائرك التي لا يطلع عليها إلا ربك عز وجل فأحضر تلك الضائع يياك وطالب نفسك بسترها وتحقق أنه لا يستر عن عين الله سبحانه سائر وإغايضها الدم والحياء والحرف تقتضيد باحضارها في قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكلمها قتلا بها نفسك ويستكن تحت الحيلة فإياك وتقوم بين يدي الله عز وجل قيام العبد المحرم المساء الأبق الذي ندم فرج إلى مولاه ناكسا رأسا من الحياء والخوف . وأما الاستقبال فهو صرف ظاهر وجهك عن سائر الجاهات إلى جهة بيت الله تعالى أقرى أن صرف القلب عن سائر الأمور إلى أمر الله عز وجل ليس مطلوبا منك ههنا فلا مطلوب سواه وإياها هذه الظواهر تحركات للباطن ونبط للجوارح وتسكن لها بالاثبات في جهة واحدة حتى لا يلبس على القلب فاتها إذا ثبت وظلمت في حركاتها وانفاتها إلى جهاتها استبقت القلب وانقلب به عن وجه الله عز وجل فليكن وجه قلبك مع وجه بدتك . فاعلم أنه لا يتوجه الوجه إلى جهة البيت إلا بالانصراف عن غيرها فلا ينصرف القلب إلى الله عز وجل إلا بالانصراف عما سواه وقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا قام العبد إلى صلاته فكان هواه ووجهه وقلبه إلى الله عز وجل انصرف كيوم ولدته أمه »^(١) وأما الاعتدال قائما فاعلم أن هومثول بالشخص والقلب بين يدي الله عز وجل فليكن رأسك الذي هو أرفع أعضائك مطرقا مطائا متسكسا وليكن وضع الرأس عن ارتفاعه تنبها على إلزام القلب التواضع والتذلل والتبرى عن التروؤ والتكبر وليكن على ذكرك ههنا خطر القيام بين يدي الله عز وجل في هول اللطم عند العرض للسؤال . واعلم في الحال أنك قائم بين يدي الله عز وجل وهو مطلع عليك قم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان إن كنت تهجر عن معرفة كنهه جلالة بل قدر في دوام قيامك في صلاتك أنك ملحوظ ومرقوب بين كائلة من رجل صالح من أهلك أو ممن ترغب في أن يرفعك بالصلاح فانه تهدأ عند ذلك أطرافك وتخضع جوارحك وتسكن جميع أجزائك خيفة أن ينسبك ذلك العاجز للسكين إلى قلة الخشوع وإذا أحسست من نفسك بالتأسك عند ملاحظة عيب مسكين فماتب نفسك وقل لها إنك تدعين معرفة الله وجهه أفلا تستحيين من استجرائك عليه مع توقيرك عبدا من عباده أو تخشين الناس ولا تخشينه وهو أحق أن غشى ولذلك لما قال أبو هريرة « كيف الحياء من الله قال صلى الله عليه وسلم تستحي منه كما تستحي من الرجل الصالح من قومك »^(٢) وروى « من أهلك » . وأما النية فاعلم في إلجائك الله عز وجل في امتثال أمره بالصلاة وإقامها والكف عن نواظفها ومفسداتها وإخلاص جميع ذلك لوجه الله سبحانه رجاء لثوابه وخوفا من عقابه وعلبا للقرية منه متظلا للجنة منه بإذنه إياك في المناجاة مع سوء أدبك وكثرة عصيانك وعظم في نفسك قدر مناجاته وانظر من تتاجى وكيف تتاجى وبماذا

- (١) حديث إذا قام العبد إلى صلاته وكان وجهه وهواه إلى الله انصرف كيوم ولدته أمه لم أجده
(٢) حديث قال أبو هريرة كيف الحياء من الله قال تستحي منه كما تستحي من الرجل الصالح من قومك الخراشي في مكارم الأخلاق حق في الشعب من حديث سعيد بن زيد مرسلناحه وأورسله حق بزيادة ابن عمر في السند وفي العلل قط عن ابن عمر له وقال إنه أشبه شيء بالصواب لوروده من حديث سعيد بن زيد أحد الشجرة .

عمر التشبه بالمتناقض
لما يصنع فيها جرى
للتضرع وما أنبأ الله
سبحانه وأظهر عليه
من العوالم القيمة وهو
بإدراك يكون نياظ ليس
يرسول على الوفاق من
الجميع والله تعالى يقول
- لا من ارتضى من
رسول - قدل على أن
في الآية حذف مضاف
معناه ما تقدم وانظر
إلى ما ظهر من كلام
سعد رضى الله عنه
أنه يرى للامثلة وهو
غيب الله وأعلم أبو بكر
بما في البطن وهي من
غيب الله وشواهد
الشعر كثيرة جدا
يجوز للتأويل ولهذا
العائد هذا والقول
بتخصيص العموم
أظهر من الجرأة
وأشهرها قول الكافة
ويعتدل أن يكون المراد
في الآية الرسول لذلك
فيها ملك الوحي الذي
بواسطته تجل العوالم
وتكشف اليوب
ثم لم يرسل الله ملكا
بإعلام غيب أو مخاطب
مشافة أو لقاء معنى
في روع أو ضرب مثل

تأجى وعند هذا ينبغي أن يشرق جبينك من الحجل وترتد فرائصك من الهبة وضرب وجهك من
الخوف . وأما التكبير فإذا نطق به لسانك فينبى أن لا يكذب قلبك فان كان في قلبك شيء هو
أكبر من الله سبحانه فانه يشهد أنك لكاذب وإن كان الكلام صدقا كشهد على اللائقين في قولهم
إنه صلى الله عليه وسلم رسول الله فان كان هو لك أعظم عليك من أمر الله عز وجل فانت أطوع
له منك لله تعالى فقد اتخذته إلهك وكبرته فيوحدك أن يكون قولك الله أكبر كلاما باللسان
الخبر ويد تخلف القلب عن مساعدته وما أعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الثقل
بكرم الله تعالى وعفوه . وأما دعاء الاستفتاح فأول كلماته قولك وجهي والذى فطر السموات
والأرض وليس المراد بالوجه الوجه الظاهر فانك إنما وجهته إلى جهة القبلة والله سبحانه يتقدس
س أن تحده الجهات حتى تقبل بوجه بذلك عليه وإنما وجه القلب هو الذى توجه به إلى فاطر
السموات والأرض فانظر إليه أنتوجه هو إلى أمانيه وعنه في البيت والسوق متبع للشهوات أو مقبل
على فاطر السموات وإياك أن تكون أول مفاخعتك للناجاة بالكذب والاختلاق ولن يصرف الوجه
إلى الله تعالى إلا بالنسائه عساواه فاجتهد في الحال في صرفه إليه وان عجزت عننى العوالم فليكن
قولك في الحال صدقا ، وإذا قلت حفيضا مسلما فينبى أن يحضر يالك أن السلم هو الذى سلم
للمسلمين من لسانه وبده فان لم تكن كذلك كنت كاذبا فاجتهد في أن تعزم عليه في الاستقبال
وتتدعى على ماسبق من الأحوال وإذا قلت أما أنا من الشركين فأخطر يالك الشرك الخفى فان
قوله تعالى - فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا - زل فيمن
يقصد بعبادته وجه الله وحده الناس وكن حذرا مشفقا من هذا الشرك واستثمر الحجة في قلبك
إن وصفت نفسك بأنك لست من الشركين من غير براءة عن هذا الشرك فان اسم الشرك يقع
على القليل والكثير منه وإذا قلت بحياي ومساكني فاعلم أن هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود
لسيده وأنه إن صدر عن رضاه وغضبه وقبامه وقعوده ورغبته في الحياة ورهبته من الموت لأور
الدنيا لم يكن ملائما للحال وإذا قلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فاعلم أنه عندك ومترصد لسرف
قلبك عن الله عز وجل حسدا لك على مناجاتك مع الله عز وجل وسجودك له مع أنه لمن
بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفق لها وأن استأذنتك بالله سبحانه منه بترك ما يحبه وتبدله بما
يحب الله عز وجل لا بمجرد قولك فان من قصد سبوح أو عدو ليفترسه أو ليفتنه فقال أعوذ منك
بذلك الحصن الحصين وهو ثابت على مكانه فان ذلك لا ينفعه بل لا يبيحه إلا بتبديل المكان فكذلك
من يتبع الشهوات التي هي عاب الشيطان ومكاره الرحمن فلا يبينه مجرد القول فليقرن قوله بالزم
على التوحد بحسن الله عز وجل عن شر الشيطان وحسنه لإله إلا الله إذ قال عز وجل فيها أخبر عن
نبينا ^{عليه السلام} ^{صلى الله عليه وسلم} ولا إله إلا الله حتى فمن دخل حصي أمن من عنادي ^(١) وللحسن بمن لا يعود له سوى الله
سبحانه فاما من أخذ إلهه هو أو فقه في ميدان الشيطان لاني حسن الله عز وجل . واعلم أن من مكابده
أن يشغل في صلاتك بذكر الآخرة وتدبر فضل الخيرات ليمتلك عن مهم ما تقرأ فاعلم أن كل ما يشغلك عن
فهم معاني قراءتك فهو وسواس فان حرر اللسان غير مقصودة بل للتصوم معانيها . فاما القراءة فالتاس
فيها ثلاثة: رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيفهم ويسمع منه
كأنه يسمع من غيره وهي درجات المحبين ورجل يسوق قلبه إلى اللام أو لا ثم يخدم اللسان القلب
(١) حديث قال الله تعالى لا إله إلا الله حتى لك في التارخ وأبو نعيم في الحلية من طريق أهل البيت
من حديث على بإسناد ضعيف جدا وروى أبو مصور الديلمي أنه حين تابت سرود عليه .

في صلاة أو مقام لم يكن
إلى علم ذلك السبب
سبيل ويكون تهنيد
الآية فلا يظهر على
غيره أحدا إلا من
ارتضى من رسول
أن يرسله إلى من شاء
من عباده في بقعة
أو مقام فانه يطاع على
ذلك أيضا ويكون
فائدة الأخبار بهذا في
الآية الامتنان على من
رزقه الله تعالى علم شيء
من مكنوناته وإعلامه
أنه لا تصل إليها نفسه
ولا مخلوق سواه إلا بالله
تعالى حين أرسل إليه
لك بذلك وبهتة الله
حتى يبرأ المؤمن من
حواله ومن حوله كل
مخلوق وقوته ويرجع
إلى الله تعالى وحده
ويستحق أن لا يرد
عليه شيء من علم
أومرقة أو غير ذلك
إلا بإرادته ومشيئته
وجعل وجه آخر
وهو أن يكون منته
والله أعلم فلا يظهر على
غيره أحدا إلا من
ارتضى يريد من سائر
خلقه وأصناف عباده
ويكون ممسوس من

فترجمه ففرق أن يكون اللسان ترجان القلب أو يكون معلم القلب والرجحان لسانهم ترجان القلب
القلب ولا يقيم القلب - وتفصيل ترجمة للمعاني أنك إذا قالت بسم الله الرحمن الرحيم فانوبه الله
لا ابتداء القراءة لئلا يلهي الله سبحانه وأهم أن معناه أن أتقرب كناية الله سبحانه وأن الراد بالاسم
هنا هو للشيء وإذا كانت الأمور بالله سبحانه فلا حرج تارة الحمد لله ومعناه أن الشكر لله إذ الله
من الله ومن يرى من غير الله فمة أو يعتمد غير الله سبحانه يشكر لامن حيث إنه مسخر من الله
عز وجل، ففي تسميته وتحميده تهنيد تهنيد التفتة إلى غير الله تعالى فإذا قلت الرحمن الرحيم
فأجبر في قلبك بجميع أنواع لطفه لتتضح لك رحمته فينبعث بها رجاءك ثم استمر من قلبك التعظيم
والخوف بقوله تعالى يوم الدين أما العظمة فلا أنه لا ملك إلا له وأما الخوف فلأن يوم الجزاء والحساب
الذي هو ماله ثم جدد الاخلاص بقوله إياك فبهد وجدد العجز والاحتياج والتبري من الحلول
والقوة بقوله وإياك نستعين ونحقق أنه ما تيسر طاعتك إلا بإذنه وأنه للذة إذ وفقك الله لطاعته
واستخدمك لعبادته وجعلك أهلا لحاجاته ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشياطين
اللعين ثم إذا فرغت من التعوذ ومن قولك بسم الله الرحمن الرحيم ومن التمجيد ومن إظهار الحاجة
إلى الإعانة مطلقا فحين سؤلك ولاتطلب إلا أتم حاجاتك وقل لهذا الصراط للمستقيم الذي يسوقنا
إلى جوارك وبغض بنا إلى مرضاتك وزده شرحا وتفصيلا وتأكيدا واستعدادا بالدين أفاض عليهم
نعمة الهداية من التبيين والسديد والهادي والهادي دون الدين غضب عليهم من الكفار
والزائدين من اليهود والنصارى والصائين ثم الخمس الإجابة وقل آمين فإذا تلاوت الفاتحة كذلك فيشبه
أن تكون من الذين قال الله تعالى فيهم فيما أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم « قَسَمْتُ الصَّلَاةَ
بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نَضْمَيْنِ نَضْمَيْنِ لِي وَنَضْمَيْنِ لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَأْسَلٌ (١) » يقول العبد الحمد لله رب
المالين يقول الله عز وجل حمدني عبدي وأثنى علي وهو معنى قوله سمع الله من حمده الحديث الخ
فألم يكن لك من صلاتك حظ سوى ذكر الله لك في جلالة وعظمته فانها لك بذلك غنمة فكيف
بما ترجوه من ثوابه وفضله وكذلك ينبغي أن تفهم ما تقرؤه من السور كما سبأني في كتاب تلاوة
القرآن فلا تنفل عن أمهه ونهيه ووعدته ومواعظه وأخبار أنبيائه وذكر منته وإحسانه
ولكل واحد حق فالرجاء حق والوعد والخوف حق والوعيد والزم حق الأمر والنهي والاعتناظ حق
الوعظة والشكر حق ذكر الله والاعتبار حق إخبار الأنبياء - وروى أن زيارته بن أوفى لما
اتى إلى قوله تعالى - فإذا قرأ في التاقور - خر ميتا وكان إبراهيم النخعي إذا سمع قوله تعالى
- إذا البلاء انتشرت - اضطرب حتى تضطرب أو صاله وقال عبد الله بن واقد رأيت ابن عمر يصلي
مفلوبا عليه وحق له أن يحترق قلبه بوعد سيده ووعدته فانه عبد مذنب ذليل بين يدي جبار
قاهر وتكون هذه المعاني بحسب درجات التهم ويكون التهم بحسب وفور العلم ومفاء القلب
ودرجات ذلك لاتحصر والصلاة مفتاح القلوب فيها تكشف أسرار الكلمات فهذا حق القراءة
وهو حق الأذكار والتسبيحات أيضا ثم راعى المصنف القراءة فيرتل ولا يسرد فان ذلك ليس لتأمل
وفرق بين قناته في آية الرحمة والذباب والوعود والوعيد والتعظيم والتعجيد . كان النخعي إذا
مر بثل قوله عز وجل - ما أخذ الله من ولوما كان معه من إله - يخفض صوته كالاستحي عن أن
يذكره بكل شيء لا يليق به وروى أنه قال قناري القرآن « اقرأ وأرق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا (٢) » .

(١) حديث قسمة الصلاة بيني وبين عبدتي نصفين الحديث م عن أبي هريرة (٢) حديث يقال
لصاحب القرآن اقرأ وأرق دت ن من حديث عبد الله بن عمر وقال ت حسن صحيح .

رسول أي عن :-

رسول من ثلاثة

[فصل] ومعنى ولا

يخطي رقاب القديسين

إن قلت ما لقي أوصيه

إلى مقامه أوجاز به

ذلك وهو في الرتبة

الثالثة حال القربين

ما وصل حيث غلبت

فكيف يجاوزه وإنما

خاصية من هو في رتبة

السديين عدم السؤال

للكثرة التحقق

بالأحوال وخاصة من

هو في رتبة القرب

كثرة السؤال طمعا

في بلوغ الآمال ومثاله

فما أشير إليه مثال

إنسانين دخلا في بستان

أحدهما يرف جميع

أنواع نبات البستان

ويحقق أنواع تلك

النار ويسلم أعمامه

ومنافعها فهو لا يسأل

عن شئ مما يراه ولا

يحتاج إلى أن يخبره

والثاني لا يرف ما

رأى شئ أو يعرف

بشئ ويحمل أكثر

مما يرف فهو يسأل

ليصل إلى علم الباقي

وذلك من تكلمنا

عليه حين أكثر

وأما دوام القيام فانتفبه على إقامة القلب مع الله عز وجل على نيت واحد من الحضور قال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل يقبل على اللبلى ما لم يلتفت » وكما تجب حراسة الرأس والدين عن الالتفات إلى الجنبات فكذلك تجب حراسة السر عن الالتفات إلى غير الصلاة فالتفت إلى غيره فذكره بإطلاع الله عليه وبيح الهوان بالخارج عند غفلة للتأني ليعود إليه وأتم الحشوع القلب فان الحلاوس عن الالتفات باطنا وظاهرا ثمرة الحشوع وهما خشع الباطن خشع الظاهر قال صلى الله عليه وسلم وقد رأى رجلا يصلي بحيث « أما هذا لو خشع قلبه لحشمت جوارحه » فان الرعية يحكم الراعي ولهذا ورد في الدعاء « اللهم أصح الراعي والرعية » وهو القلب والجوارح وكان السدي يقضى الله عنه في صلاته كأنه وتد وابن الزبير رضوا الله عنه كأنه عود وبضمهم كان يسكن في ركوعه بحيث تقع الصافير عليه كأنه حماد وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدي من يعظم من أبناء الدنيا فكيف لا يتقاضاه بين يدي ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك وكل من يطمئن بين يدي غير الله عز وجل خشعا وتضطرب أطرافه بين يدي الله غائبا فذلك لتصور معرفته عن جلاله عز وجل وعن اطلاعه على سره وضميره وقال عكرمة في قوله عز وجل - الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين - قال قتيبة وركوعه وسجوده وجاوسه . وأما الركوع والسجود فينبغي أن تعدد عند هذا ذكر كبرياء الله سبحانه وترفع يدك مستجيرا بفو الله عز وجل من عقابه بتجديد نية ومتعانة نية ^{عليه} ثم تستأنف له ولا تتواضعا بركوعك وتجدد في ترفيق قلبك وتجديد خشوعك وتستشعر ذلك ومن مولاك وانضاعك وعار ربك وتستنعي على تحرير ذلك في قلبك بلسانك فتسبح ربك وتشهد له بالظلمة وأنه أعلم من كل عظيم وتكرر ذلك على قلبك ثم كده بالتكرار ثم ترفع من ركوعك راجيا أنه راحمك ومؤكدا للرجاء في خشك بقولك مع الله لمن حمده أي أجاب لمن شكره ثم ترفد ذلك الشكر التفاضي للمزيد فتقول ربنا لك الحمد وتكرر الحمد بقولك ملء السموات وملء الأرض ثم تهوى إلى السجود وهو أعلى درجات الاستكانة فتكمن أعز أعضائك وهو الوجه من أدنى الأشياء وهو التراب وإن أمكنك أن لا تجعل بينهما حائلا فتسجد على الأرض فافعل فانه أجلب للخشوع وأدلى على الدلة وإذا وضعت خشك موضع اقل فاعلم أنك وضعتها موضعها ورددت الفرع إلى أصله فانك من التراب خلقت وإليه تعود فند هذا جدد على قلبك عظمتك وقل سبحان ربي الأعلى وأكده بالتكرار فان النكرة الواحدة ضعيفة الأثر فاذا رقت قلبك وظهر ذلك فلتصدق رجاءك في رحمة الله فان رحمته تتسارع إلى الضعف والدلة لا إلى التكبر والبطر فافرض رأسك بكبرا وسائلا لاجتاك وقائلا رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم أوما أردت من الدعاء ثم أكد التواضع بالتكرار فعد إلى السجود ثانيا كذلك وأما التشهد فإذا جلست له فاجلس متادبا وصرح بأن جميع ما ندني به من الصلوات والطيبات أي من الأخلاق الطاهرة وه وكذلك لللك لله وهو معنى التحيات وأضر في قلبك النبي صلى الله عليه وسلم وشخصه الكريم وقل سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته وليصدق أمك في أنه يلتمس ويرد عليك ما هو أوفى منه ثم تسلم على خشك وعلى جميع عباد الله الصالحين ثم تأمل أن يرد الله سبحانه عليك سلاما وإقيا يهدد عباده الصالحين ثم تشهد له تعالى بالوحدانية ولحمدنيته صلى الله عليه وسلم بالرسالة مجددا عهد الله سبحانه بإعادة كل الشهاداة ومستأثقا لتحصن بها ثم ادع في آخر صلاتك بالدعاء المأثور مع التواضع والحشوع والضراعة والابتهاال

(١) حديث إن الله يقبل على اللبلى ما لم يلتفت د ن ك ويصح إسناده من حديث أبي ذر

(٢) حديث اللهم أصح الراعي والرعية لأفضله على أصل وفسره المصنف بالقلب والجوارح .

وصدق الرجا بالبابية وأشرك في ذلك أبورك وسائر المؤمنين وأصعد عند ذلك تام السلام على الثلاثة والحاضرين وانوخت الصلاة واستقر شكر الله سبحانه على توفيقه لأتمام هذه الطاعة وتوهم أنك « وقع أصلا عند هذه » وأنت رعايا التمشي لملها وقال صلى الله عليه وسلم للنبي أوصاه « صل صلاة مودع » ثم أشعر بابك الويل والحياء من التخصير في الصلاة وخف أن لا تقبل صلاتك وأن تكون محققة تاذيب ظاهر أوباطن فترده صلاتك في وجهك وترجع ذلك أن يقبلها بكبره وفعله . كان يحيى بن وثاب إذا صلى مكث ماشاء الله تعرف عليه كآبة الصلاة وكان إبراهيم يكتك بعد الصلاة ساعة كأنه مريض فهذا تفصيل صلاة الحاشمين الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم في صلاتهم يحافظون والذين هم في صلاتهم دائنون والذين هم ينادون الله على قدر استطاعتهم في الصلوة فيعرض الإنسان نفسه على هذه الصلاة فياخذ الذي يسره منه يبنى أن يرضح وعلى ما يفوته يبنى أن يتحسر وفي مداواة ذلك يبنى أن يتعبد . وأما الصلاة الثاينين فهي غفارة إلا أن يشهد الله برحمته والرحمة واسعة والكرم فاض فنسأل الله أن يتعدنا برحمته ويمنرنا بغيرته وإذلا وسيلة لنا إلا الاعتراف بالجزع عن القيام بطاعته . واعلم أن غلبت الصلاة عن الآفات وإخلاصها لوجه الله عز وجل وأداها بالشروط الباطنة التي ذكرناها من الخشوع والتعظيم والحيا سبب لحصول أنوار في القلب تكون تلك الأنوار مفايع علوم للكشفة فأولياء الله المكشفون بملكوت السموات والأرض وأسرار الربوبية إنما يكشفون في الصلاة لأسباب في السجود إذ يقرب العبد من ربه عز وجل بالسجود ولذلك قال تعالى - واسجدوا قرب - وإنما تكون مكشفة كل مصل على قدر صفاته عن كدورات الدنيا ويختلف ذلك بالقوة والضعف والقلة والكثرة وبالجلالة والحقاء حتى يكشف بعضهم الشيء ويبينه ويكشف بعضهم الشيء بمثله كما كشف بعضهم الدنيا في صورة حيفة والشیطان في صورة كلب جائع عليها يدعو إليها ويختلف أيضا بغايه الكشفة فيكشفه من مفات الله تعالى وجلاله وبعضهم من فضله وبعضهم من دقائق علوم للعامة ويكون لتعين تلك المعاني في كل وقت أسباب خفية لا تحصى وأحدها مناسبة الهمة فانها إذا كانت مصروفة إلى شيء معين كان ذلك أولى بالكشف ولما كانت هذه الأمور لا تتردى إلا في الرائي الصفيّة وكانت للراء كلاما صديقة فاحتجبت عنها الهداية لا ليخل من جهة النعم بالهداية بل لحجب متراكم الصديق على مصب الهداية تسارعت الألسنة إلى إنكار مثل ذلك إذ الطبع مجبول على إنكار غير الحاضر ولو كان للجنين عقل لأنكر إمكان وجود الإنسان في متسع الهواء ولو كان للطفل عييز ما ربما أنكر ما يزعم العقلاء إدراكه من ملكوت السموات والأرض وهكذا الإنسان في كل طور يكاد ينكر ما بعده ومن أنكر طور الولاية لزمه أن ينكر طور النبوة وقد خلق الخلق أطوارا فلا يبنى أن ينكر كل واحد موارد درجته نعم لما طلبوا هذا من المجادلة والباحثة للشوشة ولم يطلبوها من صفية القلوب عما سوى الله عز وجل قدومه فأشكروه ومن لم يكن من أهل المكشفة فلا أقل من أن يؤمن بالتيب وصدق به إلى أن يشاهد بالتجربة في الخبر « إن العبد إذا قام في الصلاة رفع القسبح عنه القسبح عنه وبين عبده وواجهه بوجهه وقامت للآنسة من لحن منكبيه إلى الهواء يصلون وصلاته ويؤمنون على دعائه وإن للصل ليسر عليه البر من عنان السماء إلى مفرق رأسه وينادي مناد لو علم هذا للتأج من ينجي ما التفت وإن أبواب السماء تفتح للمصلين وإن الله عز وجل يباهي ملائكته بعده للصل (١) » ففتح أبواب السماء ومواجهة الله تعالى إليه بوجهه كناية عن الكشف الذي ذكرناه وفي التوراة مكتوب : يا ابن آدم لا تصبر أن تقوم بين يدي مصليا يا كيا فأن الله الذي أقرب من قلبك والتيب رأيت نورى قال فنسأنا

(١) حديث إن العبد إذا قام في الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبين عبده الحديث لم أجده .

السؤال عما يمد عنه حاله ويختلف عن مقامه إلى ما هو أعلى منه وكان غير مراد لذلك ما في ذلك الوقت أو لأبد تلك العلوم التي كانت لا تبال بالسبب وإعتال بالنسب قيل له لا تحفظ رقاب الصديقين بالسؤال فذلك مما لا خطر به وليس هو من الطرق الوصول إلى مقامهم فالرجع إلى الصديق الأكبر كبريائه في حاله وسيرته فسلك ترقى مقامه فان لم يكن ترقى على حالة القرب وهي تنو الصديقية فهذا معناه .

[فصل] ومعنى انصراف السالك الناظر بصدوجه إلى ذلك الرقيق الأعلى إما أنه لما وصل إليه بالسؤال صرف إليه مالات به من الأحوال ليحكم ما بقى عليه من الأعمال كما قال السلفي صلى الله عليه وسلم غرائب العلم اذهب فأحكم ما هناك وبعد

ذلك أعطك غراب
الم وأما صفه انصره
فانه نهض بالبحر
ورجع والتذكرو فائد
للزبد ووجهه أن من
لم يستطع القيام في ذلك
لأرضه بعد وصوله إليه
فذلك لتلق خبر
العرفه بالبدن وممكنه
عالم الملك ولم يفارقه
بعد لوث وطول
التيب عنه لا يمكن في
العامة ولو أمكن لهلاك
الجسم وتضرعت
الأوصال والله تعالى
أراد عمارة الدنيا وقد
سبق في علمه - ولن
تجد لئله الله تبدلات
ومعنى قول أبي سليمان
الخباراني لو وصلوا
مارجوا ما رجع لما
حالة الانقاص من
وصحل إلى حالة
الاخلاص والذي طمع
النظر في الحصول فيه
سؤاله عما يدعي إلى حال
القرب منه إذ لم يبلغ
لكل ولم يفس
ولم يخلص أعماله .
[فصل] ومعنى بأن
ليس في الامكان ابداع
من صورة هذا العالم
ولا أحسن ترميزا ولا

نرى أن تلك الرقة والبكاء والفتوح الذي يجده الصلي في قلبه من دنو الرب سبحانه من القلب وإذا لم يكن عندنا الدنو هو القرب بالمكان فلا معنى له إلا الدنو بالمهابة والرحمة وكشف الحجاب ويقال إن البعد إذا صلي ركعتين حجب منه عشرة صفوف من اللاتكة كل صف منه عشرة آلاف وباعى الله به مائة ألف ملك وذلك أن البعد قد جمع في الصلاة بين القيام والقعود والركوع والسجود وقد فرق الله ذلك على أربعين ألف ملك فالقائمون لا يركعون إلى يوم القيامة والساجدون لا يرفعون إلى يوم القيامة وهكذا الراكعون والقاعدون فإن ما رزق الله تعالى للاتكة من القرب والرتبة لازم لهم مستمر على حال واحد لا يزيد ولا ينقص لذلك أخبر الله عنهم أنهم قالوا: وإماننا إله مقام معلوم وفارق الإنسان للاتكة في الترقى من درجة إلى درجة فانه لا يزال يتقرب إلى الله تعالى فيستفيد مزيد قربه وباب المزيد مسدود على اللاتكة عليهم السلام وليس آكل واحد إلا رتبته التي هي وقف عليه عبادته التي هو مشغول بها لا ينتقل إلى غيرها ولا يشتر عقابا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسنون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ومنتاح مزيد الدرجات هي الصلوات . قال الله عز وجل - قد أقبلت للمتؤمن الذين هم في صلاتهم خاشعون - فمدحهم بعد الإيمان بصلاة مخصوصة وهي القرونة بالخشوع ثم ختم أوصاف القاشعين بالصلاة أيضا فقال تعالى - والذين هم على صلواتهم يحافظون - ثم قال تعالى في ثمرة تلك الصفات - أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس وهم فيها خالدون - فوصفهم بالقلاح أولا وبوراة الفردوس آخرًا وما عدى أن هزيمة اللسان مع غلبة القلب تنهى إلى هذا الحد ولذلك قال الله عز وجل في أضدادهم - ما ملكتكم في سقر قالوا لم نك من المصلين - فالمصلون هم ورثة الفردوس وهم للشاهدين ثور الله تعالى وللمتعمون قهره ودنوه من قلوبهم . نسأل الله أن يجعلنا منهم وأن يبينا من عقوبة من تزيت أقواله وقبحت أفعالهم إنه الكريم اللئان القديم الاحسان وصلى الله على كل عبد مصطفى .

(حكايات وأخبار في صلاة الخاشعين رضى الله عنهم)

اعلم أن الخشوع ثمرة الإيمان ونتيجة اليقين الحاصل بجلال الله عز وجل ومن رزق ذلك فانه يكون خاشعا في الصلاة وفي غير الصلاة بل في خالوته وفي بيت الماء عند قضاء الحاجة فان موجب الخشوع معرفة اطلاع الله تعالى على البعد ومعرفة جلاله ومعرفة تخصص البعد فمن هذه المعارف يتولد الخشوع وليست محضه بالصلاة ولذلك روى عن بعضهم أنه لم يرفع رأسه إلى السماء أربعين سنة حياء من الله سبحانه وخشوعا له وكان الريح ينخس من شدة غصه لبصره وإطرافه يظن بعض الناس أنه أعمى وكان يختلف إلى منزل ابن مسعود عشرين سنة فإذا رآته جاريته قالت لابن مسعود صديقك الأعمى قد جاء فكان يضحك ابن مسعود من قولها وكان إذا دق الباب تخرج الجارية إليه فقرأه مطرقة غائبا بصره وكان ابن مسعود إذا نظر إليه يقول ويضر الخجنتين أما والله لو أراك محمد ﷺ لفرح بك ، وفي لفظ آخر لأحيك وفي لفظ آخر لنضحك ، ومضى ذات يوم مع ابن مسعود في الحدادين فلما نظر إلى الأكواب انتفض وإلى النار تلتبصق وسقط مغشيا عليه وقعد ابن مسعود عند رأسه إلى وقت الصلاة فلم يبق حمله على ظهره إلى منزله فلم يزل متشيا عليه إلى مثل الساعة التي صبق فيها قاتته خمس صلوات وابن مسعود عند رأسه يقول هذا والله هو الخوف . وكان الريح يقول مادخلت في صلاة قط فأهني فيها إلا ما أقول وما يما لي . وكان طاهر بن عبد الله من خاشعي المصلين وكان إذا صلي رعبا ضربت ابنته بالدف وتحدث النساء بمأردن في البيت ولم يكن يسمع ذلك ولا يحقه وقيل له ذات يوم هل تجدك نفسك في الصلاة شيء قال نعم بل يوقفي بين يدي الله عز وجل ومنصرفي إلى إحدى الدارين قبل قبل تجد شيئا مما نجد من أمور الدنيا فقال لأن تختلف الأسنه في أحب إلى من أن أجد في صلاتي ما يجدون وكان يقول لو كشف القطاء ما ازددت يقينا وقد كان مسلم بن يسار منهم وقد قلنا أنه لم يشعر بسقوط

أمدوا أنال لمجد وهو في الصلاة ربا ربا من الخراف بعضهم واحسبته إلى الصلاة فاجتمع
 قبل أن يلقى الصلاة في عاصمى عليه قطع وهو في الصلاة وقال بعضهم الصلاة من الأمان فاجتمع
 فيها خرجت من الدنيا قبل لأخره لم يحدث نفسك شيء من الدنيا الصلاة قال لا في الصلاة ولا في ربا
 وسئل بعضهم هل تدرك في الصلاة فقال وهل شيء أصيب في الصلاة فإذا كان في الصلاة قال
 رضى الله عنه قراءة من قته الرجل أن يبدأ بخاتمة قول دعوه في الصلاة فاجتمع في الصلاة وقوله
 وكان بعضهم في الصلاة خيفة أو موسى وروى أن عمار بن ياسر رآه صلاة فأخفاها قبل لم يفت
 يأبى الميظان فقال هل رأيت من قته من حدودها شيئا قال لا لا قال إنك أدركت في الصلاة ولا ربا ولا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن البدل يسمى الصلاة لا يكتب له فيها ولا ربا ولا ربا ولا
 خسها ولا سدسيا ولا غيرها وكان قول إنما يكتب للبدل من صلاته ما علق منها (١) » وقال إن طلعة
 والزيرو طاعة من الصلاة ورضاه الله عنهم كانوا أخف الناس صلاة وقالوا ينادي بها وسوسة الشيطان
 وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال طي للبر إن الرجل لا يشيب عراضا في الصلاة ولا يركب
 ثم تالي صلاة قيل وكيف ذلك ؟ قال لا يتم خشوعها وتواضعها وإقبالها على الله عز وجل فيها . وسئل
 أبو العالفة عن قوله « الذين هم من صلاتهم ساهون » قال هو الذي يسهو في صلاته فلا يدري على كم
 يصرف أو شغل أم لم يترك وقال الحسن هو الذي يسهر عن وقت الصلاة حتى يخرج . وقال بعضهم هو
 الذي إن صلاتها في أول الوقت لم يفرح وإن أخرها عن الوقت لم يحزن فلا يرى تسجيها خيرا ولا تركها
 إنما واعلم أن الصلاة قد تحسب بمشيتها ويكتب بعضها دون بعض كالدلت الأخبار عليهم وإن كان التقيد
 يقول إن الصلاة في الصحة لا تتجزأ ولكن ذلك له معنى آخر ذكرناه وهذا الذي دللت عليه الأحاديث
 إذ ورد جبر قصان الفرائض بالنوافل (٢) وفي الخبر قال عيسى عليه السلام يقول الله تعالى بالقرائن
 نجسا من عبيد وبالنوافل حبيب عبيد وقال الذي صلى الله عليه وسلم « قال الله تعالى لا ينجو
 من عبيد إلا بأداء ما اقترنته عليه (٣) » وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم « صلى صلاة تركه من
 قراءتها آية فلما اغتسل قال ماذا قرأت فسكت التوم فسأل أبي بن كعب رضى الله عنه فقال قرأت سورة
 كذا وترك آية كذا فلما ندرى أنسحت أم رفعت فقال أنت لها يا أبي ثم أقبل على الآخرين فقال
 ما بال أقوام يحضرون صلاتهم ويسمون صفوفهم ويقيم بين أيديهم لا يدرون ما يتلو عليهم من
 كتاب ربهم إلا أن بني إسرائيل كذا فملوا فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم أن قل لقومك تخشعونني
 أبدأكم وتمطون ألتسكنم وتعيون عني يتلوكم باطل ما تذهبون إليه (٤) » وهذا يدل على أن
 استماع ماقرأ الإمام وفهمه بدل عن قراءة السورة بنفسه وقال بعضهم إن الرجل يسجد السجدة
 عنده أنه تقرب بها إلى الله عز وجل ولو قسمت ذنوبه في سجدة على أهل مدينته لمهلكوا قيل
 وكيف يكون ذلك قال يكون ساجدا عند الله وقلبه مصغ إلى هوى ومشاهد لباطل قد استولى عليه

- (١) حديث إن عمار بن ياسر صلى فأخفاها فقبل له خفت يأبى البظان الحديث وفيه إن البدل يسمى
 صلاة لا يكتب له نصفها ولا ثلثها إلى آخره أحمد بإسناد صحيح وقدم الرفوع عنه وهو عند د
 (٢) حديث جبر قصان الفرائض بالنوافل أصحاب السنن والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة إن
 أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته وفيه قال انتقص من فرضه شيئا قال الرب عز وجل
 انظروا هل لعبد من تطوع فيكمل بها ماقص من الفريضة (٣) حديث قال الله تعالى لا ينجو من
 عبيد إلا بأداء ما اقترنت عليه لم أجده (٤) حديث صلى صلاة تركه من قراءتها آية فلما اغتسل قال
 ماذا قرأت فسكت القوم فسأل أبي بن كعب الحديث رواد محمد بن نصر في كتاب الصلاة مرسل
 وأبو منصور الديلمي من حديث أبي بن كعب ورواه عن جبر من حديث عبد الرحمن بن أبي بصير بإسناد صحيح.

فهذه صفة الجاهلين فدللت هذه الحكايات والأخبار مع سابق على أن الأصل في الصلاة المتشوق وحضور القلب وأن مجرد الحركات مع الفتنة قليل الجدوى في الماد والله أعلم فأسأل الله حسن التوفيق .

(الباب الرابع في الإمامة والقدوة)

وفي أركان الصلاة وسبل السلام وعلى الإمام وظائف قبل الصلاة وفي القراءة

أما الوظائف التي هي قبل الصلاة فستة : أولها أن لا يتقدم للإمامة على قوم يكرهونه بان اختلافوا وكان النظر إلى الأكثرين فإن كان الأقون هم أهل الخير والدين فالنظر إليهم أولى وفي الحديث « ثلاثة لا تجاوز صلاحهم رهوسهم : البديل الأبق وامرأؤزوجهما سخط عليهما وإمام أم قوم أو ملة كارهون (١) » وكما نبى عن قدمه مع كراهتهم فكذلك نبى عن التقدمة إن كان وراه من هو أقدم منه إلا إذا امتنع من هو أولى منه فله التقدم فإن لم يكن شئ من ذلك فليقدمهما قدم وعرف من نفسه القيام بهرط الإمامة ويكرهه عند ذلك للدافعة فتدليل إن قومًا مدافوا الإمامة بمدافعة الصلاة خضفهم وماروى من مدافعة الإمامة بين الصحابة رضى الله عنهم فسيبه إشارهم من رآه أنه أولى بذلك أو خوفهم على أنفسهم السهو وخطر ضاين صلاحهم فإن الأئمة ضمناء وكان من لم يتعد ذلك رعبا يشتغل قلبه ويتشوش عليه الإخلاص في صلاته حياء من المتدينين لأسباب في جهه بالقراءة فكان لاحتراز من احترز أسباب من هذا الجنس . الثانية إذا خير المرء بين الأذان والإمامة فينبى أن يختار الإمامة فإن لكل واحد منهما فضلا ولكن الجمع مكروه بل ينبى أن يكون الإمام غير المؤمن وإذا تلمذ الجمع فالإمامة أولى وقال قائلون الأذان أولى لما اختلته من فضيلة الأذان وقوله عليه السلام « الإمام ضامن ولؤذن مؤتمن (٢) » فقالوا فيها خطر الضامن وقال صلى الله عليه وسلم « الإمام أمين فاذا ذكره فاركوا أو إذا سجد فاسجدوا (٣) » وفي الحديث « فإن أتم فله ولم وإن نقص قلبه لا عليهم (٤) » ولأنه صلى الله عليه وسلم قال « اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين (٥) » والفتنة أولى بالطلب فإن الرشد يراد بالمغفرة وفي الخبر « من أتم في (١) مسجد سبع سنين وجبت له الجنة بلا حساب ومن أذن أربعين عاما دخل الجنة بغير حساب (٢) » ولذلك نقل عن الصحابة رضى الله عنهم أنهم كانوا يتدافعون الإمامة والصحيح أن الإمامة أفضل إذ واطب عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضى الله عنهم والأئمة بعدهم ، نعم فيها خطر الضامن والفضيلة مع الخطر كما أن رتبة الإمارة والخلافة أفضل لقوله عليه السلام « ليوم من سلطان عادل أفضل من عبادة سبعين سنة (٣) »

(الباب الرابع)

(١) حديث ثلاثة لا تجاوز صلاحهم رهوسهم : البديل الأبق الحديث ت من حديث أنى إمامة وقال حسن غريب ومضعه حق (٢) حديث الإمام ضامن ولؤذن مؤتمن د ت من حديث أنى هريرة وسكى عن ابن اللذين أنه لم يشته ورواه أحمد من حديث أنى إمامة بإسناد حسن (٣) حديث الإمام أمين فاذا ذكره فاركوا الحديث ع من حديث أنى هريرة دون قوله الإمام أمين وهو بهذه الزيادة في مسند الحميدى وهو متفق عليه من حديث أنس دون هذه الزيادة (٤) حديث فإن أتم فله ولم وإن اتقص قلبه ولا عليهم د ه ك وصححه من حديث عتبة بن عامر والبخارى من حديث أنى هريرة يصولونكم فإن أصابوا فلكم وإن أخطأوا فلكم وعليهم (٥) حديث اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين هو حقة حديث الإمام ضامن وتقدم قبل مجديين (٦) حديث من أذن في مسجد سبع سنين وجبت له الجنة ومن أذن أربعين عاما دخل الجنة بغير حساب ت ه من حديث ابن عباس بالشرط الأول نحوه قال ت حديث غريب (٧) حديث ليوم من سلطان عادل أفضل من عبادة سبعين سنة

(١) قوله من أتم الخ هكذا هو في النسخ وهو للوائق لكلام النصف ولكن في العراق والشارح قطعا وإن في اللذين فليحرر الحديث اه .

الاتقان ومبلغ جودة الصنيع ليجعل كمال ماخلق دليلا قاطعا وبرهانا على كماله في صفات جلاله اللوجبة لإجلاله فلو كان ماخلق ناقصا بالإضافة إلى غيره ما قدر على خلقه ولو لم يخلق لكان يظهر النقصان للدهى على هذا الوجود من خلقه كما يظهر على ما خلقه على غير ذلك ويكون الجمع من باب الاستدلال على ما منع من النقصان قطعا وما يجعل عليه من القدرة على أكل منه غنا إذ خلق للخلق عقولا وجعل لهم فهموما وعرفهم ما أمكن وكشف لهم ما حجب وأمين فيكون ه حيث عرفهم بكماله دلم على نفسه ومن حيث أعلمهم بقدرته بصرفهم بسجده فقالى الله رب العالمين الملك الحق البين وأيضا فلا يترض هنا ويتز به إلا من لا عرف غلو قاته ولم يصرف الكلام الصحيح في مشابه ذلك

ولكن فيها خطر ولذلك وجب تقديم الأفضل والأقرب صدق الله عليه وسلم « أتشكركم شفعاً لكم أوقات وفدتكم إلى الله فان أردتم أن تزكوا صلاتكم قدموا خياركم ^(١) » وقال بعض السلف ليس بعد الأنبياء أفضل من السماء ولا بعد السماء أفضل من الأئمة الصالحين لأن هؤلاء قاموا بين يدي الله عز وجل وبين خلقه هذا النبوة وهذا بالعلم وهذا بصناد الدين وهو الصلاة وهذه الحاجة احتج الصالحية في تقديم أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعنه للخلافة إذ قالوا نظرنا فإذا الصلاة عماد الدين فاخترنا لدينانا من رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا ^(٢) » وما قدموا بلالا احتجاجاً بأنه رضى للأذان ^(٣) » وما روى أنه قال له رجل يا رسول الله « دلي على عمل أدخل به الجنة قال كن مؤذناً قال لا أستطيع قال كن إماماً قال لا أستطيع قال صلّ بإزاء الإمام ^(٤) » فلمهظن أنه لا يرضى بإمامته إذ الأذان إليه والإمامة إلى الجماعة وتقديمهم له ثم بهذا تركهم أنه ربما يقدّر عليها . الثالثة أن يرى الإمام أوقات الصلوات فصلّى في أوّلها ليدرك رضوان الله سبحانه فضل أول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الدنيا ^(٥) هكذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الحديث « إن العبد ليصلّى الصلاة في آخر وقتها ولم ينته ، ولما فاتته من أول وقتها خير له من الدنيا وما فيها ^(٦) » ولا ينبغي أن يؤخر الصلاة لا تنظر كثرة الجماعة بل عليهم المبادرة بخيصة أول الوقت فهي أفضل من كثرة الجماعة ومن تطويل السورة وقد قيل كانوا إذا حضروا إثنان في الجماعة لم ينتظروا الثالث وإذا حضروا أربعة في الجنازة لم ينتظروا الخامس وقد تأخر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الفجر وكانوا في سفر وإعطاء آخر للطهارة فلم ينتظر وقدم عبد الرحمن بن عوف صلى الله عليه وسلم حتى قامت رسول

أصلاً في العلم أو كان نسخاً له ومعنى نفيس عليه غيره وأما انكشافه خبر ممن رزق علم ذلك كان بطلان السلم في حق الخبر إذ أشاء لتدبر أهله وأهله لمن لا يستحقه كالأروى عن عيسى بن نينا وعليه السلام لا تملقوا السرفى أعناق الحنازير . وإعنا أراد قطاع العلم غير أهله وقد جاء لاغتموا الحسنة أهلها تظلمهم ولا تقصوها عند غير أهلها تظلموها وأما سر العلم الذي يوجب كشفه بطلان الأحكام فان كان كشفه من الله سبحانه لقلوب ضيقة بطلت الأحكام في حقها لمن يطلع عليه في ذلك السر من معرفة مآل الأشياء وعواقب الخلق وكشف أسرار البادية وما يظن من مقصور فمن عرف نفسه مثلاً أنتم أهل الجنة لمصلح ولم يصم ولم يمتب نفسه في خير وكذلك لو انكشف له أن من أهل النار كن

الطبراني من حديث ابن عباس بسند حسن بلفظ ستين (١) حديث أتشكركم وفدتكم إلى الله تعالى فان أردتم أن تزكوا صلاتكم قدموا خياركم قط حق وضمف إسناده من حديث ابن عمر والنفوى وابن قاتم والطبراني في معاجهم وك من حديث مرثد بن أبي مرثد نحوه وهو منقطع وفيه يحيى بن يحيى الأعملى وهو ضعيف (٢) حديث تقديم الصلابة أياً بكر وتقدموا خبرنا لدينانا من اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا ابن شاهين في شرح مذاهب أهل السنة من حديث على قال لقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يصلى بالناس وإني لشاهد ما أنا بقائب ولأني مرض فرضنا لدينانا مريض به النبي صلى الله عليه وسلم لديننا والرفوع منه متفق عليه من حديث عائشة وأبي موسى في حديث قالوا أبا بكر فليصل بالناس (٣) حديث تقديم الصلابة بلالا ^(٤) احتجاجاً بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى للأذان أما للرفوع عنه فرواه أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان من حديث عبد الله بن زيد في بدء الأذان وفيه قم مع بلال فألقى عليه ما رأيت فليؤذن به الحديث وأما تقديمهم له بعد موت النبي ﷺ فروى الطبراني أن بلالا جاء إلى أبي بكر فقال يا خليفة رسول الله أردت أن أربط نفسي في سبيل الله حتى أموت فقالوا لا يكره أنشدك بالله يا بلال وحرمتي وحقى لقد كبرت سنّى وضعت قوتي واقترب أصلى فأقام بلال معه فلما توفي أبو بكر جاء عمر فقال له مثل ما قال لأبي بكر فاني عليه فقال عمر فسن يا بلال فقال إلى سعد فانه قد أذن بقاء على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عمر الأذان إلى سعد وعقبه وفي إسناده جهالة (٤) حديث قال له رجل يا رسول الله دلي على عمل أدخل به الجنة قال كن مؤذناً الحديث البخارى في التاريخ والعتيلي في الضمفاء وطب في الأوسط من حديث ابن عباس باسناد ضعيف (٥) حديث فضل أول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الدنيا أبو منصور الدبلى في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٦) حديث إن العبد ليصلّى الصلاة في أول وقتها ولم ينته الحديث الدارقطنى من

(١) قول الرازي تقديم الصلابة بلالا لعل الناس عدم تقديمه فليتامل

أهمها كه فلا يحتاج
إلى تعبد الله ولا تصيحه
مكيدة فلو عرف كل
واحد عاقبته ومآله
بطلت الأحكام الجارية
عليه وإن كان
كشفها من غيب
استروح الضعيف إلى
ما يسمع من ذلك
فينتعل ويختم حاله
وينحل قيده ويصد
هذا فلا يحمل كلام
سهل إلا على ما يقدر
لأعلى ما يوجد ولذلك
جبهه مقرونا بحرف
لو الدال على امتناع
الشيء لامتناع غيره
كما يقال كان للإنسان
جناحان لطار ولو
كان للبهائم درج
لصعد عليها ولو كان
للشجر ملكا لقتد
الشهوات فله هذا
يخرج كلام سهل في
ظاهر العلم .

[فصل] وأما خطاب
العقلاء للجمادات فغير
مستقر فحديثا نديب
الناس السيار وسألو
الأطلس واستخبروا
الأشجار وقد جاء في أقمار
العرب وكلامها من
ذلك كثير وفي حديث

الله صلى الله عليه وسلم ركعة قيام يقضيها قال فأشفقنا من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
أحدثتم هكذا فافعلوا^(١) وقد تأخر في صلاة الظهر قدموا أبا بكر رضي الله عنه حتى جاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو في الصلاة قام إلى جانبه^(٢) وليس على الإمام انتظار للؤذن وإنما على المؤذن انتظار الإمام
للإقامة فإذا حضر فلا ينظر غيره . الرابعة أن يؤتم غلصا فزع وجل ومؤذيا أمانة الله تعالى في
طهارته وجميع شروط صلاته أما الإخلاص فإن لا يأخذ عليها أجره فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان
ابن أبي العاص الثقفي وقال اتخذ مؤذنا لا يأخذ على الأذان أجرا^(٣) فالأذان طريق إلى الصلاة فهي أولى
بأن لا يؤخذ عليها أجر فإن أخذ رزقا من مسجد قد قس على من يقوم يملأه من أومن السلطان أو أوحاد
الناس فلا يحق تجريمه ولكنه مكروه والكراهية في الفرائض أشد منها في التراويع وتكون أجره
له على مداومة على حضور الوضع ومراقبة مصالح المسجد في إقامة الجماعة لا على نفس الصلاة . وأما
الأمانة فهي الطهارة باطنها من الفسق والكبر والاصرار على الصغار فالترشح للإمامة ينبغي أن
يغترز عن ذلك بجهد فانه كالوفد والشفيع للقوم فينبغي أن يكون خير القوم وكذا الطهارة ظاهرا
عن الحدث والحجب فانه لا يطلع عليه سواه فان تذكر في أثناء صلاته حدثا أو خرج منه ريح
فلا ينبغي أن يستحي بل يأخذ يد من قرب منه ويستغفله فقد تذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الجنازة في أثناء الصلاة فاستخلفوا اغتسل ثم رجع ودخل في الصلاة^(٤) وقال سفيان صلى خلف كل بر
وقاجر لإيمانهم خروا أو ملعن بالسوق أو ألق لوالديه أو صاحب بدعة أو عبد أبق . الخامسة أن لا يكبر
حتى تستوي الصفوف فليكنف بينا وهما لا يراى خلا أمر بالتسوية ، قيل كانوا يتخذون بالمناكب
ويتضامون بالكعب ولا يكبر حتى يفرغ للؤذن من الإقامة وللؤذن يؤخر الإقامة عن الأذان بقدر
استعداد الناس في الصلاة ففي الخبر « ليتمهل للؤذن بين الأذان والإقامة بقدر ما يفرغ الآكل من
طعامه والمصنوع من اعتصامه^(٥) » وذلك لأنه نهى عن مدافعة الأخبثين^(٦) وأمر بتقديم المشاء
على المشاء^(٧) طلبا لقرع القلب . السادسة أن يرفع صوته بتكبيره الاحترام وسائر التكبيرات
ولا يرفع المأموم صوته إلا بقدر ما يسمع نفسه وينوي الإمامة لينال الفضل فان لم ينو صحت صلاته
وصلاة القوم إذا نواوا الاقتداء وتالوا فضل القدوة وهو لا ينال فضل الإمامة ، وليؤخر للسأموم
تكبيره عن تكبيره الإمام فينتدى بعد فراغه والله أعلم . وأما وظائف القراءة خلافة : أولها

حديث أبي هريرة نحوه بإسناد ضعيف (١) حديث تأخر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما عن صلاة الفجر
وكان في سفر وإنما تأخر للطهارة فقدموا عيد الرحمن بن عوف الحديث متفق عليه من حديث القرية .
(٢) حديث تأخر في صلاة الظهر قدموا أبا بكر الحديث متفق عليه من حديث سهل بن سعد
(٣) حديث اتخذ مؤذنا لا يأخذ على أذانه أجره أصحاب السنن وك وصححه من حديث عثمان بن
أبي العاص الثقفي (٤) حديث تذكر النبي صلى الله عليه وسلم الجنازة في أثناء الصلاة فاستخلفوا اغتسل ثم رجع د من
حديث أبي بكره بإسناد صحيح وليس فيه ذكر الاستخلاف وإنما قال ثم أوما إليهم أن مكانكم الحديث
وورد الاستخلاف من قبل عمر وعلى وعند شيخ اختلاف عمر في قصة طهنة (٥) حديث يعجل للؤذن
بين الأذان والإقامة بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه والمصنوع من اعتصامه ، ت ك من حديث جابر :
يا بلال اجعل بين أذانك وإقامتك قدر ما يفرغ الآكل من أكله والشارب من شربه وللصنوع إذا دخل
لقضاء حاجته قال ت إنسانه مجهول وقال ك ليس في إنسانه مطون فيه غير عمرو بن قنيد قلت بل فيه
عبد النعم الباجي منكر الحديث قاله غ وغيره (٦) حديث النهى عن مدافعة الأخبثين م من
حديث عائشة بلفظ لامة واليهي لأصليين أحكم الحديث (٧) حديث الأمر بتقديم المشاء على
الشاء تقدم من حديث ابن عمر وعائشة إذا حضر المشاء وأقيمت الصلاة فأبدوا بالشاء متفق عليه .

لنبي صلى الله عليه وسلم « أسكن أحد فأما عليك نبي وصديق وشهيدان » وقال بعضهم أسأل الأرض تخبرك بمن شق أئهارها وجفر عارها وقتق أهواها ورتق أحواها وأرسي جالها إن لم تحبك أجايتك اعتبارا وإعما الذي يتوقف على الأذهان وتخير في قوله السامعون وتتجيب عنه القول هو كيفية كلام الجادات والحيوانات الصامتات ففي هذا وقع الانكار واضطرب النظر وكذب في تصحيح وجوده ذوالسمع من الاعتبار ولكن لستم أن تلقى الكلام للمقالة بمن لم يقل عنه في للشهود يكون على جهات من ذلك مع الكلام الثاني كالتقي من أهل النطق إذا قصدوا إلى نظم اللفظ وذلك أكثر ما يكون للأنبياء والرسل صلوات الله عليهم في بعض الأوقات تكثي

أن يسبغ الاستنجاش والتذوق للفرد ويحجر بالقاعة والسورة بعدها في جرح البحر وأول الشاء والغرب وكذلك للفرد ويحجر بقوله آمين في الصلاة الجهرية وكذا للأوم ويسن أن تأمينة بتأمين الإمام معا لتقيا (١) ويحجر بيسم الله الرحمن الرحيم والأخبار فيه متعارضة (٢) واختيار الشافعي رضي الله عنه الجهر . الثانية أن يكون للإمام ثلاث سككات (٣) هكذا رواه سمرة بن جندب وعمران بن الحصين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولامن إذا كبر وحى الطولى من مقدار ماقرأ من خلفه فاعة الكتاب وذلك وقت قراءته لساء الاستنجاش فانه إن لم يسكت يوتهم الاستماع فيكون عليه ماقص من صلاحهم فان لم يقرءوا القاعة في سكوته واشتغلوا بغيرها فذلك عليه لاعليم . السكة الثانية إذا فرغ من القاعة ليتم من يقرأ القاعة في السكة الأولى فاعته وحى كنصف السكة الأولى . السكة الثالثة إذا فرغ من السورة قبل أن يركع وحى أخفها وذلك بقدر ما تنفصل القراءة عن التكبير فقد نهى عن الوصل فيه ولا يقرأ للأوم وراء الإمام إلا القاعة فان لم يسكت الإمام قرأ فاعة الكتاب معه وللقصر هو الإمام وإن لم يسمع للأوم في الجهرية بعده أو كان في السرية فلا بأس بقراءة السورة . الوظيفة الثالثة أن يقرأ في الصبح سورتين من الثاني مادون المائة فان الاطالة في قراءة الفجر والتفليس بها سنة ولا يضره الخروج منها مع الاسفار ولا بأس بأن يقرأ في الثانية بأواخر السور نحو الثلاثين أو العشرين إلى أن ينضمها لأوذلك لا يتكرر على الأصح كثيرا فيكون أبلغ في الوعظ وأدعى إلى التفكر وإعما كره بعض العلماء قراءة بعض أول السورة وقطعها وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ بعض سورة يونس فلما انتهى إلى ذكر موسى وفرعون قطع فركم (٤) وروى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ في التجر آية من البقرة (٥) وحى قوله - قولوا آتينا بالله وما أنزل إلينا - وفي الثانية - ربنا آتينا بما أنزل - ومع بلا يقرأ من ههنا وههنا فأنه عن ذلك قال أخطط الطيب بالطيب قال أحسنت (٦) ويقرأ في الظهر (١) حديث الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم قطع وصححه من حديث ابن عباس (٢) حديث ترك الجهر بهام من حديث أنس صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فلما سمع أحدا منهم يقرأ بيسم الله الرحمن الرحيم وللنساء يجهر بيسم الله الرحمن الرحيم (٣) حديث سمرة بن جندب وعمران بن حصين في سككات الإمام أحمد من حديث سمرة قال كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سككات في صلاته وقال عمران أنا أحفظها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكبوا في ذلك إلى أبي بن كعب فسكب إن مرة قد حفظ هكذا وجدته في غير نسخة صحيحة من السند وللشروط أن عمران أنكر ذلك على مرة هكذا في غير موضوع من السند وده جوت فأنكر ذلك عمران وقال خطا سكة وقال حديث حسن انتهى وليس في حديث مرة إلا سكتان ولكن اختلف عنه في محل الثانية فروى عنه بعد القاعة وروى عنه بعد السورة وروى عن حديث أبي هريرة ومضف من صلى صلاة مكتوبة مع الإمام قليلا بغاية الكتاب في سكتانه (٤) حديث قرأ بعض سورة يونس فلما انتهى إلى ذكر موسى وفرعون قطع وركع م من حديث عبد الله بن السائب وقال سورة للؤمنين وقال موسى وهرون وعلقه خ (٥) حديث قرأ في الفجر - قولوا آتينا بالله - الآية ، وفي الثانية - ربنا آتينا بما أنزلت - م من حديث ابن عباس كان يقرأ في ركعتي الفجر في الأولى منها - قولوا آتينا بالله وما أنزل إلينا - الآية التي في البقرة وفي الآخرة منها - آتينا بالله واشهدوا بأننا مسلمون - و من حديث أبي هريرة - قل آتينا بالله وما أنزل علينا - الآية وفي الركعة الآخرة - ربنا آتينا بما أنزلت - أو - إنا أرسلناك بالحق - (٦) حديث سمع بلا يقرأ من ههنا ومن ههنا فأنه عن ذلك قال أخطط الطيب بالطيب قال أحسنت د من حديث أبي هريرة بإسناد صحيح نحوه .

الجميع لاني صلى الله عليه وسلم وكان حجر يسم عليه في طريقه قبل مبته ومنها تلقى التكليم في حب السامع من غير أن يكون له وجود من خارج الحب ويترى هذا سائر الخواص كمثل مايسمع النائم في منامه من مثال شخص من غير مثال والمثال للرقى للنائم ليس له وجود في نفسه وأما مايعنه غير النائم في القطة فنهنا خاصة وعامة ، وقد ورد أن الحجر في زمن عيسى بنادى للسلم باسم خلقى يهودى قاتله وإن لمخلق الله تعالى للحجر حياة ونطقا وينهب عنه معنى الحجرية أو يوكل بالحجر من يشكك عنه ممن يستر عن الأبرار في العادة من الملائكة والجن أو يكون كلام خلقه الله عز وجل في أذن السامع ليقده العلم باخفاء اليهودى حتى يقتله وكما يقال في العرض الأكبر يوم

بطول الفصل إلى ثلاثين آية وفي العصر يتصف ذلك وفي المغرب بأواخر الفصل وآخر صلاة صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب قرأ فيها سورة المرات ماضى بعدها حتى يقضى (١) . وبالجملة التخصيف أولى لاسم إذا أكثر الجمع قال صلى الله عليه وسلم في هذه الرخصة « إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فان قيم التخصيف والكبير وإذا صلى لنفسه فليطول ما شاء » وقد كان معاذ ابن جبل يلى يقوم المشاء قراً البقرة فخرج رجل من الصلاة وأثر نفسه فقالوا تافق الرجل فتشاكيا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فزجر رسول الله ﷺ معاذاً فقال أفتان أنت لمعاذ أقرأ سورة تسبح والسبأ والطارق والشمس وضحاها (٢) . وأما وظائف الأركان الثلاثة : أولها أن يخفف الركوع والسجود فلا يزيد في التسيجات على ثلاث فقد روى عن أنس أنه قال ما رأيت أخف صلاة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في تمام (٣) ، ثم روى أيضاً أن أنس بن مالك لما صلى خلف عمر بن عبد العزيز وكان أميراً بالمدينة قال ما صليت وراء أحد أشبه صلاة صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الشاب قال وكان يسبح وراءه عشر عشرة (٤) . وروى بمجملاتهم قالوا : كنا نسبح وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركوع والسجود عشر عشرة (٥) . وذلك حسن ولكن الثلاث إذا كثر الجمع أحسن فإذا لم يحضر إلا المتحدرون لثلاث فلا بأس بالشر هذا وجه الجمع بين الروايات وينبني أن يقول الإمام عند رفع رأسه من الركوع سمع الله لمن حمده . الثانية في الأمام ينبنى أن لا يساوى الإمام في الركوع والسجود بل يتأخر فلا يهوى للسجود إلا إذا وصلت جهة الإمام إلى المسجد هكذا كان اقتداء الصحابة برسول الله صلى الله عليه وسلم (٦) . ولا يهوى للركوع حتى يستوى الإمام راكعاً وقد قيل إن الناس يخرجون من الصلاة في ثلاثة أقسام طائفة خمس وعشرين صلاة وهم الذين يكبرون ويركعون بعد الإمام وطائفة صلاة واحدة وهم الذين يساؤون وطائفة بلا صلواتهم الذين يساقون الإمام . وقد اختلف في أن الإمام في الركوع هل ينتظر لحوق من يدخل لينال فضل الجماعة وإدراكهم تلك الركعة ولعل الأولى أن ذلك مع الإخلاص لا بأس به إذا لم يظهر تفاوت ظاهر للحاضرين فان فهم مرعى في ترك التطويل عليهم . الثالثة لا يزيد في دعاء التشهد على مقدار التشهد حذراً من التطويل ولا يخص نفسه في الدعاء بل يأتي بصيغة الجمع فيقول اللهم اغفر لنا ولا يقول اغفرلى قد ذكره للإمام أن يخص نفسه ولا بأس بأن يستعذ في التشهد بالكلمات المحسنة للتأثرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول نعوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر ونعوذ بك من فتنة الحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال وإذا أردت يقوم فتنة فاقضنا إليك غير مفتونين (٧) وقبل سمى مسيحاً لأنه يمسح الأرض بطولها

- (١) حديث قراءته في المغرب بالمرسلات وهي آخر صلاة صلاها متفق عليه من حديث أم الفضل .
- (٢) حديث إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف أخذت متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث صلى معاذ يقوم المشاء قراً البقرة فخرج رجل من الصلاة الحديث متفق عليه من حديث جابر وليس فيه ذكر السبأ والطارق وهي عند البيهقي (٤) حديث أنس ما رأيت أخف صلاة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في تمام متفق عليه (٥) حديث أنس أنه صلى خلف عمر بن عبد العزيز قال ما صليت وراء أحد أشبه صلاة برسول الله ﷺ من هذا الشاب الحديث د ن بإسناد جيد وضعه ابن القطان (٦) حديث كنا نسبح وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركوع والسجود عشرًا لم أجده أصلاً إلا في الحديث الذي قبله وفيه فحرننا في ركوعه عشر تسيجات وفي سجوده عشر تسيجات .
- (٧) حديث كان الصحابة لا يهونون للسجود إلا إذا وصلت جهة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الأرض متفق عليه من حديث البراء بن عازب (٨) حديث التحوذ في التشهد من عذاب جهنم وعذاب القبر الحديث تضم وزاد فيه التزالي هنا وإذا أردت يقوم فتنة فاقضنا إليك غير مفتونين ولم أجده مقيداً .

وقيل لأنه مسح الدين أي مطموسها . وأما وظائف التجمل الثلاثة : أولها أن يوى بالتسليمتين السلام على القوم والملائكة . الثانية أن يثبت عقيب السلام كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما فيصلي النافلة في موضع آخر فإن كان خلفه نسوة لم يقر حتى ينصرفن (١) وفي الخبر المشهور أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يبعد إلا بقدر قوله اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت إذا الجلال والإكرام (٢) . الثالثة إذا وثب فينبغي أن يقبل بوجهه على الناس ويكرمه للمأموم القيام قبل اغتيال الإمام قد دروي عن طلحة والزبير رضي الله عنهما أنهما صليا خلف إمام فلما سلا قال للإمام ما أحسن صلاتك وآتتها لإثنيًا واحدًا أنك الماسكت لتفتل بوجهك ثم قال للناس ما أحسن صلاتكم إلا لأنكم انصرفتم قبل أن ينفلت إمامكم ثم ينصرف الإمام حيث شاء من بين يمينه وشماله واليمين أحب هذهموظيفة الصلوات وأما الصبح فزبد فيها القنوت فيقول الإمام اللهم اهدنا وهو اللهم اهدني ويؤمن المأموم فإذا انتهى إلى قوله إنك تقضي ولا تقضي عليك فلا يلبق به التأمين وهو ثناء فيقرأه فيقول مثل قوله أويقول بلى وأنا في ذلك من الشاهدين أوصدت وبررت وما أشبه ذلك وقد روي حديث في دفع الدين في القنوت (٣) فإذا صبح الحديث استحبه ذلك وإن كان على خلاف الدعوات في آخر التشهد إذ لا يرفع يديه إلا بعد التحويل إلى التوقيف وبينهما أضاف فرق وذلك لأن لا يدي وظيفة في التشهد وهو الوضع على الفخذين على هيئة مخصوصة ولا وظيفة لها هنا فلا يبعد أن يكون رفع الدين هو الوظيفة في القنوت فإنه لا يلقى بالدعاء والله أعلم فبهذه جملة آداب القدوة والإمامة والله الوفي .

(الباب الخامس في فضل الجمعة وآدابها وصحتها وشروطها)

(فضيلة الجمعة)

اعلم أن هذا يوم عظيم عظم الله به الإسلام وخصص به للمسلمين . قال الله تعالى - إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع - فحرم الاشتغال بأمر الدنيا وبكل صارف عن السعي إلى الجمعة ، وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل فرض عليكم الجمعة في يومى هذا في مقامى هذا (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « من ترك الجمعة ثلاثًا من غير عذر طبع الله على قلبه (٥) » وفي لفظ آخر « قد نبذ الإسلام وراء ظهره (٦) » واختلف رجل إلى ابن عباس يسأله عن رجل مات لم يكن يشهد الجمعة ولا جماعة ، فقال في النار فلم يزل يتردد إليه شهرًا يسأله عن ذلك وهو يقول في النار ، وفي الخبر : إن أهل الكنايين أعطوا يوم الجمعة فاختلقوا فيه فصرخوا عنه وهمدانا الله تعالى له وآخره لهذه الأمة وجعلها عيداً لهم فهم أولى الناس به سيقا وأهل الكنايين لهم نبيح (٧)

بآخر الصلاة ولترمذي من حديث ابن عباس وإذا أردت عبادة فتنه فأقبضني إليك غير مفتون و لك نحوه من حديث ثوبان وعبد الرحمن بن عايش وصحبهما وسأني في الدعاء (١) حديث للكث بعد السلام من حديث أسامة (٢) حديث إنه لم يكن يبعد إلا بقدر قوله اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت إذا الجلال والإكرام م من حديث عائشة (٣) حديث رفع الدين في القنوت البيهقي من حديث أنس بسند جيد في قصة قتل القراء ولقد رأيت رسول الله ﷺ كلما صلى العداة رفع يديه يدعو عليهم .

(الباب الخامس)

(٤) حديث إنه إن فرض عليكم الجمعة في يومى هذا الحديث . من حديث جابر بإسناد ضعيف .
(٥) حديث من ترك الجمعة ثلاثًا من غير عذر طبع الله على قلبه أحد واللفظ له وأصحاب السنن و لك وصححه من حديث أبي الجعد الضمري (٦) حديث من ترك الجمعة ثلاثًا من غير عذر قد نبذ الإسلام وراء ظهره البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس (٧) حديث إن أهل الكنايين أعطوا يوم الجمعة فاختلقوا فيه الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة بنحوه .

القيامه إذا نودي فيه باسم كل واحد على الخصوص وفي الخلائق مثل اسم النداء به كثير وقد قالت العلماء إنه لا يسمع النداء في ذلك الجمع إلا من نودي فيحتمل أن يكون ذلك النداء يخلق للنداء في حاسة أذنه ليتحرك إلى الحساب وحمدون من يشاركه في اسمه ولا يكون نداء من خارج والأشعة كثيرة في الصبح وفيها سمعت غنية ومقنع .

ومنها تلقى السلام في العقل وهو المستفاد بالعرفه للمؤمن بالقلب القوم بالتقدير على اللفظ المسمى بلسان الحال كما قال قيس : وأجوسه للتوداد حين رأته

وكبر للرحمن حين رآني

قلت له أين الدين عهدتهم

حواليك في عيشي وخضف زمان

فقال معشوا واستودعوني بلادهم

ومن الذي يبقى على الحدثنان

وفي حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « أتاني جبريل عليه السلام في كفة مرآة يضاء وقال هذه الجمعة يفرضها عليك ربك لتسكون لك عيدا ولأمتك من بملك . قلت فما لنا قال لكم خير ساعة من دعا فيها غير قسم له أعطاه الله سبحانه إياه أو ليس له قسم ذكر له ما هو أعظم منه أو تموز من شر هو مكتوب عليه إلا أعاده الله عز وجل من أعظم منه وهو سيد الأيام عندنا ونحن ندعوه في الآخرة يوم المزيد . قلت ولم ؟ قال إن ربك عز وجل أخذ في الجنة وأدبا أفسح من المسك أبيض فاذا كان يوم الجمعة نزل تعالى من عليين على كرسى فيتجلى لهم حتى ينظروا إلى وجهه الكريم^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط إلى الأرض وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد كذلك تسميه لللائكة في السماء وهو يوم النظر إلى الله تعالى في الجنة^(٢) » وفي الخبر « إن لله عز وجل في كل جمعة ستائة ألف عتيق من النار^(٣) » وفي حديث أنس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « إذا سلت الجمعة سلت الأيام^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الجحيم تسعر في كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس في كبد السماء فلا تصلا في هذه الساعة إلا يوم الجمعة فانه صلاة كله وإن جهنم لاسعر فيه^(٥) » وقال كعب إن الله عز وجل فضل من البهائم مكة ومن الشهور رمضان ومن الأيام الجمعة من الليالي ليلة القدر ، ويقال إن الطير والمواد يلقى بعضها بضاً في يوم الجمعة فتقول سلام سلام من صالح وقال صلى الله عليه وسلم « من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقى فتنة القبر^(٦) »

(بيان شروط الجمعة)

اعلم أنها تشارك جميع الصلوات في الشروط وتتميز عنها بستة شروط : الأول الوقت فان وقعت تسليمة الإمام في وقت العصر فالت الجمعة وعليه أن يتمها ظهراً أرباعاً وللسبوق إذا وقعت ركعة الأخيرة خارجاً من الوقت ففيه خلاف . الثاني المكان ، فلا تصح في الصحارى والبراري وبين الخيام بل لا بد من بقعة جامعة لأبنية لا تنقل ، يجمع أربعين ممن تلتزمهم الجمعة والقرية فيه كالبكة ولا يشترط فيه حضور السلطان ولا إذنه ولكن الأجب استئذانه . الثالث العدد فلا تتعد بأقل من أربعين ذكورا مكلفين أحراراً مقيمين لا يظنون عنها شتاء ولا صيفاً فان انفضوا حتى نقص العدد إما في الخطبة أو في الصلاة لم تصح الجمعة بل لا بد منهم من الأول إلى الآخر . الرابع الجماعة فلو صلى أربعون في قرية أو في بلد متفرقين لم تصح جمعهم ولكن للسبوق إذا أدرك الركعة الثانية جاز له الانفراد

(١) حديث أنس أتاني جبريل في كفة مرآة يضاء فقال هذه الجمعة الحديث الشافعي للسند والطبراني في الأوسط وابن مردويه في التفسير بأسانيد ضيقة مع اختلاف (٢) حديث خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة الحديث م من حديث أبي هريرة (٣) حديث إن لله في كل جمعة ستائة ألف عتيق من النار عذ حب في الصفاء وهب في الشعب من حديث أنس قال قط في المال والحديث غير ثابت (٤) حديث أنس إذا سلت الجمعة سلت الأيام حب في الصفاء وأبو نعيم في الحلية وهق في الشعب من حديث عائشة ولم أجده من حديث أنس (٥) حديث إن الجحيم تسعر كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس إلى أن قال إلا يوم الجمعة الحديث م من حديث أبي قتادة وأعله بالاشطاع (٦) حديث من مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقى فتنة القبر أبو نعيم في الحلية من حديث جابر وهو وث نحوه مختصراً من حديث عبد الله بن عمرو وقال غريب ليس إسناده متصل . قلت ووصلت الحكيم في النوادر .

وفي أمثال العوام قال الحافظ للوند لم تشقى فقال الوند للحافظ سئل من يدق فلو كانت العبارة تأتي منها ما عيرت إلا بما قد استعير لها وعلى هذا المعنى حمل كثير من العلماء بقوله تعالى إنيبارا عن السماء والأرض حين - قالتا أئينا طائسين - وفي قوله تعالى - إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملها وأضعفن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا - ومنها تلقى الكلام من الجبال مثل قوله صلى الله عليه وسلم « كافي أنظر إلى يونس بن متى عليه السلام عليه عبادتان قطوانيتان يابى وتحية الجبال والله يقول ليك يابونس » قوله كافي يدل على أنه تخيل حالة سبقت لم يكن لها في الحال وجود ذاتي لأن يونس بن متى عليه السلام قدمات وتلك الحالة منه سلفت

بالركعة الثانية وإن لم يدرك ركوع الركعة الثانية اختدى ونوى الظهر وإذا سلم الإمام عمها ظمرا .
الخامس أن لا تكون الجمعة مسبوقة بأخرى في ذلك البلد فإن تعدد اجتماعهم في جامع واحد جار
في جامعين وثلاثة وأربعة بقدر الحاجة وإن لم تكن حاجة فالصحيح الجمعة التي يقع بها التحريم
أولا ، وإذا عفت الحاجة فالأفضل الصلاة خاف الأفضل من الامامين فإن تساوى فالسجد الأقدم
فإن تساوى في الأقرب ولكثرة الناس أيضا فضل راعي . السادس الخطبتان فهما فريضتان والقيام
فيهما فريضة والجلوس بينهما فريضة وفي الأولى أربع فرائض : التحميد وأقوله الحمد لله والثانية
الصلاة على النبي ﷺ والثالثة الوصية بتقوى الله سبحانه وتعالى والرابعة قراءة آية من القرآن وكذا
فرائض الثانية أربعة إلا أنه يجب فيها الدعاء بدل القراءة واستماع الخطبتين واجب من الأريين .
وأما السنن : فلذا زالت الشمس وأذن للؤذن وجلس الإمام على المنبر انقطعت الصلاة سوى التحية
والسلام لا ينقطع إلا بافتتاح الخطبة ويسلم الخطيب على الناس إذا أقبل عليهم بوجه ويردون عليه
السلام فإذا فرغ للؤذن قام مقبلا على الناس بوجهه لا يلتفت يمينا ولا شمالا ويشغل يديه بقاء السيف
أو الفعزة والمنبركي لا يثبت بهما أو يضع إحدهما على الأخرى ويخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة
ولا يستعمل غريب اللغة ولا يعطط ولا يتنهي وتكون الخطبة قصيرة بلغة جامعة ويستحب أن يقرأ
آية في الثانية أيضا ولا يسلم من دخل والخطيب يخطب فإن سلم لم يستحق جوابا ولا الإشارة بالجواب
حسن ولا يشتت الماطسين أيضا هذه شروط الصحة فأما شروط الوجوب فلا تجب الجمعة إلا على
ذكر بالغ عاقل حر مقم في قرية تشمل على أربعين جامعين لهذه الصفات أو في قرية من سواد
البلد يلتحق تمام البلد من طرف يليها والأصوات ساكنة والؤذن رفيع الصوت لقوله تعالى - إذا
نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع - ويرخص لهؤلاء في ترك الجمعة
للسوء الطر والوحل والقرع والمرض والمريض إذا لم يكن المريض قيم غيره ثم يستحب لهم أن
أعجاب الأعذار تأخير الظهر إلى أن يفرغ الناس من الجمعة فإن حضر الجمعة مريض أو مسافر
أوعبد أو امرأة صحت جهتهم وأجزأت عن الظهر والله أعلم .

(بيان آداب الجمعة على ترتيب العادة وهي عشر حمل)

الأول أن يستعد لها يوم الخميس عزما عليها واستقبالا لقضائها فيشتغل بالدعاء والاستغفار والتسبيح
بعد العصر يوم الخميس لأنها ساعة قبولت بالساعة المهمة في يوم الجمعة قال بعض السلف إن لله
عز وجل فضلا سوى أرزاق العباد لا يسلي من ذلك الفضل إلا من سأله عشية الخميس ويوم الجمعة
وفضل في هذا اليوم ثيابه وبيضها ويعد الطيب إن لم يكن عنده ويفرغ قلبه من الأشغال التي
تنمعه من البكور إلى الجمعة وينوي في هذه الليلة صوم يوم الجمعة فإنه فضل وليكن مضموما إلى
يوم الخميس أو السبت لا مفردا فإنه مكروه ويشغل بإحياء هذه الليلة بالصلاة وختم القرآن عليها فضل
كثير ويستحب عليها فضل يوم الجمعة ويجمع أهله في هذه الليلة أو في يوم الجمعة فقد استحسب ذلك
قوم حملا على قوله صلى الله عليه وسلم « رحم الله من بكر وأبكر وغسل واغتسل » (١) وهو حمل
الأهل على التسلي وقيل معناه غسل ثيابه فروى بالتحضيض واغتسل لجسده وهذا ثم آداب الاستقبال
ويخرج من زمرة التأفنين الذين إذا أصبحوا قالوا ما هذا اليوم قال بعض السلف أو في الناس نصيما من الجمعة
من انتظر هاورها من الأوس وأخفهم نصيما من إذا أصبح يقول إني اليوم وكان بعضهم يبيت ليلة الجمعة
(١) رحم الله من بكر وأبكر وغسل واغتسل الحديث أعجاب السنن وحب ولا وصحه من
حديث أوس بن أوس من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وأبكر الحديث وحسنه .

وفي هذا الحديث إخبار
عن الوجود الخيالي
في البصر والوجود
الخيالي في السمع
ومنها تلقى الكلام
بالشبه وهو أن يسمع
السامع كلاما أو صوتا
من شخص حاضر
فيلقى عليه شبه غيره
عما غاب عنه كقوله
عليه السلام في صوت
أبي موسى الأشعري
إذ سمعه يترنم بالقرآن
« لقد أعطى مزارا
من زمير آل داود »
ومزمير آل داود قد
عدمت وذهبت
ولمّا شبه صوته بها
وكأنه يسمع للربصوت
مزار أو عود فجاء على
غير قصد يتخيل صرير
أبواب الجنة وشبهها
بما جفا صوته من ذلك
فهذه مراتب الوجود
فأنت إذا أحسنت
التصرف بين أساليبها
ولم يمتدك غلط في
بعضها يضمن ولا
اشغبت عليك وصحت
عمن نظر عسكرة نور
الله تعالى إلى كاشف
وقدره أسود وجهه
بالجبر فقال له ما بال

وجحك وقد كان أينس
أشقر موها والآن
قد ظهر فيه السواد
فلم سودت وجهك
قال سسل الحبر فانه
كان مجحوما في الهجرة
التي هي مستقر موطنه
فسافر عن الوطن
ونزل بساحة وجهي
ظلمنا وعدوانا فقال
صدقت . ثم أنت إذا
سمعت أمثال هذه
للرجال اجلس لعمل الفكر
وجدد النظر وحل
السلام إلى أجزائه التي
ينظم بها جملة ما يملك
فأنت عن معنى الناظر
ومعنى الشكاة ومعنى
نور الله سبحانه
وما صلب أنه لم يعرف
الناظر الصكابة
والسكتوب بأى لسان
خاطب الكاغذ وكيف
مخاطبة الكاغذ وهو
ليس من أهل النطق
وفما صدق الناظر
الكاغذ ولم صدقه
بمجرد قوله دون دليل
ولا شاهد فيدرك لك
هنا من الناظر هو
ناظر القلب فيها وأورده
عليه الحس وللشكاة
استشارة من مشكاة

في الجامع لأجلها . الثاني إذا أصبح ابتدأ بالتسل بعد طلوع الفجر وإن كان لا يكر تأخره إلى الرواح
أحب ليكون أقرب عهدا بالنظافة فالتسل مستحب استحبابا مؤكدا وذهب بعض العلماء إلى
وجوبه قال صلى الله عليه وسلم « غسل الجمعة واجب على كل محتلم ^(١) » والمشهور من حديث نافع عن
ابن عمر رضي الله عنهما « من أتى الجمعة فليغتسل ^(٢) » وقال ^(٣) « من شهد الجمعة من الرجال
والنساء فليغتسل ^(٤) » وكان أهل المدينة إذا تساب للتسبان يقول أحدهما للآخر لأنت أشر مني
لا يغتسل يوم الجمعة . وقال عمر لعثمان رضي الله عنهما لما دخل وهو غيب « أهذه الساعة منكرا عليه ترك
البكور قال ما زدت بعد أن سمعت الأذان على أن توشأت وخرجت فقال والوضوء أيضا وقد علمت أن
رسول الله ^(٥) كان يأمرنا بالتسل ^(٦) » وقد عرف جواز ترك التسل بوضوء عثمان رضي الله عنه وما روى
أنه صلى الله عليه وسلم قال « من توشأ يوم الجمعة فيها ولم تغتسل فمن اغتسل فالتسل أفضل ^(٧) » ومن اغتسل
للجمعة فليغتسل للماء على بدنه مرة أخرى في نية غسل الجمعة فإن اكتفى بغسل واحد أجزأه وحصل له
الفضل إذا نوى كلها ودخل غسل الجمعة في غسل الجنابة وقد دخل بعض الصحابة على الوضوء فغسل فقال
له الجمعة فقال بل عن الجنابة فقال أعد غسلا ثانيا وروى الحديث في غسل الجمعة على كل محتلم وإنما أمره
به لأنه لم يكن نواه وكان لا يبعد أن يقال القصد بالنظافة وقد حصلت دون النية ولكن هذا يتبدع في الوضوء
أيضا وقد جعل في الشرع قرينة فلا بد من طلب فضلها ومن اغتسل ثم أحدث توشأ ولم يطل غسله والأحب
أن يحترز عن ذلك . الثالث الزينة وهي مستحبة في هذا اليوم وهي ثلاثة السكوة والنظافة وطيب
الرائحة أما النظافة فبالسواك وحلق الشعر وقلم الظفر وقص الشارب وسائر ما سبق في كتاب الطهارة قال
ابن مسعود من قل أظفاره يوم الجمعة أخرج الله عز وجل منه داء وأدخل فيه شفاء فإن كان قد دخل
الحمام في الخمس أو الأرباء فقد حصل التصديق فليطيب في هذا اليوم بأطيب طيب عنده ليطيب بها
الروائح الكبرية ويوصل بها الروح والرائحة إلى مشام الحاضرين في جواره « وأحب طيب الرجال
ما ظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه ^(٨) » روى ذلك في الأثر وقال الشافعي
رضي الله عنه من نظف ثوبه قبل عهده ومن طاب ريحه زاد عقله وأما الكسوة فأحبها البياض من الثياب
إذ أحب الثياب إلى الله تعالى البياض لا يلبس ما فيه شهرة ولبس السواد ليس من السنة ولا فيه فضل
بل كره جماعة النظر إليه لأنه بدعة محدثة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم والعمامة مستحبة في هذا
اليوم روى وثقة بن الأسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله وملائكته يصلون
على أصحاب المناسك يوم الجمعة ^(٩) » فإن أكره الحرق فلا بأس بزعها قبل الصلاة وبدنها ولكن لا يترفع
في وقت السعي من المنزل إلى الجمعة ولا في وقت الصلاة ولا عند صعود الإمام المنبر وفي خطبته . الرابع

(١) حديث غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم متفق عليه من حديث أبي سعيد (٢) حديث
نافع عن ابن عمر من أتى الجمعة من الرجال والنساء فليغتسل متفق عليه وهذا لفظ حب (٣) حديث
من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسلوا حب وهو من حديث ابن عمر (٤) حديث قال عمر
لعثمان لما دخل وهو غيب أهذه الساعة منكرا عليه ترك التسل بوضوء عثمان رضي الله عنه وما روى
أنه صلى الله عليه وسلم كان يأمر بالتسل متفق عليه من حديث أبي هريرة ولم يسم البخاري وعثمان
(٥) حديث من توشأ يوم الجمعة فيها ولم تغتسل فيها وحبته و ن من حديث سمرة (٦) حديث
طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه وحبته و ن من
حديث أبي هريرة (٧) حديث وثقة بن الأسقع إن الله وملائكته يصلون على أصحاب المناسك يوم الجمعة
ط وعد وقال منكرا من حديث أبي الدرداء وبأمره من حديث وثقة .

البكور إلى الجامع ويستحب أن يقصد الجامع من فرسخين وثلاث وليكبر ويدخل وقت البكور بطول الفجر وفضل البكور عظيم وينبغي أن يكون في سعيه إلى الجمعة خاشعا متواضعا تاليا للاعتكاف في المسجد إلى وقت الصلاة قاصدا للعبادة إلى جواب نداء الله عز وجل إلى الجمعة ياء وللأسرعة إلى مغفرتهم ورضوانه وقد قال صلى الله عليه وسلم « من راح إلى الجمعة في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما أهدى دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما أهدى بيضة فإذا خرج الإمام طويت الصحف ورفعت الأقاليم واجتمعت للملائكة عند المنبر يستمعون الذكر فمن جاء بعد ذلك فاتمجاه لحق الصلاة ليس له من الفضل شيء (١) » والساعة الأولى إلى طلوع الشمس والثانية إلى ارتفاعها والثالثة إلى انبساطها حين ترمض الأقدام والرابعة والخامسة بعد الضحى الأخرى إلى الزوال وفضلها قليل ووقت الزوال حق الصلاة وأفضل فيه وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث لو يعلم الناس ما فيها لركضوا إلىهن في طلبهن الأذان والعصف الأول والتدو إلى الجمعة (٢) » وقال أحمد بن حنبل رضى الله عنهما فضلهن القدو إلى الجمعة في الخبر « إذا كان يوم الجمعة قصدت للملائكة على أبواب المساجد بأيديهم مصحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الأول فالأول على مراتبهم (٣) » وجاء في الخبر « إن الملائكة يتفقدون الرجل إذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضاً عنه ما فعل فلان وما الذي أخره عن وقته فيقولون اللهم إن كان أخره فمر فأغفله وإن كان أخره مرض فاشفه وإن كان أخره شغل فصرغه لعبادتك وإن كان أخره فهو فأقبل فقبله إلى طاعتك (٤) » وكان يرى في القرن الأول سحراً أو بعد الفجر الطرقات مملوءة من الناس يمشون في السج ويزدحمون بها إلى الجامع تكلم العيد حتى العرس ذلك قبل أول بدعة حدثت في الإسلام ترك البكور إلى الجامع وكيف لا يستحي المسلمون من اليهود والنصارى وهم يبيكرون إلى البيع والكنائس يوم السبت والأحد وطلاب الدنيا كيف يبيكرون إلى رحاب الأسواق للبيع والشراء والريح فلم لا يسابقهم طلاب الآخرة وقال إن الناس يكونون في قهرهم عند النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى حتى قدر بكورهم إلى الجمعة ودخل ابن مسعود رضى الله عنه بكرة الجامع فرأى ثلاثة نفر

الرجاجة التي أعمرت
بسراج النار إلى خبر
للعرقسة للقلب بسر
القلب شيباً بها لأنها
مسرجة الرب سبحانه
وتعالى شعلتها بنوره
ونوره للذكر ههنا
عبارة عن صفاء
الباطن واشتغال السر
بطلوع نيران كواكب
للعارف الداجية بلذن
الله تعالى ظلم جهالات
القلوب ووجه إضافته
إلى الله تعالى على سبيل
الإشارة بالذكر لأجل
التخصيص بالشرف
والكفاد الخير كناية
عن أنفسهم لاعت
فهمها وجعلها مبدأ
طريقه وأول سلوكه
إذ ما في عالم الملك
والشهادة القى على
جولة الناظر في حال
نظره وأما سبب أنه
لم يسرف الكتابة
والكتوب فلاجل
أنه كان آمياً لا يقرأ
الكتاب الصانع وإنما
يروم معرفة قراءة
الحق الإلهي الذي
هو أين وأدلى على
القيم منه وأما غاطبة
الناظر السكاغد وهو

(١) حديث من راح إلى الجمعة في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وليس فيه ورفعت الأقاليم وهذه اللفظة عند البيهقي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٢) حديث ثلاث لو يعلم الناس ما فيها لركضوا إلىهن في طلبهن الأذان والعصف الأول والتدو إلى الجمعة إلى الشيخ في ثواب الأعمال من حديث أبي هريرة ثلاث لو يعلم الناس ما فيها ما أخذن إلا بالاستهام عليها حرصاً على ما فيها من الخير والبركة الحديث . قال والتبجير إلى الجمعة في الصحيحين من حديثه لو يعلم الناس ما في النداء والعصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يتهموا لانتهموا ولو يملكون ما في التبجير لاستبقوا إليه (٣) حديث إذا كان يوم الجمعة قصدت للملائكة على أبواب المساجد بأيديهم مصحف من فضة وأقلام من ذهب الحديث ابن مردويه في التفسير من حديث علي بن مسعود ضعيف إذا كان يوم الجمعة نزل جبريل فرز كل لواء بالمسجد الحرام وغدا سائر للملائكة إلى المساجد التي يجمع فيها يوم الجمعة فركروا ألويتهم ورايتهم يباب المساجد ثم نضروا قراطين من فضة وأقلاماً من ذهب (٤) حديث إن للملائكة يتفقدون العيد إذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضاً ما فعل فلان حق من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مع زيادة وهن باسناد حسن . واعلم أن للصف ذكر هذا أثران لم يرد به حديثاً مرفوعاً فليس من شرطنا وإنما ذكرناه احتياطاً .

جاء فسبق الكلام على
مثلهم مراجعة الكاغد
له فقل قدر حال
الناظر إن كان مرادا
فيق الكلام في الحس
بما ينه عن اللطوب
من الحق وهو من باب
الاقامة في الروع فيودعه
الحس للشرط المحفوظ
فيه على الانسان صور
الاشياء المحسوسة
كان مريدا فيقائه
لسان الحال للسمع
يسمع القلب بواسطة
للمرئ والقل وتصدق
الناظر للكافد في
عسذره وإحائه على
الحبر لم يكن يرد قوله
بأن يشاهد أولى الرضا
والعدل وهو البحث
والتيجيرة لم تكن
وشهادة النفس وه
يسلك إلى القدر وهو
آمرها سئل عن أجزاء
عالم الملك . وأما ما سمعته
في حد عالم الجبروت
فذلك من القدر تالفة
إلى العقل والعلم
الوجود في الانسان
للتفرد في القوة
الروحية للدرك جميع
ما لا يستدعي وجوده
جسما ولكن قد يضر

قد سبقوه بالكور فاعتم لذلك وجعل يقول في نفسه معاتبا لها رابع أربعة ومارابع أربعة من
البكور بعيد . الخامس في هيئة الدخول ينبغي أن لا يتخطى رقاب الناس ولا يمر بين أيديهم والبكور
يسرى ذلك عليه فقد ورد وعيد شديد في تخطي الرقاب وهو أنه يجعل جسرا يوم القيامة يتخطاه
الناس ^(١) وروى ابن جرير مرسلًا « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينأى هو يخطب يوم الجمعة
إذ رأى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم جلس فلما قضى النبي ﷺ صلاته عارض الرجل حتى قلبه
فقال يا فلان مامنك أن تجمع اليوم معنا قال باني الله قد جمعت معك فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ألم ترك تتخطى رقاب الناس ^(٢) . أشار به إلى أنه أخطأ عمله . وفي حديث مسند أنه قال « مامنك
أن تصلي معنا » قال أولم ترى يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم « رأيتك تأتيت وآذيت ^(٣) » أي تأخرت
عن البكور وآذيت الحضور ومهما كان الصف الأول متروكا خالفه أن يتخطى رقاب الناس لأنهم
منهوا حقهم وتركوا موضع القضية قال الحسن تخطوا رقاب الناس الذين يبعدون على أبواب الجوامع يوم
الجمعة فانه لاحرمة لهم وإذا لم يكن في المسجد إلا من يصلي فينبغي أن لا يسلم لأنه تكليف جواب في غير
محل . السادس أن لا يمر بين يدي الناس ويجلس حيث هو إلى قرب أسطوانة أو حائط حتى لا يرون بين
يديه أعين بين يدي المصلي فان ذلك لا يجمع الصلاة ولكنه منهي عنه قال صلى الله عليه وسلم « لأن يقف
أربعين عامنا خير له من أن يمر بين يدي المصلي ^(٤) » وقال ﷺ « لأن يكون الرجل مرادا مديدا تدره
الرياح خير له من أن يمر بين يدي المصلي ^(٥) » وقد زوى في حديث آخر في البار والمصلي حيث صلى على
الطريق أو قصر في الدفع فقال « لو يعلم البار بين يدي المصلي والمصلي ما عليهما في ذلك لكان أن يقف
أربعين سنة خيرا له من أن يمر بين يديه ^(٦) » والأسطوانة أو الحائط أو اللقوش حد للصلى فمن اجتاز به
فينبغي أن يدهف قال صلى الله عليه وسلم « ليدفعه فان أبي قلبه فان أبي قلباته فانه شيطان ^(٧) » وكان
أبو سعيد الغدري رضى الله عنه يدفع من يمر بين يديه حتى يصصره فرجا تلقى به الرجل فاستدعى عليه
عند صموان فيخبره أن النبي ﷺ أمره بذلك فان لم يجد أسطوانة فليصن بين يديه شيئا طوله قدر ذراع
ليكون ذلك علامة لحده . السابع أن يطلب الصف الأول فان فضله كثير كروايه وفي الحديث « من غسل
واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الإمام واستمع كان ذلك له كفارة لما بين المجتنب وزيادة ثلاثة أيام ^(٨) »

(١) حديث من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسرا إلى جهنم وضعفه و ه من حديث
معاذ بن أنس (٢) حديث ابن جرير مرسلًا أن النبي صلى الله عليه وسلم ينأى هو يخطب إذ رأى
رجلا يتخطى رقاب الناس الحديث وفيه مامنك أن تجمع معنا اليوم ابن المبارك في الرقائق (٣)
حديث مامنك أن تصلي معنا فقال أولم ترى قال رأيتك آتيت وآذيت د ن حب ك ب من حديث
عبد الله بن يسر مختصرا (٤) حديث لأن يقف أربعين سنة خير له من أن يمر بين يدي المصلي
البراز من حديث زيد بن خاله وفي الصحيحين من حديث أبي جهم أن يقف أربعين قال أبو النضر
لأدري أربعين يوما أو شهرا أو سنة و ه وجب من حديث أبي هريرة مائة عام (٥) حديث لأن
يكون الرجل مرادا تنفروه الرياح خير له من أن يمر بين يدي المصلي أبو نعيم في تاريخ أصهبا وإن
عبد البر في التمهيد موقوف على عبد الله بن عمر وزاد متعديا (٦) حديث لو يعلم البار بين يدي المصلي
والمصلي ما عليهما في ذلك الحديث رواه هكذا أبو العباس محمد بن يحيى السراج في مسنده من حديث
زيد بن خاله باسناد صحيح (٧) حديث أبي سعيد فليدهف فان أبي قلباته فانما هو شيطان متفق
عليه (٨) حديث من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الإمام واستمع الحديث ك من حديث
أوس بن أوس وأصله عند أصحاب السنن .

وَقَالَ آخر « غفر الله لي الجمعة الأخرى وقد اشتطقي بعضها ولم يتخطر رقاب الناس ^(١) » ولا يفتل في طلب الصف الأول عن ثلاثة أمور : أولها أنه إذا كان يرى بقرب الخطيب منكرًا يعجز عن تغييره من لبس حرير من الامام أو غيره أو صلى في سلاح كثير ثقيل شاغل أو سلاح مذهب أو غير ذلك مما يجب فيه الانسكار فالتأخر له أسلم وأجمع لهم ضل ذلك جماعة من العلماء طلبا للسلامة قبل لبس بن الحرث ترك تسكر وتصل في آخر الصفوف قال إنما يراد قرب القلوب لا قرب الأجساد وأشار به إلى أن ذلك أقرب لسلامة قلبه ونظر سفيان الثوري إلى شبيب بن حرب عند المنبر يستمع إلى الخطيب من أن يحضر للنصير قلما فرغ من الصلاة قال شغل قلبه قريبك من هذا هل أمنت أن تسمع كلاما يجب عليك إنكاره فلا تقوم به ثم ذكر ما أحدثوا من لبس السواد فقال يا أبا عبد الله أليس في الحرير « أدن واستمع ^(٢) » وقال ويحك ذلك للخلفاء الراشدين المهديين فأما هؤلاء فكما بعدت عنهم ولم ينظر إليهم كان أقرب إلى الله عز وجل وقال سعيد بن عامر « وصلت إلى جنب أبي الدرداء فجعل يتأخر في الصفوف حتى كنا في آخر صف فلما صليت له أليس قال خير الصفوف أولها قال نعم لأن هذه الأمة مرحومة منظور إليهم بين الأمم ^(٣) » فان الله تعالى إذا نظر إلى عبد في الصلاة غفر له ولبن وراءه من الناس فأما تأخر رجاء أن يفرني بواحد منهم بنظر الله إليه وروى بعض الرواة أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فمن تأخر على هذه التبة إثارة وإظهارا لحسن الخلق فلا بأس وعند هذا يقال الأعمال بالنيات . ثانيا إن لم تكن مقصورة عند الخطيب مقطوعة عن المسجد للسلطان فالصف الأول محبوب ولا قد ذكره بعض العلماء دخول المقصورة كان الحسن وبكر الزني لاصليان في المقصورة ورأيا أنها قصرت على السلاطين وهي بدعة أحدثت بعد رسول الله ^(٤) في المسجد والمسجد مطلق لجميع الناس وقد أقطع ذلك على خلفه وصلى أنس بن مالك وعمران بن حصين في المقصورة ولم يكرها ذلك لطلب القرب ولعل الكراهية تخص بحالة التخصيص والمنع فأما مجرد المقصورة إذا لم يكن من غير فلا يجب كراهة . وثالثا أن المنبر يقطع بعض الصفوف وإنما الصف الأول الواحد المتصل الذي في قناء المنبر وما على طريقه مقطوع وكان الثوري يقول الصف الأول هو الخارج بين يدي المنبر وهو متجه لأنه متصل ولأن الجالس فيه يقابل الخطيب ويسمع منه ولا يعد أن قال الأقرب إلى القبلة هو الصف الأول ولا يراعى هذا المعنى وتكره الصلاة في الأسواق والرحاب الخارجة عن المسجد وكان بعض الصحابة يضرب الناس ويقيمهم من الرحاب . الثامن أن يقطع الصلاة عند خروج الامام ويقطع الكلام أيضا بل يشتمل بحجاب المؤذن ثم باستماع الخطيب وقد جرت عادة بعض العوام بالسجود عند قيام المؤذن ولم يثبت له أصل في أثر ولا خبر . ولكنه إن وافق سجود تلاوة فلا بأس بها للدعاء لأنه وقت فاضل ولا يحكم بتحريم هذا السجود فإنه لا سبب لتحريمه ، وقد روى عن علي وعثمان رضي الله عنهما أنها قالوا : من استمع وأصغت فله أجران ومن لم يستمع وأصغت فله أجر ومن سمع ولما فعله وزران ومن لم يسمع ولما فعله ووزر واحد وقال صلى الله عليه وسلم « من قال لصاحبه والامام غيظ أنصت أومه فقد لما ومن لنا والامام يغضب فلا جملة له ^(٥) » وهذا يدل على أن الإسكات ينبغي أن يكون بإشارة أو برؤية أو بصحابة لا بالنطق

(١) حديث أنه اشتطقت بعضها ولم يتخطر رقاب الناس دح بك من حديث أبي سعيد في هجرة وقال صحيح على شرطه (٢) حديث أدن فاستمع ممن حديث حمزة انصروا الله ذكر وإذنوا من الامام وتقدم بلفظ من هجرونا واستمع وهو عند أصحاب السنن من حديث شداد (٣) حديث أبي الدرداء إن هذه الأمة مرحومة منظور إليهم من بين الأمم وإن الله إذا نظر إلى عبد في الصلاة غفر له ولبن وراءه من الناس ولم أجد (٤) حديث من قال لصاحبه والامام يغضب أنصت فقد لما ومن لنا قاله تن عن أبي هريرة دوت قوله ومن لنا فلا جملة قال حديث حسن صحيح وهو في الصحيحين بلفظ

أدنيه في جسم كما عدرك السخلة عدواة الدب وعطف أمها فتجبع العطف وتثر من العدواة وأما ما سمعته في حديثنا للملكوت وذلك من العلم الإلهي إلى ما وراء ذلك مما هو داخل فيه ومعلوم منه فسر القلب الذي يأخذ به عن اللاتكسوسم به ما يهد مكانه ورق منه وعزب عن القلوب من جهة التفكير بصورة فأما أي شيء حقائق هذه المذكورات وما كنه كل واحد منها في نحو معرفتك لأجزاء عالم الملك والشهادة فذلك علم لا ينتفع بجاعه مع عدم الشهادة والله قد عرفك بأسمائها فان كنت مؤمنا فصدق بوجودها على الجملة لعلك أنك لا تخبر بتسميات ليس لها مسميات إلى أن يهلكك الله بأولي الشاهدة وتحصل خالص السكرات ومن كفر فان الله غني حميد . [فصل] والفرق بين العلم المحسوس في عالم

وفي حديث أبي ذر أنه لما سأل أبا النبي صلى الله عليه وسلم غُطِبَ فقال متى أُزِلَتْ هذه السورة فأومأ إليه أن اسكت فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله أبي أنه غُطِبَ فلامعة لك فشكاه أبوذر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال «صدق أبي» وإن كان بعيدا من الإمام فلا ينبغي أن يتكلم في السلم وغيره بل يسكت لأن ذلك يتسلسل ويغضى إلى هيمنة حتى ينتهي إلى السمعين ولا يجلس في حلقة من يتكلم فمن عجز عن الاستماع بالبعد فليصمت فهو للسمع وبإذ كانت تكره الصلاة في أربع ساعات بعد الفجر وبعد العصر فالسلام أولى بالكراهية وقال علي كرم الله وجهه تكره الصلاة في أربع ساعات بعد الفجر وبعد العصر ونصف النهار والصلاة والإمام غُطِبَ . التاسع أن يرأى في قدوة الجمعة ما ذكرناه في غيرها فإذ سمع قراءة الإمام لم يقرأ سوى فاتحة الفاتحة فإذا فرغ من الجمعة قرأ الحمد سبع مرات قبل أن يتكلم وقل هو الله أحد والموذنين سبعاً وروى بعض السلف أن من فعله عصم من الجمعة إلى الجمعة وكان حرزاً له من الشيطان ويستحب أن يقول بعد الجمعة اللهم يا غني يا حميد يا مبدئ يا رحيم يا ودود أعطني بملاكك عن حرامك وبفضلك عمن سواك يقال من دلوم على هذا السماء أعناه الله سبحانه عن خلقه وورقه من حيث لا يحتسب ثم يصلي بعد الجمعة ركعتين ، قد روى ابن عمر رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بعد الجمعة ركعتين (٢) ، وروى أبو هريرة أربعة (٣) ، وروى علي وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما ستاً (٤) ، والسلك صحيح في أحوال مختلفة والأكل أفضل . العاشر أن يلزم السجدة حتى يصلي العصر فإن أقام إلى المغرب فهو الأفضل يقال من صلى العصر في الجامع كان له ثواب الحج ومن صلى المغرب فهو ثواب حجة عمره فإن لم يأمن التصنع ودخول الآفة عليه من نظر الخلق إلى اعتكافه أو أخاف الخوض فيما لا ينبغي فالأفضل أن يرجع إلى بيتك إذا كرا الله عز وجل مفكراً في آياته شاكراً لله تعالى على توفيقه خائفاً من تقصيره مراقباً لقلبه ولسانه إلى غروب الشمس حتى لا تفتوه الساعة الثرية ولا ينبغي أن يتكلم في الجامع وغيره من الساجد بحديث الدنيا قال صلى الله عليه وسلم «يأتي على الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم أمر دنياهم ليس لله تعالى فيهم حاجة فلا تجالسهم» .

(بيان الآداب والسنن الخارجة عن الترتيب السابق الذي يجمع التمارين وهي سبعة أمور)

الأول أن يحضر مجالس العلم بكرة أو بعد العصر ولا يحضر مجالس القصص فأخير في كلامهم ولا ينبغي أن يغالروا في جميع يوم الجمعة عن الحيرات والدعوات حتى توافيه الساعة الثرية وهو خير ولا ينبغي أن يحضر الخلق قبل الصلاة وروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم

إذا قلت لصاحبك و د من حديث علي من قال صه فقد لنا ومن لنا فلامعة له (١) حديث أبي ذر لما سأل أبا النبي صلى الله عليه وسلم غُطِبَ وقال متى أُزِلَتْ هذه السورة الحديث حق وقال في المرة إسناد صحيح د من حديث أبي بن كعب يستدعي أن السائل له أبو البراء وأبوذر وأحمد بن حنبل حديث أبي البراء أنسأ أبا ولابن حبان من حديث جابر إن السائل عبد الله بن مسعود ولأبي علي من حديث جابر قال قال سعد بن أبي وقاص لرجل لاجمة لك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم يساعد فقال لأنه كان يتكلم وأنت تغضب فقال صدق سعد (٢) حديث ابن عمر في الركعتين بعد الجمعة متفق عليه (٣) حديث أبي هريرة في الأربع ركعات بعد الجمعة إذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربعة (٤) حديث علي وعبد الله في صلاة ست ركعات بعد الجمعة حق مرفوعاً عن علي وله موقوفاً على ابن مسعود أربعة و د من حديث ابن عمر كان إذا كان بمكة صلى بعد الجمعة ستاً (٥) حديث ياتي على أمي زمان يكون حديثهم في مساجدهم أمر دنياهم الحديث حق في الشعب من حديث الحسن مرسل وأسنده له من حديث أنس وصححه إسناده وجب نحوه من حديث ابن مسعود وقد تقدم .

للكل دين العلم الإلهي في عالم السموات أن العلم كما اعتقدت جميع بطيء الحركة بالفضل سريع الانتقال بالهلاك غلظاً عن مثله في الظاهر ويجعل تحت قهر سلطان الآدمي النصف الجاهل في أكثر أوقاته متصرف بين أحوال متنافية كالعلم والجهل والمد والظلم والشك والصدق والإفك فالعلم الإلهي عبارة عن خلق الله في عالم السموات خصص بخلاف خصائص الجواهر الحسية الكائنة في عالم الأرض يرى من أوصاف ماضي بالقلم المحسوس كلياً مصرفاً يتميز الخافي بحكم إرادته على ما سبق به عليه في أزل الأزول وإعاصي بهذا الاسم لأجل شبهه بعمل ماضي به غير أنه لا يكتب إلا حقائق الحق والفرق بين عين الآدمي وبين عين الله عز وجل أن عين الآدمي كما علت مركبة من عصب استصحب بقاؤها وعرض تفضل أدواؤها وعظام يعظم بلاؤها

نحى عن التحاق يوم الجمعة قبل الصلاة^(١) « إلا أن يكون علما بالله يذكر بأيام الله وحمته في دين الله يتكلم في الجامع بالقداء فيجلس إليه فيكون جامعاً بين البكور وبين الاستماع واستماع العلم النافع في الآخرة أفضل من اشتغاله بالأنوال فقد روى أبو ذر^(٢) « إن حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة^(٣) » قال أنس بن مالك في قوله تعالى - فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتنوا من فضل الله - أما أنه ليس بطلب دنيا ولكن عيادة مريض وشهود جنازة وتعلم علم وزيارع في الله عز وجل وقد سمى الله عز وجل العلم فضلاً في مواضع قال تعالى - وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً - وقال تعالى - ولقد آتينا داود منا فضلاً - يعني العلم تعلم العلم في هذا اليوم وتعليمه من أفضل القربات والصلاة أفضل من مجالس القصاص إذا كانوا يرونه بدعة ويخرجون القصاص من الجامع - بكر ابن عمر رضى الله عنهما إلى مجلسه في المسجد الجامع فإذا قاص بقص في موضعه فقال قم من مجلسي فقال لا أقوم وقد جلست وسبقتك إليه فأرسل ابن عمر إلى صاحب الشرطة فأقاله فلو كان ذلك من السنة لما جازت إقامته فقد قال صلى الله عليه وسلم « لا يقيم أحدكم أخاه من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تصحوا وتوسعوا^(٤) » وكان ابن عمر إذا قام الرجل له من مجلسه لم يجلس فيه حتى يعود إلى موطنه رضى كان يجلس ثمانية حجرة عائشة رضى الله عنها فأرسلت إلى ابن عمر إن هذا قد أداني قصصه وشغلني عن سبحي فصر به ابن عمر حتى كسر عصاه على ظهره ثم طرده . الثاني أن يكون حسن المراقبة للساءة الشرعية في الخبر المشهور « إن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله عز وجل فيها شيئاً إلا أعطاه^(٥) » وفي خير آخر « لا يصادفها عيسى^(٦) » واختلف فيها قيل إنها عند طلوع الشمس وقيل عند الزوال وقيل مع الأذان وقيل إذا صعد الإمام المنبر وأخذ في الخطبة وقيل إذا قام الناس إلى الصلاة وقيل آخر وقت العصر أعنى وقت الاختيار وقيل قبل غروب الشمس وكانت فاطمة رضى الله عنها ترى ذلك الوقت وتأمر خادمته أن تنظر إلى الشمس فتؤذنها بسقوطها فتأخذ في الدعاء والاستغفار إلى أن يقرب الشمس وتخير بأن تلك الساعة هي المنتظرة وتؤثره عن أبيها عليه السلام وعليها^(٧) وقال بعض العلماء هي مبهمة في جميع اليوم مثل ليلة القدر حتى تتوفر الدوامى على مراقبتها وقيل إنها تنتقل في ساعات يوم الجمعة كتنتقل ليلة القدر وهذا هو الأشبه وله سر لا يليق بعلم العامة ذكره ولكن ينبغي أن يصدق بإقبال صلى الله عليه وسلم « إن لربك في أيام دهركم نفحات لا تفرضوا^(٨) لها » ويوم الجمعة من تلك الأيام فينبغي أن يكون البعد في جميع نهاره معتزلاً بها بحاضر القلب وملازمة الذكر والتزوع عن وساوس الدنيا فضاء يحظى بشيء من تلك النفحات وقد قال كعب الأحماد إنها في آخر ساعة من يوم الجمعة وذلك عند التروب قتالاً بوهرة وكيف تكون آخر ساعة وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يوافقها عيسى ولا ت حين صلاة » قال كعب ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قد ينظر

ولطم محتوجاً لغيره جلد موسولة كلها في النصف والافعال الملقبة باليد وهي عاجزة على كل حال ويمين الله تعالى هي عند بعض أهل التأويل عبارة عن قدرته وعند بعضهم صفة لله تعالى غير قدرة وليست بجارح ولا جسم وعند آخرين أنها عبارة عن خلق الله هي واسطة بين القلم الإلهي الناقض العلوم المحدثة وغيرها وبين قدرته التي هي صفة تصرفها العين الكاتبة بالقلم للذكر بالخط الإلهي للثبوت على صفحات الخلوقات الذي ليس بمرئي ولا عجبى يقرؤه الأيون إذا شرحت صدورهم وتستعجم على القارئين إذا كانوا عبيد شواطئهم ولم يشارك عين الآدمي التي يرض الأسماء لأجل الشبهة اللطيف الذي بينهما بالفضل وتقرى إلى كل ناقص الفهم عساه يقبل ما أنزل على رسول الله تعالى من الذكر^(٩)

(١) حديث عبد الله بن عمر في التي عن التحلق يوم الجمعة دن و من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ولم أجدهم حديث ابن عمر (٢) حديث أبي ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة تقدم في العلم (٣) حديث لا يقيم أحدكم أخاه من مجلسه متفق عليه من حديث ابن عمر (٤) حديث إن في الجمعة ساعة لا يوافقها عيسى عبد مسلم يسأل الله فيها شيئاً إلا أعطاه ت من حديث عمرو بن عوف للزنى (٥) حديث لا يصادفها عبد مسلم متفق عليه من حديث أبي هريرة (٦) حديث فاطمة في ساعة الجمعة قط في الملل حق في الشعب وعلة الاختلاف (٧) حديث إن لربك في أيام دهركم نفحات الحديث الحكم في النوادر وطب في الأوسط من حديث محمد بن مسلمة ولا بن عبد البر في التمهيد نحوه من حديث أنس ورواه بن أبي الدنيا في كتاب التفرج من حديث أبي هريرة واختلف في إسناده .

[فصل] وجد عالم الملك
ماظهر لحواس ويكون
بقدره الله تعالى يشبه
من بعض وصحة التعبير
وحسد عالم المسكوت
ما أوجده سبحانه
بالأمر الأزل بالتدريج
وبقى على حالة واحدة
من غير زيادة فيه
ولا نقصان منه وجد
عالم الجبروت هو ما بين
العالمين مما يشبه أن
يكون في الظاهر من
عالم الملك خفي بالقدر
الأزلي بما هو من عالم
للمسكوت .

[فصل] ومعنى أن الله
خلق آدم على صورته
فذلك على ما جاء
في الحديث عن النبي
صلى الله عليه وسل
والطاء فيه وجهان
فهم من يرى الحديث
سببا وهو أن رجلا
ضرب ضلما فراه
النبي صلى الله عليه وسلم
فباه وقال إن الله
تعالى خلق آدم على
صورته وتأولوا عود
التعبير على اللصروب
وعلى هذا لا يكون
للعديث مدخل في هذا
الوضع لم يرد مورده
آخر في هذا الوطن

الجملة فهو في الصلاة (١) قال بل قال فذلك صلاة فسكت أبو هريرة وكان كعب مائلا إلى أنها رحمة
من الله سبحانه للقاتين بحق هذا اليوم وأوان إرسلها عند الفراغ من تمام العمل وبالجملة هذا
وقت شريف مع وقت صعود الإمام للنبر فليكثر الدعاء فيها . الثالث يستحب أن يكثر الصلاة على
رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم فقد قال صلى الله عليه وسلم « من صلى على في يوم
الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة قيل يا رسول الله كيف الصلاة عليك ؟ قال تقول
اللهم صل على محمد عبدك ونييك ورسولك النبي الأبي وتعد واحدة وإن قلت اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد صلاة تكون لك رضاء ولفقه أداء وأعطه الوسيعة وأبشاه التمام المحمود الذي وعدته
وأجزه عنا ما هو أهله وأجزه أفضل ما جازت نيا عن أمته وصل عليه وعلى جميع إخوانه من
النبين والصالحين بأرحم الرحمن (٢) تقول هذا سبع مرات فقد قيل من قالها في سبع جمع
في كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعته صلى الله عليه وسلم وإن أراد أن يزيد أتى بالصلاة
للائمة فقال اللهم اجعل فضائل صلواتك ونوائيك بركاتك وشرافك زكواتك ورأفك ورحمتك
وتحيتك على محمد سيد المرسلين وإمام التقيين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين قائد الخير وقاض
البر ونبي الرحمة وسيد الأمة اللهم أبشاه مقاما محمودا تزلف به قربه وتقر به عينه يقطعه به الأولون
والآخرون اللهم أعطه الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة والدرجة الرفيعة والدرجة الشاغرة للنفية
اللهم أعط محمدًا سؤلوه وبلغه مأموه واجعله أول شافع وأول مشفع اللهم عظم برهانه وقهر ميزانه
وأبلغ حجه ورافع في أعلى المقربين درجة اللهم احسننا في زمرة واجعلنا من أهل شفاعته وأحبنا
على سنته وتوفنا على ملته وأوردنا حوضه وأسقنا بكأسه غريزا ولائنا ولائنا ولائنا ولائنا
ولا فائتين ولا مفتونين آمين يارب العالمين (٣) وعلى الجملة فكل ما أتى به من ألفاظ الصلاة
ولو بالضرورة في التشهد كان مصليا وينبغي أن يضيف إليه الاستغفار فإن ذلك أيضا مستحب في هذا
اليوم . الرابع قراءة القرآن فليكثر منه وليقرأ سورة الكهف خاصة فقد روى عن ابن عباس وأبي
هريرة رضي الله عنهما أن « من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أعطى نورا من حيث شردوها
إلى مكة وغفر له إلى يوم الجمعة الأخرى وفضل ثلاثة أيام وصلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح
وعوفي من الداء والديلة وذات الجنب والبرص والجذام وفتنة الدجال (٤) ويستحب أن يحتم القرآن
في يوم الجمعة وليتأني إن قدر وليسكن ختمه للقرآن في ركعتي الفجر إن قرأ بالليل أو في ركعتي المغرب
أو بين الأذان والإقامة للجمعة فله فضل عظيم وكان العابدون يستحبون أن يقرأوا يوم الجمعة للهاته
أحد ألف مرة ويقال إن من قرأها في عشر ركعات أو عشرين فهو أفضل من ختمه وكانوا يصلون

(١) حديث اختلاف كعب وأبي هريرة في ساعة الجمعة وقول أبي هريرة سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول لا يوافقها عبد يصلي ولات حين صلاة فقال كعب ألم يقل عليه الصلاة والسلام من
قعد ينتظر الصلاة فهو في صلاة قلت وقع في الإحياء أن كعبا هو القائل إنها آخر ساعة وليس كذلك
وإنما هو عبد الله بن سلام وأما كعب فأنما قال إنها في كل سنة ثم رجع والحديث رواه دت ن
حب من حديث أبي هريرة وه نحوه من حديث عبد الله بن سلام (٢) حديث من صلى في يوم الجمعة
ثمانين مرة الحديث قط من رواية ابن السيب قال أظنه عن أبي هريرة وقال حديث غريب وقال
ابن النعمان حديث حسن (٣) حديث اللهم اجعل فضائل صلواتك الحديث ابن أبي عاصم في كتاب
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابن مسعود نحوه بسند ضعيف وقعه على ابن مسعود
(٤) حديث ابن عباس وأبي هريرة من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة الحديث لم أجدهم حديثا .

على النبي صلى الله عليه وسلم ألف مرة وكانوا يقولون سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ألف مرة وإن قرأ للسموات الست في يوم الجمعة أوليتها حسن وليس يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرأ سوراً بأعيانها إلا في يوم الجمعة وليتها كان يقرأ في صلاة المغرب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وكان يقرأ في صلاة العشاء الآخرة ليلة الجمعة سورة الجمعة والمناقض^(١) وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في ركعتي الجمعة وكان يقرأ في الصبح يوم الجمعة سورة سجدة لقمان وسورة هل أتى على الإنسان^(٢) . الخامس الصلوات يستحب إذا دخل الجامع أن لا يجلس حتى يصلي أربع ركعات يقرأ فيهن قل هو الله أحد مائة مرة في كل ركعة خمسين مرة^(٣) . قد نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من ضله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له ولا يدع ركعتي التوبة وإن كان الإمام يخطب ولكن يخفف . أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك^(٤) وفي حديث غريب أنه صلى الله عليه وسلم سكت للدخول حتى صلاها^(٥) . قال الكوفيون إن سكت له الإمام صلاها واستحب في هذا اليوم أو في ليلته أن يصلي أربع ركعات بأربع سور : الأنعام والكهف وطه ويس فان لم يحسن قراءيس وسورة سجدة لقمان وسورة الدخان وسورة الملك ولا يدع قراءة هذه الأربع سور في ليلة الجمعة فحبها فضل كثير . ومن لا يحسن القرآن قرأ ما يحسن ففعله بمنزلة الحجة ويكثر من قراءة سورة الاخلاص ويستحب أن يصلي صلاة التيسيع كما سألني في باب التلوات كيفيتها لأنه صلى الله عليه وسلم قال لعمه العباس صلها في كل جمعة^(٦) وكان ابن عباس رضي الله عنهما لا يدع هذه الصلاة يوم الجمعة بعد الزوال وكان يخبر عن جلالة فضلها والأحسن أن يجعل وقته إلى الزوال للصلاة وبعد الجمعة إلى العصر لاستيعاق العلم وبعد العصر إلى المغرب للتيسيع والاستغفار . السادس الصدقة مستحبة في هذا اليوم خاصة فانها تتناقص إلا على من سأل والامام يخطب وكان يتكلم في كلام الامام فهذا مكروه وقال صالح بن محمد سأل مسكين يوم الجمعة والامام يخطب وكان إلى جانب أبي فاعطى رجل أبي قطعة ليناوله إياها فلم يأخذها منه أبي وقال ابن مسعود إذا سأل الرجل في المسجد قد استحق أن لا يعطى وإذا سأل على القرآن فلا تعطوه ومن إعطاء من كره الصدقة على السؤال في الجامع الذين يتخطون رقاب الناس إلا أن يسأل قائماً أو قاعداً في مكانه من غير تحط وقال كعب الاحبار من شهد الجمعة ثم انصرف فصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع فركع ركعتين يتم ركوعهما وسجودهما وخشوعهما ثم يقول اللهم إني أسألك بملكك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذي لا إله إلا الله هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم لم يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه وقال بعض

(١) حديث القراءة في المغرب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وفي عشاها الجمعة والمناقض حب وهق من حديث سمرة وفي ثقات حب المحفوظ عن مالك مراسلا قلت لأصبح مسنداً ولا مراسلاً (٢) حديث القراءة في الجمعة بالجمعة والمناقض وفي صبح الجمعة بالسجدة وهل أتى من حديث ابن عباس وأبي هريرة (٣) حديث من دخل يوم الجمعة المسجد فضلى أربع ركعات يقرأ فيها قل هو الله أحد مائة مرة الحديث الخطيب في الرواة عن مالك من حديث ابن عمر وقال غريب جداً (٤) حديث الأمر بالتخفيف في التوبة إذا دخل والامام يخطب من حديث جابر وروى الأمر بالركعتين ولم يذكر التخفيف (٥) حديث سكوته صلى الله عليه وسلم عن الخطبة للدخول حتى فرغ من التوبة قط من حديث أنس وقال أسنده عيسى بن محمد وروى فيه والصواب عن معتمر عن أبيه مراسلاً (٦) حديث صلاة التيسيع وقوله لعمه العباس صلها في كل جمعة . وابن خزيمة والحاكم من حديث ابن عباس وقال عتي وغيره ليس فيها حديث صحيح .

ويكون الإيمان به إلى غير هذا المعنى للذكور في السبب الحادث وإثباته في غير موطن ذلك السبب للتقول مما يمز ويصير قليق السبب على حاله ولنظر في وجه الحديث غير هذا مما يحتمل ومحسن الاحتجاج به في هذا الموضع والوجه الآخر أن يكون الضمير الذي في صورته عائداً إلى الله سبحانه ويكون معنى الحديث أن الله خلق آدم على صورة حتى إلى أفسسجانه وهذا العبد المضروب على صورة آدم فإذا هذا العبد المضروب على الصورة المضافة إلى الله تعالى ثم ينصر بيان معنى الحديث ويتوقف على بيان معنى هذه الإضافة وعلى أى جهة يعمل في الاعتقاد المسمى على الله سبحانه فيها وجهان : أحدهما أن إضافته إضافة ملك إلى الله تعالى كما يشاف إليه العبد والبيت والثاقه واليمين على أحد الأوجه والوجه الآخر أن تكون إضافة تخصيص

السلف من أطعم مسكيناً يوماً الجمعة ثم غداً وأبكر ولم يؤذ أحداً ثم قال حين يسلم الإمام بسم الله الرحمن الرحيم إلى القوم أسألك أن تنفروا وترحموا وتمازى من النار ثم دعا بجابدا له استجب له . السابع أن يعمل يوم الجمعة للأخرة فيكيف فيه عن جميع أشغال الدنيا ويكثر فيه الأوراد ولا يتبدى فيه السفر ضروري « أنه من سافر في ليلة الجمعة عليه ملكه »^(١) وهو بد طوع العجر حرام إلا إذا كانت الرقعة نخوت وكره بعض السلف شراء لواء في المسجد من السقاء لشربه أو يسيله حتى لا يكون مبتاعاً في المسجد فإن البيع والشراء في المسجد مكروه وقالوا لا بأس لو أعطى القطة خارج المسجد ثم شرب أو سبل في المسجد والجملة ينبغي أن يزيد في الجمعة في أوراده وأنواع خيراته فإن الله سبحانه إذا أحب عبداً استعمله في الأوقات القاضية بفواصل الأعمال وإذا مقتته استعمله في الأوقات القاضية بين الأعمال ليكون ذلك أوجع في عتابه وأشده لفته لحرامته بركة الوقت واتها كه حرمة الوقت ويستحب في الجمعة دعوات وسياق ذكرها في كتاب الدعوات إن شاء الله تعالى وصلى الله على كل عبد مصطفى .

(الباب السادس : في مسائل متفرقة تم بها البلوى ويحتاج للريد إلى معرفتها)

فأما للسائل التي تقع نادرة فقد استصينها في كتب الفقه

[مسئلة] الفعل القليل وإن كان لا يطل الصلاة فهو مكروه إلا الحاجة وذلك في دفع النار وقتل القرب التي تخاف ويمكن قتلها بضربة أو ضربتين فإذا صارت ثلاثاً فقد كثرت وبطلت الصلاة وكذلك القطة والبرغوث مهماتاً يوم الجمعة كان له دفعهما وكذلك حاجته إلى الحك الذي يشوش عليه الخشوع كان معاذ يأخذ القملة والبرغوث في الصلاة وابن عمر كان يقتل القملة في الصلاة حتى يظهر الدم على يده وقال النخعي يأخذها ويهونها ولا شيء عليه إن قتلها وقال ابن المسيب يأخذها ويغدرها ثم يطررها وقال جاهد الأحب إلى أن يدها إلا أن تؤذيه فتشقه عن صلته فيوهنها قدراً لا تؤذي ثم يلقها وهذا رخصة والافالكيل الاحتراز عن الفعل وإن قل ولذلك كان بعضهم لا يطرر القلباب وقال لا أعوذ قسى ذلك فيسد على صلاتي وقد سمت أن الفساق بين يدي اللوك يسيرون على أذى كثير ولا يتحركون ومهمات باق فلا بأس أن يضع يده على فيه وهو الأولي وإن عطس حمد الله عز وجل في نفسه ولا يحرك لسانه وإن تحسأ فينبى أن لا يرفع رأسه إلى السماء وإن سقط رداؤه فلا ينبغي أن يسويه وكذلك أطراف عمامته فكل ذلك مكروه إلا للضرورة [مسئلة] الصلاة في التملين جائزة وإن كان نزاع التملين سهلاً وليست الرخصة في الحذف لسر النزاع بل هذه التماسا معفو عنها وفي معناها اللداس « صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نعليه ثم نزع فترع الناس نالهم فقال لم خلعتم نعالكم قالوا رأيناك خلعت فخلعنا فقال صلى الله عليه وسلم إن جبرائيل عليه السلام أتاني فأخبرني أنهما خيتا فإذا أراد أحدهم المسجد فليقلب نعليه ولينظر فيها فإن رأى خيتاً فليمسحها بالأرض وليصل فيها » وقال بعضهم الصلاة في التملين أفضل لأنه صلى الله عليه وسلم قال لم خلعتم نعالكم وهذه مبالغة فإنه صلى الله عليه وسلم سأله ليعين لهم سبب خلعه إذ علم أنهم خلعوا على موافقته وقد روى عبد الله بن السائب « أن النبي ﷺ خلع نعليه »^(٢) فاذن قد فعل كلهما فمن خلع فلا ينبغي أن يضعهما عن يمينه ويساره فيضيق للوضع وقطع الصف بل يضعهما بين يديه

(١) حديث من سافر يوم الجمعة دعا عليه ملكه قط في الأفراد من حديث ابن عمر وفيه ابن لبيعة وقال غريب والحطاب في الرواة عن مالك من حديث أبي هريرة بسند ضعيف .

(ال باب السادس)

(٢) حديث صلى في نعليه ثم نزع فترع الناس نالهم الحديث أحمد واللفظ له ذلك وصححه من حديث أبي سعيد (٣) حديث عبد الله بن السائب في خلعه التي صلى الله عليه وسلم نعليه .

به تعالى فمن حملها على إضافة ذلك له رأى أن المراد بصورته هو العالم الأكبر بحملته وأدم غشوق على مضاهاة صورة العالم الأكبر لكنه يختصر صغير فإن العالم إذا فصلت أجزاءه بالعالم وفصلت أجزاء آدم عليه السلام بتخله وجدت أجزاء آدم عليه السلام مضاهاة للعالم الأكبر وإذا شابهت أجزاء جملة أجزاء جملة فالجئان بلامك متشابهتان فالتى نظر في تحليل صورة العالم الأكبر قسمه على أنحاء من القسمة وقسم آدم عليه السلام كذلك فوجد كل نمون منهما شبيهين فمن ذلك أن العالم ينقسم إلى قسمين أحد القسمين ظاهر محسوس كلام لللك والثاني باطن معقول ككالم لللكوت والانسان كذلك ينقسم إلى ظاهر محسوس كالمنظم اللحم والنفس .

ولا يتركها وراءه فيكون قلبه ملتفتا إليها ولعل من رأى الصلاة فيها أفضل راعى هذا لما في وهو التفات القلب إليها روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا صلى أحدكم فليجعل قلبه بين رجليه » (١) وقال أبو هريرة لقبره اجعلهما بين رجليك ولا تؤذ بهما مسلما ووضعهما رسول الله صلى الله عليه وسلم على يساره وكان إماما (٢) فلا إمام أن يفعل ذلك إذ لا يقف أحد على يساره والأولى أن لا يضعهما بين قدميه فيشتغل به ولكن قدام قدميه ولعله المراد بالحديث وقيل جبر بن معلم وضع الرجل قلبه بين قدميه بدعة [مستقلة] إذ يترك في صلاته لم يتبطل صلاته لأنه فعل قليل وما لا يحصل بصوت لا يد كلاما وليس على شكل حروف الكلام إلا أنه مكروه فينبغي أن يختار منه إلا تكاذن رسول الله ﷺ فيه إذ روى بعض الصحابة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في القبلة نخامة فغضب غضبا شديدا ثم حكها بمرجوحون كان في يده وقال اتوني بغير فلتطع أثرها بزعفران ثم اتفت إلينا وقال أيكم يحب أن يترك في وجهه قلنا لأحد قال فان أحدكم إذا دخل في الصلاة فان الله عز وجل يتنوب بين القبلة » (٣) وفي لفظ آخر واجبه الله تعالى فلا يترك أحدكم لقاء وجهه ولا عينه ولكن عن شأله أوعت قدمه اليسرى فان بادرته بادرة فليصق في ثوبه وليقل به هكذا وذلك بضه يعض [مستقلة] لوقوف القنينة وفرض . أما السنة فإن خلف الواحد عن يمين الإمام متأخرا عنه قليلا والمرأة الواحدة تنف خلف الإمام فان وقتت يجنب الإمام لم يضر ذلك ولكن خالفت السنة فان كان معارجل وقت الرجل عن يمين الإمام وهي خلف الرجل ولا يقف أحد خلف الصف منفردا بل يدخل في الصف أو يخرج إلى نفسه واحدا من الصف فان وقف منفردا صحت صلاته مع الكراهية . وأما الفرض فان اتصال الصف وهو أن يكون بين القنينة والإمام رابطة جامعة فانها في جماعة فان كانا في مسجد كفي ذلك جمعا لأنه يله فلا يحتاج إلى اتصال صف بل إلى أن يعرف أفعال الإمام ؛ صلى أبو هريرة رضي الله عنه على ظهر المسجد صلاة الإمام وإذا كان المأموم على فناء المسجد في طريق أو صحراء مشتركة وليس بينهما اختلاف بناء مفرق فيكني القرب بقدر غلوة سهم وكفى بهارابطة إذ يصل فعل أحدهما إلى الآخر وإنما يشترط إذا وقف في صحن دار على يمين المسجد أو يساره وبأيهما لاطى في المسجد فالشرط أن يمد يمينه إلى المسجد فيدهلها من غير انقطاع إلى الصحن ثم تصح صلاة من في ذلك الصف ومن خلفه دون من تقدم عليه وهكذا حكم الأبنية المختلفة فأما البناء الواحد والمرصة الواحدة فبكالصحراء [مستقلة] للسبوق إذا أدرك آخر صلاة الإمام فهو أول صلاته فليوافق الإمام ولين عليه وليقت في الصبح في آخر صلاة نفسه وإن قنت مع الإمام وإن أدرك مع الإمام بعض القيام فلا يشتغل بالعبادة وليبدأ بالفاحة وليخففها فان ركب الإمام قبل تمامها وقدر على لحوته في اعتداله من الركوع فليتم فان عجز وافق الإمام وركع وكان بعض الفاححة حكم جميعا فتسقط عنه بالسبق وإن ركب الإمام وهو في السورة فليقلعها وإن أدرك الإمام في السجود أو التشهد كبر للاحرام ثم جلس ولم يكبر بخلاف ما إذا أدركه في الركوع فانه يكبر ثانيًا في الهوى لأن ذلك انتحال محسوبه والتكبيرات للانتقالات الأصلية في الصلاة لا للمواضع بسبب القدوة ولا يكون مدركا للركعة مالم يطمئن راكعا في الركوع والإمام بعد في حد الراكعين فلا يتم طمأنينته إلا بعد مجاوزة الإمام حد الراكعين فاتته تلك

(١) حديث أبي هريرة إذا صلى أحدكم فليجعل قلبه بين رجليه د يسهن صحيح وضعه للنسائي وليس بجيد (٢) حديث وضعه قلبه على يساره من حديث عبد الله بن السائب (٣) حديث رأى في القبلة نخامة فغضب غضبا شديدا ثم حكها بمرجوحون كان في يده وقال اتوني بغير فلتطع أثرها بزعفران ثم اتفت إلينا وقال أيكم يحب أن يترك في وجهه قلنا لأحد قال فان أحدكم إذا دخل في الصلاة فان

الجواهر المحسوسة إلى باطن كالروح والعقل والعلم والإرادة والقدرة وأشياء ذلك ، وقسم آخر : وذلك أن العالم قد انقسم بالعالم إلى عالم الملك وهو الظاهر للحواس وإلى عالم للسلوك وهو الباطن في العقول وإلى عالم الجبروت وهو المتوسط الذي أخذ بطرف من كل عالم منهما والإنسان كذلك انقسم إلى ما به هله القصة فالشابه لعالم الملك الأجزاء المحسوسة وقد غلبت وللشابه لعالم للسلوك فمثل الروح والعقل والقدرة والإرادة وأشياء ذلك وللشابه لعالم الجبروت ، فكان أدرا كات للوجود بالحواس والقوى للوجود بأجزائه والوجه الثاني أن يكون معناه كقرا للسامع لا للمخبر بخلاف الوجه الأول ويكون هذا مطابقا لحديث النبي صلى الله عليه وسلم لا تعذبوا الناس بما لم تصله عقولهم أو يريدون

الركعة [مسئلة] من فاتته صلاة الظهر إلى وقت العصر فليصل الظهر أولاً ثم العصر فإن ابتدا بالصبر
أجزاء ولكن ترك الأولى واتجهم شبه الخلاف فإن وجد إماماً فليصل العصر ثم ليصل الظهر بعده
فإن الجماعة بالأداء أولى فإن صلى منفرداً في أول الوقت ثم أدرك جماعة صلى في الجماعة ونوى صلاة
الوقت والله يجنب أيهما شاء فإن نوى فاتته أو قطوعاً جاز وإن كان قد صلى في الجماعة فأدرك جماعة
أخرى فليكن الفاتحة أو النافذة لإعادة المؤداة بالجماعة مرة أخرى لوجه له وإنما احتمل ذلك لدرك
فضيلة الجماعة [مسئلة] من صلى ثم رأى على ثوبه نجاسة فألحج قضاء الصلاة ولا يلزمه ولورأى النجاسة
في أثناء الصلاة رى القوب وآثم والأجب الاستئذان وأصل هذا قصة خلع النملين حين أخبر جبرائيل
عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن عليهما نجاسة فانه صلى الله عليه وسلم لم يستأنف الصلاة
[مسئلة] من ترك التشهد الأول أو القنوت أو ترك الصلاة على رسول الله ﷺ في التشهد الأول أو أضل
فضلاً سهواً وكانت تبطل الصلاة بعمده أو شك فلم يدر أسلى ثلاثاً أو أربعاً أخذ باليقين وسجد سجدتي
السهو قبل السلام فإن نسي فبعد السلام مهما تذكر على القرب فإن سجد بعد السلام وبعد أن أحدث
بطلت صلاته فانه لما دخل في السجود كأنه جعل سلامه نسياناً في غير محله فلا يحصل التحلل به وعاد
إلى الصلاة فذلك يستأنف السلام بعد السجود فإن تذكر سجود السهو بعد خروجه من السجود أو بعد
طول الفصل قد فات [مسئلة] الوسوسة في نية الصلاة سبباً خبيثاً في العقل أو جهلاً بالشريع لأن امتثال
أمر الله عز وجل مثل امتثال أمر غيره وتطعيمه كتمطيم غيره في حق القصد ومن دخل عليه عالم
فقام له قال نويت أن أتصعب فأعيا تعظيماً لدخول زيد الفائض لأجل فضله متصل بدخوله مقيلاً
عليه يوجهي كان سهواً في عقله بل كان براه ويعلم فضله تنبث داعية التعظيم فتيحه ويكون معظماً
إلا إذا قام لشغل آخر أو في غفلة واشترط كون الصلاة ظهراً أداء فرضاً في كونه امتثالاً كاشتراط كون
القيام مقروناً بالدخول مع الأقبال بالوجه على الداخل وانثناء باعث آخر سواه وقصد التعظيم به ليكون
تعظيماً فانه لو قام مدبراً عن أو صبر قيام بذلك عبدة لم يكن معظماً ثم بهذه الصفات لابد وأن تكون
معلومة وأن تكون مقصودة ثم لا يطول حضورها في النفس في لحظة واحدة وإنما يطول نظم الألفاظ
الدالة عليها إما تلفظاً باللسان وإما تفكيراً بالقلب فمن لم يفهم نية الصلاة على هذا الوجه فسكانه لم يفهم
النية فليس فيه إلا أنك دعيت إلى أن تصلي في وقت فأجبت وقتت فالوسوسة عمن الجهل فإن هذه
القصود وهذه المعلوم تجتمع في النفس في حالة واحدة ولا تكون مفصلة الأحاد في الذهن بحيث تطالها
النفس وتتأملها وفريقين حضور الشيء في النفس وبين تفصيله بالتفكير والحضور منضاد للزوب والنفقة
وإن لم يكن مفصلاً فإن من علم الحادث مثلاً فليطعمه يعلم واحد في حالة واحدة وهذا العلم يشتمل علوماً
هي حاضرة وإن لم تكن مفصلة فإن من علم الحادث فقد علم الوجود للمعلوم والتقدم والتأخر والزمان
وأن التقدم للمعلم وأن التأخر للوجود فهذه المعلوم منطوية تحت العلم بالحادث بدليل أن العالم بالحادث
إنما يعلم غيره لو قيل له هل علمت التقدم فقط أو التأخر والعلم وتقدم العلم وتأخر الوجود أو الزمان
للتسليم إلى التقدم وللتأخر فقال ما عرفت قط كان كاذباً وكان قوله منافضاً لقوله إني أعلم الحادث ومن
الجهل بهذه الدقيقة يثور الوسواس فإن الوسوس يكلف نفسه أن يحضر في قلبه الظاهرية والأدائية
والفرضية في حالة واحدة مفصلة بالفاظها وهو يظالمها وذلك محال ولو كلف نفسه ذلك في القيام لأجل
العالم لتعذر عليه فهذه المعرفة يندفع الوسواس وهو أن يعلم أن امتثال أمر الله سبحانه في النية كاستئصال
أمر غيره ثم أزد على سبيل التسهيل والترخص وأقول لو لم يفهم الوسوس النية إلا بأحضر هذه
الأمر مفصلة ولم يمثل في نفسه الامتثال دفعة واحدة وأحضر جملة ذلك في أثناء التكبير من أوله

أن يكذب الله ورسوله
فمن حدث أحداً بما لم
يصله عنه ربما سارع
إلى التكذيب وهو
الأكثر ومن كذب
بقدره الله تعالى وبما
أوجدتها فقد كفر
ولم يقصد الكفر فإن
أكثر اليهود والنصارى
وسائر الكفار ما قصدت
الكفر ولا نظمه
بأنفسها وهي كفار
بلا ريب وهذا وجه
واضح قريب ولا
تفتت إلى مآمال إليه
بعض من لا يعرف
وجوه التأويل ولا
يقبل كلاماً أو لي الحكمة
والراشدين في العلم
حين ظن أن قائل ذلك
أراد الكفر الذي
هو تقيض الإيمان
والإسلام بخلق غيره
وتلحق قائله وهذا
لا يخرج إلا على مذاهب
أهل الأهواء الذين
يسكفون بالمعاصي
وأهل السان لا يرضون
بذلك وكيف يقال إن
آمن بالله اليوم الآخر
وعبد الله بالتوكل الذي
يزنه به والصل الذي
يقصد به للتعب لوجه

إلى آخره بحيث لا يفرغ من التكبير إلا وقد حصلت التبة كفاء ذلك ولا نكفه أن يقرن الجليس بأول التكبير أو آخره فإن ذلك تكليف شغل ولو كان مأموراه لوضع للأولين سؤال عنه ولو سوس واحد من الصحابة في التبة قدم وقوع ذلك دليل على أن الأمر على التساهل فكيف ما تيسرت التبة للموسوس ينبغي أن يقع به حتى يتوعد ذلك وتضارقه الوسوسة ولا يطلب نفسه بتحقيق ذلك فإن التحقيق يزيد في الوسوسة ، وقد ذكرنا في الفتاوى وجوها من التحقيق في تحقيق العلوم والقصد للتمتعة بالتبة فتشتر العلاء إلى معرفتها أما العامة فربما ضرها معانها ويهيج عليها الوسواس فلذلك تركناها [مسئلة] ينبغي أن لا يتقدم المأموم على الإمام في الركوع والسجود والرفع منهما ولا في سائر الأعمال ولا ينبغي أن يساويه بل يتبعه ويقفوا أثره فهذا معنى الاقتداء فإن ساواه عمدا لم تبطل صلاته كالوقوف جنبه غير متأخر عنه فإن تقدم عليه ففي بطلان صلاته خلاف ولا يبعد أن يقضى بالبطان تشبيها بمالو تقدم في الوقوف على الإمام بل هذا أولى لأن الجماعة اقتداء في الفعل لا في الوقوف فالتبعية في الفعل أتم وإنما شرط ترك التقدم في الوقوف تسهيلا للتبعية في الفعل وتخصيلا لصورة التبعية إذ اللائق بالتقدي به أن يتقدم فالتقدم عليه في الفعل لا وجه له إلا أن يكون سهوا ولذلك شدد رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير فيه فقال «أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار» (١) وأما التأخر عنه بركن واحد فلا يبطل الصلاة وذلك بأن يعتدل الإمام عن ركوعه وهو بعد لم يركع ولكن التأخر إلى هذا الحد مكروه فإن وضع الإمام جبهته على الأرض وهو بعد لم يته إلى حد الركبتين بطلت صلاته وكذا إن وضع الإمام جبهته للسجود الثاني وهو بعد لم يسجد السجود الأول [مسئلة] حق على من حضر الصلاة إذا رأى من غيره إسائة في صلاته أن يغيره وينكر عليه وإن صدر من جاهل رفق بالجاهل وعلمه فمن ذلك الأمر بقسوة الصفوف ومنع التفرّد بالوقوف خارج الصف والإنكار على من يرفع رأسه قبل الإمام إلى غير ذلك من الأمور فقد قال صلى الله عليه وسلم «ويل للعالم من الجاهل حيث لا يبطله» (٢) وقال ابن مسعود رضي الله عنه من رأى من رأى من يسئ صلاته فلم يبه فهو شريك في فوزها وعن بلال ابن سعد أنه قال الخطيئة إذا أخفيت لم تقصر إلا صاحبها فإذا أظهرت فلم تقبر أضرت بالعامة وجاء في الحديث «أن بلالا كان يسوى الصفوف ويضرب عراقيهم بالدرّة» (٣) وعن عمر رضي الله عنه قال تفقدوا إخوانكم في الصلاة فإذا قد تمجهم فإن كانوا مرضى فزودهم وإن كانوا أمحاء فاتبوهم والعتاب إنكار على من ترك الجماعة ولا ينبغي أن يتساهل فيه وقد كان الأولون يبالغون فيه حتى كان بعضهم يعمل الجنائز إلى بعض من تخلف عن الجماعة إشارة إلى أن لليت هو الذي يتأخر عن الجماعة دون الحي ومن دخل المسجد ينبغي أن يقصد بين الصفوف وذلك تراحم الناس على في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قيل له تعطلت الميسرة فقال صلى الله عليه وسلم «من عمر ميسرة المسجد كان له كفلان من الأجر» (٤) ومهما وجد غلاما في الصف ولم يجد نفسه مكانا فله أن يخرج إلى خلف ويدخل فيه أعنى إذا لم يكن بالغاً وهذا ما أوردنا أن نذكره من المسائل التي تم بها البلوى وسأيت أحكام الصلوات المتفرقة في كتاب الأوراد إن شاء الله تعالى .

(١) حديث أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث ويل للعالم من الجاهل الحديث صاحب مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضيف (٣) حديث إن بلالا كان يسوى الصفوف ويضرب عراقيهم بالدرّة لم أجده (٤) حديث قيل له قد تعطلت الميسرة قال من عمر ميسرة المسجد الحديث من حديث ابن عمر بسند ضيف .

الذي يستزيد به إيمانا ومعرفة له سبحانه ثم يكرمه الله تعالى على ذلك بفوائد للزيد وينيله ما شرف من الشرح وبه أعلام الرضا ثم يكفره بأحد بغير شرع ولا قياس عليه والأعيان لا يخرج عنه إلا بنبأه وأطراحه وتركه واعتقاد مالاته الإيمان معه ولا يحصل ببقارته وليس في إفشاء سرّ الولي ما يحصل به تناقض الإيمان اللهم إلا أن يريد بإفشاءه وقوع الكفر من السامع له فهذا حات متبرّد وليس بولي ومن أراد بأحد من خلق الله أن يكفر بالله فهو لأهالة كافر وعلى هذا يخرج قوله تعالى - ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم - ثم إنه من سب أحدا منهم على معنى ما يجد من العداوة والبغضاء قيل له أخطأت وأتيت من غير تكفير وأنه إيماء فعل ذلك وسب رسول

(الباب السابع من التوافل من الصلوات)

اعلم أن ماعدا الفرائض من الصلوات ينقسم إلى ثلاثة أقسام: سنن ومستحبات وتطوعات ونفى بالسنة ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الواظية عليه كالرواتب عقيب الصلوات وصلاة الضحى والوتر والتجهد وغيرها لأن السنة عبارة عن الطريق للسوكة ونفى بالمستحبات ما ورد لغير فضله ولم ينقل للواظية عليه كاستنقه في صلوات الأيام واليالي في الأسبوع وكالصلاة عند الخروج من المنزل وال دخول فيه وأمثاله ونفى بالتطوعات ما وراء ذلك مما لم يرد في عينه أثر ولكنه تطوع به العبد من حيث رغب في مناجاة الله عز وجل بالصلاة التي ورد الشرع بفضلها مطلقا فكأنه متمتع به إذ لم يندب إلى تلك الصلاة بعينها وإن ندب إلى الصلاة مطلقا والتطوع عبارة عن التبرع وسميت الأقسام الثلاثة توافل من حيث إن النفل هو الزيادة وجعلنا زائد على الفرائض قلقت النافعة والسنة والمستحب والتطوع أردنا الاصطلاح عليه لتعريف هذه المقاصد ولا حرج على من يغير هذا الاصطلاح فلا مشاحة في الألفاظ بعد فهم المقاصد وكل قسم من هذه الأقسام تفاوتت درجاته في الفضل بحسب ما ورد فيها من الأخبار والآثار المعرفة لفضلها ومحسب طول مواظبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وبحسب صحة الأخبار الواردة فيها واعتبارها ولذلك يقال سنن الجماعات أفضل من سنن الأفراد وأفضل سنن الجماعات صلاة العيد ثم الكسوف ثم الاستسقاء وأفضل سنن الأفراد الوتر ثم ركعتا التجر ثم ما بعدها من الرواتب التي تفاوتها . واعلم أن التوافل باعتبار الإضافة إلى متعلقاتها تنقسم إلى ما يتعلق بأسباب الكسوف والاستسقاء وإلى ما يتعلق بأوقات والتعلق بالأوقات ينقسم إلى ما يتكرر بتكرار اليوم واليالي أو بتكرار الأسبوع أو بتكرار السنة فالجملة أربعة أقسام :

القسم الأول ما يتكرر بتكرار الأيام واليالي وهي ثمانية خمسة هي رواتب الصلوات الخمس وثلاثة ورأها وهي صلاة الضحى وإحياء ما بين المشاءين والتجهد

الأولى : رابعة الصبح وهي ركعتان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ركعتا التجر خير من الدنيا وما فيها ^(١) » ويدخل وقتها بطول فجر الصادق وهو المستطير دون المستطيل وإدراك ذلك بالمشاهدة عسير في أوله إلا أن تعلم منازل القمر أو تعلم اقتران طلوع الكواكب الظاهرة للبحر فيستدل بالكواكب عليه ويعرف بالقمر في ليلتين من الشهر فإن القمر يطلع مع الفجر ليلة ست وعشرين ويطلع الصبح مع غروب القمر ليلة اثني عشر من الشهر هذا هو الثالب ويتطرق إليه تفاوت في بعض البروج وتشرح ذلك بطول وقسم منازل القمر من المهمات للمريد حتى يطلع به على مقادير الأوقات بالليل وعلى الصبح وغروب وتذكر في فجر غوات وقت فريضة الصبح وهو طلوع الشمس ولكن السنة إذاؤها قبل الفرض فإن دخل المسجد وقدمت الصلاة فليشغل بالمكسوبة فانه صلى الله عليه وسلم قال « إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة ^(٢) » ثم إذا فرغ من المكتوبة قام إليها وصلاها والصحيح أنها آداء ما وقتت قبل طلوع الشمس لأنها تابعتان لفرض في وقته وإنما الترتيب بينهما سنة في التقديم والتأخير إذا لم يصادف جماعة فإذا صادف جماعة اختلف الترتيب وقتنا آداء والمستحب أن يصلحها في المنزل ويحفظها ثم يدخل المسجد ويصلي ركعتين تحية المسجد ثم يجلس ولا يصل إلى أن يصل المكتوبة وفيما بين الصبح إلى طلوع الشمس الأحب

(الباب السابع)

(١) حديث ركعتا التجر خير من الدنيا الحديث م من حديث عائشة (٢) حديث إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة م من حديث أبي هريرة .

الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر بالإجماع .

[سؤال] فإن قيل

فإننى قول سهل رحمه

الله تعالى ونسب إليه :

للأخسر لو انكشف

لبطلت النبوات

ولنبوات سرور

انكشف لبطل العلم

وللعلم سر لو انكشف

بطلت الأحكام وجاء

في الإحياء على أثر هذا

القول وقائل هذا القول

إن لم يرد به إبطال

النبوة في حق الفضلاء

فأقول ليس بحق فإن

الصحيح لا يتناقض

والكامل من لا يبطئ

نور معرفته نور ورعه

وهذا وإن لم يكن من

الأسئلة للرسمه فهو

متعلق منها بما فرغ

من الكلام فيها آخا

وناظر إليه إنما أدى

إفشائه إلى إبطال النبوة

والأحكام العلم كفر .

فالجواب : أن الذى

قاله رحمه الله وإن كان

مستجما في الظاهر

فهو قريب للسلط باد

للتعامل الذى يعرف

مصادر أغراضهم

ومسالكها والمهم الإجابة

فيه الفكر والفكر والافتقار على ركعتي الفجر والقيضة . الثانية : رابعة الظهر وهي ست ركعات
 ركعتان بعدها وهي اثنا عشر ركعة وأربع قبلها وهي أيضا ستة وإن كانت دون الركعتين الأخيرتين
 روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « من صلى أربع ركعات بمذوال الشمس يحسن
 قراءتهن وركوعهن وسجودهن صلى مائة سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى الليل (١) . وكان صلى
 الله عليه وسلم لا يبع أربعاً بمذالوال يطيلهن ويقول إنا أبواب السماء تفتح في هذه الساعة فأحب أن
 يرفع في فيها عمل (٢) » رواه أبو أيوب الأنصاري وعقوبه ودل عليه أيضا ما روى أم حبيبة زوج النبي
 صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى في كل يوم اثنتي عشرة ركعة غير المكتوبة بنى له بيت في الجنة
 وركعتين قبل الفجر وأربعاً قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين قبل العصر وركعتين بعد المغرب (٣) »
 وقال ابن عمر رضي الله عنهما : حفظت من رسول الله ﷺ في كل يوم عشر ركعات (٤) « فذكر ما ذكرته
 أم حبيبة رضي الله عنها إلا ركعتي الفجر فإنه قال تلك ساعة لم يكن يدخل فيها قط رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ولكن حدثني أخى حفصة رضي الله عنها أنه ﷺ كان يصلي ركعتين في بيتها ثم يخرج وقال في
 حديث ركعتين قبل الظهر وركعتين بعد الغشاء فصارت الركعتان قبل الظهر أكد من جملة الأربع
 ويدخل وقت ذلك بالزوال والزاوال يعرف بزيادة ظل الأشخاص للتنصب مائلة إلى جهة الشرق إذ تقع
 للشخص ظل عند الطلوع في جانب للترب يستطيل فلا تزال الشمس ترتفع والظل ينقص وينحرف
 عن جهة المغرب إلى أن تبلغ الشمس منتهى ارتفاعها وهو قوس نصف النهار فيكون ذلك منتهى
 قصان الظل فإذا زالت الشمس عن منتهى الارتفاع أخذ الظل في الزيادة فمن حيث صارت الزيادة
 مدركة بالحس دخل وقت الظهر وبطل قطعاً أن الزوال في علم الله سبحانه وقع قبله ولكن التكليف
 لا يرتبط إلا بما يدخل تحت الحس والقدر الباقي من الظل الذي منه يأخذ في الزيادة يطول في
 الشتاء ويقصر في الصيف ومنتهى طوله بولغ الشمس أول الجسدي ومنتهى قصره بولغها أول
 السرطان ويعرف ذلك بالأقدام والموازين ومن الطرق القريبة من التحقيق لمن أحسن مراعاته
 أن يلاحظ القطب الشمالي بالليل ويضع على الأرض لوحاً مربعا وضعا مستويا بحيث يكون أحد أضلاعه
 من جانب القطب بحيث لو توجهت سقوط حجر من القطب إلى الأرض ثم توجهت خطاً من مسقط
 الحجر إلى الضلع الذي يليه من اللوح أقام الخط على الضلع على زاويتين قائمتين أي لا يكون الخط
 مائلاً إلى أحد الضلعين ثم تنصب عموداً على اللوح نصبا مستويا في موضع علامة ه وهو بازاء القطب
 فيقع ظله على اللوح في أول النهار مائلاً إلى جهة المغرب في صوب خط ١ ثم لا يزال يميل إلى أن ينطبق
 على خط ب بحيث لو مد رأسه لالتقى على الاستقامة إلى مسقط الحجر ويكون موازياً للضلع الشرقي
 والغربي عن غمائل إلى أحدهما فإذا بطل ميله إلى الجانب الغربي فالشمس في منتهى الارتفاع فإذا انحرف
 الظل عن الخط الذي على اللوح إلى جانب الشرق فقد زالت الشمس وهذا يدرك بالحس تحقيقاً في وقت

(١) حديث أبي هريرة من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن الحديث ذكره
 عبد الملك بن حبيب بلاغا من حديث ابن مسعود ولم أره من حديث أبي هريرة (٢) حديث أبي
 أيوب كان لا يبع أربعاً بعد الزوال الحديث أحمد بسند ضعيف نحوه وهو عند أبي داود وه مختصراً
 وت نحوه من حديث عبد الله بن السائب وقال حسن (٣) حديث أم حبيبة من صلى في يوم اثنتي
 عشرة ركعة الحديث بذكره وصححه إسناده على شرطه ورواه مختصراً ليس فيه تبيين أوقات الركعات
 (٤) حديث ابن عمر حفظت من النبي صلى الله عليه وسلم في كل يوم عشر ركعات الحديث متفق
 عليه واللفظ لم ولم يقل في كل يوم .

ومن وصل إليه القين
 البنى لولام يكن نيبا
 لا يخلو أن يكون
 انكشافه من الله بما
 يطلع على القلوب من
 أنوار الشمس التي هي
 غائبة عنها بأن كانت
 القلوب ضعيفة طرا
 عليها من الجهل
 والاضطلام والحيرة
 والتيه ما يبر القلوب
 ويفقد الحس ويقطع
 عن الدنيا وما فيها
 وذلك لضعفه ومن
 انتهى إلى هذه الحالة
 فيبطل النبوة في حقه
 أن يعرفها أو يفصل
 ما جاء من قبلها إذ قد
 ضلها عنها ما هو أعظم
 لديه منها وربما كان
 سبب موته لضعفه عن
 حمل ما يطرا عليه
 كما حكى أن شاباً من
 سالكى طريق الآخرة
 عرض عليه أبو يزيد
 ولم يره من قبل فصار له
 انكشافه ذلك وكان
 في مقام الضغاء من
 الرديين فلم يطق حمله
 فأت به وإما أن يكون
 انكشافه من عالم به
 على وجه الخبر عنه
 فيبطل النبوة في حق

هو قريب من أول الزوال في علم الله تعالى ثم يعلم على رأس الظل عند انحرافه علامة فإذا صار الظل من تلك العلامة مثل العمود دل وقت العصر فهذا القدر لا بأس بعرفته في علم الزوال وهذه صورته :

جانب الشرق



جانب المغرب

المغرب حين نهى أن
لا يفتي فأفتى أو أمر
أن لا يتحدث فلم يفعل
فخرج بهذه المصيبة
عن طاعة النبي صلى
الله عليه وسلم فيها
فلما قيل في ذلك
بطلت النبوة في حقه .
فان قيل فلم لا تكفروا

على هذا الوجه إذا بطلت
النبوة في حقه أخباره ،
قلنا ما بطلت في حقه
جميعا وإنما بطل في
حقيقتها خالف الأمر
الثابت من قبها وبعد
هذا من الكلام على
تقليط حقي الانشاء
وقد سبق الكلام عليه
في معنى إنشاء سر
الربوبية كفر وأما
سر النبوة الذي أوجب
العلم لمن رزقها أو
رزق معرفتها على
الجهة إذ النبوة
لا يصرفها بالحقيقة
إلا أني فإن انكشف
ذلك قلب أحد بطل
العلم في حقه بارتضاع
الحق له بالأمر المتوجه
عليه بطلبه والبحث
عنه والتفكير فيه
فيكون كالثبات إذا
سئل عن شيء أو وقت

الثالثة : رابعة العصر وهي أربع ركعات قبل العصر . روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « رحم الله عبدا صلى قبل العصر أربعاً »^(١) فضل ذلك على رجاء الدخول في دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجاب استجابة مؤكداً فإن دعوته تستجاب لا محالة ولم تكن موافقة على السنة قبل العصر كموافقة على ركعتين قبل الظهر . الرابعة : رابعة المغرب وهما ركعتان بعد الفريضة لم تختلف الرواية فيهما ، وأما ركعتان قبلها بين أذان المؤذن وإقامة المؤذن على سبيل المبادرة فقد نقل عن جماعة من الصحابة كأبي بن كعب وعبادة بن الصامت وأبي ذر وزيد بن ثابت وغيرهم قال عبادة أو غيره كان المؤذن إذا أذن لصلاة المغرب ابتدر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السواري يصلون ركعتين^(٢) وقال بعضهم كنا نصل الركعتين قبل المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب أننا صلينا^(٣) فيسأل أمليتم للمغرب ، وذلك يدخل في عموم قوله صلى الله عليه وسلم « بين كل أذانين صلاة لمن شاء »^(٤) وكان أحمد بن حنبل يصلهما فباه الناس قتركما قيل له في ذلك فقال لم أر الناس يصلونهما قتركما وقال ثلث صلاها الرجل في بيته أو حيث لا يراه الناس فحسن ويدخل وقت المغرب بغيوبة الشمس عن الأضراس في الأراضي للستوة التي ليست عفوفة بالجيال فإن كانت عفوفة بها في جهة المغرب فيتوقف إلى أن يرى إقبال السواد من جانب الشرق قال صلى الله عليه وسلم « إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا فقد أفطر الصائم »^(٥) والأصح المبادرة بصلاة المغرب خاصة وإن أخرت وصليت قبل غيوبة الشفق الأحمر وقت أداء ولكنه مكروه وآخر عمر رضى الله عنه صلاة المغرب ليلة حتى طلع نجم فأتى رقية وأخراها ابن عمر حتى طلع كوكبان فأتى رقيتين . الخامسة : رابعة العشاء الآخرة أربع ركعات بعد الفريضة قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصل بعد العشاء الآخرة أربع ركعات ثم ينائم^(٦) واختار بعض

(١) حديث أبي هريرة رحم الله عبدا صلى أربعاً قبل العصر دلت حجب من حديث ابن عمر وأعله ابن التظان ولم أره من حديث أبي هريرة (٢) حديث عبادة أو غيره في ابتداء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السواري إذا أذن لصلاة للمغرب متفق عليه من حديث أنس لامن حديث عبادة وروى عبد الله بن أحمد في زيادات السنن أن أبي بن كعب وعبد الرحمن بن عوف كانا يركعان حين تقرب الشمس ركعتين قبل المغرب (٣) حديث كنا نصل الركعتين قبل المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب أننا صلينا من حديث أنس (٤) حديث بين كل أذانين صلاة لمن شاء متفق عليه من حديث عبد الله بن مغفل (٥) حديث إذا أقبل الليل من ههنا الحديث متفق عليه من حديث عمر (٦) حديث عائشة كان يصل بعد العشاء الآخرة أربع ركعات ثم نام د .

العلماء من مجموع الأخبار أن يكون عدد الرواتب سبع عشرة كعدد المكتوبة ركعتان قبل الصبح وأربع قبل الظهر وركعتان بعدها وأربع قبل العصر وركعتان بدلتلرب وثلاث بعد العشاء الآخرة وهي الوتر (١) ومهما عرفت الأحاديث الواردة فيه فلامن للتقدير فقد قال صلى الله عليه وسلم « الصلاة خير موضع فمن شاء أكثر ومن شاء أقل » (٢) فإذا اختار كل مريد من هذه الصلوات بقدر رغبته في الخير فقد ظهر فيها ذكراته أن بعضها أكثر من بعض وترك ألا أكد أبعد لاسيما والقرائن تسكل بالنوافل فمن لم يستكثر منها يوشك أن لا تسلم له فرصة من غير جابر . السادسة : الوتر قال أنس ابن مالك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بعد العشاء بثلاث ركعات يقرأ في الأولى سبح اسم ربك الأعلى وفي الثانية قل يا أيها الكافرون وفي الثالثة قل هو الله أحد (٣) وجاء في الخبر أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بدالوتر ركعتين جالسا وفي بعضها مترجعا (٤) وفي بعض الأخبار « إذا أراد أن يدخل فراشه خف إليموصل فوقه ركعتين قبل أن يقرأ فيها إذا زلزلت الأرض وسورة التكاثر (٥) » وفي رواية أخرى قل يا أيها الكافرون ويجوز الوتر مفصلا وموصلا بتسليمة واحدة وتسليمتين وقد أوتر رسول الله ﷺ بركعة (٦) وثلاث (٧) وخمس (٨) وهكذا بالأوتار (٩) إلى إحدى عشرة ركعة (١٠) والرواية مترددة في ثلاث عشرة (١١) وفي حديث شاذ سبع عشرة ركعة (١٢) وكانت هذه الركعات أعني مابين جلتها وترا صلاة بالليل وهو التهجد والتهج بالليل سنة مؤكدة وسيأتي ذكر ضلها في كتاب الأوراد وفي الأفضل خلاف قيل إن الأيتار بركعة فردة أفضل ذاصع أنصلى الله عليه وسلم كان يواطئ على الأيتار بركعة فردة وقيل للموصلة أفضل للخروج عن شبهة الخلاف لاسيما الامام إذ قد يقتدى به من لا يرى الركعة الفردة صلاة فان صلى موسولا نوى بالجمع الوتر وإن اقتصر على ركعة واحدة بعد ركعتي العشاء أو بعد فرض العشاء نوى الوتر وصح لأن شرط الوتر أن يكون في نفسه وترا وأن يكون موتا لغيره عما سبق قبله وقد أوتر الفرض ولو أوتر قبل العشاء لم يصح

(١) حديث الوتر ثلاث بعد العشاء أحمد واللفظ له والنسائي من حديث عائشة كان يوتر بثلاث لا يفصل بينهما (٢) حديث الصلاة خير موضع أحمد وابن حبان وصححه من حديث أبي ذر (٣) حديث أنس كان يوتر بعد العشاء ثلاث ركعات يقرأ في الأولى سبح الحديث ابن عدي في ترجمة محمد بن أبان ورواه ت ن . من حديث ابن عباس بسند صحيح (٤) حديث كان يصلي بدالوتر ركعتين جالسا من حديث عائشة (٥) حديث إذا أراد أن يدخل فراشه خف إلى ثم صلى ركعتين الحديث حق من حديث أبي أمامة وأنس نحوه وضعفه وليس فيه زحف إليه ثم صلى التكاثر (٦) حديث الوتر بركعة متفق عليه من حديث ابن عمر وهو لمسلم من حديث عائشة (٧) حديث الوتر ثلاث تقدم (٨) حديث الوتر بخمس من حديث عائشة يوتر من ذلك بخمس ولا يجلس في شيء إلا قى آخرها (٩) حديث الوتر بسبع م دن واللفظ له من حديث عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كبر وضف أوتر بسبع ركعات لا يقعد إلا في السادسة ثم ينضم ولا يسلم فيصلى السابعة حديث الوتر تسع م من حديث عائشة وهو في الذي قبله (١٠) حديث الوتر بأحدى عشرة أبو داود بإسناد صحيح من حديث عائشة كان يوتر بأربع وثلاث وثمان وثلاث وعشر وثلاث الحديث ولمسلم من حديثها كان يصلي بالليل إحدى عشرة ركعة الحديث (١١) حديث الوتر ثلاث عشرة تقدم في الذي قبله ولفتر مذني والنسائي من حديث أم سلمة كان يوتر بثلاث عشرة وقال ت حسن ولمسلم من حديث عائشة كان يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة زاذي رواية بركعتي الفجر (١٢) حديث الوتر بمسبع عشرة تأين البارك من حديث طلوس مرسل كان يصلي سبع عشرة ركعة من الليل.

له واقعة لم يخرج إلى النظر فيها ولا إلى البحث عنها بل يقتظر مانعود من كشف الحقائق بأخبار ملك أو ضرب مثل يفهم عنه أو اطلاع على اللوح المحفوظ أو إلقاء في روح فيمود محتراته ولم يعلم مقسدار الدنيا وترتيب الآخرة عليها ولا عرف خواصها ولا تنزه في مجابها ولا لاحظ للسكرت يصير قلبه ولا جاوز التنوم إلى أسفل من ذلك بسره وله ولا فهم أن الجنة أعلى السمع وأن النار أقصى العذاب الأليم وأن النظر إليه منتهى الكرامات وأن رضاه وسخطه غاية الدرجات والبركات وأن منح المعارف والمعلوم أسنى المحبات ويرى أن العالم بأسره أخرجه من العلم الذي هو نقي محض إلى الوجود الذي هو إثبات صحيح وقدره منازل وجهه للقاء فمن حى وميت ومتحرك وساكن وعالم

وجاهل وشقي وسعيد
 وقريب وبعيد وصغير
 وكبير وجليل وحقير
 وغنى وفقير ومأمور
 وأمر ومؤمن وكافر
 وجاحد ومؤمن وكافر
 وأتقى وأرض وساء
 ودنيا وأخرى وغير
 ذلك مما لا يحصى
 والكل قائم به موجود
 بقدرته وباق بطله
 ومتمته إلى أجله
 ومصرف بمشيئته
 وذلك على ما لم يحكمته
 أكمل جهل من لا يجد
 به إلا قدامه ولا من
 يصرفه إلا استبداده
 ولا ملكه إلا ملكه
 فيعود المحدث قديما
 وللربوب رباً وللملوك
 مالكا فيمجدوا الخلق من
 خلق الله كبر، تعالى الله
 عن جهل الجاهل
 وتخيل المتوهم
 وزئج الزائغين .
 [فصل] وأما حكم هذه
 العلوم المكتوبة في
 الطب وسواك هذه
 للقائمات ورفق هذه
 الدرجات واستفهام
 هذه المخاطبات أمي من
 قبيل الواجبات
 وللنوبات واللباحات

أى لثلاث فضيلة الوتر الذى هو خير له من حمر النعم ^(١) كما ورد به الخبر وإلا فرقة فردة محببة
 فى أى وقت كان وإنما يصح قبل المشاء لأنه خرق إجماع الخلق فى الفعل ولأنه لم يتقدم ما يصير به
 وترأ فاما إذا أراد أن يوتر بثلاث مفصولة فى نيته فى الركتين نظراً لأنه إن نوى بهما التهجيد أو سنة
 المشاء لم يكن هو من الوتر وإن نوى الوتر لم يكن هو فى تصمونهما وإنما الوتر ما بعده ولكن الأظهر
 أن ينوى الوتر كما ينوى فى الثلاث للوصول للوتر ولكن للوتر مئتان أحدهما أن يكون فى تصمونهما
 والآخر أن ينشأ ليكمل وترأ بما بعده فيكون مجموع الثلاثة وترأ والركتان من جهة الثلاث إلا أن
 وترته متوقفة على الركة الثالثة وإذا كان هو على عزمان يوترها بثالثة كان له أن ينوى بهما الوتر
 والركة الثالثة وتر بنفسها وموترة لغيرها والركتان لا يوتران غيرها وليستأورا بأنفسهما ولكنها
 موترتان بغيرها والوتر ينشأ أن يكون آخر صلاة الليل فيقع بعد التهجيد وسبأ فضائل الوتر والتهجيد
 وكيفية الترتيب بينهما فى كتاب ترتيب الأوراد . السابعة : صلاة الضحى فالواظبة عليها من عزائم
 الأنفال وقوامها ، أما عدد ركعاتها فأكثر ما قل فيه ثمان ركعات روت أم هانئ أخت علي بن
 أبى طالب رضى الله عنها أنها صلى الله عليه وسلم صلى الضحى ثمان ركعات أطلحن وحسنين ^(٢) ولم
 ينقل هذا القدر غيرها. فاما عائشة رضى الله عنها فأنها ذكرت أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى
 الضحى أربعاً يزيد ما شاء الله سبحانه ^(٣) فلم تحدد الزيادة أى أنه كان يواطىء على الأربعة
 ولا ينقص منها وقد يزيد زيادات وروى فى حديث مفرد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلى
 الضحى ست ركعات ^(٤) وأما وقتها فقد روى على رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى
 الضحى ستاً فى وقتين إذا أشرقت الشمس وأرقت قائم وصلى ركعتين وهو أول الورد الثانى من
 أوراد النهار كما سيأتى وإذا انبسطت الشمس وكانت فى ربيع السماء من جانب الشرق صلى
 أربعاً ^(٥) فالأول إنما يكون إذا ارتفعت الشمس قيد نصف رمح والثانى إذا مضى من النهار
 ربه بأزاء صلاة العصر فإن وقته أن يبقى من النهار ربه والظهر على منتصف النهار ويكون الضحى
 على منتصف ما بين طلوع الشمس إلى الزوال كما أن العصر على منتصف ما بين الزوال إلى الغروب
 وهذا أفضل الأوقات ومن وقت ارتفاع الشمس إلى ما قبل الزوال وقت للضحى على الجملة .
 الثامنة : إحياء ما بين المشايين وهى سنة مؤكدة وما قل عدده من صلوات رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بين المشايين ست ركعات ^(٦) ولهذه الصلاة فضل عظيم وقيل إنها المراد بقوله عز وجل

(١) حديث الوتر خير من حمر النعم د ه من حديث خارجة بن خديجة إن الله أمدهم بصلاته خير
 لكم من حمر النعم وضعفه وغيره (٢) حديث أم هانئ صلى الضحى ثمان ركعات أطلحن وأحسنين
 متفق عليه دون زيادة أطلحن وأحسنين وهى منكورة (٣) حديث عائشة كان يصلى الضحى أربعاً
 يزيد ما شاء الله م (٤) حديث كان يصلى الضحى ست ركعات فى فضل صلاة الضحى من حديث
 جابر ورجاله ثقات (٥) حديث كان إذا أشرقت وأرقت قائم وصلى ركعتين وإذا انبسطت الشمس
 وكانت فى ربيع النهار من جانب الشرق صلى أربعاً د ه من حديث على كان نبي الله صلى الله
 عليه وسلم إذا زالت الشمس من مظهرها قيد رمح أو رمحين كقدر صلاة العصر من غيرها صلى
 ركعتين ثم أمهل حتى إذا ارتفعت الضحى صلى أربع ركعات لفظن وقال ت حسن (٦) حديث صلى
 بين المشايين ست ركعات ابن منته فى الضحى وطب فى الأوسط والأصغر من حديث عمار بن
 ياسر بسند ضعيف وت وضعفه من حديث أبى هريرة من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يشك
 فيها بينهن بسوء عدلن له بمائة ثقت عشرة سنة .

— تتجافى جنوهم عن الشايح — وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى بين القرب والمشاء فانه من صلاة الأوابين (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من عكف نفسه فيما بين القرب والمشاء في مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة أو بقرآن كان حقاً على الله أن يبنى له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر مئة مائة عام ويفرس له بينهما فراساً لو طافه أهل الأرض لوسعهم (٢) » وسأيت جبة فضائلي في كتاب الأوراد إن شاء الله تعالى .

(القسم الثاني ما يتكرر بشكر الأسايح)

(وهي صاوات أيام الأسبوع ولياليه لكل يوم ولكل ليلة)

أما الأيام فنبداً فيها يوم الأحد . يوم الأحد : روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى يوم الأحد أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وأمر الرسول مرة كتب الله له بعد كل نصراني نصرته وأعطاه الله ثواب نبي وكتب له حجة وعمرة وكتب له بكل ركعة ألف صلاة وأعطاه الله في الجنة بكل حرف مدينة من مسأل أذفر (٣) » وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « وحدوا الله بكثرة الصلاة يوم الأحد فانه سبحانه واحد لا شريك له فمن صلى يوم الأحد بعد صلاة الظهر أربع ركعات بعد الفريضة والسنة يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وتزبل السجدة ، وفي الثانية فاتحة الكتاب وتبارك للكم ثم تسجد وسلم ثم قل في ركعتين آخرين يقرأ فيها فاتحة الكتاب وسورة الجمعة وسأل الله سبحانه حاجته كان حقاً على الله أن يقضى حاجته (٤) » . يوم الاثنين : روى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد والعوذتين مرة مرة فاذا سلم استغفر الله عشرين مرة وصلى على النبي ﷺ عشرين مرة غفر الله تعالى له ذنوبه كلها (٥) » وروى أنس ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى يوم الاثنين ثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة فاذا فرغ قرأ قل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة واستغفر اثنتي عشرة مرة ينادي به يوم القيامة أين فلان بن فلان ليم فلأخذ ثوابه من الله عز وجل فأول ما يعطى من الثواب ألف حلة ويتوج ويقال له ادخل الجنة فيستقبله مائة ألف ملك مع كل ملك هدية يشعونه حتى يدور على ألف قصر من نور يتلأأ (٦) » . يوم الثلاثاء : روى يزيد الرقائي عن أنس بن مالك قال: قال صلى الله عليه وسلم « من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند انصاف النهار (٧) » وفي حديث آخر « عند ارتفاع النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب

فاعلم أن السؤل عنه على ضربين أحدهما هو في حكم البادي والثاني في حكم النيات فأما الذي هو في حكم البادي فطلبه فرض على كل أحد بقدر بذل الجهد وإفراغ الوسع وجميع ما يقدر عليه من العبادة وذلك ما تضمنه أصول علم السائلة مثل إخلاص التوحيد والصدق في العمل وعدم الإجحاف بالخوف والرجاء والتزين بالصبر والشكر لأن هذه كلها وما يتعلق بها من علم الأمر والنهي واجبة قال الله تعالى — فاعلموا الله ما استطعتم — وقد سبق التنبيه عليه. وأما الذي هو في حكم النيات مثل انقلاب الميتات والنظر بالتوفيق بحكم الوافق والرضا بالإنبيات والتوكل بالتمريد وحقيقة علم معاني التوحيد وسر معاني التقدير وأوصاف أهل آيات اليقين فهو درجات ومقامات ومنازل ومراتب ومنع

(١) حديث من صلى للقرب والمشاء فانه من صلاة الأوابين . ابن المبارك في الرافق من رواية ابن النضر مرسلاً (٢) حديث من عكف نفسه بين القرب والمشاء في مسجد جماعة أبو الوليد الصفاق في كتاب الصلاة من طريق عبد الملك بن حبيب بلاغاً من حديث عبد الله بن عمر (٣) حديث من صلى يوم الأحد أربع ركعات الحديث أبو موسى الدين من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٤) حديث على وحدوا الله بكثرة الصلاة يوم الأحد الحديث ذكره أبو موسى الدين فيه بغير إسناد (٥) حديث جابر من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين الحديث أبو موسى الدين من حديث جابر عن عمر مرفوعاً وهو حديث منكر (٦) حديث أنس من صلى يوم الاثنين اثنتي عشرة ركعة الحديث ذكره أبو موسى الدين بغير سند وهو منكر (٧) حديث يزيد الرقائي عن أنس من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند انصاف النهار الحديث أبو موسى الدين بسند ضعيف لم يقل عند انصاف النهار

رواية الكرسي مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات لم تكتب عليه خطبة إلى سجين يوما فاما مات إلى
 سجين يوما مات شهيدا وغفر له ذنوب سبعين سنة . يوم الأربعاء : روى أبو إدريس الخولاني عن
 ماذن بن جيل رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى يوم الأربعاء اثنتي عشرة
 ركعة عند ارتفاع الزهراء يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد ثلاث
 مرات وللمؤذنين ثلاث مرات نادى مناد عند العرش يا عبد الله استأضف العمل قد غفرك ما قد غفرك
 ذنبك ورفع الله سبحانه عنك عذاب القبر وضيقه وظلمته ورفع عنك شدائد القيامة ورفع له من يومه
 عمل نبي » (١) يوم الخميس : عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من
 صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وآية الكرسي مائة مرة
 وفي الثانية فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد مائة مرة ويصلي على محمد مائة مرة أعطاه الله ثواب من
 صام رجيا وشعبان ورمضان وكان له من الثواب مثل حاج البيت وكتب له بعد ذلك من آمن بالله
 سبحانه وتوكل عليه حسنة » (٢) يوم الجمعة : روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي
 صلى الله عليه وسلم أنه قال « يوم الجمعة صلاة كله مامن عبيد مؤمن قام إذا استقبلت الشمس وارتضت
 قدر ربح أو أكثر من ذلك قنوصا ثم أصبح الوضوء صلى سبعة الفصحى ركعتين إيمانا واحتسابا إلا
 كتب الله له مائتي حسنة ومحا عنه مائة سيئة ومن صلى أربع ركعات رفع الله سبحانه في الجنة أربع مائة
 درجة ومن صلى ثمان ركعات رفع الله تعالى له في الجنة ثمان مائة درجة وغفر له ذنوبه كلها ومن صلى
 ثنتي عشرة ركعة كتب الله له ألفين ومائتي حسنة ومحا عنه ألفين ومائتي سيئة ورفع له في الجنة ألفين
 ومائتي درجة » (٣) وعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من دخل الجامع
 يوم الجمعة صلى أربع ركعات قبل صلاة الجمعة يقرأ في كل ركعة الحمد وقل هو الله أحد خمسين مرة
 لمعت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له » (٤) يوم السبت : روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه
 وسلم قال « من صلى يوم السبت أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله
 أحد ثلاث مرات فإذا فرغ قرأ آية الكرسي كتب الله له بكل حرف حجة وعمره ورفع له بكل حرف
 أجر سنة صيامها رها وقيام ليلا وأعطاه الله عز وجل بكل حرف ثواب شهيد وكان تحت ظل عرش
 الله مع النبيين والشهداء » (٥) . وأما البالي : ليلة الأحد : روى أنس بن مالك في ليلة الأحد أنه
 صلى الله عليه وسلم قال « من صلى ليلة الأحد عشرين ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو
 الله أحد خمسين مرة وللمؤذنين مرة مرة واستغفر الله عز وجل مائة مرة واستغفر لنفسه ولوالديه مائة
 مرة وتوصل على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة وتبرأ من حوله وقوته والتجأ إلى الله تعالى : أعبدان
 لا إله إلا الله وأشهد أن أمم صفوة الله وقطرته وإبراهيم خليل الله وموسى كليم الله وعيسى روح الله
 ولا اعتد ارتفاعه (١) حديث أبي إدريس الخولاني عن معاذ من صلى يوم الأربعاء اثنتي عشرة ركعة
 الحديث أبو موسى الدين وقار رواه ثقات والحديث مركب . قلت بل فيه غير مسمى وهو محمد بن حميد
 الرازي أحد الكذابين (٢) حديث عكرمة عن ابن عباس من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر
 ركعتين الحديث أبو موسى الدين بسند ضعيف جدا (٣) حديث علي بن أبي حمزة عن مامن عبيد مؤمن قام
 إذا استقبلت الشمس الحديث لم أجده أصلا وهو باطل (٤) حديث نافع عن ابن عمر من دخل الجامع يوم
 الجمعة صلى أربع ركعات الحديث الدارقطني في غرائب مالك وقال لا يصح وعبد الله بن وصيف مجهول
 والخطيب في الرواة عن مالك وقال غريب جدا ولا أعرفه وجه غير هذا (٥) حديث أبي هريرة من صلى
 يوم السبت أربع ركعات الحديث أبو موسى الدين في كتاب وظائف البالي والأيام بسند ضعيف جدا .

يخص الله تعالى بها من
 شاء من عباد من غير
 أن ينال يطلب ولا
 بحث ولا علم ولو كان
 ذلك لما قيل الناظر
 السالك حين أراد
 الارتقاء إلى درجة
 أعلى من درجته بلسان
 السؤال الرجوع لا يتخط
 رقاب الصديقين لكنها
 مواهب أكرم الله تعالى
 بها أهل صفوته وولايته
 وهي مراتب الصديق
 في السلم وبركات
 الإخلاص في العمل
 فمن لم يثر من علمه
 وعمله للقرض عليه
 فطلبه والعمل به شتان
 من هذه اللطائف فليس
 في شيء من الحقيقة
 وإن كان حقا غير أن
 حاله معلول إمامتون
 بدينا وأحبوبهم
 وربك على كل شر
 قدر .

[ضل] وأما شيء
 ذكرت هذه العلوم
 بالإشارات دون
 العبارات والرموز
 دون التصريحات
 وبالتشابه في الألفاظ
 دون المحكمات وإن
 كان قد سبق هذا من

وعهدا حبيب الله كان له من الثواب بعدد من دعا لله ولدا ومن لم يدع لله ولدا وبه الله عز وجل يوم القيامة مع الآمين وكان حقا على الله تعالى أن يدخله الجنة مع النبيين (١) . ليلة الاثنين : روى الأعمش عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى ليلة الاثنين أربع ركعات بقرأ في الركعة الأولى الحمد لله وقل هو الله أحد عشر مرات وفي الركعة الثانية الحمد لله وقل هو الله أحد عشر مرة وفي الثالثة الحمد لله وقل هو الله أحد ثلاثين مرة وفي الرابعة الحمد لله وقل هو الله أحد أربعين مرة ثم يسلم وقرأ قل هو الله أحد خمسا وسبعين مرة واستغفر الله لنفسه ولوالديه خمسا وسبعين مرة ثم يسأل الله حاجته كان حقا على الله أن يعطيه سؤاله ما سأل (٢) » وهي تسمى صلاة الحاجة . ليلة الثلاثاء : من صلى ركعتين بقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والموذنين خمس عشرة مرة وقرأ بعد التسليم خمس عشرة مرة آية الكرسي واستغفر الله تعالى خمس عشرة مرة كان له ثواب عظيم وأجر جسيم . روى عن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى ليلة الثلاثاء ركعتين بقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وأنا أنزلناه وقل هو الله أحد سبع مرات أعتق الله رقبته من النار ويكون يوم القيامة فائده ودليله إلى الجنة (٣) » . ليلة الأربعاء : روت فاطمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى ليلة الأربعاء ركعتين بقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وقل أعوذ برب الفلق عشر مرات وفي الثانية بعد الفاتحة قل أعوذ برب الناس عشر مرات ثم إذا سلم استغفر الله عشر مرات ثم يصلي على عهد صلى الله عليه وسلم عشر مرات نزل من كل سماء سبعون ألف ملك يكتبون ثوابه إلى يوم القيامة (٤) » وفي حديث آخر « ست عشرة ركعة يقرأ بعد الفاتحة ما شاء الله ويقرأ في آخر الركعتين آية الكرسي ثلاثين مرة وفي الأولين ثلاثين مرة قل هو الله أحد يشفع في عشرة من أهل بيته كلهم وجبت عليهم النار » روت فاطمة رضي الله عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى ليلة الأربعاء ست ركعات قرأ في كل ركعة بعد الفاتحة قل اللهم مالك للكل إلى آخر الآية فإذا فرغ من صلاته يقول جزى الله عني ما هو أهله غفر له ذنوب سبعين سنة وكتب له براءة من النار (٥) » . ليلة الخميس : قال أبو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم « من صلى ليلة الخميس مائتين للرب والعشاء ركعتين بقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي خمس مرات وقل هو الله أحد خمس مرات والموذنين خمس مرات فإذا فرغ من صلاته استغفر الله تعالى خمس عشرة مرة وجعل ثوابه لوالديه فقد أدى حق والديه عليه (١) حديث أنس من صلى ليلة الأحد بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة الحديث لم أجده له أصلا وحديث من صلى ليلة الأحد عشرين ركعة الحديث ذكره أبو موسى اللدني بغير إسناده وهو منكر وروى أبو موسى من حديث أنس في فضل الصلاة فيها ست ركعات وأربع ركعات وكلاهما ضعيف جدا (٢) حديث الأعمش عن أنس من صلى ليلة الاثنين أربع ركعات الحديث ذكره أبو موسى اللدني هكذا عن الأعمش بغير إسناده وأسنده من رواية يزيد الرقاشي عن أنس حديثا في صلاة ست ركعات فيها وهو منكر (٣) حديث الصلاة في ليلة الثلاثاء ركعتين الحديث ذكره أبو موسى بغير إسناده حكاية عن بعض المصنفين وأسنده من حديث ابن مسعود وجابر حديثا في صلاة أربع ركعات فيها وكلها منكردة (٤) حديث من صلى ليلة الأربعاء ركعتين الحديث لم أجده فيه إلا حديث جابر في صلاة أربع ركعات فيها ورواه أبو موسى اللدني وروى من حديث أنس ثلاثين ركعة (٥) حديث فاطمة من صلى ست ركعات أي ليلة الأربعاء الحديث أبو موسى اللدني بسند ضعيف جدا .

قول العراقي حديث أنس من صلى ليلة الأحد اثنتي عشرة ركعة . . . يمكن بالأحاديث ولعله يستحسنه وكذا ما أخرجه تأمل .

الشارع فيها له أن يعتن به من كلف ويتوارى بعيد ولكن لهم رجال خصوصون فما بال من لم يجعل شارعا ولم يثبت لغير أن يسلك ذلك . والجواب عنه أن العالم هو وارث النبي صلى الله عليه وسلم وإنما ورث العلم ليتجمل بعلمه ويحلف به كحلفه والنبي صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى عليه شديد القوى ثمرة فاستوى وحكم يارث فيا ورث حكم ثلوث فيا ورث عنه فاعرف فيه الحكم من فضل الثلوث عنه امتثله وما لم يصل إليه في شيء كان له اجتناؤه فان أخطأ كان لأجر وإن أصاب كان له أجران ثم إن الوارث رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصرح بعلوم المعاملات وأشار بما وراءها بما لا يفهمه إلا أرباب التخصص كجاء الله عز وجل وما جعلها إلا للمالون

وإن كان حاقا لهما وأعطاء الله تعالى ما يبغى الصديقين والشهداء^(١) . ليلة الجمعة : قال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة قرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد إحدى عشرة مرة فساكن عبد الله تعالى اثنتي عشرة سنة صيام نهارها وقيام ليلا^(٢) » وقال أنس قال النبي ﷺ « من صلى ليلة الجمعة صلاة العشاء الآخرة في جماعة وصلى ركعتي السنة ثم صلى بعدها عشر ركعات قرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والعوذتين مرة مرة ثم أوتر بثلاث ركعات ونام على جنبه الأيمن وجهه إلى القبلة فساكننا أحيا ليلة القدر^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « أكثرُوا من الصلاة على الليلة القراء واليوم الأزهري ليلة الجمعة يوم الجمعة^(٤) » . ليلة السبت : قال أنس قال رسول الله ﷺ « من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة بنى قصر في الجنة وأقاما تصديق على كل مؤمن ومؤمنة وتبرأ من اليهود وكان حقا على الله أن يفرقه^(٥) » .

(القسم الثالث ما يكرر بتكرّر السنين)

وهي أربعة : صلاة العيدين والتراويح وصلا ترجب وشعبان . الأولى صلاة العيدين : وهي مستمرة وكثيرة وشعار من شعار الدين وينبغي أن يراعى فيها سبعة أمور ، الأول : التكبير ثلاثا نقفا يقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيل لا إله إلا الله وحده لا شريك لهخلصين له الدين ولو كره الكافرون يشتت بالتكبير ليلة القدر إلى الصلوة في صلاة العيد وفي العيد الثاني يشتت التكبير عقب الصبح يوم عرفة إلى آخر النهار يوم الثالث عشر وهذا أكل الأقاويل ويكرر عقب الصلوات المفروضة وعقب النوافل وهو عقب الفرائض أكد . الثاني إذا أصبح يوم العيد يقتل ويتزين وتطيب كما ذكرناه في الجمعة والرداء والعمامة هو الأفضل لرجاله ولجلب الصبيان الحرير والعباثر الزين عند الخروج . الثالث أن يخرج من طريق ويرجع من طريق آخر^(٦) هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ﷺ « يأمر بإخراج العواتق وذوات الخدور^(٧) » . الرابع السجود الخروج إلى الصحراء إلا بمكة ومكة للقدس فإن كان يوم مطر فلا بأس بالصلاة في المسجد يجوز في يوم الصحو أن يأمر الإمام رجلا يصلي بالخضعة في السجود ويخرج بالأدوية مكبرين . الخامس يراعى الوقت فوقت صلاة العيد ما بين طلوع الشمس إلى الزوال ووقت الدعاء للضحايا ما بين ارتفاع الشمس بقدر خطبتين وركعتين إلى آخر يوم . الثالث عشر ويستحب تعجيل صلاة الأضحية لأجل الدعاء وآخر صلاة القدر

(١) حديث أبي هريرة عن صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء ركعتين الحديث أبو موسى للدين وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف جدا وهو منكر (٢) حديث جابر عن صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة الحديث باطل لأصله (٣) حديث أنس عن صلى ليلة الجمعة العشاء الآخرة في جماعة وصلى ركعتي السنة ثم صلى بعدها عشر ركعات الحديث باطل لأصله ويرى للظفر بن الحسين الأرجاني في كتاب فضائل القرآن وإبراهيم بن اللطفي في كتاب وصول القرآن للبيت من حديث أنس من صلى ركعتين ليلة الجمعة قرأ فيها فاتحة الكتاب وإذا زلزلت خمسة عشر مرة وقال إبراهيم بن الظفر حسين مرة آمنه الله من عذاب القبر ومن أهوال يوم القيامة ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من هذا الوجه ومن حديث ابن عباس أيضا وكلها ضيقة منكثرة وليس يصح في أيام الأسبوع وليالي شيء والله أعلم (٤) حديث أكثرُوا من الصلاة في الليلة القراء واليوم الأزهري طبع في الأوسط من حديث أبي هريرة وفيه عبد التميم بن بشر ضعفه ابن معين وابن حبان (٥) حديث أنس من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة الحديث لم أجده أصلا (٦) حديث الخروج في العيد في طريق والرجوع في أخرى م من حديث أبي هريرة (٧) حديث كان يأمر بإخراج العواتق وذوات الخدور متفق عليه من حديث أم عطية .

لأجل تفريق صدقة الفطر قبلها هذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) . السادس في كيفية الصلاة فليخرج الناس مبكرين في الطريق وإذا بلغ الإمام الدليل لم يجلس ولم يتقبل ولم يقطع الناس التفل ثم ينادى مناد : الصلاة جامعة ويصل الإمام بهم ركعتين يكر في الأولى سوى تكبيرة الإحرام وإلى ركوع سبع تكبيرات يقول بين كل تكبيرتين سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ويقول وجهته وجهي الذي فطر السموات والأرض غيب تكبيرة الافتتاح ويؤخر الاستعاذة إلى ما وراء الثامنة ويقرأ سورة ق في الأولى بعد الفاتحة واقرب في الثانية والتكبيرات الثلاثة في الثانية خمس سوى تكبيرتي القيام وإلى ركوع وبين كل تكبيرتين ماذكرناه ثم يحط خطبتين بينهما جلسة ومن فاتته صلاة العبد فضاها : السابع أن يضحي بكبش « ضحى رسول الله ﷺ بكبشين أمامين وذبح بيده وقال بسم الله والله أكبر هذا عن وعن لم يضح من أمي » وقال صلى الله عليه وسلم « من رأى هالك ذى الحجة وأراد أن يضحي فلا يأخذ من شعره ولا من أظفاره شيئا ^(٢) » قال أبو أيوب الأنصاري كان الرجل يضحي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشاة عن أهل بيته ويأكلون ويطمعون ^(٣) وله أن يأكل من الضحية بعد ثلاثة أيام فما فوق ، وردت فيه الرخصة بعد النهي عنه وقال سفيان الثوري يستحب أن يصل بعد عيد الفطر اثني عشرة ركعة وبعد الأضحية ست ركعات ^(٤) وقال هومن السنة ، الثانية التراويح : وهي عشرون ركعة وكيفيتها مشهورة وهي سنة مؤكدة وإن كانت دون العيدين واختلفوا في أن الجماعة فيها أفضل أم الأفراد وقد خرج رسول الله ﷺ فيها ليلتين أو ثلاثا للجماعة ثم لم يخرج وقال « أخاف أن توجب عليكم ^(٥) » وجمع عمر رضي الله عنه الناس عليها في الجماعة حيث أمن من الوجوب باقطاع الوحي فقيل إن الجماعة أفضل لفضل عمر رضي الله عنه ولأن الاجتماع بركة وله فضيلة بدليل الترائف ولأنه ربما يكسل في الأفراد وينشط عند مشاهدة الجمع وقيل الأفراد أفضل لأن هذه سنة ليست من الشعار كالعيدين فلحاقها صلاة الضحية ونحية السجد أولى ولم تفرع فيها جماعة وقد جرت العادة بأن يدخل للسجد جمع معا ثم لم يسأوا التحية بالجماعة وقوله صلى الله عليه وسلم « فضل صلاة التطوع في بيته على صلاته في المسجد كفضل صلاة المكتوبة في المسجد على صلاته في البيت ^(٦) »

(١) حديث تعجيل صلاة الأضحية وتأخير صلاة الفطر الشافعي من رواية أبي الحوثر مرسل أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى عمرو بن حزم وهو بنجران أن يحل الأضحية وآخر الفطر (٢) حديث ضحى بكبشين أمامين وذبح بيده وقال بسم الله والله أكبر هذا عن وعن لم يضح من أمي متفق عليه دون قوله عن الخ من حديث أنس وهذه الزيادة عند أبي داود وثبت من حديث جابر وقال ت غريب ومنقطع (٣) حديث من رأى هالك ذى الحجة وأراد أن يضحي فلا يأخذ من شعره وأظفاره م من حديث أم سلمة (٤) حديث أبي أيوب أن الرجل كان الرجل يضحي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشاة عن أهله فيأكلون ويطمعون ت قال ت حسن صحيح (٥) قال سفيان الثوري من السنة أن يصل بعد الفطر اثني عشرة ركعة وبعد الأضحية ست ركعات أجده أصلا في كونه مستوفى الحديث الصحيح ما يخالفه وهو أنه ﷺ لم يصل قبلها ولا بعدها وقد اختلفوا في قول التاب من السنة كذا وأما قول تابي التابع كذلك كالثوري فهو مقطوع (٦) حديث خروجه لقيام رمضان ليلتين أو ثلاثا ثم لم يخرج وقال أخاف أن يوجب عليكم متفق عليه من حديث عائشة بلفظ خفيت أن تفرض عليكم (٧) حديث فضل صلاة التطوع في بيته على صلاته في المسجد كفضل صلاة المكتوبة في المسجد على صلاته في البيت رواه آدم بن أبي إياس في كتاب التواب من حديث ضمرة بن حبيب مرسل ورواه ابن أبي شيبة في الصنف فجعله عن ضمرة بن حبيب عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم موقوفا

العالمين التي أمرت بقرائها في كل صلاة ركعها عليك أن تسيدها في كل ركعة وأخبرك الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم أن ليس في التوراة ولا في الإنجيل ولا في القرآن مثله وفي هذا تنبيه بل تصريح بأن يكثر منها بما عرفت من القوائد وخصت به من النسخ والمواضع بما لو سطر لكان فيه أو قار بالجل فاتهم واتباعه ما عاقل ما خلت له واعرف ما عايد لك والله تعالى سبحانه حبيب من أراده وهادي من جاهد في سبيله وكاف من توكل عليه وهو الفنى الكريم انتهى الجواب عما سألت عنه وفرضا منه بحسب الوهم من السلام ونسأل الله تعالى للباعدة بين حيلات قلوب البشر أن يصرف عنا حجب الكسرات والأهواء ومراتب النين فيدمر بحار القدر ورات هو إله المن ظهر وغبر وإليه يرجع

من آمن وكفر ومجازي
الخالق بينهم أوسر
والصلاة على سيدنا
محمد سيد البشر
وكافي الضرر وعلى
آله السادات الثمر
وسلم تملأ والمجد لله
رب العالمين .

تم كتاب الإلهام .
في مشكلات الإحياء
[مستحبات عوارف
للمارف]

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله العظيم شأنه
القوى سلطان الظاهر
إحسانه الباهر حجه
ورهبانه المحتجب
بالجلال والنفرد
بالكمال والمرتدى
بالمظنة في الآباد
والآزال لا يصوره وهم
وخيال ولا يحصره حد
ومثال ذي العز السائم
السرمدى والملك التام
القيوم والقصد
المتع إدراك كنهها
والسطوة المستوعر
طريق استيلاء وصفها
نظمت الكائنات بأنه
الصانع للبع والراح من
صفحات ذرات الوجود
بأنه الخالق المختار
وسم عقل الانسان

وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال « صلاة في مسجدى هذا أفضل من مائة صلاة في غيره من المساجد
وسنة في المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة في مسجدى وأقل من ذلك كله رجل يصلي في زاوية
بيده ركعتين لا يعلمها إلا الله عز وجل (١) » وهذا لأن الرياء والتصنع ربما يطرأ على
الجمع ويأمن منه في الوحدة فهذا ما قيل فيه ، والمختار أن الجماعة أفضل كما رآه عمر رضي الله عنه
فإن بعض النوافل قد شرعت فيها الجماعة وهذا جدير بأن يكون من الشعائر التي تظفر ، وأما
الانتفاء إلى الرياء في الجمع والكسل في الأفراد عدول عن مقصود النظر في فنية الجمع من حيث
إنه جماعة وكأن قاله يقول الصلاة خير من تركها بالكسل والإخلاص خير من الرياء فلنترض
للسنة فيمن يثق بنفسه أنه لا يكسل لو اغترد ولا يرأى لو حضر الجمع فأفضل له فيدور النظر
بين بركة الجمع وبين مزيد قوة الإخلاص وحضور القلب في الوحدة فيجوز أن يكون في تفضيل
أحدهما على الآخر تردد ، ومما يستحب القنوت في الوتر في الصلوة الأخير من رنات . أما صلاة
رجب : فقد روى بإسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « مامن أحد يصوم أول خميس
من رجب ثم يصلي فيما بين العشاء والعتمة اثنتي عشرة ركعة بفصل بين كل ركعتين بتسليمة يقرأ
في كل ركعة بمائة الكتاب مرة وإنا أنزلناه في ليلة القدر ثلاث مرات وقل هو الله أحد انقضى
عشرة مرة فإذا فرغ من صلاته صلى على سبعين مرة يقول اللهم صلى على محمد النبي الأبي وعلى
آله ثم يسجد ويقول في سجوده سبعين مرة : سبح قدوس رب الملائكة والروح ثم يرفع رأسه
ويقول سبعين مرة رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم ثم يسجد سجدة
أخرى ويقول فيها مثل ما قال في السجدة الأولى ثم يسأل حاجته في سجوده فاتها بقضى (٢) »
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يصلي أحد هذه الصلاة إلا غفر الله تعالى له جميع ذنوبه
ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل ووزن الجبال وورق الأشجار ويشفع يوم القيامة في سبابة
من أهل بيته من قد استوجب النار » فهذه صلاة مستحبة وإنما أوردناها في هذا القسم لأنها تتكرر
بشكر السنين وإن كانت رتبة تبلغ رتبة التراوع وصلاة الميدان هذه الصلاة قلبها الأحاد ولكن
رأيت أهل القدس بأجمعهم يواظبون عليها ولا يسمعون بتركها فأجبت إيرادها . وأما صلاة شعبان :
فليلة الخامس عشر منه يصلى مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله أحد
إحدى عشرة مرة وإن شاء صلى عشر ركعات يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة مائة مرة قل هو الله أحد
فهذا أيضا مروى في جملة الصلوات كان السلف يصلونها هذه الصلاة ويسمونها صلاة الخير ويعتصمون فيها
وفي سنن د بإسناد صحيح من حديث زيد بن ثابت صلاة للرء في بيته أفضل من صلاته في مسجدى
هذا إلا المكتوبة (١) حديث صلاة في مسجدى هذا أفضل من مائة صلاة في غيره وصلاة
في المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة في مسجدى وأفضل من هذا كله رجل يصلي ركعتين في
زاوية بيته لا يعلمها إلا الله ، أبو الشيخ في الثواب من حديث أنس صلاة في مسجدى تعدل بعشرة
آلاف صلاة وصلاة في المسجد الحرام تعدل بمائة ألف صلاة والصلاة بأرض الرباط تعدل بألفي
ألف صلاة وأكثر من ذلك كله الركعتان يصلهما العبد في جوف الليل لا يريد بهما إلا وجه الله
عز وجل وإسناده ضعيف وذكر أبو الوليد الصغار في كتاب الصلاة تعليقاً من حديث الأوزعى
قال دخلت على نجي فأنشدني حديثاً فذكره إلا أنه قال في الأولى ألف وفي الثانية مائة (٢) حديث
مامن أحد يصوم أول خميس من رجب الحديث في صلاة الرغائب أوردته رزق في كتابه وهو
حديث موضوع .

وربما صلّوها جماعة روى عن الحسن أنه قال حدثني ثلاثون من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن من صلى هذه الصلاة في هذه الليلة نظر الله إليه سبعين نظرة وخصي له بكل نظرة سبعين حاجة أدناها المقرة (٧)

(القسم الرابع من النوافل ما يتعلق بأسباب عارضة ولا يتعلق بالمواقف وهي تسعة :)
 صلاة الخسوف والكسوف والاستسقاء ونحوه للسجد وركعتي الوضوء وركعتين بين الأذان والإقامة وركعتين عند الخروج من المنزل والدخول فيه ونظائر ذلك فذكر منها ما يحضرنا الآن . الأولى صلاة الخسوف قال رسول الله ﷺ « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يغسفان لموت أحد ولا حياته فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله والصلاة » (٨) قال ذلك لممات ولله إبراهيم صلى الله عليه وسلم وكسفت الشمس فقال الناس إنما كسفت لموته . والنظر في كيفية وقوعها : أما السكفية فإذا كسفت الشمس في وقت الصلاة فيه مكروهة أو غير مكروهة نودى الصلاة جماعة وصلى الإمام بالناس في المسجد ركعتين وركع في كل ركعة ركوعين أو أثلثها أطول من أواخرها ولا يجهز فبمراً في الأولى من قيام الركعة الأولى الفاتحة والبقرة وفي الثانية الفاتحة وآل عمران وفي الثالثة الفاتحة وسورة النساء وفي الرابعة الفاتحة وسورة المائدة أو مقدار ذلك من القرآن من حيث أراد ولو اقتصر على الفاتحة في كل قيام أجزاء ولو اقتصر على سور قصار فلا بأس ومقصود التطويل دوام الصلاة إلى الانجلاء ويسبح في الركوع الأول قدر مائة آية وفي الثاني قدر ثمانين وفي الثالث قدر سبعين وفي الرابع قدر خمسين وليكن السجود على قدر الركوع في كل ركعة ثم يخطب خطبتين بعد الصلاة بينهما جلسة ويأمر الناس بالصدقة والتقى والتوبة وكذلك يفضل خسوف القمر إلا أنه يجهز فيها لأنها ليلة . فأما وقتها عند ابتداء الكسوف إلى تمام الانجلاء ويخرج وقتها بأن تقرب الشمس كاسفة ، وتغوث صلاة خسوف القمر بأن يطلع قرص الشمس إذ يبطل سلطان الليل ولا تغوث بضراب القمر خاسفاً لأن الليل كله سلطان القمر فان انجلى في أثناء الصلاة أتمها تحفة ومن أدرك الركوع الثاني مع الإمام قد فاتته تلك الركعة لأن الأصل هو الركوع الأول . الثانية صلاة الاستسقاء : فإذا غارت الأمطار وانقطعت الأمطار أو اتهازت قنات فيستحب للإمام أن يأمر الناس أولاً بصيام ثلاثة أيام وما أطاعوا من الصدقة والخروج من المظالم والتوبة من المعاصي ثم يخرج بهم في اليوم الرابع والبياتر والصبيان منتظمين في ثياب بذلة واستكانة متواضعين بخلاف العبد وقيل يستحب إخراج الدواب لمشاركتها في الحاجة ولقوله صلى الله عليه وسلم « لولا صبيان رضع ومشايخ ركع وبهائم رقع لصب عليكم العذاب صبا » (٩) ولو خرج أهل اللفة أيضاً متميزين لم ينموا فإذا اجتمعوا في الليل الواسع من الصحراء نودى الصلاة جماعة فصلّى بهم الإمام ركعتين مثل صلاة العيد بغير تكبير ثم يخطب خطبتين وبينهما جلسة خفيفة وليكن الاستغفار معظم الخطبتين وينبغي في وسط الخطبة الثانية أن يستدبر الناس ويستقبل القبلة ويهتف برداه في هذه الساعة فهاؤلا بتحويل الحال (١٠) هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث صلاة ليلة نصف شعبان حديث باطل . ومن حديث عليّ إذا كانت ليلة النصف من شعبان قوموا ليها وصوموا نهارها وإسناده ضعيف (٢) حديث إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله الحديث أخرجه من حديث الثوري بن شعبة (٣) حديث لولا صبيان رضع ومشايخ ركع الحديث حق وضعفه من حديث أبي هريرة (٤) حديث استدبر الناس واستقبل القبلة وتحويل الرءاء في الاستسقاء أخرجه من حديث عبد الله بن زيد اللاتفي .

بالعجز والنقصان وأثرهم
 ضيحات الأنس
 وصف الحصر في حلبة
 اليسان وأحرقت
 سبجات وجه الكرم
 أجنحة طائر القهقم
 وسدت تمرزا وجلالا
 مسالك الهم وأطرق
 طامح البصرة تمظبا
 وجلالا ولم يجد من
 فرط الحيلة في فضاء
 الجبروت عمالا فساد
 البصر كليا والقل
 غيليا ولم يتبع إلى
 كنه الكبرياء سبيلا
 فسبحان من عزت
 معرفته لولا تعرضه
 وتصدّر على العقول
 تحديده وتكليفه ثم
 ألبس قلوب الصفة
 من عباده ملابس
 العرفان وخصهم من
 بين عباده بخصائص
 الاحسان فصار
 ضمايرهم من مواهب
 الأنس مملوءة ومرأى
 قلوبهم بنور القدس
 عجولة قبيات لقبول
 الإمداد القدسية
 واستمدت لورود
 الأنوار السالوية
 وأخذت من الأتاس
 الطسيرة بالأذكار

فيجعل أملاء أسفله وما على اليمين على الشمال وما على الشمال على اليمين وكذلك يفعل الناس ويدعون في هذه الساعة سرا ، ثم يسبقهم فيجتم الخطية ويدعون أردتهم محولة كما هي حتى يزورها من نزعو الشيا وبقول في الدعاء : اللهم إنك أمرتنا بدعائك ووعدتنا إجابتك فقد دعوناك كما أمرتنا فأجبنا كما دعوتنا اللهم فافض علينا بشفاعة مآقرنا وإجابتك في سقانا وسعة أرزاقنا ولا بأس بالدعاء أديار الصلوات في الأيام الثلاثة قبل الخروج ، ولهذا الدعاء آداب وشروط باطنة من الثوبة ورد للنظام وغيرها وسبأ ذلك في كتاب الدعوات . الثالثة صلاة الجنائز : وكيفيتها مشهورة وأجمع دعاء مأثور ماروي في الصحيح عن عوف بن مالك قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلى على جنازة فحفظت من دعائه : اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد وقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس وأبدله دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من أهله وزوجا خيرا من زوجته وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار(١) » حتى قال عوف تمت أن أن أكون أنا ذلك الميت ومن أدرك التكبير الثانية فينبئ أن يراعى ترتيب الصلاة في تسويكها مع تكبيرات الإمام فإذا سلم الإمام قضى تكبيره الذي فات كعمل للسبوق فانه لو أديار التكبيرات لم يبق للدفعة في هذه الصلاة معنى فالتكبيرات هي الأركان الظاهرة وجدير بأن تمام مقام الركعات في سائر الصلوات ، هذا هو الأوجه عندي وإن كان غيره محتملا والأخبار الواردة في فضل صلاة الجنائز وتقسيمها مشهورة فلانظيل بإيرادها وكيف لا يعظم فضلها وهي من فرائض الكفائات وإعنا تصوير خلا في حق من لم يتين عليه بحضور غيره ، ثم ينال بها فضل فرض الكفائية وإن لم يتين لأنهم يجمعهم قاموا بما هو فرض الكفائية وأسقطوا المخرج عن غيرهم فلا يكون ذلك كنفلا لا يسقط به فرض عن أحد ويستحب طلب كثرة الجمع تبركا بكثرة المهمل والأدعية واشتاله على ذى دعوة مستجابة لما روى كريب عن ابن عباس أنه مات له ابن قال يا كريب انظر ما اجتمع من الناس قال فخرجت فإذا ناس قد اجتمعوا له فأخبرته قال يقول هم أربعون قلت نعم قال أخرجه فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مامن رجل يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا إلا شفهم الله عز وجل فيه(٢) » وإذا شيع الجنائز فوصل القابر أو دخلها ابتداء قال السلام عليكم أهل هذه الديار من المؤمنين والمسلمين ورحم الله المستقيمين منا ولستأخرن وإن شاء الله بكى لاحقن والأولى أن لا يصرف حتى يدفن الميت فإذا سوى على الميت قبره قام عليه وقال اللهم عبدك رد إليك فأرأف به وارحمه اللهم جاف الأرض عن جنبه وافتح أبواب السماء لروحه وتقبله منك يقول حسن اللهم إن كان حسنا فضاعفه في إحصائه وإن كان مسيئا فتجاوز عنه . الرابعة تحية المسجد : ركعتان فصاعدا سنة مؤكدة حتى إنها لا تسقط وإن كان الإمام يخطب يوم الجمعة مع تأكد وجوب الاصغاء إلى الخطيب وإن اشتغل بغيره أو قضاة تأدى بالتحية وحصل الفضل إلى القصد أن لا تخلوا ابتداء دخوله عن المباداة الخاصة بالمسجد قياما على السجد ولهذا يكره أن يدخل للمسجد على غير وضوء فان دخل لم يور أو جلوس فليقل سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر قولها أربع مرات يقال إنها عدل ركعتين في الفضل ومذهب الشافعي رحمه الله أنه لا تكره التحية في أوقات الكراهية وهي بعد العصر وبعد الصبح ووقت الزوال ووقت الطلوع والتروب لما روى

جلالنا وأنت على الظاهر والباطن من التقوى حراسا واشملت في ظلم البشرية من اليقين تبرأنا واستخرت فوائده الدنيا ولذاتها وأنكرت مما يدلهوى وتبعاتها ولستظن غوارب الرغبات والرهوبات ولستفرش بعافيتها بساط لللكوث ولستمدت إلى للعالي أعناقها وطعنت إلى اللامع اللوى أحداها واغشيت من اللأوى مسامرا وعاورا ومن السور الأعز الأضي مزاورا ومجاورا أجساد أرضية بتلويح صابرة وأشباح فرسية بأرواح عرشية فوسهم في منازل الخدمة سيارت وأرواحهم في فضاء القرب طيارة مذاهبهم في البوذية مشهورة وأعلامهم في أنظار الأرض منشورة بقول الجمال بهم قدوا وما قدوا ولكن سمت أحوالهم فلم يدركوا وعلا مقامهم فلم يعلوا

(١) حديث عوف بن مالك في الصلاة على الجنائز اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه
الحديث أخرجه مسلم دون الدعاء للمعصي (٢) حديث ابن عباس مامن رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون الحديث م .

« أنه صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين بعد العصر قيل له أما نتهيتنا عن هذا ؟ قال : هاركتان كب
 أصلهما بعد الظهر فغفلتني عنهما الوفاة (١) » فأفادهما الحديث فأنه إذا كان الكراهية مقصورة
 على صلاة لأسبابها ومن أضعف الأسباب قضاء التواقل إذ اختلفت العلماء في أن التواقل هل تنقض
 وإذا فعل مثل ما فاته هل يكون قضاء وإذا انتفت الكراهية بأضعف الأسباب فأجرى أن تنقضي
 بدخول المسجد وهو سبب قوئها لا تنكسر صلاة الجنازة إذا حضرت ولا صلاة الخسوف والاستسقاء
 في هذه الأوقات لأن لها أسبابا . القائمة الثانية : قضاء التواقل إذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ذلك ولنا فيه أسوة حسنة وقالت عائشة رضي الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غلبه
 نوم أو مرض فلم يبق تلك الليلة صلى من أول النهار اثنتي عشرة ركعة (٢) » وقبيل الغاء من كان في
 الصلاة ففاته جواب للؤذن فإذا سلم قضى وأجاب وإن كان للؤذن سكوت ولا معنى الآن لقول من يقول
 إن ذلك مثل الأول وليس يقضى إذ لو كان كذلك لما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في وقت
 الكراهية ، نعم من كان له ورد ضايقه عن ذلك عذر فينبغي أن لا يرضى لنفسه في تركه بل يتداركه
 في وقت آخر حتى لا يعلل نفسه إلى الدعة والرفاهية ويتداركه حسن على سبيل مجاهدة النفس ولأنه
 صلى الله عليه وسلم قال « أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل (٣) » فيفسد به أن لا يفرق
 دوما عمله وروى عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من عبد الله عز وجل
 بعبادة ثم تركها لملافة مقته الله عز وجل (٤) » فليحذر أن يدخل تحت الوعيد وتحقق هذا الخبر أنه
 مقته الله تعالى بتركها لملافة مقته الله عز وجل لا لقت والأجاء للمسلط الثلاثة عليه . الخامسة : ركعتان بعد الوضوء
 مستحبتان لأن الوضوء قربة ومقصودها الصلاة والأحداث عارضة فرجها يطرأ الحدث قبل صلاة
 فينتقض الوضوء ويضيع السعي فالبادرة إلى ركعتين استيعافا لمقصود الوضوء قبل القوات وعرف
 ذلك بحديث بلال إذ قال صلى الله عليه وسلم « دخلت الجنة فرأيت بلالا فيها قلت لبلال بم سبقتني
 إلى الجنة ؟ قال بلال لا أعرف شيئا إلا أني لأحدث وضوءا لأصل غير ركعتين (٥) » . السادسة : ركعتان
 عند دخول المنزل وعند الخروج منه روى أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 « إذا خرجت من منزلك فصل ركعتين عنما نكح السوء وإذا دخلت إلى منزلك فصل ركعتين عنما نكح
 مدخل السوء (٦) » وفي معنى هذا كل أمر يتدأ به بماله وقع ولذلك ورد ركعتان عند الاحرام (٧) وركعتان

(١) حديث صلى ركعتين بعد العصر قيل له أما نتهيتنا عن هذا فقال هاركتان كنت أصلهما
 بعد الظهر الحديث أخرجه من حديث أم سلمة وسلم من حديث عائشة كان يصلي ركعتين قبل
 العصر ثم إنه شغل عنهما الحديث (٢) حديث عائشة كان إذا غلبه نوم أو مرض فلم يبق تلك الليلة
 الحديث (٣) حديث أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل أخرجه من حديث عائشة .
 (٤) حديث عائشة من عبد الله بعبادة ثم تركها لملافة مقته الله ورواه ابن السني في رياضة للتعبدين
 موقوفا على عائشة (٥) حديث دخلت الجنة فرأيت بلالا فيها قلت لبلال بم سبقتني إلى الجنة الحديث
 أخرجه من حديث أبي هريرة (٦) حديث أبي هريرة إذا خرجت من منزلك فصل ركعتين عنما نكح
 مخرج السوء وإذا دخلت منزلك الحديث حق في الشعب من رواية بكر بن عمرو عن صفوان
 ابن سالم . قال يصكر حسبه عن أبي سلمة عن أبي هريرة فذكره وروى الجراطي في مكارم
 الأخلاق وابن عدي في الكامل من حديث أبي هريرة إذا دخل أحدكم بيته فلا يجلس حتى يركع
 ركعتين فإن الله جاعل له من ركعتيه خيرا قال ابن عدي وهو بهذا الإسناد منكر وقال لا أصل له
 (٧) حديث ركعتي الاحرام من حديث ابن عمر .

كاثنتين بالجنان
 باتين بقلوبهم عن
 أوطان الحديثان
 لأرواحهم حول العرش
 تطوف وتلوهم من
 خزائن البر يسعاف
 يتمتعون بالخدمة في
 النياجر ويلتذنون من
 وهيج الطلب بظما
 المواجه تسلاوا
 بالصلوات عن الشهوات
 وتوسوا بحلاوة
 السلاوة عن اللذات
 يلوح من صفحات
 وجوههم هم
 الوجدان ويوم على
 مصكون سرالهم
 فضارة العرفان لا يزال
 في كل عصر منهم علماء
 بالحق داعون للخلق
 منحوا بحسن التابفة
 رتبة الدعوة وجعلوا
 للمتقين قدوة فلا يزال
 تظهر في الخلق آثارهم
 وتزهو في الأفاق أنوارهم
 من اقتدى بهم
 اهتدى ومن أنكرهم
 ضل واعتدى فلله الحمد
 على ما هب للعباد من
 بركة خواص حضرته
 من أهل الوداد والصلوة
 على نبيه ورسوله
 محمد وآله وأصحابه

الأكردين الأجداد .
ثم إن إشارتي لهدى هؤلاء القوم وبحبهم علما بشرف حالهم وصحة طريقتهم البنية على الكتاب والسنة للتحقق بهما من الله الكريم الفضل وللتجدي أن أذهب عن هذه الصابية هذه الصابية وأؤلف أبوابا في الحقائق والآداب معربة عن وجه الصواب فيها اعتدوه مشعة بعبادة صريح العلم لهم فيها اعتدوه حيث كثر للتشبهون واختلقت أحوالهم وتشرّب بهم للتسرون وفسدت أعمالهم وسبق إلى قلب من لا يعرف أصول سلفهم سوء ظن وكاد لا يعلم من وقية فيهم وطعن ظنا منه أن حاصلهم راجع إلى مجرد رسم وتخصيص طائفة إلى مطلق اسم ومما حضرني فيه من النية أن أكثر سواد القوم بالاعتناء إلى طريقتهم والأشارة إلى أحوالهم وقولهم من

عند ابتداء السفر (١) وركعتان عند الرجوع من السفر (٢) في المسجد قبل دخول البيت فكل ذلك ما توارى من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بعض الصالحين إذا أكل كلمة صلى ركعتين وإذا شرب شربة صلى ركعتين وكذلك في كل أمر عده وبداية الأمور ينبغي أن يتبرك فيها بذكر الله عز وجل وهو على ثلاث مراتب بعضها يتكرر مرارا كالأكل والشرب فيبدأ فيه باسم الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم « كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه باسم الله الرحمن الرحيم فهو أيت (٣) » الثانية ما لا يكثر تكرره وهو وقع كغسل النكاح وابتداء النصيحة وللشورة فالمتحجب فيها أن يصدر بحمد الله فيقول للزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله ﷺ زوجتك ابنتي ويقول القابل الحمد لله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلت النكاح وكانت عادة الصحابة رضي الله عنهم في ابتداء أداء الرسالة والنصيحة وللشورة تقديم التحميد .

الثالثة ما لا يتكرر كثيرا وإذا وقع دام وكان له وقع كالسفر وشرامد رجبية والأحرام وما يجري مجراها فيستحب تقديم ركعتين عليه وأداء الخروج من المنزل والدخول إليه فانه نوع سفر قريب . السابعة صلاة الاستخارة . فمن لم يأمر وكان لا يدري عاقبته ولا يعرف أن الخير في تركه أو في الإقدام عليه فقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يصلي ركعتين يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون وفي الثانية فاتحة قل هو الله أحد فاذا فرغ دعا وقال اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إني كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري وعاجله وآجله فاقدره لي وبارك لي فيه ثم يسره لي وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري وعاجله وآجله فاصرفني عنه واصرّفه عني واقدر لي الخير أينما كان إنك على كل شيء قدير (٤) ورواه جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغنا الاستخارة في الأمور كلها كما بلغنا السورة من القرآن وقال ﷺ « إذا هم أحدكم بأمر فليصل ركعتين ثم ليسم الأمر ويدعونا ذكرنا » وقال بعض الحكماء من أعطى أربعا لم يمنع أربعا من أعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الحيرة ومن أعطى للشورة لم يمنع الصواب . الثامنة صلاة الحاجة : (٥) فرب ضائق عليه الأمر ومسته حاجة في صلاح دينه ودنياه إلى أمر تمزق عليه فليصل هذه الصلاة فقد روى عن وهيب بن الورد أنه قال إن من الدعاء الذي لا يرد أن يصلي البعد اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة بأم الكتاب وآية الكرسي وقل هو الله أحد فاذا فرغ خر ساجدا ثم قال سبحان الذي ليس له الزوال وقال به سبحان الذي تعطف بالجسد وتكرمه به سبحان الذي أحصى كل شيء بعلمه سبحان الذي لا ينبغي التسبيح إلا له سبحان ذي النور والفضل سبحان ذي العز والكرم سبحان ذي الطول لا يسألك بمقادير

(١) حديث صلاة ركعتين عند ابتداء السفر الحرف الطي في مكالم الأخلاق من حديث أنس ما استخلف في أهله من خليفة أحب إلى الله من أربع ركعات يصلين البعد في بيته إذا شد عليه ثياب سفره الحديث وهو ضيف (٢) حديث الركعتين عند القدوم من السفر أخرجاه من حديث كعب بن مالك (٣) حديث كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه باسم الله فهو أيترون ه في صحيحه من حديث أبي هريرة (٤) حديث صلاة الاستخارة خ من حديث جابر قال أحمد حديث منكر (٥) حديث ابن مسعود في صلاة الحاجة اثنتي عشرة ركعة أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بإسنادين ضيفين جدا فيهما عمرو بن هارون البلخي كذا به ابن معين وفيه علل أخرى وقد وردت صلاة الحاجة ركعتين رواه ت من حديث عبد الله بن أبي أوفى وقال ت حديث غريب في إسناده مقال .

من عرشك ومنهى الرحمن كتابك وباسمك الأعظم وجدك الأعلى وكلناك التامات العلمات التي لا يحاوهن بر ولا فاجران تصلى على محمد وعلى آل محمد يمدحهم يسأل حاجته التي لا مصيبة فيها فيجاب إن شاء الله عز وجل قال وهيب بلنا أنه كان يقال لا تملوها لسفهاكم فيتأوتون بها على مصيبة الله عز وجل . التاسعة صلاة التسبيح : وهذه الصلاة مأثورة على وجهها ولا تخص بوقت ولا بسبب ويستحب أن لا يخلو الأسبوع عنها مرة واحدة أو الشهر مرة فقد روى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه عليه السلام قال لقياس بن عبد اللطيف « ألا أعطيك ألا أجوك بشئ إذا أتت فضلة غفر الله لك ذنبك أو له وآخره فديعه وحديثه خطؤه وعملته صلى أربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فإذا فرغت من القراءة في أول ركعة وأنت قائم تقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشر مرات ثم ترفع من الركوع فتقولها قائما عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع من السجود فتقولها جالسا عشرا ثم تسجد فتقولها وأنت ساجد عشرا ثم ترفع من السجود فتقولها عشرا فذلك خمس وسبعون في كل ركعة فعمل ذلك في أربع ركعات إن استطعت أن تصليها في كل يوم مرة فافعل فإن لم تفعل في كل جمعة فإن لم تفعل في كل شهر مرة فإن لم تفعل في السنة مرة ^(١) » وفي رواية أخرى : أنه يقول في أول الصلاة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدوك وقد سمعت أعمأوك ولا يغفر لك شيء يسبح خمس عشرة تسبيحة قبل القراءة وعشرا بعد القراءة والباقي كما سبق عشرا ولا يسبح بعد السجود الأخير قاعدا وهذا هو الأحسن وهو اختيار ابن البارك والمجموع عن الروابيتين ثلثا تسبيحة فإن صلاها نهارا في تسليمة واحدة وإن صلاها ليلا في تسليمتين أحسن إله ورد « أن صلاة الليل مثبوتة ^(٢) » وإن زاد بعد التسبيح قوله لا حول ولا قوة إلا بالله المثل العظيم فهو حسن فقد ورد ذلك في بعض الروايات فبهذه الصلوات للأثر وتقول يستحبني من هذه النوافل في الأوقات للسكروحة إلا تحية السجد وما أوردناه بعد التحية من ركعتي الوضوء وصلاة السفر والخروج من المنزل والاستخارة فلا لأن النبي مؤيد وهذه الأسباب ضئيفة فلا تبلغ درجة الحشوف والاستسقاء والتحية وقد رأيت بعض للتسوية يصلي في الأوقات للسكروحة ركعتي الوضوء وهو في غاية البعد لأن الوضوء لا يكون سببا للصلاة بل الصلاة سبب الوضوء فينبغي أن يتوضأ ليصلي لا أنه يصلي لأنه يتوضأ وكل عهث يريد أن يصلي في وقت السكروحة فلا يسبل له إلا أن يتوضأ ويصلي فلا يبق للسكروحة معنى ولا يبنى أن ينوي ركعتي الوضوء كما ينوي ركعتي التحية بل إذا توضأ لركعتين تطوعا كيلا يتعطل وضوءه كما كان يفعل بلال فهو تطوع محض يجمع عقب الوضوء وحديث بلال لم يلد على أن الوضوء سبب كالخوف والتحية حتى ينوي ركعتي الوضوء فيستحيل أن ينوي بالصلاة الوضوء بل يبنى أن ينوي بالوضوء الصلاة وكيف ينظم أن يقول في وضوءه أتوضأ لصلاتي وفي صلاته يقول أصلي لوضوئي بل من أراد أن يحرس وضوءه عن التمثيل في وقت السكروحة فليزو قضاء إن كان يجوز أن يكون في دتمه صلاة تطرق إليها خلل لسبب من الأسباب فإن قضاء الصلوات في أوقات السكروحة غير مكروه فأما نية التطوع فلا جعلها في التهيؤ في أوقات الكراهية فسمعت ثلاثا أحدها التوقي من مضاهاة عبدة الشمس والثاني الاحتراز من انتشار الشياطين إذ قال صلى الله عليه وسلم « إن الشمس تطلع ومعاقرن الشيطان فإذا طلعت قارنها وإذا أترضعت قارنها فإن استوت قارنها فادار الشفار قارنها فإذا قضيت فغروب قارنها فإذا غرمت قارنها ^(٣) » وهى عن الصلوات

(١) حديث صلاة التسبيح تقدم (٢) حديث صلاة الليل مثبوتة من أخرجه من حديث ابن عمر (٣) حديث إن الشمس تطلع ومعاقرن الشيطان فإذا طلعت قارنها الحديث ن من حديث عبد الله الصنعاني .

كثر سواد قوم فهو منهم وأرجو من الله الكريم صحة النية فيه وتخليصها من شوائب النفس وكل ما فتح الله تعالى على فيه منح من الله الكريم وعوارف وأجل للنح عوارف للعارف والكتاب يشتمل على نيف وستين بابا والله للعين . الباب الأول في منشأ علوم الصوفية . الباب الثاني في تخصيص الصوفية بحسن الاستماع . الباب الثالث في بيان فضيلة علم الصوفية والاشارة إلى أمم وذج منها . الباب الرابع في شرح حال الصوفية واختلاف طريقتهم فيها . الباب الخامس في ذكر ماهية التصوف . الباب السادس في ذكر تسليم بهذا الاسم . الباب السابع في ذكر التصوف وانتشبه . الباب الثامن في ذكر اللائق وشرح حاله . الباب التاسع في ذكر من اتسقى إلى الصوفية وليس منهم . الباب

في هذه الأوقات ونبه به على العلة والثالث أن السالك طريق الآخرة لا زالون يواطون على الصلوات في جميع الأوقات وللواظبة على تحط واحد من العبادات يورث للكل ومهما منع منها ساعتراد النشاط وانبست الدواعي والانسان حرص على ما منع منه ففي تعطيل هذه الأوقات زيادة تحريض وبسبب على انتظار اغناء الوقت غصمت هذه الأوقات بالتيسير والاستغفار حذرا من اللل بالداومة وتخرجا بالانتقال من نوع عبادة إلى نوع آخر ففي الاستطراف والاستجداد لثة ونشاط وفي الاستمرار على شيء واحد استقال وملا للذلك لم تكن الصلاة سجودا مجردا ولا ركوعا مجردا ولا قايما مجردا بل ربت العبادات من أعمال مختلفة وأذكر متباينة فإن القلب يدرك من كل عمل منهما لثة جديدة عند الانتقال إليها ولو واطب على الشيء الواحد لتسارع إليه للكل فإذا كانت هذه أمورا مهمة في النسي عن ارتكاب أوقات الكراهة إلى غير ذلك من أسرار آخر ليس في قوتها البشر الاطلاع عليها والله ورسوله أعلم بها فهذه المهمات لا تترك إلا لأسباب مهمة في الشرع مثل قضاء الصلوات وصلة الاستسقاء والخسوف وتحية المسجد فأما ما مضى عنها فلا ينبغي أن يصادم به مقصود النسي هذا هو الأوجه عندنا والله أعلم .

ككل كتاب أسرار الصلوة من كتاب إحياء علوم الدين . يتلوه إن شاء الله كتاب أسرار الزكاة بحمد الله وعونه وحسن توقيفه والحمد لله وحده وصلاته على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

(كتاب أسرار الزكاة)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أسعد واثقي وأمات وأحياء أضحك وأبكى وأوجع وآنق وأغنى وأضر وأقنى الذي خلق الحيوان من نطفة غنى ثم نذر عن الخلق بوصف الغنى ثم خص بعض عباده بالحسن فأفاض عليهم من نعمه ما ليس به من شاء واستغنى وأحوج إليه من أخفق في رزقه وأكدى إظهارا للاحتجان والابتلاء ثم جعل الزكاة للدين أساسا وبني وبين أن يفضلته تركي من عباده من تركي ومن غناه تركي ماله من تركي والصلاة على محمد الصطفى سيد الوري وثمس الهدى على آله وأصحابه المحبوبين بالمع والحق .

[أما بعد] فإن الله تعالى جعل الزكاة إحدى مباني الاسلام وأردف بذكرها الصلاة التي هي أعلى الأعلام فقال تعالى - وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة - وقال صلى الله عليه وسلم « بني الاسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة » (١) وشهدا بالوعد على القصرين فيها فقال - والذين يكرزون الذهب والنضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيشرم يذاب أليم - ومعنى الاتفاق في سبيل الله إخراج حق الزكاة قال الأحنف بن قيس كنت في نهر من قرش فر أبودر فقال بشر السكان زين بك في ظهورهم يخرج من جنوبهم وبكى في أنفاسهم يخرج من جباههم وفي رواية أنه وضع على حفة ندى أحدهم فيخرج من نفض كفيه ويوضع على نفض كفيه حتى يخرج من حلة نديه يترزل وقال أبودر اتيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رأيته قال « هم الأخسرون ورب الكعبة قتلتم ومن هم قال الأكثرون أموالا إلا من قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه ومن عن يمينه ومن شماله وقليل ما هم ، ما من صاحب إبل ولا قر ولا غنم لا يؤدي زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كنت وأمنه تطعنه بقرونها وتطوؤه بأظلافها كلا فقد آخرها عادت وهو مرسل وما لك هو الذي يقول عبد الله الصابجي وهم فيه والصواب سيد الرحمن ولم يراني صلى الله عليه وسلم .

(كتاب أسرار الزكاة)

(١) حديث بني الاسلام على خمس أخرجه من حديث ابن عمر

عليه أولاها حتى يقضى بين الناس^(١) وإذا كان هذا التشديد مخرجاً في الصحيحين فقد سار من مهمات الدين الكشف عن أسرار الزكاة وشروطها الجلية والخبية ومعانيها الظاهرة والباطنة من الاعتصامي ما لا يستغنى عن معرفته مؤدى الزكاة وقابضها وينكشف ذلك في أربعة فصول . الفصل الأول : في أنواع الزكاة وأسباب وجوبها . الثاني آدابها وشروطها الباطنة والظاهرة . الثالث : في القايض وشروط استحقاقه وآداب قبضه . الرابع : في صدقة التطوع وقضاها . (الفصل الأول : في أنواع الزكاة وأسباب وجوبها والآثورات باعتبار متعلقاتها ستة أنواع : زكاة النعم والتقنين والتجارة وزكاة الركايز والمعادن وزكاة المعشرات وزكاة العطر) (النوع الأول : زكاة النعم)

ولأنجب هذه الزكاة غيرها إلا على حرم مسلم ولا يشترط البلوغ بل يجب في مال الصبي والمجنون هذا شرط من عليه . وأما المال فشروطه خمسة أن يكون تيمامة باقية حولانصايا كاملاً على كمال الكمال . الشرط الأول كونه نهما فلا زكاة إلا في الإبل والبقر والغنم . أما الحيل والبال والحجر والتولس بين القطباء والغنم فلا زكاة فيها . الثاني السوم فلا زكاة في مملوكة وإذا أسبغت في وقت وعلفت في وقت تظهر بذلك مؤتمها فلا زكاة فيها . الثالث الحول فالرسول الله ﷺ « لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول^(٢) » ويستقنى من هذا تاج المال فإنه ينسحب عليه حكم المال فيجب الزكاة فيه لحول الأصول ومهما باع المال في أثناء الحول أو وهبه انقطع الحول . الرابع كمال الملك والتصرف فتجب الزكاة في الماشية للرهنه لأنه الذي حبر على نفسهه ولا تجب في الضال والنصب إلا إذا عاد بجميع ثمنه فتجب زكاة مامضى عند عوده ولو كان عليه دين يستغرق ماله فلا زكاة عليه فإنه ليس غنيابه إذ لا تفي بمفضل عن الحاجة . الخامس كمال النصاب . أما الإبل فثلاثي فيها حتى تبلغ خمسا فيها جذعة من الضأن والجذعة هي التي تكون في السنة الثانية أو ثنية من المزم وهي التي تكون في السنة الثالثة وفي عشرين شاة وفي خمس عشرة ثلاث شاة وفي ماله بنت غاض فابن لبون ذكر وهو الذي في السنة الثالثة يؤخذون كان قادرا على شراؤها وفي ست وثلاثين ابنة لبون ثم إذا بلغت ستا وأربعين ففيها حقة وهي التي في السنة الرابعة فإذا صارت إحدى وستين ففيها جذعة وهي التي في السنة الخامسة فإذا صارت ستا وستين ففيها بنتا لبون فإذا صارت إحدى وتسعين ففيها حقتان فإذا صارت إحدى وعشرين ومائة ففيها ثلاث بنات لبون فإذا صارت مائة وثلاثين فقد استقر الحساب في كل خمسين حقة وفي كل أربعين بنت لبون . وأما البقر فثلاثي فيها حتى تبلغ ثلاثين ففيها تبع وهو الذي في السنة الثانية ثم في أربعين مسنة وهي التي في السنة الثالثة ثم في ستين تيمان واستقر الحساب بعد ذلك في كل أربعين مسنة وفي كل ثلاثين تبع . وأما الغنم فلا زكاة فيها حتى تبلغ أربعين ففيها شاة جذعة من الضأن أو ثنية من المزم ثم لثني فيها حتى تبلغ مائة وعشرين وواحدة ففيها شاتان إلى مائتي شاة وواحدة ففيها ثلاث شياه إلى أربعائة ففيها أربع شياه ثم استقر الحساب في كل مائة شاة . وصدقة الخيلطين كصدقة السالك الواحد في النصاب فإذا كان بين رجلين أربعين من الغنم ففيها شاة وإن كان بين ثلاثة نفر مائة شاة وعشرون ففيها شاة واحدة على جميعه وخططة الجوار كخططة الشيوع ولكن يشترط أن يرعا معا وسبقا

(١) حديث أبي ذر اشترى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رأى قال هم الأضرعون ورب الكعبة الحديث أخرجه م وخ (٢) حديث لازكاة في مال حتى يحول عليه الحول أبو داود من حديث علي بإسناد جيد . من حديث عائشة بإسناد ضيف .

الباب الثاني والعشرون في القول في البيع قبولاً وإثارة . الباب الثالث والعشرون في القول في البيع رداً وإنكاراً . الباب الرابع والعشرون في القول في البيع رضاء واستثناء . الباب الخامس والعشرون في القول في البيع تأدياً واعتناء . الباب السادس والعشرون في خاصة الأربعية التي يتماهدها الصوفية . الباب السابع والعشرون في ذكر قسوس الأربعية . الباب الثامن والعشرون في كيفية الدخول في الأربعية . الباب التاسع والعشرون في ذكر أخلاق الصوفية وشرح الخلق . الباب العاشر في ذكر تفاصيل الأخلاق . الباب الحادي والثلاثون في الأدب ومكانة من التصوف . الباب الثاني والثلاثون في آداب الحضرة لأهل القرب . الباب الثالث

دعا ومجلبعا ويسرحا معا ويكون الرعي معا ويكون إنزاء الفحل معا وأن يكونا جميعا من أهل الزكاة ولا حكم للخطئة مع التمي وللكتيب ومهما زلقت أو أجب الإبل عن سن إلى سن فهو جائز ما لم يجاوز بنت غاض في الزول ولكن قسم إليه جبران السن لسنة واحدة شاتين أو عشرين درهما وستين أربع شياه أو أربعين درهما وله أن يصعد في السن ما لم يجاوز الجذعة في الصعود وبأخذ الجبران من الساعين من بيت لئلا ولا تؤخذ في الزكاة مريضة إذا كان بضئ لئلا يصحها ولو واحدة ويؤخذ من السكران كريمة ومن اللثام لثيمة ولا يؤخذ من لئال الأوكلة ولا لاخض ولا الربى ولا الفحل ولا غزاله .

(النوع الثاني زكاة للعشرات)

فيجب العشر في كل مستتبت مقتات بلغ ثمانية من ولائى فبأدونها ولا في القواكه والقطن ولكن في الحبوب التي تفتت وفي التمر والزبيب ويستر أن تكون ثمانية من عرا أو زيبيا لأرطيا وعنبا ويخرج ذلك بعد التجفيف ويكمل مال واحد الخيلتين بالآخر في خلة الشيوخ كالبلستان للشترك بين ورثة بلجيم ثمانية من من زيب فيجب على جميع ثمانون منا من زيب بقدر حصصهم ولا يستر خلة الجوار فيه ولا يكمل نصاب الخطة بالشعر ويكمل نصاب الشعر بالسلة فانه نوع منه هذا قدر الواجب إن كان يسقى يسبح أوقاتة فان كان يسقى بنضح أودالية فيجب نصف العشر فان اجتمعا فالأغلب يعتبر وأما صفة الواجب فالتمر والزبيب اليابس والحلب اليابس بعد التفتية ولا يؤخذ عنب ولا رطب إلا إذا حلت بالأشجار كافة وكانت الصلحة في قطعها قبل عام الإدراك فيؤخذ الرطب فيكال تسعة للمالك وواحد للفقير ولا ينفع من هذه القسمة قولنا إن القسمة يسق بل رخص في مثل هذا للحاجة ووقت الوجوب أن يسدو الصلاح في البئر وأن يشتد الحلب ووقت الأداء بعد الحنفاء .

(النوع الثالث زكاة التقدين)

فإذا تم الحول على وزن مائتي درهم بوزن مكة تقرة خالصة قتها خمسة دراهم وهو ربع العشر وما زاد فبحسابه ولودرها ونصاب الذهب عشرون مثقالا خالصا بوزن مكة فتها ربع العشر وما زاد في حسابها وإن نقص من النصاب حبة فلا زكاة وتجب على من معه دراهم ممشوشة إذا كان فيها هذا القدر من التقرة الخالصة وتجب الزكاة في التبر وفي الحلى المظهور كأواني الذهب والفضة ومراكب الذهب للرجال ولا تجب في الحلى الملبح وتجب في الدين الذي هو على ملي ولكن تجب عند الاستيفاء وإن كان مؤجلا فلا تجب إلا عند حلول الأجل .

(النوع الرابع زكاة التجارة)

وهي كزكاة التقدين وإنما ينقد الحول من وقت ملك النقد الذي به اشترى البضاعة إن كان النقد نصابا فان كان ناقصا أو اشترى جرض على نية التجارة فالحول من وقت الشراء وتؤدى الزكاة من نقد البلد وبه يقوم فان كان مابه الشراء نقدا وكان نصابا كاملا كان التقويم به أولى من نقد البلد ومن نوى التجارة من مال قتيه فلا ينقد الحول بمجرد نيته حتى يشتري به شيئا ومهما قطع نية التجارة قبل عام الحول سقطت الزكاة والأولى أن تؤدى زكاة تلك السنة وما كان من ربح في السلعة في آخر الحول وجبت الزكاة فيه بحول رأس لئلا ولم يستأنف له حولا كما في التاج وأموال الصيارفة لا ينقطع حولها بالبادلة الجارية بينهم كسائر التجارات وزكاة ربح مال القراض على العامل وإن كان قبل القسمة ، هذا هو الأقيس .

والثلاثون في آداب الطهارة ومقدماتها .

الباب الرابع والثلاثون في آداب الوضوء .

وأسراره . الباب

الخامس والثلاثون في

آداب أهل الخصوص

والصوفية فيه . الباب

السادس والثلاثون في

فضيلة الصلاة وكبر

شأنها . الباب السابع

والثلاثون في وصف

صلاة أهل القرب .

الباب الثامن والثلاثون

في ذكر آداب الصلاة

وأسرارها . الباب

التاسع والثلاثون في

فضل الصوم وحسن

آثاره . الباب الأربعون

في أحوال الصوفية في

الصوم والافتطار . الباب

الحادى والأربعون في

آداب الصوم ومهامه .

الباب الثانى والأربعون

في ذكر الطعام ومآثيه

من الصحة والفسدة .

الباب الثالث

والأربعون في آداب

الأكل . الباب الرابع

والأربعون في ذكر

آدابهم في اللباس

ونياتهم ومقاصدهم فيه

الباب الخامس

(النوع الخامس الركاز والمدن)

والركاز مال يدفن في الجاهلية ووجد في أرض لم يجز عليها في الإسلام ملك فعلي واجده في الذهب والفضة منه المحس والحول غير معتبر والأولى أن لا يستبر النصاب أيضا لأن إيجاب المحس يؤكده شبه النسيئة واعتباره أيضا ليس بعيد لأن مصرفه مصرف الزكاة وإلذلك يخص على الصحيح بالتقدي ، وأما المادن فلا زكاة فيها استخرج منها سوى الذهب والفضة بقيها بعد الطحن والتخليس ربع العشر على أصح القولين ، وعلى هذا يعتبر النصاب وفي الحول قولان وفي قول يجب المحس فعلى هذا لا يعتبر وفي النصاب قولان والأشبه والعلم عند الله تعالى أن يلحق في قدر الواجب زكاة التجارة فانه نوع اكتساب وفي الحول بالمشتريات فلا يستبر لأنه عين الرق ويستبر النصاب كالمشتريات والاحتياط أن يخرج المحس من القليل والكثير ومن عين التقدي أيضا خروجها عن شبهة هذه الاختلافات فانها ظنون قوية من التعارض وجزم الفتوى فيها خطر لعارض الاختباء .

(النوع السادس في صدة الفطر)

وهي واجبة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل مسلم فضل عن قوته وقوت من يقوته يوم الفطر وليتته صاع مما يثمن^(١) يصاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوان وثلاثين يخرجها من جنس قوته أو من أفضل منه فان اقتات بالحنطة لم يجز الشعير وإن اقتات حبوبا غختلفة اختار خيرها ومن أيا أخرج أجزأه وقسمتها كقصة زكاة الأموال فيجب فيها استيعاب الأصناف ولا يجوز لإخراج الدقيق والسويق ويجب على الرجل السلم فطرة زوجته ومالئكة وأولاده وكل قريب هو في فقرته أعنى من يجب عليه فقرته من الآباء والأمهات والأولاد . قال صلى الله عليه وسلم « أدوا صدة الفطر ممن تمون^(٢) » ويجب صدة العبد للشرع على التبركين ولا تجب صدة العبد الكافر وإن تبرعت الزوجة بالخراج عن نفسها أجزأها ولا تزوج الإخراج عنها دون إذنها وإن فضل عنه ما يؤدى عن بعضهم أدى عن بعضهم وأولام بالتقديم من كانت فقرته كدوقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فققة الولد على فققة الزوجة وفققة على فققة الخادم^(٣) فهذه أحكام فقهاء لا بدلغنى من معرفتها وقد تعرض له وقائع نادرة خارجة عن هذا أنه أن يتكفل فيها على الاستفتاء عند نزول الواقعة بعد إحاطته بهذا المقدار .

(الفصل الثاني في الأداء وشروطه الباطنة والظاهرة)

اعلم أنه يجب على مؤدى الزكاة مراعاة خمسة أمور : الأول : النية وهو أن ينوى بقليه زكاة الفرض ويسن عليه تعيين الأموال فان كان له مال فائض فقال هذا عن مالى الغالب إن كان سالما وإلا فهو نافذة جاز لأنه إن لم يصرح به فكذلك يكون عند إطلاقه ونية الولي تقوم مقام نية المجنون والصبي ونية السلطان تقوم مقام نية الثالث للمنتع عن الزكاة ولكن في ظاهر حكم الدنيا : أعنى في قطع للطالبة عنه أما في الآخرة فلا بل تبقى فتمته مشغولة إلى أن يستأنف الزكاة وإذا وكل بأداء الزكاة ونوى عند التوكيل أو وكل الوكيل بالنية كفاه لأن توكيله بالنية نية . الثانية : البدار عقيب الحول

(١) حديث وجوب صدة الفطر على كل مسلم أخرجه من حديث ابن عمر قال فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان الحديث (٢) حديث أدوا زكاة الفطر ممن تمون عن تونون قطق من حديث ابن عمر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصدقة الفطر عن الصغير والكبير والحر والعبد ممن تمونون قال حق إنسانه غير قوى (٣) حديث قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فققة الولد على فققة الزوجة وفققة على فققة الخادم من حديث أبي هريرة بسند صحيح وحبك وصحة برواه ن حب يتعدى الزوجة على الولد وسياق

والأربعون في ذكر فضل قيام الليل .

الباب السادس

والأربعون في الأسباب

النية على قيام الليل .

الباب السابع والأربعون

في آداب الانتباه من

النوم والعمل بالليل .

الباب الثامن

والأربعون في تقسيم

قيام الليل . الباب

التاسع والأربعون

في استقبال التهار

والآداب فيه . الباب

الحسون في ذكر العمل

في جميع التهار وتوزيع

للأوقات . الباب الحادى

والحسون في آداب

للمرصدع الشيخ . الباب

الثانى والحسون فيما

يشتمه الشيخ مع

الأصحاب والتلامذة .

الباب الثالث والحسون

في حقيقة الصحة

وما فيها من الخير والشر .

الباب الرابع والحسون

في أداء حقوق الصحة

والأخوة في الله تعالى .

الباب الخامس

والحسون في آداب

الصحة والأخوة . الباب

السادس والحسون

في معرفة الانسان

تسه ويسكنها
 الصويفية من ذلك .
 الباب السابع والخمسون
 في معرفة الخواطر
 وتفصيلها وتميزها .
 الباب الثامن والخمسون
 في شرح الحال وللقيام
 والفرق بينهما . الباب
 التاسع والخمسون في
 الإشارة إلى القامات
 على الاختصار والابتنان .
 الباب الستون في ذكر
 إشارات الشايخ في
 القامات على الترتيب .
 الباب الحادي والستون
 في ذكر الأحوال
 وشرحها . الباب الثاني
 والستون في شرح
 كلمات من اصطلاح
 الصويفية مشيرة إلى
 الأحوال . الباب الثالث
 والستون في ذكر
 من البدايات والنهايات
 وصحتها ، فهذه الأبواب
 تحررت بون الله تعالى
 مشتملة على بعض
 عوام الصويفية
 وأحوالهم ومقاماتهم
 وأدابهم وأخلاقهم
 وغرائب مواجدهم
 وحقائق معرفتهم
 وتوجيههم ودقيق
 إشاراتهم ولطيف

وفي زكاة القطر لا يؤخرها عن يوم القطر ويدخل وقت وجوبها بربوب الشمس من آخر يوم من شهر رمضان ووقت تعجيلها شهر رمضان كله ومن أخر زكاة ماله مع التمكن عسى ولم يسقط عنه بتلف ماله وتمسكه بمصادفة الشئ وإن أخر لعدم الشئ فلف ماله سقطت الزكاة عنه وتعجيل الزكاة جائز بشرط أن يقع بعد كمال النصاب وانقضاء الحول ويجوز تعجيل زكاة حولين ومهما عجل فبات للسكين قبل الحول أو لرتد أو صار غنيا بغير ما عجل إليه أو تلف مال المالك أو مات فالدفوع ليس زكاة واسترجاعه غير ممكن إلا بإذيق الدفوع بالاسترجاع فليكن العجل مراقبا آخر الأمور وسلامة المأقية . الثالث : أن لا يخرج بدلا باعتبار القيمة بل يخرج للتوص عليه فلا يعزى ورق عن ذهب ولا ذهب عن ورق وإن زاد عليه في القيمة ولعل بس من لا يدرك غرض الشافعي رضي الله عنه يتساهل في ذلك ولا يلاحظ التصود من سد الحلة وما أبده عن التحصيل فإن سد الحلة مقصود وليس هو كل التصود بل واجبات الشرع ثلاثة أقسام : قسم هو تعبد محض لا مدخل للحفظ والاعراض فيه وذلك كرى الجرات مثلا إذ لا يلاحظ للجبرة في وصول المحلى إليها فتصود الشرع فيه الأتلاء بالعمل ليظهر العبد رقة وعبوديته بفعل ما لا يسل له معنى لأن ما يسل معناه قد يساعده الطبع عليه ويدعوه إليه فلا يظهر به خلوص الرق والعبودية إذ العبودية تظهر بأن تكون الحر كالحق أو المرعود فقط لا معنى آخر وأكثر أعمال الحج كذلك وذلك قال صلى الله عليه وسلم في إحرامه « ليك حجة حقا تعبدًا ورقا »^(١) تنبها على أن ذلك إظهارا للعبودية بالاتحاد لجرد الأمر وامتناله كما أمر من غير استئناس العقل منه بما يميل إليه ويحث عليه . القسم الثاني من واجبات الشرع ما للتصود منه حظ معقول وليس يقصد منه التعبد كفضاء دين الأديمين ورد التصوب فلا جرم لا يتبر فيه فلهوئيه ومهما وصل الحق إلى مستحقه بأخذ للشتق أو يدل عنه عند رضاه تأدى الوجوب وسقط خطاب الشرع فهذا أن قسبان لا تركيب فيها يشترك في دركهما جميع الناس . والقسم الثالث هو المركب الذى يقصد منه الأمران جميعا وهو حظ العباد وامتنان للكلف بالاستعداد فيجمع فيه تعبد رضى الجار وحظ رد الحقوق فهذا قسم في نفسه معقول فإن ورد الشرع به وجب الجمع بين العيين ولا ينعى أن ينسى أدق المعنيين وهو التعبد والاسترقاق بسبب أجلاها ولعل الأدق هو الأهم والزكاة من هذا القبيل ولم ينتبه له غير الشافعي رضي الله عنه فخطا التقدير مقصود في سد الحلة وهو جلى سابق إلى الأنفاهم وحق التعبد في اتباع التفاصيل مقصود للشرع وباعتباره صارت الزكاة قرينة للصلاة والحج في كونها من مباني الاسلام ولا شك في أن على المكلف تقياني عزيز أجناس ماله واخراج حصة كل مال من نوعه وجنسه وصفته ثم توزعه على الأصناف الخيرية كما سيأتى والتساهل فيه غير قاض في حظ التقدير لسكته قاض في التعبد ويدل على أن التعبد مقصود بتعيين الأنواع أمور ذكرناها في كتب الخلاف من الفقهاء ومن أوضحن أن الشرع أوجب في خمس من الإبل شاة فصلد من الإبل إلى الشاة ولم يعدل إلى التقدير والتقوم وإن قدر أن ذلك لقلة النقود في أيدي العرب بطل بذكره عشرين درهما في الجبران مع الشاتين فلم يذكر في الجبران قدر التقصان من القيمة ولم قدر بشرين درهما وشاتين وإن كانت الثياب والأمتعة كلها في معناها وهذا وأمثاله من التخصيص يدل على أن الزكاة لم تترك خالية عن التعبدات كما في الحج ولكن جمع بين المعنيين والأذهان الضعيفة تنصر عن درك المركبات فهذا شأن اللفظ فيه . الرابع : أن لا ينقل الصدقة إلى بلد آخر فإن أعين المسكين في كل بلدة تمتد إلى أموالها وفي النقل تخيب لفظون فإن فصل ذلك أجزاء في قول ولكن

(١) حديث ليك حجة حقا تعبدًا ورقا . البراز والدارقطنى في الملل من حديث أنس .

الخروج عن شبه الخلاف أولى فليخرج زكاة كل مال في تلك البلدة . ثم لا بأس أن يصرف إلى الترياء في تلك البلدة . الخامس أن يقسم ماله بعدد الأصناف للوجودين في بلده فان استيعاب الأصناف واجب وعليه يدل ظاهر قوله تعالى - إنما الصدقات للفقراء والمساكين - الآية فانه يشبه قول الرعي إنما ثلث مالي للفقراء والمساكين وذلك يقتضي التوزيع في الجميع والعبادات ينبغي أن يتوفى عن المحجور فيها على الظواهر وقد علم من الخامسة صفان في أكثر البلاد وهم المؤلفات قلوبهم والماملون على الزكاة ويوجد في جميع البلاد أربعة أصناف : الفقراء والمساكين والغارمون والمساقرن أعني أبناء السبيل وصفان يوجدان في بعض البلاد دون البعض وهم الغزاة والمساكين فان وجد خمسة أصناف مثلاً قسم بينهم زكاة ماله خمسة أقسام متساوية أو متقاربة وعين لكل صنف قسماً . ثم قسم كل قسم ثلاثة أسهم فما فوقه إما متساوية أو متفاوتة وليس عليه التسوية بين أحاد الصنف فان له أن يقسمه على عشرة وعشرين فيقتص نصيب كل واحد وأما الأصناف فلا تقبل الزيادة والنقصان فلا ينبغي أن يقتص في كل صنف عن ثلاثة إن وجد ثم لو لم يجب إلا صاع للفترة ووجد خمسة أصناف فليه أن يوصله إلى خمسة عشر نفراً ولو اقتص منهم واحد مع الإمكان غرم نصيب ذلك الواحد فان عسر عليه ذلك لقلة الواجب فليشارك جماعة ممن عليهم الزكاة وليخلط ماله نفسه بمالههم وليجمع للمستحقين وليسلم إليهم حتى يتسامحوا فيه فان ذلك لا بد منه .

(بيان دقائق الآداب الباطنة في الزكاة)

اعلم أن على مريد طريق الآخرة زكاته وطائفت . الوظيفة الأولى : فهم وجوب الزكاة ومعناها ووجه الامتحان فيها وأنها لم جاءت من مباني الاسلام مع أنها تصرف مالي وليست من عبادة الأبدان وفيه ثلاثة معان . الأول : أن التلفظ بكلمتي الشهادة التزام للتوحيد وشهادة بأفراد المعبود وشرط تمام الوفاء به أن لا يبقى للوحد محبوب سوى الواحد الفرد فان المحبة لا تقبل الشركة والتوحيد باللسان قليل الجلبوب وإنما يتجن به درجة الحب بمفارقة المحبوب والأموال محبوبة عند الخلاق لأنها آلة تتمهم بالدينيا وبسببها يأمنون بهذا العالم وينفرون عن اللوث مع أن فيه لقاء المحبوب فامتنعوا بتصدق دعواهم في المحبوب واستنزوا عن المال الذي هو مرقومهم ومغشوقهم ولذلك قال الله تعالى - إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة - وذلك بالجهد وهو مسامحة بالمحبة شوقاً إلى لقاء الله عز وجل وللمسامحة بالمال أهون ولما فهم هذا المعنى في بذل الأموال انقسم الناس إلى ثلاثة أقسام : قسم صدقوا التوحيد ووفوا بهدم وزلوا عن جميع أموالهم فلم يذخروا ديناراً ولا درهما فأبوا أن يشرعوا لوجوب الزكاة عليهم حتى قيل لبعضهم كم يجب من الزكاة في مائتي درهم فقال أما على النوام بحكم الشرع فخمسة دراهم وأما نحن فيجب علينا بذل الجميع ولهذا تصدق أبو بكر رضي الله عنه بجميع ماله وعمر رضي الله عنه ببطر ماله فقال صلى الله عليه وسلم ما بقيت لأهلك فقال مثله وقال لأبي بكر رضي الله عنه ما بقيت لأهلك قال الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم ينسبك ما بين كليكما (١) فالصديق وفي يتام الصدق فلم يمسك سوى المحبوب عنده وهو الله ورسوله . القسم الثاني درجته دون درجة هذا وهم المسكون أموالهم الرقيقون لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات فيكون قصدهم في الادخار الاتفاق على قدر الحاجة دون التمسك وصرفه القاض عن الحاجة إلى وجوده والبرر مع ما ظهر وجوهه وهؤلاء لا يقتصرون على مقدار الزكاة وقد ذهب جماعة من التابعين إلى أن في المال حقوقاً (١) حديث جاء أبو بكر بجميع ماله وعمر ببطر ماله الحديث دلتك وصححه من حديث ابن عمر وليس فيه قوله ينسبك ما بين كليكما .

اصطلاحاتهم فلو فهم كلها إنباء عن وجدان واختاره إلى عرفان وذوق تحقق صدق الحال ولم يف باستيفاء كنهه صريح القال لأنها مواهب ربانية ومنافع حقانية استنزها صفاء البراءة وخلوص الشفاء فاستصحت بكنها على الإغارة وطغت على البصيرة وتهادتها الأرواح بدلالة التشام والاشتغال وكرمعت حقائقها من بحر الأنطاف وقد اندرس كثير من دقيق علومهم كما انطمس كثير من حقائق رسومهم . وقد قال الجنيدي رحمه الله : علمنا هذا قد ملوى بساطه منذ كذا سنة ونحن تشكك في حواشيه بدا هذا القول منه في وقته مع قرب العهد بصله السلف وصالحى التابيين فكيف ينام بعد العهد وقلة العلماء الراغبين والعارفين بحقائق علوم الدين والله لا مأمول أن يتأبيل جهد القلب بحسن القول

سوى الزكاة كالنسخى والشعبى وعطاء ومجاهد . قال الشعبي بعد أن قيل له هل في السالك حق سوى الزكاة قال نعم . أما سمعت قوله عز وجل - وآتى المال له جبه ذوى القربى - الآية واستدلوا بقوله عز وجل - وعما رزقناهم فيبقون - وقوله تعالى - وآتقوا ما رزقناكم - وزعموا أن ذلك غير منسوخ بآية الزكاة بل هو داخل في حق المسلم على المسلم ومعناه أنه يجب على اللوسر مهما وجد محتاجا أن يزيل حاجته فضلا عن مال الزكاة والذي يصح في الفقه من هذا الباب أنه مهما أرهقته حاجته كانت إزالتها فرض كفاية إذ لا يجوز تضييع مسلم ولكن يحتمل أن يقال ليس على اللوسر إلا تسليم ما يزيل الحاجة قرضا ولا يقرمه بذله بعد أن أسقط الزكاة عن نفسه ويحتمل أن يقال يقرمه بذله في الحال ولا يجوز له الاقتراض أى لا يجوز له تكليف الفقير قبول القرض وهذا يختلف فيه والاقتراض نزول إلى المبرجة الأخيرة من درجات الموام وهي درجة القسم الثالث الذين يقتضرون على أداء الواجب فلا يزيدون عليه ولا ينقصون عنه وهي أقل الرتب وقد انقصر جميع الموام عليه ليخلفهم بالمال ومسلمهم إليه وضمف جهم للأخرة قال الله تعالى - إن يسألكموها فيضكنّ - يخجلنّ - فأنكم أى ينقصنّ عليكم فكم بين عبد اشترى منه ماله ونفسه بأن له الجنة وبين عبد لا يستغنى عليه لبخله فهذا أحد معاني أمر الله سبحانه عباده بذل الأموال . الذى الثانى التطهر من صفة البخل فانه من المهلكات قال عليه السلام « ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه (١) » وقال تعالى - ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون - وسيأتى في ربيع المهلكات وجه كونه مهلكا وكيفية التقصص منه وإنما نزول صفة البخل بأن تتعود بذل المال فحب الشيء لا يتقطع إلا بقهر النفس على مفارقتها حتى يصير ذلك اعتيادا فالزكاة بهذا المعنى طهيرة أى تطهر صاحبها عن خبث البخل الهلك وإنما طهارته بقدر بذله وقدر فرحه بإخراجه واستشاره بصرفه إلى الله تعالى . الذى الثالث شكر النعمة فان لله عز وجل على عبده نعمة في نفسه وفى ماله فالصادات الدينية شكرا لنعمة البدن وللالة شكرا لنعمة المال وما أخص من ينظر إلى الفقير وقد ضيق عليه الرزق وأحوج إليه ثم لا تسمع نفسه بأن يؤدى شكر الله تعالى على إغنائه عن السؤال وحواج غيره إليه بربيع الشر أو الشر من ماله . الوظيفة الثانية : في وقت الأداء ومن آداب ذوى الدين التصجيل عن وقت الوجوب إظهارا للرغبة في الامتثال بإسبال السرور إلى قلوب الفقراء ومبادرة لموافق الزمان أن تصوقه عن الحيراث وعلا بأن في التأخير آفات مع ما يضر البذله من المصيان لو أخر عن وقت الوجوب ومهما ظهرت ذاعية الخير من الباطن فينبى أن يتشم فان ذلك لمة الملك وقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن فما أسرع تحلبه والشيطان يمد الفقر ويأمر بالفحشاء والنكير وله لمة عقيب لمة الملك فيلتمن الفرصة فيه ولعين زكاتها إن كان يؤديها جميعا شهرا معلوما وليجهد أن يكون من أفضل الأوقات ليكون ذلك سببا لتباه قربته وتضاعف زكاته وذلك كشهر المحرم فانه أول السنة وهو من أول الأشهر الحرم أو رمضان فقد كان صلى الله عليه وسلم أجود الخلق وكان في رمضان كالريح المرسلة لا يمسك فيه شيئا (٢) ولرمضان فضيلة ليلة القدر وأنه أنزل فيه القرآن وكان مجاهد يقول لا تقولوا رمضان فانه اسم من أسماء الله تعالى ولكن قولوا شهر رمضان وذو الحجة أيضا من الشهور السكية الفضل فانه شهر حرام وفيه الحج الأكبر وفيه الأيام المملوءة بالشر الأول والأيام المملوءة بالخير وهي أيام التثنية وأفضل أيام شهر رمضان الشر الأواخر وأفضل أيامه شرى الحجة (٣) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم (٤) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الخلق وأجود ما يكون في رمضان . الحديث أخرجه من حديث ابن عباس .

والجدة رب العالمين .
الباب الأول في ذكر
منشأ علوم الصوفية :
حدثنا شيخنا شيخ
الإسلام أبو النجيب
عبد القاهر بن عبد الله
ابن محمد السهروردى
إسلامه من لفظه في
شوال سنة ستين
وخمسة قال أنبأنا
الشرىف نور الهدى
أبو طالب الحسين بن
محمد الزينى قال أخبرنا
كرمة بنت أحمد بن
محمد الرزوى المجاورة
بمكة حرسها الله تعالى
قالت أخبرنا أبو الهيثم
محمد بن يحيى الكشميرى
قال أنبأنا أبو عبد الله
محمد بن يوسف
الفريرى قال أخبر
أبو عبد الله محمد بن
أخيميل البخارى قال
حدثنا أبو كريب قال
حدثنا أبو أسامة عن
بريد عن أبي بردة عن
أبي موسى الأشعرى
رضى الله عنه عن
رسوله الله صلى الله عليه
وسلم قال « إيمانى
ومثل ما يمشى الله به
ككل رجل أتى قوما
قالوا قومى إلى ربك

النشر الأول . الوظيفة الثالثة . الأسرار فإن ذلك أبعد عن الرياء والسمعة قال صلى الله عليه وسلم « أفضل الصدقة جهد القل إلى قبر في سر » (١) وقال بعض العلماء : ثلاث من كنوز البر منها إخفاء الصدقة (٢) وقد روى أيضا سندا وقال صلى الله عليه وسلم « إن البذل يعمل عملا في السر فيكتبه الله له سرا فإن أظهره قل من السر وكتب في العلانية فإن تحدث به قل من السر والعلانية وكتب رياء » (٣) وفي الحديث للشهيد « سبعة يظلمهم الله يوم لا ظل إلا ظله . أحدهم رجل تصدق بصدقة فلم تلم شاة بما أعطت عنه » (٤) وفي الخبر « صدقة السر تطفي غضب الرب » (٥) وقال تعالى « وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم - وفائدة الإخفاء الخلاص من آفات الرياء والسمعة قد قال عليه السلام لا يقبل الله من مسع ولا مرأ ولا منان والمتحدث بصدقته يطلب السمعة والمعطى في ملأ من الناس يبنى الرياء والإخفاء والسكوت هو الخلق منه » (٦) وقد بالغ في فضل الإخفاء جماعة حتى اجتهدوا أن لا يعرف القايض للمطى فكان بعضهم يلقبه في يد أعمى وبعضهم يلقبه في طريق القبر وفي موضع جلوسه حيث يراه ولا يرى للمطى وبعضهم كان يصره في ثوب الفقير وهو نائم وبعضهم كان يوصل إلى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف للمطى وكان يستكمل للتوسط شأنه ويوصيه بأن لا يخشيه كل ذلك توصل إلى إطفاء غضب الرب سبحانه واحترازا من الرياء والسمعة ومهما لم يتمكن إلا بأن يعرفه شخص واحد قسليه إلى وكل ليسم إلى المسكين والمسكين لا يعرف أولى إذ في معرفة المسكين الرياء ولئلا يجبا وليس في معرفة للتوسط إلا الرياء ومهما كانت الشهرة مقصودة لحيط عمله لأن الزكاة إزالة للخل وقصيف لحب لئلا وحب الجاه أهد استيلاء على النفس من حب لئلا وكل واحد منهما مهلك في الآخرة ولكن صفة البخل تنقلب في القبر في حب لئلا عقرا لادفا وصفة الرياء تنقلب في القبر أسمى من الأفاض وهو أمور بتضييقها أوقلتها لدفع أذاها أو تخفيف أذاها فمما تصد الرياء والسمعة فكان يجعل بعض أطراف المقرب مقويا للنية فيقدر مضاعف من المقرب زاد في قوة الحجة ولو ترك الأمر كان كالأمر أهون عليه وقوة هذه الصفات التي بها قوتها العمل بمقتضاها وضف هذه الصفات بمجاهدتها وعالقها والعمل بخلاف مقتضاها فأى فائدة في أن يخالف دواهي البخل ويحب دواهي الرياء فيضف الأدنى ويقوى الأقوى وستأني أسرار هذه المعاني في دبر اللهاكات . الوظيفة الرابعة : أن يظهر حيث يعلم أن في إظهاره ترغيبا للناس في الاقتداء ويحرس سره من داعية الرياء بالطريق الذي سئذ ذكره في معالجة الرياء في كتاب الرياء قد قال الله عز وجل - إن تبدوا الصدقات فنعماي - وذلك حيث يقتضى الحال الإبداء إما للاقتداء وإما لأن السائل إنما سأل على ملأ من الناس فلا ينبغي أن يترك التصديق خيفتم

(١) حديث أفضل الصدقة جهد القل إلى قبر في سر أحمد حب لك من حديث أبي ذر ولأبي داود من حديث أبي هريرة أى الصدقة أفضل قال جهد القل (٢) حديث ثلاث من كنوز البر ذكر منها إخفاء الصدقة أبو نعيم في كتاب الإيجاز وجوامع الكلم من حديث ابن عباس بسند ضيف (٣) حديث إن البذل يعمل عملا في السر فيكتبه الله له سرا فإن أظهره قل من السر الحديث الخطيب في التاريخ من حديث أنس نحوه بإسناد ضعيف (٤) حديث سبعة يظلمهم الله في ظله الحديث أخرجه من حديث أبي هريرة (٥) حديث صدقة السر تطفي غضب الرب طب من حديث أن أمانة ورواه أبو الشيخ في كتاب الثواب وهق في الشعب من حديث أبي سعيد كلاهما ضعيف والترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة إن الصدقة تطفي غضب الرب ولابن حبان نحوه من حديث أنس وهو ضعيف أيضا (٦) حديث لا يقبل الله من مسع ولا مرأ ولا منان لم يظهر به هكذا.

الجيش بسعى وإلى أنا
الذير العريان فالنجاء
التجاء فأطاعه طائفة
من قومه فأدخلوا
فانطلقوا على مهلهم
فنجوا وكذبت طائفة
منهم فأصبوا مكانهم
فصحبهم الجيش
فأهلكهم واجتاحهم
فذلك مثل من أطاعني
فاتبعت ما حبست به ومثل
من عصاني وكذب عا
جنته من الحق .
معنى اجتاحتهم :
استأصلهم ومن ذلك
الجماعة التي تصد
البار ، وقال صلى الله
عليه وسلم « مثل
ما يمشي الله به من
الهدى والنلم كمثل
النبت الكثير أصاب
أرضا فكانت طائفة
منها طيبة قبلت للواء
فأنبتت الكلا والشب
الكثير وكانت منها
طائفة خالست أمسكت
لواء فنفع الله تعالى بها
الناس فسر يواسقوا
وزرعوا وكانت منها
طائفة أخرى قيعان
لا تمسك ماء ولا تنبت
كلا فذلك مثل من فقه
في دين الله وشمع ما يمشي

الربا في الاظهار بل ينبغي ان يتصدق ويحفظ سره عن الربا بقدر الاسكان وهذا لأن في الاظهار عذورا ثالثا سوى المني والربا وهو هنك ستر الفقير فانه ربما يتأذى بأن يرى صورة المحتاج فمن أظهر السؤال فهو الذي هنك ستر نفسه فلا يحذر هذا التي في اظهاره وهو كاظها الفسق على من تستر به فانه عتاور والتجسس فيه والاعتقاد بذكره منهي عنه فامان أظهره فإقامة الحد عليه إشاعة ولكن هو السبب فيها ومثل هذا الذي قال عليه عليه السلام « من أتى جلباب الحياء فلا غيبة له » (١) وقد قال الله تعالى - وألقوا ما رزقناهم سرا وعلانية - ندب إلى العلانية أيضا لما فيها من فائدة الترغيب فليكن العبد دقيق التأمل في وزن هذه الفائدة بالحدود الذي فيه فان ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص فتدبركون الاعلان في بعض الأحوال لبعض الأشخاص أفضل ومن عرف الفوائد والقوائل ولم ينظر بين الشهوة اتضح له الأولى والأليق بكل حال - الوظيفة الخامسة : أن لا يسد صدقته بالمن والأذى قال الله تعالى - لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى - واختلوا في حقيقة المن والأذى قيل للأن أن يذكرها والأذى أن يظهرها وقال صفيان من فسدت صدقته قيل له كيف للأن قال أن يذكره ويتحدث به وقيل للأن أن يستخدمه بالعطاء والأذى أن يعيره بالفقر وقيل للأن أن يتكبر عليه لأجل عطائه والأذى أن يتهره أويوجه بالسلطة وقد قال عليه السلام « لا يقبل الله صدقة منان » (٢) وعندى أن للأن له أصل ومفرس وهو من أحوال القلب وصفاته ثم يتفرع عليه أحوال ظاهرة على اللسان والجوارح فأصله أن يرى نفسه محسنا إليه ومنما عليه وحقه أن يرى الفقير محسنا إليه يقبل حق الله عز وجل منه الذي هو طهرته ونجاته من النار وأنه لو لم يقبله لبقى مرهنا به فخفه أن يتقبل مئة الفقير إذ جعل كفه نائبا عن الله عز وجل في قبض حق الله عز وجل قال رسول الله ﷺ « إن الصدقة تفع يد الله عز وجل قبل أن تقع في يد السائل » (٣) فليتحقق أنه مسلم إلى الله عز وجل حقه والفقير أخذ من الله تعالى رزقه بمصيرورته إلى الله عز وجل ولو كان عليه دين لانسأ فاحال به عبده وأخامه الذي هو متكفل برزقه لكان اعتقاد مؤدى الدين كون القايض تحت منته سقيا وجهلا فان الحسن إليه هو التكفل برزقه أما هو فائما يقضى الذي لزمه بهرام ما أحبه فهو ساع في حق نفسه فمن عن به على غيره ومهما عرف الماني الثلاثة التي ذكرناها في فهم وجوب الزكاة وأحدها لم يرتفع محسنا إلى إله نفسه إما بئله إله إظهاره الحب لله تعالى أو تطهيرا لنفسه عن رذيلة البخل وشكرا على نعمة المال طلبا للزبد وكيفا كان فلا معاملة بينه وبين الفقير حتى يرى نفسه محسنا إليه ومهما حصل هذا الجهد بأن رأى نفسه محسنا إليه تنزع منه على ظاهره ما ذكر في معنى المن وهو التحدث به وإظهاره وطلب المسكافة منه بالشكر والحمد والخدمة والتوقير والتعظيم والقيام بالحقوق والتقديم في المجالس والمناجاة في الأمور فهذه كلها محرمات للمنة في الباطن ما ذكرناه وأما الأذى فظاهرة التوبيخ والتعير وتخشين الكلام وتقطيب الوجه وهتك السر بالأظهار وقون الاستخفاف وباطنه وهو منبه أمران : أحدهما كراهيته لرفع اليد عن المال وشدة ذلك على نفسه فان ذلك يضيق الحاقا لأصالة - والثاني رؤيته أنه خير من الفقير وأن الفقير لسب حاجته أخس منه وكلاما منشؤه الجهل أما كراهية تسليم المال فهو حق لأن من كرهه بذلجرهم في مقابلة ما يساوى ألفا فهو شديد الحق ومعلوم أنه يبدل المال لطلب رضا الله عز وجل والثواب في الدار الآخرة

(١) حديث من أتى جلباب الحياء فلا غيبة له عذج في الضعفاء من حديث أنس بسند ضعيف
(٢) حديث لا يقبل الله صدقة منان هو كالأذى قبله بحديث لم أجده (٣) حديث إن الصدقة تفع يد الله قبل أن تقع في يد السائل قط في الأفراد من حديث ابن عباس وقال غريب من حديث عكرمة عنه ورواه حق في الشعب بسند ضعيف

وذلك أشرف مما يناله أو يذله لتطهير نفسه عن رذيلة البخل أو شكرًا لطلب المزيد وكيفية فرض
فالكراهة لوجه لها وأما الثاني فهو أيضا جهل لأنه لو عرف فضل القمطر على النبي وعرف خطر الأغنياء
لما استعثر الفقير بل يترك به وتعي درجته فسلحاء الأغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخساسة عام
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم «هم الآخرون ورب السكبة» فقال أبو ذر من هم قال هم الأكثرون
أموالهم الحديث ثم كيف يستعثر الفقير وقد جله الله تعالى متجرة إذ يكتب المال بمجده ويستعثر
منه ويجهد في حفظه بتقدير الحاجة وقد أزم أن يسلم إلى الفقير قدر حاجته ويكتب عنه الفاضل الذي
يضره لو سلم إليه الفاني مستخدم للمع في رزق الفقير ويتميز عليه بتقليد الظالم والتزام الشاق وحراسة
النفقات إلى أن يوت فيا كلة أعداؤه فاذن مهما انتقلت الكراهية وتبدلت بالسرور والفرح
بتوفيق الله تعالى له في أداء الواجب وتفضيه الفقير حتى يخلصه عن عهده بقبوله منه اتقى الأذى
والتريخ وتطيق الوجه وتبدل بالاستبشار والتناء ويقول الله فهذا منشأ اللئى والأذى . فان قلت
فروثه نفسه في درجة الحسن أمر غامض فهل من علامة يتبين بها قلبه فيعرف بها أنه لم ير نفسه
محسنا . فاعلم أن له علامة دقيقة واضحة وهو أن يقدر أن الفقير لو جنى عليه جناية أو مالا عدوا له
عليه مثله كان يزيد استنكاره واستباده له على استنكاره قبل الصدقة فان زاد لم تحل صدقته
عن شائبة للثمة لأنه توقع بسببه ما لم يكن يتوقعه قبل ذلك . فان قلت : فهذا أمر غامض ولا ينفك قلب
أحد عنه فما دواؤه . فاعلم أنه دواء باطن ودواء ظاهر أما الباطن فالمرقة بالحقائق التي ذكرناها في
فهم الوجوب وأن التقير هو الحسن إليه في تطهيره بالقبول وأما الظاهر فالأعمال التي يتباطها مقصد
لثة فان الأعمال التي تصدر عن الأخلاق تصنع القلب بالأخلاق كما سيأتى أسرارها في الشطر الأخير من
الكتاب ولهذا كان بعضهم ينع الصدقة بين يدي الفقير ويمثل قائما بين يديه يسأله قبولها حتى
يكون هو في صورة السائلين وهو يستشعر مع ذلك كراهية لورده وكان بعضهم ييسط كفه ليأخذ
الفقير من كفه وتكون يد الفقير هي العليا وكانت عائشة وأسلمة رضى الله عنهما إذا أرسلتا معروفا
إلى فقير قالتا للرسول احفظ ما يدعو به ثم كانتا تردان عليه مثل قوله وتقولان هذا بذلك حتى تخلص
لنا صدقتنا فكانوا لا يتوقعون الدعاء لأنه شبه الكفاة وكانوا يقاتلون الدعاء بمثله وهكذا فعل عمر
ابن الخطاب وإنه عبد الله رضى الله عنهما وهكذا كان أرباب القلوب يدأون قلوبهم ولا دواء من
حيث الظاهر إلا هذه الأعمال التي لا تنزل التذلل والتواضع وقبول اللة ومن حيث الباطن المعارف التي
ذكرناها هنا من حيث العمل وذلك من حيث العلم ولا يبالغ القلب إلا بمصون العلم والعمل وهذه
الشرطين من الزكوات تجري مجرى الخشوع من الصلاة وثبت ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم « ليس المرء
من صلاته إلا ما غفل منها (١) » وهذا كقولهم لا يتقبل الله صدقة منان وكقولهم عز وجل لا تبطلوا
صدقاتكم بالئن والأذى . وأما قوى الفقيه بوقوعها وموقعها وبراءة ذمتها عنها دون هذا الشرط
لحديث آخر وقد أشرنا إلى معناه في كتاب الصلاة . الوظيفة السادسة : أن يستصغر العظمة فانه إن
استعظمها أعجب بها والعجب من الهلكتات وهو عجب للأشغال قال تعالى - ويوم حين إذا أعجبكم
كثرتكم فلم تفر عنكم شيئا - وقال إن الطاعة كلها استصغرت عظمة عند الله عز وجل والمعية كلها
استعظمت صغر عند الله عز وجل وقيل لا يتم العرف إلا بثلاثة أمور تصغيره وتجيبله وستره
وليس الاستعظام هو اللئى والأذى فانه لو صرف ماله إلى عمارة مسجد أو رباط أمكن فيه الاستعظام
ولا يمكن فيه اللئى والأذى بل العجب والاستعظام مجرى في جميع العبادات ودواؤه علم وعمل .

(١) حديث ليس للؤمن من صلاته إلا ما غفل منها تهتم في الصلاة

عليه وسلم فوجدتهم
كأحداث لأن قلوبهم
كانت واعة ضاربت
أوعية للمعلوم عاززت
من سفاه الفهم
أخبرنا الشيخ الإمام
رضي الدين أبو الخير
أحمد بن إسماعيل
القرظي بإجازة قال
أنبأنا أبو سعيد محمد
الحلي قال أنبأنا
القاضي أبو سعيد محمد
الفرخاني قال أنبأنا
أبو إسحق أحمد بن
محمد النعماني قال أنبأنا
ابن فضال قال حدثنا
ابن حبان قال حدثنا
إسحق بن محمد قال
حدثنا أبي قال حدثنا
إبراهيم بن عيسى قال
حدثنا علي بن علي قال
حدثنا أبو حمزة الثمالي
قال حدثني عبد الله بن
الحسن قال حين زلت
هذه الآية - وتمايأذن
وأعية - قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
لمنى سألت الله سبحانه
وتعالى أن يجعلها أذنك
يا علي قال طي لما نسيت
شيئا بعد وما كان لي
أن أنسى قال أبو بكر
الواسطي أذن وصت

عن الله تعالى أسرارها
وقال أيضا وإعياة في
معادتها ليس فيها غير
ما شهدت شئ فهي
الخالية عما سواه
فاضطراب الطبائع
إلا ضرب من الجهل
قنوب الصوفية وإعياة
لأنهم زهدوا في الدنيا
بعد أن أحكموا أساس
التقوى فباتت تقوى
زكيت وشوسهم وإزهد
صفت قلوبهم فلما
علموا شواغل الدنيا
بتحقيق الزهد اختفت
مسام بواطنهم ومضت
آذان قلوبهم وأعانتهم
على ذلك زهدهم في
الدنيا فلما التفسير
وأعانة الحديث وقهواء
الإسلام أحاطوا علما
بالكتاب والسنة
واستنبطوا منها
الأحكام وردوا الحوادث
للتجسدة إلى أصول
من النصوص وحسب الله
بهم الدين وعرف
علماء التفسير وجه
التفسير وعلم التأويل
ومذاهب العرب في
اللغة وغرائب النحو
والصرف وأصول
التقصص واختلاف

أما العلم فهو أن يعلم أن العسر أو يبع العسر قليل من كثير وأما فقدت نفسه بأخس درجات البذل كما ذكرنا
في أيام الوجوب فهو خير بأن يستجيبه فكيف يستعظمه وإن ارتقى إلى الدرجة العليا فبذل كل ماله
أو أكثره فإتأمل أنهن أن المال وإلى ماذا يصرفه فإلّا لله عز وجل وله الجنة عليه إذ أعطاه ووقته
لأنه فلم يستسلم في حق الله تعالى ماضوعين حق الله سبحانه وإن كان مقامه يقتضي أن ينتقل إلى الآخرة
وأما يذله لأواب فلم يستعظم بذل ما ينتظر عليه أضعاؤه وأما العمل فهو أن يعطيه عطاء الجبل من غلّه
بإسالك بقية ماله عن الله عز وجل فكون هيبته الانكسار والحياء كهيئة من يطلب برد ودية
فيحسك بعضها ويرد البعض لأن المال كله لله عز وجل وبذل جميعه هو الأحب عند الله سبحانه وإعياة
لم يأمربه عبده لأنه يشق عليه بسبب غلّه كما قال الله عز وجل - فيحكم بينهم - . الوظيفة السابعة :
أن ينتقى من ماله أجوده وأجمل وأجله وأطيبه فإن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا وإذا كان المخرج
من شبهة فربما لا يكون مسلّا له مطلقا فلا يقع الوقوع وفي حديث أبيان عن أنس بن مالك طوى لبيد
أشقى من مال اكتسبه من غير معصية (١) وإذا لم يكن المخرج من جيد المال فهو من سوء الأدب إذ
قد عسك الجيد لنفسه أوليده وأولاهه فيكون قدأرطى الله عز وجل غيره ولو لم هذا يضيفه موقته
إليه أردأ طعام في بيته لأوغر بذلك صدره هذا إن كان نظره إلى الله عز وجل وإن كان نظره إلى نفسه
وثوابه في الآخرة فليس بماتل من يؤثر غيره على نفسه وليس لمن ماله إلا ما تصدق به فأبقى أوأ كل فأنى
والله بأى كله قضاء وطر في الحال فليس من العقل قصر النظر على العاجلة وترك الادخار وقد قال الله تعالى
- يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه
تنتفون ولستم بأخذيه إلا أن تمضوا فيه - أى لاتأخذوه إلا مع كراهية وحياء وهو معنى الانغاض
فلا تؤثروا به ربحكم وفي الخبر سبق درهم مائة ألف درهم (٢) وذلك بأن يخرج جرحه الإنسان وهو من أجل
ماله وأجوده فيصدر ذلك عن الرضا والفرح بالبذل وقد يخرج مائة ألف درهم بما يكرهه من ماله فيدل
ذلك أنه ليس يؤثر الله عز وجل بشئ مما يحببه وبذلك ثم الله تعالى قوما جساؤه ما يكرهون
فقال تعالى - ويحبون قه ما يكرهون وتصفأ لتهم الكذب أن لهم الحسنة - وقف بعض القراء
على النقي تكذيبهم ثم ابتداء وقال - جرم أن لهم النار - أى كسبهم جملهم قه ما يكرهون النار .
الوظيفة الثامنة : أن يطلب لصدقة من تزكو به الصدقة ولا يكتفى بأن يكون من عموم الأنصاف
الثانية فإن في عمومهم خصوص صفات فليراع خصوص تلك الصفات وهي ستة : الأولى أن يطلب
الأشياء للمرضين عن الدنيا للتجدين لتجارة الآخرة قال صلى الله عليه وسلم « لاتأكل إلا طعام
تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى (٣) » وهذا لأن التقى يستعين به على التقوى فيكون شريكا له في
طاعته بامانتك إياها وقال صلى الله عليه وسلم « أطعموا طعامكم الأضياء وأولوا معروفكم المؤمنين (٤) »
وفي لفظ آخر « أئف بطعامك من محبة في الله تعالى (٥) » وكان بعض العلماء يؤثر بالطعام قراء
الصوفية دون غيره من قبيله ولعممت بعرفك جميع الفقراء لكان أفضل فقال لأهلأه لوقته همهم
له سبحانه فإذا طرقتهم فاقه تشتت هم أحدهم فلان أردمة واحد إلى الله عز وجل أحب إلى

(١) حديث أنس طوى لبيدأشقى من مال اكتسبه من غير معصية عدو الزار (٢) حديث سبق درهم
مائة ألف ن حب وصحبه من حديث أبي هريرة (٣) حديث لاتأكل إلا طعام تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى
د من حديث أبي سعيد بلطف لاصحب للإمؤنا ولا يأكل طعامك إلا تقى (٤) حديث أطعموا طعامكم
الأضياء وأولوا معروفكم المؤمنين ابن المبارك في البر الوصال من حديث أبي سعيد الخدري قال بن طاهر
غريب في مجهول (٥) حديث أئف بطعامك من محبة الله ابن المبارك أئفأنا جوس عن الفضاك مرسل .

من أن أعطى أمّا من حمت الدنيا فقد ذكر هذا السلام الجليل فاستحسنه وقال هذا ولي من أولياء الله تعالى وقال ما سمعت منذ زمان كلاماً أحسن من هذا ثم حكى أن هذا الرجل اختل حاله وهو ترك الحانوت فبث إليه الجند مالا وقال اجعله بضاعتك ولا تترك الحانوت فإن التجارة لا تضر مثلك وكان هذا الرجل قالاً لا يأخذ من الفقراء ممن مايتاعون منه . الصفة الثانية : أن يكون من أهل العلم خاصة فإن ذلك إمانة على العلم والعلم أشرف المبادات مهما تمت فيه النية وكان ابن المبارك يخص بعرفه أهل العلم فقيل له لو سمعت قال إني لأعرف بمقدم النبوة أفضل من مقام العلماء فإذا اشتغل قلب أحدهم بحاجة لم يفرغ العلم ولم يقبل على التعلم فنفر بعضهم العلم أفضل . الصفة الثالثة : أن يكون صادقا في تقواه وعلمه بالتوحيد وتوحيده أنه إذا أخذ العطاء حمد الله عز وجل وشكره ورأى أن النعمة منه ولم ينظر إلى واسطة فهذا هو أشكر المباداة سبحانه وهو أن يرى أن النعمة كلها منه وفي وصية لقمان لابنه لا تجعل بينك وبين الله منعا واعد نعمة غيره عليك مغرما ومن شكر غير الله سبحانه فكأنه لم يعرف النعم ولم يتيقن أن الواسطة معقور مسخر بتسخير الله عز وجل إذ سلب الله تعالى عليه دوائى الفعل وبسرله الأسباب فأعطى وهو معقور ولواراد تركه لم يقدر عليه بعد أن ألقى الله عز وجل في قلبه أن صلاح دينه ودنياه في قلبه فوي الباعث أوجب ذلك جزم الارادة واتهاض القدرة ولم يستطع العبد مخالفة الباعث القوى الذى لا ترد فيه والله عز وجل خالق البوائت ومهيجه ومزيل الضعف والتردد عنها ومسخر القدرة للاتباش بمقتضى البوائت فمن تيقن هذا لم يكن له نظر إلا إلى مسبب الأسباب وتيقن مثل هذا البعد أنفع للمعطي من ثناء غيره وشكره وذلك حركة لسان قبل في أكثر جدواه وإمانه مثل هذا البعد للوح لا تضيق . وأما الذى يمنح البعثة ويدعو بالحير فيقسم بالنع ويدعو بالشر عند الإيذاء وأحواله متفاوتة وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم « بث معروفاً إلى بعض الفقراء وقال للرسول احفظ مايقول فلما أخذ قال الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره ولا ينسى من شكره ثم قال اللهم إنك لم تنس فلانا يعنى نفسه فاجعل فلانا لا ينساك يعنى جلان نفسه فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فسرّ وقال صلى الله عليه وسلم : عفت أنه يقول ذلك (١) » فانظر كيف قصر التفاته على الله وحده وقال صلى الله عليه وسلم « لرجل تب فقال أنوب إلى الله وحده ولا أنوب إلى محمد فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لأهله (٢) » ولما نزلت براءة عائشة رضى الله عنها في قصة الإفك قال أبو بكر رضى الله عنه قولى قبلى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم قتالت والله لأفضل ولا أحمد إلا الله فقال صلى الله عليه وسلم دعها يا أبا بكر (٣) وفى

وجوه القراءة وصنفوا في ذلك الكتب فالتس بطريقهم علوم القرآن على الأمة وأئمة الحديث ميزوا بين الصحاح والחסان وتفرّدوا بعرفة الرواة وأسامى الرجال وحكموا بالجرى والتعديل ليتبين الصحيح من السقيم ويشير للموج من السقيم فيحفظ بطريقهم طريق الرواية والسند حفظا للسنة وانتدب الفقهاء لاستنباط الأحكام والتفريع في المسائل ومعرفة التعليل ورد الفروع إلى الأصول بالعلل الجوامع واستنباط الحوادث بحكم النصوص وتفرع من علم الفقه والفقه والأحكام علم أصول الفقه وعلم الخلاف وتفرع من علم الخلاف علم الجدل وأصول علم أصول الفقه إلى شيء من علم أصول الدين وكان من علمهم علم الفرائض وزعم منه علم الحساب والجبر والقياس إلى غير ذلك فتهمدت الشريعة

(١) حديث بث معروفاً إلى بعض الفقراء وقال للرسول احفظ مايقول فلما أخذته قال الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره الحديث لم أجده أصلاً إلا في حديث ضعيف من حديث ابن عمر روى ابن منده في الصحابة أوله ولم يسبق هذه القطعة التى أوردتها للضعف وبمى الرجل حديثاً قد روينى من طريق البيهقي أنه وصل جلد من أبي الرداء ثوب قال اللهم إنك لم تنس حديثاً فاجعل حديثاً لا ينساك وقيل إن هذا آخر لأصحته يكنى أباجيرة وقد ذكره ابن حبان في ثقات التابعين (٢) حديث قال رجل تب فقال أنوب إلى الله ولا أنوب إلى محمد الحديث أحمد وطلب من حديث الأسود بن سريح بسند ضعيف (٣) حديث لما نزلت براءة عائشة قال أبو بكر قولى قبلى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث د من حديث عائشة بلفظ قتالت لا والله لا أقوم إليه ولا أجده ولا أحمدك ولكن أحمد الله ، والله لمسلم قتالتنى أمى قولى قبلى لا والله لا أقوم إليه ولا أجده ولا أحمدك ولا والله ولا طبرانى قتالت

وتأيدت واستقام الدين
الحنيف وضرع وتأصل
الهدى النبوى
الصبطوى فأثبتت
أراضى قلوب العلماء
الكلأ والشب عا
قبلت من مياه الحياة
من الهدى والعلم قال
الله تعالى - أزل من
السماء فالت أودية
بقدرها - قال ابن
عباس رضى الله عنها
لواء العلم والأودية
القسوب قال أبو بكر
الواسطى رضى الله عنه
خلق الله تعالى ذرة
صافية فلا حظها بين
الجلال فذات حياء
منه فالت قال أزل
من السماء ماء فالت
أودية بقدرها فالت
القبوب من وصول ذلك
لواء إليها - وقال ابن
عباد أزل من السماء
ماء هذا مثل ضربه
الله تعالى لقبه وذلك
إذا ساله السيل في
الأودية لا يبقى في
الأودية نجاسة
إلا كنسها وذهب بها
كذلك إذا سال النور
الذى - قسمه الله تعالى
لعبه في نفسه لا تبقى

لنذا آخر أنها رضى الله عنها قالت لأبي بكر رضى الله عنه بحمد الله لا عمدك ولا عمد صاحبك فذكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها ذلك مع أن الوحى وصل إليها لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورؤية الأشياء من غير الله سبحانه وصف الكافرين قال الله تعالى - وإذا ذكر الله وحده اشتارت قلوب
الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون - ومن لم يصف باطنه عن رؤية
الوسائط إلا من حيث إنهم وسائط فكانه لم ينفك عن الشرك الحقيقى سره فليتب الله سبحانه في قصبة
توحيد عن كدورات الشرك وشوائبه . الصفة الرابعة : أن يكون مستترا عني حاجته لا يكثر البث
والشكوى أو يكون من أهل اللزوة عن ذمت نعمته وحيث عادته فهو يتعيش في جلاب التجمل
قال الله تعالى - يحسر الجاهل لأغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا - أى لا يلجون
في السؤال لأنهم أغنياء فيقنهم أعز بصبرهم وهذا ينشئ أن يطلب بالتمسك عن أهل الدين في كل عمة
ويستكشف عن بواطن أحوال أهل الخير والتجمل قلوب صرف للمعروف إليهم أمتاع ما يصرف
إلى المجهزين بالسؤال . الصفة الخامسة : أن يكون معيلا أو عمو سامع عرض أو سبب من الأسباب فيوجد
فيه معنى قوله عز وجل - للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله - أى حبسوا في طريق الآخرة بقاء أو
ضيق معيشة أو إصلاح قلب - لا يستطيعون ضربا في الأرض - لأنهم مقصودوا الجناح فيقيدوا الأطراف
فهذه الأسباب كان عمر رضى الله عنه يعطى أهل البيت القطيع من الثمن المشرة فافوتها وكان صلى
الله عليه وسلم يعطى العطاء على مقدار البيلة (١) وسئل عمر رضى الله عنه عن جهد البلاء فقال كثر
العيال وقلة المال . الصفة السادسة : أن يكون من الأقارب وذوى الأرحام فكون صدقة وصلتهم
وفي صلة الرحم من الثواب مالا يحصى . قال صلى الله عليه وسلم - أحب إلى من أن أتصدق بإحدى يدي
إلى من أن أتصدق بشئ من درهمي وألأصل أخا من إخوتي بدرهم أحب إلى من أن أتصدق بمائة درهم ولأن
أصله بمائة درهم أحب إلى من أن أتصدق بقرية والأصدقاء وإخوان الخير أيضا يقدمون على المعارف كما
يتقدم الأقارب على الأجانب فليراع هذه المعانيق فهذه هي الصفات المطلوبة في كل مفترجات فينبى
أن يطلب أعلاها فان وجد من جمع جملة من هذه الصفات فهي الذخيرة الكبرى والنتيجة العظمى
ومهما اجتهد في ذلك وأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد فان أجره في الحال تطوره
نفسه عن صفة البخل وتأكيده حب الله عز وجل في قلبه واجتهاده في طاعته وهذه الصفات هي التي
تقوى في قلبه فتشوقه إلى لقاء الله عز وجل والأجر الثاني ما يوجد إليه من فائدة دعوة الأخذ وممته
فان قلوب الأبرار لها آثار في الحال والآل فان أصاب حصل الأجران وإن أخطأ حصل الأول دون
الثاني فهنا يضاهف أجر للصعب في الاجتهاد ههنا وفي سائر المواضع والله أعلم .

(الفصل الثالث في القايض وأسباب استحقاقه وظوائف قبضه)

(بيان أسباب الاستحقاق)

اعلم أنه لا يستحق الزكاة إلا حرم مسلم ليس بهاشمى ولا مطلي اصف بصفتين صفات الأصناف الثمانية
للكورين في كتاب الله عز وجل ولا تصرف زكاة إلى كافر ولا إلى عبد ولا إلى هاشمى ولا إلى مطلي

بحمد الله لا عمد صاحبك ، وله من حديث ابن عباس قتالت لا عمدك ولا عمد صاحبك ، وله من
حديث ابن عمر قتال أبو بكر قوى فاحتضن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتالت لا والله لا أدنونه
الحديث وفيه أنها قالت لئن صلى الله عليه وسلم بحمد الله لا عمدك (١) حديث كان يعطى العطاء
على مقدار البيلة لم أر له أصلا ولا في داود من حديث عوف بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان إذا أتاه النقي - قسمه في يومه وأعطى الأهل حظين وأعطي العزب حظا .

أما الصبي والمجنون فيجوز الصرف إليهما إذا قبض ولهما ما نذكر صفات الأصناف الثلاثة . السنف الأول الفقراء : والفقير هو الذي ليس له مال ولا قدرة على الكسب فإن كان معه قوت يومه وكسوة حاله فليس بفقير ولكنه مسكين وإن كان معه نصف قوت يومه فهو فقير وإن كان معه قبض وليس معه مندبل ولا خف ولا سراويل ولم تمكن قبة القميص بحيث تفي بجميع ذلك كإلباق الفقراء فهو فقير لأنه في الحال لا يقدم ما هو محتاج إليه وما هو عاجز عنه فلا يشترط أن يشترط في الفقير أن لا يكون له كسوة سوى سائر المورة فإن هذا غلو^١ والقالب أنه لا يوجد مثله ولا يخرج من عن القوم كونه متعاددا للسؤال فلا يجعل السؤال كسبا بخلاف ما لو قدر على كسب فإن ذلك يخرج من الفقر فإن قدر على الكسب بألة فهو فقير ويجوز أن يشتري له آلة وإن قدر على كسب لإلباق يومه وبمال مثله فهو فقير وإن كان متفقا وبمنه الاشتغال بالكسب عن التفقه فهو فقير ولا تعتبر قدرته وإن كان متعبدا بمنه الكسب من وظائف العبادات وأورد الأوقات فليكتب لأن الكسب أولى من ذلك قال صلى الله عليه وسلم « طلب الحلال فرصة بعد القرصة (١) » وأراد به السعي في الاكتساب وقال عمر رضي الله عنه كسب في شبهة خير من مسئلة وإن كان مكثيا بنفقة أبيه أو من تجب عليه نفقته فهذا أهون من الكسب فليس بفقير . السنف الثاني للساكنين : والمسكين هو الذي لا يفي دخله بخروجه قديما لك ألف درهم وهو مسكين وقد لا يملك إلا فأسا وجلا وهو غني والدورة التي يسكنها والثوب الذي يستريح على قدر حاله لا يسلبه اسم المسكين وكذا أثاث البيت أعني ما يحتاج إليه وذلك ما يليق به ولكن كتب الفقه لا يخرج من المسكنة وإذا لم يملك إلا الكتب فلا تفرمه صدقة الفطر وحكم الكتاب حكم الثوب وأثاث البيت فإنه محتاج إليه ولكن ينبغي أن يحاط بقطع الحاجة بالكتاب فالحاجة بالكتاب محتاج إليه لثلاثة أغراض : العلم والاستفادة والتفرج بالمطالعة أما حاجة التفرج فلا تعتبر كاتناء كتب الأشعار وتواريخ الأخبار وأمثال ذلك مما لا ينفع في الآخرة ولا يجري في الدنيا إلا يجري التفرج والاستئناس فهذا يباع في الكفار وتوز كاة الفطر ومنع اسم المسكنة وأما حاجة التعليم كان لأجل الكسب كالمؤدب والعليل للدرس بأجرة فهذه آله فلا تباع في الفطرة كأدوات الحياطة وسائر الحرفين وإن كان يدرس للقيام بفرض الكفاية فلا تباع ولا يسلب ذلك اسم المسكين لأنها حاجة مهمة وأما حاجة الاستفادة والتعليم من الكتاب كدخا له كتب طب ليعالج بها نفسه أو كتاب وعظ ليطالع فيه ويتعظ به فإن كان في البلد طبيب وواعظ فهذا مستغنى عنه وإن لم يكن فهو محتاج إليه ثم ربما لا يحتاج إلى مطالعة الكتاب إلا بعد مدة فينبغي أن يضبط مدة الحاجة والأقرب أن يقال مالا يحتاج إليه في السنة فهو مستغنى عنه فإن من فضل من قوت يومه مشي ثممته الفطرة فإذا قدرنا القوت باليوم فحاجة أثاث البيت وثياب البدن ينبغي أن تقدر بالنسبة لاتباع ثياب الصيف في الشتاء والكتب والياب والأثاث أشبه وقد يكون لمن كتاب نستحتاج فلا حاجة إلى إحداها . فإن قال إحداها أمسحوا بالآخرى أحسن فأنما محتاج إليهما . قلنا أكف بالأصح وبمع الأحسن ودع التفرج والترفيه وإرب كان نستحتاج من علم واحد إحداها بسيطة والآخرى وجيزة فإن كان مقصوده الاستفادة فليكتف بالبسيطة وإن كان قصده التدريس فيحتاج إليهما إذ في كل واحدة فائدة ليست في الأخرى وأمثال هذه الصور لا تنحصر ولم تعرض له في فن الفقه وإنما أوردناه لعموم البلوى والتنبيه بحسن هذا النظر على غيره فإن استقصاء هذه الصور غير ممكن إذ يتعدى مثل هذا النظر إلى أثاث البيت في مقدارها وعددها ونوعها وفي ثياب البدن

(١) حديث طلب الحلال فرصة بعد القرصة بعد الفرض الطبراني والبيهقي في شعب الأيمان من حديث ابن مسعود بسند ضعيف .

فيمنغلة ولا ظلة أنزل من السماء ماء يني قسمة الثور فصالت أودية بقدرها يني في القلوب الأنوار على ما قسم الله تعالى لها في الأول - فأما الزيد فيذهب جفاء - فقصير . القلوب منورة لا يني فيها جفوتها وأما ما ينفع الناس فيصحت ي . الأرض - تذهب البواطل وتبقى الحقائق وقال بعضهم أنزل من السماء ماء أنواع الكرامات فأخذ كل قلب بحظه ونصيبه فصالت أودية قلوب علماء التفسير والحديث والفقه بقدرها وسالت أودية قلوب الصوفية من العلماء الزاهدين في الدنيا للتمسكين بحقائق التقوى بقدرها فمن كان في باطنه لوث محبة الدنيا من فضول المال والجاه وطلب للناسب والرفعة سأل وادى قلبه بقدره فأخذ من العلم طرفا صالحا ولم يحظ بحقائق العلوم ومن زهد في الدنيا اتسع وادى قلبه

فسالت فيه مياه الملوء واجتمعت وصارت أخاذات. قيل للحسن البصري هكذا قال الفقهاء فقال وهل رأيت قسما قط إنما القتيه الزاهد في الدنيا فالصوفية أخذوا حظا من علم الدراسة فأقدم علم الدراسة العمل بالله فلما عملوا بما علموا أقامهم العمل على الورقة فهم مع سائر العلماء في علومهم وتعمروا عنهم بعلوم زائدة هي علوم الورقة وعلم الورقة هو القتيه في الدين قال الله تعالى - فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم - فصار الأئمة مستفادا من الفقه والانداز إحياء للتدريج العلم والإحياء بالعلم رببة القتيه في الدين فصار الفقه في الدين من أكل للرباب وأعلها وهو علم العالم الزاهد في الدنيا للقي الذي يبلغ رتبة الانداز بلسه ثمورد العلم

وفي الدار وسعها وضيقتها وليس لهذه الأمور حدود محدودة ولكن القتيه يجتهد فيها برأيه وقرب في التعديلات بما يراه ويقتحم فيه خطر الشبهات والتورع يأخذ فيه بالأحوط ويدع ما يريه إلى ما لا يريه والدرجات للتوسط الشكلة بين الأطراف المتقابلة الجلية كثيرة ولا ينحى منها إلا الاحياط والله أعلم . الصف الثالث العاملون : وهم السعاة الذين يجمعون الزكوات سوى الخليفة والقاضي ويدخل فيه العريف والسكاتب والمستوفى والحافظ والقائل ولا يزداد واحد منهم على أجرة المثل فان فضل شيء من الثمن عن أجر مثلهم رد على بقية الأصناف وإن نقص كل من مال المصالح . الصف الرابع المؤلفة قلوبهم على الاسلام : وهم الأشراف الذين أسلموا وهم مطاعون في قومهم وفي إعطائهم تفرهم على الاسلام وترغب نظائرهم . وأتباعهم . الصف الخامس المكاتبون : فيدفع إلى السيد سهم المكاتب وإن دفع إلى المكاتب جاز ولا يدفع السيد زكاته إلى مكاتب نفسه لأنه يعد عبدا له . الصف السادس القارمون : والقارم هو الذي استقرض في طاعة أو مباح وهو فقير فان استقرض في مصيبة فلا يعطى إلا إذا تاب وإن كان غنيا لم يقض دينه إلا إذا كان قد استقرض لمصلحة أو إطفاء فنة . الصف السابع التزاة : الذين ليس لهم مرسوم في ديوان المرتزة فيصرف إليهم سهم وإن كانوا أغنياء إعانة لهم على النزو . الصف الثامن ابن السيل : وهو الذي شخص من بلده ليسافر في غير مصيبة أو اجتاز بها فيعطى إن كان فقيرا وإن كان له مالا يملك آخر أعطى بقدر بلسته فان قلت فهم تعرف هذه الصفات قلنا أما الفقر والسكينة فيقول الأخذ ولا يطلب بينة ولا يخلف بل يجوز اعتقاد قوله إذا لم يعلم كذبه وأما النزو والسفر فهو أمر مستقبل فيعطى بقوله إن غار فان لم يف به استرد وأما بقية الأصناف فلا بد فيها من البينة فهذه شروط الاستحقاق وأما مقدار ما يصر في كل واحد فسيأتي .

(بيان وظائف التائب وهي خمسة)

الأولى : أن يعلم أن الله عز وجل أوجب صرف الزكاة إليه لكي يفي به ويجعل هومه ما واحدا فقد عبد الله عز وجل الخلق بأن يكون همهم واحدا وهو الله سبحانه واليوم الآخر وهو الحق بقوله تعالى - وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون - ولكن لما اقتضت الحكمة أن يسلب على البعد الشهوات والحاجات وهي تفرق همهم اقتضى الكرم إفاضة نعمة تكفي الحاجات فأكثر الأموال وصحبها في أبدي عياده لتكون آية لهم في دفع حاجاتهم وسيلة لتفرغهم لطاعتهم فهم من أكثر ماله فنة وبلية فأقبحه في الخطر ومنهم من أحبه عشاء عن الدنيا كما عصى للشفق مرضه فزوى عنه فضولها وساق إليه قدر حاجته على يد الأغنياء ليكون سهل الكسب والتعب في الجمع والحفظ عليهم وفالذمة تنصب إلى الفقراء فيتجردون لعبادة الله والاستعداد لما بعد الموت فلا تصرفهم عنها فضول الدنيا ولا تشغلهم عن التأهب للقائه وهذا منتهى النعمة حق الفقير أن يعرف قدر نعمة الفقر ويشحق أن فضل الله عليه فيما زواه عنه أكثر من فضله فيما أعطاه كما سيأتي في كتاب الفقر تحقيقه ويانه إن شاء الله تعالى فليأخذ ما يأخذ من الله سبحانه رزقا وعونا له على الطاعة ولتكن نيته فيه أن يتقوى به على طاعة الله فان لم يقدر عليه فليصرفه إلى ما أباحه الله عز وجل فان استعان به على مصيبة الله كان كافرا لأنهم الله عز وجل مستحقا للبعد والمثقت من الله سبحانه . الثانية : أن يشكر المولى ويدعو له ويثني عليه ويكون شكره ودعاؤه بحيث لا يخرج عن كونه واسطة ولكنه طريق وصول نعمة الله سبحانه إليه وللا طريق حق من حيث جعله الله طريقا واسطة

وذلك لا ينافي رؤية النعمة من الله سبحانه فقد قال صلى الله عليه وسلم « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » (١) وقد أتى الله عز وجل على عباده في مواضع على أعمالهم وهو خالقها وخالق قدرته عليها نحو قوله تعالى - ثم المبدإ أنه أواب - إلى غير ذلك وليل القاضى في دعائه طهر الله قلبك في قلوب الأبرار وزكى عمالك في عمل الأخيار وصلى طي روحك في أرواح الشهداء وقد قال صلى الله عليه وسلم « من أسدى إليك معروفا فكافئوه فإن لم تستطيعوا فادعوا له حتى تملوا أنكم قد كافأتموه » (٢) ومن تمام الشكر أن يستر عيوب العطاء إن كان فيه عيب ولا يغفوه ولا ينميه ولا يعيره بالنع إذا منع ويختم عند نفسه وعند الناس صنيعه فوظيفة العطاء الاستصغار ووظيفة القاضى تقلد الله والاستعظام وعلى كل عبد القيام بحقه وذلك لاتناقض فيه إذ موجبات التصغير والتعظيم تتعارض والتنفع للمعنى ملاحظة أسباب التصغير ويضرب خلافه والأخذ بالعكس منه وكل ذلك لا يناقض رؤية النعمة من الله عز وجل فإن من لا يرى الواسطة واسطة قد جهل وإعيا للشكر أن يرى الواسطة أصلا . الثالثة : أن ينظر فيما يأخذه فإن لم يكن من حله تورع عنه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ولن يصد التورع عن الحرام تورعا من الحلال فلا يأخذ من أموال الأثراك والجنود وعمال السلاطين ومن أكثر كسبه من الحرام إلا إذا ضاق الأمر عليه وكان ما يسلم إليه لا يعرف له مالكا معينا فله أن يأخذ بقدر الحاجة فإن توى الشرع في مثل هذا أن يصدق به على ماسأى بيانه في كتاب الحلال والحرام وذلك إذا عجز عن الحلال فاذا أخذ لم يكن أخذه أخذ زكاة إذ لا يقع زكاة عن مؤديه وهو حرام . الرابعة : أن يتولى مواقع الرية والاحتياطة في مقدار ما يأخذه فلا يأخذ إلا للقدار اللبايح ولا يأخذ إلا إذا تحقق أنه موصوف بصفة الاستحقاق فإن كان يأخذه بالكتابة والرامة فلا يزيد على مقدار الدين وإن كان يأخذ بالعمل فلا يزيد على أجره الثل وإن أعطى زيادة أبى وامتنع إذ ليس المال للمعنى حتى يتبرع به وإن كان مسافرا لم يزد على الزاد وكراه الدابة إلى مقصده وإن كان غازيا لم يأخذ إلا ما يحتاج إليه للفرز خاصة من خيل وسلاح وثقة وتقدير ذلك بالاجتهاد وليس له حد وكذا زاد السفر والورع ترك ما يره إلى ما يره وإن أخذ بالمسكنة فلينظر أولا إلى أنثا بيته وثيابه وكنيته هل فيها ما يستغنى عنه بينه وأبيته عن قفاسه فيمكن أن يدل بما يكتفى وبفضل بعض قيمته وكل ذلك إلى اجتباؤه وفيه طرف ظاهر يتحقق معه أنه مستحق وطرف آخر مقابل يتحقق معه أنه غير مستحق وبينهما أوساط مشبهة ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه والاعتقاد في هذا على قول الأخذ ظاهرا وللحاج في تقدير الحاجات مقامات في التضييق والتوسيع ولا تنحصر مراتبه وميل الورع إلى التضييق وميل للتساهل إلى التوسيع حتى يرى نفسه محتاجا إلى فنون من التوسع وهو محموت في الشرع . ثم إذا تحققت حاجته فلا يأخذ مالا كثيرا بل ما ينجم كفايته من وقت أخذه إلى سنة فهذا أقصى ما يرضى فيه من حيث إن السنة إذا تكررت تكررت أسباب الدخل ومن حيث إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخر ليماله قوت سنة (٣) فهذا أقرب ما يجد به حد الفقير والسكين

(١) حديث من لم يشكر الناس لم يشكر الله ت وحسنه من حديث أبي سعيد وله ولأبي داود وابن حبان نحوه من حديث أبي هريرة وقاله حسن صحيح (٢) حديث من أسدى إليك معروفا فكافئوه الحديث د ن من حديث ابن عمر باسناد صحيح بلفظ من صنع (٣) حديث أخر ليماله قوت سنة أخرجه من حديث عمر كان يميز نفقة أهله سنة وللطبراني في الأوسط من حديث أنس كان إذا أخر لاهله قوت سنة تصدق بما بقي قال الذهبي حديث منكرو .

واللهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا ورد عليه الهدى والعلم من الله تعالى فارتوى بذلك ظاهرا وباطنا فظهر من ارتواء ظاهره الدين والدين هو الاقياد والخضوع مشتق من الهدى فكل شيء اتضع فهو دون فالدين أن يضع الانسان نفسه لربه قال الله تعالى بشرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى ويعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه فالتفرق في الدين يستولى الدين على الجوارح وتذهب عنها نضارة العلم والنضارة في الظاهر يستزيين الجوارح بالاجتهاد في النفس وللمال مستفاد من ارتواء القلب والقلب في ارتوائه العلم بتجاة البصر يضار قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم العلم والهدى بحر مواجا فهو وصل من بحر قلبه إلى النفس

فظهر على نفسه الشرعة
شارة السلم وريه
فبدلت نوت الناس
وأخلاقها . ثم وصل
إلى الجوارح جدول
ضارت رياه ناضرة
فلما استتم نضارة
وامتلاء رياهه الله
تعالى إلى الخلق فأقبل
على الأمة بقلب موج
بياه العلوم واستقبل
جدول القوم وجرى
من عمره في كل جدول
قسط ونصيب وذلك
القسط الواصل إلى
القوم هو الفقه في
الدين . روى عبد الله
ابن عمر رضي الله عنهما
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال « ما عبد
الله عز وجل شيء
أفضل من فقه في الدين
ولفقيه واحد أشد على
الشيطان من ألف مساحد
ولكل شيء عماد وعماد
هذا الدين الفقه » .

حدثنا شيخنا شيخ
الإسلام أبو الحبيب
إمامنا قال حدثنا سعيد
ابن حفص قال حدثنا
أبو طالب الزبي قال
أخبرتني كريمة بنت
أحمد بن محمد البرزنجي

ولو انحصر على حاجة شهره أو حاجة يومه فهو أقرب للتقوى . ومذهب المالكي قدر لما خوذ عنكم الزكاة
والصدقة مختلفة فمن مبالغ في التقليل إلى حد واجب الاقتصار على قدر قوت يومه وليكف وتمسكوا بما روى
سهل بن الحنظلية « أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن السؤال مع التقى فمثل عن غناه فقال **عذاه** غداؤه
وعشاؤه ^(١) » وقال آخرون يأخذ إلى حد التقى وحد التقى نصاب الزكاة إذ لم يوجب الله تعالى الزكاة
إلا على الأغنياء فقالوا له أن يأخذ بنفسه ولكل واحد من عياله نصاب زكاة وقال آخرون حد التقى
خمسون درهما أو قيمتها من الذهب لما روى ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال « من سأل وله
مال يتبعه يوم القيامة وفي وجهه خوص فمثل وما غناه قال خمسون درهما أو قيمتها من الذهب ^(٢) »
وقيل رواه ليس بقوى وقال قوم أربعون لما روى عطاء بن يسار منقطعاً أنه صلى الله عليه وسلم قال
« من سأل وله أوقية فقد ألحف في السؤال ^(٣) » وبالحق آخرون في التوسع فقالوا له أن يأخذ
مقدار ما يشتري به ضيعة فيستفي به طول عمره أو يبيعه بضاعة ليتخير بها ويستفي بها طول عمره
لأن هذا هو التقى وقد قال عمر رضي الله عنه إذا أعطيت فأغنوا حتى ذهب قوم إلى أن من
اقتصر فله أن يأخذ بقدر ما يعبود به إلى مثل حاله ولو عشرة آلاف درهم إلا إذا خرج عن حد
الاعتدال ولما شغل أبو طلحة يستأنه عن الصلاة قال جعلته صدقة فقال صلى الله عليه وسلم « اجعله
في قرابتك فهو خير لك ^(٤) » فأعطاه حسان وأباتادة فحاطت من نخل لرجلين كثير . ومن أعطى
عمر رضي الله عنه أعراباً ثمانية معها ظئراً لها فهذا ما حكي فيه فأما التقليل إلى قوت اليوم أو الأوقية
فذلك ورد في كراهية السؤال والتردد على الأبواب وذلك مستنكر وله حكم آخر بل التجوز إلى
أن يشتري ضيعة فيستفي بها أقرب إلى الاحتال وهو أيسر مائل إلى الاسراف والأقرب إلى الاعتدال
كفاية سنة فيرواه فيه خطر وفيه دونه تصديق وهذه الأمور إذا لم يكن فيها تهدر جزء بالتوقيف
فليس للمجتهد إلا الحكم بما يقع له ثم يقال لا ورع « استفت قلبك وإن أفوتك وأفوتك ^(٥) » كقوله
صلى الله عليه وسلم إذا أتم حزاز القلوب فإذا وجد القابض في نفسه شيئاً مما يأخذه فليتركه
ولا يترخص تملأ بالتقوى من علماء الظاهر فإن لتواهم قيوداً ومطلقات من الضرورات وفيها
تخمينات واقتحام شبهات والتوقى من الشبهات من شيع ذوى الدين وعادات السالكين لطريق
الأخرة . الخامسة : أن يسأل صاحب المال عن قدر الواجب عليه فإن كان ما يعطيه فوق الثمن
فلا يأخذه منه فإنه لا يستعقب مع شريكه إلا الثمن فليقتص من الثمن مقدار ما يصرف إلى اتين
من صفته وهذا السؤال واجب على أكثر الخلق فاهم لا يراعون هذه القسمة إما جهل وإما لغسائل
وإنما يجوز ترك السؤال عن مثل هذه الأمور إذا لم يبل على الظن احتمال التحريم وسيأتي ذكر
مطابق السؤال ودرجة الاحتمال في كتاب الحلال والحرام لإنشاء الله تعالى .

(١) حديث سهل بن الحنظلية في الثمن عن النبي صلى الله عليه وسلم مع السؤال مع التقى فيسأل ما ينهيه فقال غداؤه وعشاؤه
د حب بلفظ من سأل وله ما ينهيه فأما يستكثر من جرهم الحديث (٢) حديث ابن مسعود
من سأل وله ما ينهيه جاء يوم القيامة وفي وجهه خوص الحديث أصحاب السنن وحسنه ت وضعه
النسائي والخطابي (٣) حديث عطاء بن يسار منقطعاً من سأل وله أوقية فقد ألحف في السؤال
د ن من رواية عطاء بن رجل من بني أسد متصلاً وليس بمتقطع كما ذكره الصنف لأن الرجل
صحابي فلا يضرب عدم تسميته وأخرجه د ن حب من حديث أبي سعيد (٤) حديث لما شغل
أبو طلحة يستأنه عن الصلاة قال جعلته صدقة تهدم في الصلاة (٥) حديث استفت قلبك وإن
أفوتك تهدم في العلم .

(الفصل الرابع في صدقة التطوع وفضلها وآداب أخذها وإعطائها)

(بيان فضيلة الصدقة)

من الأخبار : قوله صلى الله عليه وسلم « تصدقوا ولو بشرة فانها تسد من الجائع وتطفي الحظيئة كايطيني » ^(١) الله النار ^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم « اتقوا النار ولو بشق تمره فان لم تجدوا فبكلعة طيبة » ^(٣) وقال ^(٤) مامن عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الاطيبا الا كان الله اخذها يجيبه فيها كاي ربي احكم فضله حتى تبلغ التمرة مثل احد ^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم لا يلى الرداء « اذا طبخت مرققة فأكثر ماها ثم انظر الى أهل بيت من جيرانك فأصهبهم بمرووف » ^(٦) وقال صلى الله عليه وسلم « ما أحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله عز وجل الخلافة على تركته » ^(٧) وقال صلى الله عليه وسلم « كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس » ^(٨) وقال ^(٩) الصدقة تسد سبعين بابا من الشر ^(١٠) وقال صلى الله عليه وسلم « صدقة السر تطفي غضب الرب عز وجل » وقال ^(١١) ما الذى أعطى من سعة بأفضل أجرا من الذى يقبل من حاجة ^(١٢) ولعل المراد به الذى يقصد من دفع حاجته التفرغ للدين فيكون مساويا للمعطى الذى يقصد باعطائه عمارة دينه وسئل رسول الله ^(١٣) أى الصدقة أفضل قال أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل البقاء ونخى الفاقة ولا تبخل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان ^(١٤) وقد قال صلى الله عليه وسلم يوما لأصحابه « تصدقوا قال رجل إن عندي دينار فقال أنفق على نفسك قال إن عندي آخر قال أنفق على زوجتك قال إن عندي آخر قال أنفق على ولدك قال إن عندي آخر قال أنفق على خادمك قال إن عندي آخر قال صلى الله عليه وسلم أنت أبصر ^(١٥) » وقال ^(١٦) لا تحل الصدقة لأل محمد إلا على أسوأ الناس ^(١٧)

(١) حديث تصدقوا ولو بشرة فانها تسد من الجائع وتطفي الحظيئة كايطيني للماء النار ابن المبارك في الزهد من حديث عكرمة مرسلأ وأحمد من حديث عائشة بسند حسن استرعى من النار ولو بشق تمره فانها تسد من الجائع مسددا من الشبان ولأبي يعلى والبراز من حديث أبي بكر اتقوا النار ولو بشق تمره فانها تقوم العوج وتدفع ميتة السوء وتقع من الجائع موقعها من الشبان وإسناده ضيف والترمذى ون في الكبرى وه في حديث معاذ والصدقة تطفي الحظيئة كايطيني للماء النار (٢) حديث اتقوا النار ولو بشق تمره فان لم تجدوا فبكلعة طيبة أخرجاه من حديث عدي بن حاتم (٣) حديث مامن عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الاطيبا الحديث ع تعلقا وم ت ن في الكبرى واللفظ له من حديث أنى هريرة (٤) حديث قال لأبي الرداء اذا طبخت مرققة فأكثر ماها الحديث م من حديث أبي ذر أنه قال ذلك وما ذكره الصنف أنه قال لأبي الرداء وهم (٥) حديث ما أحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله الخلافة على تركته ابن المبارك في الزهد من حديث ابن شهاب مرسلأ بإسناد صحيح وأسنده الخطيب فيمن روى عن مالك من حديث ابن عمر وصفه (٦) حديث كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس حب ك وصححه على شرط م من حديث عقبة ابن عامر (٧) حديث الصدقة تسد سبعين بابا من الشر ابن المبارك في البر من حديث أنس بسند ضعيف إن الله ليدرك بالصدقة سبعين بابا من ميتة السوء (٨) حديث ما العطي من سعة بأفضل أجرا من الذى يقبل من حاجة حب في الضعفاء وطب في الأوسط من حديث أنس ورواه في الكبرى من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٩) حديث سئل أى الصدقة أفضل قال أن تصدق وأنت صحيح شحيح الحديث أخرجاه من حديث أنى هريرة (١٠) حديث قال يوما لأصحابه تصدقوا قال رجل إن عندي دينار فقال أنفق على نفسك الحديث د ن واللفظ له وح ك من حديث أنى هريرة وقد تقدم قبل يسير (١١) حديث لا تحل الصدقة لأل محمد الحديث م من حديث الطلبي بن ربيعة.

قلت أخبرنا أبو الهيثم قال أخبرنا القيربرى قال أخبرنا البخارى قال حدثنا ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن قال سمعت معاوية خطيبا يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم والله يعطى قال الشيخ إذا وصل العلم إلى القلب اشتج بهر القلب فأبصر الحق والباطل وتبين له الرشد من الضل ولما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأعرابي : فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال الأعرابي حبسى حبسى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقه الرجل. وروى عبد الله بن عباس : أفضل العبادة الفقه في الدين والحق سبحانه وتعالى جعل الفقه صفة القلب فقال لهم قلوب لا يفقهون بها - فلما فقهوا اعلموا

ودال» ردوا مئمة السائل ولو بثلث رأس الطائر من الطعام ^(١) « وقال صلى الله عليه وسلم « لو صدق السائل ما فاج من رده ^(٢) » وقال عيسى عليه السلام : من رد سائلا خاب ما بين يده لم تقش للأشياء ذلك البيت سبعة أيام . وكان نبينا صلى الله عليه وسلم لا يكل خبثتين إلى غيره كان يضع طهوره بالليل ويخبره وكان يناول المسكين بيده ^(٣) « وقال صلى الله عليه وسلم « ليس للمسكين الذي ترده التمرة والتمران واللقمة واللقمة : إنهما للمسكين المتفف اقرءوا إن شئتم لا يسألون الناس إلحافا ^(٤) » وقال ^(٥) « ما من مسلم يكسو مسلما إلا كان في حفظ الله عز وجل ما دامت عليه من رقعة ^(٥) » . الآثار : قال عروة بن الزبير لقد تصدقت عائشة رضي الله عنها بخمسين ألفا وإن درعها لم ترق وقال مجاهد في قول الله عز وجل - ويطعمون الطعام على حبه مسكينا وبني أسيرا - فقال وهم يشتهونه وكان عمر رضي الله عنه يقول الأهم اجعل الفضل عند خيارنا لهم يمدون به على ذوى الحاجة منا وقال عمر بن عبد العزيز الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه وقال ابن أبي الجعد إن الصدقة تلدغ سبعين بابا من السوء وتفضل سرها على ثلاثين بابا من الخير سبعين شيطانا وقال ابن مسعود إن رجلا عبد الله سبعين سنة ثم أصاب فاحشة فأحبط عمله ثم صر مسكينا فتصدق عليه برغيف ففقر الله له ذنبه ورد عليه عمل السبعين وقال لقمان لابنه إذا أخطأت خطيئة فأعط الصدقة وقال يحيى بن معاذ ما أعرف حجة تزني جبال الدنيا إلا الحيلة من الصدقة وقال عبد العزيز بن أبي رواد كان يقال ثلاث من كنوز الجنة كتمان للرب وكتمان الصدقة وكتمان للصائب وروى مسندنا وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه إن الأعمال تباغت فقالت الصدقة أنا أفضل لكن وكان عبد الله بن عمر يصدق بالسكر ويقول سمعت الله يقول ب لن تألوا البر حتى تتفقوا بما يحبون - والله يعلم أني أحب السكر وقال النخعي إذا كان الكثر لله عز وجل لا يسرف أن يكون فيه عيب وقال عبيد بن عمير يخبر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط وأعطى ما كانوا قاطوا عر ما كانوا قط فمن أطعم لله عز وجل أشبه الله ومن سقى لله عز وجل سقاها الله ومن كساه الله عز وجل كساه الله فقال الحسن لو شاء الله لجعلكم أغنياء لا تقير فيكم ولكنه ابتلى بضعكم فقال الشعبي من لم ير نفسه إلى ثواب الصدقة أحوج من الفقير إلى صدقته فقد أبطل صدقته وضرب بها وجهه وقال مالك لا ترى بأسا بشرب للوسر من لاء الذي يصدق به يوسق في المسجد لأنما جعل للعطشان من كان ولم يرد به أهل الحاجة والمسكنة على الخصوص وقال ابن الحسن مرة به نخاس ومعه جارية فقال للنخاس أنرضي ثمنها الدرهم والدرهمين قال لا قال فاذهب فإن الله عز وجل رضى في الحور العين بالقنص واللقمة .

(بيان إخفاء الصدقة وإظهارها)

قد اختلف طريق طلاب الاخلاص في ذلك فإلزامهم إلى أن الاخفاء أفضل ومال قوم إلى أن الاظهار أفضل ونحن نشير إلى ما في كل واحد من المعاني والآفات ثم نكشف التطايع الخلق فيه . أما الاخفاء ففيه خمسة معان : الأول أنه أتى للستر على الأخذ فإن أخذه ظاهره اهلك لستر للرؤية وكشف عن

- (١) حديث ردوا مئمة السائل ولو بثلث رأس الطائر من الطعام العتيق في الضعفاء من حديث عائشة
- (٢) حديث لو صدق السائل ما أفلق من رده العتيق في الضعفاء وابن عبد البر في التمهيد من حديث عائشة قال العتيق لا يصح في هذا الباب شيء والطبراني نحوه من حديث أبي أمامة بسند ضعيف
- (٣) حديث كان لا يكل خبثتين إلى غيره الحديث الدار قطن من حديث ابن عباس بسند ضعيف ورواه ابن المبارك في البربر مسندا (٤) حديث ليس للمسكين الذي ترده التمرة والتمران الحديث متفق عليه من حديث عائشة (٥) حديث ما من مسلم يكسو مسلما إلا كان في حفظ الله الحديث وحسه وك وصح إسناده من حديث ابن عباس وفيه خالد بن طهمان ضعيف

ولما علوا أعمالوا ولما
عملوا عرفوا ولما
عرفوا اعتدوا فكل
من كان أقسه كانت
نفسه أسرع إجابة
وأكثر اعتيادا لمالهم
الدين وأوفر حظا من
نور اليقين فالعلم جملة
موهبة يمن الله القلوب
والعرفه تميز تلك الجملة
والهدى وجدان
القلوب ذلك فالنبي
صلى الله عليه وسلم لما
قال ومثل ما بشئ الله به
من الهدى والعلم أخبر
أنه وجد القلب النبوي
العلم وكان هاديا مهديا
وعله صلوات الله
عليه منها ورائة
معبودة فيه من آدم
أبي البشر صلى الله
عليه وسلم حيث علم
الأسماء كلها والأمم
سمة الأشياء ففكرمه
الله تعالى بالعلم وقال
تعالى - علم الإنسان
ما لم يعلم - فأدرك لما
ركب فيه من السلم
والحكمة صار ذا القهم
والطينة والعرفة
والرافة والظفر والحب
والبيض والفرج
والتم والرضا والتعب

الحاجة وخروج عن هيئة التفت والتصون المحبوب التي تحجب الجاهل أهل أغنياء من التفت .
 الثاني أنه أسلم قلوب الناس وألصقهم فاتهم ربما يحسنون أو يتكبرون عليه أخذه ويظنون أنه أخذ
 مع الاستعانة أو ينسبونه إلى أخذ زيادة والجسد وسوء الظن والقيمن القلوب السكبان وصياتهم عن
 هذه الجرائم أولى وقال أبو أيوب السخاني إني لأترك لبس الثوب الجدي خشية أن يحدث في جيراني
 حسدا وقال بعض الزهاد ربما تركت استعمال الشيء لأجل إخواني يقولون من أين لهذا وعن إبراهيم
 اليماني أنه رأى عليه قميص جديد فقال بعض إخوانه من أين لك هذا فقال كسائي أخى خيتمه ولو علمت
 أن أهله علوا به ما قبلته . الثالث إيانة المعطى على إسرار العمل فإن فضل السر على الجهر في إعطاء
 أكثر والإعانة على إتمام المروف معروف والسكبان لا يمت إلا بالثنين فهما أظهر هذا انكشف أمر
 المعطى ودفع رجل إلى بعض العلماء شيئا ظاهرا فرده إليه ودفع إليه آخر شيئا في السر قبله قيل له في ذلك
 قال إن هذا عمل الأدب في إخفاء مروفه وقبلته وذلك لأسأله في عمله فردته عليه وأعطى رجلا بعض
 الصوفية شيئا في اللأ فرده فقال له لم ترد على الله عز وجل ما أعطاك فقال إنك أمرت كثر الله سبحانه فيا كان
 لله تعالى ولم تنتع بالله عز وجل فردت عليك شرك وقيل بعض العارفين في السر شيئا كان رد في العلانية
 قيل له في ذلك قال عصيت الله بالجهر فلم ألدعونا لك على العصية وأعطته بالإخفاء فأعنتك على تركه وقال
 التوري لوعلمت أن أحدم لا يذ كر صدقته ولا يتحدث بها قبلت صدقه . الرابع أن في إظهار الأخذ ذلا
 وامتنا ناوليس للفر من إلى بذل نفسه . كان بعض العلماء يأخذ في السر ولا يأخذ في العلانية ويقول إن في إظهاره
 إذلالا لعلم وإمتنا نأله فلا كنت باقى أرفع شيئا من الدنيا بوضع العلم وإذلال أهله . الخامس الاحتراز
 عن شبهة الشرك قال صلى الله عليه وسلم « من أهدى له هدية وعند قوم فهم شركاؤه فيها » (١) وبأن
 يكون ورقة أو ذهب لا يخرج عن كونه هدية قال صلى الله عليه وسلم « أفضل ما يهدي الرجل إلى أخيه
 ورقة أو يعطيه خبزا » (٢) فجعل الورق هدية بأقراده فيعطى في اللأ مكروه الإبرضا جميعهم ولا يخلو
 عن شبهة فاذا أقرده سلم من هذه الشبهة . أما الاظهار والتحدث به فيه بمجان أربية : الأول الاخلاص
 والصدق والسلامة عن تلبس الحال والمراعاة . والثاني إسقاط الجاه والتزلة وإظهار العبودية والسكنة
 والتبرى من الكبرياء ودعوى الاستغناء وإسقاط النفس من أعين الخلق قال بعض العارفين لتليذه
 أظهر الأخذ على كل حال إن كنت أخذا فانك لا تخلو عن أحد وجلب رجل تسقط من قابله إذا فعلت
 ذلك فذلك هو الراد لأنه أسلم لهديك وأقل لكات تسكك أو رجل تزداد في قلبه باظهارك الصدق
 فذلك الذي يريده أخوك لأنه يزداد ثوبا بزيادة حبه لك وتعظيمه إليك فتخرج أنت إذ كنت سبب
 مزيد ثوابه . الثالث هو أن العارف لا ينظر له إلا إلى الله عز وجل والسر والعلانية في حقه واحد
 فاختلف الحال شرك في التوحيد قال بعضهم كنا لانقبأ بدعاء من يأخذ في السر ويرد في العلانية
 والانتفات إلى الخلق حضروا أم غابوا تهمان في الحال بل ينبغي أن يكون النظر مقصورا على الواحد
 الفرد . حكى بعض الشيوخ كان كثير الليل إلى واحد من جملة الريدين فتفق على الآخر بن فأراد

(١) حديث من أهدى له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها القليل وابن حبان في الشفاء وطب
 في الأوسط وروى من حديث ابن عباس قال علق لا يصح في هذا لثن حديث (٢) حديث أفضل
 ما يهدي الرجل إلى أخيه ورقة أو يعطيه خبزا عد وضعه من حديث ابن عمر أن أفضل العمل عند
 الله أن يقص عن مسلم دينه أو يدخل عليه سرورا أو يعطيه خبزا ولأحمد وت ومحمد من حديث
 البراء من مسح ورقة أو منحة لى أو هدى زقاقا هو كذا نقسمة .

والكياسة ثم اقتضاه
 استعمال كل ذلك وجعل
 قلبه بيرة واهتداء
 إلى الله تعالى بالنور
 الذي وهب له فأنهى
 صلى الله عليه وسلم
 بث إلى الأمة بالنور
 للوروث وللوهوب
 له خاصة وقيل لما
 خاطب الله السموات
 والأرض بقوله - اثنيا
 طوعا وكراهة لثانيا
 طامعين - نطق من
 الأرض وأجاب موضع
 السكبة ومن السجاء
 ما يحاذيها وقد قال
 عبد الله بن عباس رضى
 الله عنهما أصل طينة
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم من سره
 الأرض بمكة فقال
 بعض العلماء هذا
 يشمر بأن ما أجاب من
 الأرض ذرة الصلطي
 محمد صلى الله عليه وسلم
 ومن موضع السكبة
 دخيت الأرض فصار
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم هو الأصل
 في التكوين والكتات
 تبع له في هذا إشارة
 بقوله صلى الله عليه
 وسلم « كنت نبي آدم

بين الماء والطين »

وفي رواية « بين الروح

والجسد » وقيل لذلك

سمى أميا لأن مكة أم

القرى وذرة أم الحليّة

وتربة الشخص مدفنه

فكان يقتضى أن

يكون مدفنه بمكة

حيث كانت تربته منها

ولكن قيل الماء لما

عوج رعى الزبد إلى

السواحي فوقت

جوهرة النبي صلى الله

عليه وسلم إلى ما عاذى

تربه بالمدينة وكان

رسول الله صلى الله

عليه وسلم مكيا مدنيا

حنينه إلى مكة وترته

بالمدينة والاشارة فيها

ذكركناه من ذرة

رسول الله صلى الله

عليه وسلم هو ما قال

الله تعالى - وإن أخذ

ربك من بني آدم من

ظهورهم ذريتهم

وأشهدهم على أنفسهم

أنت ربكم قالوا بلى -

ورد في الحديث « إن

الله تعالى مسح ظهر

آدم وأخرج ذريته منه

كبرية القر » استخرج

الذر من مسام شعر

آدم ففسرج الدر

أن يطهرهم فضيلة ذلك المرید فأعلى كل واحد منهم دجاجة وقال لينفرد كل واحد منهم بأول ذبيحته
حيث لا يراه أحد فأشرد كل واحد وذبح الإذلك المرید فانه رد الدجاجة فسلمهم فقالوا فلما ما شربنا به
الشيخ فقال الشيخ المرید مالك لم تذبح كذا ع أصحابك فقال ذلك المرید لم أفعل بل مكان لاراني فيه
أحد فان الله يراني في كل موضع فقال الشيخ لهذا أميل إليه لأنه لا يفتض لتبراه عز وجل في الرابع
أن الاظهار إقامة لسنة الشكر وقد قال تعالى - وأما بنعمة ربك فحدث - والكتان كفران النعمة
وقد قدم الله عز وجل من كنتم آتاه الله عز وجل وقرنه باليخل فقال تعالى - الذين سيخلون ويأمرون
الناس باليخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله - وقال عليه السلام « إذا أتم الله على عبد نعمة أحب أن
تري نعمته عليه (١) » وأعطى رجل بعض السالحين شيئا في السر فرفع به يده وقال هذا من الدنيا
والعالية فيها أفضل والسرفي أمور الآخرة أفضل ولذلك قال بعضهم إذا أعطيت في اللأ غفدت ثم اردني
السرو الشكر فيه عثرت عليه قال صلى الله عليه وسلم « من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل (٢) »
والشكر قام مقام للكفاة حتى قال عليه السلام « من أسدى إليكم معروفا فكافوه فان لم تستطيخوا فأنثوا
عليه به خيرا وادعوا له حتى تملوا أنكم قد كافأتموه » ولما قال المهاجرون في الشكر « يا رسول الله
ما رأينا خيرا من قوم تركنا عندكم قاصمون الأموال حتى خفنا أن يذهبوا بالأجر كله قال صلى الله
عليه وسلم كل ما شكرتم لهم وأغنيتهم عليهم به فهو مكافأة (٣) » فالآن إذا عرفت هذه للماني فاعلم أن
ما قل من اختلاف الناس فيه ليس اختلافا في السنة بل هو اختلاف حال فكشف الغطاء في هذا أنا
لأنهم حكايًا بأن الاخفاء أفضل في كل حال أو الاظهار أفضل بل يختلف ذلك باختلاف النيات
وتختلف النيات باختلاف الأحوال والأشخاص فينبغي أن يكون المجلس مرابعا لنفسه حتى لا يتبدل
بجمل القور ولا يتبدل بلباس الطبع ومكر الشيطان ولكن والدفع أغلب في معاني الاخفاء منه في
الاظهار مع أن له دخلا في كل واحد منهما فاما مدخل الدخا في الاسرار فمن ميل الطبع إلى ما فيه من خفض
الجاه والمزلة وسقوط القدر عن أعين الناس ونظر الخلق إليه بين الازدراء وإلى اللطفي بين الكم الحسن
فمذا هو الله الذين ويستسكن في النفس والشيطان بواسطه يظهر معاني الخير حتى يشمل بالماني الحسة
التي ذكرناها وميعار كل ذلك ومحكها أمر واحد هو أن يكون تأله بانكشاف أخذه الصدقة كنهاله بانكشاف
صدقة أخذها بعض نظرائه وأمثاله فانه إن كان يبنى صيانة الناس عن الفية والحسد وسوء الظن أو
يتقى ابتالك السر أو إعانة اللطفي على الاسرار أو صيانة العلم عن الابتذال فكل ذلك مما يحصل
بانكشاف صدقة أخيه فان كان انكشاف أمره أهمل عليه من انكشاف أمر غيره فقدبره الخير
من هذه للماني أغايط وأباطيل من مكر الشيطان وخدعه فان إذلال العلم محذور من حيث إنه علم
لامن حيث إنه علم زيد أو علم عمرو والفتية محذورة من حيث إنها تعرض لمصون لامن حيث إنها
تعرض لمعرض زيد على المحصون ومن أحسن من ملاحظة مثل هذا ربما يسجر الشيطان عنه والإفتلازال
كثير العمل قليل الخطو أما جانب الاظهار فميل الطبع إلى يمن حيث إنه تطيب قلبه للسطى واستحثاث
له في مثله وإظهاره عند غيره آمن للماتين في الشكر حتى رغوا في كرامه وتقده وهذا داء معين
في الباطن والشيطان لا يقدر على التبدل إلا بأن يروج عليه هذا الحب في مرض السنة ويقول له الشكر

(١) حديث إذا أتم الله تعالى على عبد نعمة أحب أن تری عليه أحمد من حديث عمر بن حصين
بسنده صحيح وحسنه ب من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٢) حديث من لم يشكر
الناس لم يشكر الله تقدم (٣) حديث قالت المهاجرون يا رسول الله انما حرام من قوم تركنا عليهم
الحديث ب وصححه من حديث أنس وزواه مختصرا دن في اليوم واليلة وك وصححه

تخرج العرق وقيل كان اللحم من بعض اللانكة فأضاف القمل إلى السبب وقيل معنى القول بأنه مسح أى أحصى كما تحصى الأرض بالمساحة وكان ذلك يعطى نعمان واد يحب عرفة بين مكة والطائف فلما خاطب القدر وأجابوا بلى كتب العهد فى رقأ أمين وأشهد عليه اللانكة وأقم الحجر الأسود فكانت ذرة رسول الله صلى الله عليه وسلم هى الحبيسة من الأرض والهم والمهدى فيه معجونان فبعت بالهم والمهدى مورونا له وموهو باقيل لما بشت الله جبرائيل وميكائيل ليقتضا قبضة من الأرض فأبت حتى بشت الله تعالى عزرائيل قبض قبضة من الأرض وكان إبليس قد وطئ الأرض بقدميه فصار بعض الأرض بين قدميه وبعض الأرض بين موضوع أقدامه فخلقت النفس مما من قدم

من السنة والاختفاء من الرياء ويورد عليه المعاني التى ذكرناها ليحمله على الإظهار وتعمده الباطن ما ذكرناه ومعيار ذلك وعكاه أن ينظر إلى ميل نفسه إلى الشكر حيث لا ينتهى الخبر إلى لعمري ولا إلى من يرغب فى عطائه وبين يدي جماعة يكرهون إظهار العطفية ورغبون فى إخفاها وعادتهم أنهم لا يبيطون إلا من يخفى ولا يشكر فإن استوت عنه الأحوال عنده فليعلم أن باعته هو إقامة السنة فى الشكر والتحدث بالمنة والإقوى مغرور . ثم إذا علم أن باعته السنة فى الشكر فلا ينبغي أن ينفل عن قضاء حق اللطى فينظر فإن كان هو بمن يحب الشكر والنشر فينبى أن يخفى ولا يشكر لأن قضاء حقه أن لا ينصره على الظلم وطلبه الشكر ظلم وإذا علم من حاله أنه يحب الشكر ولا يقصده فبند ذلك يشكره ويظهر صدقته ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للرجل الذى مدح بين يديه « ضربتم عنقه لوصحبا ما أطلع ^(١) » مع أنه صلى الله عليه وسلم كان يخفى على قوم فى وجوههم لثقتهم يفتهم وعلمه بأن ذلك لا يضرهم بل يزيد فى رغبتهم فى الخير فقال لواحد « إنه سيد أهل الورد ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم فى آخر « إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه ^(٣) » وسمع كلام رجل فأعجب فقال صلى الله عليه وسلم « إن من البيان لسحرا ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا علم أحدكم من أخيه خير فليخبره فإنه يزداد رغبة فى الخير ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا علم أحدكم من أخيه فى قلبه ^(٦) » وقال الثورى من عرف نفسه لم يضره مدح الناس . وقال أيضا ليوسف بن أسباط إذا أوليتك معروفا كنت أنا أسر به منك ورأيت ذلك نعمة من الله عز وجل طى فأشكر وإلا فلا تشكر وفقائق هذه المعاني ينبغي أن يلحظها من يراعى قلبه فإن أعمال الجوارح مع إهمال هذه البقائق ضحكة للشيطان وشمانة له لكثرة التعب وقلة النفع ومثل هذا العلم هو الذى يقال فيه إن تعلم مسئلة واحدة منه أفضل من عبادة سنة إذ بهذا العلم تحيا عبادة العمر وبالجهل به تموت عبادة العمر كله وتضطل وعلى الجلة فالأخذ فى اللأ والرد فى السأ أحسن للسالك وأسلمها فلا ينبغي أن يدفع بالزوايات إلا أن تسكل للمعرفة بحيث يستوى السر والعلانية وذلك هو الكبريت الأحمر الذى يتحدث به ولا يرى . نسأل الله الكريم حسن العون والتوفيق .

(بيان الأفضل من أخذ الصدقة أو الزكاة)

كان إبراهيم الخواص والجنييد وجماعة يرون أن الأخذ من الصدقة أفضل فإن فى أخذ الزكاة مزاحمة للساكين وتضييقا عليهم ولأنه ربما لا يكل فى أخذه صفة الاستحقاق كما وصف فى الكتاب العزيز

(١) حديث قال للرجل الذى مدح بين يديه ضربتم عنقه لوصحبا ما أطلع متفق عليه من حديث أبى بكره بلطف وعكاه قطعت عنق صاحبك زاد طيب فى رواية والله لوصحبا ما أطلع أبدا وفى سننه طى بن زيد بن جندب من تكلم فيه وله نحوه من حديث أبى موسى (٢) حديث إنه سيد الورد العبرى وطب وابن قانع فى معاجهم وحب فى الثقات من حديث قيس بن عاصم الثقفى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له ذلك (٣) حديث إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه ، من حديث ابن عمر ورواه د فى الراشدين من حديث الشعبي مرسلأ بسند صحيح وقال روى متصلا وهو ضعيف وك نحوه من حديث معبد بن بخالة الأصبهى عن أبيه وصحح إسناده (٤) حديث إن من البيان سحرا خ من حديث ابن عمر (٥) حديث إذا علم أحدكم من أخيه حيرا فليخبره فإنه يزداد رغبة فى الخير قط فى الملل من رواية ابن السبب عن أنهره . وقال لأصبح عن الزهرى وروى عن ابن السبب مرسلأ (٦) حديث إذا مسح للؤس ربا الإيمان فى قلبه طبع من حديث أسامة بن زيد بسند ضعيف

إبليس فصارت مأوى
النمر وبعضها لم يصل
إليه قدم إبليس فمن
تلك القرية أصل الأنبياء
والأولياء وكانت ذرة
رسول الله صلى الله
عليه وسلم موضع
نظر الله تعالى من
قبضة عزرائيل لم يسها
قدم إبليس فلم يصحظ
الجهل بل صار مزروع
الجهل وفور احطه من
السم قبضه الله تعالى
بالهدى والعلم وانتقل
من قلبه إلى القلوب
ومن نفسه إلى النفوس
فوقست النامسة في
أصل طهارة الطينة
ووقع التأليف بالعارف
الأول فكل من كان
أقرب مناسبة بنسبة
طهارة الطينة كان
أوفر حظا من قبوله
ما جاء به فكانت قلوب
الصوفية أقرب مناسبة
فأخذت من العلم حظا
وافر وأوصارت بواطنهم
أخانات فسلطوا على
كل أخاذا الذي يسقى منه
ويزرع منه وجعوا
بين فائدة علم الفراسة
وعلم الوراثة بإحكام
أساس التقوى ولما

وأما السدقة فانظر فيما أوسع وتال فانظروا بأخذ الزكاة دون الصدقة لأنها إمانة على الواجب ولوترك
المساكين كالم أخذ الزكاة لأغوا ولأن الزكاة لا منة فيها وإنما هو حق واجب لله سبحانه رزقا
لعباده المحتاجين ولأنه أخذ بالحاجة والإنسان مسلم حاجة نفسه قطعا وأخذ الصدقة أخذ بالله من كان
الطالب أن لا تصدق يعطى من يعتقد فيه خيرا ولأن مراعاة المساكين أدخل في اللب واللمسكة وأبعد
من التكبر إذ قد يأخذ الإنسان الصدقة في معرض الهدية فلا تميزه وهذا تنصيص على ذلك الأخذ
بمراعاة القول الحق في هذا أن هذا يختلف بأحوال الشخص وما يطلب عليه وما يحضره من النية
فإن كان في شبهة من اتصافه بصفة الاستحقاق فلا يذني أن يأخذ الزكاة فإذا علم أنه مستحق قطعه
إذا حصل عليه دين صرفه إلى خير وليس له وجه في قضائه فهو مستحق قطعا فإذا خير هذا بين
الزكاة وبين الصدقة فإذا كان صاحب الصدقة لا يتصدق بذلك المال لولم يأخذه هو فلأخذ الصدقة
فإن الزكاة الواجبة يصرفها صاحبها إلى مستحقها ففي ذلك تكثير للخير وتوسيع على المساكين
رإن كان المال معرضا للصدقة ولم يكن في أخذ الزكاة تنصيص على المساكين فهو غير الأمر فيها
بتفاوت وأخذ الزكاة أشد في كسر النفس وإذلالها في أغلب الأحوال والله أعلم.

كل كتاب أسرار الزكاة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، ويتلو إن شاء الله تعالى كتاب أسرار
الصوم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعلى الأئمة
والقريبين من أهل السموات والأرضين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما إلى يوم الدين
والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(كتاب أسرار الصوم)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أعظم على عباده لئمة ، بما دفع عنهم كيد الشيطان وقته ، ورد أمه وخبث ظنه ،
إذ جعل الصوم حسنا لأولياته وجنة ، وفتح لهم به أبواب الجنة ، وعرفهم أن وسيلة الشيطان إلى
قلوبهم الشهوات المستكنة وإن يقمها تصبغ النفس للطمشة ظاهرة الشوك في قسم خصمها
قوية لئمة ، والصلاة على محمد قائد الخلق ومحمد السنة وعلى آله وأصحابه ذوى الأبصار الباقية
والقول للرجحة وسلم تسليما كثيرا [أما بعد] فإن الصوم ربع الإيمان بمقتضى قوله صلى الله عليه
وسلم « الصوم نصف الصبر » (١) وبمقتضى قوله ﷺ « الصبر نصف الإيمان » (٢) ثم هو تميز
بخاصية النسبة إلى الله تعالى من بين سائر الأركان إذ قال الله تعالى فيما حكاه عنه نبيه ﷺ « كل
حسنة بشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف إلا الصيام فإنه وأنا أجزي به » (٣) وقد قال الله تعالى - إنما يوفى
الصابرون أجرهم بغير حساب - والصوم نصف الصبر فقد جاوز ثوابه قانون التقدير والحساب وتأهيك
في معرفة فضله قوله صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده لحظوف فيهم الصائم أطيب عند الله من ربع
السك يقول الله عز وجل - إنما يدر شهوته وطعامه وشرابه لأجل الصوم إلى وأنا أجزي به » (٤)

(كتاب أسرار الصيام)

- (١) حديث الصوم نصف الصبر وحسنه من حديث رجل من بني سلم وهو من حديث أبي هريرة
- (٢) حديث الصبر نصف الإيمان أبو يوسف في الحلية والخطيب في التاريخ من حديث ابن مسعود وسند حسن
- (٣) حديث كل حسنة بشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف إلا الصيام الحديث أخرجه من حديث أبي هريرة
- (٤) حديث والذي نفسي بيده لحظوف فيهم الصائم الحديث أخرجه من حديثه وهو من حديث أبي هريرة

وقال صلى الله عليه وسلم « الجنة باب يقال له الريان لا يدخله إلا الصائمون وهو موعود ببقاء الله تعالى في جزاء صومه ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « للصائم فرحتان فرحة عند إفطاره وفرحة عند لقاء ربه ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « لكل شيء باب وباب العبادة الصوم ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « نوم الصائم عبادة ^(٤) » وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين ونادى مناد يا أيها الخيّر هلّمّ ويا أيها الشّرّ أنصر ^(٥) » وقال وكيع في قوله تعالى « كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية » هي أيام الصيام إذ تركوا فيها الأكل والشرب وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رتبة البهاة بين الزهد في الدنيا وبين الصوم فقال « إن الله تعالى يباهي ملائكته بالشابّ العابد فيقول أيها الشاب التارك شهوته لأجل اللذل شبايلى أنت عندى كبعض ملائكتي ^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم في الصائم « يقول الله عز وجل انتظروا باملائكتي إلى عبيدى ترك شهوته وقلته وطعامه وشرا به من أجل ^(٧) » وقيل في قوله تعالى « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » قيل كان علمهم الصيام لأنه قال « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » فيفرغ للصائم جزاءه إفراغاً ويجازف جزاءه فلا يدخل تحت وهم وتقدير وجدير بأن يكون كذلك لأن الصوم إنما كان له ومشرفاً بالنسبة إليه وإن كانت العبادات كلها له كما شرف البيت بالنسبة إلى نفسه والأرض كلها له لحنين : أحدهما أن الصوم كف وترك وهو في نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد وجميع أعمال الطاعات بعهد من الحق ومراى والصوم لإيماءه بالله عز وجل فانه عمل في الباطن بالصبر المجرد . والثاني أنه قهر لعدو الله عز وجل فان وسيلة الشيطان لعنة الله الشهوات وإنما تنوى الشهوات بالأكل والشرب ولذلك قال عليه السلام « إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيّقوا مجاريه بالجوع ^(٨) » ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها « داومي قرع باب الجنة قالت بماذا ؟ قال صلى الله عليه وسلم بالجوع ^(٩) » وسأني فضل الجوع في كتاب شره الطعام وعلاجه من ربح للهلكات فلما كان الصوم على المحصورين قلما لغشيطان وسدا لمسالكه وتضييقاً لمجاريه استحق التخصيص بالنسبة إلى الله عز وجل ففي قمع عدو الله نصرة

(١) حديث اللجنة باب يقال له الريان الحديث أخرجا من حديث سهل بن سعد (٢) حديث للجنة باب يقال له الريان الحديث أخرجا من حديث سهل بن سعد (٣) حديث لكل شيء باب وباب العبادة الصوم ابن المبارك في الزهد ومن طريقه أبو الشيخ في التواب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٤) حديث نوم الصائم عبادة رويته في أمالي بن منده من رواية ابن النيرة القواس عن عبد الله بن عمر بسند ضعيف ولله عبد الله بن عمرو قاتهم لم يذكره إلا ابن النيرة رواية إلا عنه ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث عبد الله بن أبي أوفى وفيه سليمان بن عمرو التميمي أحد الكذابين (٥) حديث إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة الحديث وقال غريب و « و » وصححه على شرطهما من حديث أبي هريرة وصححه وقفه على مجاهد وأصله متفق عليه دون قوله ونادى مناد (٦) حديث إن الله تعالى يباهي ملائكته بالشابّ العابد فيقول أيها الشاب التارك شهوته وقلته وطعامه وشرا به من أجل (٧) حديث إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم الحديث متفق عليه من حديث صفية دون قوله فضيّقوا مجاريه بالجوع (٨) حديث قال لعائشة داومي قرع باب الجنة الحديث لم أجده أصلا .

تركزت النفوس انحلت مرأيا قولهم بما سئلها من التقوى فأجبت في صور الأشياء على هيئتها وما هيئتها كانت الدنيا بشيخها فرفضوها وظهرت الآخرة بحسنها فطلبوها فلما زهدوا في الدنيا انصبت إلى بواطنهم أقسام العلوم انصبأواضافا إلى علم الفراسة علم الوراثة . واعلم أن كل حال شريف تنزهه إلى الصوفية في هذا الكتاب هو حال للمقرب والصوفي هو للمقرب وليس في القرآن اسم للصوفي واسم الصوفي ترك ووضع للمقرب على ما سئله شرح ذلك في باب ولا يعرف في طرفي بلاد الإسلام شرقا وغربا هذا الاسم لأهل القرب وإنما يعرف للمؤمنين وكهمن الرجال المقربين في بلاد القرب وبلاد تركستان وما وراء النهر ولا يسمون صوفية لأنهم لا يتزبون بزي الصوفية ولا مشاحة في الألفاظ فيعلم أنا نحن

له سبحانه وناصر الله تعالى موقوف على النصرة له قال الله تعالى - إن تصروا الله يتصركم ويثبت أقدامكم - فالبدية بالجهد من البعد والجزء بالهداية من الله عز وجل ولذلك قال تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا - وقال تعالى - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - وإنما التغيير تكثره الشهوات فهي مرتع الشياطين ومرعاهم شادات غصبة لم يتطلع ترددهم وما داموا يترددون لم يشكف للعبد جلال الله سبحانه وكان عجوباً عن لقائه ونال صلى الله عليه وسلم « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السموات (١) » فمن هذا الوجه صار الصوم باب العبادة وصار جنة وإذا عظمت فضيلته إلى هذا الحد فلا بد من بيان شروطه الظاهرة والباطنة بذكر أركانه وسنته وشروطه الباطنة وبيان ذلك ثلاثة فصول .

(الفصل الأول في الواجبات والسنن الظاهرة والوازم بإفساده)

(أما الواجبات الظاهرة فسته)

الأول : مراقبة أول شهر رمضان وذلك برؤية الهلال فإن غم فاستكمل ثلاثين يوماً من شعبان ونفى بالرؤية العلم ويحصل ذلك بقول عدل واحد ولا يثبت هلال شوال إلا بقول عدلين احتياطاً للعبادة ومن صبح عدلاً ووثق بقوله وغلب على ظنه صدقه فومه الصوم وإن لم يقض القاضي به فليتبس كل عبد في عبادته موجب ظنه وإذا روى الهلال ليلة ولم ير بأخرى وكان بينهما أقل من مرحلتين وجب الصوم على الكل وإن كان أكثر كان لكل بطله حكماً ولا يتعدى الوجوب . الثاني النية ولا بد لكل ليلة من نية مبيتة معينة جازمة فلو نوى أن يصوم شهر رمضان دفعة واحدة لم يكنه وهو الذي عنينا بقولنا كل ليلة ولو نوى بالتهار لم يجزه صوم رمضان ولا صوم الفرض إلا التطوع وهو الذي عنينا بقولنا مبيتة ولو نوى الصوم مطلقاً أو الفرض مطلقاً لم يجزه حتى نوى فريضة الله عز وجل صوم رمضان ولو نوى ليلة الشك أن يصوم غداً إن كان من رمضان لم يجزه لأنها ليست جازمة إلا أن تستند نيته إلى قول شاهد عدل واحتال غلط العدل أو كذب لا يطل الجزم أو يستند إلى استحباب حال كالشك في الليلة الأخيرة من رمضان فنلك لا يتنع جزم النية أو يستند إلى اجتihad كالمجنوس في الطمورة إذا غلب على ظنه دخول رمضان باجتهاده فشك لا ينع من النية ومهما كان شاكاً ليلة الشك في نفسه جزمه النية باللسان فإن النية عملها القلب ولا يتصور فيه جزم القصد مع الشك كما لو قال في وسط رمضان أصوم غداً إن كان من رمضان فإن ذلك لا يضره لأنه ترد بلفظ وعمل النية لا يتصور فيه تردد بل هو قاطع بأنه من رمضان ومن نوى ليلاً ثم أكل ثم نسهه نيته ولو نوى امرأة في الخيض ثم طهرت قبل الفجر صحت صومها . الثالث الامساك عن إيسال شيء إلى الجوف عمداً مع ذكر الصوم فيفسد صومه بالأكل والترب والسعوط والحفنة ولا يفسد بالقصد والحماة والاكتحال وإدخال الليل في الأذن والاحليل إلا أن يقطر فيه ما يبلغ الثلاثة وما يصل ينير قصد من غبار الطريق أو ذباية تسبق إلى جوفه أو ما يسبق إلى جوفه في الضمضة فلا يفسد إلا إذا بالغ في الضمضة فيفسد لأنه مقصر وهو الذي أردنا بقولنا عمداً فأما ذكر الصوم فأردنا به الاحتراز عن الناس فإنه لا يفسد أماناً أكل غامداً في طرق التهار ثم ظهر له أنه أكل نهراً بالتحقيق فله القضاء وإن بقي على حكم ظنه واجتهاده فلا قضاء عليه ولا ينبغي أن يأكل في طرق التهار إلا بنظر واجتهاد . الرابع الامساك عن الجماع وحده منيب الحشفة وإن جامع ناسياً لم يفسد وإن جامع لئلاً أو احتلفاً أصبح جنباً لم يفسد وإن طلع الفجر وهو غافل أهله فزنع في الحال صح صومه فإن صرفه وقتاً من الكفارة .

(١) حديث لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم الحديث أحمد من حديث أبي هريرة بنحوه

بالصوفة للقرين
فشاخ الصوفية الذين
أمازم في الطيقات
وغير ذلك من
الكتب كلهم كانوا في
طريق القرين
وعلمهم علوم أحوال
للقرين ومن تطلع
إلى مقام القرين من
جملة الأبرار فهو
متصوف مالم يتحقق
غالبهم فإذا تحقق
غالبهم صار صوفياً
ومن عدلهم ممن يميز
بني ونسب إليهم
فهو مشبه - ونوق
كل ذي علم علم - .
[الباب الثاني في
تخصيص الصوفية
بحسن الاستماع]
حدثنا شيخنا شيخ
الاسلام أبو النجيب
السهروزي إسناده
قال أنا أبو منصور
القرني قال أنا الامام
الحافظ أبو بصير
الحظيف قال أنا أبو
عمرو الهاشمي قال أنا
أبو علي اللؤلؤي قال أنا
أبو داود السجستاني
قال حدثنا مسدد قال
حدثني عن شعبة
قال حدثني حمز بن

الخامس : الامسالة عن الاستثناء وهو إخراج التي قصدا لجماع أو بغير جماع فإن ذلك يفطر ولا يفطر بقية زوجته ولا بمناسجتها ما لم ينزل لكن يكره ذلك إلا أن يكون شيعا أو مالكا لا ربه فلا بأس بالتفيل ونزكه أولى وإذا كان يخاف من التقيل أن ينزل قبل وسبق للى أفطر لتقصيره السادس : الإمساك عن إخراج التي فالاستقاء بفسد الصوم وإن ذرعه التي لم يفسد صومه وإذا ابتلع خامة من حلقه أو صدره لم يفسد صومه رخصة لعموم البلوى به إلا أن يتلذه بعد وصوله إلى فيه فإنه يفعل عند ذلك .

(وأما لوازم الاطفار فأربعة)

التضاء والكفارة والقعدة وإمساك بقية النهار تشبها بالصائين . أما القضاء : فوجوبه عام على كل مسلم مكلف ترك الصوم بغير أو بغير عند فالحائض تضي الصوم وكذا للزبد أما الكافر والصى والمجنون فلا قضاء عليهم ولا يشترط التابع في قضاء رمضان ولكن يقضى كيف شاء متفرقا ومجموعا . وأما الكفارة : فلا تجب إلا بالجماع وأما الاستثناء والأكل والشرب وماعدا الجماع لا تجب كفارة فالكفارة عتق رقبة فإن أعسر فصوم شهرين متتابعين وإن عجز فاطعام ستين مسكينا مدا . وأما إمساك بقية النهار : فيجب على من عصى بالفطر أو قصر فيه ولا يجب على الحائض إذا طهرت إمساك بقية نهارها ولا على المسافر إذا قدم مفطرا من سفر بلغ مرحلتين ويجب الإمساك إذا شهد بالخلال عدله واحد يوم الشك والصوم في السفر أفضل من الفطر إلا إذا لم يطق ولا يفطر يوم يخرج وحسنا مقيا في أوله ولا يوم يقدم إذا قدم صائعا . وأما القعدة : تجب على الحامل والمرضع إذا أفطرا خوفا على ولديهما لكل يوم مد حنطة لمسكين واحد مع القضاء والشيخ المهرم إذا لم يصم تصدق عن كل يوم مدا . وأما السنن فست : تأخير السحور وتجيل الفطر بالمر أو الماء قبل الصلاة وترك السواك بعد الزوال والجلود في شهر رمضان لمسبق من فضائه في الزكاة ومدارسة القرآن والاعتكاف في المسجد لاسبيا في الشهر الأخير فهو عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان إذا دخل الشهر الأخير طوى القرائ وشد للزبد ودأب أهله^(١) » أى أداموا النصب في العبادة إذ فيها ليله القدر والأغلب أنها في أوتار وأشباه الأوتار ليلة إحدى وثلاث وخمس وسبع والتتابع في هذا الاعتكاف أولى فإن نذر اعتكافا متتابعا أو نواه انقطع تتابعه بالخروج من غير ضرورة كالمخرج لقيادة أو شهادة أو جنازة أو زيارة أو تجديد طهارة وإن خرج لقضاء الحاجة لم ينقطع وله أن يتوجه إلى البيت ولا ينبغي أن يخرج على شغل آخر « كان صلى الله عليه وسلم لا يخرج إلا لحاجة الإنسان ولا يسأل عن المريض إلا مارة^(٢) » وينقطع التابع بالجماع ولا ينقطع بالتفيل ولا بأس في المسجد بالطيب وعقد النكاح والأكل والنوم وغسل اليد في الغسل فكل ذلك قد احتاج إليه في التابع ولا ينقطع التابع بخروج بعض بدنه « كان صلى الله عليه وسلم يدي رأسه فترجله عائشة رضي الله عنها وهي في الحجرة^(٣) » ومهما خرج المعتكف لقضاء حاجته فإذا عاد ينبغي أن يستأنف التنية إلا إذا كان قد نوى أولا عشرة أيام مثلا أو أفضل مع ذلك التجديد .

- (١) حدث كان إذا دخل الشهر الأخير طوى القرائ الحديث متفق عليه من حديث عائشة .
- (٢) بنظر أحيا الليل وأيقظ أهله وجد وشد للزبد (٢) حديث كان لا يخرج إلا لحاجة ولا يسأل عن المريض إلا مارة متفق على الشطر الأول من حديث عائشة والشطر الثاني رواه أبو داود بنحوه بسند لين .
- (٣) حديث كان يدي رأسه لعائشة متفق عليه من حديثها :

سليمان من ولده عمر ابن الخطاب عن عبد الرحمن بن أبان عن أبيه عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ورب حامل فقه وليس بشيء » أساس كل خير حسن الاستماع قال الله تعالى - ولو علم أنفيهم خيرا لأسمعهم - يقول بعضهم علامة الخير في السماع أن يسمع البعد بضاء أو صافه ونسوته ويسمعه بحق من حق وقال بعضهم لو علمهم أهلا للجماع لفتح آذانهم للاستماع فمن تملكته الوساوس وغلب على باطنه حديث النفس لا يقدر على حسن الاستماع فالصوفية وأهل القرب لما علوا أن كلام الله تعالى ورسائله إلى عباده وعظاياته أيام رأوا كل آية من كلامه تعالى بهجرا

(الفصل الثاني في أسرار الصوم وشروطه الباطنة)

من أبحر العلم بما
تضمن من ظاهري
العلم وباطنه وجليسه
وخبئه وباباً من أبواب
الجنة باعتبار ما تنبه
أو تدعو إليه من
العمل ورأوا كلام
رسول الله صلى الله
عليه وسلم الذي لا ينطق
به عن الهوى إن هو
إلا وحى يوحى من
عند الله تعالى يتعين
الاستماع إليه فكان
من أهم ما عندهم
الاستعداد للاستماع
ورأوا أن حسن
الاستماع قرع باب
اللكوت واستزال
بركة الرغبات
والرهبات ورأوا أن
الوسواس أذنة تائرة
من نار النفس الأمارة
بالسوء وتقام يراكم
من قش الشيطان
وأن الحفظ العاجلة
والأقسام الدنيوية التي
هي منافع الهوى يوشح
الردي بمثابة الحطب
التي تزداد النار به
تأججا ويزداد القلب
به تحرجاً فرفضوا
الدنيا وزهدوا فيها
فلما انقضت عن نار

اعلم أن الصوم ثلاث درجات : صوم الصوم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص . أما صوم
العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة كسابق فضله . وأما صوم الخصوص فهو كف
السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام . وأما صوم خصوص الخصوص فصوم
القلب عن المهمل الدنية والأفكار الدنيوية وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية ، ويحصل القنطرة
هذا الصوم : التمسك بما سوى الله عز وجل واليوم الآخر والفساد في الدنيا لا الدنيا تراءد للدين فإن ذلك
من زاد الآخرة وليس من الدنيا حتى قال أرباب القلوب من تحركت همته بالتصرف في نهارة لتدبير
ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة فإن ذلك من قلة الوثوق بفضل الله عز وجل وقلة التيقن برزقه
الوعد وهن مرتبة الأنبياء والصديقين والقرنين ولا يطول النظر في خصيلها قولاً ولكن في تحقيقها
عملاً فإنه إقبال بكنه المهمة على الله عز وجل وانصراف عن غير الله سبحانه وتعالى بمعنى قوله عز وجل
- قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون - وأما صوم الخصوص وهو صوم الصالحين فهو كف الجوارح
عن الآثام وتعمامه بسنة أمور : الأول : غض البصر وكفه عن الاتساع في النظر إلى كل ما يذم
ويكره وإلى كل ما يشغل القلب ويلهي عن ذكر الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم « النظره
سهم مسموم من سهام إبليس لئن الله فتن تركها خوفاً من الله آتاه الله عز وجل إيماناً يجد حلالته
في قابله (١) » وروى جابر عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « خمس يظفرن الصائم
الكذب والنية والنجمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة (٢) » . الثاني : حفظ اللسان عن اللغزبان
والكذب والنية والنجمة والفحش والجفاء والخسومة والمراء وإلزامه السكوت وشذبه بذكر الله
سبحانه وتلاوة القرآن فهذا صوم اللسان وقد قال سفيان : النية تضمد الصوم رواه بشر بن الحرث
عنه وروى ليث عن مجاهد خصلتان يفسدان الصيام النية والكذب وقال صلى الله عليه وسلم
« إنما الصوم جنة فإذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شتمه فليقل إلى
صائم إلى صائم (٣) » وجاء في الخبر « أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا أن تلتفنا فبعثنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يستأذنه في الإفطار فأرسل إليهما قاصداً وقال عليهما : قل لهما قيتا فيه ما أكلتا فقامتا إحداهما نصفه دما
عبيطاً ولما غرضوا وقادت الأخرى مثل ذلك حتى ملائناه فحبب الناس من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم
هاتان صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله تعالى عليهما فصدت إحداهما إلى الأخرى ففعلتا
ينتابان الناس فهذا ما أكلتا من لحومهم (٤) » . الثالث : كف السمع عن الاصغاء إلى كل مكروه
لأن كل ما حرم قوله حرم الاصغاء إليه ولذلك سوى الله عز وجل بين السمع وأكل السحت
فقال تعالى - سمعون للكذب أكلون للسحت - وقال عز وجل - لولا ينهم الرابيون والأخبار
عن قولهم الإثم وأكلهم السحت - فالسكوت على النية حرام وقال تعالى - إنكم إذا ملتهم -

(١) حديث النظره سهم مسموم من سهام إبليس الحديث ك وصححه إسناده من حديث حذيفة
(٢) حديث جابر عن أنس خمس يظفرن الصائم الحديث الأزدي في الضعفاء من رواية جابان عن
أنس وقوله جابر تصحيف قال أبو حاتم الرازي هذا ككذاب (٣) حديث الصوم جنة فإذا كان
أحدكم صائماً الحديث أخرجه من حديث أبي هريرة (٤) حديث أن امرأتين صامتا على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم الحديث في النية للصائم أحمد من حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحديث بسند فيه مجهول .

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «الفتابو للسمع شريكان في الآثم» (١) الرابع : كف بقية الجوارح عن الآثم من اليد والرجل وعن السكره وكف البطن عن الشبات وقت الافطار فلا معنى للصوم وهو الكف عن الطعام الحلال ثم الافطار على الحرام فثالث هذا الصائم مثال من يبنى قصرا ويهدم ممره فان الطعام الحلال إنما يضر بكثرته لا بنوعه فالصوم لتقليله وتارك الاستكثار من الدواء خيرا من ضرره إذا عدل إلى تناول السم كان سفيها والحرام سم مهلك للبدن والحلال دواء ينفع قلبه ويضر كثيره وقد صد الصوم تقايله وقد قال صلى الله عليه وسلم «كم من صائم ليس له من صومه إلا ألبوع والعطش» (٢) قتل هو الذي يغط على الحرام وقول هو الذي يمسك عن الطعام الحلال ويغفر على لحوم الناس الغنية وهو حرام وقيل هو الذي لا يحفظ جوارحه عن الآثم . الخامس : أن لا يستكثر من الطعام الحلال وقت الافطار بحيث يتلى جوفه ثمان وعاء أيضا إلى الله عز وجل من بطن ملي من حلال وكيف يستغفر من الصوم فمر عدو الله وكسر الشهوة إذا تدارك الصائم عند فطره. اختلفت ضوة نهاره وربما يزيد عليه في ألوان الطعام حتى استمرت العادات بأن تدرج جميع الأطعمة على منان فيؤكل من الأطعمة فيه مالا يؤكل في عدة أشهر ومعلوم أن مقصود الصوم الجوارح وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى وإذا دفعت للعدة من محبة نهار إلى المساء حتى حاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم أطعمت من اللذات وأشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها وانبثت من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها فروح الصوم وسره تضعيف القوى التي هي وسائل الشيطان في العود إلى الشرور ولن يحصل ذلك إلا بالتقليل وهو أن يأكل أكلته التي كان يأكلها كل ليلة ولم يصم فأما إذا جمع ما كان يأكل ضوة إلى ما كان يأكل ليلا فلم ينفع بصومه بل من الآداب أن لا يكثر النوم بالهرا حتى يحس بالجوع والعطش ويستشعر ضعف القوى فيصفو عند ذلك قلبه ويستديم في كل ليلة قدرا من الضعف حتى يخف عليه تهجدته وأوراده فغنى الشيطان أن لا يجوع على قلبه فينظر إلى ملكوت السماء وليلة القدر عبارة عن الليلة التي ينكشف فيها شيء من الملكوت وهو المراد بقوله تعالى - إنا أنزلناه في ليلة القدر - وجعل بين قلبه وبين صدره حلاء من الطعام فهو عنه محبوب ومن أخفى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب ما لم يخل همنه عن غير الله عز وجل وذلك هو الأمر كله ومبدأ جميع ذلك تقليل الطعام وسبأ في له مزيد بيان في كتاب الأطعمة إن شاء الله عز وجل . السادس : أن يكون قلبه بعد الافطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجاء إذ ليس يدرى أي قبل صومه فهو من اللقيرين أو يرد عليه فهو من المقتولين وليكن كذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها فقد روى عن الحسن بن أبي الحسن البصري أنه مريوم وم يضحكون فقال إن الله عز وجل جعل شهر رمضان مضارا لخلقهم يفتقون فيه لطاعته فيسبى قوم قزازوا وتلف أرواح غابوا بالصبح كل العجب للضعفك للالعاب في اليوم الذي فاز فيه الساجون وخاب فيه البطلون أما والله لو كشف الغطاء لاستغفل الحسن باحسانه والسيء بإساءته أى كان سرور القبول يشغله عن اللعب وحسرة الردود تسد عليه باب الضحك وعن الأحنف بن قيس أنه قيل له إنك شيخ كبير وإن الصيام يضعفك فقال إني أعدت لسفر طويل والصبر على طاعة الله سبحانه أهون من الصبر على عذابه فنهذه هي العائى الباطنة في الصوم . فان قلت فمن انحصر على كف شهوة البطن والفرج وترك هذه المعانى فقد قال الفقهاء

(١) حديث للفتابو للسمع شريكان في الآثم غريب وللطبراني من حديث ابن عمر يسند ضعيف نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التيبة وعن الاستماع إلى التيبة (٢) حديث كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش ن . من حديث أبي هريرة .

النفس أخطأها وقرت نيرانها وقل دختها شهدت بواطنهم وقلوبهم مصادر العلوم فبأوا موارد هاضاء الصوم فلا شهدوا معوا قال الله تعالى - إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد - قال النبيل رحمه الله : موعظة القرآن لمن قلبه حاضر مع الله لا يضل عنه طريقة عين قال يحيى بن معاذ الرازي القلب قلبان قلب قداحتى بأشغال الدنيا حتى إذا حضر أمر من أمور الطاعة لم يدر صاحبه ما يصنع من شغل قلبه بالدنيا وقلبه قد احتسنى بأحوال الآخرة حتى إذا حضر أمر من أمور الدنيا لم يدر صاحبه ما يصنع للالعاب قلبه في الآخرة فانظر كم يكن برصعة تلك الأفهام الثابتة وشؤم هذه الأشغال القانية التي أضهدتكم عن الطاعة قال بعضهم كان له قلب سليم من

صومه صحيح بامتناعه . فاعلم أن فقهاء الظاهر يثبتون شروط الظاهر بأدلة هي أصح من هذه الأدلة أي أوردناها في هذه الشروط الباطنة لاسيا القية وأمتانها ، ولكن ليس إلى فقهاء الظاهر من النكبات إلا ما يتيسر على عموم القائلين للتبليغ على الدنيا الدخول تحت فاعلماء الآخرة فينون بالصحة القول وبالقبول الوصول إلى القصد ويضمون أن القصد من الصوم التخلي عن خلق من أخلاق الله عز وجل وهو السخية والاعتداه باللائكة في الكف عن الشهوات بحسب الإمكان فانهم منزهون عن الشهوات والانسان رتبته فوق رتبة البهائم فقدرته تنور العقل على كسر شهوته ودون رتبة اللائكة لاستيلاء الشهوات عليه وكونه مبتلى بمجاهدتها فكلما اتهمك في الشهوات انحط إلى أسفل السافلين والتحق بفساد البهائم وكلما قمع الشهوات ارتفع إلى أعلى عليين والتحق بأفق اللائكة

والملائكة مقربون من الله عز وجل والذى يتقوى بهم ويتشبه بأخلاقهم يقرب من الله عز وجل كقربهم فان الشبيه من القريب قريب وليس القرب ثم بالمكان بل بالصفات وإذا كان هذا سر الصوم عند رباب الألباب وأصحاب القلوب فأى جدوى لتأخير أكلة وجمع أكلتين عند المشاء مع الانهماك في الشهوات الآخر طول النهار ولو كان مثله جدوى فأى معنى قوله صلى الله عليه وسلم

« كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والمطش » ولهذا قال أبو البرداء بإحدى نوم الأكلية وفطرهم كيف لا يسيبون صوم الحقيق وسهرهم والقدرة من ذوى يقين وتقوى أفضل وأرجح من أمتال الجبال عبادة من التمرتين ولذلك قال بعض العلماء كمن صام مفطر وكمن مفطر صام ولمفطر الصائم هو الذى يحفظ جوارحه عن الآثام ويأكل ويشرب والصائم المفطر هو الذى يجوع ومطش ويطلق جوارحه ومن فهم معنى الصوم وسره علم أن مثل من كف عن الأكل والجماع وأملر بمخالطة الآثام كمن مسح على عضو من أعضائه فى الوضوء ثلاث مرات فقد وافق فى الظاهر المدد إلا أنه ترك لهم

وهو الفصل فصلاته مردودة عليه بمجهله ومثل من أفطر بالأكل وصام بجوارحه عن الكسار كمن غسل أعضائه مرة مرة فصلاته متقبلة إن شاء الله لإحكامه الأصل وإن ترك الفضل ومثل من جمع بينهما كمن غسل كل عضو ثلاث مرات فجمع بين الأصل والفضل وهو الكمال وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته » . ولما تلاقوه عز وجل - إن الله بامرئكم أن تؤدوا

الأمانات إلى أهلها - وضع يده على صممه وبصره فقال : « السمع أمانة والبصر أمانة » ولولا أنه من أمانات الصوم لما قال صلى الله عليه وسلم « قليل إلى صائم » أى إلى أودعت لسانى لأخفئه فكيف أطلقه بجوارحه فاذن قد ظهر أن الكسار عبادة ظاهرا وباطنا وتقرأ ولما وقترها درجات ولكل درجة طبقات فإليك الحرة الآن أن تنتفع بالفتور عن الألباب أو تتجنب إلى غمار أرباب الألباب

والله اعلم بالصواب

(الفصل الثالث فى التطوع بالصيام وترتيب الأوراد فيه)

اعلم أن استحباب الصوم يتأكد فى الأيام القاضية وقواضل الأيام بعضها يوجد فى كل سنة وبعضها يوجد فى كل شهر وبعضها فى كل أسبوع . أما فى السنة بعد أيام رمضان فيوم عرفة ويوم عاشوراء والعشر الأول من ذى الحجة والعشر الأول من المحرم ، وجميع الأشهر الحرم مطلق الصوم وهى أوقات فاضلة « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر صوم شعبان حتى كان يظن أنه فى رمضان » (١)

(١) حديث إنما الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته الحارثى فى مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود فى حديث فى الأمانة والصوم واستناده حسن (٢) حديث لما تلا قوله تعالى : إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها . وضع يده على صممه وبصره وقال السمع والبصر أمانة د من حديث أنس بن مالك فى حديث قوله السمع أمانة (٣) حديث كان يكثر صيام شعبان الحديث ، متفق عليه من حديث عائشة

أخبرنا عن الأمانة والصوم واستناده حسن (٢) حديث لما تلا قوله تعالى : إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها . وضع يده على صممه وبصره وقال السمع والبصر أمانة د من حديث أنس بن مالك فى حديث قوله السمع أمانة (٣) حديث كان يكثر صيام شعبان الحديث ، متفق عليه من حديث عائشة

أخبرنا عن الأمانة والصوم واستناده حسن (٢) حديث لما تلا قوله تعالى : إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها . وضع يده على صممه وبصره وقال السمع والبصر أمانة د من حديث أنس بن مالك فى حديث قوله السمع أمانة (٣) حديث كان يكثر صيام شعبان الحديث ، متفق عليه من حديث عائشة

أخبرنا عن الأمانة والصوم واستناده حسن (٢) حديث لما تلا قوله تعالى : إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها . وضع يده على صممه وبصره وقال السمع والبصر أمانة د من حديث أنس بن مالك فى حديث قوله السمع أمانة (٣) حديث كان يكثر صيام شعبان الحديث ، متفق عليه من حديث عائشة

وفي الخبر «أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم^(١)» لأنه ابتداء السنة قباؤها على الخير أحب وأرجى لدوام بركته . وقال صلى الله عليه وسلم «صوم يوم من شهر حرام أفضل من ثلاثين من غيره وصوم يوم من رمضان أفضل من ثلاثين من شهر حرام^(٢)» وفي الحديث «من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخمس والجمعة والسبت كتب الله له بكل يوم عبادة تسعة عام^(٣)» وفي الخبر إذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان^(٤) ولهذا يستحب أن يفطر قبل رمضان أياما فإن وصل شعبان برمضان فجاز^(٥) . قل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة وقيل مرارا كثيرة^(٦) ولا يجوز أن يقصد استقبال رمضان يومين أو ثلاثة إلا أن يوافق وردا له وكره بعض الصحابة أن يصام رجب كله حتى لا يضاوى بشهر رمضان فالأشهر الفاضلة ذوالحجة والمحرم ورجب وشعبان والأشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب واحد فرددوا ثلاثا ففضلوا ذوالحجة لأن فيه الحج والأيام الملوامات والمندوبات وذو النعنة من الأشهر الحرم وهو من أشهر الحج وشوال من أشهر الحج وليس من الحرم والمحرم ورجب ليسا من أشهر الحج وفي الخبر «ما من أيام العمل فيها أفضل وأحب إلى الله عز وجل من أيام عشر ذي الحجة إن صوم يوم منه يعدل صيام سنة وقيام ليلة منه تعدل قيام ليلة القدر قيل ولا الجهاد قيل لا ولا الجهاد في سبيل الله عز وجل إلا من عقر جواده وأهريق دمه^(٧)» وأما ما يتكرر في الشهر: فأول الشهر وأوسطه وآخره ووسطه الأيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر . وأما في الأسبوع : فالثنين والخميس والجمعة فهذه هي الأيام الفاضلة فيستحب فيها الصيام وتكثير الخيرات لتضاعف أجورها ببركة هذه الأوقات . وأما صوم الدهر فانه شامل للكل وزيادة وللصالحين فيه طرق فمنهم من كرهه ذلك إذ وردت أخبار تدل على كراهته والصحيح أنه إنما يكره لثنتين أحدهما أن لا يفطر في العيدين وأيام التشريق فهو الدهر كله^(٨) والآخر أن يرغب عن السنة في الأقطار ويجعل

مع القلب وموضع للمشاهدة بصر القلب وللمسمع حكمة وفائدة وللبصر حكمة وفائدة فمن هو في سكر الحال يضيء صممه في بصره ومن هو في حال الصحو والتمسكين لا يضيء صممه في بصره لتفككه ناعية الحلال وفيهم بالوفاة الوجودى المستند لهم للقال لأن الفهم مورد الإلهام والسماح والإلهام يستدعيان دعا وجوديا وهذا الوجود موهوب منشأ إنشأه ثانيا لتتمكن في مقام الصحو وهو غير الوجود الذي يتلاشى عند لمان نور للمشاهدة لمن جاز على عمر القناء إلى مقار البقاء . وقال ابن معصون إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب يعرف آداب الخدمة وآداب القلب وهي ثلاثة أقسام فالقلب إذا ذاق طعم العبادة عتق من رق الشهوة فمن وقف على شهوته وجد ثلث الأدب ومن افتقر إلى ما لم يجد

(١) حديث أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم م من حديث أبي هريرة (٢) حديث صوم يوم من شهر حرام أفضل من صوم ثلاثين من شهر حرام الحديث لم أجده هكذا وفي الصحيح الصغير للطبراني من حديث ابن عباس من صام يوما من المحرم فله بكل يوم ثلاثون يوما (٣) حديث من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخمس والجمعة والسبت الحديث الأزدي في الانتفاء من حديث أنس (٤) حديث إذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان الأربعة من حديث أبي هريرة حب في صحيحه عنه إذا كان النصف من شعبان فأفطروا حتى يحییء رمضان وصحته (٥) حديث وصل شعبان برمضان مرة الأربعة من حديث أم سلمة لم يكن يصوم من السنة شهرا تالما إلا شعبان يصل برمضان وذن نحوه من حديث عائشة (٦) حديث قبل شعبان من رمضان مرارا من حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخلف من هلال شعبان ما لا يتخلف من غيره فان غم عليه عدة ثلاثين يوما ثم صام وأخرجه قط وقال إسناده صحيح وك وقال صحيح على شرط الشيخين (٧) حديث ما من أيام العمل فيها أفضل وأحب إلى الله من عشر ذي الحجة الحديث ت من حديث أبي هريرة دون قوله قيل ولا الجهاد الخ وعند من حديث ابن عباس ما العمل في أيام أفضل من العمل في هذا الشهر قالوا ولا الجهاد قال ولا الجهاد إلا رجل خرج يخطب نفسه وماهله يرجع بشي (٨) الأحاديث الدالة على كراهة صيام الدهر م من حديث عبدالله بن عمرو في حديث له لاصم من صام الأبد ولمسلم من حديث أبي قتادة قيل يا رسول الله كيف بمن صام الدهر قال لاصم ولا أفطر و ن نحوه من حديث عبدالله بن عمر وعمران بن حصين وعبد الله بن الشخير .

من الأدب بعينه
الاشتغال بما وجد
قد وجد ثلث الأدب
والثالث اعتلاء القلب
بالذي بدأ بالفضل عند
الوفاء فغلبا قد وجد
كل الأدب . قال محمد
ابن علي الباقر موت
القلب من شهوات
النفس فكما رفض
شهوات ناله من
الحياة بقسطها فالسابع
للاشياء لالا لمساوات
قال الله تعالى - إنك
لا تسمع الموتى - قال
سهل بن عبد الله القلب
يرقيق تؤثر فيه الحطرات
للدنوية وأثر القليل
عليه كثير قال الله
تعالى - ومن يرض عن
ذكر الرحمن يقين
له شيطان فهو له قرين -
فالقلب عمال لا يتردد
والنفس يقظانة لا ترقد
فإن كان العبد مستمعا
إلى الله تعالى والإلهام
مستمع إلى الشيطان
والنفس فكل شيء
سد باب الاستماع فمن
حركة النفس وفي
حركتها بطرق
الشيطان . وقد ورد
« لولا أن الشياطين

الصوم ححرأ على نفسه مع أن الله سبحانه يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه فإذا ما يكن
شيء من ذلك وأرى صلاح نفسه في صوم الدهر فليقل ذلك فقد فطره جماعة من الصحابة والتابعين
رضي الله عنهم . وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو موسى الأشعري « من صام الدهر كله ضيفت
عليه جهنم وعقد تسعين ^(١) » ومنه لم يكن له فيها موضع ودونه درجة أخرى وهو صوم نصف الدهر
بأن يصوم يوما ويفطر يوما وذلك أعند على النفس وأقوى في قهرها وقد ورد في فضله أخبار كثيرة
لأن العبد فيه بين صوم يوم وشكر يوم فقد قال صلى الله عليه وسلم « عرضت على مفاتيح خزائن
الدنيا وكوز الأرض فردتها وقلت أجوع يوما وأشبع يوما أحسبك إذا شبع وأنضرع إليك
إذا جعت ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام صوم أخي داود كان يصوم يوما ويفطر
يوما ^(٣) » ومن ذلك « منازلته صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما في الصوم وهو
يقول إني أطيق أكثر من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم : صم يوما وأفطر يوما قال إني أريد
أفضل من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لأفضل من ذلك ^(٤) » وقد روى « أنه صلى الله عليه وسلم
ما صام شهرا كاملا قط إلا رمضان ^(٥) » بل كان يفطر منه ومن لا يقدر على صوم نصف الدهر فلا بأس
بثله وهو أن يصوم يوما ويفطر يومين وإذا صام ثلاثة من أول الشهر وثلاثة من الوسط وثلاثة
من الآخر فهو ثلث وواقع في الأوقات الفاضلة وإن صام الاثنين والخميس والجمعة فهو قريب من
الثالث وإذا ظهرت أوقات الفضيلة فالكمال في أن يفهم الإنسان معنى الصوم وأن مقصوده تصفية
القلب وتفرغ القلب لله عز وجل والفتية بدقائق الباطن ينظر إلى أحواله فقد يقتضى حاله
دوام الصوم وقد يقتضى دوام الفطر وقد يقتضى مزج الاططار بالصوم وإذا فهم المتي وتحقق
حده في سلوك طريق الآخرة بمراقبة القلب لم يخف عليه صلاح قلبه وذلك لا يوجب تربتيا مستمرا
ولذلك روى أنه صلى الله عليه وسلم « كان يصوم حتى يقال لا يفطر ويفطر حتى يقال لا يصوم
وينام حتى يقال لا يقوم ويقوم حتى يقال لا ينام ^(٦) » وكان ذلك بحسب ما ينكشف له بنور النبوة
من القيام بحقوق الأوقات وقد ذكره العلماء أن يوالي بين الاططار أكثر من أربعة أيام تحديدا
بيوم العيد وأيام التشريق وذكروا أن ذلك يقوى القلب ويولد ردى العادات ويفتح
أبواب الشهوات ولعمري هو كذلك في حق أكثر الخلق لا سيما من يأكل في اليوم واليلة مرتين فهذا
ما أردنا ذكره من ترتيب الصوم للتطوع به والله أعلم بالصواب .

ثم كتاب أسرار الصوم والحمد لله بجميع حماده كلها ما علمنا منها وما لم نعلم على جميع نعمه كلها

- (١) حديث أبو موسى الأشعري من صام الدهر كله ضيفت عليه جهنم هكذا وعقد تسعين أحمد
ن في الكبرى وحب وحسنه أبو علي الطوسي (٢) حديث عرضت على مفاتيح خزائن الدنيا
الحديث ت من حديث أبي أمامة بلفظ عرض على ربي ليصلي لي بطعام مكة ذهابا . وقال حسن
- (٣) حديث أفضل الصيام صوم أخي داود الحديث أخرجه من حديث عبد الله بن عمرو
- (٤) حديث منازلته لعبد الله بن عمرو وقوله صم يوما وأفطر يوما الحديث أخرجه من حديثه
- (٥) حديث ما صام شهرا كاملا قط إلا رمضان أخرجه من حديث عائشة (٦) حديث كان يصوم
حتى يقال لا يفطر الحديث أخرجه من حديث عائشة وابن عباس دون ذكر القيام والنوم وخ من
حديث أنس كان يفطر من الشهر حتى يظن أن لا يصوم منه شيئا ويصوم حتى يظن أن لا يفطر منه
شيئا وكان لا تشاء تراه من الليل مصليا إلا رأته ولا تأمنا إلا رأته .

ما علمنا منها وما لم نعلم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وكرم وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء . يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أسرار الحج والله العليم لأرب غيوره وما توفيق إلا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(كتاب أسرار الحج)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل مكة التوحيد لعباده حرزا وحسنا وجعل البيت العتيق مثابة للناس وأمانا وأكرمه بالنسبة إلى نفسه تضرعا وتحصينا ومنا وجعل زيارته والطواف به حجابا بين العبد وبين العذاب ومجنا والصلاة على محمد نبي الرحمة وسيد الأمة وعلى آله وصحبه قادة الحق وسادة الخلق وسلم تسليما كثيرا . أما بعد : فإن الحج من بين أركان الإسلام ومبانيه عبادة العمر وختم الأمر وعلم الإسلام وكال الدين فيه أنزل الله عز وجل قوله - اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً - وفيه قال صلى الله عليه وسلم « من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرايا (١) » فأعظم عبادة يعدم الدين بفقدائها الكمال ويساوي تاركها اليهود والنصارى في الضلال وأجدر بها أن تصرف العناية إلى شرحها وتفصيل أركانها وستبها وآدابها وفضائلها وأسرارها وجملة ذلك ينكشف بتوفيق الله عز وجل في ثلاثة أبواب .

الباب الأول : في فضائلها وفضائل مكة والبيت العتيق وجمال أركانها وشرائط وجوبها .

الباب الثاني : في أهمالها الظاهرة على الترتيب من مبدا السفر إلى الرجوع .

الباب الثالث : في آدابها الدقيقة وأسرارها الخفية وأعمالها الباطنة فليبدأ بالباب الأول وفيه فصلان :

الفصل الأول : في فضائل الحج وفضية البيت ومكة وللدنية حرمها الله تعالى وقد وردت إلى الساجد .

(فضيلة الحج)

قال الله عز وجل - وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق - وقال قتادة لما أمر الله عز وجل إبراهيم عليه السلام وعلى نبينا وعلى كل عبد مصطفى أن يؤذن في الناس بالحج نادى : يا أيها الناس إن الله عز وجل بيّننا خجوه وقال تعالى - ليشهدوا منافع لهم - قبل التجارة في الموسم والأجر في الآخرة ولما سمع بعض السلف هذا قال غفر لهم ورب الكعبة وتوفيق في تفسير قوله عز وجل - لأفعلن لهم صرامك السقيم - أي طريق مكة يقعد الشيطان عليها ليجمع الناس منها وقال عليه السلام « من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه (٢) » وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « ما روى الشيطان في يوم أصفر ولا أدهر ولا أحقر ولا أغيط منه يوم عرفة (٣) » وما ذلك إلا ما يرى من نزول الرحمة ونجاء الله سبحانه عن الذنوب العظام إذ قال « إن من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الوقوف بعرفة (٤) »

(كتاب أسرار الحج)

(١) حديث من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرايا عد من حديث أبي هريرة وث نحوه من حديث علي وقال غريب وفي إسناده مقال (٢) حديث من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه أخرجه من حديث أبي هريرة (٣) حديث ما روى الشيطان في يوم هو أصفر الحديث ما لك عن إبراهيم بن أبي عيلة عن طلحة بن عبد الله بن كرز مرسل (٤) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الوقوف بعرفة لم أجده أصلا

يخومون على قلوب
بي آدم نظنروا إلى
ملكوت السموات
وقال الحسين بصائر
البصيرين ومعارف
المعارفين ونور العلماء
الربانيين وطرق
السائقين الناجين
والأزول والأبد ما بينهما
من الحدث لمن كان
له قلب أو ألقى السمع
وقال ابن عطاء هو
القلب الذي يلاحظ
الحق ويشاهده ولا
يغيب عنه خيرة
ولا قرة فيسمع به بل
يسمع منه ويشهد به
بل يشهد فاذا لاحظ
القلب الحق بصيرين
الجلال فزع وارتمد
وإذا طالعه بصيرين
الجمال هدا واستقر
وقال بعضهم لمن كان
له قلب بصير يتقوى
على التجرد مع الله
تعالى والتفريد له
حتى يخرج من الدنيا
والخلق والنفس فلا
يشغل بشيء ولا يركن
إلى سواه قلب الصوفي
مجرد عن الأكوان
ألقى صممه وشهد
بصره فسمع للموعات

وأبصر البصرات
وشاهد الشهوات
لتخلصه إلى الله تعالى
واجتماعه بين يدي
الله والأشياء كلها عند
الله وهو عنده فسمع
وشاهد فأبصر وسمع
جلبوا ولم يسمع وشاهد
فأبصر لأن الجلب
تدرك لسة عين
الشهود والتفاصيل
لا تدرك لتبقى وماء
الوجود والله تعالى هو
العالم بالجل والتفاصيل
وقد مثل بعض
الحكايات الثابتة
في الاستماع وقال إن
الباقر خرج يدره
فلا منه كفه فوقع
منه شيء على ظهر
الطريق فلم يلبث أن
أخط عليه الطير
فأخطفه ووقع منه
شيء على الصفوان وهو
الحجر الأملس عليه
تراب يسير وندى قليل
فتبت حتى إذا وصلت
عروة إلى الصفا لم
تجد مسافا فتفتد
فيه فليس وقع منه
شيء في أرض طيبة
فيها هوك ثابت فتبت
فما رجع خشف الشوك

وفد أسنده جعفر بن محمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر بعض السالكين من القرنين أن
إبليس لعنة الله عليه ظهر له في صورة شخص برفة فاذا هو نازل الجسم مصفر اللون باكي العين
مضروب الظهر فقال له ماله الذي أبكىك قال خروج الحاج إليه لا تجارة أقول قد قصده أخاف
أن لا يجيئهم فجزئني ذلك قال في الذي أحمل جسمك قال صهيل الحيدل في سبيل الله عز وجل
ولو كانت في سبيلي كان أحب إلي قال في الذي غير لونك قال تعاون الجماعة على الطاعة ولو تعاونوا
على العصية كانت أحب إلي قال في الذي قصف ظهره قال قول البعد أسألك حسن الخاتمة أقول
يا ولىق مق يجب هذا بسببه أخاف أن يكون قد قطن وقال صلى الله عليه وسلم « من خرج من بيته
حاجا أو معتمرا فأت أجرى له أجر الحاج للمتمر إلى يوم القيامة ومن مات في أحد الحرمين لم يمرض
ولم يغامب وقيل له أدخل الجنة (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها
وحجة مبرورة ليس لها جزء إلا الجنة (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « الحاج والعمار وقد الله عز
وجل وزوآره إن سألوهم أعظام وإن استغفروهم وغفر لهم ودعوا استجب لهم وإن شفعا شفعا (٣) »
وفي حديث مسند من طريق أهل البيت عليهم السلام « أعظم الناس ذنباً من وقف برفة فظن أن الله
تعالى لم يغفر له (٤) » وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ينزل على
هذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة تستكون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين (٥) »
وفي الخبر « استكنوا من الطواف بالبيت فانه من أجل شيء تجذونه في صحتكم يوم القيامة وأغضب عمل
تجدونه (٦) » ولهذا يستحب الطواف ابتداء من غير حج ولا عمره وفي الخبر « من طاف أسبوعاً طاف
حاسراً كان له كعتق رقبة ومن طاف أسبوعاً في الطر غفر له ما سلف من ذنبه (٧) » ويقال إن المؤمن
وجل إذا غفر لبيد ذنباً في الموقف غفره لكل من أصابه في ذلك الموقف وقال بعض السلف إذا
وافق يوم عرفة يوم جمعة غفر لكل أهل عرفة وهو أفضل يوم في الدنيا وفيه « حج رسول الله
صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان واقفاً إذ نزل قوله عز وجل - اليوم أكملت لكم دينكم
(١) حديث من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فأت أجرى الله له أجر الحاج للمتمر إلى يوم القيامة
ومن مات في أحد الحرمين لم يمرض ولم يغامب وقيل له أدخل الجنة حق في الشعب بالشرط الأول من
حديث أبي هريرة وروى هو وقطمن حديث عائشة الشطر الثاني نحوه وكلامه ضيف (٢) حديث
حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزء إلا الجنة أخرجه من حديث أبي هريرة
الشطر الثاني بلفظ الحج البرور وقال إن الحجة للبرورة وعند ابن عدى حجة مبرورة (٣) حديث
الحجاج والعمار وقد الله وزوآره الحديث من حديث أبي هريرة دون قوله وزوآره دون قوله إن
سألوهم أعظام وإن شفعا شفعا ولهم من حديث ابن عمر وسألوهم أعظام ورواه حب (٤) حديث
أعظم الناس ذنباً من وقف برفة فظن أن الله لم يغفر له الخاطيء في التفتق والتمرق أو بمصوره عهردار
ابن شيرويه الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بلسان ضعيف (٥) حديث ينزل على
هذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة حبي في الضعفاء وحق في الشعب من حديث ابن عباس بإسناد
حسن وقال أبو خاتم حديث منكر (٦) حديث استكنوا من الطواف بالبيت الحديث حب و لا من
حديث ابن عمر استمنوا من هذا البيت فانه من مرتين ويرفع في الثالثة وقال له صحيح على شرط
الشيخين (٧) حديث من طاف أسبوعاً طاف حاسراً كان له كعتق رقبة ومن طاف أسبوعاً في الطر
غفر له ما سلف من ذنوبه لم أجبه هكذا وعدت و من حديث ابن عمر من طاف بهذا البيت أسبوعاً
فأصحاء كان كعتق رقبة لفظت وحسنه .

وأتممت عليكم نسيق ورضيت لكم الاسلام دينا - ^(١) » قال أهل الكتاب لو أنزلت هذه الآية علينا لجئناها يوم عيد فقال عمر رضى الله عنه أشهد لقد أنزلت هذه الآية في يوم عشرين من شهر ربيع الأول سنة ثمان مائة وثمانين للهجرة النبوية وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم اغفر الحاج وابن استغفر له الحاج ^(٢) » وروى أن علي بن موفى حج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حجبا قال فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا ابن موفى حجبت عنى ؟ قلت نعم قال وليت عنى ؟ قلت نعم قال فأتى أكانك بها يوم القيامة أخذ يدلك الوقف فأدخلك الجنة والجنة في كرب الحساب وقال مجاهد وغيره من العلماء إن الحاج إذا قدموا مكة تلقاهم للآفة فسلموا على ركان الأبل وصاحفوا ركان الحجر واعتنقوا للشاة اعتناق وقال الحسن من مات عقب رمضان أو عقب غزوة أو عقب حج مات شهيدا وقال عمر رضى الله عنه الحاج مغفور له وإن يستغفره في شهر ذى الحجة والحرم وصفر وعشرين من ربيع الأول وقد كان من سنة السلف رضى الله عنهم أن يشعروا القزاة وأن يستقبلوا الحاج ويقولوا بين أعينهم ويسألونهم الدعاء ويأدرون ذلك قبل أن يتدنسوا بالآثام وروى عن علي بن موفى قال حجبت سنة فلما كان ليلة عرفة تمت بمنى في مسجد الحيف فرأيت في المنام كأن ملكين قد نزلا من السماء عليهما ثياب خضر فنادى أحدهما صاحبه يا عبد الله فقال الآخر ليك يا عبد الله قال تدرى كم حج بيت ربنا عز وجل في هذه السنة ؟ قال لا أدري قال حج بيت ربنا ستائة ألف أتدرى كم قبل منهم ؟ قال لا قال ستائة ألف قال ثم ارتفعنا في الهواء فنادى عن فائتبت فرعا واعتصمت غما شديدا وأهمنى أمرى فقلت إذا قبل حج سنة أفسس فأبى أن يكون أنا في سنة أفسس فلما أفضت من عرفة قلت عند الشعر الحرام فجعلت أفكر في كثرة الحلق وفي قلعة من قبل منهم لحلى النوم فإذا الشخصان قد نزلا على هيتيما فنادى أحدهما صاحبه وأعاد الكلام بيته ثم قال أتدرى ماذا حكم ربنا عز وجل في هذه الليلة ؟ قال لا قال فإنه وهب لكل واحد من الستة مائة ألف قال فائتبت وروى من السرور ما يجل عن الوصف وعنه أيضا رضى الله عنه قال حجبت سنة فلما قضيت مناسكى فكسرت فيمن لا يجل وجهه فقلت اللهم إني قد دجوت حجتي وجعلت نواها لمن لم يقبل حجته قال فرأيت رب العز في النوم جل جلاله فقال لي يا علي تسخى على وأنا خلقت السخاء والأسخياء وأنا أجود الأجودين وأكرم الأكرمين وأحق بالجوود والكرم من العالمين قد دجوت كل من لم يقبل حجته من قبلته .

(فضيلة البيت ومكة الشرفة)

قال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل قد وعد هذا البيت أن يحجبه كل سنة ستائة ألف فان قصوا أكلهم الله عز وجل من الثلاث ^(٣) » وأن السكبة تحشر كالروس المزقوفة وكل من حجها يتعلق بأستارها يبعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها وفي الخبر « إن الحجر الأسود ياقوتة من يواقيت الجنة وإنه يبعث يوم القيامة له عينان ولسان ينطق به يشهد لكل من استلمه بحق وصديق ^(٤) »

(١) حديث ووقوفه في حجة الوداع يوم الجمعة ونزول - اليوم أكلت لكم دينكم - الحديث أخرجه ابن حجر حديث عمر (٢) حديث اللهم اغفر الحاج وابن استغفر له الحاج له من حديث أبي هريرة وقال صحيح على شرطه (٣) حديث إن الله قد وعد هذا البيت أن يحجبه في كل سنة ستائة ألف الحديث لم أجده أصلا (٤) حديث إن الحجر ياقوتة من يواقيت الجنة ويبعث يوم القيامة له عينان الحديث رواه ت وحسنه فـهـ وجب له وصح إسناده من حديث ابن عباس أيضا ولما حكم من حديث أنس إن الركن والقمام ياقوتتان من يواقيت الجنة وصح إسناده ورواه ن حـبـك من حديث عبد الله بن عمرو .

فأنفده واختلط به
وقع منه شيء
على أرض طيبة
ليست على ظهر الطريق
ولا على الصفوان ولا
فيها شوك فبنت ونما
وصالح فثان البادر مثل
الحكيم ومثل البذر
كثل صواب الكلام
ومثل ما وقع على ظهر
الطريق مثل الرجل
يسمع الكلام وهو
لا يريد أن يسمعه فما
يلبث الشيطان أن
يخطفه من قلبه
فينساه ومثل الذي وقع
على الصفوان مثل
الرجل يستمع الكلام
فيستحسنه ثم يفضي
الكلمة إلى قلب ليس
فيه عزم على العمل
فينسخ من قلبه ومثل
الذي وقع في أرض
طيبة فيها شوك مثل
الرجل يسمع الكلام
وهو ينوى أن يعمل
به فإذا اعترضت له
الشهوات قيدته عن
الطوبى بالعمل فترك
ما نوى عمله فلبس
الشهوة كالأزرع يختنق
بالشوك ومثل الذي
وقع في أرض طيبة

ممثل للسمع الذي
يتوى عمله فيهحه
ويصل به ويحجب
هواه وهسدا الذي
جانب الهوى واتبع
سبيل الهدى هو
الصوفي لأن لهوى
حلاوة والنفس إذا
تربت حلاوة
الهوى فهي تترك إليه
وتستلذه واستلذا
الهوى هو الذي غنى
النبأ كالنوك وللب
الصوفي نازله حلاوة
الحب الصافي والحب
الصافي تعلق الروح
بالخبرة الإلهية ومن
قوة انجذاب الروح إلى
الحضرة الإلهية بداية
الحب تستتب القلب
والنفس وحلاوة الحب
للحضرة الإلهية تعلق
حلاوة الهوى لأن
حلاوة الهوى كخبرة
خفية اجتمعت من فوق
الأرض ما لم تكن قرار
لكونها لا ترقى عن
حد النفس وحلاوة
الحب كشجرة طيبة
أصلها ثابت وفرعها في
السماء لأنها متأصلة في
الروح فرعها عند الله
تعالى وعروقها ضاربة

وكان صلى الله عليه بقبيله كثيرا^(١) وروى أنه صلى الله عليه وسلم سجد عليه وكان يطوف على
الراية فيضع المصحف عليه ثم يقبل طرف المصحف^(٢) وقيل عمر رضي الله عنه ثم قال إني لأعلم أنك
حجر لا تقهر ولا تنفع^(٣) ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك، لقبلتك ثم بكى حتى علا
نحيبه فانفتحت إلى ورائه فرأى علياً كرم الله وجهه ورضي الله عنه فقال بأنا الحسن هنا تكب
العبرات وتستجاب الدعوات فقال صلى الله عليه وسلم يا أمير المؤمنين بل هو ضرر وينفع قال وكيف ؟
قال إن الله تعالى لما أخذ للثاق على البشرية كتب عليهم كتاباً ثم ألقاه هذا الحجر فهو يشهد للؤمن
بالوفا، ويشهد على الكافر بالجحود قيل فذلك هو معنى قول الناس عند الاستلام : اللهم إيماناً بك
وتسديداً بكتابك ووفاء بعهديك ، وروى عن الحسن البصري رضي الله عنه أن صوم يوم فيها عاة ألف
يوم وسدقته يوم عاة ألف درهم وكذلك كل حسنة عاة ألف ويقال طواف سبعة أسابيع يبدل
عمرة وثلاث عمر تعدل حجة وفي الخبر الصحيح « عمرة في رمضان كحجة مني »^(٤) وقال صلى الله عليه
وسلم « أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم آتى أهل البقيع فيخرون مني ثم آتى أهل مكة
فأشعر بين الحرمين »^(٥) وفي الخبر « إن آدم عليه السلام لما قضى مناسكه لقيه الملائكة فقالوا بر
حجك يا آدم لقد حجبتنا هذا البيت قبلك بأني عام »^(٦) وجاء في الأثر : إن الله عز وجل ينظر في كل
ليلة إلى أهل الأرض فأول من ينظر إليه أهل الحرم وأول من ينظر إليه من أهل الحرم أهل المسجد
الحرام فمن رآه طامها غفر له ومن رآه مصلياً غفر له ومن رآه قائماً مستقبلاً الكعبة غفر له وكشف
بعض الأولياء رضي الله عنهم قال إني رأيت الثور كلها تسجد لعبادان ورأيت عبادان ساجدة
لجدة ويقال لا تقرب الشمس من يوم إلا يطوف بهذا البيت رجل من الأبدال ولا يطلع القمر من
ليلة إلا طاف به واحد من الأولاد وإذا انقطع ذلك كان سبب ربه من الأرض فيصبح الناس وقد
رفعت الكعبة لا يرى الناس لها أثراً وهذا إذا آتى عليها سبع سنين لم يحجها أحد ثم يرفع القرآن من
الصالحين فيصبح الناس فإذا الورق أبيض يلوح ليس فيه حرف ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يذكر
منه كلمة ثم يرجع الناس إلى الأشجار والأغاني وأخبار الجاهلية ثم يخرج الدجال وينزل عيسى عليه السلام
فيقتله والساعة عند ذلك ينزله الحامل القرب التي توقع ولا تنهاوى الخبر « استكبروا من الطواف بهذا
البيت قبل أن يرفع قد هدم مرتين و يرفع في الثالثة »^(٧) وروى عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال : قال الله تعالى « إذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيتك فخر به ثم أخرب الدنيا على أثره »^(٨)

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يقبله كثيراً أخرجه من حديث عمرودون قوله كثيراً، وإنه كان
يقبله كل مرة ثلاثاً إن رآه خالياً (٢) حديث أنه كان يسجد عليه البزار ولعن حديث عمر و صحح إسناده
(٣) حديث قبله عمر وقال إني لأعلم أنك حجر آخر جمدون الزيادة التي رواها علي ورواه تلك الزيادة
وقال ليس من شرط الشيخين (٤) حديث عمرة في رمضان كحجة مني أخرجه من حديث ابن عباس دون
قوله مني فهي عند مسلم على الشك تحضى حجة أو حجة مني ورواه يزيد بن زريع (٥) حديث
أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم آتى أهل البقيع فيخرون مني الحديث توحسنه وحب من حديث
ابن عمر (٦) حديث إن آدم لما قضى مناسكه لقيه الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم الحديث رواه
للفضل الجندی ومن طريقه ابن الجوزي في الملل من حديث ابن عباس وقال لا يصح ورواه الأزرقي
في تاريخ مكة موقوفاً على ابن عباس (٧) حديث استكبروا من الطواف بهذا البيت الحديث البزار
وحب و ك وصححه من حديث ابن عمر استمعوا من هذا البيت فانه هدم مرتين و يرفع في الثالثة
(٨) حديث قال الله إذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيتك فخر به ثم أخرب الدنيا على أثره ليس له أصل

(فضيلة للقاء بمكة حرسها الله تعالى وكرامته)

كره الحافظون المختاطون من العلماء اللقاة بمكة لثلاثة . الأول : خوف التبرم والأنس بالبيت فان ذلك ربما يؤثر في تسكين حرقة القلب في الاحترام وهكذا كان عمر رضي الله عنه يضرب الحجاج إذا حجوا ويقول يا أهل اليمن إنكم وباء أهل الشام شامك وباء أهل العراق عراقكم ولذلك هم عمر رضي الله عنه بمنع الناس من كثرة الطواف وقال خشيت أن يأنس الناس بهذا البيت . الثاني : تيسر الشوق بالمفارقة لتبعث داعية العود فان الله تعالى جعل البيت مثابة للناس وأماناً أي يوبون ويعودون إليه مرة بعد أخرى ولا يحزنون منه وطرا وقال بعضهم : تكون في بلد وقلبك مشتاق إلى مكة متعلق بهذا البيت خير لك من أن تكون فيه وأنت متميم بالهنا وقلبك في بلد آخر وقال بعض السلف : كم من رجل غرسان وهو أقرب إلى هذا البيت ممن يطوفه ويقال إن قه تعالى عبادة تطوف بهم الكعبة تحراً إلى الله عز وجل . الثالث : الخوف من ركوب الخطايا والدنوب بها فان ذلك محظور وبالحرى أن يورث مقت الله عز وجل لشرف الموضع وروى عن وهيب بن الورد السكي قال كنت ذات ليلة في الحجر أصلي فسمعت كلاماً بين الكعبة والأستار يقول إلى الله أشكو ثم إليك يا جبرائيل ما أتيت من الطائفين حولي من تفكيرهم في الحديث ولتوهم ولهم أن لم يتوها عن ذلك لا لتفتن انتفاضة يرجع كل حجر من إلى الجبل الذي قطع منه وقال ابن مسعود رضي الله عنه مامن بلد يؤخذ فيه البعد بالنية قبل العمل إلا مكة وتلا قوله تعالى - ومن يرد فيه إلحاد ينظم نذقه من عذاب أليم - أي أنه على مجرد الإرادة ويقال إن البيئات تضاعف بها كما تضاعف الحسنات وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول الاحتكار بمكة من الإلحاد في الحرم وقيل الكذب أيضاً وقال ابن عباس لأن أذنب سبعين ذنباً بركة أحب إلي من أن أذنب ذنباً واحداً بمكة وركبة منزل بين مكة والطائف ولخوف ذلك انتهى بعض التقيين إلى أنه لم يقض حاجته في الحرم بل كان يخرج إلى الحل عند قضاء الحاجة وبعضهم أقام شهر أو ما موضع جنبه على الأرض ، ولعنهم من الإقامة كره بعض العلماء أجور دور مكة ولا نظن أن كراهية اللقاة يناقض فضل البقعة لأن هذه كراهية عليها منصف الخلق وتصورهم عن التورع بحق الموضع فعن قولنا إن ترك اللقاة به أفضل أو بالإضافة إلى مقام مع التقدير والتبرم إما أن يكون أفضل من اللقاة مع الوفا بحقه فيها أو كيفلا ولما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة استقبل الكعبة وقال « إنك خير أرض الله عز وجل وأحب بلاد الله تعالى إلى ولولا أني أخرجت منك لما خرجت (١) » وكيفلا والنظر إلى البيت عبادة والحسنات فيها مضاعفة كما ذكرناه .

(فضيلة للمدينة الشريفة على سائر البلاد)

ما بهد مكة بقعة أفضل من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالأعمال فيها أيضاً مضاعفة قال صلى الله عليه وسلم « صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام (٢) » وكذلك كل عمل بالمدينة بألف وبعد مدينته الأرض للقدسة فإن الصلاة فيها بخمسة صلاة فيما سواها إلا المسجد الحرام وكذلك سائر الأعمال وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « صلاة في مسجد المدينة بشرة آلاف صلاة وصلاة في المسجد الأقصى بألف صلاة وصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة (٣) »

(١) حديث إنك خير أرض الله وأحب بلاد الله إلى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت ت وصحبه ن في الكبري و . وحب من حديث عبدالله بن عدى بن الجراح (٢) حديث صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام متفق عليه من حديث أبي هريرة ورواه م من حديث ابن عمر (٣) حديث ابن عباس صلاة في مسجد المدينة بشرة آلاف صلاة وصلاة في المسجد الأقصى بألف صلاة وصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة غريب لم أجده بجملة هكذا و .

في أرض النفس فاذا سمع الكلمة من القرآن أو من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسرعها بالروح والقلب والنفس ويفسدها بكليته ويقول : أشم منك نسيباً لست أعرفه أظن لياء جرت فيك أردانا فتمعه الكلمة وتشمعه وتصور كل شعرة منه مما وكل ذرة منه بهرا فيسمع الكل بالكل ويهر الكل بالكل ويقول : إن تأملتكم فكلى عيون أو تذكرتكم فكلى قلوب

قال الله تعالى - فيشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب - قال بعضهم اللب والقل مائة جزء تسعة وتسعون في النبي صلى الله عليه وسلم وجزء في سائر المؤمنين والجزء الذي في سائر

قال صلى الله عليه وسلم «من سعى على شذتها ولأولها كنت له شفعا يوم القيامة»^(١) وقال صلى الله عليه وسلم «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت فان لم يموت بها أحدا لا كنت له شفعا يوم القيامة»^(٢) وما بعد هذه الجماع الثلاث المأواضع فيها مساوية إلا التفوق فإن القام بها للرابطة فيها فيه فضل عظيم وذلك قال صلى الله عليه وسلم «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى»^(٣) وقد ذهب بعض العلماء إلى الاستدلال بهذا الحديث في النج من الرحلة لزيارة الشاهد وقبور العلماء والصالحين بل إلى أن الأمر كذلك بل الزيارة مأمور بها قال صلى الله عليه وسلم «كنت تهتكم عن زيارة القبر فزوروا ولا تقولوا هجرا»^(٤) والحديث إنما ورد في المساجد وليس في معناها الشاهد لأن المساجد بعد المساجد الثلاثة مائة ولا بد إلا وفيه مسجد فلامع في الرحلة إلى مسجد آخر وأما الشاهد فلا تساوى بل يركز زيارتها على قدر درجاتهم عند الله عز وجل ثم لو كان في موضع لا مسجد فيه فلأن يشهد الرحال إلى موضع فيه مسجد وينقل إليه بالكية إن شاء ثم ليت شعري هل يمنع هذا القائل من شذال حال إلى قبور الأنبياء عليهم السلام مثل إبراهيم وموسى وهن وغيرهم عليهم السلام فائق من ذلك في غاية الإحالة فإذا جاز هذا قبور الأولياء والعلماء والصالحين في معناها فلا يعد أن يكون ذلك من أغراض الرحلة كأن زيارة العلماء في الحياة من المقاصد هذا في الرحلة أما القام فالأولى بالمريد أن يلازم مكانه إذا لم يكن قصد من السفر استفادة العلم معاسم له حاله في وطنه فان لم يسلم فيطلب من اللواضع ما هو أقرب إلى الحقول وأسلم للدين وأفرغ القلب وأيسر للعبادة فهو أفضل اللواضع فقال صلى الله عليه وسلم «البلاد بلاد الله عز وجل والخلق عباده فأنت موضع رأيته رقا قائم واحد الله تعالى»^(٥) وفي الخبر «من يورثه في شيء فليورثه ومن جعلت معيشة في شيء فلا يتنقل عنه حتى يتغير عليه»^(٦) وقال أبو نعير رأيت سفيا ثوريا وقد جبل جراه على كنفه وأخذ عليه يده قتل إلى أين بأباعد الله قال إلى بلد أملا في جرابي بدرم وفي حكاية أخرى يلقى عن قرية فيها رخص أقم فيها قال قتل وتعلم هذا بأباعد الله قال ثم إذا سمعت رخص في بلد فاقصده فانه أسلم لديك وأقل لمحك وكان يقول هذا زمان موه لا يضمن فيه على الحاملين فكيف بالمسهورين هذا زمان تنقل ينتقل الرجل من قرية إلى قرية يفر بدنه من الفتن ويحكي عنه أنه قال والله ما أدري أي البلاد أسكن قيل له خراسان فقال مذاهب عنقله وآراء فاسدة قيل فالشام قال يشار إليك بالأصابع أراها لشجرة قيل فالعراق قال يهد الجبابرة قيل مكة قال مكة تنوب الكيس والبدن وقاله رجل غريب عزمت على المجاورة بمكة فأوصني قال أوصيك ثلاثا لتصلين في الصف الأول ولا تصبن قرشنا ولا تظهرن صدقة وإنما كره الصف الأول لأنه يشتر فينتد إذا غاب فيختلط بسله الزين والتصنع.

من حديث يميونة بإسناد جيد في بيت المقدس اتوه فصولا فيه فان صلاة فيه كالف صلاة في غيره وله من حديث أنس صلاة بالمسجد الأقصى بمسعين ألف صلاة وصلاة في مسجد بنمسين ألف صلاة وليس في إنسانه من نصف وقال الذهبي إنه منكر (١) حديث لا يصير على لأولها وشذتها أحدا لا كنت له شفعا يوم القيامة من حديث أبي هريرة وابن عمر. وأبي سعيد (٢) حديث من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها الحديث ت من حديث ابن عمر قال ت حسن صحيح (٣) حديث لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد (٤) حديث كنت تهتكم عن زيارة القبر فزوروا ولا تقولوا هجرا من حديث بريدة بن الحبيب (٥) حديث البلاد بلاد الله والعباد عباده الله فأنت موضع رأيته رقا قائم أحمد والطبراني من حديث الزبير بنسند ضعيف (٦) حديث من رزق في شيء فليورثه ومن جعلت معيشة في شيء فلا يتنقل عنه حتى يتغير عليه من حديث أنس الجلة الأولى بنسند حسن ومن حديث عائشة بنسند صحيح لا يلفظ إذا سب الله لأحدكم رزقا من وجه فلا بدعه حتى يتغير أو يتكره.

للمؤمنين أحد وعشرون سببا فهم يتساوى المؤمنين كلهم فيه وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وعشرون جزءا يتفاضلون فيها على مقادير حقائق إيمانهم قيل في هذه الآية إظهار فضيلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأحسن ما يأتي به لأنه لما وقعت له حصة التمكن ومقارنة الاستقرار قبل خلق الكون ظهرت عليه الأنوار في الأحوال كلها وكان معه أحسن الخطاب وله السبق في جميع اللقائات لأن الله صلى الله عليه وسلم يقول نحن الآخرون السابقون يسعى الآخرون وجودا السابقون في الخطاب الأول في الفضل على عمل القدس وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا استجبوا لنداء رسول الله إذا دعاكم لما يحكم قال الجنيد تقسموا روح مدعاهم إليه

(الفصل الثاني في شروط وجوب الحج وصحة أركانه وواجباته ومحظوراته)

أما الشرائط فشرط صحة الحج اثنان الوقت والاسلام فيصح حج الصبي ويحرم نفسه إن كان ممرا ويحرم عنه وإليه إن كان صبغيا وبغضل بما ينقل في الحج من الطواف والسعي وغيره . وأما الوقت فهو شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة إلى طلوع الفجر من يوم النحر فإن أحرم بالحج في غيره لدة فهي عمرة وجميع السنة وقت العمرة ولكن من كان معكوبا على الفسك أيام منى فلا يلزمه أن يحرم بالعمرة لأنه لا يمكن من الاشتغال عقبه لاشتغاله بأعمال منى . وأما شروط وقوعه عن حجة الاسلام فغسمة : الاسلام والحرية والبالغ والعقل والوقت فإن أحرم الصبي أو العبد ولكن عتق العبد وبلغ الصبي بركة أو عزد لفقودا إلى عرفة قبل طلوع الفجر أجزأها عن حجة الاسلام لأن الحج عرفة وليس عليهما دم إلا إذا تشرطت هذه الشرائط وفي وقوع العمرة عن فرض الاسلام إلا الوقت . وأما شروط وقوع الحج فلا عن الحر البالغ فهو بعد برأءة من حجة الاسلام فحج الاسلام مقدم ثم القضاء لمن أقبله في حالة الوقوف (٥) ثم النذر ثم النيابة ثم النفل وهذا الترتيب مستحق وكذلك يقع وإن نوى خلافة . وأما شروط لزوم الحج فغسمة : البالغ والاسلام والعقل والحرية والاستطاعة ومن لزمه فرض الحج لزمه فرض العمرة ومن أراد دخول مكة لزيارة أو تجارة ولم يكن خطابا لزمه الاحرام على قول ثم يتحل بعملة عمرة أو حج . وأما الاستطاعة فتكون : أحدها للبائسة وذلك له أسباب ، أما في نفسه فبالصحة ، وأما في الطريق فبأن تكون خفية آمنة بلا خطر محظر ولا عذوقا ، وأما في المال فبأن يجد نفقته ذهابه وإيابه إلى وطنه كان له أهل أو لم يكن لأن مفارقة الوطن شديدة وأن يملك نفقة من تلزمه نفقته في هذه الدة وأن يملك ما يفي به ديونه وأن يقدر على راحلة أو كرسيه عملا أو زاملة إن استمسك على الزامه . وأما النوع الثاني فاستطاعة للضرب بماله وهو أن يستأجر من يحج عنه بعد فراغ الأخير عن حجة الاسلام لنفسه ويكنى نفقة الشهاب بزاملة في هذا النوع والابن إذا عرض طاعته على الأب أن يصاربه مستطاعا ولوعرض ماله لم يصره مستطاعا لأن الخدمة بالبدن فيها شرف وللنسيب دلالة في منطى الوالد ومن استطاع لزمه الحج وله التأخير ولكن فيه على خطر فإن تيسر له ولو في آخر عمره سقط عنه وإن مات قبل الحج لقي الله عز وجل عاصيا بترك الحج وكان الحج في تركه حج عنه وإن لم يوص كسارديونه وإن استطاع في سنة فلم يخرج مع الناس وهلك ماله في تلك السنة قبل حج الناس ثم مات لقي الله عز وجل ولا حج عليه ومن مات ولم يحج مع اليسار فأمره شديد عند الله تعالى قال عمر رضي الله عنه قد هممت أن أكتب في الأمصار يضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع إليه سبيلا وعن سيد بن جبير وإبراهيم النخعي ومجاهد وطاوس ولوعت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل أن يحج ماصليا عليه وبضمم كان له جار موسر فمات ولم يحج فلم يصل عليه وكان ابن عباس يقول من مات ولم يرك ولم يحج سأل الرحمة إلى الدنيا وقرأ قوله عز وجل - رب ارجو من الله عمل صالحا فأتى تركه فقال : الحج . وأما الأركان التي لا يصح الحج بدونها فغسمة : الإحرام والطواف والسعي بعده والوقوف برفة والخلق بعده على قول وأركان العمرة كذلك إلا الوقوف . والواجبات المحيورة بالدم ست الاحرام من اللقاة فمن تركه وجاوز للقيات عملا فله شاة والرمي فيه الدم قولوا أحدا وأما الصبر برفة إلى غروب الشمس وللبيت بمزدلفة وللبيت بنى وطواف الوداع فهذه الأربعة غير تركها بالهم على أحد القولين وفي القول الثاني فيها دم على وجه الاستعجاب . وأما وجوه أداء الحج والعمرة فثلاثة

(٥) قوله في حالة الوقوف هكذا بالنسخ وفي نسخة الشارح الفرق وهي أظهر فإن الرقيق إذا أفسد حجه وهو رقيق ثم عتق ثم حج أصرف حجه للقضاء ولا يجزيه عن حجة الاسلام تأمل .

فأسرعوا إلى عو
اللائق للشفقة وهجموا
بالنفوس على مائة
الحذر وتجرعوا مرارة
للكابدة وصدقوا الله
في الامانة وأحسنوا
الأدب . فبا توجعوا
إليه وهانت عليهم
الصائب وعرفوا قدر
ما يطلبون وسجنوا
همهم عن التفت إلى
مذكور سوى ولهم
غياحية الأبد على
الذي لم يزل ولا يزال .
وقال الواسطي رحمه
الله تعالى حياتنا
تصفينا عن كل معلول
لفظا وفلا وقال
بعضهم استجبوا لله
بسر أترك وللرسول
بظواهر حكم غيات
النفوس بتأية الرسول
صلى الله عليه وسلم
وحياة القلوب بمشاهدة
التوب وهو الحياء
من الله تعالى برؤية
التصوير وقال ابن
عطاء في هذه الآية
الاستجابة على أربعة
أوجه : أولها إجابة
التوحيد . والثاني
إجابة التحقيق .
والثالث إجابة التسليم

الأول الأفراد وهو الأفضل وذلك أن يقدم الحج وحده فإذا فرغ خرج إلى الحل فأحرم وعامر وأقل الحل لأحرام العمرة الحرة ثم التمتع ثم الحديبية وليس على الفرد دم إلا أن يتطوع . الثاني القران وهو أن يجمع يقول ليلىك حجة وعمرتهما فحرم ما يما يكتفيه أعمال الحج وتتدرج العمرة تحت الحج كما يندرج الوضوء تحت الغسل لأنه إذا طاف وسعى قبل الوقوف برفة فحرم محسوب من النكسك وأما طوافه فحرم محسوب لأن شرط الطواف القرص في الحج أن يقع بعد الوقوف وعلى التارن دم شاة إلا أن يكون مكيا فلا شيء عليه لأنه لم يترك ميقاته إذ ميقاته مكة . الثالث التمتع وهو أن يجاوز الليقات عحرا بمرة دم بحال مكة ويتمتع بالمحظورات إلى وقت الحج ثم يحرم بالحج ولا يكون متمتا إلا بخمس شرائط : أحدها أن لا يكون من حاضري للسجدة الحرام وحاضره من كان منه على مسافة لا تقصر فيها الصلاة . الثاني أن يقدم العمرة على الحج . الثالث أن تكون عمرته في أشهر الحج . الرابع أن لا يرجع إلى ميقات الحج ولا إلى مثل مسافة لإحرام الحج . الخامس أن يكون حجه وعمرته عن شخص واحد فإذا وجدت هذه الأوصاف كان متمتا ولم يدم شاة فإن لم يجد فصيل ثلاثة أيام في الحج قبل يوم النحر متفرقة أو متتابعة وسبعة إذا رجع إلى الوطن وإن لم يصم الثلاثة حتى رجع إلى الوطن صام الشرة تابعا أو متفرقا وبدل دم القران والتبضع سواء الأفضل للأفراد ثم التمتع ثم القران . وأما محظورات الحج والعمرة فستة : الأول الألبس للقميص والسرويل والخف والعمامة بل ينبغي أن يلبس إزارا ورداء ونظير فإن لم يجد نظير فسدكين فإن لم يجد إزارا فسرويل ولا بأس بالنقطة والاستغلال في العمل ولكن لا ينبغي أن يغطي رأسه فإن إحرامه في الرأس وللرأة أن تلبس كل غيط بعد أن لا تستر وجهها بما يمس رأسه فإن إحرامها في وجهها . الثاني الطيب فليجنب كل ما يمسده الفناء طيبا فإن طيب أو لبس فعليه دم شاة . الثالث الحلق والقلم وفيها التقية أعنى دم شاة ولا بأس بالكحل ودخول الحمام والقصد والحجامة وتزجيل الشعر . الرابع الجماع وهو مفسد قبل التحلل الأول وفيه دنة أو بقرة أو سبع شياه وإن كان بعد التحلل الأول لزمه البدنة ولم يفسد حجه . الخامس مقدمات الجماع كالقبلة وللإمساك التي تتقضى الطهر مع النساء فهو محرمة فيه شاة وكذا في الاستمناة ويحرم النكاح والإنسكح ولا دم فيه لأنه لا ينقصد . السادس قتل صيد البر أعنى ما يؤكل أو هو متوك من الحلال والحرام فإن قتل صيدا فصيلته من اللحم يراعى فيه التقارب في الحلقة وصيد البحر حلال ولا جزاء فيه .

(الباب الثاني في ترتيب الأعمال الظاهرة من أول السفر إلى الزجوع وهي عشرة مجل)

الجملة الأولى في السير من أول الخروج إلى الأحرام وهي ثمانية

الأولى في اللال : فينبغي أن يبدأ بالقوبة ورد للظالم وقضاء الديون وإعداد النفقة لكل من تلزمه ففعله إلى وقت الرجوع ويرد ما عنده من الودائع ويستحب من المال الحلال الطيب ما يكتبه لتمامه ويؤياه من غير غش بل على وجه يمكنه منه التوسع في الزاد والرفق بالضعفاء والفقراء ويصدق بشيء قبل خروجه ويشتري لنفسه دابة قوية على الحمل لا تنصف أو يتكرها فإن أكره فليظهر للكرارى كل ما يريد أن عمله من قليل أو كثير ويحصل رضاه فيه . الثانية في الرقيق : ينبغي أن يلتصق رقيقا صالحا محبا للخير معينا عليه إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه وإن جبن شجه وإن عجز قواه وإن ضاق صدره صبره ويودع رفاقه للقيمين وإخوانه وجيرانه فيودعهم ويلتصق أديعهم فإن الله تعالى جاعل في أديعهم خيرا ، والسنة في الوداع أن يقول : أستودع الله دينك

(الباب الثاني في ترتيب الأفعال الظاهرة)

والرابع إجابة القريب
والاستجابة على قدر
السعج والسعج موت
حيث التهم والهم على
قدر المعرفة بقدر
الكلام والعرفة بالكلام
على قدر المعرفة والهم
بالتكلم ووجوه التهم
لا تنصير لأن وجوه
الكلام لا تنصير قال
الله تعالى - قل لو كان
البحر مدادا لكلمات
ربي لفند البحر قبل
أن تنفذ كلمات ربي -
الله تعالى في كل كلمة
من القرآن كليات التي
ينفذ البحر دون غادها
فكلمة الكلام كلمة
نظرا إلى ذات التوحيد
وكل كلمة كلمات نظر
لسمعة الصلح الأولى .
حدثنا شيخنا أبو
النجيب السمرودي
قال : أنبأنا الرئيس
أبو طي بن نيهان قال
أنا الحسن بن شاذان
قال أنا دعلج بن أحمد
قال أنا أبو الحسن
ابن عبد العزيز
البغوي قال أنا أبو
عبيد بن القاسم بن
سلام قال حدثنا
حجاج عن حماد بن

وأما تلو خواتيم عمرك (١) وكان صلى الله عليه وسلم يقول إن أراد السفر ﴿ في حفظ الله وكفنه زدوك الله القوى وغفر ذنوبك وجهك للخير أينما كنت (٢) 〉 . الثالثة في الخروج من الدار : يبني إذا هم بالخروج أن يصلي ركعتين أولاً ثم في الأولى بعد الفاتحة قل يا أيها الكافرون وفي الثانية الإخلاص فإذا فرغ رفع يديه ودعا الله سبحانه عن إخلاص صلاته ونية صادقة وقال اللهم أنت صاحب السفر وأنت الحليفة للأهل والمال والولد والأصحاب احفظنا وإياهم من كل آفة واعانة اللهم إنا نسألك في مسيرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما مرضى اللهم إنا نسألك أن تطوى لنا الأرض وتهون علينا السفر وأن ترزقنا في سفرنا سلامة البدن والدين والمال وتبقيت حج بيتك وزيارة قبر نبيك محمد صلى الله عليه وسلم اللهم إنا نرشد بك من غناء السفر وكآبة القلب وسوء المنظر في الأهل والمال والولد والأصحاب اللهم اجعلنا وإياهم في جوارك ولا تسلبنا وإياهم نعمتك ولا تغير ما بنا وبينهم من عاقبتك . الرابعة : إذا حصل على باب الدار قال بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله رب أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أذل أو أذل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو أجهل على الله إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك وقضاء فريضة نبيك وشوقاً إلى لقاءك فإذا مضى قال اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك انحصمت وإليك توجهت اللهم أنت تقي وأنت رجاؤي فأ كفى مأثمى وملاأثمى به وماأنت أعلم به مني عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك اللهم زدوني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهي للخير أينما توجهت ويدعو بهذا الدعاء في كل منزل يدخل عليه . الخامسة في الركوب : فإذا ركب الرحلة يقول بسم الله وبالله والله أكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحانه الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لنقبلون اللهم إني وجهت وجهي إليك وفوضت أمري كله إليك وتوكلت في جميع أمورى عليك أنت حمي ونعم الوكيل فإذا استوى على الرحلة واستوت تحت قال سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر سبع مرات وقال الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله اللهم أنت الحامل على الظهر وأنت السمان على الأمور . السادسة في النزول : والسنة أن لا ينزل حتى يحمي النهار ويكون أكثر سيرة بالليل قال ﷺ ﴿ عليكم بالسجدة فإن الأرض تطوى بالليل مالا تطوى بالنهار (٣) 〉 ولتقل نومه بالليل حتى يكون عونا على السير ومهما أشرف على النزول فليلق اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أظللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين أسألك خير هذا للنزل وخير أهله وأعوذ بك من شره وشر ما فيه أصرف عن شر شرارهم فإذا نزل للنزل صلى ركعتين فيه ثم قال أعوذ بكلمات الله التامة التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وما ولد وما كان عليه الليل يقول يا أرض ربى وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما دب عليك أعوذ بالله من شر كل أسد وأسود وحية وعقرب ومن شر ساكن البلد والولد وما دله وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم . السابعة في الحراسة : يبني أن يخطب بالنهار فلا

(١) حديث أمستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عمرك دت وصححه و ن من حديث ابن عمر أنه كان يقول للرجل إذا أراد سفرا ادن مني حتى أودعك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يودعنا (٢) حديث كان ﷺ يقول لمن أراد سفرا في حفظ الله وكفنه زدوك الله القوى وغفر ذنوبك وجهك للخير أينما توجهت الطبراني في الدعاء من حديث أنس وهو عندت وحسنه دون قوله في حفظ الله وكفنه (٣) حديث عليكم بالسجدة فإن الأرض تطوى بالليل مالا تطوى بالنهار د من حديث أنس دون قوله ما تطوى بالنهار وهذه الزيادة في اللوطا من حديث خاله بن معدان مرسل .

سلة عن علي بن زيد عن الحسن يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال ﴿ ما نزل من القرآن آية إلا ولها مله و بطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع ﴾ ذلقت يا أيها سعيد ما لمطلع قال يطلع قوم يملكون به قال أبو عبيد أحسب أن قول الحسن هذا إنما ذهب إلى قول عبد الله بن مسعود قال أبو عبيد حدثني حجاج عن شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال : ما من حرف أو آية إلا وقد عمل بها قوم أو لها قوم يملكون بها فاطلع للصعد يصعد إليه من معرفة عليه فيكون للطلع انهم يفتح الله تعالى عن كل قلب بما يري من النور واختلف الناس في معنى الظهر والبطن قال قوم الظهر لفظ القرآن والبطن تأويله وقيل الظهر صورة القصة

ما أخبر الله تعالى
عن غنسه على قوم
وعقابه لإمام فلهجر
ذلك إخبار عنهم
وباطنه عظة وتنبيه
لن يقرأ ويسمع من
الامة وقيل ظاهره
تنزيه الذي يجب
الإيمان به وباطنه
وجوب العمل به وقيل
ظهوره تلاوته كما أنزل
قاله تعالى - ورعل
القرآن ترتلا وباطنه
التدبير والتفكير
فيه قال الله تعالى -
كتاب أنزلناه إليك
مبارك ليدبروا آياته
وليتذكروا أولو الألباب
وقيل قوله لكل
حرف حد أي في
التلاوة لا يهاجر
للمصحف الذي هو
الإمام وفي التفسير
لا يهاجر للسموع
القول وفرق بين
التفسير والتأويل
فالتفسير علم نزول الآية
وشأنها وقصتها
والأسباب التي نزلت
فيها وهذا عظمور على
اناس كافة القول فيه
إلإلهام والأمر وأما
التأويل فصرف الآية

يشي منفردا خارج القافة لأنه ربما يقال أو ينقطع ويكون بالليل متحفلا عند النوم فإن نام في
ابتداء الليل اقترش ذراعه وإن نام في آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل رأسه في كفه هكذا كان يتم
رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفره (١) لأنه ربما استعمل النوم فتنقطع الشمس وهو لا يدري
فيكون ماغوته من الصلاة أضل مما يناله من الحج والأحج في الليل أن يتأوب الرقيقان في الحراسة
فإذا نام أحدهما حرس الآخر (٢) فهو السنة فإن قصده عن أوسيع في ليل أو نهار فأيقرأ آية الكرسي
وتسبيح الله والاخلاص والموذنين وليل بسم الله ماشاء الله لاقوة إلا الله حسي الله توكلت على الله ماشاء
الله لا يأتي بالخير إلا الله ماشاء الله لا يصرف السوء إلا الله حسي الله وكفى صمم الله لمن دعا ليس وراء الله
متنبي ولا دون الله ملجأ - كتب الله لأغابن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز - تحصنت بالله العظيم
واستعنت بالحي الذي لا يموت اللهم احرسنا بينك التي لا تنام واكنفنا بركك الذي لا يرام اللهم احرسنا
بقدرتك علينا فلهناك وأنت تقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وإمائك برأفة ورحمة
إنك أنت أرحم الراحمين . الثامنة : مهمما علا نشرا من الأرض في الطريق فيستحب أن يكرتلاتا
ثم يقول اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبع ومهما خاف الوحشة
في سفره قال : سبحان الله الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعرز والجبروت .
(الجلة الثانية في آداب الاحرام من اللقاءات إلى دخول مكة وهي خمسة)

الأول : أن يشتل وينوي به غسل الاحرام أعني إذا انتهى إلى اللقاءات للشهور الذي يهرم الناس
منه وشتم غسله بالتنظيف ويسرح لحيته ورأسه ويقل أطفاره ويقص شاربه ويستكمل النظافة
التي ذكرناها في الطهارة . الثاني : أن يفرق الثياب الخيطة ويلبس ثوبي الاحرام فيرتدي ويتزر
بثوبيين أبيضين فالأبيض هو أحب الثياب إلى الله عز وجل ويتطيب في ثيابه وبدنه ولا بأس بطيب
يقتي جرمه بعد الاحرام ، قدردوى بعض للسك على مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الاحرام
مما كان استعمله قبل الاحرام (٣) . الثالث : أن يسير ببدليس الثياب حتى نعيم به راحته إن كان
زاكبا أو يبدأ بالسير إن كان راجلا فضيفك بنوى الإحرام بالحج أو بالعمرة قرانا أو لإفرادا كما أراد
ويكتفي بمجرد النية لانقضاء الاحرام ولكن السنة أن يقرن بالنية لفظ التلبية فيقول لبيك اللهم لبيك
لييك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك وإن زاد قال لبيك وسعديك
والخير كله يديك والرضا إليك لبيك حجة حقا تميدا ورقا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد .
الرابع : إذا انعقد إحرامه بالتلبية للذكرة فيستحب أن يقول اللهم إني أريد الحج فيسره لي وأعني
على أداء فرضه وتقبله مني اللهم إني نويت أداء فريضتك في الحج فاجعلي من الدين استجابوا لك
وأتوا بوعدك وأتوا بأمرك واجعلي من وفدك الذين رضيت عنهم وارفضيت وقبلت منهم اللهم

(١) حديث كان إذا نام في أول الليل اقترش ذراعه وإذا نام في آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل
ذراعه في كفه أحمد وث في الثبائل من حديث أبي قتادة بإسناد صحيح وعزله أبو مسعود المشقي
والحميدي إلى م ولم أره فيه (٢) حديث تأوب الرقيقين في الحراسة فإذا نام أحدهما حرس الآخر
هو من طريق ابن إسحق من حديث جابر في حديث فيه قال الأنصاري للمهاجرى أي الليل أحب
إليك أن أكتفيك أوله أو آخره فقال بل أكتفي أوله فانطجع المهاجرى الحديث والحديث عند
أبي داود ولكن ليس فيه قول الأنصاري للمهاجرى (٣) حديث رؤية ويسمى للسك على مفرق
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الاحرام متفق عليه من حديث عائشة قالت : كأنما أنظر إلى
ويسمى للسك الحديث .

فيسرلى أداء ما نويت من الحج اللهم قد أحرم لك لحي وشعري ودمي وعيني وعظامي وحرمت على نفسي النساء والطيب ولبس الخيط ابتداء وجهك والدار الآخرة ، ومن وقت الاحرام حرم عليه المحظورات الستة التي ذكرناها من قبل فليتها . الخامس : يستحب تجديد التلبية في دوام الاحرام خصوصا عند اصطدام الرقاق وعند اجتياح الناس وعند كل صمود وهبوط وعند كل ركوب وزول راقها بها موته بحيث لا يسح حلقه ولا ينهر فانه لا ينادي أصم ولا غابيا^(١) بل يردد في الجهر ولا بأس برفع الصوت بالتلبية في الساجد الثلاثة فانها مظنة للناسك : أعني للمسجد الحرام ومسجد الحيف ومسجد البقيع وأما سائر الساجد فلا بأس فيها بالتلبية من غير رفع صوت وكان صلى الله عليه وسلم إذا أعجبه شيء قال « لييك إن الميثع عيش الآخرة »^(٢) .

(الجملقة الثالثة في آداب دخول مكة إلى الطواف وهي ستة)

الأول أن يقتل بذي طوى لدخول مكة . والاغتسلات للستجة المسنونة في الحج تسعة . الأول : للاحرام من الميقات ثم لدخول مكة ثم لطواف التذوق ثم للوقوف بعرفة ثم للوقوف بمزدلفة ثم ثلاثة أغسال لرمي الجمار الثلاث ولا غسل لرمي جرة العقبة ثم لطواف الوداع وللمر الشافعي رضي الله عنه في الجديد الفصل لطواف الزيارة ولطواف الوداع فتعود إلى سبعة . الثاني : أن يقول عند الدخول في أول الحرم وهو خارج مكة اللهم هذا حرمك وأمنك فحرم لحي ودمي وشعري وعيني وعظامي على النار وأتقى من عذابك يوم تبعث عبادك واجعلني من أولائك وأهل طاعتك . الثالث : أن يدخل مكة من جانب الأبطح وهو من ثنية كداء فتفتح الكفا عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جافة الطريق إليها^(٣) فالتأسي به أولى وإذا خرج خرج من ثنية كدى بضم الكاف وهي الثنية السفلى الأولى هي العليا . الرابع : إذا دخل مكة وانتهى إلى رأس الودم فقدمه يقع بصره على البيت فليقل : لا إله إلا الله والله أكبر اللهم أنت السلام ومنك السلام ودارك دار السلام تباركت إذا الجلجل والاكركم اللهم إن هذا بيتك عظمت وكرمته وشرفته اللهم فزده تعظما وزده تكميلا وتكرما وزده مهابة وزد من حبه برا وكرامة اللهم افتح لي أبواب رحمتك وأدخلني جنتك وأعزني من الشيطان الرجيم . الخامس : إذا دخل المسجد الحرام فليدخل من باب بني شيبه وليقل : بسم الله والله ومن الله وإلى الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا قرب من البيت قال الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وعلى إبراهيم خليلك وعلى جميع أنبيائك ورسلك وليرفع يديه وليقل اللهم إني أسألك في مقامى هذا في أول مناسكى أن تقبل توبى وأن تتجاوز عن خطيئتي وتضع عني وزري الحمد لله الذي بلغني بيته الحرام الذي جعله مائة للناس وأما وجهه مباركا وهدى للعالمين اللهم إني عبدك والبلد بلدك والحرم حرمك والبيت بيتك جئتك أطلب رحمتك وأما كمنسقة المضطراخات من عقوبتك الراجل رحمتك الطالب برضاك . السادس : أن تصعد الحجر الأسود جد ذلك وتسمه يدك اليمنى وتقبله وتقول : اللهم آمين أيتها ميتاقي وفيه

(١) حديث إنكم لاتادون أصم ولا غابيا . متفق عليه من حديث أبي موسى (٢) حديث كان إذا أعجبه شيء قال : لييك إن الميثع عيش الآخرة الشافعي في السنن من حديث مجاهد مرسلنا بنحوه ولحقا كروصحه من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف بعرفة فلما قال لييك اللهم لييك قال إنما الخير خير الآخرة (٣) حديث دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثنية كداء فتفتح الكفا متفق عليه من حديث ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل مكة دخل من الثنية العليا التي بالبطحاء الحديث .

إلى معنى نَحْمَلُهُ إِذَا كَانَ الْحَمَلُ الْقَدِيرَ يَرَاهُ يُوَافِقُ السَّكَاةَ وَالسَّنَةَ فَالسَّادِ وَالْغَيْفَ بِخِلَافِ حَالِ الْوُجُودِ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ صَفَاءِ الْقَلْبِ وَرَبِّيَّةِ الْمَعْرِفَةِ وَنَتِيبِ الْقُرْبِ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ : لَا يَفْقَهُ الرَّجُلُ كُلَّ الْعَقَةِ حَسْبِيَ رِيٌّ لِقُرْآنٍ وَجُوهًا كَثِيرَةً فَإِذَا أُعْجِبَ قَوْلَ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ مَسْعُودٍ مَا مِنْ آيَةٍ إِلَّا وَلَهَا قَوْمٌ سَيَمَانُونَ بِهَا وَهَذَا الْكَلَامُ مَعْرُوضٌ لِكُلِّ طَالِبٍ صَاحِبِ هِمَّةٍ أَنْ يَسْمَعَ مَوَارِدَ الْكَلَامِ وَيَضْمَنَ دَقِيقَ مَعَانِيهِ وَغَضَمِضَ أَسْرَارَهُ مِنْ قَلْبِهِ فَلَصَوْفِي بِكَلَامِ الزَّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَتَجَرِيدِ الْقَلْبِ عَمَّا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى مُطْلَعٌ مِنْ كُلِّ آيَةٍ وَلَهُ بَكْلٌ مَرَّةً فِي التَّلَاوَةِ مُطْلَعٌ جَدِيدٌ وَقَدْ عَتِيدَ لَهُ بِكُلِّ فِهْمٍ عَمَلٌ جَدِيدٌ فَهَمُّهُمْ يَدْعُو إِلَى الْعَمَلِ وَعِلْمُهُمْ يَجْلِبُ صَفَاءَ الْقَلْبِ وَدَقِيقَ النَّظَرِ وَمَعَانِي الْخُطَابِ فَمَنْ

اشهدنى بالوفاء فان لم يستطع التقييل وقف في مقاماته ويقول ذلك ثم لا يرجع على شيء دون الطواف وهو طواف التقدم إلا أن يجد الناس في المكتوبة فيسمى بهم ثم يطوف .

(الجملة الرابعة في الطواف)

فاذا أراد اقتحام الطواف إما للقدم وإما للغير فينبغي أن يراعى أموراً ستة . الأول : أن يراعى شروط ازدادة من طهارة الحدث والحث في الثوب والبدن والكان وستر المورة فالطواف بالبيت صلاة ولكن الله سبحانه أباح فيه الكلام وليضطجع قبل ابتداء الطواف وهو أن يجمل وسط رداءه تحت إبطه اليمنى ويجمع طرفه على منكبيه الأيسر فيرخي طرفاً وراء ظهره وطرفاً على صدره وقطع التلبية عند ابتداء الطواف ويستعمل بالأدعية التي سئذ كرها . الثاني : إذا فرغ من الاضطجاع فليجسل البيت على يساره وليقف عند الحجر الأسود وليتسعن عنه قليلاً ليكون الحجر قد أمامه فيمر بجميع الحجر بجميع بدنه في ابتداء طوافه وليجمل بينه وبين البيت قدر ثلاث خطوات ليكون قريباً من البيت فإنه أفضل ولكيلا يكون طامحاً على الشاذرون فإنه من البيت وعند الحجر الأسود قد يتصل بالشاذرون بالأرض ويتشب به والطائف عليه لا يصح طوافه لأنه طائف في البيت والشاذرون هو الذي فضل عن عرض جدار البيت بعد أن يضيق أعلى الجدار ثم من هذا الموقف يتدعى الطواف . الثالث : أن يقول قبل مجاوزة الحجر بل في ابتداء الطواف بسم الله والله أكبر اللهم إني أعانك بك وتصديقاً بكتابتك بوفاء وسيدك واتباعاً لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ويطوف فأول ما يجاوز الحجر ينتهي إلى باب البيت فيقول : اللهم هذا البيت بيتك وهذا الحرم حرمك وهذا الأمن أمنك وهذا مقام المائد بك من النار وعند ذكر اللقائم يشير بيده إلى مقام إبراهيم عليه السلام : اللهم إن بيتك عظيم ووجهك كريم وأنت أرحم الراحمين فأعذني من النار ومن الشيطان الرجيم وحرم لحى ودعى على النار وأمنى من أهوال يوم القيامة واكفني مؤنة الدنيا والآخرة ثم يسبح الله تعالى ويحمده حتى يبلغ الركن العراقي فنهذه يقول اللهم إني أعوذ بك من الشر كله والشك والكفر والنفاق والشقاق وسوء الأخلاق وسوء النظير في الأهل والمال والولد فإذا بلغ للركب قال اللهم أظننا تحت عرشك يوم لا ظل إلا ظلك اللهم استق بكناس محمد صلى الله عليه وسلم شريرة لأظلماً بعدها أبداً فإذا بلغ الركن الشامي قال اللهم اجعل حجاً مبروراً وسعي مشكوراً وذنباً مغفوراً وتجارة لن تبور يا عزيز يا غفور رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم فإذا بلغ الركن الجبالي قال اللهم إني أعوذ بك من الكفر وأعوذ بك من الفقر ومن عذاب القبر ومن فتنة الهوى والملمات وأعوذ بك من الحزى في الدنيا والآخرة ويقول بين الركن الجبالي والحجر الأسود اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك فتنة القبر وعذاب النار فإذا بلغ الحجر الأسود قال اللهم اغفر لي رحمتك أعوذ برب هذا الحجر من الدين والفقر وميض الصدر وعذاب القبر وعند ذلك قد تم شوط واحد فيطوف كذلك سبعة أشواط فيدعو بهذه الأدعية في كل شوط . الرابع : أن يرمي في ثلاثة أشواط ويحصى في الأربعة الآخر على الهيئة المعتادة ومعنى الرمل الاسراع في المشي مع تقارب الخطأ وهو دون السهو وفوق لكى للمتاد وللقصود منه ومن الاضطجاع إظهار القنطرة والجلادة والقوة هكذا كان القصد أولاً قطعاً لطمع الكفار وقيت تلك السنة (١) والأفضل الرمل مع الدعاء من البيت فان لم يمكنه للرحمة فالرمل مع البعد أفضل

(١) حديث مشروعية الرمل والاضطجاع قطعاً لطمع الكفار وقيت تلك السنة أما الرمل فنتفق عليه من حديث ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقالوا للشركون إنهم يقيم عليكم قوم قد وهنتهم حتى يشرب فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يرموا الأشواط الثلاثة الحديث وأما الاضطجاع

التيهم علم ومن العلم عمل والعم العمل يتناولان فيه وهذا العمل أتم وأتم هو عمل القلوب وعمل القلوب غير عمل القلب وأعمال القلوب لظنهم وصداقها مشاكلة للعلوم لأنها نبات وطويات وتعلقات روحية وتأذبات قلبية ومسامر أسرية وكلا أنواعا يعمل من هذه الأعمال رفع لهم علم من العلم وطموح إلى مطلع من فهم الآية جديد ويخالف سرى أن يكون اللطع ليس بالوقوف بصفا الفهم على دقيق المعنى وغامض السر في الآية ولكن اللطع أن يطلع عند كل آية على شيوع التكلم بها لأنها مستودع وصف من أوصافه ونعت من نعمته فتجسد له التجليات بتلاوة الآيات وصاحبها ويسير له براء منبهة عن عظيم الجلال ولقد نقل عن جعفر الصادق رضي الله عنه أنه قال قد

فأخرج إلى حاشية الباب وليرمل ثلاثاً ثم يقرب إلى البيت في الزدحم ويحيى أربعاً وإن أسكنه استلام الحجر في كل شوط فهو الأحب وإن منه الرحمة أشار باليد وقبل يده وكذلك استلام الركن الباني يستحب من سائر الأركان وروى « أنه صلى الله عليه وسلم كان يستلم الركن الباني ^(١) وبقية ^(٢) ويضع خده عليه ^(٣) » ومن أراد تخصيص الحجر بالثقل وانصرف إلى الركن الباني على الاستسلام أغنى عن اللبس باليد فهو أولى : الخامس إذا تم الطواف سباً فليات للترم وهو بين الحجر والباب وهو موضع استجابة الدعوة وليلترق بالبيت وليلتلق بالأسفار وليلتلق بطنه بالبيت وليضع عليه خده الأيمن وليسط عليه ذراعيه وكفيه وليقل : اللهم يارب البيت العظيم أعطني رقيق من النار وأعطني من الشيطان الرجيم وأعطني من كل سوء وقضي بما رزقني وبارك لي فيما آتيتني اللهم إن هذا البيت بيتك والبدع عبدك وهذا مقام العائذ بك من النار اللهم اجبني من أكرم وفدك عليك ثم ليحمد الله كثيراً في هذا الموضع ويصل على رسوله ^(٤) وعلى جميع الرسل كثيراً وليدع جوارحه الخاصة ويستغفر من ذنوبه . كان بعض السلف في هذا الموضع يقول لمواليه تتحوا عني حتى أفر لربي بدنوبي . السادس : إذا فرغ من ذلك ينبغي أن يصلي خلف المقام ركعتين يقرأ في الأولى قل يا أيها الكافرون وفي الثانية الإخلاص وهما ركعتا الطواف . قال الأزهري مضت السنة أن يصلي لكل أسبوع ركعتين ^(٥) وإن قرن بين أسايح وصلى ركعتين جاز ^(٦) . فل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل أسبوع طواف وليدع بيدك في الطواف وليقل اللهم يسر لي اليسرى وجنبني اليسرى واغفر لي في الآخرة والأولى واعصني بالطواف حتى لا أعصيك وأعني على طاعتك بتوفيقك وجنبني معاصيك واجعلني ممن يحبك ويحب ملائكتك ورسلك ويحب عبادك الصالحين اللهم جنيبي إلى ملائكتك ورسلك وإلى عبادك الصالحين اللهم فسكا هديتي إلى الإسلام تخفي علي بالطواف ولايتك واستمعلي بطاعتك وطاعة رسوك وأجرني من مضلات الفتن ثم ليعد إلى الحجر وليستلمه وليختم به الطواف

فروى ذلك وصححه من حديث عمر قال فيم الرملان الآن والكشف عن الماكب وقد أظهر الله الإسلام ونفى الكفر وأهله ومع ذلك لاندفع شيئاً كنا نفعه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث استلامه صلى الله عليه وسلم للركن الباني متفق عليه من حديث ابن عمر قال رأيت رسول الله ^(صلى الله عليه وسلم) حين يقدم مكة إذا استلم الركن الأسود الحديث ولهما من حديثه لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلم من الأركان إلا البانين ولسلم من حديث ابن عباس لم أره يستلم غير الركنين البانين وله من حديث جابر الطويل حتى إذا أتيت البيت معه استلم الركن ^(٢) حديث تميمه صلى الله عليه وسلم له متفق عليه من حديث عمر أنه قبل الحجر وقال لولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك والبخاري من حديث ابن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه وبقية وله في التاريخ من حديث ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا استلم الركن الباني قبله ^(٣) حديث وضع الحذ على قطع من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الركن الباني الحديث قال كصحح الإبهاد قلت فيه عبد الله بن مسلم بن هرمز ضفه الجهور ^(٤) حديث الأزهري مضت السنة أن يصلي لكل أسبوع ركعتين ذكره خ تطبيقاً السنة أفضل لم يلفظ النبي صلى الله عليه وسلم أسبوعاً إلا صلى ركعتين وفي الصحيحين من حديث ابن عمر قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاف بالبيت سبعاً وصلى خلف المقام ركعتين ^(٥) حديث قرأه صلى الله عليه وسلم بين أسايح ابن أبي حاتم من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قرن ثلاثة أطواف ليس بينها صلاة ورواه عن في الضعفاء وابن شاهين في أماليه من حديث أبي هريرة

تحلى الله تعالى لعباده في كلامه ولكن لا يصرون فيكون لكل آية مطلع من هذا الوجه فالحدّ الكلام والمطلع الترقى عن حد الكلام إلى شهود التكميم . وقد نقل عن جعفر الصادق أيضاً أنه خرّ متمشياً عليه وهو في الصلاة فسل عن ذلك فقال ما زلت أردّ دأبتي حتى سمعتم من التكميم بها فالصوفي لما لاح له نور نامة التوحيد وألقى سمعه عند مسمع الوعد والوعيد وقبّله بالخلص مما سوى الله تعالى صار بين يدي الله حاضر أشيداً يرى لسانه أو لسان غيره في التلاوة ككسرة موسى عليه السلام حيث أحمسه الله منها خطابه إليه أي أنا الله فإذا كان مسمعه من الله تعالى واستماعه إلى الله صار مسمعه بصره وعلمه وعمله عليه وعاد آخره أوله وآخره ومعنى ذلك أن الله تعالى

ول صلى الله عليه وسلم « من طاف بالبيت أسبوعا وصلى ركعتين فله من الأجر كعتق رقبة (١) » وهذه كيفية الطواف والواجب من جهته بمشروط الصلاة أن يستكمل عدد الطواف سبعا بجميع البيت وأن يبتدىء بالحجر الأسود ويجعل البيت على يساره وأن يطوف داخل المسجد خارج البيت لا على الشافران ولا في الحجر وأن يوالي بين الأشواط ولا يغترقها خارجا عن المتاد وماعدا هذا فهو سنن وهيئات .

(الجملة الخامسة في السعي)

فإذا فرغ من الطواف فليخرج من باب الصفا وهو في معاذة الضلع الذي بين الركن الثاني والحجر فإذا خرج من ذلك الباب وانتهى إلى الصفا وهو جبل فيرقى فيه درجات في حضيض الجبل بقدر قامة الرجل . رقى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت له السكبة (٢) وابتداء السعي من أصل الجبل كاف وهذه الزيادة مستحبة ولكن بعض تلك المخرج مستحبة فينبغي أن لا يغفلها وراء ظهره فلا يكون متمما للسعي وإذا ابتدأ من ههنا سعى بينه وبين للروة سبع مرات وعند رقيه في الصفا فينبغي أن يستقبل البيت ويقول الله أكبر الله أكبر الحمد لله على ما هدانا لهذا لم كنا على جميع نعمه كلها لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله غلصين له الذين ولو كره الكافرون لا إله إلا الله غلصين له الذين الحمد لله رب العالمين - فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحى من البيت ويخرج البيت من الحى ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تتمشرون - اللهم إني أسألك إعانة دائما وميتنا صافيا وعلما نافعا وقلبا خاشعا ولسانا ذاكرا وأسألك الصفو والمائة والمائة العائة في الدنيا والآخرة وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ويدعو الله عز وجل بما جاء من حاجته عقيب هذا الصفاء ثم ينزل ويبتدىء السعي وهو يقول . رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ويمشى على هيئة حتى يتبشى إلى الليل الأخضر وهو أول ما يلقاه إذا نزل من الصفا وهو على زاوية للمسجد الحرم فإذا بقي بينه وبين معاذة الليل ستة أذرع أخذ في السير السريع وهو الرمل حتى يتبشى إلى الليلين الأخضرين ثم يعود إلى الهيئة فإذا انتهى إلى للروة صعدا كما صعد الصفا وأقبل بوجهه على الصفا ودعا بمثل ذلك الدعاء وقد فصل السعي مرة واحدة فإذا عاد إلى الصفا حصلت مرتان . فعل ذلك سبعا ورمل في موضع الرمل في كل مرة ويسكن في موضع السكون كما سبق وفي كل نوبة يصعد الصفا والروة فإذا فعل ذلك قد فرغ من طواف القدوم والسعي وهما سنتان والطهارة مستحبة للسعي وليست بواجبة بخلاف الطواف وإذاسعى فينبغي أن لا يبدى السعي بعد الوقوف ويكتفى بهذا ركنا فإنه ليس من شرط السعي أن يتأخر عن الوقوف وإنما ذلك شرط في طواف الركن نعم شرط كل سعى أن يقع بعد طواف أى طواف كان

وزاد ثم صلى لسلك أسبوع ركعتين وفى إسنادهما عيد السلام من أبي الحبوب منكر الحديث

(١) حديث من طاف بالبيت أسبوعا وصلى ركعتين فله من الأجر كعتق رقبة ت وصحته ون . من حديث ابن عمر من طاف بالبيت وصلى ركعتين كان كعتق رقبة لفظه . وقال الآخر من طاف بهذا البيت أسبوعا فأحصاه كان كعتق رقبة ولبيح في الشعب من طاف أسبوعا وركع ركعتين كانت كعتاق رقبة (٢) حديث أنه رقى على الصفا حتى بدت له السكبة م من حديث جابر قيدا بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت ولهم من حديث أبي هريرة أن الصفا صلا عليه حتى نزل إلى البيت

خاطب البربر بقوله - ألت بر بكم - فسمعت النداء على غابة الصفا ثم نزل الذرات تنقلب في الأصلاب وتنقل إلى الأرحام قال الله تعالى - الذى يراد حين تقوم وتقلب في الساجدين - منى قلب ذر تلك في أصلاب أهل السجود من آياتك الأنبياء فما زالت تنقل الذرات حتى برزت بين أجسادها فاحتجبت بالحكمة عن القرفة وبطل الشهادة عن عالم الغيب وتراكم ظلماتها بالقلب في الأطوار فإذا أراد الله تعالى باله حسن الاستماع بأر يسره صوفيا صافيا لازال رقيه في رتب التزكية والتعليق حتى غلص من مضيق عالم الحكمة إلى فضاء القدرة وبزال عن بصيرته النافذة بسبب الحكمة فيصير سماعة - ألت بركم - كشفا وحيانا وتوحيد وعرفاته تيمانا وبرهانا وتدرجها لظلال الأطوار في ألوان الأنوار . قال

(الجلية السادسة في الوقوف وما قبله)

الحاج إذا انتهى يوم عرفة إلى عرفات فلا يتفرغ لطواف القدوم ودخول مكة قبل الوقوف وإذا وصل قبل ذلك بأيام فطاف طواف القدوم فيمكث محرماً إلى اليوم السابع من ذي الحجة فيخطب الإمام بمكة خطبة بعد الظهر عند السكبة ويأمر الناس بالاستعداد للخروج إلى منى يوم التروية والبيت بها وبالفد منها إلى عرفة الإقامة فرض الوقوف بعد الزوال إذوقت الوقوف من الزوال إلى طلوع الفجر الصادق من يوم النحر فينبئ أن يخرج إلى منى ملياً ويستحب له الشئ من مكة في التماسك إلى انقضاء حجته إن قدر عليه ولكي من مسجد إبراهيم عليه السلام إلى اللوقف أفضل وأكد فإذا انتهى إلى منى قال اللهم هذه منى فامنن على من أنت به على أوليائك وأهل طاعتك ولحمك هذه الليلة بمنى وهو بيت منزل لا يتعلق به نيك فإذا أصبح يوم عرفة صلى الصبح فاذا طلعت الشمس على ثيرسار إلى عرفات ويقول: اللهم اجعلها خير غداة غلوتها قط وأقرها من رضوانك وأجدها من سخطك اللهم إليك غدت وإليك رجوت وعليك اعتمدت ووجهك أردت فأجعلنى بمنى تباهى به اليوم من هو خير منى وأفضل فإذا أتى عرفات فليضرب ثيابه بمرقة قريباً من المسجد ثم يضرب رسول الله ﷺ قبته (١) ونمرة هي بطن عرنة دون اللوقف ودون عرفة ولينقل للوقوف فاذا زالت الشمس خطب الإمام خطبة وجيزة وقصد وأخذ للؤذن في الأذان والإمام في الخطبة الثانية ووصل الإقامة بالأذان وفرغ الإمام مع تمام إقامة اللؤذن ثم سمع بين الظهر والعصر بأذان وإقامتين وقصر الصلاة وراح إلى اللوقف فليقف بمرقة ولا يقف في وادي عرفة وأما مسجد إبراهيم عليه السلام فصدرة في الوادي وأخريته من عرفة فمن وقف في صدر المسجد لم يحصل له الوقوف بمرقة ويشترط مكان عرفة من المسجد بصخرات كبار فرشت ثم الأفضل أن يقف عند الصخرات قرب الإمام مستقبل القبلة راكياً وليكثر من أنواع التمجيد والتسبيح والتهلل والتناء إلى الله عز وجل والدعاء والتوبة ولا يصوم في هذا اليوم لقوى على المواظبة على الدعاء ولا يقطع التلبية يوم عرفة بل الأحب أن ياتي تارة ويكب على الدعاء أخرى وينبغي أن لا ينصرف من طرف عرفة إلا بعد الغروب ليجمع في عرفة بين الليل والنهار وإن أمكنه الوقوف يوم الثامن ساعة عند إمكان القطع في الهلال فهو الحزم وبه الأمن من القوات ومن فاته الوقوف حتى طلع الفجر يوم النحر فقد فاتته الحج فليبه أن يتحلل عن إحرامه بأعمال العمرة ثم يرقى دماً لأجل القوات ثم يقضى العام الآتي وليكن أهم اشتغاله في هذا اليوم الدعاء ففي مثل تلك البقعة ومثل ذلك الجمع ترجى إجابة الدعوات والدعاء للتأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) إلا وعن السلف في يوم عرفة أولى ما يدعوه لقليل لإلا لله إلا الله وحده لا شريك له (٣)

(١) حدث ضرب به صلى الله عليه وسلم قبته بمرقة مسلم من حديث جابر الطويل فأمر بقبته من شعره فحُرب له بمرقة الحديث (٢) حديث الدعاء للتأثر في يوم عرفة لإلا الله وحده لا شريك له الحديث من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي إلا لله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقال حسن غريب وله من حديث علي قال أكثر ما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة في الموقف اللهم لك الحمد كما ترى قول وخيراً مما حول لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي وإليك سأكب ولك رب ترائي اللهم إني أعوذ بك من شر ما تحيى به الریح وقال ليس بالقوى إسناده وروى المستغفرى في الدعوات من حديثه ياطي إن أكثر دعاء من قبلي يوم عرفة أن أقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم اجعلنى بجزى نوراً وفي معنى نوراً وفي قلبى نوراً اللهم انصرحلى صدى وسرلى أمرى

بينهم أنا أذكر خطاب ألت بربكم إشارة منه إلى هذا الحال فإذا تحقق الصوف بهذا الوصف صار وقته سرمداً وشهوده مؤبداً وسماعه متوالياً متجدداً يسمع كلام الله تعالى وكلام رسوله حتى السماع . قال سفيان بن عيينة : أول العلم الاستماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم الذكر . وقال بعضهم تعلم حسن الاستماع كما تعلم حسن الكلام وقيل من حسن الاستماع إيهال للتكلم حتى يقضى حديثه وقلة التلفت إلى الجوانب والاقبال بالوجه والنظر إلى التكلم والوعى قال الله تعالى لنبيه عليه السلام سولاً لتجلى بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيده وقال لا تحرك به لسانك لتعجل به - هذا تعليم من الله تعالى لرسوله عليه السلام حسن الاستماع قيل معناه لآله في الصحابة حتى تتدبر

معانيه حتى تكون
أنت أول من غلب
بشرابه وبحبائه وقيل
كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم إذا نزل عليه
جبريل عليه السلام
وأوحى إليه لا يقر من
قراءة القرآن عفاة
الاختلات والتميان
فتباه الله تعالى عن
ذلك أي لا تجعل
بقراءته قبل أن يفرغ
جبرائيل من لقائه
إليك وقد يصحكون
مطالعة العلوم وأخبار
رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمعنى السماع
وبحاج المطالع العلوم
والأخبار وسير أه
الصلاح وحكاياتهم
 وأنواع الحكم والأمثال
 التي فيها نجات من
عذاب الآخرة أن
يكون في ذلك كله
متأدبا بأخبار حسن
الاستماع لأنه نوع من
ذلك وكأن القلب
استمد بحسن الاستماع
بإلهامه والتفوي حتى
أخذ من كل ما معه
أحسنه فيكون أخذنا
بالمطالعة من كل شيء
أحسنه ومن الأدب

له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت يده الخبز وهو على كل شيء قدير اللهم اجعلني قاي
نورا وفي معنى نورا وفي معنى نورا وفي معنى نورا اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري ولينقل
اللهم رب الحمد لك الحمد كما هوول وخيرا مما هوول لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي وإليك مآتي
وإليك ثوابي اللهم إني أعوذ بك من وسواس الصدر وشتات الأمر وعذاب القبر اللهم إني أعوذ بك
من شر ما يبلع الليل ومن شر ما يلج في التهار ومن شر ما يهب به الرياح ومن شر بوائقي اللهم
إني أعوذ بك من تحول عافيتك وخفاء نعمتك وجميع سخطك اللهم اهدني بالهدى واغفر لي في
الآخرة والأولى يا خير مقصود وأسر منزول به وأكرم مسئول ماله يا عطي المشية أفضل ما أعطيت
أحدا من خلقك وحجاج بيتك بأرحم الراحمين اللهم بارفع الدرجات ومنزل البركات ويا فاطر الأرضين
والسموات خذ إليك الأمور بصنوف اللغات بسألوك الحاجات وسأجني إليك أن لأنساني في دار
البلاء إذا نسيت أهل الدنيا اللهم إنك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وعلائي ولا يغني عليك
شيء من أمري أنا البائس الفقير المستجير للستيجر الوجع للشفق للعتر بذنيه أسألك مسئلة للسكين
وأقبل إليك ابتهاج للذنب الدليل وأدعوك دعاء الخائف الضعيف بداء من خضعت لك رقبته وفاضت
لك عرته وذل لك جسده ورغم لك أهله اللهم لا تجعلني بدعا لك رب شقيا وكن بدموعي رحما يا خير
السؤولين وأكرم المعطين إلهي من مدح لك نفسه فاني لأم نفسي إلهي أخرست للماضي لسان فاني
وسيلمن عمل ولا شفيع سوى الأمل إلهي إني أعلن ذنوبي لم تقب لي عندك جاهها ولا لا اعتذار وجهها
ولكنك أكرم الأكرمين إلهي إن لم أكن أهلا أن أبلغ رحمتك فإن رحمتك أهدأ أن تلتفي ورحمتك
وسمت كل شيء وأنا شيء إلهي إن ذنوبي وإن كانت عظاما ولكها صفار في جنب عفوك فاغفرها لي
يا كرم إلهي أنت أمت وأنا أنا أنا الوادئ القنوب وأنت الوادئ للفرقة إلهي إن كنت لاترحم
إلا أهل طاعتك فاني من يفرغ الذنوبون إلهي غنيت عن طاعتك حمدا وتوجهت إلى مصيبتك
قصدا فسيحانك ما أعظم حجتك علي وأكرم عفوك عني فيوجوب حجتك علي وانقطاع حجت
عنك وقهرى إليك وغناك عني لا غفرت لي يا خير من دعاه داع وأفضل من رجاه راجع محرمة
الاسلام وبذمة محمد عليه السلام أتوسل إليك فاغفر لي جميع ذنوبي واصبرني من موقفي هذا مقتضى
الحوائج وهب لي ما سألت وحقق رجائي فباغتيت إلهي دعوتك بالهداء الذي علمتني فلا تخرمني الرجاء
الذي عرفته إلهي ما أنت صانع المشية يبعد مقر لك بذنيه خاضع لك بذلته مستكين بمجرمه متضرع
إليك من عمله تائب إليك من اقترافه مستغفر لك من ظلمه مبتهل إليك في الصفو عنه طالب إليك
تجاع حوائجي راج إليك في موقفه مع كثرة ذنوبه فياملجأ كل حي وولي كل مؤمن من أحسن
فبرحمتك يفر ومن أخطأ فيخطئته يهلك اللهم إليك خرجنا وبغناك أغنا وإليك أماننا ومعانك
طلبنا وإلحسانك تعرضنا ورحمتك رجونا ومن عذابك أشفقنا وإليك بأفعال الذنوب هربنا
وليتنا الحرام حجبنا يامن علك حوائج السائلين وعلم ضمائر الصائتين يامن ليس معه رب يدعي ويامن
ليس فوقه خالق يغني ويامن ليس له وزير يؤتي ولا حاجب يرشي يامن لا يزداد على كثرة السؤال
اللهم إني أعوذ بك من وسواس الصدر وشتات الأمر وقتنة القبر وشر ما يلج في الليل وشر ما يلج
في التهار وشر ما يهب به الرياح ومن شر بوائقي اللهم اهدني بالهدى وروى الطيراني في السجيم الصغير
من حديث ابن عباس قال كان دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة اللهم إنك ترى
مكاني وتسمع كلامي وتعلم سري وعلائي ولا يغني عليك شيء من أمري أنا البائس الفقير فذكر
الحديث إلى قوله يا خير للسؤولين يا خير المعطين وإسناده ضعيف وباقي الدعاء من دعاء بعض السلف
وفي بعض ما هو مرفوع ولكن ليس بمقيدا بموقف عرفة .

إلا جودا وكما وعلى كثرة الحوائج إلا تخطوا إحسانا اللهم إنك جعلت لكل ضيف قري ونحن
أضيافك فاجعل قرانا منك الجنة اللهم إن لكل وفد جائزة ولكل زائر كرامة ولكل سائل عطية
ولكل راج نوايا ولكل ملتمس لما عندك جزاء ولكل مسترحم عندك رحمة ولكل راجب إليك
زلفي ولكل متوسل إليك عفوا وقد وفدتنا إلى بيتك الحرام ووقتنا بهذه الشاعر العظام وشهدنا هذه
الشاهد الكرام رجاء لما عندك فلا تخيب رجاءنا لمناياتك اللهم حتى أطمانت الأنفس بتتابع نعمتك
وأظهرت البر حتى نطق الصوامت بحجرك وظهرت اللحن حتى اعترف أوليائك بالتقصير عن حقك
وأظهرت الآيات حتى أقصحت السموات والأرضون بأدلتك وقهرت بقدرتك حتى خضع كل شيء لمرتك
وعنت الوجوه لعظمتك إذا أسامت عبادك حلت وأمهلت وإن أحسنوا فضلت وقبلت وإن عصوا
سرت وإن أذنبوا عفوت وغفرت وإذا دعونا أجبت وإذا نادينا سمعت وإذا ألقينا إليك قربت وإذا
ولينا غدا دعوتك إلهنا إنك قلت في كتابك للذين الحمد خاتم النبيين - قل للذين كفروا إن ينهوا ينفروا
ما نفلس - فأرضاك عنهم لا قرار بكلمة التوحيد بعد الجود وإن اتهم بك بالتوحيد غيتهم ولحمد
بالرسالة خلاصين فاعفرتنا بهذه الشهادة سوائف الأجرام ولا تجعل حظنا فيه أخص من حظ من دخل
في الإسلام إلهنا إنك أحببت التقرب إليك بمنطق ماملكت أمانتنا ونحن عبيدك وأنت أولى بالفضل
فاعتنا وانك أمرتنا أن تصدق على قرائتنا ونحن قهراؤك وأنت أحق بالتطول فتصدق علينا ووصيتنا
بالعفو عن ظلماتنا وقد ظلمنا أنفسنا وأنت أحق بالكرم فأعف عنا ربنا اغفر لنا وارحنا أنت مولانا
ربنا أنت في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقتنا برحمتك عذاب النار . وليكثر من دعاء الحضرة عليه
السلام وهو أن يقول يا من لا يشغله شأن عن شأن ولا سمع عن صمع ولا تشبهه عليه الأموات يا من
لا تقطعه السائل ولا تختلف عليه الأمانت يا من لا يرمة إلحاح اللعين ولا تضعره مسئلة السائلين أذنتا
برد عفوك وحلاوة مناجاتك وليع بما بدا له وليستغفر له ولوالديه ولجميع المؤمنين وللمؤمنات وليبلغ
في الدعاء وليعظم السنة فإن الله لا ينام على شيء وقال مطرف بن عبد الله وهو برفعة اللهم لا تردنا لجمع من
أجلى وقال بكر الذي قاله رجل لما نظرت إلى أهل عرفات ظننت أنهم قد غفر لهم ألا في كنت فيهم .
(الجملة السابقة في قبلة أعمال الحج بعد الوقوف من البيت والرمي والنحر والحلق والطواف)
فإذا أقام من عرفه بعد غروب الشمس فينبغي أن يكون على السكينة والوقار وليجنب وجيف الخيل
وإضاع الأبل كما يتأذى بعض الناس فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم « نهى عن وجيف الخيل وإضاع
الابل وقال : اتوا الله وسروا سيراجيلا لا تظنوا ضيعا ولا تؤذوا مسلما » (١) فإذا بلغ الزدلفة اغتسل لها
لأن الزدلفة من الحرام فليدخله بسل وإن قدر على دخوله ماشيا فهو أفضل وأقرب إلى توفير الحرم
ويكون في الطريق رافعا صوته بالتلبية فإذا بلغ الزدلفة قال اللهم إنهم مزمدة جمعت فيها السنة مختلفة
تسلك حوائج مؤتفة فاجعلني ممن دعاك فاستجبت له وتوكل عليك فكيفيته ثم يجمع بين الترب والعشاء
بزدلفة في وقت العشاء قاصرا له بأذان وإقامتين ليس بينهما نافلة ولكن يجمع نافلة للترب والعشاء والوتر
بعد الفريضتين ويبدأ بنافلة للترب ثم بنافلة العشاء كما في الفريضتين فإن ترك التوافل في السفر خسران
ظاهر وتكلف إقامتها في الأوقات إضرار وقطع للتبعية بينهما وبين القرائن فإذا جاز أن يؤدى
التوافل مع القرائن بتيمة واحدة محكم التبعية فإن يجوز أدائها على حكم الجمع بالتبعية أولى ولا يمنع من

في المطالبة أن العبد إذا
أراد أن يتطالع شيئا
من الحديث والعلم يعلم
أنه قد تكون مطالعة
ذلك بداعة النفس
وقلة صبره على الذكر
والتلاوة والعمل
فتستروح بالمطالبة
كما تتروح بمجالسة
الناس ومكائدهم
فليغفد للفتن نفسه
في ذلك ولا يستحل
مطالعة الكتب إلى حد
يأخذ ذلك من وقته
وبراعى الإفراط فيه
فإذا أراد مطالعة
كتاب أو شيء من العلم
لا يسادر إليه إلا
بعد التثبت والانتابة
والرجوع إلى الله تعالى
وطلب التأيد من
رحمة الله تعالى فيه
فانه قد يرقى بالمطالبة
ما يكون من مزيد
حاله ولو قدم الاستخارة
لذلك كان حسنا فإن
الله تعالى يضع على باب
القيم والتفهم موهبة
من الله زيادة على
ما يتبين من صورة
العلم فله صورة ظاهرة
وسر باطن وهو التفهم
والله تعالى نبه على

هذا مغفرة التعلل الفرض جواز أدائه على الراحة لما أومأنا إليمن التبعية والحاجة ثم تمكث تلك الليلة بزدلفة وهو بيت نسك ومن خرج منها في الصف الأول من الليل ولم يبت فله دم وإحياء هذه الليلة الشريفة من محاسن القرباين يقدر عليه ثم إذا انتصف الليل أخذ في التأهب للرحيل ويترود الحصى منها فيها أحجار رخوة قليلاً خد سبعين حصاة فاقدر الحاجة ولا بأس بأن يستظهر زيادة قدر ما يقطعنه بعضها ولكن الحصى خفافاً بحيث يتخوى عليه أطراف البراجم ثم يلبس صلاة الصبح ولا خفق السرحى إذا انتهى إلى للشعر الحرم وهو آخر للزدلفة فيقف يدعو إلى الأسفار ويقول اللهم بحق للشعر الحرم والبيت الحرام والنهر الحرام والركن والمقام بلغ روح محمدنا التحية والسلام وأدخلنا دار السلام إذا جلال والكرام ثم يدفع منها قبل طلوع الشمس حتى يقبى إلى موضع يقال له وادى يحرس فيستحب أن يحرك دابته حتى يقطع عرض الوادى وإن كان زاجلاً أسرع في الشيء إذا أصبح يوم النحر خلط التلبية بالكبير فيلبي تارة وبكبر أخرى فيقبى إلى منى وموضع الجمرات وهي ثلاثة فيتجاوز الأولى والثانية فلا شغل له معها يوم النحر حتى يقبى إلى جملة العقبة على حى عين مستقبل القبلة في الجادة والمرى مرعخ قليلى سفع الجبل وهو ظاهر بمواقع الجمرات ويرى جمرة العقبة بعد طلوع الشمس قدر رمح وكنته أن ينف مستقبلاً القبلة وإن استقبل الجمرة فلا بأس ويرى سبع حصيات رافضاً يده ويدل التلبية بالكبير ويقول مع كل حصاة الله أكبر الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً لإله الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لإله الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده لإله الله والله أكبر ثم يذبح الهدى إن كان معه والأولى أن يذبح بنفسه ويقل بسم الله والله أكبر اللهم منك وبك وإليك تقبل منى كما تقبلت من خليلك إبراهيم والتضحية بالبدن أفضل ثم بالقرعة ثم الشاة والشاة أفضل من مشاركة سقة في البدنة والبقرة والشاة أفضل من الغزال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الأضحية الكبشى الأقرن والبيضاء أفضل من التبراء والسوداء (١) وقال أبو هريرة البيضاء أفضل إلى الأنحى من دسوداوين وليأكل منه إن كانت من هدى التطوع ولا يضحى بالرجاء والجعاء والضياء والضياء والخرقاء والقاباة والدابة والضياء والجعاء في الأنف والأذن لاقطع منهما والعصب في القرن وفي هسان القوائم والشرقاء للشقوقة الأذن من فوق والخرقاء من أسفل والقاباة المحروقة الأذن من قدام والمدايرة من خلف والضياء للمزولة التي لا ترقى أى لا ينفخ فيمن المزفال ثم يلحق بعد ذلك والسنة أن يستقبل القبلة ويتدعى بعقد رأسه فيخلق الشق الأيمن إلى العظمين الشريفين على القفا ثم يخلق الباقي ويقول اللهم أمتلى بكل عصرة حسنة وامح عني بها سيئة وارفع لي بها عندك درجة ولأمرأة قصير الشعر والأصغر يستحب له إسمار الموصى على رأسه وهو ما يجرى بهجرة فقد جعله له التحلل الأول وحله كل المحظورات إلا النساء والصيد ثم يغيب إلى مكة ويطوف كالمصفاة وهذا الطواف طواف ركن فيالحج ويسعى طواف الزيارة وأول وقته بعد نصف الليل من ليلة النحر وأفضل وقته يوم النحر ولا آخر لوقته بله أن يؤخر إلى أى وقت شاء ولكن يتقيد بمصلحة الأحرار فلا تحل له النساء إلى أن يطوف فإذا طاف ثم التحل وحل الجماع وارتفع الأحرار بالكلية ولم يقل إلا إلى أيام التشريق والمبيت بمنى وحى واجبات بعد زوال الأحرار على سبيل الاتباع للحج وكيفية هذا الطواف

(١) حديث خير الأضحية الكبشى من حديث عبادة بن الصامت وت من حديث أبي أمامة قالت

مع الركنين كما سبق في طواف القدوم فإذا فرغ من الركنين فليصحب كأو صنفان لم يكن سعى به بطواف القدوم وإن كان قد سعى قدوة في ذلك ركنًا فلا ينبغي أن يسجد السعى . وأسباب التحلل ثلاثة الأولى هو الحلق والطواف الذي هو ركن ومهما أتى بثنين من هذه الثلاثة فقد تحلل أحد التحللين والآخر على التقديم والتأخير . وهذه الثلاث مع الحج ولكن الأحسن أن يرمى ثم يذبح ثم يحلق ثم يطوف والسنة للامام في هذا اليوم أن يخطب بعد الزوال وهي خطبة وداع رسول الله ﷺ في الحج أربع خطب: خطبة يوم السابع وخطبة يوم عرفة وخطبة يوم النحر^(١) وخطبة يوم النفر الأول وكلها عقب الزوال وكلها أفراد إلا خطبة يوم عرفة فإنها خطبتان بينهما جلسة ثم إذا فرغ من الطواف عاد إلى منى للبيت والرمى فيبيت تلك الليلة حتى وتسمى ليلة النفر لأن الناس في غد يقرون حتى ولا يفرون فإذا أصبح اليوم الثاني من البيد زالت الشمس اغتسل للرمى وقصد الجرة الأولى التي تلي عرفة وهي على عين الجادة ويرمي إليها بسبع حصيات فإذا تمادها انحرف قليلا عن عين الجادة ووقف مستقبل القبلة وحذاء قنلى وهلاويكبر ودعا مع حضور القلب وخشوع الجوارح ووقف مستقبل القبلة قدر قراءة سورة البقرة مقابل البيت فثم يتقدم إلى الجرة الوسطى ويرمي كرامى الأولى ويوقف كما وقف للأولى ثم يتقدم إلى جرة العقبة ويرمي سبعا ولا يخرج على شغل بل يرجع إلى منزله ويبعث تلك الليلة حتى وتسمى هذه الليلة ليلة النفر الأول ويصبح فإذا صلى الظهر في اليوم الثاني من أيام التشريق رمى في هذا اليوم إحدى وعشرين حصاة كالיום الذي قبله ثم هو غير بين للقاء حتى وبين العود إلى مكة فإن خرج من منى قبل غروب الشمس فلا شيء عليه وإن صبر إلى الليل فلا يجوز له الخروج بل لزمه البيت حتى يرمى في يوم النفر الثاني أحدا وعشرين حجرا كما سبق وفي ترك البيت والرمى إراقة دم وليصدق باللحم أنه أن يزور البيت في ليالي منى بشرط أن لا يبيت إلا بئى . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشغل ذلك^(٢) ولا يترك حضور الفرائض مع الإمام في مسجد الخيف فإن فضله عظيم فإذا أفاض من منى فالأولى أن يقيم بالمحصب من منى ويصلى العصر والترب والمشاء ويرقد رقة^(٣) فهو السنة رواء جماعة من الصحابة رضى الله عنهم فإن لم يفعل ذلك فلا شيء عليه .

(الجلة الثامنة في صفة العمرة وما يهدى إلى طواف الوداع)

من أراد أن يتم قبل حبه أو بعده كيما أراد فليغتسل ويلبس ثياب الاحرام كما سبق في الحج ويحرم بالعمرة من ميثاقها وأفضل مواقيتها الجمرات ثم التمتع ثم الحديبية وينوي العمرة ويولي ويقصد مسجد عائشة رضى الله عنها ويصلى ركعتين ويدعو بما شاء ثم يعود إلى مكة وهو يلي حتى يدخل المسجد الحرام فإذا دخل للمسجد ترك التلبية وطاف سبعا وسعى سبعا كما وصفتنا فإذا فرغ حلق رأسه وقد

غرب وغفر يضعف الحديث (١) حديث الخطبة يوم النحر وهي خطبة وداع رسول الله صلى الله عليه وسلم لم من حديث أبي بكره خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر ولهم حديث ابن عباس خطب الناس يوم النحر . وفي حديث علقه غ ووصله من حديث ابن عمر وقف النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر بين الجمرات في الحجة التي حج فيها قال أى يوم هذا الحديث وفيه ثم ودع الناس قالوا هذه حجة الوداع (٢) حديث زيارة البيت في ليالي منى والبيت حتى د للراسل من حديث طاوس قال أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقضي كل ليلة من ليالي منى قال د وقد أسند قلت وصله ابن عدى عن طاوس عن ابن عباس كان رسول الله ﷺ يزور البيت أيام منى وفيه عمرو بن رباح ضعيف والراسل صحيح الإسناد ولأن داود من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم مكث حتى ليالي أيام التشريق (٣) حديث زوال المحصب وصلاة العصر والترب والمشاء به والرقدة رقة غ من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر والعصر والترب والمشاء بالبطحاء ثم جمع حجة الحديث .

السروردي رحمه الله قال أنا أبو عبد الرحمن السوفى قال أنا عبد الرحمن بن محمد قال أنا أبو محمد عبد الله بن أحمد السرخسى قال أنا أبو عمران السمرقندى قال أنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الداريمى قال حدثنا نعيم بن حماد قال حدثنا بقة عن الأحموس ابن حكيم عن أبيه قال سأله رجل التي عليه السلام عن التشرى فقال « لا تسألوني عن التشرى وسألوني عن الخير » يقولان ثلاثا ثم قال « إن شر التشرى شرار العلماء وإن خير الخير خير العلماء » فالعلماء أدلاء الأمة وعهد الدين ومسرح ظلمات الجهالات الجلية وقباء ديوان الاسلام ومعدن حكم الكتاب والسنة وأمناء الله تعالى في خلقه وأطباء العباد وجهانبة الله الخفية وحمل عظيم الأمانة فهم أحق الحلق بحقائق التقوى وأحوج

تحت عمرته ولتحمي بكه يذبح أن يكثر الاعتار والطواف وليكثر النظر إلى البيت فإذا دخله قليل من ركعتين بين العمودين فهو الأفضل وليدعه حافيا موقرا قيل لبعضهم هل دخلت بيت ربك اليوم فقال والله ما أرى هاتين القدينتين أهلا للطواف حول بيتي فكيف أراها أهلا لأن أأطأ بهما بيت ربى وقد علمت حيث مشيتا وإلى أين مشيتا وليكثر شرب ماء زمزم وليستق يد من غير استئابة إن أمكنه وليرتو منحتي يتضلع ويلق الله به اجسه شغاف من كل داء وسقم وارزق الاخلاص واليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة قال صلى الله عليه وسلم « ما زمزم لما شرب له ^(١) » أى يشق مقصده .

(الجلفة التاسعة في طواف الوداع)

مهاجرين الرجوع إلى الوطن بعد الفراغ من إتمام الحج والعمرة فليزجر أو لا أشغاله وليشذر رحاله وليجعل آخر أشغاله وداع البيت وداعه بأن يطوف بمسما كسبيق ولكن من غير مل واضطباع فإذا فرغ منه صلى ركعتين خلف اللقاع وشرب من ماء زمزم ثم يأتى التلزم ويدعو ويتضرع ويقول اللهم إن البيت بيتك والبدع عبدك وابن عبدك وابن أمك حلتني على ماسخرت لي من خلقك حتى سرتني في بلادك ولتقتي بتمتلك حتى اعتقت على قضاء مساكك فإن كنت رمتنى على قازد عني رضا وإلا فمن الآن قبل تباعدى عن بيتك هذا أو أن الصراف إن أذنت لي غير مستبدل بك ولا بيتك ولا راعبك ولا عن بيتك اللهم أصبني العافية بدني والعصمة في ديني وأحسن مثلي وارزقني طاعتك أبادما أقيتني واجمع لي خير الدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير اللهم لا تجعل هذا آخر عهدي ببيتك الحرام وإن جعلته آخر عهدي فوضني عنه الجنة والأحب أن لا يصرف بصره عن البيت حتى يغيب عنه .

(الجلفة العاشرة في زيارة المدينة وآدابها)

قال صلى الله عليه وسلم « من زارني بمدفوقا فكأما زارني في حياتي ^(٢) » وقال ^(٣) « من وجسمه ولم يدخلني فقد جفاني ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « من جاءني زائرا لأبهمه إلا زيارتي كان حقاقى الله سبحانه أن أكون له شفيعا ^(٥) » فمن قصد زيارة المدينة فليصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقه كثيرا فإذا وقع بصره على حيطان المدينة وأشجارها قال اللهم هذا حرم رسولك فاجعله لي وقاية من النار وأما ما من العذاب وسوء الحساب وليقتل قبل الدخول من بر الحرة ولينظف ويلبس أنظف ثيابا فإذا دخلها فليدخلها متواضعا معظما وليقل بسم الله وعلى مله رسول الله ^(٦) رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ثم يقصد للمسجد ويدخله ويصلى بمسجد للركعتين ويجعل عمود النبر حذاء منسكبة الأيمن ويستقبل السارية التي إلى جانبها الصندوق وتكون الدائرة التي في قبة المسجد بين عينيه فذلك وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يشر للمسجد وليجهد أن يصلى في المسجد

(١) حديث ماء زمزم لما شرب له هـ من حديث جابر بسند ضعيف ورواه قط و ك في المستدرک من حديث ابن عباس قال الحاكم صحيح الإسناد إن سلم من محمد بن حبيب الجارودي قال ابن القطان سلم منغان الخطيب قال فيه كان صدوقا قال ابن القطان لكن الراوى عنه مجبول وهو محمد ابن هشام المروزي (٢) حديث من زارني بمدفوقا فكأما زارني في حياتي الطبراني والدارقطني من حديث ابن عمر (٣) حديث من وجد سعة ولم يقد إلى فقد جفاني ابن عدى والدارقطني في غرائب مالك وابن حبان في الضعفاء والخطيب في الرواة عن مالك من حديث ابن عمر من حج ولم يزرنى فقد جفاني وذكره ابن الجوزي في الموضوعات وروى ابن النجار في تاريخ المدينة من حديث أنس مامن أحمد بن أمي له سعة ثم لم يزرنى فليس له عذر (٤) حديث من جادني زائرا لأبهمه إلا زارني كان حقاقى الله أن أكون له شفيعا الطبراني من حديث ابن عمر ومحمد ابن السكن .

العاد إلى الزهد
في الدنيا لأهم
يحتاجون إليها أنفسهم
ولغيرهم فصادفهم فساد
متعدد . وقال سفیان
ابن عیسی : أجهل
الناس من ترك العمل
بما يعلم وأعلم الناس
من عمل بما يعلم
وأفضل الناس أخشعهم
لله تعالى وهذا قول
صحيح يحكم بأن
المال إذا لم يعمل به
فليس به مال فلا يترك
تشدته واستطاعته
وحداقته وقوته في
الناظرة والمجاهدة فاته
جاهل وليس به مال إلا
أن يتوب الله عليه
يركة العلم فإن الم
في الاسلام لا يضيع
أمله ويرجى عود
العالم بركة العلم والعلم
فريضة وفضية
فالفريضة ما لا بد
للانسان من معرفته
ليقوم بواجب حتى
الدين والفضية ما زاد
على قدر حاجته مما
يكسبه فضيلة في النفس
مواقفة للكتاب
والسنة وكل علم

الأول قبل أن يزاد فيه ثم يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيقرب عنده وجهه وذلك بأن يستدير القبلة ويستقبل جدار القبر على نحو من أربعة أذرع من السارية التي في زاوية جدار القبر ويجعل القنديل على رأسه وليس من السنن أن يمس الجدار ولأن يقبله بل الوقوف من بعد أقرب للاحترام فقف ويقول السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا بني الله السلام عليك يا أمين الله السلام عليك يا حبيب الله السلام عليك يا صفة الله السلام عليك يا خيرة الله السلام عليك يا أحمد السلام عليك يا محمد السلام عليك يا أبا القاسم السلام عليك يا ماحي السلام عليك يا قاب السلام عليك يا حشر السلام عليك يا بشر السلام عليك يا نذير السلام عليك يا طاهر السلام عليك يا طاهر السلام عليك يا أكرم وله آدم السلام عليك يا سيد المرسلين السلام عليك يا خاتم النبيين السلام عليك يا رسول رب العالمين السلام عليك يا قائد الخير السلام عليك يا فاع الخير السلام عليك يا مني الرحمة السلام عليك يا هادي الأمة السلام عليك يا قائد القم المحجبين السلام عليك وعلى أهل بيتك الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا السلام عليك وعلى أصحابك الطيبين وعلى أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين جزاك الله عنا أفضل ما جزى نبياعن قومه ورسولاً عن أمته صلى عليك كما ذكره كرون وكما غفل عنك القائلون وعلى عليك في الأولين والآخرين أفضلوا كل وأعلى وأجل وأحب وأطهر ماض على أحسن خلقه كما استغفنا بك من الضلالة وبصرنا بك من العمية وهذا ما بك من الجلالة أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنك عبده ورسوله وأمينه وصفيه وخبر من خلقه وأشهد أنك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت عدوك وكهدهت أمتك وعبدت ربك حتى أتاك اليقين صلى الله عليك وعلى أهل بيتك الطيبين وسلم وشرف وكرم وعظم وإن كان قد أوصى بتبليغ سلام يقول السلام عليك من فلان السلام عليك من فلان ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على أبي بكر الصديق رضي الله عنه لأن رأسه عند منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأس عمر رضي الله عنه عند منكب أبي بكر رضي الله عنه ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على الفاروق عمر رضي الله عنه ويقول السلام عليك يا وزير رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين له على القيام بالله بن مادام حيا والقائمين في أمته بعده بأمور الدين تيمان في ذلك آثاره وعملائه يستنه خيرا كما الله خير ما جزى وزير بني عوف دينه ثم يرجع فيقف عند رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بين القبر والاسطوانة اليوم ويستقبل القبلة وليحمد الله عز وجل وليحمده وليكبر من الصلاة على رسول الله ﷺ ثم يقول اللهم إنيك قد قلت وقولك الحق ولو أنهم إذ ظفروا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توباً راجعاً - اللهم إني أقدم سمعنا قولك وأطعنا أمرك وقصدنا نيك متشفعين بك إليك في ذنوبنا وما اتقل ظهورنا من أوزارنا تابين من زنا متعرفين غطايانا وتخصيرنا تائب اللهم علينا وشفع نيك هذا قينا وارفعنا بمنزلة عندك ورحه عليك اللهم اغفر للعاجرين والأنصار واغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان اللهم لا تجعل آخر العهد من قبر نيك ومن حرمك بأرحم الراحمين ثم يأتي إلى الروضة فيصلي فيأركن ويكبر ثم الدعاء ما استطاع لقوله ﷺ « ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي » (١) ويدعو عند اللبر ويستحب أن يضع يده على الرامة السفلى التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع يده عليها عند الخطبة (٢) ويستحب له

لا يوافق السكاب والسنه وما هو مستفاد منهما أو معين على فهمها أو مستند إليها كاتنا ما كان فهو رذيلة وليس بفضيلة يزداد الانسان به هوانا ورذيلة في الدنيا والآخرة فالله الذي هو فرضه لا يسع الانسان جهله على ما حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب قال أنا الحافظ أبو القاسم للسمع قال أنا الشيخ العالم أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري قال أنا أبو محمد عبد الله ابن يوسف الأصفهاني قال أنا أبو سعيد بن الأعرابي قال حدثنا بسفر بن عامر العسكري قال حدثنا الحسن بن عطية قال حدثنا أبو عاتكة عن أنس ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم ولو بالعين فان طلب العلم فريضة على كل مسلم » .

وختلف العلماء في العلم الذي هو فريضة قال بعضهم هو طلب علم الاخلاص ومعرفة آفات النفوس وما يغسد الأعمال لأن الاخلاص مأمور به كإن العمل مأمور به قال الله تعالى - وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين - فالاخلاص مأمور به وخدع النفس وغرورها ومساكنها وشهواتها الخفية تخرب بآيات الاخلاص المأمور به فصار علم ذلك فرضاً حيث كان الاخلاص فرضاً وما لا يصل البعد إلى الفرض إلا بصرفها وقال بعضهم معرفة الخواطر وتقصيها فريضة لأن الخواطر هي أصل الفعل ومبدؤه ومشوؤه وبذلك يعلم الفرق بين ذلك وللة الشيطان فلا يصح الفعل إلا بصحتها فصار علم ذلك فرضاً حتى يصح الفعل من البعد . وقال بعضهم هو طلب علم الوقت - فالإسبال ابن عبد الله هو طلب

أن يأتي أحد يوم الخميس ويזור قبور الشهداء فيصلى الغداة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ثم يخرج ويعود إلى المسجد لصلاة الظهر فلا يفوته فريضة في الجماعة في المسجد ويستحب أن يخرج كل يوم إلى البقيع بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويזור قبر عثمان رضي الله عنه وقبر الحسن بن علي رضي الله عنهما وفيه أيضاً قبر علي بن الحسين وعبد بن علي وجعفر بن محمد رضي الله عنهم ويصلى في مسجد فاطمة رضي الله عنها ويזור قبر إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبر صفية حمة رسول الله ﷺ فذلك كله باليقع ويستحب له أن يأتي مسجد قباء في كل سبت ويصلى فيه لما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال من خرج من بيته حتى يأتي مسجد قباء ويصلى فيه كان له عدل حمرة (١) » وبأني يرأس يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم قفل فيها وهي عند السجدة فتوضأ منها وشرب من ماءها (٢) وبأني مسجد القنح وهو على الخندق وكذا يأتي سائر المساجد والشاهد ويقال إن جميع الشاهد والمساجد بالمدينة ثلاثون موضعاً يعرفها أهل البلد فيقصد ما قدر عليه وكذلك يقصد الآثار التي كان رسول الله ﷺ يتوضأ منها ويشرب منها (٣) وهي سبع آثار طلبا للشقاء وتبركا به صلى الله عليه وسلم وإن أسكنه الإقامة بالمدينة مع مراعاة الحرمة فلها فضل عظيم (١) حديث من خرج من بيته حتى يأتي مسجد قباء ويصلى فيه كان عدل حمرة النساء وابن ماجه من حديث سهل بن حنيف باسناد صحيح (٢) حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل في بئر أريس لم أقف له على أصل وإنما ورد أنه قفل في بئر البصة وبئر غرس كما سيأتي عند ذكرها (٣) حديث الآثار التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ منها ويشرب منها وهي سبعة آبار . قلت وهي بئر أريس وبئرها وبئر رومة وبئر غرس وبئر بضاعة وبئر البصة وبئر السقياء أو الهن أو بئر جمل . فحديث بئر أريس رواه مسلم من حديث أنى موسى الأشعري في حديث فيه حتى دخل بئر أريس قال فجلست عند بابها وبابها من حديد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته وتوضأ الحديث . وحديث بئرها متفق عليه من حديث أنس قال كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة نخلاً وكان أحب أمواله إليه بئرها وكانت مستقبلة للمسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب الحديث . وحديث بئر رومة رواه ت ن من حديث عثمان أنه قال أشدكم بالله والاسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال من يشتري بئر رومة ويحمل دلوه مع دلاء المسلمين الحديث قال ت حديث حسن ، وفي رواية لهما هل تعلمون أن رومة لم يكن يشرب منها أحد إلا بالثمن فابتعتها فجعلتها لغني والفقيه وابن السبيل الحديث وقال حسن صحيح وروى البيهقي والطبراني من حديث بشر الأسلمي قال لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء وكانت لرجل من بني غفار عين يقال لها رومة وكان يسبح منها القربة بعد الحديث . وحديث بئر غرس رواه ابن حبان في الثقات من حديث أنس أنه قال اتوني بماء من بئر غرس فاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب منها ويتوضأ ولان ماجه باسناد جيد مرفوعاً إذا أنا مت غافسوا في بسبح قرب من بئر بئر غرس وروينا في تاريخ المدينة لابن النجار باسناد ضعيف مرسل أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ منها وريق فيها وغسل منها حين توفي . وحديث بئر بضاعة رواه أصحاب السنن من حديث أبي سعيد الخدري أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتوضأ من بئر بضاعة وفي رواية أنه يستقي لك من بئر بضاعة الحديث قال يحيى بن معين إسناده جيد وقال ت حسن للطبراني من حديث أبي أسيد بصق النبي صلى الله عليه وسلم في بئر بضاعة وروناه أيضاً في تاريخ ابن النجار من حديث سهل بن سعد وحديث بئر البصة

قال صلى الله عليه وسلم « لا يصبر على لأوائها وشدها أحد إلا كنت له شفيعاً يوم القيامة » وقال صلى الله عليه وسلم « من استطاع أن يعوت بالمدينة فليمت فانه لن يعوت بها أحد إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة » ثم إذا فرغ من أشغاله وعزم على الخروج من المدينة فليستحب أن يأتي القبر الشريف ويميد دماء الزبارة كما سبق ويودع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسأل الله عز وجل أن يرزقه العودة إليه ويسأل السلامة في سفره . ثم يصلي ركعتين في الروضة الصغيرة وهي موضع مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن زينت للقصورة في المسجد فإذا خرج فليخرج رجلاً يسرى أولاً ثم اليمنى وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ولا تجعله آخر العهد بنبينا وحط أوزاري بزيارته وأصحبني في سفرى السلامة وسر رجوعى إلى أهلى ووطنى سالماً بالرحم الرحمن وليتصدق على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قدر عليه وليتبع المساجد التي بين المدينة ومكة فيصلي فيها وهي عشرون موضعا .

(فصل في سنن الرجوع من السفر)

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قتل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على رأس كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ويقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له للملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيئون تأيئون عابدون ساجدون لرنا حامدون صلى الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده » وفي بعض الروايات « وكل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون » فينبى أن يستعمل هذه السنة في رجوعه وإذا أشرف على مدينته حرك السابك يقول اللهم اجعل لنا هافرا ورزقا حسنا ثم يرسل إلى أهله من يخبرهم بقدمه كي لا يقدم عليهم بنته فذلك هو السنة (١) ولا يبنى أن يترك أهله ليلا فإذا دخل البلد فليقصد المسجد أولا وليصل ركعتين فهو السنة (٢) كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا دخل بيته قال توبا لرنا أوبا لا ينادر علينا حوبا فإذا استقر في منزله فلا

رواه ابن عدى من حديث أبي سعيد الخدرى أن النبي صلى الله عليه وسلم جاءه يوما فقال هل عندكم من صدر أغسل به رأسى فان اليوم الجمعة قال نعم فأخرج له سدرا وخبر معه إلى البصة فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه وصب غسالة رأسه ومراق شعره في البصة وفيه محمد بن الحسن بن زبالة ضعيف وحديث بثر السقا رواه د من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستحب له من يوت السقا زاد الزبارة في مسنده أو من بثر السقا ولأحمد من حديث على خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا بالسقا التي كانت لسعد بن أبى وقاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتوني بوضوء فلما توضع قام الحديث . وأما بثر جل في الصحابين من حديث أنى الجمهم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بثر جل الحديث وصله خ وعلقه م وللشهور أن الآبار بالمدينة سبعة وقدرى المارحمن حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرضه صبوا على سبع قرب من آبارشق الحديث وهو عند خ دون قوله من آبارشق (١) حديث لا يصبر على لأوائها وشدها أحد إلا كنت له شفيعاً يوم القيامة تهدم في الباب قبله (٢) حديث من استطاع أن يعوت بالمدينة فليمت فانه لن يعوت بها أحد إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة تهدم في الباب قبله (٣) حديث كان النبي ﷺ إذا قتل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر وما زاد في آخره في بعض الروايات من قوله وكل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون رواه الهاملى في الدعاء بإسناد جيد (٤) حديث إرسال السافرا إلى أهل بيته من يخبرهم بقدمه كيلا يقدم عليهم بنته لا جد فيه كذا الإرسال وفي الصحيحين من حديث جابر كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فلما قمنا المدينة ذهبنا لتدخل فقال أمهوا حتى تدخل ليلى أم عشاء كي نغتسل الشمة ونستجد النية (٥) حديث صلاة ركعتين في المسجد عند القدوم من السفر تهدم في الصلاة.

علم الحلال بمعنى حكم حله الذى بينه وبين الله تعالى في دينه وآخرته وقيل هو طلب علم الحلال حيث كان أكل الحلال فريضة وقد ورد طلب الحلال فريضة بعد الفريضة « صار على فريضة من حيث إنه فريضة وقيل هو طلب علم الباطن وهو ما زاد به البعد يتجنا وهذا العلم هو الذى يكتبك بالجنة وهائلة الصالحين من العلماء والوفىين والزهاد للقرين الذين جعلهم الله تعالى من جنوده يسوق الطالين إليهم وقوسهم بطريقهم ويرشد هم بهم فهم ورآث علم النبي عليه السلام ومنهم يتعلم علم اليقين . وقال بعضهم هو علم البيع والشراء والتكسح والطلاق إذا أراد النكاح في شيء من ذلك يجب عليه طلب علم وقال بعضهم هو أن يكون البعد يريد عمل ما هو عليه في ذلك فلا يجوز له أن يعمل برأيه

ينبغي أن ينسب ما أتاه الله به عليه من زيارة بيته وقرنيه صلى الله عليه وسلم فيكثر تلك النعمة بأن يهودي التفتة واليهو والحوض في العامي فما ذلك علامة الحج للبرور بل علامته أن يهود زاعدا في الدنيا راعيا في الآخرة متاهيا لقاء رب البيت بعد لقاء البيت .

(الباب الثالث في الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة)

(بيان دقائق الآداب وهي عشرة)

الأول : أن تكون النفقة حلالا وتكون اليد خالية من نجاسة تشغل القلب وتغرق الهم حتى يكون الهم مجردا لله تعالى والقلب مطمئنا منصرفا إلى ذكر الله تعالى وتكظيم شأنته وقد روي في خبر من طريق أهل البيت « إذا كان آخر الزمان خرج الناس إلى الحج أربعة أصناف سلاطينهم للزفة وأغنيائهم للتجارة وقراؤهم للمستقلة وقراؤهم للسمة » (١) وفي الخبر إشارة إلى جملة أغراض الدنيا التي تصور أن تنصل بالحج فكل ذلك مما يمنع فضيلة الحج ويخرجه عن حيز حج الخصوص لاسيا إذا كان متعجرا بنفس الحج بأن يحج لغيره بأجرة فيقلب الدنيا يسل الأجرة وقد كره الودعون وأرباب القلوب ذلك إلا أن يكون قصده القائم بحجك ولم يكن له ما يلهيه فلا بأس أن يأخذ ذلك على هذا القصد لا ليتوصل بالدين إلى الدنيا بل بالدنيا إلى الدين فعند ذلك ينبغي أن يكون قصده زيارة بيت الله عز وجل ومعاونة أخيه للسل بأسقاط القرض عنه وفي مثله ينزل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « يدخل الله سبحانه بالحاجة الواحدة ثلاثة الجنة الوصي بها ولتفتد لها ومن حج بها عن أخيه » (٢) ولست أقول لأتعمل الأجرة أو يحرم ذلك ببدن أسقط قرض الإسلام عن نفسه ولكن الأولى أن لا يفعل ولا يتخذ ذلك مكسبه ومتجره فان أعتز وجل يعطى الدنيا بالدين ولا يعطى الدين بالدنيا وفي الخبر « مثل الذي يفرق في سبيل الله عز وجل ويأخذ أجرا مثل أم موسى عليه السلام ترضع ولدها وتأخذ أجرا » (٣) فمن كان مثله في أخذ الأجرة في الحج مثال أم موسى فلا بأس بأخذه فانه يأخذ ليتمكن من الحج والزيارة فيه وليس يحج يأخذ الأجرة بل يأخذ الأجرة ليحج كما كانت تأخذ أم موسى ليتيسر لها الارضاع بتلبس حالها عليهم . الثاني : أن لا يماون أعداء الله سبحانه بقليل الكسوف والصادون عن المسجد الحرام من أمراء مكة والأعراب اللترصدين في الطريق فان تسليم المال إليهم إغاة على الظلم وتيسير لأسباب عليهم فهو كالأغاة بالنفس فليتلطف في حيلة الخلاص فان لم يقدر فقد قال بعض العلماء ولا بأس بما قاله إن ترك التنفل بالحج والجوع عن الطريق أفضل من إغاة الظلمة فان هذه بدعة أحدثت وفي الاتياد لها ما يجعلها سنة مطردة وفيه ذل وصغار على المسلمين ينزل جزية ولا معنى لقول القائل إن ذلك يؤخذ مني وأنا مضطر فانه لوخذ في البيت أو رجع من الطريق لم يؤخذ منه شيء بل ربما يظهر أسباب الترفه فتكثر مطالبته فلو كان في زى القراء لم يطالبه فهو الذي ساق نفسه إلى حالة الاضطراب . الثالث التوسع في الزاد وطيب النفس بالذل والاتفاق من غير تفتير ولا إسراف

(الباب الثالث في الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة)

(١) حديث إذا كان في آخر الزمان خرج الناس للحج أربعة أصناف سلاطينهم للزفة وأغنيائهم للتجارة وقراؤهم للسؤال وقراؤهم للسمة الخاطب من حديث أنس باستناد مجهول وليس فيه ذكر السلاطين ورواه أبو عيان الصابوني في كتاب اللاتين فقال حج أغنياء أمي للزفة وأوساطهم للتجارة وقراؤهم للمستقلة وقراؤهم للرياء والسمة (٢) حديث يدخل الله بالحاجة الواحدة ثلاثة الجنة الوصي بها ولتفتد لها ومن حج بها عن أخيه حتى من حديث جابر بسند ضعيف (٣) حديث مثل الذي يفرق ويأخذ أجرا مثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرا ابن عدي من حديث معاذ وقال المستقيم الإسناد منكر للثمن.

إذ هو جاهل فيها له وعليه في ذلك فراجع علما يسأله عنه ليجيبه على بصيرة ولا يسل برأيه وهذا علم يجب طلبه حيث جهل . وقال بعضهم طلب علم التوحيد فرض فمن قائل يقول طريقه النظر والاستدلال ومن قائل يقول إن طريقه النقل . وقال بعضهم إذا كان العبد على سلامة الباطن وحسن الاستسلام والاتقاد في الإسلام ولا يحرك في صدره شيء سالم فان حاك في صدره شيء أو نوسو .

شيء يقدر في العفة أو ابتلى بشبهة لا تؤمر فالتبأ أن يحجر إلى بدعة أو ضلالة فيجب عليه أن يستكشف عن الاختباء وراجع أهل العلم ومن فضحه طريق الصواب . وقال الشيخ أبو طالب السكي رحمه الله هو علم الترائف المحسن التي بنى عليها الإسلام لأنها اقترحت على المسلمين

بل على الاقتصاد وأغنى بالاسراف التتم بأطياب الأطعمة والترقه شرب أنواعها على عادة الترفين
فأما كثرة البذل فلاسرف فيه إذ لاخير في السرف ولاسرف في الخير كما قيل وبذل الزاد في طريق
الحج نفقة في سبيل الله عز وجل والدرهم بسبعائة درهم قال ابن عمر رضي الله عنهما من كرم الرجل
طيب زاده في سفره وكان يقول أفضل الحجاج أخلصهم نية وأزكاهم نفقة وأحسنهم شينا وقال صلى
الله عليه وسلم «الحج البرور ليس له جزاء إلا الجنة قيل ليعارس الله ما ر الحج ؟ فقال طيب الكلام
وإطعام الطعام (١) » الرابع : ترك الفرف والفسوق والجدال كانطق به القرآن والفرف اسم جامع لكل
لغو وخي وخش من الكلام ويدخل فيه مغازلة النساء ومداعبتن والتحدث بشأن الجماع ومقدماته
فإن ذلك يهيج داعية الجماع المحظور والداعي إلى المحظور محظور والفسق اسم جامع لكل خروج عن
طاعة الله عز وجل والجدال هو المبالغة في الخصومة والمماراة بما يورث الضغائن وغرق في الحال الهمة
ويناقض حسن الخلق وقد قال مكيان من رفث فسد حبه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
طيب الكلام مع إطعام الطعام من ير الحج والمماراة تناقض طيب الكلام فلا ينبغي أن يكون كثير
الاعتراض على رفيقه وسهله وعلى غيره من أصحابه بل يلين جانبه ويخفض جناحه للسائرين إلى
بيت الله عز وجل ويترك حسن الخلق وليس حسن الخلق كلف الأذى بل احتال الأذى وقيل سمى
السفر سفرا لأنه يسفر عن أخلاق الرجال ولذلك قال عمر رضي الله عنه لمن زعم أنه يعرف رجلا هل
صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق قال لا فقال ما أراك تعرفه . الخامس : أن يهيج
ماشيا إن قدر عليه فذلك الأفضل . أوصى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بنيه عند موته فقال
يا بني حجوا مشاة فإن للججاج السأى بكل خطوة يخطوها سبعائة حسنة من حسنات الحرم ، قيل
وما حسنات الحرم ؟ قال الحسنة عانة ألف والاستجاب في لكى في للناسك والتدب من مك إلى الوقت
وإلى متى أكد منه في الطريق وإن أضاف إلى لكى الأحرام من ديرة أهله فقد قيل إن ذلك من
إتمام الحج قاله عمر وعلى وابن مسعود رضي الله عنهم في معنى قوله عز وجل - وأعموا الحج والعمرة لله
وقال بعض العلماء الركوب أفضل لما فيه من الاتساق واللذة ولأنه أبعد عن ضجر النفس وأقل لأذاه
وأقرب إلى سلامته وتعام حبه وهذا عند التحقيق ليس مخالفا للأول بل ينفى أن يفضل ويقال من
سهل عليه لكى فهو أفضل فإن كان يصفو يؤدى به ذلك إلى سوء الخلق وقصور عن عمل فالركوب
له أفضل كأن الصوم للمسافر أفضل وللمريض مالم يفض إلى ضعف وسوء خلق . وسئل بعض العلماء
عن العمرة أمشى فيها أو يركب حمارا يدرهم فقال إن كان وزن الدرهم أشد عليه فالركاء أفضل من
لكى وإن كان لكى أشد عليه كالأنغىة فلكى له أفضل فساكنه ذهب فيه إلى طريق مجاهدة النفس
وله وجه ولكن الأفضل له أن يمشى ويصرف ذلك الدرهم إلى خير فهو أولى من صرفه إلى السكاري عوضا
عن ابتذال الدابة فإذا كانت لا تنفع نفسه للجمع بين مشقة النفس وتقصا للالفا ذكره غيره بعد
فيه . السادس : أن لا يركب إلا زاملة أو الحمل فليجتنبه إلا إذا كان يخاف من الزاملة أن لا يستمسك عليها
لمدر وقيمعتان أحدهما التخفيف على اليمير فإن الحمل يؤذيه والثاني اجتباب زى للترفين والتسكين
« حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلة وكان تحته رجل وثوق طيفة خلة قيمتا أربعة دراهم (٢) »

(١) حديث الحج البرور ليس له جزاء إلا الجنة ، قيل ما ير الحج ؟ قال طيب الكلام وإطعام
الطعام أحمد من حديث جابر بإسناد لين ورواه الحاكم مختصرا وقال صحيح الإسناد (٢) حديث
« حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلة وكان تحته رجل وثوق طيفة خلة قيمتا أربعة
دراهم الترمذى في التمهال وابن ماجه من حديث أس بنده ضعيف .

وإذا كان عملها فرضا
صار علم العمل بها فرضا
وذكر أن علم التوحيد
داخل في ذلك لأن
أولها الشهاداتتان
والاخلاص داخل في
ذلك لأن ذلك من
ضرورة الاسلام وعلم
الاخلاص داخل في صحة
الاسلام وحيث أن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه فرصة
على كل مسلم يقتضى
أن لا يسمع مسلما جهله
وكل ما يقتضى من
الأقوال أكسرها
ما يسمع السلم جهله لأنه
قد لا يعلم علم الخواطر
وعلم الحال وعلم الحلال
بجميع وجوهه وعلم
القيمين المتفاد من
علماء الآخرة كما ترى
وأكثر للمسلمين على
الجهل بهذه الأشياء
ولو كانت هذه الأشياء
فرضت عليهم ليجز
فيها أكسرها الخلق
إلا ماشاء الله ومشي في
هذه الأقاويل إلى قول
الشيخ أبي طالب أكثر
وإلى قوله من قال يجب
عليه علم البيع
والشراء والنسك

والاطلاق إذا أراد
الدخول فيه وهذا
لمصرى فرض على السلم
عليه وهذا الذي قاله
الشيخ أبو طالب
وعندى في ذلك حد
جامع لطلب العلم
للقرض والله أعلم .
فأقول : العلم الذى طلبه
فرضه على كل مسلم
علم الأمر والنهى
ولسأموار ما يثاب على
فعله وما يثاب على تركه
والنهي ما يثاب على تركه
والأموار ما يثاب على
فعله وما يثاب على تركه
منها ما هو مستمر لازم
للبعد بحكم الإسلام
ومنها ما يتوجه الأمر
فيه والنهي عنه عند
وجود الحادثة فها هو
لازم مستمر لزومه
متوجه بحكم الإسلام
عليه به واجب من
ضرورة الإسلام وما
يتجدد بالحوادث
ويتوجه الأمر والنهي
فيه فله عند تجدد
فرض لا يسهل مسلما
على الإطلاق أن يفهم
وهذا الحد أعم من
الوجوه التى سبقت
والله أعلم . ثم إن

وطاف على الراحة لينظر الناس إلى هديه وشماته^(١) وقال صلى الله عليه وسلم «خذوا عني مناسككم»^(٢) وقيل إن هذه الحملات أحدها الحاج وكان العلماء في وقته يذكرونها فروى سفيان الثوري عن أبيه أنه قال برزت من الكوفة إلى القادسية للرجوع ووافيت الرفاق من البلدان فرأيت الحاج كلهم على زواجر وجوارقات ورواحل وما رأيت في جميعهم إلا تخمين وكان ابن عمر إذا نظر إلى ما أحدث الحاج من الزى والحمل، يقول الحاج قليل والركب كثير ثم نظر إلى رجله مسكين رث الهيئة فحتمه جوارق فقال هذا نعم من الحاج . السابغ أن يكون رث الهيئة أشعث أغبر غير مستكر من الزينة ولا مائل إلى أسباب التفاخر والتكاثر فيكتب في ديوان للتكرين للترفين ويخرج عن حزب الضعفاء وللساكين وخصوص الصالحين قد أمر صلى الله عليه وسلم بالثمت والاختفاء^(٣) ونهى عن التتم والرفاهية^(٤) في حديث فضالة بن عبيد وفي الحديث «إنما الحاج الثمت الثفت»^(٥) ويقول الله تعالى انظروا إلى زوار بيتي قد جاءوا شعثا غبرا من كل فج عميق^(٦) وقال تعالى - ثم ليقتضوا أنفسهم - والثمت الثمت والاختفاء وقضاؤه بالحلق وقص الشارب والأظفار وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أمراء الأجناد اخلووا واخشو شوا أئى البسوا الخلقان واستعملوا الخشونة في الأشياء وقد قيل زين الحبيص أهل اليمن لأنهم على هيئة التواضع والضعف وسيرة السلف فينبغي أن يحتجب الحجة في زيه على الخصوص والشهرة كما كانت على العموم قد روى «أنه ^{عليه السلام} كان في سفر فزل أحمابه منزلا فسرحت الأبل فنظر إلى أكسية حمراء على الأتقاب فقال صلى الله عليه وسلم أرى هذه الحجرة قد غلبت عليكم»^(٧) قالوا قمنا إليها ونزعناها عن ظهورها حتى شرد بعض الأبل . الثامن أن يرفق بالدابة فلا يعلها بالاطيق والحمل خارج عن حد طاقتها والنوم عليها يؤذيها ويثقل عليها كان أهل الورع لئامون على الدواب إلا خفوة عن قود وكانوا لا يقفون عليها الوقوف الطويل قال صلى الله عليه وسلم «لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي»^(٨) ويستحب أن يزل عن دابته غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة^(٩) وفيه آثار عن السلف . وكان بعض السلف يكرى بشرط أن لا يزل وبوفى الأجرة ثم كان يزل عنها ليكون بذلك حسنا إلى الدابة فيكون في حسنة ويوضع في ميزانه لافي ميزان الكارى وكل من أذى بهيمة وحملها

(١) حديث طوافه صلى الله عليه وسلم على راحلته تقدم (٢) حديث خذوا عني مناسككم م ن واللفظ له من حديث جابر (٣) حديث الأمر بالثمت والاختفاء الغوى والطبراني من حديث عبد الله بن أبي حنبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعددوا واخشو شوا واتصافوا وامشوا حفاة وفيه اختلاف ورواه ابن عدى من حديث أبي هريرة وكلاهما ضعيف (٤) حديث فضالة بن عبيد الله عن التتم والرفاهية وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن كثير من الإرفاء ولأحمد من حديث معاذ وإك التتم الحديث (٥) «إنما الحاج الثمت الثفت» م من حديث ابن عمر وقال غريب (٦) حديث يقول الله تعالى انظروا إلى زوار بيتي قد جاءوا شعثا غبرا من كل فج عميق الحاكم وصححه من حديث أبي هريرة دون قوله من كل فج عميق وكذا روله أحمد من حديث عبد الله بن عمرو (٧) حديث أنه صلى الله عليه وسلم كان في سفر فزل أحمابه منزلا فسرحت الأبل فنظر إلى أكسية حمراء على الأتقاب فقال أرى هذه الحجرة قد غلبت عليكم الحديث د من حديث رافع ابن خديج وفيه رجل لم يسم (٨) حديث لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي أحمد من حديث سهل ابن معاذ بسند ضعيف ورواه الحاكم وصححه من رواية معاذ بن أنس عن أبيه (٩) حديث النزول عن الدابة غدوة وعشية يروحها بذلك الطبراني في الأوسط من حديث أنس باستناد جيد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى التجر في السفر مضى ورواه البيهقي في الأدب وقال مثنى قليلا وثاقته خاد.

مالا تطلق طوبى به يوم القيامة. قال أبو الفرداء لحيه له عند الموت يأبها البير لا تخافني إلى ربك فاني لم أكن أحملك فوق طائفك وعلى الجملة في كل كبد حري أجر قلياع حق الهابة وحق الكارى جيبا وفي نزوله ساعة ترويع الهابة وسرور قلب الكارى. قال رجل لابن المبارك اعمل لي هذا الكتاب مملك لئله فقال حتى أستأمر الجبل فاني قد اكرت فانظر كيف تروع من استصحاب كتاب لا وزن له وهو طريق الحزم في الورع فانه إذا فتح باب القليل انجر إلى الكثير يسيرا يسيرا. التاسع أن يترب يرافقه دم وإن لم يكن واجبا عليه ويجهد أن يكون من صين النمل ونفيسه وليأكل منه إن كان تطوعا ولا يأكل منه إن كان واجبا قيل في تفسير قوله تعالى - ذلك ومن يظلم شعائر الله - إنه تحمينه وتسمينه وسوق الهدى من اللغات أفضل إن كان لا يجهد ولا يكده وإترك المكاس في شرائه فقد كانوا يبالغون في ثلاث ويكرهون المكاس فيهن الهدى والأضحية والرقبة فإن أفضل ذلك أغلاها ثمنها وأغسها عند أهله وروى ابن عمر « أن عمر رضى الله عنهما أهدى نجية فطلبت منه بثلاثة دنانير فساء رسول الله ﷺ أن يبسها ويشتري بثمنها بدنا قهاه عن ذلك وقال بل أهدها (١) » وذلك لأن القليل الجيد خير من الكثير الدون وفي ثلاثة دنانير قيمة ثلاثين بدنة وفيها تكثير اللحم ولكن ليس القصور اللحم إنما المقصود تركية النفس وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها بحال التعظيم شعر وجل قلن ينال الله لعمومها ولا دماؤها ولكن يناله التتوى منكم وذلك يحصل بمراعاة النفاة في القيمة كثر العدد أو قل « وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بر الحج فقال الحج والتج (٢) » والحج هورفع الصوت بالتلبية والتج هو الخرايدن وروت عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما عمل آدمى يوم النحر أحب إلى الله عز وجل من إهراقه دما وإنها لتأتى يوم القيامة جبروتا وأظلالها وإن الدم يقع من الله عز وجل مكان قبل أن يقع بالأرض فطيبوا بها نفسا (٣) » وفي الخبر « لكم بكل صوفة من جلد حنة وكل قطرة من دمها حنة وإنها لتوضع في الليزان فأبشروا (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « استجدوا هداياكم فانها مطاياكم يوم القيامة (٥) ». العاشر أن يكون طيب النفس بما آتقه من نفقة وهدى وبما أصابه من خسران ومصيبة في مال أو بدن إن أصابه ذلك فإن ذلك من دلائل قبول حجه فإن الصبية في طريق الحج تعدل النفقة في سبيل الله عز وجل الدرهم بسبعة درهم وهو ثابة الشدان في طريق الجهاد فله بكل أدنى احتضله وخسران أصابه ثواب

(١) حديث ابن عمر أن عمر أهدى نجية فطلبت منه بثلاثة دنانير فساء رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبسها ويشتري بثمنها بدنا قهاه عن ذلك وقال بل أهدها أخرجه د وقال أنجرها (٢) حديث سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بر الحج فقال الحج والتج وت واستتر به وء ولا وجهه واليزار واللفظ له من حديث أبي بكر وقال الباقر لى أى الحج أفضل (٣) حديث عائشة مامعل ابن آدم يوم النحر أحب إلى الله من إهراقه دما الحديث وحسنه ابن ماجه وضعه ابن حبان وقال خ إنه مرسل واصله ابن خزيمة (٤) حديث لكم بكل صوفة من جلد حنة وكل قطرة من دمها حنة وإنها لتوضع في الليزان فأبشروا له وجهه البيهقي من حديث زيد بن أرقم في حديث فيه بكل شمرة حنة قالوا فالصوف قال بكل شمرة من الصوف حنة وفي رواية البيهقي بكل قطرة حنة قال غ لا يصح وروى أبو الشيخ في كتاب النجاشيا من حديث طى أما إنها يجاه بها يوم القيامة بلحومها ودمائها حتى توضع في ميزانك يقولها قاطعة .

[١] (قوله استجدوا الحج) هذا الحديث لم يخرج له العراق وهو ليس في نسخة الشرح قلله لم يكن في نسخته .

الشاخ من الصوفية
وعلماء الآخرة
الراشدين في الدنيا
شعروا عن ساق الجدة
في طلب العلم للفتوى
حتى عرفوه وأقاموا
الامر والهي وخرجوا
من عبدة ذلك بحسن
توفيق الله تعالى فسا
استقاموا في ذلك
متابعين لرسول الله
صلى الله عليه وسلم
حيث أمره الله تعالى
بالاستقامة فقال تعالى
- فاستقم كما أمرت
ومن تاب معك - فتح
الله عليهم أبواب العلام
الى سيق ذكرها . قال
مضمم من يطبق مثل
هذه المشاطبة
بالاستقامة إلا من أيد
من للشاهدات القوية
والأنوار البينة والآثار
الصادقة بالثبوت يرهان
عظيم كما قال تعالى
- ولولأن يثبتك - ثم
حفظ في وقت الشاهدة
ومشاهدة الخطاب وهو
الزبن عظام القسرب
والخطاب على بساط
الأنس محمد صلى الله
عليه وسلم وبعد ذلك
خوطب بقوله فاستقم

فلا يصح منه شيء عند الله عز وجل وقال إن من علامة قبول الحج أيضا ترك ما كان عليه من العاصي وأن يتبدل بانوائه البطالين إخوانا صالحين ويتجالس بالله والفقلة مجالس الله كرواقعة .

(بيان الأعمال الباطنة ووجه الاخلاص في التبة وطريق الاعتبار بالشاهد الصرفة

وكيفية الافكار فيها والتذكر لأسرارها ومعانيها من أول الحج إلى آخره)

اعلم أن أول الحج الفهم أعني فهم موقع الحج في الدين ثم الشوق إليه ثم الزم عليه ثم قطع العلائق للامانة منه ثم شراء ثوب الاحرام ثم شراء الزاد ثم اكتراء الراحة ثم الخروج للسير في البادية ثم الاحرام من البساتين بالتلبية ثم دخول مكة ثم استئمان الأفعال كما سبق وفي كل واحد من هذه الأمور تذكرة للتذكير وعبرة للتعبر وتنبه للمريد الصادق وتعميق وإشارة للقطن فلترمز إلى مفاتيحها حتى إذا افتتح بابها وعرفت أسرارها انكشف لكل حاج من أسرارها ما يقتضيه صفاء قلبه وطهارة باطنه وغزارة فهمه . أما الفهم : فاعلم أنه لا وصول إلى الله سبحانه وتعالى إلا بالتزهد عن الشهوات والكشف عن اللذات والاعتقاد على الضرورات فيها والتجرد لله سبحانه في جميع الحركات والسكنات ولأجل هذا انشرد الرهبانيون في الملل السالفة عن الحلق وأعازوا إلى قلال الجبال وآخروا التوحش عن الحلق المطلب الأنس بالله عز وجل فتكرهوا لله عز وجل اللذات الحاضرة وآثروا أنفسهم بالمجاهدات الشاقة طمعا في الآخرة وأثنى الله عز وجل عليهم في كتابه فقال - ذلك بأن منهم قسيسين وربها ن وأتهم لا يستكبرون - فلا اندرس ذلك وأقبل الحلق على اتباع الشهوات وهجروا التجربة لعبادة الله عز وجل وتقربوا عنه بعث الله عز وجل نبيه محمدا ﷺ لإحياء طريق الآخرة وتجديد سنة الرسلان في سلوكها فسأله أهل الملل عن الرهبانية والسياسة في دينه فقال صلى الله عليه وسلم : « بدلتنا بها الجهاد والتكبير على كل شرف » (١) « بنى الحج » وسئل صلى الله عليه وسلم عن السامعين فقال هم الصائون (٢) « فأتم الله عز وجل على هذه الأمة بأن جعل الحج رهبانية لهم فشراف البيت العتيق بالإضافة إلى نفسه تعالى ونصبه مقصدا لعباده وجعل ما حواله حرما لبيته فخصا لأمره وجعل مرفات كاليزاب على فناء حوضه وأكد حرمة الوضع بتحرير مبيده وشجره ووضع على مثال حضرة للولك يقصده الزوار من كل فج عميق ومن كل أدب سحيق شفا غبرا متواضعين لرب البيت ومستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتزويجه عن أن يحويه بيت أو يكتف به ليكون ذلك أبلغ في رفهم وعبوديتهم وأتم في إذاتهم وأهبادهم وقد كلف وظف عليهم فيها أعمالا لا تأتى بها النفوس ولا تهتدى إلى معانيها العقول كرمى الجمار بالأحجار والترديد الصفاء والروقة على سبيل التكرار وبمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرق والعبودية فان الزكاة إرفاقا ووجهه مفهوم وللعقل إليه ميل والصوم كسر الشهوة التي هي آفة عدو الله وخرق لعبادة بالكشف عن الشواغل والركوع والسجود في الصلاة تواضع لله عز وجل بأفعال هي هيئة التواضع والنفوس أنس بتعظيم الله عز وجل فأما تروء دات السي

(١) حديث سئل عن الرهبانية والسياسة فقال بدلتنا بها الجهاد والتكبير على كل شرف أبو داود سن حديث أبي أمامة أن رجلا قال يارسول الله اتدنى لي في السياسة فقال إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله رواء الطيراني يلفظ إن لكل أمة سياحة وسياسة أمتي الجهاد في سبيل الله ولكل أمة رهبانية في رهبانية أمتي الرباط في نحر العدو واليهي في الشعب من حديث أنس رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله وكلاما ضعيفا والتمنى وحسنه النساء في اليوم واليلة وابن ماجه من حديث أبي هريرة أن رجلا قال يارسول الله إنى أريد أن أسافر فأوصني قال عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف (٢) حديث سئل عن السامعين فقال هم الصائون النبي في الشعب من حديث أبي هريرة قال بالحفظون عبيد بن عمير عن عمر مرسلا .

كأمرت - ولولاهنه

للقلبات ما أطاق

الاستقامة التي أمر

بها . قيل لأبي حفص

أي الأعمال أفضل

قال الاستقامة

لأن النبي صلى الله عليه

وسلم يقول « استقيموا

ولن تحصوا » وقال

جعفر الصادق في قوله

تعالى - فاستقم كما أمرت -

أي انظر إلى الله

بصحة الزم ورأى

بعض الصالحين رسول

الله صلى الله عليه وسلم

في المنام . قال قلت

يارسول الله روى

عنه أنك قلت شيئا

سورة هود وأخواتها

فقال نعم قال قلت ا

ما الذي شئت من

قصص الأنبياء وهلاك

الأمم قال لا ولكن قوله

فاستقم كما أمرت فكما

أن النبي صلى الله عليه

وسلم يمد مقدمات

لشاهدات خطوب

بهذا الخطاب وطلب

مخاطب الاستقامة

فكنك علماء الآخرة

الراشدون ومشايع

البصوفية القريون

منهم الله تعالى من

وربى الجار وأمثال هذه الأعمال فلاحظ للنفس ولا أنس للطبع فيها ولا اعتناء للعقل إلى معانيها فلا يكون في الإقدام عليها باعث إلا الأمر المجرد وقصد الامتثال للأمر من حيث إنه واجب الاتباع فقط وفيه عزل للعقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن عمل أنسه فان كل ما أدرك العقل مناه ماله الطبع إليه ميلا ما فيكون ذلك الليل معينا للأمر وباعثا معه على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرق والافتقار ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في الحج على الخصوص « ليك بحجة حقا تعبدوا ورقة (١) » ولم يقل ذلك في صلاة ولا غيرها وإذا اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى ربط نجاه الخلق بأن تكون أعمالهم على خلاف هوى طباعهم وأن يكون زعماءهم يد السرع فيترددون في أعمالهم على سنن الاقبياد وعلى مقتضى الاستعداد وكان ما لا يهتدى إلى معانيه أبلغ أنواع التعبدات في تزكية النفوس وعصرها عن مقتضى الطباع والأخلاق إلى مقتضى الاسترقاق وإذا غطت لهذا فهمت أن تعجب النفوس من هذه الأفعال العجيبة مصدره القهول عن أسرار التعبدات وهذا القدر كاف في فهم أصل الحج إن شاء الله تعالى . وأما الشوق : فالما ينبعث بعد التهم والتحقق بأن البيت بيت الله عز وجل وأنه وضع على مثال حضرة الملوك قصاصه قاصد إلى الله عز وجل وزائره وأن من قصد البيت في الدنيا جدير بأن لا يضيع زيارته فيرزق مقصود الزيارة في معاده المصروب له وهو النظر إلى وجه الله الكريم في دار القرار من حيث إن العين القاصرة الغاية في دار الدنيا لا تثنى لقبول نور النظر إلى وجهه الله عز وجل ولا تطيق احتياله ولا تستمد للاكتحال به بقصورها وأنها إن أمدت في الدار الآخرة بالبقاء ونزهت عن أسباب التغير والفناء استمدت للنظر والإحصار ولكنها بقصد البيت والنظر إليه تستحق لقاء رب البيت بحكم الوعد الكريم فالشوق إلى لقاء الله عز وجل يشوقه إلى أسباب اللقاء لا محالة هذا مع أن الحب مشتاق إلى كل ماله إلى محبوه إضافة والبيت مضاف إلى الله عز وجل فالخير أن يشتاق إليه المجرد هذه الإضافة فضلا عن الطلب لئلا ما وعد عليه من الثواب الجزيل . وأما الزم : فليعلم أنه يزمه قاصد إلى مفارقة الأهل والوطن ومهاجرة الشهوات والذات متوجها إلى زيارة بيت الله عز وجل وليعظم في نفسه قدر البيت وقدر رب البيت وليعلم أنه عزم على أمر رفيع شأنه خطير أمره وإن من طلب عظميا خاطرا يعظم وليجمل عزمه خالصا لوجه الله سبحانه بعيدا عن شوائب الرياء والسعنة وليتحقق أنه لا يقبل من قصده وعمله إلا الخالص وإن من أشق القواضئ أن يقصد بيت الله محرمه وللقصود غيره فليصحب مع نفسه الزم وتوصيحه باخلاصه وأخلاصه باجتناب كل ما فيه رياء ومهمة فليحذر أن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير . وأما قطع العلائق : فعند رد اللطام والتوبة الخالصة لله تعالى عن جملة المعاصي فكله مظلة علاقة توكل علاقة مثل غريم حاضر متعلق بتلايه ينادى عليه ويقول له إلى أين توجه أتقصديت ملك الملوك وأنت مضيع أمره في منزل ذلك هذاهو مسهين به ومهمل أو لا تستحي أن تقدم عليه قدوم العبد العاصي فيردك ولا يقبلك فان كنت راضيا في قبول زيارتك فخذ أوامره ورد اللطام وتب إليه أولا من جميع المعاصي واقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى ما وراءك لتكون متوجها إليه بوجه قلبك كما أنك متوجه إلى بيت بوجه ظاهرك فان لم تفعل ذلك لم يكن لك من سفرك أولا إلا التسب والشقاء وآخرا إلا الطرد والرد ويقطع العلائق عن وطنه قطع من أعظم عنه وقدّر أن لا يعود إليه وليكتب وصيته لأولاده وأمله فان المسافر وماله لم يخطر إلا من وقى الله سبحانه ولينذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة فان ذلك بين يديه على القرب وما يقدمه من هذا السفر طمع في تيسير ذلك السفر فهو المستقر

(١) حديث ليك بحجة حقا تعبدوا ورقة تخدم في الزكاة .

ذلك بقسط ونصيب ثم
ألههم طلب التوض
بواجب حق الاستقامة
ورأوا الاستقامة
أفضل مطلوب وأشرف
مأمور .

قال أبو علي الجورجاني
كن طالب الاستقامة
لا طالب الكرامة فان
تسلك مستحركات في طلب
الكرامة توربك يطلب
منك الاستقامة وهذا
الذي ذكره أصل كبير
في الباب وسر فقل
عن حقيقة كثير من
أهل السلوك والطلب
وذلك أن المجتهدين
والمستعدين صموا بسير
الصالحين للتقديمين
وما منحوا به من
الكرامات وخوارق
العادات فأبدا نفوسهم
لا تزال تطالع إلى شيء
من ذلك ويحبون أن
يرزقوا شيئا من ذلك
ولعل أحدهم يتيق
منسكس القلب منهما
لنفسه في حجة عمله حيث
لم يكشف بشيء من
ذلك ولو علموا سر
ذلك لكان عليهم
الأمر فيه فيعلم أن الله
سبحانه وتعالى قد

يُفتح على بعض
المُتَّهدين الصادقين من
ذلك بابا والحكمة
فيه أن يزاد بما يرى
من خوارق العادات
وآثار القدرة بقيتا
فيقوى عزمه على
الزهد في الدنيا
والخروج من دواهي
الهمى وقد يكون
بعض عباده يكشف
بصرف اليقين ويرفع
عن قلبه الخجائب
ومن كشف بصره
اليقين اعتنى بذلك
عن رؤية خوارق
العادات لأن الرادها
كان حصول اليقين فهو
ككشف هذا الرزوق
بصرف اليقين فهو
من ذلك ما زاد بقيتا
فلا تقتضى الحكمة
كشف القدرة
بخوارق السادات
لهذا الوضع لاستغاثته
وتقتضى الحكمة
كشف ذلك للأخر
لموضع حاجته فكان
هذا الثاني يكون أهم
استعدادا وأهلية من
الأول حيث رزق
حاصل ذلك وهو

وإليه التصير فلا ينبغي أن يغفل عن ذلك السفر عند الاستعداد بهذا السفر . وأما الزاد : فليطلبه من
موضع جلال وإذا أحسن من نفسه الحرس على استكثاره وطلب ما يربو منه على طول السفر ولا يتخير
ولا يفسد قبل باو القصد فليترك أن يسافر الآخرة أطول من هذا السفر وأن زاده التقوى وأن ماعده
بما يظن أنه زاده يتخلف عنه عند اللوث وغوته فلا يبقى معه كاطعام الرطب الذي يفسد في أول
منازل السفر فيبقى وقت الحاجة متحيرا محتاجا لخدمة له فليحذر أن تكون أعماله التي هي زاده إلى
الآخرة لتصبح بهد للوث بل يفسدها شوائب الرياء وكدورات التفتير . وأما الراحة : إذا
أحضرها فليشكر الله بقلبه على تسخير الله عز وجل له السواب لتحمل عنه الأذى وتخفف عنه
الشقة وليتذكر عنده للركب الذي يركبه إلى دار الآخرة وهي الجنة التي يجعل عليها فإن الأعمال
من وجه يوازى أعمال السفر إلى الآخرة ولينظر أيسلم سفره على هذا الركب لأن يكون زاده له ذلك
السفر على ذلك الركب فما أقرب ذلك منه وما يدرى لعل للوث قريب ويكون ركو به الجنة قبل
ركوبه للجمال وركوب الجنة مقطوع به وييسر أسباب السفر مشكوك فيه فكيف يخطئ في
أسباب السفر للمشكوك فيه ويستظهر في زاده وراحته ويحمل أمر السفر للتيقن . وأما شراء
ثوب الإحرام : فليترك عنده الكفن ولعله فيه فاته سيرته ويترى ثوب الإحرام عند القرب
من بيت الله عز وجل وربما لا يتم سفره إليه وأنه سيق إلى الله عز وجل ملفوفا في ثياب الكفن
لأعماله فكما لا يلقى بيت الله عز وجل إلا عاتقا عاتده في الرى والمية فلا يلقى الله عز وجل بد
للوث إلا في رى مخالف لرى الدنيا وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب إذ ليس فيه غيبط كافي الكفن .
وأما الخروج من البلد : فليعلم عنده أنه طارق الأهل والوطن متوجها إلى الله عز وجل في سفر
لا يراه أسفار الدنيا فليحضر في قلبه أنه ماذا يريد وأين توجه وزيارة من قصد وأنه متوجها إلى ملك
الملك في زمرة الزائرين الذين نودوا فأجابوا وشوقوا فاشتاقوا واستمضوا فقصوا وقطعوا الملاقى
وفارقوا الحلائق وأقبلوا على بيت فقه عز وجل الذي فطم أمه وعظم شأنه ورفع قدره تسليما بقاء البيت
عن قماره البيت إلى أن يزقوا امتنى منام ويسعدوا بالنظر إلى مولاهم وليحضر في قلبه رجاء الوصول
والقبول لا إدلالا بأعماله في الأحوال ومفارقة الأهل والوال ولكن ثقة بفضل الله عز وجل ورجاء
لتحقيقه وعده لمن زار بيته وليرج أنه إن لم يصل إليه وأدركته اللية في الطريق لقي الله عز وجل
وافدا إليه إذ قال جل جلاله . ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع
أجره على الله . . وأما دخول البادية إلى المقات ومشاهدة تلك المقات : فليترك فيها ما بين الخروج
من الدنيا بالوت إلى مقات يوم القيامة وما بينهما من الأحوال والمطالبات وليتذكر من هول قطاع
الطريق هول سؤال المنكر ونكير ومن سباع البوادي عقارب القبر وديدانه وما فيه من الأهوال والحيات
ومن اشتراده عن أهله وأقاربه وحشة القبر وكرهه ووجدته وليكن في ههنا مخاوف في أعماله وأقواله
متروكا لمخاوف القبر . وأما الإحرام والتلبية من المقات : فليعلم أن مناه إجابة نداء الله عز وجل
طارق أن تكون مقبولا واخش أن يقال لك لا ليك ولا سعديك فكأن بين الرجاء والخوف مترددا
وعن حولك وقوتك متربعا وعلى فضل الله عز وجل وكرمه متكللا فان وقت التلبية هو بداية الأمر وهي
عمل الخطر قال سليمان بن عيينة حج على بن الحسين رضي الله عنهما فلما أحرم واستوت به راحته
أصفر لونه وانتفض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبى فليله لم يلبى فقال أخشى أن يقال
لا ليك ولا سعديك فلما لبى غشى عليه ووقع عن راحته فلم يزل يحترقه ذلك حتى قضى حبه . وقال أحمد
ابن أبي الحواري كنت مع أبي سليمان الهاراني رضي الله عنه حين أراد الإحرام فلم يلب حتى سرتا ميلا

فأخذته الشبهة ثم أفاق وقال يا أحمد إن الله سبحانه أوحى إلى موسى عليه السلام مرطلة بنى إسرائيل أن يغالوا من ذكرى فاني أذكر من ذكرى منهم ثلاثة وعك يا أحمد باننى أن من حج من غير حله ثم لم يزل قال الله عز وجل لا ليك ولا سمعك حتى ترد حافى يديك فما نأمن أن يقال لنا ذلك ولينذكر لاني عند رفع الصوت بالتلبية للقبات إجابته لدهاء الله عز وجل إذ قال وأذن في الناس بالحج ونداء الحلق ينبغ الصور وحشرهم من القبور وازدحامهم في عرصات القيامة عييين لنداء الله سبحانه منقسمين إلى مقرين ومحتوين ومقبولين ومردودين ومترددين في أول الأمر بين الخوف والرجاء تردداً للحاج في القبات حيث لا يدرون أين يسر لهم إتمام الحج وقوله أم لا . وأما دخول مكة : فليذكر عندها أنه قد انتهى إلى حرم الله تعالى آمناً وليرج عنده أن يأمن بدخوله من عقاب الله عز وجل وليخش أن لا يكون أهلاً للقرب فيكون بدخوله الحرم خائباً مستحقاً للمقت ولكن رجاءه في جميع الأوقات غالباً بالكرم مهم والرب رحيم وشرف البيت عظيم وحق الزائر مرمي وذمام المستجير اللانث غير مضيق . وأما وقوع البصر على البيت : فينبغي أن يحضر عنده عظمة البيت في القلب ويشدرك أنه مشاهد لرب البيت لشدة تعظيمه إياه وارج أن يردك الله تعالى النظر إلى وجهه الكريم كما رزقك الله النظر إلى بيته العظيم واشكر الله تعالى على تليفيه إليك هذه الرتبة وإلحاحه إليك بزمرة الوافدين عليه واذكر عند ذلك انصباب الناس في القيامة إلى جهة الجنة آمليين لدخولها كافة ثم انقسامهم إلى مأفوتين في الدخول ومصرفين انقسام الحاج إلى مقبولين ومردودين ولا تغفل عن تذكر أمور الآخرة في شيء مما تراه فان كل أحوال الحاج دليل على أحوال الآخرة . وأما الطواف بالبيت فاعلم أنه صلاة فأحضر في قلبك فيه من التعظيم والخوف والرجاء والحببة ماضلناه في كتاب الصلاة . واعلم أنك بالطواف متمسك باللائكة القربين الحافين حول العرش الطائفين حوله ولا تظن أن القصد طواف جسمك بالبيت بل القصد طواف قلبك بذكر رب البيت حتى لا تنبدي الذكر إلا منه ولا تختم إلا به كاتبدئ الطواف من البيت وتختم بالبيت . واعلم أن الطواف الشريف هو طواف القلب بحضرة الربوبية وأن البيت مثال ظاهر في عالم الملك تلك الحضرة التي لا شاهد بالبصر وهي عالم الملكوت كما أن البدن مثال ظاهر في عالم الشهادة القلب الذي لا يشاهد بالبصر وهو في عالم القلب وأن عالم الملك والشهادة مدرجة إلى عالم القلب والملكوت لن فتح الله الباب وإلى هذه الموازنة وقت الإشارة بأن البيت للعمور في السموات بازاء الكعبة فان طواف اللائكة به كطواف الانس بهذا البيت ولما قصرت رتبة أكثر الحاق عن مثل ذلك الطواف أمروا بالتشبه بهم بحسب الامكان ووعوداً بأن من تشبه بهم فهم منهم^(١) والذي يقدر على مثل ذلك الطواف هو الذي يقال إن الكعبة تزوره وتطوفه على ما رآه بعض الكاشفين لبعض أولياء الله سبحانه وتعالى . وأما الاستلام : فاعتقد عنده أنك مباح في عز وجل على طاعته قسم عز يتك على الوفاء ببيتك فمن غدر في الولاية استحق اللعنة وقدرى ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال « الحجر الأسود بين الله عز وجل في الأرض يصافح به خلقه كما يصافح الرجل أخاه^(٢) » . وأما التلويح بأستار الكعبة والاتصاف بالمرتبة : فلتكن نيتك في الالتزام طلب التقرب جا وشوقاً للبيت ولرب البيت وتبركاً بالمعاسة ورجاءاً للتحصن عن النار في كل جزء من بدئك في البيت ولكن نيتك في التلويح بالستر الإلحاح في طلب للفرقة وسؤال الأمان كالذنب المتعلق بيباب من أذنب إليه المتضرع إليه في خوفه عنه المظهر أنه لا ملجأ له منه إلا

صرف اليقين بنسب
واسطة من رؤية
قدرة فان فيه آفة
وهو الصب فأغنى
عن رؤية شيء من
ذلك فسيل الصادق
مطالبة النفس
بالاستقامة فهي كل
الكرامة ثم إذا وقع في
طريقه شيء من ذلك
جزو حسن وإن لم يقع
فلا يبالي ولا ينقص
بذلك وإنما ينقص
بالإخلال بواجب حق
الاستقامة فليعلم هذا
لأنه لا يكبر للظالمين
فالمعلم الزاهدون
ومشايخ الصوفية
والمقربون حيث
أكرموا بالقيام واجب
حق الاستقامة رزقوا
سائر العلوم التي أشار
إليها المتصنفون كما
ذكرنا وزعموا أنها
فرض فمن ذلك علم
الحلال وعلم القيام وعلم
الحوادث واستشرح علم
الحوادث ونفصيلها في
باب إن شاء الله تعالى
وعلم اليقين وعلم
الإخلاص وعلم النفس
ومعرفتها ومعرفة
أخلاصها وعلم النفس

ومعرفة من أعز
علوم القوم وأقوم
الناس بطريق
القربين والصوفية
أقومهم بمعرفة النفس
وعلم معرفة أقسام
الدنيا ووجود دقائق
المحوى وخفايا نهوات
النفس وشرها وشرها
وعلم الضرورة ومطالبة
النفس بالوقوف على
الضرورة قولاً وفعلًا
وليسا وخلا وأكلا
ونوما ومعرفة حقائق
التوبة وعلم خفي
الذنوب ومعرفة مآلات
هي حسنات الأبرار
ومطالبة النفس بترك
ملاهي ومطالبة
الباطن بمحصر خواطر
للنفسية ثم محصر
خواطر الفضول ثم علم
الراقية وعلم ما يتدح
في الراقية وعلم الحاسبة
والرعاية وعلم حقائق
التوكل وذنوب التوكل
في توكله وما يتدح في
التوكل وما لا يتدح
والفرق بين التوكل
الواجب بحكم الإيمان
وبين التوكل الخاص
المقتضى بأهل العرفان
وعلم الرضا وذنوب

إليه ولا مفرغ له إلا كرمه وعفوه وأنه لا غارق ذيله إلا بالغفو وبذل الأمن في السقوط . وأما السعي
بين الصفا والروة في فناء البيت : فانه يضاهي تردد العبد بقاء دار الملك جانيًا وذهابا مرة بعد أخرى
إظهارا للخلوص في الخدمة ورجاء الملاحظة بين الرحمة كالتي دخل على الملك وخرج وهو لا يرى
ماله الذي يقضى به الملك في حقه من قبول أو رد فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد أخرى يرجو أن
يرحم في الثانية إن لم يرحم في الأولى ولينذكر عند ترده بين الصفا والروة ترده بين كفى للزيان
في عرصات القيامة ولينزل الصفا بكفة الحسنات والروة بكفة السيئات ولينذكر ترده بين السكتين
ناظرًا إلى الرجحان والنقصان مترددًا بين العذاب والتفران . وأما الوقوف بعرفة : فاذكر بجماري
من ازدحام الحلق والارتفاع الأصوات واختلاف اللغات واتباع القرى أنهم في الترددات على الشاعر
اختفاء هموسيرا يسيرهم عرصات القيامة واجتماع الأمم مع الأنبياء والأئمة وانتفاء كل أمة بينها وطعمهم
في شفاعتهم وتحريم في ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول وإذا عند ذلك فأنزل قلبك الضراعة
والابتهال إلى الله عز وجل فتخسر في ذمة القارئ للرحومين وحقق رجاءك بالإجابة فالوقف شريف
والرحمة إنما تصل من حضرة الجلال إلى كافة الحلق بواسطة القلوب المزهرة من أوتاد الأرض ولا
ينفك الموقف عن طبقة من الأبدال والأوتاد وطبقة من الصالحين وأرباب القلوب فاذا اجتمعت معهم
وتجردت للضراعة والابتهال فوجههم وارتفعت إلى انسيبجانه أيديهم وامتدت إليه أعناقهم وعشقت
نحو السماء أبصارهم مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة فلا تظن أنه نجيب ألمهم وينسج معهم
ويدخرونهم رحمة تعمرهم ولذلك قيل إن من أعظم الذنوب أن يحضر عرفات وظن أن الله تعالى
لم يفر له وكان اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الأبدال والأوتاد المجتمعين من أقطاب البلاد هوس
الحج وغاية مقصوده فلا طريق إلى استدراجه رحمة الله سبحانه مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب في
وقت واحد على صيد واحد . وأما رجاء الجار : فاقصد به الاتحاد للأمر إظهارا للرق والعبودية وتوحيدها
لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس فيه ثم اقصد به التشبه بإبراهيم عليه السلام حيث عرض له
إليس لئله الله تعالى في ذلك اللوح ليدخل على حبه شبهة أو يختنه بمصيبة فأمره الله عز وجل
أن يرميه بالحجارة طردا له لوقطعا لأمله فان خطر لك أن الشيطان عرض له فشاهده فذلك رماه وأما
أنا فليس يرضى إلى الشيطان فاعلم أن هذا الخاطر من الشيطان وأنه الذي ألقاه في قلبك ليفترع منك
في الرمي ويخيل إليك أنه فعل لا فائدة فيه وأنه يضاهي اللب فلم تشتغل به فاطرده عن نفسك بالجد
والتشعر في الرمي فيه برغم أنف الشيطان . واعلم أنك في الظاهر ترمي الحصى إلى القبو في الحقيقة
ترمي به وجه الشيطان وتقصم به طهره لإذ يحصل إرغام أنه الامتثال أمر الله سبحانه وتعالى تعظيما
له بمجرد الأمر من غير حظ للنفس والعقل فيه . وأما ذبح الهدى : فاعلم أنه تهرب إلى الله تعالى بحج
الامتثال فأكل الهدى وأرج أن يعتق الله بكل جزء منه جزاء منك من النار (١) فكذلك ورد الوعد
فكلما كان الهدى أكبر وأجزاؤه أوفر كان ذاك من النار أعم . وأما زيارة للدينة : فاذن وقع بصرك
على حيطانها فتذكر أنها البلية التي اختارها الله عز وجل لئيبه صلى الله عليه وسلم وجعل إليها هجرته
وأنها داره التي شرع فيها فرائض ربه عز وجل وسنته وجاهد عدوه وأظهرها دينه إلى أن توفاه الله
عز وجل ثم جعل تربته فيها وتربة وزيره القابعين بالحلق بيده رضى الله عنهما ثم مثلي نفسك سواقف
(١) حديث أنه يعتق بكل جزء من الأنحية جزاء من الضحى من النار لم أقف له على أصله في كتاب
الضحيا لأبي الشيخ من حديث أبي سعيد فان لك بأول قطرة تنظر من دمها أن ينفر لك ما هنم
من ذنوبك بقوله لقاطعة وإنسانه ضيف .

أقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم عند تردداته فيها وأنه مامن موضع قدم قطؤه إلا وهو موضع أقدمه المرتبة فلا تضع قدمك عليه إلا عن سكينته وجعلت ذكر مشيه وتخطيه في سبكهاتنصور خشوعه وسكينته في الليل وما استودع الله سبحانه قلبه من عظيم معرفته ورفعة ذكره مع ذكره تعالى حتى قرته بذكر نفسه وإحباطه عمل من هتك حرمة ولو يرفع صوته فوق صوته ثم تذكر مامن الله تعالى به على الدين أدركوا حبهت وسعدوا بمشاهدته واستاع كلالة وأعظم تأسفا على ما فاتك من محبته ومحبة أصحابه رضي الله عنهم ثم اذكر أنك قد فاتك رؤيته في الدنيا وأنك من رؤيته في الآخرة على خطر وأنك ربما لآتراه إلا بحسرة وقد حيل بينك وبينه بقوله إياك بسوء عملك كافل صلى الله عليه وسلم «رفع الله إلى أقواما فيقولون يا محمد يا محمد فأقول يارب أصحابي فيقول إنك لاتدرى ما أخذوا بذلك فأقول بعدا وسحقا^(١)» فان تركت حرمة شريسته ولو في دقيقة من الدقائق فلا تأمن أن يحال بينك وبينه بعد ذلك عن محبته وليعظم مع ذلك رجاءك أن لا يعمل الله تعالى بينك وبينه بعد أن رزقك الإيمان وأمنصك من وطنك لأجل زيارته من غير تجارة ولا حظ في ديني بل لحسن حيك له وشوقك إلى أن تنظر إلى آثاره وإلى حائط قبره إذ صحت نفسك بالسفر بمجرد ذلك لما فاتت رؤيته لما أجدرك بأن ينظر الله تعالى إليك بين الرحمة فاذا بلغت للسجد فاذا كراها العرصة التي اختارها الله سبحانه لبيه صلى الله عليه وسلم ولأول السليين وأفضلهم عصابة وأن فرائض الله سبحانه أول ما أتيت في تلك العرصة وأنها جمعت أفضل خلق الله حيا وميتا فليعظم أملكك في الله سبحانه أن يرحمك بدخولك إياه فادخله خاشعا معظا وما أجدر هذا المكان بأن يستدعى الخشوع من قلب كل مؤمن كما حيى عن أبي سليمان أنه قال حج أوبى القرني رضي الله عنه ودخل المدينة فلما وقف على باب المسجد قيل له هذا قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاضى عليه فلما أتاني قال أخرجنى فليس يلقى الله فيه محمد صلى الله عليه وسلم مدقون . وأما زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم : فينبغي أن تقف بين يديه كإمامته وتزوره ميتا كما تزوره حيا ولا تقرب من قبره إلا كما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حيا وكأنت ترى الحرمه في أن أتعس شخصه ولا تقبله بل تقف من بعد مئالين يديه فكذلك فاضل فان الس والتبيل للمشاهد عادة النصارى واليهود . واعلم أنه عالم بحضورك وقيامك وزيارتك وأنه يلقه سلامك وصلاتك فمثل صورته الكريمة في خياك موضوعا في اللحد بازائك وأحضر عظيم رتبته في قلبك فقد روى عنه صلى الله عليه وسلم « أن الله تعالى وكل بقبره ملكا يلقه سلام من سلم عليه من أمته^(٢)» هذا في حق من لم يحضر قبره فكيف بمن فارق الوطن وقطع البوادي شوقا إلى لقاءه واكتفى بمشاهدة مشهد الكرم إذ فاته مشاهدة غرته المكرمودة قال صلى الله عليه وسلم « من صلى على مرة واحدة صلى الله عليه عشرين^(٣)» فهذا جزاءه في الصلاة عليه بلسانه فكيف بالحضور لزيارته يديه ثم اثبت منبر الرسول صلى الله عليه وسلم وتوهم صود النبي صلى الله عليه وسلم الثبر ومثل في قلبك طلعت البية كأنها على التبر وقد أحرق به للهاجرون والأنصار رضي الله عنهم وهو صلى الله عليه وسلم يحشم على طاعة الله عز وجل بخطيته وسل الله عز وجل أن لا يفرق

- (١) حديث يرفعه إلى أقوام فيقولون يا محمد يا محمد فأقول يارب أصحابي فيقول إنك لاتدرى ما أخذوا بذلك فأقول بعدا وسحقا متفق عليه من حديث ابن مسعود وأنس وغيرهما دون قوله يا محمد يا محمد
- (٢) حديث إن الله وكل بقبره صلى الله عليه وسلم ملكا يلقه سلام من سلم عليه من أمته ن حاك من حديث ابن مسعود بلغظ إن الله ملائكة سياحين في الأرض يملكون عن أمي السلام (٣) حديث من صلى على واحدة من الله عليه عشرين من حديث أبي هريرة وعبد الله بن عمرو .

مقام الرضا وعلم الزهد وتحديه بما يلزم من ضرورته وملا يتجس في حقيقته ومعرفته الزهد في الزهد ومعرفته زهد ثالث بعد الزهد في الزهد وعلم الانابة والاتجاه ومعرفته أوقات السكوت ومعرفته وقت السكوت عن الفناء وعلم المحبة والفرق بين المحبة العامة للفرصة بامتثال الأمر والمحبة الخاصة وقد أنكر طائفة من علماء الدنيا دعوى علماء الآخرة المحبة الخاصة كأنكروا الرضا وقالوا ليس إلا الصبر وانقسام المحبة الخاصة إلى عبة الذات وإلى عبة الصفات والفرق بين عبة القلب وعبة الروح وعبة العقل وعبة النفس والفرق بين مقام المحب والمحبوب والريد والراد ثم علوم للشاهدات كعلم المحبة والأنس والتبصن والبسط والفرق بين القبض والهمم والبسط والنشاط وعلم القضاء والبقاء وتفاوت الأحوال

القائه والاستبصار
والتجول والجمع والتفرق
والوفاة والطواع
والإبادة والصحو
والسكر إلى غير ذلك
لواتسع الوقت ذكرناها
وشرحناها في مجلدات
ولكن الصبر قصير
والوقت عزيز ولولاهم
التفلسل لضاقت الوقت
عن هذا القدر أيضا
وهذا المختصر المؤلف
يشتمل على علوم القوم
على طرف صالح نرجو
من الله الكريم أن
ينفع به وبجميع حجة
لنا لا حجة علينا وهذه
كلها علوم من ورثها
علوم حمل بمقتضاها
وظهر بها علماء الآخرة
الراهدون وحرم ذلك
عناء الدنيا الراغبون
وهي علوم ذوقية
لا يكاد النظر يصل إليها
إلا بدق ووجدان
كالم بكيفية حلوة
الصبر لا يحصل
بالوصف فمن ذاقه
عرفه وبشك عن
شرق علم الصوفية
وهذا العالمان العلوم
كلها لا يتعذر تحصيلها
مع محبة الله تعالى والاحلال

في القيامة بينك وبينه فهدم وظيفة القلب في أعمال الحج فاذا فرغ منها كلها فينبغي أن ياترجم فيه الحزن
والهم والخوف وأنه ليس يدري أجلبت حبه وأثبت في زمرة المحبوبين أم رد حبه وألقى بالمرودين
وليتصرف ذلك من قلبه وأعماله فإن صادف قلبه قد ازداد تحافيا عن دار التورود وانصرافا إلى دار
الأنس بالله تعالى ووجد أعماله قد انزعت بميزان الشرع فليثق بالقبول فإن الله تعالى لا يقبل إلا من
أحبه ومن أحبه تولاه وأظهر عليه آثار محبته وكف عنه سطوة عدوه إبليس لئله الله فإذا ظهر
ذلك عليه دل على القبول وإن كان الأمر بخلافه فيوشك أن يكون حظ من سفره العناء والتعب
نمود باق سببنا وتعالى من ذلك .

ثم كتاب أسرار الحج يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب آداب تلاوة القرآن .

(كتاب آداب تلاوة القرآن)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي امتن على عباده بنبيه المرسل صلى الله عليه وسلم وكتابه المنزل الذي - لا يابى الباطل من
بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد - حتى اتسع على أهل الأفكار طريق الاعتبار بما فيه من
القصص والأخبار والاضح بمسالك التهج القويم والصراط المستقيم بما فيه من الأحكام وفرق بين الحلال
والحرام فهو الضياء والنور وبه التباين من التورود وفيه شفاء لما في الصدور من خالقه من الجبابرة قسمه
الله ومن ابتغى العلم غير أمته الله هو جيل الله الذين تنوره للبين والرواة الوثق وللتصميم الأوفى وهو
المحيط بالقليل والكثير والصغير والكبير لا يتقضى محابيه ولا تنتهى فرائده لا يحيط بهوا الله عند أهل
العلم تحميد ولا يغلقه عند أهل التلاوة كثرة التريد هو الذي أرشد الأولين والآخريين ولما صمد الجن
لم يلبثوا أن تولوا إلى قومهم منذرين - قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنوا ولن ننسرك
بربنا أحدا - فكل من آمن به فقد وفق ومن قال به فقد صدق ومن تمسك به فقد هدى ومن عمل
به فقد فاز وقال تعالى - إنا نحن نزلنا القرآن وإننا لآله حافظون - ومن أسباب حفظه في القلوب والصحاح
استدامة تلاوته وللواظبة على دراسته مع القيام بأدابه وشروطه والمحافظة على ما فيه من الأعمال الباطنة
والآداب الظاهرة وذلك لا بد من بيان وتخصيصه وتكشف مقاصده في أربعة أبواب . الباب الأول :
في فضل القرآن وأهله . الباب الثاني : في آداب التلاوة في الظاهر . الباب الثالث : في الأعمال الباطنة
عند التلاوة . الباب الرابع : في فهم القرآن وتفسيره بالرأى وغيره .

(الباب الأول في فضل القرآن وأهله وذم القصرين في تلاوته)

(فضيلة القرآن)

قال عليه السلام « من قرأ القرآن ثم رأى أن أحد أوتي أفضل مما أوتي قد استغفر ماعظمه الله تعالى ^(١) »
وقال صل الله عليه وسلم « ما من شئ أحب إلى الله من تلاوة القرآن لاني ولا ملك ولا غيره ^(٢) »

(كتاب آداب تلاوة القرآن)

(الباب الأول في فضل القرآن وأهله)

(١) من قرأ القرآن ثم رأى أن أحد أوتي أفضل مما أوتي قد استغفر ماعظمه الله طبع من حديث
عبد الله بن عمرو بن عبد مناف (٢) حديث ما من شئ أحب إلى الله من تلاوة القرآن لاني ولا ملك
ولا غيره رواه عبد الملك بن حبيب من رواية سعيد بن سالم مرسلًا ولطائري من حديث ابن مسعود
القرآن شافع مشفع ولمسلم من حديث أبي أمامة أقرهوا القرآن فانه يحيى يوم القيامة تبعها صاحبه .

وقال صلى الله عليه وسلم « لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار » (١) « وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل عبادة أمي تلاوة القرآن » (٢) « وقال صلى الله عليه وسلم أيضا « إن الله عز وجل قرأ خلقه ويس قبل أن يخلق الخلق بألف عام فلما سمعت للملائكة القرآن قالت طوبى لأمة ينزل عليهم هذا وطوبى لأجواف حمل هذا وطوبى لألسنة تنطق بهذا » (٣) « وقال صلى الله عليه وسلم « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » (٤) « وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله تبارك وتعالى من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومساأتي أعطيت أفضل ثواب الشاكرين » (٥) « وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاثة يوم القيامة على كتيب من مسك أسود لا يهولهم فزع ولا ينالهم حساب حتى يفرغ ما بين الناس رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل ورجل أم به قوما وهم يهراضون » (٦) « وقال صلى الله عليه وسلم « أهل القرآن أهل الله وخاصته » (٧) « وقال صلى الله عليه وسلم « إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قيل يا رسول الله وما جلاؤها قال تلاوة القرآن وذكر الموت » (٨) « وقال صلى الله عليه وسلم « لله أشد أذنا إلى قاريء القرآن من صاحب التينة إلى قيته » (٩) « الآثار : قال أبو أمامة الباهلي أقروا القرآن ولا تفرنكم هذه الصالحات فالله لا يذهب قلبا هو وعاء للقرآن . وقال ابن مسعود إذا أردتم العلم فاثروا القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين وقال أيضا اقروا القرآن فانكم تؤجرون عليه بكل حرف عشر حسنة أما إن لا أقول الحرف الم ولكن الألف حرف واللام حرف والميم حرف وقال أيضا : لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن فإن كان يحب القرآن وبسببه فهو يحب الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم وقال عمرو بن العاص كل آية في القرآن درجة في الجنة ومصباح في يوتكم وقال أيضا من قرأ القرآن أدرجت النبوة بين جنبيه لأنه لا يوحى إليه وقال أبو هريرة إن البيت الذي يتلى فيه القرآن اتسع بأهله وكثر خيره وحضرته للملائكة وخرجت منه الشياطين وإن البيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله عز وجل ضاق بأهله وقل خيره وخرجت منه للملائكة وحضرته الشياطين وقال أحمد بن حنبل رأيت الله عز وجل في المنام فقلت يا رب ما أفضل ما تقرّب به المتقرّبون إليك قال بكلاي يا أحمد قال قلت يا رب بغهم أو يغيرهم قال بغهم ويغير فهم وقال محمد بن كعب القرظي إذا سمع

عقاقب التقوى وربما كان حجة الدنيا عوناً على استكسابها لأن الانشغال بها شاق على النفوس تجلبت النفوس على حجة الجاهل الرقة حتى إذا استشعرت حصول ذلك بحصول العلم أجابت إلى تحمل الكلف وسهر الليل والصبر على القربة والأسفار وتعدد اللذات والشهوات وعسولهم هؤلاء القوم لا تحصل مع حجة الدنيا ولا تتكشف إلا بمجانبة الهوى ولا يندرس إلا في مدرسة التقوى قال الله تعالى - واتقوا الله ويعلمكم الله - جعل العلم ميراث التقوى وغير علوم هؤلاء القوم متيسر من غير ذلك بلا شك فلم يقل علم عطاء الآخرة حيث لم يكشف الكتاب إلا لأولى الألباب وأولو الألباب حقيقة هم الزاهدون في الدنيا قال بعض الفقهاء إذا أوصى رجل عالة لأعتل الناس صرف إلى

(١) حديث لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار الطبراني وابن حبان في الضعفاء من حديث سهل ابن سعد وأحمد والدارمي والطبراني من حديث عتبة بن عامر وفيه ابن لمية ورواه ابن عدى والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث عصمة بن مالك بإسناد ضعيف (٢) حديث أفضل عبادة أمي تلاوة القرآن أبو نعيم في فضائل القرآن من حديث النعمان بن بشير وأنس وإسنادها ضعيف (٣) حديث إن الله عز وجل قرأ خلقه ويس قبل أن يخلق الخلق بألف عام الحديث الدارمي من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٤) حديث خيركم من تعلم القرآن وعلمه من حديث عثمان ابن عفان (٥) حديث يقول الله من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومساأتي أعطيت ثواب الشاكرين من حديث أبي سعيد من شغله القرآن عن ذكرى أو مسأتي أعطيت أفضل ما أعطى السائلين وقال حسن غريب ورواه ابن شاهين بلفظ للصف (٦) حديث ثلاثة يوم القيامة على كتيب من مسك الحديث ختم في الصلاة (٧) حديث أهل القرآن أهل الله وخاصته في الكبرى و لا من حديث أنس بإسناد حسن (٨) حديث إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قبل ما جلاؤها قال تلاوة القرآن وذكر الموت البيهقي في الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٩) حديث لله أشد أذنا إلى قاريء القرآن من صاحب التينة إلى قيته ه ح ك وصححه من حديث فضالة بن عبيد .

الناس القرآن من الله عز وجل يوم القيامة فكأنهم لم يسموه قط وقال الفضيل بن عياض ينبغي لحامل القرآن أن لا يكون له إلى أحد حاجة ولا إلى الخلفاء فمن دونهم فينبغي أن تكون حوائج الخلق إليه وقال أيضا حامل القرآن حامل راية الاسلام فلا ينبغي أن يلهو مع من يلهو ولا يسومع من يسهر ولا يلتو مع من يلتو فعظما لحق القرآن وقال سفيان الثوري إذا قرأ الرجل القرآن قبل الملك بين عينيه وقال عمرو بن ميمون من ثمر مصحفا حين يصل الصبح قرأ منه مائة آية رفع الله عز وجل له مثل عمل جميع أهل الدنيا وروى « أن خالد بن عقبة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال اقرأ علي القرآن قرأ عليه - إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإتياء ذى القربى - الآية فقال له أعد فأعاد فقال والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمورق وإن أعلاه لثمر وما يقول هذا بشر^(١) » وقال الحسن والشاذون القرآن من غنى ولا بهد من فاقة وقال الفضيل من قرأ خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهداء ومن قرأها حين يمسي ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء وقال القاسم بن عبد الرحمن قلت لبعض النساك ماهيتها أحد تناسلت به فنديه إلى المصحف ووضعه على حجره وقال هذا وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه ثلاث يزدن في الحفظ ويذهبن البقم السواك والصيام وقراءة القرآن .

(في ذم تلاوة التافلين)

قال أنس بن مالك رب تال للقرآن والقرآن يلحنه وقال الميسرة الغريب هو القرآن في جوف الفاجر وقال أبو سليمان الداراني الراهبة أسرع إلى حمله القرآن الذين يصون الله عز وجل منهم إلى عبدة الأوثان حين عصوا الله سبحانه بعد القرآن . وقال بعض العلماء إذا قرأ ابن آدم القرآن ثم خاطب ثم عاد قرأ قيل له مالك ولكلبي وقال ابن الرماح نعمت على استظهار القرآن لأنه يلبسني أن أصحاب القرآن يستلون عما يسأل عنه الأنبياء يوم القيامة وقال ابن مسعود ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بلبه إذا الناس يتنامون وينهاره إذا الناس يفرطون ويخزنه إذا الناس يفرحون ويكأله إذا الناس يضحكون وبصمته إذا الناس يخوضون وبغشوه إذا الناس يخالون وينبغي لحامل القرآن أن يكون مستكينا لنا ولا ينبغي له أن يكون جافيا ولا ممدريا ولا صياحا ولا صغيا ولا حديدا وقال صلى الله عليه وسلم « أكثر منافق هذه الأمة قراؤها^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « اقرأ القرآن ما نهاك فان لم ينك فلت تروء^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما آمن بالقرآن من استحل محارمه^(٤) » وقال بعض السلف إن البعد ليفتح سورة خصل على الملائكة حتى يفرغ منها وإن البعد ليفتح سورة فتلحنه حتى يفرغ منها قيل له وكيف ذلك فقال إذا أحل حلالها وحرم حرامها صلت عليه وإلا لحنه . وقال بعض العلماء إن البعد ليلق القرآن فيلحن نفسه

(١) حديث أن خالد بن عقبة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اقرأ علي قرأ عليه - إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإتياء ذى القربى - فقال أعد فأعاد فقال والله إن له لحلاوة وإن أسفله لمورق وإن أعلاه لثمر وما يقول هذا بشر^(١) » وقال الحسن والشاذون القرآن من غنى ولا بهد من فاقة وقال الفضيل من قرأ خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهداء ومن قرأها حين يمسي ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء وقال القاسم بن عبد الرحمن قلت لبعض النساك ماهيتها أحد تناسلت به فنديه إلى المصحف ووضعه على حجره وقال هذا وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه ثلاث يزدن في الحفظ ويذهبن البقم السواك والصيام وقراءة القرآن .

(٢) حديث أن خالد بن عقبة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اقرأ علي قرأ عليه - إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإتياء ذى القربى - فقال أعد فأعاد فقال والله إن له لحلاوة وإن أسفله لمورق وإن أعلاه لثمر وما يقول هذا بشر^(١) » وقال الحسن والشاذون القرآن من غنى ولا بهد من فاقة وقال الفضيل من قرأ خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهداء ومن قرأها حين يمسي ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء وقال القاسم بن عبد الرحمن قلت لبعض النساك ماهيتها أحد تناسلت به فنديه إلى المصحف ووضعه على حجره وقال هذا وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه ثلاث يزدن في الحفظ ويذهبن البقم السواك والصيام وقراءة القرآن .

(٣) حديث أن خالد بن عقبة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اقرأ علي قرأ عليه - إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإتياء ذى القربى - فقال أعد فأعاد فقال والله إن له لحلاوة وإن أسفله لمورق وإن أعلاه لثمر وما يقول هذا بشر^(١) » وقال الحسن والشاذون القرآن من غنى ولا بهد من فاقة وقال الفضيل من قرأ خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهداء ومن قرأها حين يمسي ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء وقال القاسم بن عبد الرحمن قلت لبعض النساك ماهيتها أحد تناسلت به فنديه إلى المصحف ووضعه على حجره وقال هذا وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه ثلاث يزدن في الحفظ ويذهبن البقم السواك والصيام وقراءة القرآن .

(٤) حديث أن خالد بن عقبة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اقرأ علي قرأ عليه - إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإتياء ذى القربى - فقال أعد فأعاد فقال والله إن له لحلاوة وإن أسفله لمورق وإن أعلاه لثمر وما يقول هذا بشر^(١) » وقال الحسن والشاذون القرآن من غنى ولا بهد من فاقة وقال الفضيل من قرأ خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهداء ومن قرأها حين يمسي ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء وقال القاسم بن عبد الرحمن قلت لبعض النساك ماهيتها أحد تناسلت به فنديه إلى المصحف ووضعه على حجره وقال هذا وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه ثلاث يزدن في الحفظ ويذهبن البقم السواك والصيام وقراءة القرآن .

الزهاد لأهم أعقل الخلق . قال سهل بن عبد الله التستري للفقير ألق اسمك ولكل اسم منه ألف اسم وأول كل اسم منه ترك الدنيا . حدثنا الشيخ الصالح أبو التتبع محمد بن عبد الباقي قال أنا أبو الفضل أحمد بن أحمد قال أنا الحافظ أبو نعيم الأصبهاني قال حدثنا محمد بن أحمد بن محمد قال حدثنا عباس ابن أحمد الشاشي قال حدثنا أبو عقيل الوصافي قال أنا عبد الله الحواس وكان من أصحاب حاتم قال دخلت مع أبي عبد الرحمن حاتم الأصم الرى ومعه ثلاثمائة وعشرون رجلا يريدون الحج وعليهم الصوف والزمرقات ليس معهم جراب ولا طمام فدخلنا الرى على رجل من التجار متنسك يحب التصفين فأشافتنا تلك الليلة فها كان من القد قال حاتم يا أبا عبد الرحمن ألك حاجة فاني أريد أن

وهو لا يعلم قول الآمنة على الظالمين وهو ظالم نفسه ألا آمنة الله على السكاذبين وهو منهم وقال الحسن إنكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل جسلاً فأتم تركبونه تقطعون به مراحل وإن من كان قبلكم رأوه رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل ويغدونها بالنهار وقال ابن مسعود أنزل القرآن عليهم ليعملوا به فأتخذوا دراسته عملاً إن أحدكم ليقرأ القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يسقط منه حرفاً وقد أسقط العمل به وفي حديث ابن عمر وحديث جندب رضي الله عنهما : لقد عشنا دهراً طويلاً وأحدنا يؤتى الإيعان قبل القرآن فنزل السورة على عهد ﷺ فيسفل حلالها وحرامها وأمرها وزاجرها وما يبين أن يقف عنده منها ثم لقد رأيت رجلاً يؤتى أحدكم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته لا يدري ما أمره ولا زاجره ولا ما يبين أن يقف عنده منه ينثره ثم اللهل ^(١) وقد ورد في التوراة يا عبيدي أما كنتحي مني بآتيك كتابي بعض إخوانك وأنت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق وتضد لأوجه وتخرؤه وتدبره حرفاً حرفاً حتى لا يفتوك شيء منه وهذا كتمان أنزلته إليك انظر كم فصلت لك فيه من القول وكَمْ كررت عليك فيه لتأمل طوله وعرضه ثم أنت معرض عنه أفكنت أهون عليك من بعض إخوانك يا عبيدي يقعد إليك بعض إخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتضمني إلى حديثه بكل قلبك فإن تكلم متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أو ماتت إليه أن كسوها تانا ذا مقبل عليك ومحدث لك وأنت معرض قلبك عن الجملة أنت أهون عندك من بعض إخوانك .

(الباب الثاني في ظاهـر آداب التلاوة وهي عشرة)

الأول في حال القاري وهو أن يكون على الوضوء واقفاً على هيئة الأدب والسكون إما قائماً وإما جالساً مستقبل القبلة مطرقاً رأسه غير مرتفع ولا متكى ولا جالس على هيئة التكبر ويكون جالوسه وحده بكالوسه بين يدي أستاذة وأفضل الأحوال أن يقرأ في الصلاة قائماً لو أن يكون في السجدة فقلبك من أفضل الأعمال فإن قرأ على غير وضوء وكان مضطجعا في الفراش فله أيضاً فضل ولكنه دون ذلك قال الله تعالى - الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض - فأنشئ على النكل ولكن قدم القيام في الذكر ثم القعود ثم الله كرمضطجعا قال على رضي الله عنه من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأه في غير صلاة وهو على وضوء خمسي وعشرون حسنة ومن قرأه على غير وضوء فحشر حسنتا وما كان من القيام بالليل فهو أفضل لأنه أفرغ للقلب قال أبوذر الغفاري رضي الله عنه إن كثرة السجود بالنهار وإن طول القيام بالليل أفضل . الثاني في مقدار القراءة ، وللقراء عادات مختلفة في الاستسكات والاختصار فبهم من يحتم القرآن في اليوم واليلة مرة وبعضهم مرتين وانتهى بعضهم إلى ثلاث ومنهم من يحتم في الشهر مرة وأولى ما يرجع إليه في التقديرات قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يغمقه » ^(٢) وذلك لأن القراءة عليه تنمته الترتيل وقد قالت عائشة رضي الله عنها لما سمعت رجلاً يهذر القرآن هذراً إن هذا ماقرأ القرآن ولا سكنت وأمر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن يحتم القرآن في كل سبع ^(٣) وكذلك

(١) حديث ابن عمر وحديث جندب لقد عشنا دهراً وأحدنا يؤتى الإيمان يؤتى القرآن قبل الحديث فهدما في العلم :

(٢) حديث من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يغمقه أصحاب السنن من حديث عبد الله بن عمرو وصححه ب (٣) حديث أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو أن يحتم القرآن في كل أسبوع متنق عليه من حديثه

أعود قتها لنأهـو عليل
فقال حاتم إن كان لك
قفيه عليل فيادة
القيـد فاضل والنظر
إلى القفيه عبادة فأنا
أيضاً جىء مـكوك كان
الليل محـدين مقاتل
قاضى الرى قتال
سربنا يا أبـد الرحمن
جاءوا إلى الباب فافـدا
باب مشرف حسن
فبقى حاتم متفكرا
يقول باب عالم على هذا
الحال ثم أذن لهم
فدخلوا فإذا دارقوراء
والفا بنومنة وسور
وجمع بقى حاتم متفكرا
ثم دخلوا إلى المجلس
الذى هو فيها فابـد
وطيئة وإذا هو راقد
عليها وعند رأسه
ضلام ويسده مذبة
فقدم الرازى يسأله
وحاتم قائم فأومأ إليه
ابن مقاتل أن القـد
فقال لأئسد فقال له
ابن مقاتل لعل لك حاجة
قال لم قال وماهى قال
مسئلة أسألك عنها قال
سألى قال قم فاستو
جالسا حتى أسألكها
فأمر غلامه فأسندوه
فقال له حاتم عليك

كان جماعة من الصحابة رضي الله عنهم يسمون القرآن في كل جمعة كتاباً وزيد بن ثابت وابن مسعود وأبي بن كعب رضي الله عنهم في الختم أربع درجات الختم في يوم وليلة وقد كرهه جماعة والختم في كل شهر كل يوم جزء من ثلاثين جزءاً وكأنه مبالغة في الاختصار كأن الأول مبالغة في الاستكثار ويهادر جنان مبتذلان إحداهما في الأسبوع مرة والثانية في الأسبوع مرتين تقريباً من الثلاث . والأجوب أن يختم ختعة بالليل وختمة بالنهار ويجعل ختمة بالنهار يوم الاثنين في ركعتي الفجر أو بعدها ويجعل ختمة بالليل ليلة الجمعة في ركعتي المغرب أو بعدها ليستقبل أول النهار وأول الليل بختمة فإن للالتكفة عليهم السلام قصي عليه إن كانت ختمة ليلة لا حتى يصبح وإن كان نهلاً حتى يمس فتشعل بركتهما جميع الليل والنهار والتفصيل في مقدار القراءة أنه إن كان من العابدين السالكين طريق الصلوة فلا ينبغي أن ينقص عن ختمتين في الأسبوع وإن كان من السالكين بأعمال القلب وضروب الفكر أو من اللشغائين بشغل العلم فلا بأس أن يقتصر في الأسبوع على مرة وإن كان نافع الفكر في معاني القرآن فتدبكت في الصبر مرة لكثرة حاجته إلى كثرة التردد والتأمل . الثالث في وجه القسمة : أمان ختم في الأسبوع مرة فيقسم القرآن نسبة أحزاب قد حزن الصحابة رضي الله عنهم القرآن أحزاباً ^(١) فروى أن عثمان رضي الله عنه كان يفتح ليلة الجمعة بالقرعة إلى السائدة وليلة السبت بالأنعام إلى هود وليلة الأحد يوسف إلى مريم وليلة الاثنين بطه إلى طسم موسى وفرعون وليلة الثلاثاء بالشكوت إلى ص وليلة الأربعاء بتزويل إلى الرحمن ويختم ليلة الخميس وابن مسعود كان يقسمه أقساماً لا على هذا الترتيب وقيل أحزاب القرآن سبعة فالحزب الأول ثلاث سور والحزب الثاني خمس سور والحزب الثالث سبع سور والرابع تسع سور والخامس إحدى عشرة سورة والسادس ثلاث عشرة سورة والسابع الفصل من ق إلى آخره فهكذا حزه الصحابة رضي الله عنهم وكانوا يقرءونه كذلك وفيه خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا قبل أن تصل الألفاس والأعشار والأجزاء فها هو هذا محدث . الرابع في الكتابة : يستحب تحسين كتابة القرآن وتبيينه ولا بأس بالنقطة والعلامات بالجمرة وغير هاتين وتبيين وصدة عن الخطأ والحين لمن يقرؤه وقد كان الحسن وابن سيرين ينكرون الألفاس والواو والأجزاء وروى عن الشعبي وإبراهيم كراهية النقطة بالجمرة وأخذ الأجرة على ذلك وكانوا يقولون جرءوا القرآن والظن هؤلاء أهم كرهوا فتح هذا الباب خوفاً من أن يؤدى إلى إحداث زيادات وحسابات وتشتتاً إلى حراسة القرآن عما يطرأ إليه تغييراً وإذا لم يؤد إلى محذور واستقر أمر الأمة فيه على ما يحصل به مزيد معرفة فلا بأس به ولا يمنع من ذلك كونه محدثاً فكيف من محدث حسن كافي في إقامة الجماعة في الترويع إيماناً محدثات عمر رضي الله عنه وإتيانها بدعة حسنة إنما البدعة للتمومة ما يصاد السنة القديمة أو يكاد يفضي إلى تغييرها ويضهم كما يقول قرأ في الصحف للخطوط ولا خطه بنفسه وقال الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير كان القرآن مجزأ في الصحف فأول ما أحدثوا فيه النقطة على الباء والياء وقالوا لا بأس به فانه نور لهم أحدثوا بعده نقطاً كبار اعتمدت على الآي فقالوا لا بأس به يرف برأس الآي ثم أحدثوا بذلك الحوام والقواغ قال أبو بكر الهذلي سألت الحسن عن تنقيط للصحف بالآخر فقال وما تنقط فقلت يبرون الكلمة بالبرية قال أما صحاب القرآن فلا بأس به وقال خاله الحذاء دخلت على ابن سيرين فرأيت

(١) حديث تحزيب القرآن على سبعة أجزاء د ه من حديث أوس بن حذيفة في حديث فيطرأ على حزبي من القرآن قال أوس فسألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف تجزئون القرآن قالوا ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب للفصل وفي رواية للطبراني فسألتنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزي القرآن فقالوا كان يجزئه ثلاثاً فذكره مروعا وإسناده حسن .

هذا من أين جئت به
قال الثقات حدثوني
به قال عمن قال عن
أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم
قال أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم
عمن قال عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
قال ورسول الله من
أين جاء به قال عن
جبرائيل قال حاتم فنيا
أداه جبرائيل عن
الله وأداه رسول الله
إلى أصحابه وأداه
أصحابه إلى الثقات
وأداه الثقات إليك
هل سمعت في العلم من
في داره أمير أو منته
أكثر كانت له التزئة
عند الله أكثر قال
لا قال فكيف سمعت
قال من زهد في الدنيا
ورغب في الآخرة
وأحب للساكنين وقدم
لآخرته كان له عند الله
للتزئة أكثر قال حاتم
فأنت بمن أقدمت بالنبي
وأصحابه والساكنين أم
مروعون ونمرود أول

من بني الجلس والآجر
يعلم البوء مثلكم
يراه الجاهل الطالب

يقرأ في مصحف منقوط وقد كان يكره النطق وقيل إن الججاج هو الذي أحدث ذلك وأحضر القراءة حتى عدوا كلمات القرآن وحروفه وسواها أجزاءه وقسموه إلى ثلاثين جزءاً وإلى أقسام أخرى . الخامس الترتيل : هو للسجدة في هيئة القرآن لأننا سنبين أن المقصود من القراءة التفكير والترتيل . عين عليه ولذلك نعت أم سلمة رضي الله عنها قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هي تمت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً (١) وقال ابن عباس رضي الله عنهما لأن أقرأ البقرة وآل عمران أرتلها وأتدبرها أحب إلى من أن أقرأ القرآن كله هزيمة ، وقال أيضاً لأن أقرأ إنا زلزلة والقارعة أتدبرها أحب إلى من أن أقرأ البقرة وآل عمران تهديراً وسئل مجاهد عن رجلين دخلا في الصلاة فكان قيانهما واحداً إلا أن أحدهما قرأ البقرة فقط والآخر القرآن كله فقال هما في الأجر سواء واعلم أن الترتيل مستحب لا لجمود التدبر فإن الجمود الذي لا يفهم معنى القرآن يستحب له في القراءة أيضاً الترتيل والتؤدة لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام وأشد تأثيراً في القلب من الهزيمة والاستعجال . السادس البكاء : البكاء مستحب مع القراءة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انابوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فبأبوا » (٢) وقال عليه السلام « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » (٣) وقال صالح للرؤي قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فأبى البكاء وقال ابن عباس رضي الله عنهما إذا قرأت سجدة سبحان فلا تتجاولا بالسجدة حتى تبكوا فان لم تبك عين أحدكم فليك قلبه وإنما طريق تكلف البكاء أن يحضر قلبه الحزن فمن الحزن ينشأ البكاء قال صلى الله عليه وسلم « إن القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فحزنوا » (٤) ووجه إحضار الحزن أن يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد وللواثق واليهود ثم يتأمل قصيره في أوامره وزواجه فيحزن لامحالة ويبكي فان لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر أرباب القلوب الصافية فليك على قد الحزن والبكاء فان ذلك أعظم المصائب . السابع أن يراعى حق الآيات : فاذا مر بآية سجدة سجد وكذلك إذا سمع من غيره سجدة سجد إذا سجد التالي ولا يسجد إلا إذا كان على طهارة وفي القرآن أربع عشرة سجدة وفي الحج سجدتان وليس في ص سجدة وأقله أن يسجد بوضع جبهته على الأرض وأكله أن يكبر فيسجد ويدعو في سجوده بما يليق بالآية التي قرأها مثل أن يقرأ قوله تعالى - سرّوا سجداً وسبحوا محمد ربهم وهم لا يستكبرون - فيقول اللهم اجلسني من الساجدين لوجهك للشيخين محمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك أو على أولئك وإذا قرأ قوله تعالى - ويخرون للأذان يكونون - يزيدهم خشوعاً - فيقول اللهم اجلسني من الباكين إليك الخاضعين لك وكذلك كل سجدة ويشترط في هذه السجدة شروط الصلاة من ستر العورة واستقبال القبلة وطهارة الثوب والبدن من الحدث والنجس ومن لم يكن على طهارة عند السجود فاذا تطهر يسجد وقد قيل في كمالها أن يكبر رافعاً يديه لتحريره ثم يكبر للهوى للسجود ثم يكبر للارتضاع ثم يسلم وزاد زائدون التشهد ولا أصل لهذا إلا القياس على سجود الصلاة وهو بعيد فانه ورد الأمر في السجود فليتبّع فيه الأمر وتكبيره للهوى أقرب للبدئية وما عدا ذلك فيه بعد

(١) حديث نعت أم سلمة قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فاذا هي تمت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً
 (٢) دن ت وقال حسن صحيح (٣) حديث أنابوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فبأبوا من حديث سعد بن أبي وقاص بإسناد جيد (٤) حديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن من حديث أبي هريرة (٤) حديث إن القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فحزنوا أبو يعلى وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف .

للدنيا الراغب فيها
 فيقول العالم على علمه
 المحالة لا أكون أنا
 شرا منه وخرج من
 عنده فاذا ابن
 مقاتل مرصافيل أهل
 الرى ماجرى بينه
 وبين ابن مقاتل
 فقالوا له يا أبا عبد الرحمن
 بزوين عالم كبر شأنا
 من هذا وأشاروا به إلى
 الطنافى قال فسار
 إليه متعمدا فدخل
 عليه فقال رسمك الله
 أنارجل مبعصى أحب
 أن تملني أول مبتدأ
 ديني ومتنصاح صلاتي
 كيف أؤتمن للصلاة
 قال نعم وكرامة لأغلام
 هات إناء فيه ماء فأنى
 بانه فيه ماء فقدم
 الطنافى قنوساً ثلاثاً
 ثلاثاً ثم قال هكذا
 قنوساً قنوساً
 حاتم ثلاثاً ثلاثاً حتى إذا
 بلغ غسل القراعين
 غسل أرميا فقال له
 الطنافى يا هذا
 أسرفت فقال له حاتم
 فيا ذا قال غسلت
 ذراعيك أرميا قال
 حاتم يا سبحان الله أناني
 كلف ماء أسرفت وأنت

ثم المأمور بنبأ أن يسجد عند سجود الإمام ولا يسجد ثلاثة شمس إذا كان مأموماً . الثامن أن يقول في مبتدأ قراءته : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم - رب أعوذ بك من هزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون - وليقرأ قل أعوذ برب الناس وسورة الحمد لله ويلقل عند فراغه من القراءة صدق الله تعالى وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم افضنا به وبارك لنا فيه الحمد رب العالمين واستغفر الله الحى القيوم وفى أثناء القراءة إذا مر بآية تيسيح سبع وكبر وإذا مر بآية دعاء واستغفار دعا واستغفر وإن مر بمرجوه سأل وإن مر بخوف استعاذ بفعل ذلك بلسانه وأقبله فيقول سبحان الله نعوذ بالله اللهم ارزقنا اللهم أرحنا قال حذيفة : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتدأ سورة البقرة فكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل ولا بآية عذاب إلا استعاذ ولا بآية تنزيه إلا سبح^(١) ، فذا فرغ قال ما كان يقول صلوات الله وسلامه عند ختم القرآن اللهم أرحمني بالقرآن واجعله لى إماماً ونوراً وهدى ورحمة اللهم ذكر كفى منى ما نسيت وعلمى منه ما جهلت وارزقنى تلاوته أثناء الليل وأطراف النهار واجعله لى حجة يارب العالمين^(٢) . التاسع فى الجهر بالقراءة : ولا شك فى أنه لا بد أن يجهر به إلى حد يسمع نفسه إذ القراءة عبارة عن تقطيع الصوت بالحروف ولا بد من صوت فأقله ما يسمع نفسه فإن لم يسمع نفسه لم تصح صلاته فأما الجهر بحيث يسمع غيره فهو محبوب على وجه ومكروه على وجه آخر ويدل على استحباب الإسرار ما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال « فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية » وفى لفظ آخر « الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والسر بكلمة بالصدقة^(٣) » وفى الخبر العام « يفضل عمل السر على عمل العلانية سبعين ضعفاً^(٤) » وكذلك قوله ﷺ « خير الرزق ما يكفى وخير الذكر الحفى^(٥) » وفى الخبر « لا يجهر بضمك على بعض فى القراءة بين للرب والعشاء^(٦) » ومع سعيد بن السبب ذات ليلة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة فى صلاته وكان حسن الصوت فقال لعلاءه ادب إلى هذا للصلى فراه أن يخفض صوته فقال السلام إن السجد ليس لنا وللرجل فيه نصيب فرفض سعيد صوته وقال يا أيها الصلى إن كنت تريد الله عز وجل بصلواتك فاخفض صوتك وإن كنت تريد الناس فاهم لن ينفوا عنك من العشي فتسكت عمر بن عبد العزيز وخفف ركعته فلما سلم أخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ أمير المدينة ويدل على استحباب الجهر

(١) حديث حذيفة كان لا يمر بآية عذاب إلا تلوذ ولا بآية تنزيه إلا سبح م مع اختلاف لفظ (٢) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند ختم القرآن اللهم أرحمني بالقرآن واجعله لى إماماً وهدى ورحمة اللهم ذكر كفى منى ما نسيت وعلمى منه ما جهلت وارزقنى تلاوته أثناء الليل وأطراف النهار واجعله لى حجة يارب العالمين رواه أبو مسعود الملقب بن الحسين الأرجاني فى فضائل القرآن وأبو بكر بن الصمك فى التباين كلاًهما من طريق أبى ذر الهروى من رواية داود بن قيس مضافاً (٣) حديث فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية قال فى لفظ آخر الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والسر بالقرآن كالسر بالصدقة د ن ت وحسنه من حديث عتبة بن عامر باللفظ الثانى (٤) حديث يفضل عمل السر على عمل العلانية سبعين ضعفاً البيهقى فى الشعب من حديث عائشة (٥) حديث خير الرزق ما يكفى وخير الذكر الحفى^(٦) أحمد وابن حبان من حديث سعد بن أبى وقاص (٦) حديث لا يجهر بضمك على بعض فى القراءة بين للرب والعشاء رواه أبو داود من حديث النابغى دون قوله بين للرب والعشاء والبيهقى فى الشعب من حديث على بن عبد الله بن النعمان وهو ضعيف

فى هذا الجمع كله لم تصرف فلم الطائفة أنه أراد بذلك ولم يرد منه ان تلطم فدخل البيت ولم يخرج إلى الناس أربعين يوماً وكتب تجار الرى وقزوين ماجرى بينه وبين ابن مقاتل والطائفة فمادخل فساد اجتمع إليه أهل بغداد فقالوا له يا أبا عبد الرحمن أنت رجل لكن أعجمى ليس بكلمك أحد إلا وقطعتك عالمى ثلاث خصال بين أظهر على خصمى قالوا أى شيء هى قال أفرح إذا أصاب خصمى وأحزن إذا أخطأ وأحفظ نصر أن لا أجعل عليه فيا ذلك أحمد بن حنبل فساد إليه وقال سبحان الله ما أعله فسادوا عليه قالوا يا أبا عبد الرحمن ما السلام من الدنيا قال حاتم يا أبا عبد الله لا تسلم من الدنيا حتى يكون ملك أربع خصال قال أى تنهى يا أبا عبد الرحمن قال تنهى القوم جهلم وتحمي جهلك عنهم

ماروى أن النبي صلى الله عليه وسلم مع جماعة من أصحابه يجهرون في صلاة الليل فصوب ذلك (١) وقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا قام أحدكم من الليل صلى فليجهر بالقراءة فان لللائكة وعمارة الدار يستمعون قراءته ويصاؤون بصلاته (٢) » ومر صلى الله عليه وسلم بثلاثة من أصحابه رضى الله عنهم غثلي الأحوال فرأى أبى بكر رضى الله عنه وهو يخافت فسأله عن ذلك فقال إن الذى أناجيهِ هو يسمعى ومر على عمر رضى الله عنه وهو يجهر فسأله عن ذلك فقال أوقظ الوسنان وأزجر الشيطان ومر على بلال وهو يقرأ آية من هذه السورة وآية من هذه السورة فسأله عن ذلك فقال أخلط الطيب بالطيب فقال صلى الله عليه وسلم : كلكم قد أحسن وأصاب (٣) . فالوجه فى الجمع بين هذه الأحاديث أن الإسرار أجد عن الرياء والتضع فهو أفضل فى حق من يخاف ذلك على نفسه فإن لم يخف ولم يكن فى الجهر ما يشوش الوقت على مصل آخر فالجهر أفضل لأن العمل فيه أكثر ولأن فائدته أيضاً تملق غيره فالجهر للعدى أفضل من اللازم ولأنه يوقظ قلب القارئ ويجمع همه إلى التمسك فيه ويصرف إليه همه ولأنه يطرد النوم ويزيد فى نشاطه للقراءة ويقلل من كسله ولأنه يرجو بجهره تقطع نائم فيكون هوساً وإحيائه ولأنه قد يراه بطال غافل فينشط بسبب نشاطه ويستأنق إلى الخلة فتقضى حشره شئ من هذه النيات فالجهر أفضل وإن اجتمعت هذه النيات تضاعف الأجر وبكثرة النيات تزكو أعمال الأبرار وتتضاعف أجورهم فإن كان فى العمل الواحد عشر نيات كان فيه عشر أجور ولهذا تولى قراءة القرآن فى المصاحف أفضل أذ يزداد فى العمل النظر وتأمل المصحف وحمله فيزيد الأجر بسببه وقد قيل الخلة فى المصحف يسبح لأن النظر فى المصحف أيضاً عبادة وخرق عثمان رضى الله عنه مصحفين لكثرة قراءته منهما فكان كثير من الصحابة يقرءون فى المصاحف ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا فى المصحف ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعى رضى الله عنه فى السحر وبين يديه مصحف فقال له الشافعى شغلكم الفكر عن القرآن إلى أصل التهمة وأضغ المصحف بين يدي فإ طهته حتى أصبح . العاشر تحسين القراءة وترتيبها بترديد الصوت من غير تعطيل مفرط فيغير النظم فذلك سنة قال ﷺ « زينوا القرآن بأصواتكم (٤) » وقال عليه السلام « ما أذن الله لشيء أذنه لحسن الصوت بالقرآن (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس منا من لم يثخن بالقرآن » قيل أراده الاستثناء وقيل أراده الترم ونريد بالألحان به وهو أقرب عند أهل اللغة وروى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لية ينظر عائشة رضى الله عنها فأبطأت عليه فقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث أنه مع جماعة من الصحابة يجهرون فى صلاة الليل فصوب ذلك فى الصحيحين من حديث عائشة أن رجلاً قام من الليل فقرأ فرفع صوته بالقراءة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله فلاناً الحديث ومن حديث أبى موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لورائتى وأنا أسمع قراءتك البارحة الحديث ومن حديثه أيضاً إنما أعرف أصوات رقة الأشعرين بالقرآن حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن الحديث (٢) حديث إذا قام أحدكم من الليل صلى فليجهر بقراءته فان لللائكة وعمارة الدار يستمعون إلى قراءته ويصاؤون بصلاته رواه نحوه زيادة فيه أبوبكر البزار ونسب للقدس فى اللواعظ وأبو شعيبان من حديث معاذ بن جبل وهو حديث منكر منقطع (٣) حديث مروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى بكر وهو يخافت ويحمر وهو يجهر ويبلال وهو يقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة الخديث تهم فى الصلاة (٤) حديث زينوا القرآن بأصواتكم دن ه حب لك وصحبه من حديث البراء بن عازب (٥) حديث ما أذن الله لشيء أذنه لحسن الصوت بالقرآن متفق عليه من حديث أبى هريرة بلغظ ما أذن الله لشيء ما أذن الله لشيء بالقرآن زاد من لئى حسن الصوت وفى روايته كأنه لئى يثنى بالقرآن .

وتبذل لشم شيبك وتكون من شيبهم أيضاً فإذا كان هذا سلمت ثم سار إلى المدينة . قال الله تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - ذكر بكلمة إنما فيثنى العلم عن لا يخشى الله كما إذا قال إنما يدخل الدار يندادى يتنى دخول غير اليندادى الدار فلاح لعلاء الآخرة أن الطريق مسدود إلى أصبى العارف ومقامات القرب بالإلا يهدى والتقوى . قال أبو يزيد رحمه الله لأصحابه ببيت البارحة إلى الصباح أجد أن أقول لا إله إلا الله ما قدرت عليه قيل ولم ذلك فالدكرت كلمة قلها فى صباى فجاتنى وحشة تلك الكلمة فمتنى عن ذلك وأعجب عن يذكر الله تعالى وهو متصف بشئ من صفاته بنفسه التقوى وكال الزهادة يصير البدر رايشاً فى العلم . قال الواسطى : الراشون فى العلم هم

الذين رجعوا بأرواحهم
في غيب الغيب في سر
السر هم سرهم ما عرفهم
وخاصوا في سر العلم
بأنهم لطلب الزیادات
فانكشف لهم من
دسور الحزن ما نعت
كل حرف من الكلام
من القيم وعجائب
الخطاب فطقوا بالحكم
وقال بعضهم الراسخ من
اطلع على محل الرادمن
الخطاب وقال الحراز :
هم الذين تكلموا في جميع
المواد عرفوها واطلوا
على عم الخلاق كلهم
أجمعين وهذا القول
من أبي سعيد لا يخفى
به أن الراسخ في العلم
يضي أن يقف على
جزئيات العلوم ويكمل
فيها فان عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه
كان من الراسخين في
المروءة وقف في معنى قوله
تعالى - واكفوا -
وقال بالآداب ثم قال
إن هذا إلا تكلف
وقل أن هذا الوقوف
في معنى الأب كان من
أبي بكر رضي الله تعالى
عنه وإشاعني بذلك
أبو سعيد ما يشر أول

ما حبك قالت يار رسول الله كنت أستمع قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتا منه فقام صلى الله عليه وسلم حتى استمع إليه طويلا ثم رجع فقال صلى الله عليه وسلم هذا سالم دولى أتى حديثه أحد الله الذي جعل في أمي مثله (١) واستمع صلى الله عليه وسلم أيضا ذات ليلة إلى عبد الله بن مسعود ربه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فوقوا طويلا ثم قال صلى الله عليه وسلم «من أراد أن يقرأ القرآن غضاظا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم لابن مسعود «اقرأ على» فقال يار رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل فقال صلى الله عليه وسلم : إن أحب أن أسمعه من غيري فكان يقرأ وعينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تضيخان (٣) واستمع صلى الله عليه وسلم إلى قراءة أبي موسى فقال لقد أوتي هذا من مزمار آل داود فبلغ ذلك أبا موسى فقال يار رسول الله ولعلك أنك تسمع لحبرته لك تحبير (٤) ورأى هيثم القاري رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام قال فقال لي أنت الهيثم الذي تزين القرآن بصوتك قلت نعم قال جزاك الله خيرا وفي الخبر : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اجتمعوا أمروا أحدهم أن يقرأ سورة من القرآن . وقد كان عمر يقول لأبي موسى رضي الله عنهما ذكرنا ربنا فقرأ عسده حتى يكاد وقت الصلاة أن يتوسط فيقال يا أمير المؤمنين الصلاة الصلاة فيقول أولسنا في صلاة إشارة إلى قوله عز وجل - ولذكر الله أكبر - وقال صلى الله عليه وسلم «من استمع إلى آية من كتاب الله عز وجل كانت له نورا يوم القيامة» (٥) وفي الخبر كتب له عشر حسنات ومهما عظم أجر الاستماع وكان التالي هو السبب فيه كان شريكا في الأجر إلا أن يكون قصد الرياء والتشع.

(الباب الثالث في أعمال الباطن في التلاوة وهي عشرة)

فهم أصل الكلام ثم التعظيم ثم حضور القلب ثم التدبر ثم التفهم ثم التخلي عن موانع التفهم ثم التخصيص ثم التأثر ثم الترقى ثم التبرى . فالأول : فهم قطعة الكلام وعلمه . وفصل التفسير عنه وتعالى ولطائف خلقه في زو له عن عرش جلالة إلى درجة أفهام خاتمة فلينظر كيف لطف خلقه في إيصال معاني كلامه الذي هو صفة قدعة قائمة بذاته إلى أفهام خلقه وكيف تجلت لهم تلك الصفة في طي حروف وأصوات هي صفات البشر إذ يحجز البشر عن الوصول إلى فهم صفات الله عز وجل إلا بوسيلة صفات نفسه ولولا استتار كنه جلالة كلامه بكسوة الحروف لما تبنت لسابع الكلام عرش ولا ترى ولتلاشي ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره ولولا تثبيت الله عز وجل موسى عليه السلام لما أطلق لساء كلامه كما لم يطلق الجبل

(١) حديث كان ينتظر عائشة فأبطأت عليه فقال ما حبسك قالت يار رسول الله كنت أسمع قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتا منه فقام صلى الله عليه وسلم حتى استمع إليه طويلا ثم رجع فقال هذا سالم دولى أتى حديثه أحد حديثه الحمد لله الذي جعل في أمي مثله من حديث عائشة ورجال إسناده هات (٢) حديث استمع ذات ليلة إلى عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر فوقوا طويلا ثم قال من أراد أن يقرأ القرآن غضاظا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد . أحمد بن في الكبرى من حديث عمر و ت من حديث ابن مسعود أن أبابكر وعمر جبراه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب أن يقرأ القرآن الحديث قالت حسن صحيح (٣) حديث أن قال لابن مسعود اقرأ فقال يار رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل فقال إلى أحب أن أسمعه من غيري الحديث متفق عليهما حديث ابن مسعود (٤) حديث استمع إلى قراءة أبي موسى فقال لقد أوتي هذا من مزمار آل داود متفق عليهما حديث أبي موسى (٥) حديث من استمع إلى آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيامة وفي الخبر كتب له عشر حسنات أحسن حديث أبي هريرة من استمع إلى آية من كتاب الله كتبه له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نورا يوم القيامة وفيه نصف واقطاع.

(الباب الثالث في أعمال الباطن في التلاوة)

مبادئ تجليه حيث صار ذكاً ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام إلا بمثله على حدهم الخلق ولهذا عبر
 بين السارفين عنه فقال إن كل حرف من كلام الله عز وجل في الوحي المحفوظ أعظم من جبل
 قاف وإن لللائكة عليهم السلام لواجتهت على الحرف الواحد أن يقولوا ما أطلقوه حتى يأتي إسرا فيل
 عليه السلام وهو ملك اللوح فيرقه فيقله بإذن الله عز وجل ورحمته لا يقوته وطاقته ولكن الله عز وجل
 طوقه ذلك واستعمله به ولقد تأتت بعض الحكماء في التعبير عن وجه اللطف في إيصال المعاني الكلام مع
 علو درجته إلى فهم الإنسان وتثبيته مع تصور رتبته وضرب له مثلاً بقصر فيه وذلك أنه دعا بعض
 الملوك حكيم إلى سرية الأنبياء عليهم السلام فسأله الملك عن أمور فأجاب بما لا يحتمل فيه فنه قال الملك
 أ رأيت مما تأتي به الأنبياء إذا ادعت أنه ليس بكلام الناس وأنه كلام الله عز وجل فكيف يطبق الناس
 حمله فقال الحكيم إنا رأينا الناس لما أرادوا أن يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون من تقديمها
 وتأخيرها وإقبالها وإدبارها ورأوا الدواب بقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر عن أنوار عقولهم مع
 حسنة وتزيينها بديع نظمه فنزلوا إلى درجة تمييز البهائم وأوصلوا متقادهم إلى بوطن البهائم بأصوات
 يصفونها لاهتاجهم من النقر والصفير والأصوات القريبة من أصواتها لكي يطيعوا أحلامها وكذلك الناس
 يجزون عن حمل كلام الله عز وجل بكنهه وكلماته فصاروا بما تراجوا بينهم من الأصوات التي سمعوا
 بها الحكمة كصوت النقر والصفير التي سمعت به الدواب من الناس ولم يمتنع ذلك معاني الحكمة المحبوبة
 في تلك الصفات من أن شرف الكلام أي الأصوات لشرفها وعظم تعظيمها فكان الصوت للحكمة جسداً
 ومسكناً والحكمة للصوت نفساً وروحاً فكأن أجساد البشر تتحرك وتملكان الروح فكذلك
 أصوات الكلام تصرف للحكمة التي فيها والكلام على الترتيب رفيع للدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم
 في الحق والباطل وهو القاضي العدل والشاهد الرقضي يأمر وينهى ولا طاقة للباطل أن يقوم قدام
 كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل أن يقوم قدام شمع الشمس ولا طاقة للبشر أن ينفذوا غور الحكمة
 كما لا طاقة لهم أن ينفذوا بأبصارهم ضوء عين الشمس ولكنهم يتناولون من ضوء عين الشمس ما يغنيهم
 أبصارهم ويستدلون به على حوائجهم فقط فالكلام كالملك المحبوب الثابت وجهه لنافذ أمره كالشمس
 المزمزة الظاهرة تكون عنصرها وكالنجوم الظاهرة التي قد يمتد بها من لا يقف على سيرها فهو
 مفتاح الخزانة النفيسة وشراب الحياة الذي من شرب منه لم يمت ودواء الأسقام الذي من سقى
 منه لم يفسد فهذا الذي ذكره الحكيم نبذة من تضيي معنى الكلام والزيادة عليه لاتليق بعلم العامة
 فينبغي أن يقتصر عليه . الثاني : التعظيم للتكليم فالتقاري عند البداية بتلاوة القرآن ينبغي أن
 يحضر في قلبه عظمة للتكليم ويسلم أن ما يقرؤه ليس من كلام البشر وأن في تلاوة كلام الله
 عز وجل غاية الخطر فانه تعالى قال - لا يمسه إلا المطهرون - وكان ظاهر جلد المصحف وورقه
 محروس عن ظاهر جيرة اللامس إلا إذا كان منطهر فباطن معناه أيضاً يحكم عزه وجلاله محجوب
 عن باطن القلب إلا إذا كان منطهرًا عن كل رجي ومستترا بنور التعظيم والتوقير . وكان لا يصلح
 لمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان وللا ليل معاني كل قلب ولئلا هذا التعظيم
 كان عكرمة بن أي جهل إذا نشر المصحف غشى عليه ويقول هو كلام ربي هو كلام ربي فتعظيم
 الكلام تعظيم للتكليم ولن تحضره عظمة للتكليم مالم يتفكر في صفاته وجلاله وأفعاله فإذا حضر
 ماله العرش والكرسي والسماوات والأرض وما بينهما من الجن والإنس والدواب والأشجار وعلم أن
 الخالق لجسما والقادر عليها والرازق لها الواحد وأن الكل في قبضة قدرته مترددون بين فضله ورحمته وبين
 نعمته وسطوته إن أمم فضله وإن عاقب فبعده وأنه الذي يقول هؤلاء إلى الجنة ولأبالي هؤلاء إلى النار

كلامه بأخرو هو قوله
 اطلعوا على هم الخلائق
 كلام لأن التلق حق
 التقوى والزاهد حق
 الزهادة في الدنيا صفا
 باطنه وانجلت مرآة
 قلبه ووقعت له محاذة
 بشي من اللوح
 المحفوظ فأدرك بصفاء
 الباطن أمهات العلوم
 وأصولها فيعلم منتهى
 أقدم العلماء في علومهم
 وفائدة كل عالم العلوم
 الجزئية متجزة في
 النفوس بالتعليم
 وللممارسة فلا ينفه
 عنه الكل أن
 راجع في الجزء أهله
 الدين هم أوعيته
 نفوس هؤلاء امتلات
 من الجزئي واشتغلت
 به وانقطعت بالجزئي
 عن الكل وضوس
 العلماء الزاهدين بعد
 الأخذ بما لا يد لهم
 منه في أصل الدين
 وأساسه من الشرع
 أقبلوا على الله وانقطعوا
 إليه وخلصت أرواحهم
 إلى مقام القرب منه
 فأفاضت أرواحهم على
 قلوبهم أنواراً تنبأت
 بها قلوبهم لإدراك

العلوم فأرواحهم ارتقت
عن حد إدراك العلوم
بكونها على العالم الأزل
وتجردت عن وجود
يصلح أن يكون وعاء
للعلم وقاومهم بنسبة
وجهها الذي يسلى
النفوس صارت أوعية
وجودية تناسب وجود
العلم بالنسبة الوجودية
فتألفت العلوم وتألفتها
العلوم بنسبة انفعال
العلوم بإصلاحها بالروح
المحفوظ وللحق
بالانفعال انفعالها
في اللوح لا غير
وانفعال القلوب عن
مقام الأرواح لوجود
انجذابها إلى النور
فصار بين الانفصال
نسبة اشتراك موجب
للتألف فحصلت العلوم
لذلك وصار العالم
الرباني راسخا في العلم
أوحى الله تعالى في
بعض الكتب المنزلة
يا أيها إسرائيل لا تقولوا
العلم في السماء من
ينزل به ولا في تخوم
الأرض من يصعد به
ولا من وراء البطار
من يسير فيأتى به
العلم بحصول في قلوبكم

ولا بألى وهذا غاية العظمة والتعالى فبالفكر في أمثال هذا يحضر تعظيم التسليم ثم تعظيم الكلام
الثالث : حضور القلب وترك حديث النفس قيل في تفسيره - يا يحيى خذ الكتاب بقوة - أى يجد واجتهاد
وأخذه بالجد أن يكون متجردا له عند قراءته منصرف الهمّة إليه عن غيره وقيل لبعضهم إذا قرأت
القرآن تحدث نفسك بشئ فقال أو شئ أحب إلى من القرآن حتى أحدث به نفسى وكان بعض
السلف إذا قرأ آية لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية وهذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم فان المظلم
للكلام الذى يتلوّه يستشعر به ويستأنس ولا يشغل عنه ففى القرآن ما يستأنس به القلب إن كان
التالى أهلا له فكيف يطالب الأنس بالفكر في غيره وهو في منزلة ومتفرج والذي يتفرج في
التنزهات لا يفكر في غيرها فقد قيل إن في القرآن ميادين وبساتين ومقاصير وعرائس ودياسج
ورياض وخانات فالميات ميادين القرآن والاراءات بساتين القرآن والحانات مقاصير ولللبجات
عرائس القرآن والحاميات دياسج القرآن وللقلل رياضه والحانات ماسوى ذلك فإذا دخل القارىء
الميادين وقطف من البساتين ودخل القاصير وشهد العرائس ولبس الدياسج وتزه في الارياض وسكن
غرف الحانات استغرقه ذلك وشغله عما سواه فلم يبرز قلبه ولم يتفرق فكره . الرابع : التدبر
وهو وراء حضور القلب فانه قد لا يفكر في غير القرآن ولكنه يقتصر على سماع القرآن من شفه
وهو لا يتدبر وللقصود من القراءة التدبر ولذلك من فيه الترتيل لأن الترتيل في الظاهر لا يتمكن
من التدبر بالباطن قال على رضى الله عنه : لا خير في عبادة لا تفقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها وإذا
لم يتمكن من التدبر إلا بتدريج فليزدد إلا أن يكون خلف إمام فانه لو بقى في تدبر آية وقد اشتغل
الامام بآية أخرى كان ميسما مثل من يشتغل بالتدبر من كلمة واحدة عن يتاجه عن فهم بقية
كلامه وكذلك إن كان في تسيح الركوع وهو متفكر في آية قرأها إمامه فهذا وسواس قد دروى
عن حاضر بن عبد قيس أنه قال الوسواس يترى في الصلاة القليل في أمر الدنيا فقال لأن تخلف في
الأسنة أحب إلى من ذلك ولكن يشغل قلبي بموقفي بين يدي ربى عن وجل وأنى كيف أنصرف
فعد ذلك وسواسا وهو كذلك فانه يشغله عن فهم ماهو فيه والشيطان لا يقدر على مثله إلا بأن يشغله
بهم دينى ولكن يمنعه به عن الأفضل ولما ذكر ذلك للحسن قال إن كنتم صادقين فما أصطنع
أش ذلك عندنا وروى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة (١) وإنما
رددها صلى الله عليه وسلم ليدبره في معانيها وعن أبى ذر قال « قام رسول الله ﷺ بنالقة فقام بآية
يردها هو - إن تدبرهم فأنهم عبادك وإن تدبرهم (٢) - الآية » وقام يميم الدارى لآية بآية - أم حسب
الذين اجتروا العيثات - الآية فقام بمدبرين جبريلة يرددونها الآية - وامتنازوا اليوم أيها المجرمون -
وقال بعضهم إنى لأنتسح السورة فيوقنى بعض ما شغفني عن الفراغ منها حتى يظلم الفجر وكان بعضهم
يقول آية لا أنصبرها ولا يكون قلبي فيها لأعد لها نوابا . وحكى عن أبى سليمان الداراني أنه قال لى أنلوا
الآية فاقم فيها أربع ليال أو خمس ليال ولا أنى أقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غير هاهنا وعن بعض السلف
أنه بقى في سورة هود ستة أشهر يكررها ولا يرضع من التدبر فيها وقال بعض المارفين لى كل جمعة ختمت وفى
كل شهر ختمت وفى كل سنة ختمت وفى ثلاثين سنة ما فرضت منها يد وذلك بحسب درجات
تدبره وخشيته وكان هذا أيضا قول أنس شمس مقام الأجرء فأنا أعلم ما مومع ما مومع ما مشاهرة ومساكنة
(١) حديث أنه قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة رواه أبو ذر الحزرى في معجبه
من حديث أبى هريرة بسند ضعيف (٢) حديث أبى ذر قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا لآية بآية
يردها هو - إن تدبرهم فأنهم عبادك - ن - بسند صحيح .

الخالص التقي: وهو أن يسرنج من كل آية ما يليق بها إذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله عز وجل وذكر أحوال الأنبياء عليهم السلام وذكر أحوال للكافرين لهم وأتهم كتب أغسلوا وذكروا أسماءهم ووزواجرهم وذكر الجنة والنار بأسماء ذات الله عز وجل فكتوبه تعالى: ليس كتابه شيء وهو السميع البصير - وكقوله تعالى: للفق القديس السلام المزمع من العزيز الجبار الكبير - فليتلأ ما في هذه الصفات ليكشف أسرارها فتد: بامان: منة لا تكشف إلا للواقفين وإليه أشار على رضي الله عنه قوله ما أمر إلى رسول الله ﷺ فبما كرهه عن الناس إلا أن يؤتى الله عز وجل عبدا فيهما كتابه فليكن حريصا على طلب ذلك فهم (١) وقال ابن مسعود رضي الله عنه من أراد علم الأولين والآخرين فليشتر القرآن وأعظم علوم القرآن تحت أسماء الله عز وجل وصفاته إذ لم يذكره أكثر الخلق منها إلا نورا لا تفتق بأفهامهم ولم يشروا على أغوارها. وأما أقواله تعالى في ذكره خالق السموات والأرض وغيره فليفتقهم التالى منها صفات الله عز وجل وجلاله إذ الفصل يدلنا على الناع قدل عظمت على عظمته فينبى أن يشهد في الفعل الفاعل دون الفعل فن عرف الحق رآفى كل شيء إذ كل شيء فهو متو إليه وبهوله فهو الكل على التحقيق ومن لا يراه في كل ما يراه فكانما عرفه ومن عرفه عرف أن كل شيء ما خلا الله باطل وإن كل شيء هالك إلا وجهه لأنه سيطر في ثاني الحال بل هو الآن باطل إن اعتبر ذاته من حيث هو إلا أن يعتبر وجوده من حيث إنه موجود بالله عز وجل وبقدرته فيكون له بطريق التبعية ثبات وبطريق الاستقلال بطلان بعض وهذا مبدأ من مبادئ علم الكشافة ولهذا ينبى إذا قرأ التالى قوله عز وجل - أفرأيت ما تمحرون - أفرأيت ما تمنون - أفرأيت الماء الذى تشربون أفرأيت النار التى تورون - فلا يقصر نظره على الماء والنار والحرق واللى بل يتأمل فى التى وهى نقطة متشابهة الأجزاء ثم ينظر فى كيفية تها سها إلى اللحم والعظم والورق والعصب وكيفية تشكل أعضائها بالأشكال المختلفة من الرأس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها ثم إلى مظاهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والقل وغيرها ثم إلى مظاهر فيها من الصفات للدمومة من الغضب والشهوة والكبر والجهل والتكذيب والمجادلة كما قال تعالى - أولم ير الإنسان أن خلقناه من نقطة فإذا هو خصيم مبين - فيتأمل هذه الجائبة ليرى فيها إلى حجب الجانب وهو الصفة التى منها صدرت هذه الأعاجيب فلا يزال ينظر إلى الصفة فىرى الصانع - وأما أحوال الأنبياء عليهم السلام: فإذا سمع مع أنهم كيف كذبوا وضربوا وقتل بعضهم فليتهم منه صفة الاستغناء لله عز وجل عن الرند والرسول إليهم وأنه لو أهلك جميعهم لم يؤثر فى ملكه شيئا وإذا سمع نصرتهم فى آخر الأمر فليتهم قدرة الله عز وجل وإرادته لنصرة الحق. وأما أحوال للكافرين: كما د ونود وما جرى عليهم فليكن فرحة منه استعزاء الخوف من سطوته وهيمه وليكن حظه منه الاعتبار إن قسوه أنه إن غفل وأساء الأدب واعتز بما أهمل فرجا تدركه النعمة وتنفيذة القضية وكذلك إذا سمع وصف الجنة والنار وسأفى القرآن فلا يمكن استثناء ما يفهم منها لأن ذلك لا نهاية له وإنما لكل عبد منه بقدر رزقه فلا رطب ولا يابس إلا فى كتاب (١) حديث على ما أمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا كتمه عن الناس إلا أن يؤتى الله عبدا فيها فى كتابه من رواية أبى جحيفة قال سألتا عليا قلنا هل عندك من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء سوى القرآن فقال لا والله فى قلب الحية وبرأ النعمة إلا أن يسطى الله عبدا فيها فى كتابه الحديث وهو عند البخارى بلفظ هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس فى القرآن وفى رواية وقال مرة ما ليس عند الناس ولأى داود والنسائ قلنا هل عهد إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لم يهد إلى الناس قال لا إلا ما فى كتابى هذا الحديث ولم يذكر القهم فى القرآن .

تأدبوا بين يدي
بآداب الروحانيين
وتخلقوا إلى بأخلاق
الصدقين ظهر العلم
من قلوبكم حتى يفتلكم
أو يترككم فالتأديب
بآداب الروحانيين
حصر النفوس عن
تقاضى جيلاتها وقها
بصرى السلم فى كل
قول وفعل ولا يصح
ذلك إلا لمن عرفه وقرب
ونظر إلى الحضور
بين يدي الله تعالى
فيتحفظ بالحق للحق
أخبرنا هجنا
أبو العجيب عبد القاهر
للمروردي إجازة قال
خبرنا أبو منصور بن
خبرون إجازة قال أنا
أبو محمد الحسن بن على
الجوهري إجازة قال
أنا أبو عمر محمد بن
العباس قال حدثنا
أبو محمد يحيى بن صاعد
قال حدثنا الحسين بن
الحسن المروزي قال أنا
عبد الله بن المبارك قال
أنا الأوزاعي عن
خسان بن عطية يلقى
أن عذاد بن أنس
رضي الله عنه نزل
منزلا قال اتونا

مبين - قبل لو كان البحر ممددا لسكرات ربى لفند البحر قبل أن تتفك كآيات ربى ولو جشا بخله مددا -
ولذلك قال على رضى الله عنه لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تيسير فاعلم الكتاب فالقرآن عاذا كرهه
التبنيه على طريق التفهيم لينفتح بابه فأما الاستقصاء فلا مطلق فيه ومن لم يكن له فهم مافى القرآن ولو فى
أدى العرجات دخل فى قوله تعالى - ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم
ماذا قال آذا نأ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم - والطابع هو اللوان ألقى منكها فى موانع الفهم
وقد قيل : لا يكون المرء مريدا حتى يجد فى القرآن كل ما يريد ويعرف منه نقصان من الزيد ويستغنى
بالولى عن العيب - السادس : التخل عن موانع الفهم فإن أكثر الناس ممنوا عن فهم معانى القرآن
لأسباب وحجب أسد لها الشيطان على قلوبهم فصمت عليهم عجائب أسرار القرآن قال **عنه** « لولا أن
الشياطين يهيمون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى اللكوت (١) » ومعانى القرآن من جملة اللكوت وكل
ما غاب عن الحواس ولم يدرك إلا بنور البصرة فهم من اللكوت. وحجب الفهم أربعة : أولها أن يكون
الهم منصرا إلى تحقيق الحروف بإخراجها من مخارجها وهذا يتولى حفظه الشيطان وكل بالقراءة يصرفهم
عن فهم معانى كلام الله وجل فلا يزال يجعلهم على تردد الحروف فيخل إليهم أنه لم يخرج من مخرجه.
فهذا يكون تأمله مقصورا على عوارج الحروف فأنى تتكشفه اللانى بأعظم شحكة للشيطان من كان
مطمعا لثل هذا التليس - ثانيا : أن يكون مقلدا للمذهب بمهمة بالتقليد وجهد عليه وثبتت فى نفسه التصب
له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول إليه بصيرة ومشاهدة فهذا شخص قيده مستقصد من أن يجاوز
فلا يمكنه أن يخطئ بياله غير متقدم فصار نظره موقوف على مسموعه فان لم يرق على يمد وبدا له معنى
من المعانى التى تبين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف
معتقد آبائك فيرى أن ذلك غرور من الشيطان فيباعد عنه ويحترز عن مثله وثلثها قالت الصوفية
إن العلم حجاب وأرادوا بالعلم العقائد التى استمر عليها أكثر الناس بمجرد التقليد أو بمجرد كلمات جدلية
حررها للتصويب للمذاهب وأقواهم إليهم فأما العلم الحقيقى الذى هو الكشف وللشاهدة بنور البصرة
فكيف يكون حجابا وهو منتهى الطلب وهذا التقليد فيكون باطلا فيكون مانعا كمن يتقدم الاستواء
على العرش التحسين والإستقرار فان خطره مثلا فى القدوس أنه للقدس عن كل ما يجوز على خلقه لم
يمكنه تقليده من أن يستقر ذلك فى نفسه ولو استقر فى نفسه لا يجر إلى كشف ثان وثالث وتواصل ولكن
يتسارع إلى دفع ذلك عن خاطره لمناقضته تقليده الباطل وقد يكون حقا ويكون أيضا مانعا من الفهم
والكشف لأن الحق الذى كلف الحاق اعتقاده له مراتب ودرجات وله مبدأ ظاهر وعور باطن وجود
الطبع على الظاهر يتنم عن الوصول إلى النور الباطن كما ذكرناه فى الفرق بين العلم الظاهر والباطن
فى كتاب قواعد العقائد . ثالثا : أن يكون مصرا على ذنبا ومتصفا بكبر أو مبتلى بالجملة بهوى فى الدنيا
مطاع فان ذلك سبب ظلمة القلب وسدده وهو كالحجب على الرأفة فيمنع جلية الحق من أن يتجلى فيه
وهو أعظم حجاب للقلب وبه حجب الأكثرون وكلما كانت الشهوات أشد ترا كما كانت معانى الكلام
أشد احتجابا وكلما خفف عن القلب أهوال الدنيا قرب تجلى الحق فيه فالقلب مثل الرأفة الشهوات مثل تعقيل الجلاء للمرأة
ومعنى القرآن مثل الصور تراه فى الرأفة والرياسة القلب يماطلة للشهوات مثل تعقيل الجلاء للمرأة
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إذا عظمت أمتى الدينار والدرهم نزع منها هبة الإسلام وإذا تركوا
الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حرروا بركة الوسى (٢) » قال الفضيل ينى حرما فهم القرآن

(١) حديث لولا أن الشياطين يهيمون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى اللكوت تهمد فى الصلاة .

(٢) حديث إذا عظمت أمتى الدينار والدرهم نزع منها هبة الإسلام وإذا تركوا الأمر بالمعروف حرّموا

بالسفرة نصبت ٣٠
فأنكر منه ذلك فقال
ما تكلمت بكلمة منذ
أسلمت إلا وأنا أخطئها
ثم أزمها غير هله
فلا يخطئها على فذل
هذا يكون التأديب
بآداب الروحانيين
مكتوب فى الإنجيل
لا تطلبوا علم فاعلموا
حتى تصوبوا قد علمت
وقد ورد فى خبر عن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « إن
الشيطان ربما يوفىكم
بالمثل قلنا يا رسول الله
كيف يوفىنا بالمثل قال
يقول اطلب العلم ولا
تعمل حتى تعلم فلا يزال
العبد فى السلم قال
ولعمل مسوا نزع
يعوتى ما عمل . وقال
ابن مسعود رضى الله
عنه ليس العلم بكثرة
الرواية إنما العلم بالحشة
وقال الحسن إن الله
تعالى لا يبيى بلى علم
ورواية إنما يبيى بلى
فهم ودراية فاعلم الوراثة
مستخرجة من علم
الحراسة ومثال علوم
الدراسة كاللبن الحاصل
السائق للشاربين

وقد شرع الله عز وجل الإنابة في التوب والتذكر فقال تعالى - تبصرة وذكرى لكل عبد منيب - وقال عز وجل - وابتدئنا آدم باليمين - وقال تعالى - إنا ابتدئنا خلق آدم بأولو الألباب - فالتدبر آثر غرور الدنيا على فهم الآخرة فليس من نوى الألباب ولذلك لا تكتشف أسرار الكتاب - رابعا: أن يكون قد قرأ تفسيرها وابتدأه لأنه لا معنى لكلمات القرآن إلا ما تناوله التذلل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأى وأن من فسر القرآن برأيه فقد تولى ما تقدم من الزلل فهذا أيضا من الحجب العظيمة وسنبين معنى التفسير بالرأى في الباب الرابع وأن ذلك يناقض قول علي رضي الله عنه إلا أن يؤمن الله عبدنا في القرآن وأنه لو كان للمنى هو الظاهر المنقول لما اختلفت الناس فيه . السابع: التخصيص وهو أن يفهم أنه المقصود بكل خطاب في القرآن فإن سمع أمرا أو نهيا فقرأ أنه للنبي وللأمور وإن سمع وعدا أو وعيدا فكذلك وإن سمع قصص الأولين والأنبياء علم أن السمر غير مقصود وإنما المقصود ليحتربه وليأخذ من تضاعفه ما يحتاج إليه فامتنع من قراءة القرآن إلا ما وافقه في حق النبي صلى الله عليه وسلم وأمته ولذلك قال تعالى - ما تاتى به فؤادك - فليقدر البعد أن الله ثبت فؤاده بما يقصده عليه من أحوال الأنبياء وصبرهم على الإيذاء وتبنيهم في الدين لا تنظر نصر الله تعالى وكيف لا يشهد هذا القرآن ما أنزل على رسول الله ﷺ رسول الله خاصة بل هو شفاه وهدى ورحمة ونور للعالمين ولذلك أمر الله تعالى بالسكينة بشكر نعمة الكتاب فقال تعالى - واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به - وقال عز وجل - قد أنزلنا إليك كتابنا فيه ذكركم أفلا تتقون - وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم . كذلك يضرب الله للناس أمثالهم . واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم . هذا بصائر للناس وهدى ورحمة ليعتقون . هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين - وإذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الأحاد فهذا القارىء الواحد مقصود وقاله لسان الناس فليقدر أنه المقصود قال تعالى - وأوحى إلى هذا القرآن لأن نذكركم به ومن بلغ - قال محمد بن كعب القرظي من بلغه القرآن فكأنما كلمه الله وإذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عملا بل يقرؤه كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذي كتبه إليه ليتأمله ويعمل بمقتضاه ولذلك قال بعض العلماء هذا القرآن رسائل أنتنا من قبل ربنا عز وجل به موده تدبرها في الصلوات وتشف عليها في الخلوات ونفذه في الطاعات والسنن والتجارات وكان بالهك دينار يقول ما زرع القرآن في قلوبكم بأهل القرآن إن القرآن ربيع للؤمن كان أن الفيت ربيع الأرض وقال قتادة لم يجالس أحد هذا القرآن إلا قام زيادة وهصان قال تعالى - هو شفاه ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا . الثامن: التأثير وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له محسب كل فهم حال ووجد تصعبه قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره ومهما تمت معرفته كانت الحشية أغلب الأحوال على قلبه فإن التضييق غالب على آيات القرآن فلا يرى ذكر الفقرة والرحمة إلا قروا بتأثيرها بقصر المعارف عن نيلها كقول عز وجل - وإني لنفار - ثم أتبع ذلك بأربعة شروط - لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى - وقوله تعالى - والصبر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر - ذكر أربعة شروط وحيث أقصر ذكر شرطها جامعا فقال تعالى - إن رحمة الله قريب من المحسنين - فالإحسان يجمع السك والهدى وهكذا من يتصفح القرآن من أوله إلى آخره ومن فهم ذلك فجدد بأن يكون حاله الحشية والحزن ولذلك قال الحسن والله ما أصبح اليوم عبد يتلو القرآن يؤمن به إلا كثر حزنه وقل فرحه وكثر بكائه وقل ضحكته وكثر نصبه وشغله بركة الوحي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الأمر بالمعروف معضلا من حديث الفضل بن عياض قال ذكر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم .

ومثال علوم الوراثة كالربيع المستخرج منه فلو لم يكن لبن لم يكن زيد ولكن الزبد هو الشهية للطولة من اللبن وللمائة في اللبن جسم قام به روح الشهية والمائة بها القوام قال الله تعالى - وجعلنا من الماء كل شيء حي - وقال تعالى - أومن سكان ميثا بالكفر فأحييناه بالإسلام فالإحياء بالإسلام هو القوام الأول والأصل الأول وللإسلام علوم وهي علوم مبادئ الإسلام والإسلام بيد الإيمان نظر إلى مجرد التصديق ولكن للإيمان فروع بعد التحقق بالإسلام وهي مراتب كمال اليقين وعين اليقين وحق اليقين فقد تاملت في وجد والفرقة وللشاهدة . وللإيمان في كل فرع من فروع علوم فعلوم الإسلام علوم الإيمان علوم القلوب علوم الأوصاف

علم فالوصف العام علم
اليقين وقد يتوصل إليه
بالنظر والاستدلال
ويشارك فيه علماء
الدين مع علماء الآخرة
وله وصف خاص
يختص به علماء
الآخرة وهي السكينة
التي أزلت في قلوب
الذين ليسوا بدارين
مع إيمانهم فلي هذا
جميع الرب يشملها
اسم الإيمان بوصفه
الحاصل ولا يشملها
بوصفه العام فالنظر
إلى الوصف الخاص
اليقين ومراتبه من
الإيمان وإلى وصفه
إمام اليقين زيادة على
الإيمان والشاهدة
وصف خاص في اليقين
وهو عين اليقين وفي
عين اليقين وصف
خاص وهو وحى اليقين
لحق اليقين إذن فوق
الشاهدة وحى اليقين
موطنه ومستقره في
الآخرة وفي الدنيا منه
لمح يسير لأمله وهو
من أعز ما يوجد من
أقسام العلم بالله لأنه
وجدان فصار علم
الصوفية ورهاد الطاء

وقلت راحته وبطائه . وقال وهيب بن الورد نظرنا في هذه الأحاديث والروايات فلم نجد شيئا أرق
لأقارب ولا أشد استجيالا للحنن من قراءة القرآن وتفهيمه وتدرسه فتأثر البعد بالتلاوة أن يصير بسطة
الآية التلاوة ضد الوعيد وتفيد التفرقة بالبروت يضاهل من خيفته كأنه يكاد عوت وعند التوسع
ووعد التفرقة يستبشر كأنه يطير من القرح وعند ذكر الله وصفاته وأسمائه يتطأطأ خضوعا لجلاله
واستماعا لمعظمته وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله عز وجل كدركهم فز وجل وإدا
وصاحبة يفض صوتهم وينكسر في باطنه حياء من قبح مقاتلهم وعند وصف الجنة يبعث يماطنه
شوقا إليها وعند وصف النار ترتعد فرائضه خوفا منها « ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينسعد
أقرا على (١) قال فافتحت سورة النساء فلما بلغت - فكيف إذا جئنا من كل أمة بشييد وجئناك على
هؤلاء شهداء - رأيت عنده نذران بالله مع قائل حبك الآن » وهذا لأن مشاهدة تلك الحالة المستغرقت
قلبه بالسكينة ولقد كان في الحاضرين من خر مغشيا عليه عند آيات الوعيد ومنهم من مات في سماع الآيات
فمثل هذه الأحوال يخرج عن أن يكون حاكيا في كلامه فإذا قال - إنني أخاف إن عصيت ربي عذاب
يوم عظيم - ولم يكن خائفا كان حاكيا وإذا قال - عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير - ولم
يكن حاله التوكل والإنيابة كان حاكيا وإذا قال - ولصبرن على ما آذيتونا - فليكن حاله الصبر
أو الهمزة عليه حتى يجد حلالة التلاوة فإن لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات كان
حظه من التلاوة حركة اللسان مع صريح الهمن على نفسه في قوله تعالى - أَلَمْ نَكُنْ مِنْكُمْ نَارًا - وفي
قوله تعالى - كَرِهْنَا أَنْ تَقُولُوا هَذَا مَا لَمْ نَكُنْ مِنْكُمْ - وفي قوله عز وجل - وهم في غفلة معرضون - وفي
قوله - فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا - وفي قوله تعالى - ومن لم يبق
فأولئك هم الظالمون - إلى غير ذلك من الآيات وكان داخلا في معنى قوله عز وجل - ومنهم أميون
لا يملكون الكتاب إلا أمانى - يعني التلاوة المبردة وقوله عز وجل - وكان من آية في السموات
والأرض يمرن عليها وهم عنها معرضون - لأن القرآن هو اللين لتلك الآيات في السموات والأرض
ومهما تجاوزها ولم يتأثر بها كان معرضا عنها ولذلك قيل إن من لم يكن متصفا بأخلاق القرآن فإذا قرأ
القرآن ناداه الله تعالى مالك ولكلاي وأنت معرض عنك كلاي إن لم تنسب إلي ومثال العاصي إذا
قرأ القرآن وكرره مثال من يكرر كتاب الملك في كل يوم مرات وقد كتب إلي في عمارة مملكته وهو
مشغول بتخريبها ومقتصر على دراسة كتابه فقله لو ترك الدراسة عند مخالفة لكان أبعد عن الاستبزاء
واستحقاق اللق وتلك قال يوسف بن أسباط إني لأهم بقرأة القرآن فإذا ذكرت ما فيه خشيت اللق
فأعبد إلى التيسير والاستغفار والعرض عن العمل بما ريد بقوله عز وجل فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا
به ثمنا قليلا فبئس ما يشتررون - ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اقرأوا القرآن ما تلتفت
عليه قلوبكم ولانته جلودكم فإذا اختلفتم فليست تقرأونه وفي بعضها فإذا اختلفتم فقوموا عنه (٢) » قال
الله تعالى - الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون -
وقال صلى الله عليه وسلم « إن أحسن الناس صوتا بالقرآن الذي إذا سمعته قرأ رأيت أنه يخشى الله تعالى (٣) »

(١) حديث أنه قال لا ينسعد أقرا على الحديث تقدم في الباب قبله (٢) حديث اقرأوا القرآن
ما تلتفت عليه قلوبكم ولانته جلودكم فإذا اختلفتم فليست تقرأونه وفي بعضها فإذا اختلفتم
فقوموا عنه متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله البجلي في اللفظ الثاني دون قوله
ولانته جلودكم (٣) حديث إن أحسن الناس صوتا بالقرآن الذي إذا سمعته قرأ رأيت أنه يخشى
الله تعالى . بسند ضعيف .

بالتربيل وحظ العقل تفسير اللغوي وحظ القلب الاتصاف والتأثر بالانزجار والاتجار فاللسان يرتل والقلم يترجم والقلب يتعقل . التاسع الترقى ، وأعني به أن يترقى إلى أن يسمع الكلام من الله عز وجل لا من نفسه فدرجات القراءة ثلاث أدناها أن يقرأ العبد كأنه يقرأه على الله عز وجل واقفا بين يديه وهو ناظر إليه ويستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتعلق والتضرع والابتال . الثانية أن يسمع قلبه كأن الله عز وجل يراه ويخاطبه بألفاظه ويناجيه بألفاظه وإحسانه فقامه الحياء والتنظيم والاصناف والقيم . الثالثة أن يرى في الكلام التشكك وفي الكلمات الصفات فلا ينظر إلى نفسه وإلى تعلق الانعام بمن حيث إنه منعم عليه بل يكون مقصورا لهم على التشكك موقوف الفكر عليه كأنه مستغرق بمشاهدة التشكك عن غيره وهذه درجة للقرين ومقابله درجة أصحاب اليقين وما خرج عن هذا فهو درجات الغافلين وعن الدرجة العليا أخبر جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه قال والله قد جعل الله عز وجل خلقه في كلامهم لا يصرون وقال أيضا وقد سأله عن حالة لحقة في الصلاة حتى خرق فيها عليه فلما سرى عنه قيل له في ذلك قال ما زلت أردد الآية قلني حتى يمتصها من التشكك بها فلم يثبت جسمي لمائة قدرته ففي مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة وقلة النجاسة ولذلك قال بعض الحكماء كنت أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة حتى تلاوته كأنني أسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم تلاوته على أصحابه ثم رفت إلى مقام فوته كنت أتلوه كأنني أسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم تلاوته على أصحابه وسلم ثم جاء الله بمنزلة أخرى فأنا الآن أسمع من التشكك به فتدها وجدت له لغة ونميا لأصبر عنه وقال عثمان وحديفة رضي الله عنهما لو طهرت القلوب لم تشيع من قراءة القرآن وإنما قالوا ذلك لأنها بالظاهرة تترقى إلى مشاهدة التشكك في الكلام ولذلك قال ثابت البناني كانت القرآن عشرين سنة وتعمت بعشرين سنة ومشاهدة التشكك دون مساواة يكون العبد بمثل قوله عز وجل - قروا إلى الله - ولقوله تعالى - ولا تعجلوا معي - ولما آخر - فمن لم يره في كل شيء قد رأى غيره وكل ما لفت إليه العبد سوى الله تعالى تضمن التفاته شيئا من الشرك الخفي بل التوحيد الخالص أن لا يرى في كل شيء إلا الله عز وجل . العاشر التبري : وأعني به أن يتبرأ من حوله وقوته والاتفات إلى غيره بين الرضا والتزكية فإذا تلا آيات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك بل يشهد للوقفين والصدّيقين فيها ويشوق إلى أن يلحقه الله عز وجل بهم وإذا تلا آيات اللعن وذم العصاة والتعصيرين شهد على نفسه هناك وقدّر أنه مخاطب خوفا وإشفاقا وذلك كان ابن عمر رضي الله عنهما يقول اللهم إني أستغفرك لظلمي وكفري وقيل هذا الظلم فما بال الكفر فتلا قوله عز وجل - إن الإنسان لظالم كفار - وقيل ليوسف بن أسباط إذا قرأت القرآن عبادة تدعو فقال عبادة أدمع أستغفر الله عز وجل من تصعير سبعين مرة فإذا رأى نفسه بصورة التعصير في القراءة كان رؤيته سبب قربه فأنعم من شهد البعد في القرب لطف به في الخوف حتى يرسو الخوف إلى درجة أخرى في القرب ورامحوا من شهد القرب في البعد مكر به بالأمن الذي يفضي إلى درجة أخرى في البعد أسفل مما هو فيه ومهما كان مشاهداته بين الرضا صار محبوا يناسبه فإذا جاوز حد الالتفات إلى نفسه ولم يشاهد إلا الله تعالى في قراءته كشف لهرس للكسوت قال أبو سليمان النيسابري رضي الله عنه وعد ابن ثوبان أنا له أن يسطر عنه فأبطأ عليه حتى طلع القمر فقلبي أخوه من التدفّق له ولوعدي أنك تنطر عندي فأخلفت فقال لولا ميادى ملك ما أخبرتك بالذي حبسني عنك إني لما صليت التمتة قلت أوتر قبل أن أجيئك لأنّي لا آمن ما يحدث من اللوت فلما كنت في السماء من اللوتر رفت إلى روضة خضراء فيها أنواع الزهر من الجنة لما رأت أنظر إليها حتى أصبحت وهذه الكشغبات لا تكون إلا بعد التبري عن النفس وعدم

التابيعين فهم من هو
أقوم بهم القوتى
والأحكام من بضم
روى أن عبد الله بن
عمر كان إذا سئل عن
شيء يقول سلوا سعيد
ابن السيب وحسان
عبد الله بن عباس يقول
سلوا جابر بن عبد الله
لو نزل أهل البصرة
على ضياء لوسمهم
وكان أنس بن مالك
يقول سلوا مولانا
الحسن فإنه قد حفظ
ونسينا فكانوا يرددون
الناس إليهم في علم
القوتى والأحكام
ويطوفهم حقائق
اليقين ودقائق المعرفة
وذلك لأنهم كانوا
أقوم بذلك من التابيعين
صادقهم طراوة الوحي
للزلزل وغمرهم غزير
العلم الجمل والتفصيل
خلق منهم طاقة جملة
ومفصلة وطاقة مفصلة
دون مجموع الجمل أصل
العلم ومفصلة الكسب
بظاهرة القلوب وقوة
الغريزة وكال الاعتماد
وهو خاص بالحواس
قال الله تعالى لئله
صلى الله عليه وسلم

الالفاظ إليها وإلى دواهم خصص هذه الكشافات بحسب أحوال المكشف حيث تلو آيات الرءاء ويقلب على حاله الاستبصار تكشفه صورة الجنة فيشاهد ما كأنه رهاها عيانا وإن غلب عليه الخوف كوشف بالآثار حتى يرى أنواع عذابها وذلك لأن كلام الله عز وجل يشتمل على السهل اللطيف والشديد العسوف والرجو والخوف وذلك بحسب أوصافه إذ منها الرحمة والطف والانتقام والبش فبحسب مشاهدته الكليات والصفات يتقلب القلب في اختلاف الحالات وبحسب كل حاله مما يستعمل للكشف بأمر يناسب تلك الحالة ويقارنها إذ يستحيل أن يكون حال المستمع واحدا والمسموع مختلفا إذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام منم وكلام متمم وكلام جبار متكبر لا يائى وكلام حنان متعطف لا يهمل .

(الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالرأى من غير هل)

لملك تحول عظمت الأمر فيسبق في فهم أسرار القرآن وما ينكشف لأرباب القلوب الزكينة معانيه فكيف يستحب ذلك وقد قال عليه السلام « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعدهم النار » ^(١) وعن هذا شنع أهل العلم بظاهر التفسير على أهل التصوف من القصرين للنسوين إلى التصوف في تأويل كلمات في القرآن على خلاف ما نقل عن ابن عباس وسائر القصرين وذهبوا إلى أنه كفر فاصنع ما قاله أهل التفسير لما معنى فهم القرآن سوى حفظ تفسيره وإن لم يصح ذلك فقامعى قوله صلى الله عليه وسلم « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعدهم من النار » فاعلم أن من زعم أن لاصنى للقرآن إلزاما ترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حدسه وهو مصيب في الأخبار عن نفسه ولكنه غلطى في الحكم يرد الخلق كافة إلى درجته التي هي حدمو محمله بل الأخبار والآثار تدل على أن في معاني القرآن متسعا لأرباب الفهم ^(٢) قال على رضى الله عنه إلا أن يؤتى الله عبدا فهمافى القرآن فان لم يكن سوى الترجمة للفقوة فإذلك الفهم وقال عليه السلام « إن للقرآن ظهرا وبطنا وحداً ومطلعا » ^(٣) ويروى أيضا عن ابن مسعود موقوفا عليه وهو من علماء التفسير فقامعى الظهر والبطن والحد والمطلع وقال على كرم الله وجهه لوشئت لأقرت سبعين بعيرا من تفسير فاعة الكتاب فإمنا من تفسير ظاهرها في غاية الاقتصار وقال أبو البرداء لا يخفى الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها وقد قال بعض العلماء لكل آية ستون ألف فهم وما بقى من فهمها أ كثر وقال آخرون القرآن يحوى سبعة وسبعين ألف علم ومائق علم إذ كل كلمة علم ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف إذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع وترديد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم عشرين مرة ^(٤) لا يكون إلا لتدبر باطن معانيه وإلا فترجتها وتفسيرها ظاهر لا يحتاج مثله إلى تكرير وقال ابن مسعود رضى الله عنه من أراد علم الأولين والآخريين فليتدبر القرآن وذلك لا يحصل بمجرد تفسيره الظاهر وبالجملة فالعلم كلها داخلية أفضل الله عز وجل وصفاته وفى القرآن شرح ذاتهم وأضاه وصفاته وهذه العلوم لنهاية لها وفى القرآن إشارة إلى مجامعها والمقامات فى التعمق فى تفصيلها راجع إلى فهم القرآن ومجرد ظاهر التفسير لا يشير إلى ذلك بل كل ما اشكل فيه على النظر واختلف فيه اخلاق فى النظريات وللغولات فى القرآن إليه رموز ودلالات عليه يخص أهل الفهم بدركها فكيف يبنى بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره ولذلك قال صلى الله عليه وسلم

(الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالرأى من غير هل)

(١) حديث من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعدهم النار تضمم فى الباب الثالث من العلم (٢) حديث الأخبار والآثار والله على أن فى معاني القرآن متسعا لأرباب الفهم تقدم قول على فى الباب قبله إلا أن يؤتى الله عبدا فهمافى فى كتابه (٣) حديث إن للقرآن ظهرا وبطنا وحداً ومطلعا تضمم فى قواعد العقائد (٤) حديث تكرير النبي صلى الله عليه وسلم بالبسملة عشرين مرة تقدم فى الباب قبله .

— ادم إلى سبل ربك بالحكمة واللوعة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن — وقال تعالى — قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصره — فلهذه السبل سابلة ولهذه الدعوات قلوب قابلة لها قوس مستحبة جامدة باقية على خشونة طبيعتها وجبلتها فلينها بنار الإنذار والوعدة والحدار ومنها قوس زكية من تربة طيبة موافقة للقلوب قربية نها لمن كانت نفسه ظاهرة على قلبه دعام بالموعظة ومن كان قلبه ظاهرا على نفسه دعام بالحكمة فالدعوة بالموعظة أجاب بها الأبرار وهى الدعوة بذكر الجنة والنار والدعوة بالحكمة أجاب بها القرون وهى الدعوة بتلويح منع القرب وصفو المعرفة وإشارة التوحيد فلا وجدوا التلويحات الحفانية والتسريعات الربانية أجابوا بأرواحهم وفقرهم ونفوسهم

فصارت متتابعة الأقوال
 إجابتهن تساً ومتابعة
 الأعمال لإجابتهن قلباً
 والتحقق بالأحوال
 إجابتهن روحاً وإجابة
 الصوفية بالكل وإجابة
 غيرهم بالبعض . قال
 عمر رضى الله عنه :
 رحم الله تعالى صبيبا
 لو لم يخف الله لم يصبه
 ينى لو كتب له كتاب
 الأمان من النار حمله
 صرف للعرفة ينظم
 أمر الله على القيام
 بواجب حق العبودية
 أداء لما عرف من حق
 العظمة فاجابة الصوفية
 إلى الدعوة إجابة
 الحب لله محبوب على
 اللذائذ ونهاب العسر
 وإجابة غيرهم على
 السكينة والمجاهدة
 وهذه الإجابة يظهر
 مع الساعات أثرها
 في القيام بمقتضى
 الاستقامة والعبودية
 قال الله تعالى - فأما من
 أعطى واتقى وصدق
 بالحسنى فسنيسره
 اليسرى - قال بعضهم
 أعطى الدارين وير
 شيئا واتقى الله
 والسيئات وصدق

« افروا القرآن والجوامع إليه » وقال صلى الله عليه وسلم في حديث على « كرم الله وجهه » والذي
 يبنى بالحق نبيا لتفرق أمق عن أصل دينها وجماعتها على اثنين وسبعين فرقة كلها مائلة مضلة يدعون
 إلى النار فإذا كان ذلك فليكن بكتاب الله عز وجل فإن فيه نأ من كان قبلكم ونأ ما يأتي بعدهم
 وحكم ما بينكم من خالفه من الجبارة قسمه الله عز وجل ومن ابتغى العلم في غيره أضله الله عز وجل
 وهو جل الله للتين ونوره للبين وشفاؤه النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يوج فقوم
 ولا يزيغ فيستقيم ولا تنقض عجايبه ولا يخلقه كثرة التردد » الحديث وفي حديث حذيفة
 « لما أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاختلاف والفرقة بعده قال قتل يارسول الله فإنا
 تأمرى إن أدركت ذلك فقال تعلم كتاب الله واعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك قال فأدعت عليه
 ذلك ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم ثلاثا تعلم كتاب الله عز وجل واعمل بما فيه فيه النجاة »
 وقال على « كرم الله وجهه من فهم القرآن فسر به جمل العلم ، أمار به إلى أن القرآن يشير إلى جامع
 العلوم كلها وقال ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى - ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا
 كثيرا - معنى الفهم في القرآن . وقال عز وجل - ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما - معنى
 ما آتاهما علما وحكما وخصص ما اقرب به سليمان بالتحقق له باسم الفهم وجعله مقدما على الحكم
 والعلم فهذه الأمور تدل على أن في فهم معاني القرآن مجالا رحبا ومتسعا بالنا وأن للفقول من ظاهر
 التفسير ليس منتهى الإدراك فيه فأما قوله صلى الله عليه وسلم : من فسر القرآن برأيه ونبيه
 عنه » صلى الله عليه وسلم وقول أبي بكر رضى الله عنه أى أرض قلنى وأنى سماء تظلى إذا
 قلت في القرآن برأى إلى غير ذلك مما ورد في الأخبار والآثار التى عن تفسير القرآن بالرأى
 فلا غلو إما أن يكون المراد بالاختصار على النقل والسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالآراء والمراد
 به أمرا آخر ، وباطل قطعاً أن يكون المراد به أن لا يتكلم أحد في القرآن إلا بما يسمعه لوجوه :
 أحدها أنه يشترط أن يكون ذلك مسموعا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومستندا إليه وذلك
 مما لا يصادف إلا فى بعض القرآن فأما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود من أنفسهم فينبى أن لا يقبل
 ويقال هو تفسير بالرأى لأنهم لم يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا غيرهم من الصحابة
 رضى الله عنهم . والثانى أن الصحابة والمفسرين اختلفوا في تفسير بعض الآيات فقالوا فيها أقاويل
 مختلفة لا يمكن الجمع بينها وسماع جميعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم محال ولو كان الواحد مسموعا
 لرد الباقي فتبين على القطع أن كل مفسر قال في لئى بما ظهر له باستنباطه حق قالوا في الحروف
 التى في أوائل السور سمعة أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها قيل إن الرهى حروف من الرحمن وقيل إن
 الألف الله واللام لطيف والراء رحم وقيل غير ذلك والجمع بين الكل غير ممكن فكيف يكون
 (١) حديث افروا القرآن والجوامع غرائبه ، ابن أبي شيبة في الصنف وأبو يعلى اللؤلؤى والبيهقى
 في الشعب من حديث أبي هريرة يلقظ أعربوا وسنده ضعيف (٢) حديث على والذي يبنى بالحق
 لتفرق أمق على أصل دينها وجماعتها على اثنين وسبعين فرقة كلها مائلة مضلة يدعون إلى النار فإذا
 كان ذلك فليكن بكتاب الله فإن فيه نأ من كان قبلكم الحديث بطوله هو عند ت دون ذكر
 افتراق الأمة بلفظ إلا إنها ستكون فتنة مضلة قتل ما المخرج منها يارسول الله قال كتاب الله فيه
 نأ من كان قبلكم فذكره مع اختلاف وقال غريب وإسناده مجهول (٣) حديث حذيفة في الاختلاف
 والفرقة بعده قتل ما تأمرى إن أدركت ذلك قال تعلم كتاب الله واعمل بما فيه الحديث د ن في الكبرى
 وفيه تعلم كتاب الله واتبع ما فيه ثلاث مرات (٤) حديث الذى عن تفسير القرآن بالرأى غريب .

الكل مسموعاً . والثالث أنه صلى الله عليه وسلم « دعا لابن عباس رضى الله عنه وقال : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل (١) » فان كان التأويل مسموعاً كالتأويل وبحفظ مثله فما معنى تخصيصه بذلك . والرابع أنه قال عز وجل - لعله الدين يستنبطونه منهم - فأثبت لأهل العلم استنباطاً ومعلوم أنه وراى المباح . وجملة ما قلناه من الآثار في فهم القرآن يناقض هذا الخيال فبطل أن يشترط السماع في التأويل وجاز لكل واحد أن يستنبط من القرآن قدر فهمه وحد عقله . وأما الهى فانه ينزل على أحد وجهين : أحدهما أن يكون له في الشيء رأى وإليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه ليخرج على تصحيح غرضه ولو لم يكن لذلك الرأى والمهى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك الذى وهذا تارة يكون مع العلم كالتأويل فيخرج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أنه ليس للرادى بالآية ذلك ولكن يلبس به على خصمه وتارة يكون مع الجهل ولكن إذا كانت الآية محتملة فيحمل فهمه إلى الوجه الذى يوافق غرضه ويرجح ذلك الجانب برأيه وهواه فيكون قدفسر برأيه أى رأى هو الذى حمل على ذلك التفسير ولولا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه وتارة قد يكون له غرض صحيح فيطلبه دليلاً من القرآن ويستدل عليه بما يعلم أنه ما يريد به كمن يدعو إلى الاستغفار بالأسماء فيستدل بقوله صلى الله عليه وسلم « تسحروا فان في السحور بركة (٢) » وزعم أن الراديه التحس بالذكر وهو سلم أن الراديه الأكل وكالتى يدعو إلى مجاهدة القلب القاسى فيقول قال الله عز وجل - اذهب إلى فرعون إنه طغى - ويشير إلى قلبه ويوبى إلى أنه للرادى فرعون وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الصحيحة تحسيناً للكلام وترغيباً للمستمع وهو ممنوع وقد تستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة لتثريب الناس ودعوتهم إلى مذهبهم الباطل فيزولون القرآن على وفق رأيهم ومذهبهم على أمور يملكون قطعاً أنها غير مصادقة به فلهذا القنون أحد وجبى المنع من التفسير بالرأى ويكون للرادى بالرأى القاسد للوافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح والرأى يتناول الصحيح والقاسد والوافق للهوى قد يخص باسم الرأى . والوجه الثانى أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العرية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بخرائب القرآن وما فيه من الألفاظ البهية والمبلدة وما فيه من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتأخير فن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط للمانى بمجرد فهم العرية كثر غلظه ودخل في زمرة من يفسر بالرأى فالنقل والسماع لا بدعته في ظاهر التفسير أولاً ليتقى به مواطن الغلط ثم بعد ذلك يتسرع في التفهم والاستنباط . والخرائب التى لا تفهم إلا بالسماع كثيرة ونحن نرسم على جملة من لا يستدل بها على أمثلها ويعل أنه لا يجوز التأويل بحفظ التفسير الظاهر أولاً ولا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر ومن ادعى أنهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن يدعى البلوغ إلى صدر البيت قبل مجاوزة الباب وأدعى فهم مقاصد الآثار كمن كلامهم وهو لا يفهم لقلة تركه فان ظاهر التفسير يحرى بحرى تعليم اللغة التى لا بدعته لفهمهم ومالاً بدعته من السماع فكون كثيرة منها لا يجوز بالحذف والاضمار كقوله تعالى - وآتيناهم ذلقة مبصرة فقلوهم بها - معناه آية مبصرة فقلوهم أى غشهم بقلها فالناظر إلى ظاهر العرية يظن أن الراديه أن الآية كانت مبصرة ولم تكن عيماً ولم يدرك أنهم بما ذاقوا أو أنهم ظفروا غيرهم أو أنهم نفسهم وقوله تعالى - وأشرى بوفى قلوبهم الجبل بكمفرهم - أى حب الجبل فحذف الحب وقوله عز وجل - إذا لأدتك صف الحيات وصف المائسى صنف عذاب الأحياء وصف عذاب الموتى وصف المائسى صنف عذاب الموت وكل ذلك جائز في تفسير

(١) حديث دعائه لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل تقدم في الباب الثانى من العلم

(٢) حديث تسحروا فان في السحور بركة تقدم في الباب الثالث من العلم .

بالجسنى أقام على طلب
الترلى والآية قيل
نزلت في أبى بكر
الصديق رضى الله عنه
ويولوج في الآية وجه
أكثر أعطى بالمواظبة
على الأعمال واتقى
الواسوس والمواجس
وصدى بالجسنى لازم
الباطن بتصفية موارد
الشهود عن مزاحمة
لوث الوجود ففسره
للمسرى فتح عليه
باب السهولة في العمل
والميسر والأيسر
وأما من يخل بالأعمال
واستغنى امتلاً بالأحوال
وكذب بالحسنى لم يكن
في اللكوت ينفوذ
بصيرته بالجلوال ففسره
للمسرى نسد عليه
باب اليسر في الأعمال
قال بعضهم إذا أراد
الله بيد سوا سد
عليه باب العمل وفتح
عليه باب السكس فلما
أجابته قوس الصوفية
وقلوبهم وأرواحهم
الدعوة ظاهراً وباطناً
كان حظهم من العلم
أوفر وتضيهم من المعرفة
أكل فكانت أعمالهم
أزكى وأفضل جاهد رجل

إلى معاذ قال أخبرني
عن رجلين أحدهما جابر
في العبادة كثير العمل
قليل الذنوب إلا أنه
ضعيف اليقين يستوره
الشك قال معاذ
ليجبن شكك عمله قال
فأخبرني عن رجل قليل
العمل إلا أنه قوي
اليقين وهو في ذلك
كثير الذنوب فسكت
معاذ فقال الرجل والله
لئن أبسط شك
الأول أعمال بره
ليجبن يقين هذا
ذنوبه كلها قال فأخذ
معاذ يمدو وقال مرأت
التي هو أضعف من هذا
وفي وصية لقمان لابنه
يا بني لا يستطاع العمل
إلا باليقين ولا يعمل المرء
إلا بقدر يقينه ولا يقصر
عامل حتى يقصر يقينه
فكان اليقين أفضل
السلم لأنه أدعى إلى
العمل وما كان أدعى
إلى العمل كان أدعى
إلى العبودية وما كان
أدعى إلى العبودية
كان أدعى إلى القيام
بحق الربوبية وكال
الحظ من اليقين والعلم
بالله للصوفي والمجاهد

الامة وقوله تعالى - واستقل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها - أي أهل القرية وأهل العير لأنهم
فيها مخلوق معصوم وقوله عز وجل - تهمت في السموات والأرض - معناه خفيت على أهل السموات
والأرض والشيء إذا خفي قل فأبدل اللفظ بمواقف على مقام على وأضمر الأهل وحذف وقوله تعالى
- ويحياون رزقكم أنكم تكذبون - أي شكر رزقكم وقوله عز وجل - آتانا ما وعدتنا على رسلك -
أي على ألسنة رسلك خفف الألسنة وقوله تعالى - إنا آتيناك في ليلة القدر - أراد القرآن وما سبق له
ذكر وقال عز وجل - حتى توارث الحجاب - أراد الشمس وما سبق لها ذكره وقوله تعالى - والذين
أخذوا من دونه أولياء ما نبيهم إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى - أي يقولون ما نبيهم وقوله عز وجل - قال
هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك - معناه
لا يفقهون حديثا يقولون ما أصابك من حسنة فمن الله فإن لم يرد هذا كان مناقضا لقوله - قل كل من عند
الله - وسبق إلى الفهم منه مذهب القدرة ومنها المنقول للقلب كقوله تعالى - وطور سينين - أي طور
سيناء - سلام على آل ياسين - أي على إيلياس وقيل إدريس لأن في حرف ابن مسعود سلام على إدراسين ومنها
الكرر التاطيع لوصول الكلام في الظاهر كقوله عز وجل - وما يتبع الدين يدعون من دون إقشرك إن
يتبعون إلا الظن - معناه وما يتبع الدين يدعون من دون إقشرك إلا الظن وقوله عز وجل - قال الله
الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم - معناه الذين استكبروا لمن آمن من الذين
استضعفوا ومنها للقدم والمؤخر وهو مظنة الغلط كقوله عز وجل - ولولا كلمة سبقت من ربك لكان
ثاما وأجل مسمى - معناه لولا الكلمة وأجل مسمى لكان ثاما ولولا لكان نصبا كالزلم وقوله تعالى
- يسألونك كأنك حفي عنها - أي يسألونك عنها كأنك حفي بها وقوله عز وجل - لهم مغفرة ورزق
كريم - كأخرك ربك من بيتك بالحق - فهذا الكلام غير متصل وإنما هو عائد إلى قوله السابق - قل
الأطفال لله الرسول - كأخرك ربك من بيتك بالحق - أي نصارت أقوال الناس كذا إذ أنت راض
بخرجك وهم كارهون فاعترض بين الكلام الأمر بالقوى وغيره ومن هذا النوع قوله عز وجل
- حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه - الآية - ومنها اللهم وهو اللفظ للتركيبين بمان من كلمة أو
حرف أما الكلمة فكل شيء والقرن والأمة ونظائرهما قال الله تعالى - ضرب الله مثلا عبدا
مملوكا لا يقدر على شيء - أراد به النفقة يمارزق وقوله عز وجل - وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم
لا يقدر على شيء - أي الأمر بالعدل والاستقامة وقوله عز وجل - فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء - أراد
به من صفات الربوبية وهو العلوم التي لا دخل السؤال عنها حتى ينتدى بها العارف في أوان الاستحقاق
وقوله عز وجل - أم حقوا من غير شيء أم هم الخالقون - أي من غير خالق فرما يتوهم به أنه يدل على أنه
لا يخلق شيء إلا من شيء - وأما القرن فيكون قوله عز وجل - وقال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان - أراد به
كل كفار - وأما الأمة فتطلق على غاية أوجه الجماعة كقوله تعالى - وجد عليه أمة من الناس
يسقون - وأتباع الأنبياء كقولك نحن من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ورجل جامع الخير ينتدى به
كقوله تعالى - إن إبراهيم كان أمة قانتا لله - والأمة الدين كقوله عز وجل - إنا وجدنا آباءنا على
أمة - والأمة الحين والزمان كقوله عز وجل - إلى أمة معدودة - وقوله عز وجل - وإدرك صدامكم -
والأمة القائمة يقال فلان حسن الأمة أي القائمة ، وأمة رجل مفرد بدني لا يشرك فيه أحد قال صلى الله
عليه وسلم «يعث زيد بن عمرو بن ضيل أمة وحده» (١) والأمة الأم يقال هذه أمة زيد أي أم زيد.

(١) حديث يعث زيد بن عمرو بن ضيل أمة وحده في الكبرى من حديث زيد بن حارثة وأما

والروح أيضا ورد في القرآن على سنان كثيرة فلا تطول بارادها وكذلك قد يقع الابهام في الحروف مثل قوله عز وجل - فأثرن به فمداوسطن به جما - فلما الأولى كناية عن الحوافر وهي اللواتي أتزن بالحوافر صفا. والثانية كناية عن الاغارة وهي للثيرات صيحا فوسطن به جمعا جمع للثريين فأغاروا بحمهم وقوله تعالى - فأنزله الماء - يعني السحاب - فأخرجنا به من كل الثمرات - يعني الماء وأمثال هذا في القرآن لا ينحصر. ومنها التدرج في البيان كقوله عز وجل - ومن أنزلناه في ليلة مباركة - ولم يظهر به أية ليلة فظهر بقوله تعالى - إن أنزلناه في ليلة القدر - وروى عن طعن في الظاهر الاختلاف بين هذه الآيات فهذا وأمثلة مما لا ينفي فيه إلا النقل والمعاجز فالقرآن من أوله إلى آخره غير خال عن هذا الجنس لأنه أنزل بلفظ الدرب فكان مشتملا على أصناف كلامهم من إيجاز وتطويل وإضمار وحذف وإبدال وتهديم وتأخير ليكون ذلك منجها لهم ومعجزا في حتمهم فكل من اكتفى بفهم ظاهر العربية وبادر إلى تفسير القرآن ولم يستظهر بالسباع والقتل في هذه الأمور فهو داخل فيمن فسر القرآن برأيه مثل أن يفهم من الأمة التي الأنهر منه فيميل طبعه ورأيه إليه فإذا سمع في موضع آخر مال برأيه إلى ما سمع من مشهور معناه وترك تتبع الدليل في كثير معانيه فهذا ما يمكن أن يكون منبأ عنه دون التفهم لأسرار المعاني كما سبق فإذا حصل السماع بأمثال هذه الأمور علم ظاهر التفسير وهو ترجمة الألفاظ ولا يكتفي ذلك في فهم حقائق المعاني ويدرك الفرق بين حقائق المعاني وظاهر التفسير بمثال وهو أن الله عز وجل قال - وما رميت إذا رميت ولكن الله رمى - فظاهر تفسيره واضح وحقيقة معناه غامض فانه إثبات للهي وبني له وهما متضادان في الظاهر مالم يفهم أنه رمى من وجه ولم يرم من وجه ومن الوجه الذي يرم رماء الله عز وجل وكذلك قاله تعالى - فأتواهم يذهبهم الله بأيديكم - فإذا كانوا هم للقاتلين كيف يكون الله سبحانه هو العاذب وإن كان الله تعالى هو المذهب بتحرك أيديهم فما معنى أمرهم بالقتال حقيقة هذا يستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفات لا ينفي عنه ظاهر التفسير وهو أن يعلم وجه ارتباط الأضال بالقدرة الحادثة وبهم وجه ارتباط القدرة بقدرة الله عز وجل حتى ينكشف بعد إضاح أمور كثيرة غامضة صدق قوله عز وجل - وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى - ولعل العبر لو اتقى في استكشاف أسرار هذا المعنى وما يرتبط بمقدّماته ولو احسنه لأقصى المعرجل استيفاء جميع لواحقه ومامن كلمته من القرآن إلا وتحقيقها محوج إلى مثل ذلك وإنما ينكشف للراستخفي في العلم من أسرار به تدبر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب ويكون لكل واحد حد في الترقى إلى درجة أعلى منه فأما الاستيفاء فلا مطمع فيه ولو كان البحر مدادا والأعجار أقلاما فأسرار كلمات القرآن لنهاية لما تنفذ الأبرجبل أن تنفذ كلمات الله عز وجل فمن هذا الوجه تتفاوت الخلق في الفهم بعد الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير وظاهر التفسير لا ينفي عنه ومثاله فهم بعض أرباب القلوب بمن قوله صلى الله عليه وسلم في سجودك « أعوذ برضاك من مخطئك وأعوذ بمافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ^(١) » أعوذ بقبول له اسجد واقترب وجود القرب في السجود فظهر إلى الصفات فاستعاذ بعضهم من بعض فانزالوا السخط وصفان ثم زاد قربه فاندرج القرب الأول فيه فترقى إلى الذات فقال أعوذ بك منك ثم زاد قربه بما استجاب من الاستعانة على بساط القرب فالتجأ إلى التثاء فأتى بقوله لا أحصى ثناء عليك ثم علم أن ذلك قصور فقال أنت كما أثنيت على نفسك فهذه خواطر تنفتح لأرباب القلوب ثم لها أغوار وراء هذا بنت أبي بكر بستانين جديدين (١) حديث قوله صلى الله عليه وسلم في سجودك « أعوذ برضاك من مخطئك وأعوذ بمافاتك من عقوبتك الحديث مسلم من حديث عائشة .

الرازيين قبان بنك
فصلهم وقيل علمهم .
ثم إلى أمور مشكلة
يستبين بها التبر فضل
العالم الراهد الماروف
بصفات نفسه على
غيره عالم دخل مجلسا
وقد وميز لنفسه
عجلا يجلس فيه كما
في نفسه من اعتقاده
في نفسه له وعلمه
فدخل داخل من أبناء
جنسه وقد فوقه
فانصر العالم وأظلمت
عليه الدنيا ولو أمكنه
لبطش بالداخل فهذا
عارض عرض له
ومرض اعتره وهو
لا يظن أن هذه علة
غامضة ومرض يحتاج
إلى اللاداة ولا يشكر
في منشأ هذا المرض
ولو علم أن هذه
نفس ثارت وظهرت
بجهلها وجعلها لوجود
كبرها وكبرها رؤية
نفسها خيرا من غيرها
فلم الإنسان أنه أكبر
من غيره كبر وإظهاره
ذلك إلى الفعل تكبر
فحث القصر صار
ضلا به تكبر الراهد
لا يبر نفسه بغير دون

السلمين ولا يرى نفسه
في مقام تمييز غيرها
يجلس قاصو في العالم
مخصوص غير ولوقدر
له أن يبتلى بمثل هذه
الواقعة وينصر من
تقدم غيره عليه وترضه
يرى النفس وظلورها
ويرى أن هذا داء
وأنه إن استرسل فيه
بالإصغاء إلى النفس
والتصاها صار ذلك
ذنب حله فيرفع في
الحال ذمه إلى الله تعالى
ويشكو إليه ظهور
نفسه ويحسن الإنابة
ويقطع ذابر ظهور
النفس ويرفع القلب
إلى الله تعالى مستفي
من النفس فيشفي
اغشاه برؤية داء
النفس في طلب دوائها
من الفكر فيعين
قصد فوقه وربما
أقبل على من قصد
فوقه يزيد التواضع
والانكسار تكفيرا
للذنب الوجودي وتداويا
لداؤه الحاصل . فتبين
بهذا الفرق بين
الرجلين فإذا اعتبر
للتبر وتقدير حاله
في هذا المقام يرى

وهو فهم معنى القرب واختصاصه بالسجود ومعنى الاستعاذة من صفة بصفة ومنه به وأسرار ذلك
كثيرة ولا بد من تفسير ظاهر اللفظ عليه وليس هو من أفاضل لظاهر التفسير بل هو استكمال له ووصول
إلى لبه عن ظاهره فهذا ما نوردده لهم للمعاناة بالباطنة لا مانيات في الظاهر والله أعلم . ثم كتاب آداب
التلاوة والحمد رب العالمين والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين وعلى كل عبد مصطفى من كل العالمين
وعلى آل محمد وصحبه وسلم . يتلوه إذا شاء الله تعالى كتاب الأذكار والدعوات والله السميع العليم .

(كتاب الأذكار والدعوات)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الشامل لآفته العامة رحمة الله التي جازى عباده عن ذكرهم بذكره فقال تعالى - فاذكروني
أذكاركم - ورغبهم في السؤال والبكاء بأمره فقال - ادعوني أستجب لكم - فأطعم الطبع والمغص
والداني والقاصي في الانسجام إلى حضرة جلاله برفع الحاجات والأمان بشفاعة في غير ما يجب دعوة
الداع إذا دعاه - والصلاة على محمد سيد أنبيائه وآله وأصحابه خيرة أصفياه وسلم تسليما كثيرا .
[أما بعد] فليس بعد تلاوة كتاب الله عز وجل عبادة تؤدي بالإنسان أفضل من ذكر الله تعالى
ورفع الحاجات بالأدعية الخاصة إلى الله تعالى فلا بد من شرح فضيلة الذكر على الجملة ثم على التفصيل
في أعيان الأذكار وشرح فضيلة الدعاء وشروطه وآدابه ونهل للأثور من الدعوات الجامعة لقاصد
الدين والدنيا والدعوات الخاصة لسؤال المغفرة والاستعاذة وغيرها ويحذر للتقصود من ذلك بذكر
أبواب خمسة . الباب الأول : في فضيلة الذكر وفائدته جملة وتفصيلا . الباب الثاني : في فضيلة
الدعاء وآدابه وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم . الباب الثالث : في أدعية
مأثورة ومعزية إلى أصحابها وأسبابها . الباب الرابع : في أدعية منتخبة محنوفة بالاسناد من الأدعية
للمأثورة . الباب الخامس : في الأدعية للمأثورة عند حدوث الحوادث .

(الباب الأول : في فضيلة الذكر وفائدته على الجملة والتفصيل من الآيات والأخبار والآثار)

ويدل على فضيلة الذكر على الجملة من الآيات قوله سبحانه وتعالى - فاذكروني أذكاركم - قال ثابت البناني
رحمه الله إنني أعلم من يذكرني ربي عز وجل فزعوا منه وقالوا كيف تعلم ذلك فقال إذا ذكرت ذكرني
وقال تعالى - اذكروا الله كثيرا - وقال تعالى - فإذا أنصت من عرفات فاذكروا الله عند الشعر
الحرام واذكروه كاهداكم - وقال عز وجل - فإذا قضيت مناسككم فاذكروا الله كذا ذكركم آباءكم أو
أشد ذكرا - وقال تعالى - الذين يذكرون ألقيا ما هم فيه ومتوحدون على جنوبهم - وقال تعالى - فإذا قضيت
الصلاة فاذكروا ألقيا ما هم فيه ومتوحدون على جنوبهم - قال ابن عباس رضي الله عنهما أي بالليل والنهار في البر
والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية وقال تعالى في ذم المنافقين - ولا
يذكرون الله إلا قليلا - وقال عز وجل - واذكروا ربك في مسك خضرة عاوين خيفوا دون الجحيم من القول بالندو
والأصا ولا تسكن من المنافقين - وقال تعالى - ولقد كررنا ذكر - قال ابن عباس رضي الله عنهما : لهو جهنم
أحدها أن يذكر الله تعالى لذكر أعظم من ذكر كرم إياه الآخر أن يذكر الله أعظم من كل عبادة سواء إلى
غير ذلك من الآيات . وأما الأخبار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذاكر الله في المنافقين كالشجرة
الحضراء في وسط المشيم »^(١) وقال صلى الله عليه وسلم « ذاكر الله في المنافقين كالقاتل بين القاتلين »

(كتاب الأذكار والدعوات)

الباب الأول في فضيلة الذكر

(١) حديث ذاكر الله في المنافقين كالشجرة الخضراء في وسط المشيم أبو بصير في الحلي والبيهقي في الصعيصين

وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله عز وجل أنا مع عبدي ما ذكرني وتحرك شفتاهي (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما عمل ابن آدم من عمل أتجبه له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من أحب أن يرفع في رياض الجنة فليذكر الله عز وجل (٣) » . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل فقال « أن تموت ولسانك رطب بذكر الله عز وجل (٤) » وقال ﷺ « أصبح وأمس ولسانك رطب بذكر الله أصبح وعسى وليس عليك خطيئة (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « لذكر الله عز وجل بالنداء والعشي أفضل من حطم السيف في سبيل الله ومن إعطاء المال سحابة (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله تبارك وتعالى إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملأ وإذا تضرب مني شبرا تضرب منه ذراعاً وإذا تضرب مني ذراعاً تضرب مني منه باعاً وإذا مشى إلى هروث إلى (٧) » يعني بالهروث سرعة الإجابة وقال صلى الله عليه وسلم « سبعة يظلهم الله عز وجل في ظله يوم لا ظل إلا ظله من جعلهم رجل ذكر الله خاليا ففاضت عنهام خشية الله (٨) » وقال أبو الدرداء قال رسول الله ﷺ « ألا أنبشكم غير أعمالكم وأنزاهها عندكم ليحكم وأرضها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربون أعناقهم ويضربون أعناقكم قالوا ما ذلك يا رسول الله ؟ قال ذكر الله عز وجل داعياً (٩) » وقال صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل من غفله ذكرى عن مسئلي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين (١٠) » .

حدث ابن عمر بسند ضعيف وقال في وسط الشجر الحديث (١) حديث يقول الله تعالى أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت شفتاهي (٢) حديث ما عمل ابن آدم من عمل أتجبه له من عذاب الله من ذكر الله قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثلاث مرات ابن أبي شيبة في الصنف والطبراني من حديث معاذ بن يسناد حسن (٣) حديث من أحب أن يرفع في رياض الجنة فليذكر الله عز وجل (٤) حديث أنس وهو عندك بلقظ إذا مررتهم برياض الجنة فارتعوا وقد تقدم في الباب الثامن الملم (٥) حديث سئل أي الأعمال أفضل قال أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى حب وطب في الدعاء والبيقي في الشعب من حديث معاذ (٦) حديث أمس وأصبح ولسانك رطب بذكر الله أصبح وعسى وليس عليك خطيئة أبو القاسم الأنصاري في التريغ والترهيب من حديث أنس من أصبح وأمس ولسانك رطب من ذكر الله أمس ويصبح وليس عليه خطيئة وفيه من لا يعرف (٧) حديث لذكر الله بالنداء والعشي أفضل من حطم السيف في سبيل الله ومن إعطاء المال سحابة رويته من حديث أنس بسند ضعيف في الأصل وهو معروف من قول ابن عمر بكروا ابن عبد البر في التمهيد (٨) حديث قال الله عز وجل إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٩) حديث سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله من جعلهم رجل ذكر الله خاليا ففاضت عنهام متفق عليه من حديث أبي هريرة أيضا (١٠) حديث ألا أنبشكم غير أعمالكم وأنزاهها عندكم ليحكم وأرضها في درجاتكم الحديث ت ه ك وصح إسناده من حديث أبي الدرداء (١١) حديث قال الله تعالى من غفله ذكرى عن مسئلي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين غ في التاريخ والزوار في السند والبيهقي في الشعب من حديث عمر بن

نفسه كنفوس علوم الخلق وطالبي للنائب النبوية فأى فرق بينه وبين غيره من لاعلم له ولو أكثرنا تصوير السائل لبرهن فضيلة الزاهدين ونقصان الراغبين لأورث للال وهنه من أوائل علوم الصوفية لما غفك بغفلى علومهم وشراف أحوالهم والله لالوفق للصاب .

الباب الرابع في شرح حال الصوفية واختلاف طريقتهم

أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين أبو أحمد عبد الوهاب بن علي قال أخبرنا أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم الهروي قال أنا أبو نصر عبد العزيز بن محمد الترياق قال أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحى قال أنا أبو المباسم محمد بن أحمد المجرى قال أنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترياقى قال حدثنا مسلمة بن حاتم

وأما الآثار : فقد قال الضليل بلنا أن الله عز وجل قال يا عبادي اذكروني بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة أكفك ما بينهما وقال بعض العلماء إن الله عز وجل يقول أيعا عبد طلعت على قلبه فرأيت الناب عليه ! لتسك بك كرى توليت سياسته وكنت جليسه وعجائه وأنيبه وقال الحسن الذكر ذكران : ذكر الله عز وجل بين تسك وبين الله عز وجل ماحسته وأعظم أجره وأفضل من ذلك ذكر الله سبحانه عند ماحرم الله عز وجل ويرى « إن كل نفس تخرج من الدنيا عطشى إلا ذاك الله عز وجل » وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه ليس يتحسر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله سبحانه فيها ، والله تعالى أعلم .

(فضيلة مجالس الذكر)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكهم الله تعالى فيمن عنده (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفورا لكم قد بدلت لكم سيئاتكم حسنات (٢) » وقال أيضا عليه السلام « ما قصد قوم مقعدا لم يذكروا الله سبحانه وتعالى فيه ولم يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة (٣) » وقال داود صلى الله عليه وسلم : إلهي إذا رأيته أجاوز مجالس القساكر إلى مجالس التافئين فكر رجل دونهم قائما فتم بها علي . وقال صلى الله عليه وسلم « المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفي ألف مجلس من مجالس السوء (٤) » وقال أبو هريرة رضى الله عنه إن أهل السماء ليراهون بيوت أهل الأرض التي يذكر فيها اسم الله تعالى كما تراهي النجوم وقال سفيان بن عيينة رحمه الله إذا اجتمع قوم يذكرون الله تعالى اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا ألا تترين ما يمسنون فتقول الدنيا دعهم قائم إذا شرفوا أخذت بأعتاقهم إليك وعن أبي هريرة رضى الله عنه أنه دخل السوق وقال أراكم وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم في المسجد فذهب الناس إلى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثا فقالوا يا أبا هريرة ما رأينا ميراثا يقسم في المسجد قال فإذا رأيتم قالوا رأينا قوما يذكرون الله عز وجل ويقرءون القرآن قال فذلك ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) وروى الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن لله عز وجل ملائكة سياحين في الأرض فضلا عن كتاب الناس فإذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تادوا هلوا إلى بيتك فيجيئون فيمضون بهم إلى السماء

الحطاب وفيه صفوان بن أبي الصفا ذكره حب في الضفاء وفي الثقافات أيضا (١) حديث ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله تعالى إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم رحمة وذكهم الله فيمن عنده من حديث أبي هريرة (٢) حديث ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفورا لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات أحمد وأبو يعلى والطبراني بسند ضعيف من حديث أنس (٣) حديث ما قصد قوم مقعدا لم يذكروا الله ولم يصلوا على النبي عليه السلام فيه إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة وحسنه من حديث أبي هريرة (٤) حديث المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفي ألف مجلس من مجالس السوء ذكره صاحب الفردوس من حديث ابن وداعة وهو مرسل ولم يخرج له ولله وكذلك لم أجده إلا إسنادا (٥) حديث أبي هريرة أنه دخل السوق وقال أراكم ههنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم في المسجد فذهب الناس إلى المسجد وتركوا السوق الحديث الطبراني في اللبس الصغير بإسناد فيه جهالة أو اختطاع .

الأصاري قال حدثنا محمد بن عبد الله الأصاري عن أبيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال : قال أنس بن مالك رضى الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا بني إن قدرت أن تصح وتسي وليس في قلبك غش لأحد فافعل ثم قال يا بني وذلك من سقى ومن أيا سقى فقد أحياني ومن أحياني كان معي في الجنة » وهذا أتم شرف وأكل فضل أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم في حق من أيا سقى الصوفي هم الذين أحيوا هذه السقطة طهارة الصدور من القل والنش عماد أمرهم وبذلك ظهر جوهرهم وبان فضاهم وإيمانهم قدروا على إحياء هذه السنة ونهضوا بواجب حقها زاهد هم في الدنيا وتركوا الأربابها وطلابها لأن مشار القل والنش عجة الدنيا ومجة الرغبة والفرقة عند الناس والصوفية

يقول الله تبارك وتعالى أى شيء تركتم عبادى يصنعونه فيقولون تركناهم عموذك ويعبدونك ويسبحونك فيقول الله تبارك وتعالى وهل رأونى فيقولون لا فيقول جل جلاله كيف لو رأونى فيقولون لو رأوك لكانوا أشد تسيحاً وتعبيداً وتعبيداً فيقول لهم من أى شيء يتودون فيقولون من النار فيقول تعالى وهل رأوها فيقولون لا فيقول الله عز وجل فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أشد هرباً منها وأشدّ شوقاً فيقول الله عز وجل وأى شيء يطلبون فيقولون الجنة فيقول تعالى وهل رأوها فيقولون لا فيقول تعالى فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أشدّ عليها حرصاً فيقول جل جلاله إني أشهدكم أنى قد عفرت لهم فيقولون كان فيهم فلان لم يردم إنما جاء حاجة فيقول الله عز وجل هم القوم لا يشقى جليهم (١) .

(فضيلة التلبيح)

قال صلى الله عليه وسلم « أفضل ماقلت أنا والنبون من قبل لاله إلا الله وحده لا شريك له (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من قال لاله إلا الله وحده لا شريك له له للالك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة وعيبت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك (٣) » وقال ﷺ « مامن عبد توسأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس على أهل لاله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم كآنى أنظر إليهم عند الصيحة ينفضون رءوسهم من التراب ويقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لنفور شكور (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً لأبى هريرة « ياأباهريرة إن كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة إلا شهادة أن لا إله إلا الله فأهلها لا توضع في ميزان لأنها لو وضعت في ميزان من قالها صادقا وضعت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن كان لاله إلا الله أرجح من ذلك (٦) »

(١) حديث الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة أو أبى سعيد الخدرى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إن لله عز وجل ملائكة سياحين فى الأرض فضلا عن كتاب الناس الحديث رواه ت من هذا الوجه والحديث فى الصحيحين من حديث أبى هريرة وحده وقد تقدم فى الباب الثالث من العلم (٢) حديث أفضل ماقلته أنا والنبون من قبل لاله إلا الله الحديث تقدم فى الباب الثانى من الحج (٣) حديث من قال لاله إلا الله وحده لا شريك له له للالك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة (٤) حديث مامن عبد توسأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله الحديث د من حديث عتبة بن عامر وقد تقدم فى الطهارة (٥) حديث ليس على أهل لاله إلا الله وحشة في قبورهم ولا فى النشور الحديث أبوىلى والطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٦) حديث ياأباهريرة إن كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة إلا شهادة أن لا إله إلا الله فأهلها لا توضع في ميزان لأنها لو وضعت في ميزان من قالها صادقا وضعت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن كان لاله إلا الله أرجح من ذلك ، قلت وصية أنى هريرة هذه موضوعة وآخر الحديث رواه للسخرى فى الدعوات ولو جعلت لاله إلا الله وهو معروف من حديث أبى سعيد مرفوعاً لو أن السموات السبع وعمارهن غيرى والأرضين السبع فى كفة مالت حين لاله إلا الله رواه ت فى البرم والية وحب ولا ويحبه .

زهدوا فى ذلك كله كما قال بعضهم طريقتنا هذا لا يصلح إلا لأنوام كنتس بأرواحهم للزابل فلما قط عن نالهم عيبة الدنيا رحب الرقة أصبوا وأمسوا وليس فى قلوبهم غش لأحد فقول القائل كنتس بأرواحهم للزابل إشارة منه إلى غاية التواضع وأن لا يرى نفسه تميز عن أحد من المسلمين لحقارته عند نفسه وعند هذا يسند باب نش والقل وجرت عنه الحكاية وقال بعض الفقراء من أصحابنا وقع لى أن معنى كنتس بأرواحهم للزابل أن الإشارة بالزابل إلى النفوس لأنها ماوى كل رجس ونجس حكايلة وكنتس بنور الروح الواسل إليها لأن السوقية أرواحهم فى حال القرب ونورها يسرى إلى النفوس إلى النفس تطهر النفس ويذهب عنها اللزوم

من الذل والشرف والحمد
والحمد وكأنها
تتكسر بنور الروح
وهذا الذي صحيح
وإن لم ير القائل بقوله
ذلك . قال الله تعالى
في وصف أهل الجنة
سوزعنا ما في صدورهم
من غل إخوانا على
سرر متقابلين - قال
أبو حفص كيف يتي
النل في قلوب اتلفت
بالله وانفتحت على محبته
واجتمعت على مودته
وانست بذكره إن
نلك قلوب صافية من
هواجس النفوس
وظلمات الطباع بل
كملت بنور التوفيق
فصارت إخوانا فالحق
حجابهم عن القبر
إحياء سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم
قولا وفعلا واحلاصفا
نفوسهم فاذا تبدلت
نفوس النفس ارتطم
الحجاب وصحت للتامة
وقوقت للواقعة في كل
شئ مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم ووجب
الحبة من الله تعالى
عند ذلك قال الله تعالى
- قل إن كنتم تحبون
الله فاتبعوني يحبك

وقال صلى الله عليه وسلم « لوجا قاتل لإله إلا الله صادقا بقراب الأرض ذنوبا لتفر الله ذلك » (١) وقال
صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة لقن للو في شهادة أن لا إله إلا الله فاتها تهتم الذنوب عندما قلت
يا رسول الله هذا للموت فكيف للأحياء قال صلى الله عليه وسلم : هي أهدم وأهدم » (٢) وقال صلى
الله عليه وسلم « من قال لا إله إلا الله خلصا دخل الجنة » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « لتدخل الجنة
كلكم إلا من أتى وتردد عن الله عز وجل شراد البعير عن أهله قليل يا رسول الله من الذي يأتي ويتردد
عن الله قال من يقل لا إله إلا الله » (٤) ، فأكثرنا من قول لا إله إلا الله قبل أن نحال بينكم وبينها فاتها
كلمة التوحيد وهي كلمة الإخلاص وهي كلمة التقوى وهي الكلمة الطيبة وهي دعوة الخلق وهي العروة الوثقى
وهي عن الجنة « وقال عز وجل - هل جزاء الإحسان إلا الإحسان - قليل الإحسان في الدنيا قول لا إله
إلا الله وفي الآخرة الجنة وكذا قوله تعالى - للذين أحسنوا الحسنى وزيادة - وروى البراء بن عازب أنه
صلى الله عليه وسلم قال « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير
عشر مرات كانت له عند ربه أوقال نسمة » (٥) وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال في يومها مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله
الحمد وهو على كل شئ قدير لم يسبقه أحد كان قبله ولا يدرى أحد كان بعده إلا من عمل بأفضل من عمله » (٦)

(١) حديث لوجا حامل لإله إلا الله صادقا بقراب الأرض ذنوبا لتفر الله له غريب بهذا اللفظ .
وللتزمذ في حديث أنس يقول الله يا ابن آدم إنك لو أنيتي بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك
بشيئا لأنتيك بقرابها مغفرة . ولأن الشيخ في التواب من حديث أنس يارب ماجزاء من هلل
مخلصا من قلبه قال جزاؤه أن يكون كيوم ولدته أمه من الذنوب وفيه انقطاع (٢) حديث يا أبا هريرة
لقن للو في شهادة أن لا إله إلا الله فاتها تهتم الذنوب الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من
طريق ابن القري من حديث أبي هريرة وفيه موسى بن وردان مختلف فيه ورواه أبو يولى من
حديث أنس بسند ضعيف ورواه ابن أبي الدنيا في المحضرين من حديث الحسن مرسل (٣) حديث
من قال لا إله إلا الله خلصا دخل الجنة الطبراني من حديث زيد بن أرقم بإسناد ضعيف (٤) حديث
لتدخل الجنة كلكم إلا من أتى وتردد عن الله شرود البعير على أهله البخاري من حديث أبي
هريرة كل ما يقي يدخلون الجنة إلا من أتى . زادك وصحها وشرود على الله شرود البعير على أهله قال
البخاري قالوا يا رسول الله ومن يأتي قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى ولابن عدى
وأبو يعلى والطبراني في الدعاء من حديثنا أكثرنا من قول لا إله إلا الله قبل أن نحال بينكم وبينها وفيه
ابن وردان أيضا ولأبي الشيخ في التواب من حديث الحكم بن عمير الثمالي مرسل إذا قلت لا إله إلا الله
وهي كلمة التوحيد الحديث والحكم ضعيف ولأبي بكر بن الضحاك في الثمالي من حديث ابن مسعود
في إجابة المؤمن اللهم رب هذا الدعوة المجابة لتستجاب لها دعوة الحق وكلمة الإخلاص ولابن عدى من
حديث ابن عمر في إجابة المؤمن دعوة الحق والطبراني في الدعاء عن عبد الله بن عمرو كلمة الإخلاص لا إله
إلا الله الحديث والطبراني من حديث سلمة بن الأكوع وأزهم كلمة التقوى قال لا إله إلا الله والطبراني
في الدعاء عن ابن عباس كلمة طيبة قال شهادة أن لا إله إلا الله والله على قوله دعوة الخلق قال شهادة أن لا إله
إلا الله وله عنه قد استمسك بالعروة الوثقى قال لا إله إلا الله ولابن عدى وللتعزى من حديث أنس
عن الجنة لا إله إلا الله ولا يصح شئ منها (٥) حديث البراء من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحديث
الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وهو في مسند أحمد بن حنبل قوله عشر مرات (٦) حديث عمرو بن
شعيب عن أبيه عن جده أنه صلى الله عليه وسلم قال من قال في كل يوم مائة مرة لا إله إلا الله وحده

وقال صلى الله عليه وسلم « من قال في سوق من الأسواق لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الأمر
ينجي ويعت وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألفاً حسنة وبما عنه ألف أفسسيسة وبني له بيتاً في
الجنة » وروى « إن البديذا قال لا إله إلا الله أتت إلى صحيفته فلا تدر على خطيئة إلا عفاها حتى يجد حسنة
مثلها فتجس إلى جنبها » وفي الصحيح عن أبي أيوب عن النبي ﷺ أنه قال « من قال لا إله إلا الله
وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعقق أربعة أقسس من
ولد اسميل صلى الله عليه وسلم » وفي الصحيح أيضاً عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من تمار من الليل قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء
قدير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله وأشهد أن أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم قال اللهم
اغفر لي غفر له أودعا استجبه له فإذن توفاً وصلى قيات صلاته » .

(فضيلة التسبيح والتحميد وبهية الأذكار)

قال صلى الله عليه وسلم « من سبح دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين وحمد ثلاثاً وثلاثين وكبر ثلاثاً وثلاثين وختم
لثلاثه بلالاً إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت ذنوبه ولو كانت
مثل زبد البحر » (١) وقال ﷺ « من قال سبحان الله وبحمده في اليوم مائة مرة حطت خطاياه
وإن كانت مثل زبد البحر » (٢) وروى « أن رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
تولت عن الدنيا وقلت ذات يدي فقال رسول الله ﷺ فأتيت من صلاة للامسكة وتسبيح
الخالق وبها يرزقون قال قلت وماذا يارسل الله قال قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم
استغفراه مائة مرة ما بين طلوع الفجر إلى أن تغرب الشمس تأتيك الدنيا راغمة صاغرة ويخلق الله
عز وجل من كل كلمة مسلماً يسبح الله تعالى إلى يوم القيامة لك ثوابه » وقال صلى الله عليه وسلم
« إذا قال العبد الحمد لله ملأ ما بين السماء والأرض فإذا قال الحمد لله الثانية ملأ ما بين السماء
والسابعة إلى الأرض السفلى فإذا قال الحمد لله الثالثة قال الله عز وجل سل تعطى » قال الرازي
« كذا يومنا فعل وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركوع وقال مع الله من حمد

الله - جعل منابه
الرسول صلى الله عليه
وسلمية محبة البدر به
وجعل جزاء العبد على
حسن متابعة الرسول
محبة الله إياه فأوفر
الناس حظاً من متابعة
الرسول أوفرهم حظاً
من محبة الله تعالى
والصوفية من بين
طوائف الإسلام طردوا
بحسن المتابعة لأنهم
اتبعوا أقواله فقاموا بما
أمرهم ووقفوا عما
نهام قال الله تعالى
وما آتاكم الرسول
خذوه وما نهاكم عنه
فأتوا - ثم اتبعوه في
أعمالهم من الجهد
والاجتهاد في العبادة

لا شريك له الحديث أحمد بلفظ مائة وكذا رواه ك في الاستدراك وإسناده جيد وهكذا هو في بعض نسخ
الإحياء (١) حديث إن العبد إذا قال لا إله إلا الله أتت إلى صحيفته فلا تدر على خطيئة إلا عفاها حتى يجد حسنة
مثلها فتجس إلى جنبها أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف (٢) حديث أبي أيوب من قال لا إله إلا الله
وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعقق أربعة
أقسس من ولد اسماعيل متفق عليه (٣) حديث عبادة بن الصامت من تمار من الليل قال لا إله إلا الله
الحديث رواه (٤) حديث من سبح دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين والحديث م من حديث أبي هريرة
(٥) حديث من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر متفق
عليه من حديث أبي هريرة (٦) حديث أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ قال تولت عن الدنيا وقلت
ذات يدي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيت من صلاة للامسكة وتسبيح الخالق وبها
يرزقون الحديث للسفري في الدعوات من حديث ابن عمر وقال غريب من حديث مالك ولا أعرف
له أصلاً في حديث مالك والأحد من حديث عبد الله بن عمرو أن نوحاً قال لا إله إلا الله
الحديث ثم قال وسبحان الله وبحمده قل شيء وبها يرزق الخلق وإسناده صحيح
(٧) حديث إذا قال العبد الحمد لله ملأ ما بين السماء والأرض وإذا قال الحمد لله الثانية ملأ ما بين
السماء السابعة إلى الأرض وإذا قال الحمد لله الثالثة قال الله تعالى سل تعطى غريب بهذا اللفظ ما أجده

والتجهد والنوافل من
الصوم والصلاة وغير
ذلك ورزقوا يرك
المتابعة في الأموال
والأضال والتخلق
بأخلاقه من الحياء
والحلم والصفح والظفر
والرافة والشفقة
واللدابة والنعمة
والتواضع ورزقوا إقبالا
من أحواله من الخشية
والسكينة والمهية
والتعظيم والرضا والصبر

قال رجل وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاته قال من التكم أمّا قال أنا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم لقد رأيت بضعة ثلثين ملكا يتدبرونها أيهم يكتبها أولا (١) وقال رسول الله ﷺ «الباقيات الصالحات هن لإله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله» وقال صلى الله عليه وسلم «ما على الأرض رجل يقول لإله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا أغفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر» (٢) رواه بن جرير وروى النعمان بن بشير عنه صلى الله عليه وسلم أن قال «الذين يذكرون من جلال الله وتسميته وتكبيره وتحميده ينطقون حول العرش لمن دوى كدوى النحل يذكرون بصاحبه أولاً يحب أحدكم أن لا يزال عند الله ما يذكر به» (٣) وروى أبو هريرة أنه ﷺ قال «لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلى مما طلعت عليه الشمس» (٤) وفي رواية أخرى زاد لا حول ولا قوة إلا بالله وقال هي خير من الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه وسلم «أحب الكلام إلى الله تعالى أربع سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لا يشرك بأيهن بدأت» (٥) رواه حمزة بن جندب وروى أبو مالك الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول «الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والله أكبر إعلان ما بين السماء والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فوبيع أو مشتر نفسه فمشتق» (٦) وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ «كثتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان جنتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» (٧) وقال أبو ذر رضي الله عنه «قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي الكلام أحب إلى الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم ما مضى الله سبحانه لئلا ينسكه سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» (٨) وقال

- (١) حديث رفاعة الزرقى كنا يومنا صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركوع وقال مع الله لمن حمده قال رجل وراءه ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه الحديث رواه خ.
- (٢) حديث الباقيات الصالحات هن لإله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله في اليوم واليلة وحبك وصحبه من حديث أبي سعيد بن جندب عن أبي هريرة دون قوله ولا حول ولا قوة إلا بالله (٣) حديث ما على الأرض رجل يقول لإله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله لا يغفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر من حديث عبد الله بن عمرو وقال صحيح على شرط مسلم وحدث حسن بن علي في اليوم واليلة مختصرا دون قوله سبحان الله والحمد لله (٤) حديث النعمان بن بشير الذين يذكرون من جلال الله وتسميته وتكبيره وتحميده ينطقون حول العرش له دوى كدوى النحل يذكرون بصاحبه الحديث له وصحبه على شرط (٥) حديث أبي هريرة لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلى مما طلعت عليه الشمس وزاد في رواية ولا حول ولا قوة إلا بالله وقال خير من الدنيا وما فيها ما بالفظ الأول وللشعري في الدعوات من رواية مالك بن دينار أن أبا أمامة قال لئن صلى الله عليه وسلم قلت سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خير من الدنيا وما فيها قال أنت أغنى القوم وهو مرسل جيد الإسناد (٦) حديث حمزة بن جندب أحب الكلام إلى الله أربع الحديث رواه (٧) حديث أبي مالك الأشعري الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان الحديث رواه وقد تقدم في الطهارة (٨) حديث أبي ذر أي الكلام أحب إلى الله قال ما مضى الله سبحانه لئلا ينسكه سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم رواه دون

والتزهد والتوكل
فاستوفوا جميع أقسام
للتأببات وأحواسه
بأقصى النهايات . قيل
لمجد الواحد بن زيد
من الصوفية عندك ؟
قال القائمون بقولهم
على فهم السنة
والماسكون عليها
بقولهم والمتسمون
ببديهم من شرفهم
هم الصوفية وهذا
وصف قام وصفهم به
فكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم دائم
الافتقار إلى ماله حتى
يقول لا تسكني إلا
نفس طرفة عين
أكلاني كلاءة الوليد
ومن أشرف ما نظره
الصوفي من متابعة
رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذا الوصف
وهو دوام الافتقار
ودوام الابتغاء ولا
يتحقق بهذا الوصف
من صدق الافتقار
إلا عبيد كوشف باطنه
بصفاء المعرفة وأشرق
صدره بنور اليقين
وخلص قلبه إلى بساط
القرب وخلاسه بلذاته
للسامرة فقيت نفسه

أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى اصطفى من الكلام سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ^(١) » فإذا قال العبد سبحانه الله كتب له عشرون حسنة وتحط عنه عثرون سيئة وإذا قال الله أكبر فمثل ذلك وذكر إلى آخر الكلمات وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال سبحانه الله وبمحمد غرسته نخلة في الجنة ^(٢) » وعن أبي ذر رضى الله عنه أنه قال قال القراء رسول الله ﷺ « ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم قال أوليس لكم ما تصدقون به إن لكم بكل تسبيحة صدقة وبكل تحميدة وثيلة صدقة وبكل مرة ذكر صدقة وأمر به رؤوف صدقة ونهى عن منكر صدقة ويضع أحدهم القشة في فم أهله فهو له صدقة وفي يضع أحدهم صدقة قالوا يا رسول الله يأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قال صلى الله عليه وسلم أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر قالوا نعم قال كذلك إن وضعها في الحلال كان له فيها أجر ^(٣) » وقال أبو ذر رضى الله عنه قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم « سبق أهل الأموال بالأجر يقولون كما تقول وينفقون ولا تنفق قال رسول الله ﷺ أفلا أدرك على عمل إذا أنت عملته أدركت من قبلك وقتت من قبلك إلا من قال مثل قولك تسبح الله بعد كل صلاة ثلاثا وثلاثين وتحمد ثلاثا وثلاثين وتكبر أربعاً وثلاثين ^(٤) » ورويت بسرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « عليكم بالتسبيح والتهليل والتعظيم والتأمل فالتأمل فاتها مستطقات ^(٥) » يعني بالشهادة في القيامة وقال ابن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقصد التسبيح ^(٦) » وقد قال صلى الله عليه وسلم في ما حدثه عليه أبو هريرة وأبو معبد الخدرى « إذا قال العبد لا إله إلا الله والله أكبر قال الله عز وجل صدق عبدي لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي وإذا قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له قال تعالى صدق عبدي لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي وإذا قال لا إله إلا الله لا حول ولا قوة إلا بالله يقول الله سبحانه صدق عبدي لا حول ولا قوة إلا بي ومن قالهن عند الموت لم يمهله النار ^(٧) » وروى مصعب بن سعد عن أبيه عنه ﷺ أنه قال « أيسر أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة فقيل كيف ذلك يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ويحط عنه ألف سيئة ^(٨) »

قوله سبحانه الله العظيم ^(١) حدث إن الله اصطفى من الكلام سبحانه الله والحمد لله الحديث ن في اليوم واليلة و ك وقال يصحح على شرط م وصححه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد إلا أنها قال في ثواب الحمد كتبت له ثلاثون حسنة وحطت عنه ثلاثون سيئة ^(٢) » حديث جابر من قال سبحانه الله وبمحمد غرسته له نخلة في الجنة ت وقال حسن و ن في اليوم واليلة وحب و ك وقال يصحح على شرط م وصححه ^(٣) » حديث أبي ذر قال القراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم قال رسول الله ﷺ أفلا أدرك على عمل إذا أنت عملته أدركت من قبلك وقتت من قبلك إلا من قال مثل قولك تسبح الله بعد كل صلاة ثلاثا وثلاثين وتحمد ثلاثا وثلاثين وتكبر أربعاً وثلاثين وإسنادهما جيد ولأبي الشيخ في الثواب من حديث أبي الدرداء وتكبر أربعاً وثلاثين كما ذكر للصف ^(٥) » حديث بسرة عليكم بالتسبيح والتهليل والتعظيم ولا تنفق ولا تفطن والتأمل فاتها مستطقات د ت وإسنادهما جيد ^(٦) » حديث ابن عمر رأيت رسول الله ﷺ يقصد التسبيح قلت لأمهات عبد الله بن عمرو بن العاص كما رواه د ن وحسنه و ك ^(٧) » حديث أبي هريرة وأبي سعيد إذا قال العبد لا إله إلا الله والله أكبر قال الله صدق عبدي الحديث ت وقال حسن و ن في اليوم واليلة و ه ك وصححه ^(٨) » حديث مصعب بن سعد عن أبيه أيسر أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة الحديث م إلا أنه قال أو يحط كما ذكره للصف وقال حسن يصح

بين هذه الأعياء كلها
أمية مأمورة ومع
ذلك كله براها مأوى
كل شروعي بمثابة النار
لوقيت منها شرارة
أحرقها عالمي وشيكة
الرجوع سريسة
الافتلات والاخلاب
فأله تعالى بكامل لطفه
عرضا إلى الصوفي
وكشفها على شيء من
معنى ما كشفه لرسول
الله صلى الله عليه وسلم
فهو دائم الاستغاثه إلى
مولاه من شروها وأنها
ملت سوطا للعبد
حقه لمعرفه شرها
مع الحفظات إلى جناب
الاتجاه وصدق الافتقار
والدهاء فلا يغفل الصوفي
عن مطالعها أدنى
ساعة كما لا يغفل عن
ربه أدنى ساعة وربط
معرفة الله تعالى فيها
ورد من عرف نفسه
قد عرف ربه كربط
معرفة الليل بمعرفة
النهار ومن الذي يقوم
بأحياء هذه السنة من
سقى رسول الله صلى
الله عليه وسلم غير
الصوفي العالم بالله الإله
في الدنيا للتمسك من

التقوى بأوفى العرى
ومن الذي يهتدى
إلى فائدة هذه الحال
غير الصوفي فدوله
افتقار إلى ربه عسك
بجنب الحق وليأذبه
وفي هذا الياذاستغراق
الروح واستتباع القلب
إلى عمل الدعاء وفي
أعجاب القلب إلى عمل
الدعاء بلسان الحال
والكون فيه نبوة
النفس عن مستورها
من الأقسام الساجدة
وزولها إلى مدارج
العلم مخوفة بحراسة
الله تعالى ورعايته
والنفس المدبرة بهذا
التدبير من حسن
تدبير الله تعالى مأمونة
الناتجة من النور والنفس
والخقدوا الحسد وسائر
الدمومات فهذا حال
الصوفي. وبمعجم جل
حال الصوفية شيطان:
ها وصف الصوفية
ولها الإشارة بقوله
تعالى - الله يحب إلى
من يشاء ويهتدى
إليه من يتب - قوم
من الصوفية خسوا
بالاجتناب الصرف
وقوم منهم خسوا

وقال صلى الله عليه وسلم « عبد الله بن قيس أوتى أباه موسى ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة قال
بلى قال لا حول ولا قوة إلا بالله (١) » وفي رواية أخرى « ألا أدلك كلمة من كنز تحت العرش لا حول
ولا قوة إلا بالله » وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ « ألا أدلك على عمل من كنز الجنة من تحت العرش
قول لا حول ولا قوة إلا بالله يقول الله تعالى أسلم عبدي واستسلم (٢) » وقال ﷺ « من قال حين
يسبح رضىته بأعزها وبالإسلام ديناً وبالقُرآن إماماً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً رسولاً كان حقاً
على الله أن يرضيه يوم القيامة (٣) » وفي رواية من قال ذلك رضى الله عنه . وقال مجاهد إذا خرج الرجل من
بيته فقال باسم الله قال الله حديث فاذا قال توكلت على الله قال للوك كفيته وإذا قال لا حول ولا قوة إلا بالله
قال للوك وكيت فتصرف عنه الشياطين فيقولون ما تريدون من رجل قد هدى وكفى ووقى لاسبيل لكم إليه .
فان قلت : فما بال ذكر الله سبحانه مع خفته على اللسان وقلة التبع فيه صار أفضل وأرفع من جملة
العبادات مع كثرة الشغلات فيها . فاعلم أن تحقيق هذا لا يليق إلا بمثل للكشفة والقدر الذي يسبح
بذكره في علم العلامة أن المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب فأما الذكر باللسان والقلب
لاه فهو قليل الجدوى وفي الأخبار ما يدل عليه أيضاً (٤) وحضور القلب لحظة بالذكر واليهول عن الله
عز وجل مع الاشتغال بالدنيا أيضاً قليل الجدوى بل حضور القلب مع الله تعالى على الدوام أوفى أكثر
الأوقات هو للتقدم على العبادات بل به تتصرف سائر العبادات وهو غاية ثمرة العبادات العملية والذكر
أول وآخر فأوله يوجب الأنس والحب وآخره يوجب الأنس والحب ويصدر عنه والطلب ذلك
الأنس والحب فان الري في بداية أمره قد يكون متكلفاً بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس إلى
ذكر الله عز وجل فان وفق للمداومة أنس به وانفرد في قلبه حب للذكر ولا يبنى أن يتجنب من
هذا فان من للشاهد في العبادات أن تذكر غالباً غير مشاهد بين يدي شخص وتكرر ذكر خصاله
عنده فيجبه وقد يشقى بالوصف وكثرة الذكر ثم إذا عشق بكثرة الذكر للتكلف أولاً صار مضطراً
إلى كثرة الذكر آخر بحيث لا يصبر عنه فان من أحب شيئاً أكثر من ذكره ومن أكثر ذكر شيء
وإن كان متكلفاً أحبه فكذلك أول الذكر متكلف إلى أن يشعر الأنس بالذكر والحب له ثم تمتع
الصبر عنه آخر فيصير للوجوب موجبا والحر مشعرا وهذا معنى قول بعضهم كابدت القرآن عشرين
سنة ثم تمتعت به عشرين سنة ولا يصدر التمتع إلا من الأنس والحب ولا يصدر الأنس إلا من
المداومة على المكابدة والتكلف مدة طويلة حتى يصير التكلف طبعاً فكيف يستبعد هذا وقد
يتكلف الإنسان تناول طعام يستشعره أولاً ويكابد كلاً ويؤاخذ عليه فيصير موافقاً لطبعه حتى
لا يصبر عنه فانفس متعادة متحملة لما يتكلف هي النفس ما عودتها تعود * أي ما كلفتها
أولاً يصير لها طبعاً آخراً ثم إذا حصل الأنس بذكر الله سبحانه انقطع عن غير ذكر الله وامسوى الله

(١) حديث يعبد الله بن قيس أوتى أباه موسى ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى قال لا حول
ولا قوة إلا بالله متفق عليه (٢) حديث أبي هريرة عمل من كنز الجنة ومن تحت العرش قول
لا حول ولا قوة إلا بالله يقول الله تعالى أسلم عبدي واستسلم ن في اليوم واليلة وك من قال سبحان والحمد
الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله قال أسلم عبدي واستسلم وقال صحيح الاسناد
(٣) حديث من قال حين يسبح رضىته بأعزها وبالإسلام ديناً وبالقُرآن إماماً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً رسولاً كان حقاً
على الله أن يرضيه يوم القيامة من حديث ثوبان وحسنه وفيه نظر فيه سعد
ابن للزيان ضعف جداً (٤) حديث الدال على أن الذكر والقلب لاه قليل الجدوى وقال حسن
والحاكم وقال حديث مستقيم الاسناد من حديث أبي هريرة واعلموا أن الله لا يقبل الدعاء من قلب لاه .

عز وجل هو الذي يبارقه عند الموت فلا يلقى منه في القبر أهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية ولا يلقى إلا ذكر الله عز وجل فان كان قد أنس به تمتعه به وتلذذ به قطع المواقف الصارفة عنه إذ ضرورات الحاجات في الحياة الدنيا تصعد عن ذكر الله عز وجل ولا يلقى بدلتها عائق فكأنه خلى بينه وبين محبوبه فقطعت غيبته وتخلص من السجن الذي كان يمتنعوا فيه عما به أنسه وقلبك قال صلى الله عليه وسلم «إن روح القدس تنشق في روعي أحببما أحببت فانك سفاركة (١)» أراد به كل ما يتعلق بالدنيا فان ذلك يخفى في حقه بالموت فكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام وإنما خفى الدنيا بالموت في حقه إلى أن خفى في نفسها عند بلوغ الكتاب أجله وهذا الأنس يتلذذ به العبد بدموته إلى أن ينزل في جوار الله عز وجل ويترقى من الذكر إلى اللقاء وذلك بعد أن يثمر ما في القبور ويحصل ما في الصدور ولا ينكر بقاء ذكر الله عز وجل معه بعد الموت فيقول إنه أعمى فكيف يبقى معه ذكر الله عز وجل فانه لم يسمع عما يمنع الذكر بل عدما من الدنيا وعالم لللك والشهادة لامن عالم للكموت وإلى ما ذكرناه الإشارة بقوله عليه السلام «القبور إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة (٢)» وبقوله عليه السلام «أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر (٣)» وبقوله صلى الله عليه وسلم «تقتل بدر من الشركين» يافان يافان وقد صامم التي صلى الله عليه وسلم هل وجدت ما وعد ربك حقاً فاني وجدت ما وعدني ربي حقاً (٤) فسمع عمر رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله كيف يسمعون وأني يسمعون وقد جفوا؟ فقال عليه السلام : والذي نفسي بيده ما أتم أجمع لكلامي منهم ولكنهم لا يقدرون أن يسمعون» والحديث في الصحيح هذا قوله عليه السلام في للشركين فأما المؤمنون والشهداء فقد قال عليه السلام «أرواحهم في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش (٥)» وهذه الحالة وما أشبه هذه الألفاظ إلى الينا في ذكر الله عز وجل وقال تعالى - ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم - الآية ولأجل شرف ذكر الله عز وجل عظمت رتبة الشهادة لأن الطلاب الجامعة ونحن بالجامعة وداع الدنيا والقعود على الله والقلب مستغرق بالله عز وجل منقطع عما سواه فان قدر عبيد على أن يجعل همه مستغرقاً بالله عز وجل فلا يقدر على أن يموت على تلك الحالة إلا في صف القتال فانه قطع الطمع عن مهجته وأهله وماله وولده بل موت الدنيا كلها فانه يريد بها حياته وقد نهون على قلبه حياته في حب الله عز وجل وطلب مرضاته فلا تجرد لله أعظم من ذلك وكذلك عظم

(١) حديث ابن روح القدس نفث في روعي أحبب ما أحببت فانك سفاركة تقدم في الكتاب السابع من العلم (٢) حديث القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة من حديث أنس سعيد بتقديم وتأخير وقال غريب قلت فيه عبيد الله بن الوليد الوصافي ضعيف (٣) حديث أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر من حديث ابن مسعود أنه سئل عن هذه الآية - ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً - الآية قال أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال أرواحهم في جوف طير خضر فلم يسم في النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية ثانياً أن ذلك فآخبرنا وذكر صاحب مسند الفردوس أن ابن منيع صرح برضه في مسنده (٤) حديث ندائه لتقتل بدر من للشركين يافان يافان وقد صامم التي صلى الله عليه وسلم هل وجدت ما وعدني ربي حقاً فاني وجدت ما وعدكم ربكم حقاً من حديث أنس (٥) حديث أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش من حديث كعب بن مالك إن أرواح المؤمنين في طير خضر تعلق بشجر الجنة وروى ن بلفظ إنما نسمة المؤمن طائر ورواه ب بلفظ أرواح الشهداء وقال حسن صحيح -

بالهداية بشرط مقدمة الإجابة فالاجتهاد المحض غير مطلق بسبب العبد وهذا حال المحبوب للراد يادته الحق بمنحه ومواهبه من غير سابقة كسب منه يسبق كشفه اجتهاده وفي هذا أخذ بطلاقة من الصوفية رقت الحجب عن قلوبهم وبأدرهم سطوع نور اليقين فأما نازل الحال فيهم شهوة الاجتهاد والأعمال فأنابوا على الأعمال للذاتة والعيش فيها مرة أعينهم فسهل الكشف عليهم الاجتهاد كما سهل على سحرة فرعون للذاتة النازل بهم من صفو الغر فإن تحمل وعيد فرعون فقالوا - لن نؤثر لك على ما جاءنا من البينات - قال جعفر الصادق رضي الله عنه وجدوا أرباع العناية القديمة بهم فالتجأوا إلى السجود شكراً وقالوا آمنا برب العالمين - فأنسبنا أبو ذرعة طاهر بن

أن القتل إجازة
قال أنا أبو بكر أحمد
ابن علي بن خلف
إجازة قال أنا
عبد الرحمن السلمي
قال سمعت منصورا
يقول سمعت أبا موسى
الرقاعي يقول سمعت
أبا سعيد الخزاز يقول
أهل الخاصة الذين هم
الراديون اجتنبوا مولاهم
وأكلهم التمتع وهبوا
لهم الكرامة فأسقط
عنهم حركات الطلب
فصار حركاتهم في
العمل والخدعة على
الألفة والذكر والتمتع
بعبادته والافتقار
بقربه وبهذا الاسناد
إلى أبي عبد الرحمن
السلمي قال سمعت علي
ابن سعيد يقول سمعت
أحمد بن الحسن الحمصي
يقول سمعت فاطمة
المسروقة بجمهورية
طليعة أبي سعيد يقول
سمعت الخزاز يقول
لراديون في حاله
معان على حركاته وسعيه
في الخدمة مكفي مصون
عن الشواهد والنواظر
وهذا الذي قاله الشيخ
أبو سعيد هو الذي

أمر الشهادة وورد فيه من الفضائل ما لا يحصى فمن ذلك أنه لما استشهد عبد الله بن عمرو الأنصاري
يرم أحد قال رسول الله صلى عليه وسلم لجابر ؓ ألا أشرك بأجابر قال بلى يشرك الله بالحير
قال إن الله عز وجل أحيا أباك فأصده بين يديه وليس بينه وبينه سر فقال تعالى عن علي ؓ يا عبدي
ما شئت أعطيتك فقال يارب أن تردني إلى الدنيا حتى أقتل فيك وفي نيك مرة أخرى فقال عز وجل
سبق القضاء مني بأنهم إليها لا يرجعون (١) ثم القتل سبب الحاجة على مثل هذه الحالة فانه لو لم يزل
ويبقى مدة ريماعات شهوات الدنيا إليه وغلبت على ما استولى على قلبه من ذكر الله عز وجل ولهذا
عظم خوف أهل العرفة من الحاجة فان القلب وإن أزم ذكر الله عز وجل فهو مقبل لا يخلو عن
الالتفات إلى شهوات الدنيا ولا ينفك عن قرة تمر به فإذا تمثل في آخر الحال في قلبه أمر من الدنيا
واستولى عليه ولم يخل عن الدنيا والحالة هذه فيوشك أن يبقى استيلاؤه عليه فيحتمل بعد الموت إليه
ويتمنى الرجوع إلى الدنيا وذلك لقله حظه في الآخرة إذ يموت للرء على ما عاش عليه ويحسر على
مما مات عليه فأسلم الأحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة إذا لم يكن قصد الشهد نيل مال أو أن
يقال شجاع أو غير ذلك (٢) كما ورد به الخبر بل حب الله عز وجل وإعلاء كفته فهذه الحالة هي التي
عبر عنها بـ إن الله اهتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة - ومثل هذا الشخص هو
البائع للدنيا بالآخرة وحالة الشهيد توافق معنى قوله لا إله إلا الله فانه لا مقصود له سوى الله عز وجل
وكل مقصود معبود وكل معبود إلا فهذا الشهيد فائق لبسان حاله لا إله إلا الله إذ لا مقصود له سوى
ومن يقول ذلك لبسانه ولم يساعد حاله فأمره في مشيئة الله عز وجل ولا يؤمن في حقه الخطر ولذلك
فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم قول لا إله إلا الله على سائر الأذكار (٣) وذكر ذلك مطلقا
في مواضع الترخيب ثم ذكر في بعض المواضع الصدق والاخلاص فقال مرة من قال لا إله إلا الله
مخلصا ومعنى الاخلاص مساعدة الحال للقبال - فسنال الله تعالى أن يجعلنا في الخاتمة من أهل
لا إله إلا الله حالا ومقالاتها وبالحق نودع الدنيا غير متلفتين إليها بل متبرمين بها ومحبين
للقاء الله فان من أحب لقاء الله تعالى أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فهذه مرامز
إلى معنى الذكر التي لا يمكن الزيادة عليها في علم العامة .

(الباب الثاني في آداب الدعاء وفضله وفضل بعض الأدعية للأئمة)

وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم)

(فضيلة الدعاء)

قال الله تعالى - وإذا سألك عبادي عنِّي فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي -
وقال تعالى - ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين - وقال تعالى - وقال ربكم ادعوني
استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين - وقال عز وجل

(١) حديث ألا أشرك بأجابر قال بلى يشرك الله بالحير فإن الله أحيا أباك وأصده بين يديه وليس
بينه وبينه سر فقال تعالى عن علي ؓ يا عبدي ما شئت أعطيتك فقال يارب أن تردني إلى الدنيا حتى أقتل فيك وفي نيك مرة أخرى فقال عز وجل
(٢) حديث الرجل يقال نيل مال أو أن يقال شجاع أو غير ذلك متفق عليه من حديث أبو موسى
قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال الرجل يقال للذكر والرجل يقال للفتى والرجل يقال
ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله (٣) حديث
تفضيل لا إله إلا الله على سائر الأذكار وت قال حسن و ذو في اليوم والالية وهم حديث جابر
(الباب الثاني في آداب الدعاء وفضله)

قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيًا مانتدعوا فله الأسماء الحسنى - وروى النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الدعاء هو العبادة ثم قرأ - ادعوني أستجب لكم ^(١) » - الآية وقال صلى الله عليه وسلم « الدعاء منج العبادة ^(٢) » وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال « ليس شيء أكرم على الله عز وجل من الدعاء ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن البعد لا يخطئه من الدعاء إحدى ثلاث إما ذنب يفر له وإما خير يسجل له وإما خير يدخر له ^(٤) » وقال أبو ذر رضي الله عنه يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي للطعام من اللبس وقال صلى الله عليه وسلم « سلوا الله تعالى من فضله فإن الله تعالى يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج ^(٥) » .

(آداب الدعاء وهي عشرة)

الأول : أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ورمضان من الأشهر ويوم الجمعة من الأسبوع ووقت السحر من ساعات الليل قال تعالى - وبالسحار هم يستغفرون - وقال صلى الله عليه وسلم « ينزل الله تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول عز وجل من يدعوني فأستجب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له ^(٦) » وقيل إن يقبض صلى الله عليه وسلم إنما قال سوف أستغفر لكم ربي يدعوني في وقت السحر قيل إنه قام في وقت السحر يدعو وأولاده يؤمنون خلفه فأوحى الله عز وجل إليه إن قد غفرت لهم وجعلتهم أنبياء . الثاني : أن يقتض الأحوال الشريفة قال أبو هريرة رضي الله عنه إن أبواب السماء تنفتح عند زحف الصفوف في سبيل الله تعالى وعند نزول النيث وعند إقامة الصلوات المكتوبة فاغتسلوا الدعاء فيها . وقال مجاهد إن الصلاة جعلت في خير الساعات فليكن بالدعاء خلف الصلوات وقال صلى الله عليه وسلم « الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد ^(٧) » وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً « الصائم لا ترد دعوته ^(٨) » . والحقيقة يرجع شرف الأوقات إلى شرف الحالات أيضاً إذ وقت السحر وقت صفاء القلب وإخلاصه و فراغه من اللوشات ويوم عرفة يوم الجمعة وقت اجتماع المهم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله عز وجل فمنها أحد أسباب شرف الأوقات سوى ما فيها من أسرار لا يطلع البشر عليها وحالة السجود أيضاً أجدر بالإجابة قال أبو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم

(١) حديث النعمان بن بشير إن الدعاء هو العبادة أصحاب السنن و ك وقال صحيح الاسناد وقال ت حسن صحيح (٢) حديث الدعاء منج العبادة ت من حديث أنس وقال غريب من ههنا الوجه لانرفه إلا من حديث ابن هبيرة (٣) حديث أبي هريرة ليس شيء أكرم عند الله من الدعاء ت وقال غريب و ه ح ك وقال صحيح الاسناد (٤) حديث إن البعد لا يخطئه من الدعاء إحدى ثلاث إما ذنب يفر له وإما خير يسجل له وإما خير يدخر له الحديث في الفردوس من حديث أنس وغيره ابن مسافر عن أبان بن أبي عياش وكلاهما ضعيف ولأحمد وخ في الأدب والحاكم وصحح إسناده من حديث أبي سعيد إما أن تعجل له دعوته وإما أن يدخر له في الآخرة وإما أن يدفع عنه من السوء مثلاً (٥) حديث سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج ت من حديث ابن مسعود وقال حماد بن واقد ليس بالحافظ قلت وضعفه ابن معين وغيره (٦) حديث ينزل الله كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد ت في اليوم والليلة و ت وحسنه من حديث أنس وضعفه ابن عدى وابن القطان ورواه في اليوم والليلة بإسناد آخر جيد وح ك ووجهه (٨) حديث الصائم لا ترد دعوته ت وقال حسن و ه من حديث أبي هريرة بزيادة فيه .

اشتبه حقيقته على طائفة من الصوفية ولم يقولوا بالإكثار من التوافل وقد رأوا جمعا من الشايخ قات توافلهم فظنوا أن ذلك حال مستمر على الإطلاق ولم يعلموا أن الذين تركوا التوافل واتصروا على الترافض صكانت بداياتهم . بدايات الرديين فلما وصلوا إلى روح الحال وأدركهم الكشوف بعد الاجتهاد امتلأوا الحال فطرحوا نوافل الأعمال فاما المرادون فتبقى عليهم الأعمال والتوافل وفيها قرعة أعينهم وهذا أتم وأكمل من الأول فهذا الذي أوضحناه أحد طريق الصوفية فأما الطريق الآخر طريق الرديين وهم الذين شرطوا لهم الأمانة فقال الله تعالى - ويهدي إليه من ينيب - فطوبى لساوا بالاجتهاد أولا قبل الكشوف قال الله تعالى والذين جاهدوا

فينا لهديتهم سبنا -
 يدعرجهم الله تعالى في
 مدارج الكسب بأنواع
 الرياضات والمجاهدات
 وسهر الناجر وظلما
 المواجه وتأجيج فيهم
 نيران الطلوع وتجديب
 دولتهم لوامع الأرب
 يتقلدون في رمضاء
 الإراقة ويتخلعون
 عن كل مأف وأعادة
 وهي الإنابة التي شرطها
 الحق سبحانه وتعالى
 لهم وجعل الهداية
 مقرونة بها وهنـه
 الهداية آقاها
 خاصة لأنها هداية
 غير الهداية العامة
 هي الهدى إلى أمره
 ونهيه يقتضي للرفقة
 الأولى وهذا حال
 السالك المـبـ الرشد
 فكانت الإنابة غير
 الهداية العامة فأثـرت
 هداية خاصة واهتدوا
 إليه بد أن اهتدوا له
 بالمكابدات فخلصوا
 من مضيق السر إلى
 فناء اليسر وبرزوا
 من وهج الاجتهاد إلى
 روح الأحوال فسبق
 اجتاهم كشوفهم
 والرادون سبقي

« أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجدا كثيرا » (١) وروى ابن عباس
 رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن نيت أن أقرأ القرآن را كما أوساجدا فأما
 الركوع فظنموا فيه الرب وأما السجود فاجتهدوا فيه بالدعاء فانهن أن يستجاب لكم (٢) » . الثالث :
 أن يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه بحيث يرى ياض إبطيه وروى جابر بن عبد الله أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم « أتى للوقوف برفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس (٣) » وقال
 سلمان قال رسول الله ﷺ « إن ربكم حي كريم يستحي من عبده إذا رفعوا أيديهم إليه أن يردها
 صفرا (٤) » وروى أنس أنه صلى الله عليه وسلم « كان يرفع يديه حتى يرى ياض إبطيه في الدعاء ولا يشير
 بأصبعه (٥) » وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم مر على إنسان يدعو ويشير بأصبعه
 السبائتين قال صلى الله عليه وسلم أحد أحد (٦) أي انصر على الواحدة وقال أبو هريرة رضي الله عنه
 أرفضوا هذه الأيدي قبل أن تقلب لأعلاخل ثم ينشئ أن يمسح بهما وجهه في آخر الدعاء قال عمر رضي الله
 عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مد يديه في السماء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه (٧) وقال ابن
 عباس كان ﷺ إذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلي وجهه (٨) فهذه هيئـات اليد ولا يرفع يـهـه
 إلى السماء قال صلى الله عليه وسلم « ليتبين أقوام عن رفع أصابعهم إلى السماء عند الدعاء أو لتخطفن
 أصابعهم (٩) » الرابع : خفض الصوت بين الخافتة والجهر لما روى أن أبا موسى الأشعري قال قدما
 مع رسول الله ﷺ فنادونا من المدينة بكروا للناس ورفعوا أصواتهم فقال النبي ﷺ « يا أيها الناس
 إن الذي تدعون ليس بأصم ولا غائب إن الذي تدعون بينكم وبين أعناق ركائكم (١٠) » وقالت
 عائشة رضي الله عنها في قوله عز وجل - ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها (١١) - أي بدعائك وقد أتى
 الله عز وجل في نية زكرا عليه السلام حيث قال - إذا نادى به نداء خفيا - وقال عز وجل - ادعوا ربكم
 تضرعا وخفية . الخامس : أن لا يتكلف المسجع في الدعاء فإن حال الداعي ينبغي أن يكون حاله متضرع
 (١) حديث في هريرة أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجدا كثيرا من الدعاء رواه (٢) حديث
 ابن عباس إن نيت أن أقرأ القرآن را كما أوساجدا الحديث م أيضا (٣) حديث جابر أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أتى للوقوف برفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس م دون
 قوله يدعو فقال مكانها واقفا ون من حديث أسامة بن زيد كنت ردفه جرفا فرفع يديه يدعو
 ورجاله تقأت (٤) حديث سلمان إن ربكم حي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه أن يردها
 صفرا د وحسنه و هـ ك وقال إسناده صحيح على شرطهما (٥) حديث أنس كان يرفع يديه حتى
 يرى ياض إبطيه في الدعاء ولا يشير بأصبعه م دون قوله ولا يشير بأصبعه والحديث متفق عليه لكن
 مقيد بالاستسقاء (٦) حديث أبي هريرة م على إنسان يدعو بأصبعه السبائتين قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أحد أحد ن وقال حسن و هـ ك وقال صحيح الإسناد (٧) حديث عمر كان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مد يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه ت وقال غريب
 و ك في الستردك وسكت عليه وهو ضيف (٨) حديث ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم إذا دعا
 ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلي وجهه الطبراني في الكبير . بسند ضعيف (٩) حديث ليتبين أقوام
 عن رفع أصابعهم إلى السماء عند الدعاء أو لتخطفن أصابعهم م من حديث أبي هريرة وقال عند الدعاء
 في الصلاة (١٠) حديث أبي موسى الأشعري يا أيها الناس إن الذي تدعون ليس بأصم ولا غائب
 متفق عليه مع اختلاف اللفظ الذي ذكره للصف لأبي داود (١١) حديث عائشة في قوله تعالى - ولا
 تجهر بصلاتك ولا تخافت بها - أي بدعائك متفق عليه .

والتكلف لا يناسبه قال صلى الله عليه وسلم «سبون قوم يمتدون في الدعاء»^(١) وقد قال عز وجل - ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إله لخصب للمتدين - قيل معناه التكلف للاستيعاب والأولى أن يجاوب الدعوات للأثورة فإنه قد يمتد في دعائه فيسأل حاله تضرعاً مصلحته شأ كل أحد يحسن الدعاء ولذلك روى عن معاذ رضي الله عنه إن العلماء يحتاج إليهم في الجنة إذ يقال لأهل الجنة تنزوا فلا يدرون كيف يمتنعون حتى يتسروا من السلام وقد قال صلى الله عليه وسلم «إياكم والسجع في الدعاء حسب أحدكم أن يقول اللهم إني أسألك الجنة وأتقرب إليكم قول وعمل وأعوذ بك من النار وماترب إليها من قول وعمل»^(٢) وفي الخبر يأتي قوم يمتدون في الدعاء والطهور ومربى السلف بقاص يدعو بسجع فقال له أله الله تعالى أشهد لقد رأيت حبياً المسمى يدعو وما يزيد على قوله اللهم اجعلنا جدين اللهم لا تفضحنا يوم القيامة اللهم وقتنا للخير والناس يدعون من كل ناحية ورأه وكان يعرف بكذعائه وقال بعضهم ادع بلسان الذلة والافتقار للسان الفصاحة والانطلاق ويقال إن العلماء والأبدال لا يزيدون في الدعاء على سبع كلمات فنادوا ويشهد له آخر سورة البقرة فإن الله تعالى لم يغير في موضع من أدعية عباده أكثر من ذلك . وأسلم أن الراد بالسجع هو التكلف من الكلام فإن ذلك لا يلزم الضراعة والذلة والإفنى الأدعية للأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات متوازنة لكنها غير متكلفة كقوله صلى الله عليه وسلم «أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع القرين الشهود والركم السجود للوفين بالعهود إنك رحيم ودود وإنك تفعل ما تريد»^(٣) وأمثال ذلك فليقتصر على المأثور من الدعوات وأولئكم بلسان التضرع والخشوع من غير سجع وتكلف فالتضرع هو الم محبوب عند الله عز وجل . السادس : التضرع والخشوع والرغبة والرهبة قال الله تعالى - إنهم كانوا يسارعون في الحيرات ويدعوننا رغبا ورهبا - وقال عز وجل - ادعوا ربكم تضرعاً وخفية - وقال صلى الله عليه وسلم «إذا أحب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه»^(٤) . السابع : أن يجزم الدعاء ويوقن بالإجابة ويصدق بجاءه في قال صلى الله عليه وسلم «لا يقل أحدكم إذا دعا اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت ليعزم الشئ فإنه لا مكروه له»^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم «إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظم شيء»^(٦) وقال صلى الله عليه وسلم

كشوفهم اجتهدم
أخبرنا الشيخ الثقة
أبو القتيح محمد بن
عيسى الباقي قال أنا
أبو الفضل أحمد بن
أحمد قال أنا الحافظ
أبو نعيم الأصفهاني قال
ثنا محمد بن الحسين بن
موسى قال سمعت محمد
ابن عبد الله الرازي
يقول سمعت أبا محمد
الجزيري يقول سمعت
الجنيد رحمه الله عليه
يقول ما أخذنا الصوف
هرب القيل والقال
ولكن عن الجوع
وترك الدنيا وقطع
للأوقات والمحسنات
قال محمد بن خفيف
الإرادة هو القلب
لطلب الراد وحقيقة
الإرادة استدامة الجهد
وترك الراحة وقال
أبو عثمان الريد الذي
مات قلبه عن كل شيء
دون الله تعالى فبريد
الله وحده ويريد
قربه وبشتاق إلى
حتى تنهب شهوات
الدنيا عن قلبه لشدة

- (١) حديث سيكون قوم يمتدون في الدعاء وفي رواية والطهور د ه حب ك من حديث عبد الله بن مغفل
- (٢) حديث إياكم والسجع في الدعاء بحسب أحدكم أن يقول اللهم إني أسألك الجنة وماترب إليها من قول وعمل وأعوذ بك النار وماترب إليها من قول وعمل فريب بهذا السياق وللبخاري عن ابن عباس وانظر السبع من الدعاء فاجتبه فاني عهدت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يضعون إلا ذلك وله ك والفظة له وقال صحيح الاستاد من حديث عائشة عليك بالكوامل وفيه وأسألك الجنة إلى آخره
- (٣) حديث أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع القرين الشهود والركم السجود للوفين بالعهود إنك رحيم ودود وإنك تفعل ما تريد ت من حديث ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليلة حين فرغ من صلاته فذكر حديثاً طويلاً من جملة هذا وقال حديث غريب انتهى وفيه محمد ابن عبد الرحمن بن أبي ليلى سى الحفظ (٤) حديث إذا أحب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعاً ويصغى له
- (٥) الحديث فيه دعه فاني أحب أن أسمع صوته ولطبراني من حديث أبي أمامة إن الله يقول للملائكة انطلقوا إلى عبيدي ضبوا عليه البلاء الحديث وفيه فاني أحب أن أسمع صوته وستدعها ضيف (٥) حديث لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت ليعزم الشئ فإنه لا مكروه له متفق عليه من حديث أبي هريرة
- (٦) حديث إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظم شيء حب من حديث أبي هريرة .

وادعوا الله وأتمموا موقفون بالاجابة واعلموا أن الله عز وجل لا يستجيب دعاء من نادى به نائبا عنه (١) «وقال
سفيان بن عيينة لا يعين أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فإن الله عز وجل أجاب دعاء من نادى به نائبا عنه (٢) «وقال
أبو عبد الله إذا قال رب فأظنني في يوم يستجيبون قال فإنك من اللطيفين - الثامن : أن يأتى في الدعاء
ويكرره ثلاثا لا يتركه أبدا كان عليه السلام إذا دعا دعا ثلاثا أو نساء (٣) «ويأتي أن لا يسأل على
الاجابة لقوله صلى الله عليه وسلم «يستجاب لأحدكم ما لم يسأل فيقول قد دعوت فلم يستجب لي فإذا
دعوت فاسأل الله كثيرا فإنك تدعو كرميا (٤) «وقال بعضهم إن أسأل الله عز وجل منذ ثلاثين سنة
حاجة وما أجابني وأنا أرجو الاجابة سألت الله تعالى أن يوصي لترك مالي يعني وقال صلى الله عليه وسلم
«إذا سألت الله عز وجل حاجة فليقل الله الذي يشمه ثم الصالحات ومن أبطأ عشي
من ذلك فليقل الحمد لله على كل حال (٥) . التاسع : أن يفتح الدعاء بذكر الله عز وجل فلا يبدأ بالسؤال
قال سلمة بن الأكوع ما سمعت رسول الله ﷺ يفتح الدعاء إلا استفتح بقول سبحان ربّي الذي لا اله الا
هو (٦) «وقال أبو سليمان الدارمي رحمه الله عز وجل أن أسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم ثم يسأله حاجته ثم يفتح بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فإن الله عز وجل يقبل الصلوات
وهو أكرم من أن يدع ما بينهما وروي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «إذا سألت الله
عز وجل حاجة فابتدعها بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فإن الله تعالى أكرم من أن يدل حاجتين فيقبض إحداهما ورد
الأخرى (٧) «رواه أبو طالب الكوفي . العاشر : وهو الأدب بالابتن وهو الأصل في الاجابة للتبوء للظالم
والإقبال على الله عز وجل بكنه الحصة فذلك هو السبب القريب في الاجابة فيروي عن كعب الأسيار أنه
قال «أصاب الناس قطعت شديد على عبد موسى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج موسى يبي إسرائيل
يستسقي بهم فلم يسقوا حتى خرج ثلاث مرات ولم يسقوا فأوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام أن
لا تستجيب لك ولان هلك وفيك غم فقال موسى يارب ومن هو حتى تخرجه من بيتنا فأوحى الله
عز وجل إليه يا موسى أمهاكم عن النجاسة وأكون نماما فقال موسى لبي إسرائيل توبوا إلى ربكم
بأجمعكم عن النجاسة فتأبوا فأرسل تعالى عليهم الثلث . وقال سعيد بن جبير قطعت الناس في زمن ملك
من ملوك بني إسرائيل فاستسقوا فقال الملك لبي إسرائيل ليرسل الله تعالى علينا السماء أولئذ يهبط
له وكيف تخبر أن تؤذيه وهو في السماء فقال أهل أولياءه وأهل طاعته فيكون ذلك أذى له فأرسل
الله تعالى عليهم السماء وقال سفيان الثوري يلقى أن يبي إسرائيل قطعتوا سبع سنين حتى أكلوا للثمن
(١) حديث ادعوا الله وأتمموا موقفون بالاجابة واعلموا أن الله عز وجل لا يستجيب دعاء من نادى به نائبا عنه (٢) «وقال
سفيان بن عيينة لا يعين أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فإن الله عز وجل أجاب دعاء من نادى به نائبا عنه (٣) «وقال
أبو عبد الله إذا قال رب فأظنني في يوم يستجيبون قال فإنك من اللطيفين - الثامن : أن يأتى في الدعاء
ويكرره ثلاثا لا يتركه أبدا كان عليه السلام إذا دعا دعا ثلاثا أو نساء (٤) «ويأتي أن لا يسأل على
الاجابة لقوله صلى الله عليه وسلم «يستجاب لأحدكم ما لم يسأل فيقول قد دعوت فلم يستجب لي فإذا
دعوت فاسأل الله كثيرا فإنك تدعو كرميا (٥) «وقال بعضهم إن أسأل الله عز وجل منذ ثلاثين سنة
حاجة وما أجابني وأنا أرجو الاجابة سألت الله تعالى أن يوصي لترك مالي يعني وقال صلى الله عليه وسلم
«إذا سألت الله عز وجل حاجة فليقل الله الذي يشمه ثم الصالحات ومن أبطأ عشي
من ذلك فليقل الحمد لله على كل حال (٥) . التاسع : أن يفتح الدعاء بذكر الله عز وجل فلا يبدأ بالسؤال
قال سلمة بن الأكوع ما سمعت رسول الله ﷺ يفتح الدعاء إلا استفتح بقول سبحان ربّي الذي لا اله الا
هو (٦) «وقال أبو سليمان الدارمي رحمه الله عز وجل أن أسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم ثم يسأله حاجته ثم يفتح بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فإن الله عز وجل يقبل الصلوات
وهو أكرم من أن يدع ما بينهما وروي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «إذا سألت الله
عز وجل حاجة فابتدعها بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فإن الله تعالى أكرم من أن يدل حاجتين فيقبض إحداهما ورد
الأخرى (٧) «رواه أبو طالب الكوفي . العاشر : وهو الأدب بالابتن وهو الأصل في الاجابة للتبوء للظالم
والإقبال على الله عز وجل بكنه الحصة فذلك هو السبب القريب في الاجابة فيروي عن كعب الأسيار أنه
قال «أصاب الناس قطعت شديد على عبد موسى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج موسى يبي إسرائيل
يستسقي بهم فلم يسقوا حتى خرج ثلاث مرات ولم يسقوا فأوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام أن
لا تستجيب لك ولان هلك وفيك غم فقال موسى يارب ومن هو حتى تخرجه من بيتنا فأوحى الله
عز وجل إليه يا موسى أمهاكم عن النجاسة وأكون نماما فقال موسى لبي إسرائيل توبوا إلى ربكم
بأجمعكم عن النجاسة فتأبوا فأرسل تعالى عليهم الثلث . وقال سعيد بن جبير قطعت الناس في زمن ملك
من ملوك بني إسرائيل فاستسقوا فقال الملك لبي إسرائيل ليرسل الله تعالى علينا السماء أولئذ يهبط
له وكيف تخبر أن تؤذيه وهو في السماء فقال أهل أولياءه وأهل طاعته فيكون ذلك أذى له فأرسل
الله تعالى عليهم السماء وقال سفيان الثوري يلقى أن يبي إسرائيل قطعتوا سبع سنين حتى أكلوا للثمن

شوقه إلى ربه وقال
أيضا عقوبة قلب
للردين أن يعجزوا
عن حقيقة الامارات
والقامات إلى اضرابها
فهي بذان الطارقان
فيهمان أحوال
الصوفية وودوها طريقان
آخران ليسا من طرق
التحق بالصوف .
أحدها محبوب أبي
على جذبة مارد إلى
الاجتهاد بهر الكشف
والثاني مجتهد متعدد
ماخلص إلى الكشف
بعد الاجتهاد والصوفية
في طريقهما باب
مزيد من صحة طريقهم
بحسن التابعية ومن
ظن أن يبلغ غرضا
أو يظهر مجردا لامن
طريق التابعية فهو
مخدول مفرور . أخيرنا
شيخنا أبو النجيب
السهروزي قال أنا
عصام الدين عمر بن
أحمد الصغار قال أنا
أبو بكر أحمد بن علي
ابن خلف قال أنا أبو
عبد الرحمن قال سمعت

للزابل وأكلوا الأطفال وكانوا كذلك يخرجون إلى الجبال ليكون ويضرعون فأوحى الله عز وجل إلى أنبيائهم عليهم السلام لومشيتهم إلى بأقدامكم حتى تخفى ركبكم وتبلغ أيديكم عنان السماء وتكمل ألسنتكم عن الدعاء فإني لأجيب لكم داعيا ولأرحم لكم باكيا حتى تردوا للظالم إلى أهلها ففعلوا فظفروا من يومهم . وقال مالك بن دينار أصاب الناس في بني إسرائيل قحط فخرجوا مرارا فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم أن أخبرهم أنكم تخرجون إلى بأبدان نجسة وترضون إلى أكفنا قد فسكنكم بها النداء وملأتم بطونكم من الحرام الآن قد اشتد غضبي عليكم وإن تردادوا مني إلا بعدا . وقال أبو الصديق التاجي خرج سايان عليه السلام يستسقي فربملة ملأته على ظهرها رافعة قواعها إلى السماء وهي تقول اللهم إنا خلق من خلقك ولاغنى بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب غيرنا فقال سليمان عليه السلام ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم . وقال الأوزاعي خرج الناس يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال يا معشر من حضر ألسنم مقرن بالإساءة قالوا اللهم نعم فقال اللهم إنا قد سمعناك تقول - ما على المحسنين من سبيل - وقد أقرنا بالإساءة فهل تكون مغفرتك إلا لثنا اللهم فاغفر لنا ولرحمنا واستنا فرجع يديه ورفعوا أيديهم فسقوا وقيل لمالك بن دينار ادع لنا ربك قال إنكم تستبطون للطر وأنا أستبطي للحجارة وروى أن عيسى صاوت الله عليه وسلامه خرج يستسقي فها مشجوا قال لهم عيسى عليه السلام من أصاب منكم ذنبا فليرجع فرجعوا كلهم ولم يبق معه في المنازة إلا واحد فقال له عيسى عليه السلام أمالك من ذنب فقال والله ما علمت من شيء غير أني كنت ذات يوم أصلي فربت في امرأة فظفرت إليها يميني هذه فها جاوزتي أدخلت أصبعي في عيني فأنزعته وأبعت المرأة بها فقال له عيسى عليه السلام فادع الله حتى تؤمن على ذلك قال فدعا فتجلبت السماء سحابة ثم صبت فسقوا . وقال يحيى القساني أصاب الناس قحط على عهد داود عليه السلام فاختاروا ثلاثة من علمائهم فخرجوا حتى يستسقوا بهم فقال أحدهم اللهم إنك أنزلت في توراتك أن نفخ عن ظننا اللهم إنا قد ظننا أهنا فاعف عنا . وقال الثاني اللهم إنك أنزلت في توراتك أن نفث أرقاما اللهم إنا أرقاؤك فأعتقنا وقال الثالث اللهم إنك أنزلت في توراتك أن لا نرد للسالكين إذا وقفوا بأبوابنا اللهم إنا مساكينك وقفنا يابك فلا ترد دعاءنا فسقوا وقال عطاء السلمي مننا النبيث فخرجنا نستسقي فاذا نحن بمعدون المنجون في القابض فظفر إلى فقال باعطاء أهذا يوم التشور أوبعث ما في القبور فقلت لا ولكننا مننا النبيث فخرجنا نستسقي فقال باعطاء بقلوب أراضية أم بقلوب سبابة فقلت بل بقلوب سبابة فقال هيأت باعطاء قل للتهرجين لالتبرجين فان التافد بصير ثم رمق السماء بطفرة وقال ألمي وسيدى ومولاي لا تهلك بلادك بذنوب عبادك ولكن بالسلكون من أمثالك وماوارت الحجب من آلائك إلا ماسقينا ماء غدا فرأنا نحيي به العباد وتروى به السلايد يامن هو على كل شيء قدير قال عطاء فما استتم الكلام حتى أرعدت السماء وأبرقت وجادت بطر كافواها القرب فولى وهو يقول :

أفلق الزاهدون والمأبدون إذ لولاهم أجاعوا البطونا

أسهروا الأعين المليحة جبا فاقضى إليهم وهم ساهرون

شغلهم عبادة الله حتى حسب الناس أن فيهم جنونا

وقال ابن البارك قدمت المدينة في عام شديد القحط فخرج الناس يستسقون فخرجت معهم إذ أقبل غلام أسود عليه قفطان خيش قد أنزرا بحداهما وألقى الأخرى على ما فقه جلس إلى جاني فسمعت يقول ألمي أخلقت الوجوه عندك كثرة الذنوب ومسأوى الأعمال وقد حبست عناغيك السماء لتؤدب عبادك بذلك فأما أليها جبا إذا أنا لا يصر فعباده منه إلا الجبل أن تسقيهم الساعة الساعة فلم يزل يقول الساعة

نصر بن أبي نصر

يقول سمعت قسبا غلام

الزقاق يقول سمعت

أبا سعيد السكري يقول

سمعت أبا سعيد الخزاز

يقول كل باطن يخالفه

ظاهر فهو باطل وكان

يقول الخنيد رحمه الله

علنا هذا مثبتك

بعديت رسول الله

صلى الله عليه وسلم

وقال بعضهم من أمر

السنة على نفسه قولا

وقلنا نطق بالحكمة

ومن أمر الهوى على

نفسه قولا ولعل نطق

بالبدعة . حكى أن

أبا يزيد البسطامي

رحمته الله قال ذات يوم

لبعض أصحابه قم بنا

حتى ننظر إلى هذا

الرجل الذي قد شهر

غسه بالولاية وكان

الرجل في ناحية مقصودا

ومشهورا بالزهد

والصادة فمشينا إليه

فما خرج من بينه قصد

للمسجد في زفة نحو

القبلة فقال أبو يزيد

انصرفوا فانصرف

الساعة حتى اكتمت السماء بالنعيم وأقبل الطر من كل جانب قال ابن المبارك فبحث إلى الفضل فقال: يا أبا عبد الله كذا قلت أمر سبقتنا إليه غيرنا قولوا دوننا وتقصصت عليه النصة فصاح التفتيل وخرت بخصيا عليه ويروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى العباس رضي الله عنه فلما فرغ عمر من دعائه قال العباس اللهم إنه لم ينزل بلاء من السماء إلا نذبت ولم يكشف إلا بثوبة وقد توجه في القوم إليك لمكاني من نبيك صلى الله عليه وسلم وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة وأنت الراعي لا اله الا انت الضالة ولا تضرع الكبير بدار مضيقه قد ضرع الصغير ورق الكبير وارفت الأسماء بالشكوى وأنت تعلم السر وأخفى اللهم فأعظم فيناك قبل أن يقتلوا فيهاكوا فانه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون قال لما تم كلامه حتى ارتفعت السماء مثل الجبال .

(فضيلة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضله صلى الله عليه وسلم)

قال الله تعالى - إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما - وروي أنه صلى الله عليه وسلم « حاء ذات يوم والبشرى ترى في وجهه فقال عليه السلام فقال أمان رضي يا محمد أن لا يصل عليك أحد من أمتك صلاة واحدة إلا صليت عليه عسرا ولا يسلم عليك أحد من أمك إلا سلم عليك عسرا (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى علي صلت عليه الملائكة ماضى علي فليقل عند ذلك أو ليكثر (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن أولى الناس أكرهم علي صالة (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « حسب المؤمن من البخل أن أذكر عنده فلا يصل علي (٤) » وقال عليه السلام « أكرثوا من الصلاة علي يوم الجمعة (٥) » وقال عليه السلام « من صلى علي من أمي كتبت له عشر حسنات وعجت عنه عشر سيئات (٦) » وقال عليه السلام « من قال حين يسمع الأذان والإقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل علي محمد عبدك ورسولك وأعطه الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والشفاعة يوم القيامة حلت له شفاعة (٧) » وقال رسول الله عليه السلام « من صلى علي

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم جاز ذات يوم والبشرى ترى في وجهه فقال إنه جادى جبريل عليه الصلاة والسلام فقال أمان رضي يا محمد أن لا يصل عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عسرا ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلم عليك عسرا من حديث أبي طلحة بن أسد بن جبير (٢) حديث من صلى علي صلت عليه الملائكة ماضى فليقل عبد من ذلك أو ليكثر من حديث عامر بن ربيعة بأسناد ضعيف والطبراني في الأوسط بأسناد حسن (٣) حديث إن أولى الناس بأكرهم علي صلات من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب وحسب (٤) حديث بحسب امرئ من البخل أن أذكر عنده فلا يصل علي قاسم بن أصبغ من حديث الحسن بن علي هكذا ون وحسب من حديث أخيه الحسن البجلي من ذكرته عنده فلم يصل علي ورواه من رواية الحسين بن علي عن أبيه وقال حسن صحيح (٥) حديث أكرثوا علي من الصلاة يوم الجمعة دنه جبك وقال صحيح علي شرط من حديث أوس بن أوس وذكره ابن أبي حاتم في العلل وحكى عن أبيه أنه حديث منكر (٦) حديث من صلى علي من أمي كتبت له عشر حسنات وعجت عنه عشر سيئات ن في اليوم واليلة من حديث عمرو بن دينار وزاد فيه خلاصا من قلبه صلى الله عليه بها عشر صلوات ورضه بها عشر درجات ، وله في السير لابن جبان من حديث أنس نحوه دون قوله خلاصا من قلبه ودون ذكر نحو الميثاق ولم يذكر ابن جبان أيضا رفع الدرجات (٧) حديث من قال حين يسمع الأذان والإقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل علي محمد عبدك ورسولك وأعطه الوسيلة والفضيلة والشفاعة يوم القيامة حلت له شفاعة البخاري من حديث جابر دون ذكر الإقامة والشفاعة والصلاة علي النبي عليه السلام وقال النداء

وليسلم عليه وقال هذا رجل ليس عامون في أدب من أداب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون مأمونا علي ما يدعي من مقامات الأولياء والصديقين وسئل خادم النبي رحمه الله ماذا رأيت من عند موته فقال لما أمسك لسانه وعرق جبينه أشار إلي أن وضعتي للصلاة فوضأته فضمت خدي لحيته فقبض علي يدي وأدخل أصابعي في لحيتي فغلاها . وقال سهل بن عبد الله كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فاطل ههنا جال الصوفية وطريقهم وكل ممن يدعي حالا علي غير هذا الوجه فليدع مفتون كذاب .

[الباب الخامس في ملية التصوف]

أخبرنا الشيخ أبو زرعة طاهر بن أبي الفضل في كتابه قال أنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف

في كتاب لم يزل للامم يستفرون له مادام اسمي في ذلك الكتاب (١) وقال صلى الله عليه وسلم «إن في الأرض مائة سيحاح يلقونني عن أمي السلام» (٢) وقال عليه السلام «ليس أحد يسلم على إلا رد الله عليّ روحه حتى يرد عليه السلام» (٣) و«قل له يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد عبدك وعلى آله وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد» (٤) وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم يركي ويقول بأبي أنت وأمي يا رسول الله قد كان جند غطف الناس عليه فلما كثرت الناس أخذت منبرا لتسميهم فحين الجند لقرائك حتى جعلت يدك عليه فسكن فأمثك كانت أولى بالحنين إليك لما فرقتهم ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله قد بلغ من فضيلتك عنده أن جل طاعتك طاعته فقال عز وجل - من يطع الرسول فقد أطاع الله - بأبي أنت وأمي يا رسول الله قد بلغ من فضيلتك عنده أن أخبرك بالغو عنك قبل أن يخبرك بالذنب فقال تعالى - عفا الله عنك لم أذنت لهم - بأبي أنت وأمي يا رسول الله قد بلغ من فضيلتك عنده أن يشك آخر الأنبياء وذكر في أولهم فقال عز وجل - وإذا أخذنا من الدين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم - الآية ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله قد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا قد أطاعوك وهم بين أطاقتهم يمدون يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجرا تتصر منه الأنهار لشدنا بأعجب من أسامك حين تبع منها لاء صلى الله عليك بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان سليمان بن داود أعطاه الله الرخ غدوها شهر ورواحها شهر فاذا بأعجب من البراق حين سريته عليه إلى الباء السابعة ثم صليت الصبح من ليالك بالأطع صلى الله عليك بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان عيسى بن مريم أعطاه الله إحياء للوحي فاذا بأعجب من الشاة السمومة حين كلمتك وهي مشوبة فقالت لك الدراع لانا كلنا في مسمومة بأبي أنت وأمي يا رسول الله قد دعانا عنك على قومه القرب لا تدر على الأرض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا بثلث أهلكتنا كلنا فلقد دعوتني بظهورك وأدمي وجعك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيرا فقلت اللهم اغفر قومي فانهم لا يعلمون بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد اتبعك في قلة سنك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا في كثرة سنة وطول عمره ولقد آمن بك الكثير وما آمن معه إلا قليل بأبي أنت وأمي يا رسول الله لو لم تجالس إلا كفؤا لك ما جالسنا ولولم تتكلم

وللستغفري في الدعوات حين يسمع الدعاء للصلاة وزاد ابن وهب ذكر الصلاة والشفاععة فيه بسند ضعيف وزاد الحسن بن علي العمري في اليوم واليلية من حديث أبي البرداء ذكر الصلاة فيه وله وللستغفري في الدعوات بسند ضعيف من حديث أبي رافع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمع الأذان فذكر حديثا فيه وإذا قال قد قامت الصلاة قال اللهم رب هذه الدعوة التامة الحديث وزاد وتقبل شفاعته في أمته والمسلم من حديث عبد الله بن عمرو إذا سمع المؤمن قولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليّ ثم صلوا الله الوسيعة وفيه فمن سأل الوسيعة حلت عليه الشفاععة (١) حديث ابن أبي عمير عن أبي رافع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن في الأرض في الثواب وللستغفري في الدعوات من حديث أبي هريرة - بسند ضعيف (٢) حديث ابن أبي عمير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن في الأرض مائة سيحاح يلقونني عن أمي السلام تقدم في آخر الحج (٣) حديث ليس أحد يسلم على إلا رد الله عليّ روحه حتى يرد عليه السلام» (٤) من حديث أبي هريرة بسند جيد (٤) حديث قيل له يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله وأزواجه وذريته الحديث متفق

الشيخ أبي جازة قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال أنا إبراهيم ابن أحمد بن محمد ابن رجاء قال أنا عبد الله بن أحمد البغدادي قال أنا عثمان ابن سعد قال أنا عمر ابن أسد عن مالك ابن أنس عن تافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لكل شيء مفتاح ومفتاح الجنة حب للسالكين والفقراء الصبر هم جلساء الله تعالى يوم القيامة» فالقتر كائن في ماهية التصوف وهو أساسه وبه قوامه . قال ربيع التصوف مبني على ثلاث خصال التمسك بالقرآن والافتقار والتحقيق بالبدن والإيثار وترك التعرض والاختيار وقال الجليل وقد مثل عن التصوف فقال أن تكون مع الله بلا علاقة . وقال :

إلا كفت لك ما تكسبت إلينا ولولم تؤاكل إلا كنؤا لآلئنا وكأنا: فآد الله. البقا ونكسبت إلنا ووا كلئنا وليست الصوف وركبت الحمار وأردفت خاتك ووسمت طأاك على الأرض ولعلت أصابعك تواضعا منك صلى الله عليه وسلم (١). وقال بعضهم كنت أكتب الحديث وأصلى على النبي صلى الله عليه وسلم فيه ولا أسلم فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي أبايتم الصلاة على في كتابك فما كتبت بعد ذلك إلا صليت وصليت عليه بروى عن أبي الحسن قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يارسول الله هم جوزى الشافعي عنك حيث يقول في كتابه الرسالة ودلى الله على محمد كلما ذكره القادرون وغفل عن ذكره الغافلون فقال صلى الله عليه وسلم جوزى عنى أنه لا يوقف للحساب.

(فضيلة الاستغفار)

قال الله عز وجل - والذين إذا ضلوا فأحسوا خطيئتهم وأظهروا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم - وقال عقلمة والأسود قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنهم في كتاب الله عز وجل آيتان ما أذن به عبدنا قهرهما واستغفرا عن عز وجل لا يغفر الله تعالى له - والذين إذا ضلوا فأحسوا خطيئتهم وأظهروا أنفسهم - الآية وقوله عز وجل - ومن بدل موعدا أو ظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما - وقال عاز وجل - فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا - وقال تعالى - وللمستغفرين بالأسفار - وكان صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول « سبحانك اللهم ومحمدك اللهم اغفر لى إنك أنت التواب الرحيم (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من أكثر من الاستغفار جعل الله عز وجل له من كل ثم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « إنى لأستغفر الله تعالى وأتوب إليه في اليوم

عليه من حديث أبي حميد الساعدي (١) حديث عمر في حين الجذع ونبع الماء من بين أصابعه والاسراء به على البراق إلى السماء السابعة ثم صلاة الصبح من ليته بالأبطح وكلام الشاة السمومة وأنه دى وجهه وكسرت رباعيته فقال اللهم اغفر لقوى فانهم لا يعلمون وأنه لبس الصوف وركب الحمار وأردف خلفه ووضع طعامه بالأرض ولقى أصابعه وهو غريب بطوله من حديث عمر وهو معروف من أوجه أخرى فحدث حين الجذع متفق عليه من حديث جابر وابن عمر وحدث نبع الماء من بين أصابعه متفق عليه من حديث أنس وغيره وحدث الاسراء متفق عليه من حديث أنس دون ذكر صلاة الصبح بالأبطح وحدث كلام الشاة السمومة رواه د من حديث جابر وفيه انقطاع وحدث أنه دى وجهه وكسرت رباعيته متفق عليه من حديث سهل بن سعد في غزوة أحد وحدث اللهم اغفر لقوى فانهم لا يعلمون رواه البيهقي في دلائل النبوة والحديث في الصحيح من حديث ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم حكاه عن نبي من الأنبياء ضربه قومه وحدث لبس الصوف رواه الطيالسي من حديث سهل بن سعد وحدث ركوبه الحمار وإردافه خلفه متفق عليه من حديث أمامة بن زيد وحدث وضع طعامه بالأرض رواه أحمد في الزهد من حديث الحسن ومرسلا ولبخارى من حديث أنس ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان قط وحدث لعقه أصابعه رواه مسلم من حديث كعب بن مالك وأنس بن مالك (٢) حديث كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول سبحانك اللهم ومحمدك اللهم اغفر لى إنك أنت التواب الرحيم الحاكم من حديث ابن مسعود وقال صحيح إن كان أبو عبيدة مع من أبيه والحديث متفق عليه من حديث عائشة أنه كان يكثر أن يقول ذلك في ركوعه وسجوده دون قوله إنك أنت التواب الرحيم (٣) حديث من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل ثم فرجا ومن كل غم مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب دن في اليوم واليلة وهكذا وقال صحيح الإسناد من حديث ابن عباس وضمه ابن حبان .

معروف الكرخي
التصوف الأخشد
بالخلائق واليأس مما
في أيدي الخلائق فمن
لم يتحقق بالفقر لم
يتحقق بالتصوف .

وسئل الشبلي : عن
حقيقة الفقر فقال
أن لا يستغنى بشئ
دون الحق . وقال
أبو الحسين النودي
نمت الفقير السكون
عند العلم والبذل
والإثراء عند الوجود .

وقال بعضهم إن الفقير
الصادق ليحترق من
انفى حذر أن يدخل
عليه النقى فيفسد
فقره كأن النقى يحترق
من الفقير حذر أن
يدخل عليه الفقر
فيفسد عليه غناه .

وبالاسناد الذي سبق
إلى أبي عبد الرحمن
قال سمعت أبا
عبد الرحمن الرازي
يقول سمعت مظهرا
القميبيسي يقول
الفقير الذي لا يكون
له إلى الله حاجة قال

سبعين مرة (١) « هذا مع أنه صلى الله عليه وسلم غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وقال صلى الله عليه وسلم « إنه إيمان في قلبي حتى يأتي لأستغفر الله تعالى في كل يوم مائة مرة (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من قال حين يأوي إلى فراشه أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر أو عدد رمل مالج أو عدد ورق الشجر أو عدد أيام الدنيا (٣) » وقال عليه السلام في حديث آخر « من قال ذلك غفرت ذنوبه وإن كان فاراً من الزحف (٤) » وقال حذيفة كنت ذرب اللسان على أهلي قلت « يا رسول الله لقد خشيت أن يدخلني لاني النار فقال النبي صلى الله عليه وسلم فأين أتت من الاستغفار فاني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة (٥) » وقالت عائشة رضي الله عنها قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن كنت ألمت بذنب فاستغفر الله وتوب إلى إليه فإن التوبة من الذنب التدم والاستغفار (٦) » وكان صلى الله عليه وسلم يقول في الاستغفار « اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وماأنت أعلم به مني اللهم اغفر لي هزلي وجدي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وماأخرت وماأسررت وماأعلنت وماأنت أعلم به مني أنت القدم وأنت اللأخر وأنت على كل شيء قدير (٧) » وقال علي رضي الله عنه كنت رجلاً إذا صمت من رسول الله ﷺ حديثاً فتنى الله عز وجل بما شاء أن يفضي منه وإذا حدثني أحد من أصحابي استحلفته فإذا حلف صدقته قال وحديثي أبو بكر وصدق أبو بكر رضي الله عنه قال صمت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مامن عبد بذنب ذنب فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله عز وجل إلا غفر له ثم تلا قوله عز وجل - والذين إذا ضلوا فأحسوا ضلالتهم وأظلموا أنفسهم - (٨) » الآية . روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب

(١) حديث إلى لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم سبعين مرة من حديث أبي هريرة إلا أنه قال أكثر من سبعين وهو في الدعاء للطبراني كما ذكره المصنف (٢) حديث إنه ليغان على قلبي حتى إني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة من حديث الأعرابي (٣) حديث من قال حين يأوي إلى فراشه أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر الحديث من حديث أبي سعيد وقال غريب لا تعرفه إلا من حديث عبد الله بن الوليد الوصافي . قلت الوصافي وإن كان ضعيفا فقد تابعه عليه عمام بن قدامة وهو ثقة رواه في التاريخ دون قوله حين يأوي إلى فراشه وقوله ثلاث مرات (٤) حديث من قال ذلك غفرت ذنوبه وإن كان فارا من الأخطاف من حديث زيد مولى النبي صلى الله عليه وسلم وقال غريب قلت ورجاله موثقون ورواه ابن مسعود وكان من حديث ابن مسعود وقال صحيح على شرط الشيخين (٥) حديث حذيفة كنت ذرب اللسان على أهلي الحديث وفيه أن أمت عن الاستغفار ن في اليوم واليلة و لا وقال صحيح على شرط الشيخين (٦) حديث عائشة إن كنت ألمت بذنب فاستغفري الله فإن التوبة من الذنب الندم والاستغفار متفق عليه دون قوله فإن التوبة إلخ وزاد أبو توبى إليه فإن البعد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه والطبراني في الدعاء فإن البعد إذا أذنب ثم استغفر الله غفر له (٧) حديث كان يقول اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وماأنت أعلم به مني اللهم اغفر لي جدي وهزلي متفق عليه من حديث أبي موسى واللفظ لمسلم (٨) حديث على بن أبي بكر ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله لاغفر الله له أحباب السنن وحسنه ت .

وعنه قول سائر
أبا بكر الصري عن
القدير فقال الذي
لا يهلك ولا يهلك (قوله)
لا يكون له إلى
الله حاجة) معناه
أنه مشغول بوظائف
عبوديته تام الخلة
بربه عالم بحسن كلامه
به لا عوج إلى رفع
الاجابة لملحه بالله
عنه فرى السؤال في
الدين زيادة ، و بوال
للمشايق تنوع معانيها
أنهم أشاروا فيها إلى
أحوال في أوقات دون
أوقات وتحتاج في
تصديق بعضها من
البص إلى الضوابط
تقد تذكر أشياء
في معنى التصوف
دكر مثلها في معنى
النقر وتذكر أشياء
في معنى النقر ذكر
مثلها في معنى التصوف
وحيث وقع الاشتباه
فلا بد من بيان فاصل
قد تشبه الاشارات
في النقر بمعاني الزهد
تارة ومعاني التصوف

وتزوع واستغفر مقل قلبه منها فان زاد زادت حتى تعلق قلبه ^(١) فذلك الزان الذي ذكره الله عز وجل في كتابه - كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون - وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « إن الله سبحانه ليرفع الدرجة للعبد في الجنة فيقول يارب أنى لي عذبه فيقول عز وجل باستغفار ولدك لك ^(٢) » وروى عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم قال « اللهم اجبني من الدين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أسأوا استغفروا ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أذنب العبد ذنباً قال اللهم اغفر لي فيقول الله عز وجل أذنب عبدى ذنباً فلم أن له ربا يأخذ بالدين ويفتر الدين، عبدى عمل ما شئت قد غفرت لك ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما أصبر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة ^(٥) » وقال ^(٦) « إن رجلاً لم يعمل خيراً قط نظر إلى السماء فقال إنى ربا يارب فاغفر لي فقال الله عز وجل قد غفرت لك ^(٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « من أذنب ذنباً فلم أن الله قد اطلع عليه غفر له وإن لم يستغفر ^(٨) » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى لعباده كلكم مذنب إلا من تافهته استغفرون أغفر لكم ومن علم أنى ذو قدرة على أن أغفر له غفرت له ولا أبالي ^(٩) » وقال ^(١٠) « من قال سبحانك قلت نفس وعملت سوءاً فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت غفرت له دنوبه ولو كانت كدب الخلق ^(١١) » وروى « إن أفضل الاستغفار اللهم أنت ربى وأنا عبدك خلقتنى وأنا على عبدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بك بنقصي قد ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي ما قدمت منها وما أخرت فإنه لا يغفر الذنوب جميعاً إلا أنت ^(١٢) » الآثار : قال خالد بن معدان يقول اغفر اغفر وجل إن أحب عبدي إلى التحابون بحبي ولشدة تعلقهم بالمساجد والمستغفرون بالأسحار أولئك الذين إذا أردت ^(١) حديث أبي هريرة أن للؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب وتزوع واستغفر مقل قلبه الحديث وصححه ون في اليوم واليلة و ه حبك ^(٢) حديث أبي هريرة إن الله ليرفع العبد الدرجة في الجنة فيقول يارب أنى لي هذه فيقول باستغفار ولدك لك رواه أحمد بإسناد حسن ^(٣) حديث عائشة اللهم اجبني من الدين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أسأوا استغفروا وفيه على ابن زيد بن جهمان مختلف فيه ^(٤) حديث إذا أذنب العبد قال اللهم اغفر لي يقول الله أذنب عبدى ذنباً فلم أن له ربا يأخذ بالدين ويفتر الدين الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة ^(٥) حديث ما أصبر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة د من حديث أبي بكر وقال غريب وليس إسناده بالقوى ^(٦) حديث إن رجلاً لم يعمل خيراً قط نظر إلى السماء قال إنى ربا يارب اغفر لي فقال الله تعالى قد غفرت لك لم أقصه على أصل ^(٧) حديث من أذنب فلم أن الله قد اطلع عليه غفر له وإن لم يستغفر الطبراني في الأوسط من حديث ابن مسعود بسند ضعيف ^(٨) حديث يقول الله لعباده كلكم مذنب إلا من تافهته فاستغفرون أغفر لكم ومن علم أنى ذو قدرة على أن أغفر له غفرت له ولا أبالي ت ه من حديث أبي ذر وقال ت حسن وأصله عندهم بلفظ آخر ^(٩) حديث من قال سبحانك ظلمت نفسي وعملت سوءاً فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت غفرت ذنوبه وإن كانت كدب الخلق البقي في الدعوات من حديث على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا أعلمك كلمات خولهن لو كان عليك كدب الخلق أو كدب النور ذنوباً غفرها الله لك فذكره زيادة لإله إلا أنت في أوله وفيه ابن لهجة ^(١٠) حديث أفضل الاستغفار اللهم أنت ربى وأنا عبدك وأنا على عبدك ووعدك ما استطعت الحديث غ من حديث هناد بن أوس دون قوله وقد ظلمت نفسي واعترفت بذنبي وودون قوله ذنوبي ما قدمت منها وأخرت وودون قوله جميعاً .

تارة ولا يتبين المسترشد بعضها من البعض . فتقول التصوف غير الفقر والزهد غير الفقر والتصوف غير الزهد فالتصوف اسم جامع لمعاني الفقر ومعاني الزهد مع مزيداً وصف وإضافات لا يكون بدونها الرجل صوفياً وإن كان زاهداً وفقيراً . قال أبو حفص التصوف كله آداب لكل وقت وأدب ولكل حال أدب ولكل مقام أدب فمن لم أدب الأوليات بلغ مبلغ الرجال ومن ضيع الآداب فهو بعيد من حيث يظن القسرب ومردود من حيث يرجو القبول . وقال أيضاً حسن آداب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن لأن الله صلى الله عليه وسلم قال « لو خشع قلبه لحفمت جوارحه » . أغفرنا الشيخ يرضى الدين أحمد بن إسماعيل إجازة

أهل الأرض بقوة ذكركم فتركهم وصرفت العقوبة عنهم . وقال قتادة رحمه الله القرآن يدلكم على ذلكم ودواكم أما داؤكم فالتوب . وأما داؤكم فالاتستفار . وقال علي كرم الله وجهه العجب عن بهلك وبمه النجا قبل وماي قال الاستفجار وكان يقول ما ألمت الله سبحانه عبدا الاستغفار وهو يريد أن يعذبه وقال الفضيل قول العبد أستغفر الله فصرها ألقى وقال بعض العلماء العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحها إلا الحمد والاستغفار وقال الربيع بن خثيم رحمه الله لا يتبرأ أحدكم من الله وأتوب إليه فيكون ذنبا وكذبا إن لم يفعل ولكن ليقول اللهم اغفر لي وتب علي وقال الفضيل رحمه الله الاستغفار بلا إقلاع توبة الكنديين وقالت رابعة المدوية رحمه الله استغفارتنا يحتاج إلى استغفار كثير وقال بعض الحكماء من قدم الاستغفار على التدم كان مستهزئا بالله عز وجل وهو لا يعلم وصح أعرابي وهو متعلق بأستار الكعبة يقول اللهم إن استغفرك مع إصراري لأؤم وإن تركي استغفارك مع علي بسعة عفوك لعجزكم تنجب إلى بالمع غناك عني . وكتم أنبتني إليك بالمساعي مع تفرق إليك يا من إذا وعد وفى وإذا أوعد غفا أدخل عظيم جرمي في عظيم عفوك يا رحمن الرحيم وقال أبو عبد الله الوراق لو كان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوبا لحيت عنك إذا دعوت ربك بهذا الدعاء غفلسا إن شاء الله تعالى . اللهم إنى استغفرك من كل ذنب تبت إليك منه ثم عدت فيه واستغفرك من كل ما وعدتك به من نسي ولم أوف لك به واستغفرك من كل عمل أردت به وجهك غافلته غيرك واستغفرك من كل نعمة أنعمت بها على فاستغفرت بها على مصيبتك واستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب أتيت فيه ضياء النهار وسواد الليل في ملا أؤخلاء وسر وعلاية يا حليم ويقال إنه استغفار آدم عليه السلام وقيل الحضر عليه الصلاة والسلام .

(الباب الثالث في أدعية مأثورة ومعزية إلى أسبابها وأربابها مما يستحب

أن يدعو بها لله صابحا ومساء ويقب كل صلاة)

فأما : دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ركعتي الفجر قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني العباس إلى رسول الله ﷺ فأتيت به مسيا وهو في بيت خالتي يموتة فقام يصلي من الليل ففاض لي ركعتي الفجر قبل صلاة الصبح قال « اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملى وتلم بها شفى وترد بها الفتن عني وتصلح بهاديني وتحفظ بها غائى وترفع بها شهادى وترزى بها عملى وتبين بها وجهى وتلهمنى بهارشدى وتصفى بهامنى كل سوء اللهم أعطنى إيمانا صادقا وقينا ليس بعده كفر ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة اللهم إني أسألك الفوز عند القضاء ومنال الشهادة وعيش السعادة والنصر على الأعداء ومرافقة الأنبياء اللهم إني أزل بك حاجتى وإن ضعف رأيى وقلت حاجتى وقصر عملى واقتربت إلى رحمتك فأسألك يا كافى الأمور ويا شافى الصدور كما تحب بين البجور أن تجيرنى من غلاب السمر ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم ماقصر عنه رأيى وضعف عنه عملى ولم تبلغه نيق وأمنيتى من خير وعدته أحدا من عبادك أو خير أنت معطيه أحدا من خلقك فإني أرغب إليك فيه وأسألك يا رب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين حربا لأعدائك وصلى لأوليائك تحب بحبك من أطاعك من خلقك ونسأدى بصدائك من خالفك من خلقك اللهم هذا الدعاء عليك الاجابة وهذا الجهد عليك الشكران ولا تأخذوا إلينا إليرا جسون ولا حول ولا قوة إلا بالله إلى العظيم ذى الجلال الشديد والأمر الرشيد أسألك الآن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع القرين الشهود والركع السجود والوفى بالهود إنك رحيم ودود وأنت تفعل ما تريد سبحان الله

(الباب الثالث في أدعية مأثورة)

قال أنا الشيخ أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمد بن أبي السوفى يقول سمعت عبد الله بن علي بن قول مثل أبو محمد الجبري عن التصوف قال الدخول في كل خلق صفى والخروج عن كل خلق دنى فإذا عرف هذا المنى في التصوف من حصول الأخلاق ، تبدلها واعتبر بيقينه يعلم أن التصوف فوق الزهد وفوق الفقر وقيل نهاية الفقر مع شرفه هو بداية التصوف وأهل الشام لا يعرفون بين التصوف والفقر يقولون قال الله تعالى سلفقراء الذين أحصروا في سبيل الله هذا وصف الصوفية والله تعالى صامم فقراء وسأوضح معنى يفتقر الحال به بين التصوف والفقر قول الفقير في فقره

لبس العز وفاله سبحانه الذي تطلق الجحد وتكرم به سبحانه الذي لا يبيح الله سبحانه ذى الفضل والتم سبحانه ذى العز والكرم سبحانه الذي أحصى كل شيء بعينه اللهم اجعلنى نوراً فى قاي ونورا فى قبري ونورا فى سمى ونورا فى بصري ونورا فى شبرى ونورا فى عبرى ونورا فى شالى فى دمي ونورا فى عظامي ونورا من بين يدي ونورا من خلفي ونورا عن يميني ونورا عن شمالي ونورا من فوقى ونورا من تحتي اللهم زدنى نورا وأعطنى نورا واجعلنى نورا (١) .

(دعاء عائشة رضى الله عنها)

قال رسول الله ﷺ لما تشرى الله عنها « عليك بالجوامع الكوامل قولى اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل وأسألك من الخير ما سألك عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وأستعيذك بما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ وأسألك ما قضيتنى من أمر أن تجعل عاقبتى شديداً برحمتك يا أرحم الراحمين (٢) » .

(دعاء فاطمة رضى الله عنها)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فاطمة ما يملك أن تسمى ما أوصيك به أن تهوى : يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث لاستكنفى إلى نفسى طرفة عين وأصلح لى شأنى كله (٣) » .

(دعاء أبى بكر الصديق رضى الله عنه)

علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أباً بكر الصديق رضى الله عنه أن يقول « اللهم إني أسألك بمحمد نبيك وإبراهيم خليلك وموسى نبيك وعيسى كلمتك وروحك وتورا موسى وإجيل عيسى ووزر داود وفرقان محمد ﷺ وعليهم أجمعين وبكل روحى وأحيته وأقضاء قضيت أوسائل أعطيت أوعى أقرته أوقير أغنيته أوصال هديته وأسألك باسمك الذى أنزلته على موسى صلى الله عليه وسلم وأسألك باسمك الذى يشت به أرزاق العباد وأسألك باسمك الذى وضعت على الأرض فاستقرت وأسألك باسمك الذى وضعت على السموات فاستقلت وأسألك باسمك الذى وضعت على الجبال فرست وأسألك باسمك الذى استقل به عرشك وأسألك باسمك الظهر الطاهر الأحد الصمد الوتر للزل فى كتابك من لدتك من النور للبين وأسألك باسمك الذى وضعت على النهار فاستار وعلى الليل فأظلم وبطنك وكبرائك وبنور وجهك الكريم أن ترزقنى القرآن والملم به وتخلطه بلحمى ودمى وسمى وبصرى وتستعمل به جسدى بموتك وقوتك فله لا حول ولا قوة إلا بك يا أرحم الراحمين (٤) » .

(١) حدث ابن عباس اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شمل وتلم بها شتى الحديث وقال غريب ولم يذكر في أوله بسم المباس لانه عبدالله ولا نومه في بيت ميمونة وهو بهذه الزيادة في الدعاء للطبراني (٢) حديث قوله لعائشة عليك بالجوامع الكوامل قولى اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم الحديث . و ك وصححه من حديثها (٣) حديث فاطمة ما يملك أن تسمى ما أوصيك به أن تهوى يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث لاستكنفى إلى نفسى طرفة عين وأصلح لى شأنى كله ن فى اليوم واليلة وك من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين (٤) حديث علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أباً بكر الصديق رضى الله عنه أن يقول اللهم إني أسألك بمحمد نبيك وإبراهيم خليلك وموسى نبيك وعيسى كلمتك الحديث فى الدعاء لحفظ القرآن رواه أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب من رواية

متنكب به متحقق
بخضه يؤثره على
التقى متطلع إلى
ما تحق من العوض
عند الله حيث يقول
رسول الله صلى الله عليه
وسلم « يدخل فقراء
أمتي الجنة قبل الأغنياء
تصف يوم وهو حسبة
عام » فكلمنا لاحظ
العوض الباقى أسك
عن الحاصل القانى
وعائق الفقر والقة
وخشى زوال الفقر
لنوات القضية والعوض
وهذا عين الاعتلال فى
طريق الصوفية لأنه
تطلع إلى الأعواض
وترك لأجلها والصوفى
يترك الأشياء
للاأعواض الموعودة
بل للأحوال الوجودية
فانه ابن وقته وأضا
ترك الفقر الحظ
العاجل واغتنامه
الفقر اختيار منه
وإرادة والاختيار
والإرادة علة فى حال
الصوفى لأن الصوفى
صار قائماً فى الأشياء

(دعاء بريدة الأسلمي رضي الله عنه)

روى أنه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا بريدة ألا أعلمك كلمات من أراد الله به خيراً علمهن إياه ثم لم يسنهن إياه أبداً قال قلت بلى يا رسول الله قال قل : اللهم إني ضعيف فقوّ في رضاك ضعفي وخذ لي الحشر بناصيتي واجعل الإسلام منتهى رضاك اللهم إني ضعيف فقوّني وإني ذليل فأعزني وإني فقير فأغنني يا أرحم الراحمين (١) » .

(دعاء قبيصة بن الحارث)

إذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « على كلمات ينفعني الله عز وجل بها فقد كرسني وعجزت عن أشياء كثيرة كنت أعملها فقال عليه السلام أما لديك فإذا صليت المائدة قتل ثلاث مرات سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فانك إذا قلتين أمنت من الهم والجذام والبرص والفالج وأما آخرتك قتل اللهم اهْدِنِي مِنْ عِنْدِكَ وَأَنْصُرْنِي عَلَى مَنْ ضَلَّكَ وَانْتَرَحِلْ مِنْ رَحْمَتِكَ وَأَنْزِلْ عَلَيَّ مِنْ بَرَكَاتِكَ ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا إِيَّاهُ إِذَا وَفَى بِهِنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِمَنْ يَهْدِيهِمْ فَتَحَّ لَهُ أَرْبَعُ أَبْوَابٍ مِنَ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ (٢) » .

(دعاء أبي الدرداء رضي الله عنه)

« قيل لأبي الدرداء رضي الله عنه قد احترقت دارك وكانت النار قد وقعت في محلك فقال ما كان الله ليفعل ذلك قيل له ذلك ثلاثا وهو قول ما كان الله ليفعل من ذلك ثم أتته آت فقال يا أبا الدرداء إن النار حين دنت من دارك طشتت قال قد فعلت ذلك قيل له ما تدرى أي قوليك أعجب قال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من قول هؤلاء الكلمات قيل أو تهازل لم يضر مني . وقد قلتن وحسب اللهم أنت ربّي لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت ربّ العرش العظيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يألَمْ لم يكن أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم (٣) » .

(دعاء الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام)

كان يقول إذا أصبح اللهم إن هذا خاق جديد فاتحه على بطاعتك واختمه لي بمغفرتك ورضوانك وارزقني فيه حسنة تقبها مني وزكها وضفيها إلي وما علمت فيه من سيئة فاغفرها لي إنك غفور رحيم ودود كريم قال ومن دعا بهذا الدعاء إذا أصبح فقد أدى شكر يومه .

(دعاء عيسى صلى الله عليه وسلم)

كان يقول اللهم إني أصبحت لا أستطيع دفع ما كره ولا أملك نفع ما أريد وأصبح الأمر يدور بي وأصبحت مرتبنا بعلمي فلا تقبر أقرمي اللهم لا تشمتني عدوي ولا تؤذي صديقي ولا تجعل لأجمل مصلحتي في ديني ولا تجعل الدنيا أكبر همي ولا تسلط علي من لا رحمتي يا حي يا قيوم .

عبد الملك بن هارون بن عبثة عن أبيه أن أبا بكر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني أعلم القرآن ويضلت مني فذكره وعبد الملك وأبوه ضعيفان وهو منقطع بين هارون وأبي بكر .

(١) حديث يا بريدة ألا أعلمك كلمات من أراد الله به خيراً علمهن إياه الحديث ك من حديث بريدة وقال صحيح الإسناد (٢) حديث إن قبيصة بن الحارث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على كلمات ينفعني الله بها فقد كرسني وعجزت الحديث ابن السني في اليوم الليلة من حديث ابن عباس وهو عند أحد في السند مختصراً من حديث قبيصة نفسه وفيه رجل لم يسم (٣) حديث قيل لأبي الدرداء احترقت دارك فقال ما كان الله ليفعل ذلك الحديث الطبراني في الدعاء من حديث أبي الدرداء ضعيف

بإرادة الله تعالى لا بإرادة نفسه فلا يرى فضيلة في صورة قمر ولا في صورة غنى وإغنا يرى الفضيلة في بوقه الحق فيه ويدخله عليه ويعلم الاذن من الله تعالى في الدخول في الشيء وقد يدخل في صورة سمعة مائة للقر باذن من الله تعالى ويرى الفضيلة حينئذ في السمعة لمكان الاذن من الله فيه ولا يفسح السمعة والدخول فيها صادقاً إلا بسند إحكامهم علم الاذن وفي هذا مرة للأقدام وباب دعوى المدعين وما من حال تحقق به صاحب الحال إلا وقد يحكيه ركب الحال لهلك من هلك عن بيته وبعثا من حي عن بيته فاذا اتضح ذلك ظهر الفرق بين الفقر والتسوف وعلم أن التسفر أساس التصوف وبه قوامه على معنى أن الوصول

(دعاء الحذر عليه السلام)

يقال إن الحذر والياس عليهما السلام إذا التفتا في كل موسم لمتمقا إلا عن هذه الكلمات : باسم الله ماشاء الله لا قوة إلا بالله ماشاء الله كل نعمة من الله ماشاء الله الحذر كله بيد الله ماشاء الله لا يصرف السوء إلا الله فن قلنا فلا تسمعرات إذا أصعب أمن من الحرق والفرق والسرقة إن شاء الله تعالى .

(دعاء معروف الکرمی رضی اللہ عنہ)

قال محمد بن حسان قال ي معروف الكرخي رحمه الله ألا أعلمك عشر كلمات خسي ولدينا خسر
الأخر من دماء الله عز وجل بهن" و جد الله تعالى عندهن" قلت أكتبها لي قال لا ولكن أرددها عليك
كما رددتها علي" بكر بن خنيس رحمه الله : حسي الله لديني حسي الله لديني حسي الله الكرمي لما
أهمني حسي الله الحليم القوي لمن يني" علي" حسي الله الشديد لمن كادني بسوء حسي الله الرحيم عند
الموت حسي الله الرؤوف عند السلة في القبر حسي الله الكرمي عند الحساب حسي الله اللطيف عند
الزئان حسي الله القدير عند الصراط حسي الله الإله الإله عليه توكلت وهو رب العرش العظيم
وقد روى عن أبي البرداء أنه قال : من قال في كل يوم سبع مرات" فان تولوا قتل حسي الله الإله الإله
عليه توكلت وهو رب العرش العظيم" كفاه الله من رجل ما أمه من أمر آخرته صادقا كان أو كاذبا.

(دعاء عتبة الغلام)

وقد روى في التمام بعد موته فقال دخلت الجنة بهذه الكلمات : اللهم يا هادي الضالين ويا راحم اللذنين
ويا مقيل عثرات العائرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم وللسلمين كلهم اجمعين واجعلنا مع الأخيار
والرؤوفين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يا رب العالمين .

(دعاء آدم عليه الصلاة والسلام)

قالت عائشة رضي الله عنها لما أراد الله عز وجل أن يزوجني آدم صلى الله عليه وسلم طالع باليتسبب وهو يومئذ ليس بربو حمرأ ثم قام فضلى ركعتين ثم قال اللهم إنك تعلم سرى وعلايتي فأقبل معذرتي وتعلم حاجتي فأعطني سؤلتي وتعلم ما في نفسي فأغفر لي ذنوبي اللهم إني أسألك إيماناً يمشى قلبي ويقيماً صادقاً حقاً أعلم أنه إن صيرني إلماً ما كتبه على والربنا بما قسمت لي ياذا الجلال والإكرام فأوحى الله عز وجل إلي إنني قد غفرت لك ولم يأتني أحد من ذريتك فبدعوني بمثل الذي دعوتني به إلى الغفرت له وكشفت غمزه وهو مه وتزعت القر من بين عينيه وأجمرت له من وراء كل تاجر وجاءته الدنيا وهي راغمة وإن كان لأرسلها .

(دعاء علی بن ابی طالب رضی اللہ عنہ)

رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَجِدُ قَسَمَهُ كُلَّ يَوْمٍ يَقُولُ إِنِّي أَنَا اللَّهُ بِالنَّاسِ الْعَالَمِينَ
إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا أَلْحَى الْقِيَوْمِ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا أَلْحَى الْعَظِيمِ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا أَلَمَّا وَهُوَ أَوَّلُهُ
إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا الْعَفْوُ الْغُفُورُ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا مَبْدِئُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَى مَوْلا الْمَرْزُوقِ الْحَكِيمِ الرَّحْمَنُ
الرَّحِيمُ مَا لَكَ يَوْمَئِذٍ خَالٍ مِنَ الْخَيْرِ وَالتَّوْحَاتٍ مِنَ الْجَنَّةِ وَالتَّارِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ الْقَرْدِ الصَّعْدِ السَّعْدِ تَتَخَذُ
صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا الْقَرْدُ أَلَمُ الْوَتْرِ عَالَمُ التَّيِّبِ وَالشَّهَادَةُ لِلَّهِ الْقُدُّوسِ السَّلَامُ الْوُثْنُ لِلْجَمِينِ الْفَرْزُ الْجَبَّارِ
لِلتَّكْبَرِ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الصُّورُ الْكَبِيرُ لِلتَّمَالِقِ الْقَدَرِ الْقَهَّارِ الْحَكِيمِ الْكَرِيمِ أَهْلُ الثَّنَاءِ وَلِلْجَبْدِ الْعَالِسِ
وَأَخِي الْقَادِرِ الرِّزْقِ فَوْقَ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ ^(١) هُوَ قَبْلُ كُلِّ شَيْءٍ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا كَاوَرِدَتَا

(۱) حدیث علیؑ ان اللہ تعالیٰ یسجد ہر کھمبہ کے لیے کہ میں نے آج اس کو پیدا کیا ہے۔ انا اللہ رب العالمین اے انا اللہ لا الہ الا انا الخی القوم الحدیث بطوریکہ نہ ایک لفظ صلا .

إلى رتب التصوف
طريقة التفكير لا على معنى
أنه يقوم من وجود
التصوف وجودا فلفتر .
قال الجيد رحمة الله
عليه : التصوف هو أن
يتبع الحق عنك
وعليك به وهذا
الخلق هو الذي ذكرناه
من كونه قائما في
الأشياء بالله لأنه
والتقير والزهد
ممكنان في الأشياء
بنفسهما وإقناع
إرادتهما جبردان
يبلغ عليهما والسوق
مهم لنفسه مستقل
لعله غير راكم إلى
معلومة قائم بمراد به
إلحاد نفسه . قال
ذو النون المصري
رحمة الله عليه التصوف
من لا يشبه طلب ولا
يحب طلب وقال أيضا
الصوفية أثروا الله
تعالى على كل شيء
فأثروا الله على كل
شيء فكان من
إلحادهم أن أثروا على
الله على كل شيء

في الأول فمن دعا بهذه الأسماء فليقل إنك أنت الله لا إله إلا أنت كذا وكذا فمن دعا بهن كعب من
الساجدين المحبتين الذين يجاورون محمدًا وإبراهيم وموسى وعيسى والتين صلوات الله عليهم في
دار الجلال وله ثواب العابدين في السموات والأرضين وصلى الله على محمد وعلى كل عبد مصطفى .

(دعاء للعمير وهو وسيلان التيمي وتسيبحاته رضى الله عنه)

روى أن يونس بن عبيد رأى رجلا في المنام عن قتل شيئا يولد الروم فقال ما فعل ما رأيت من
من الأعمال ؟ قال رأيت تسبيحات ابن اللعن من الله عز وجل فكان وهي هذه : سبحان الله والحمد لله
ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عدد ما خلق وعدد ما هو خالق وزنة
ما خلق وزنة ما هو خالق ومل ما خلق ومل ما هو خالق ومل ما هو خالق ومل ما هو خالق ومل ما هو خالق ومل ما هو خالق
وأضفاف ذلك وعدد خلقه وزنة عرشه ومبتهى رحمة ومداد كلماته ومبلغ رضاه حق رضى وإذا
رضى وعدد ما ذكره به خلقه في جميع الماضي وعدد ما دام ذكره فبا بقى في كل سنة وشهر وجمعة
ويوم وليلة وساعة من الساعات وشتم نفس من الأنفاس وأبد من الآباد من أبد إلى أبد أبدا الدنيا
وأبد الآخرة وأكثر من ذلك لا ينقطع أوله ولا ينشد آخره .

(دعاء ابراہیم بن آدم رضی اللہ عنہ)

روى إبراهيم بن بشار رحمه الله أنه كان يقول هذا السلام في كل يوم جمعة إذا أصبح وإذا أمسى: مرحبا
يوم للزبد والصبح الجديد والكاتب والشهيد يومنا هذا يوم عيد أكتب لنا فيه ما نوقل بسم الله
الحمد الحيد الرغب الدود القمال في خلقه ما ريد أصبحت بالله مؤمنا وبقائه مصدقا وبجته معترفا
ومن ذي مستغفر ولربوبية الله خاضعا ولسوى الله في الآلهة جاحدا وإلى الله فقيرا وعلى الله متكلرا
وإلى الله منيا أشهد الله وأشهد ملائكتك وأنبياؤه ورسوله وحملته وعرشه ومن خلقه ومن هو خلقه بأنه
هو الله الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما وأن
الجنة حق والنار حق والحوض حق والشقاعة حق ومنكرا ونكبرا حق ووعدك حق ووعدك
حق وقاعدك حق والساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور على ذلك أحيا وعليه أموت
وعليه أبعث إن شاء الله اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك
ما استطعت أعوذ بك اللهم من شر ما صنعت ومن شر كل ذي شر اللهم إني ظلمت نفسى فاغفر لى ذنوبى
فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدنى لأحسن الأخلاق فانه لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عنى سيئها
فانه لا يصرف سيئها إلا أنت لبيك وسعديك والخير كله بيدك وأنا لك وإليك أستغفر وأتوب إليك
آمنت اللهم بما أرسلت من رسول وآمنت اللهم بما أنزلت من كتاب وصلى الله على محمد النبي الأسمى
وعلى آله وسلم تسليما كثيرا خاتم كلامى ومفتاحه وعلى أنبيائه ورسله آمين يارب العالمين اللهم
أوردنا حوض محمد واسقنا بكأسه مشربا روبا سائما هنيا لانتظما بعده أبدا واحشرا فى زمرة غير
خزبا ولا ناكثين للسعد والامراتين والامرتونين والامضوب علينا ولاضالين اللهم اعصمنى من قتن
الدنيا ووقتنى لما تحب وترضى وأملع لى شأنى كله ويثني بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة
ولا تفتنى وإن كنت ظالما سبحانه يا على أعظم يا بارى ارحم يا عزز يا جابر سبحانه من سبحت له
السجوات بأكتافها وسبحان من سبحت له البحار بأمواجها وسبحان من سبحت له الجبال بأصدائها
وسبحان من سبحت له الحيتان بلغاتها وسبحان من سبحت له النجوم فى السماء بأبراجها وسبحان
من سبحت له الأشجار بأصولها وتجارها وسبحان من سبحت له السموات السبع والأرضون السبع
ومن فيهن ومن علهن سبحانه من سبى له كل شى من مخلوقاته تباركت وتعاليت سبحانه ،

وإرادة الله في إرادته
 نفوسهم ، قبل بعضهم
 من أصحاب من
 الواثبات قال الصوفية
 فان للقيس عدهم
 وجماع الماذر وليس
 للكثير من العمل
 عدهم وقع برفوضك
 به ضيعك فك
 وهذا علم لا يوجد
 التقير والراهد لأن
 الزاهد يستظم الترك
 ويستريح الأخذ
 وهكذا الفقير وذلك
 لضيق قلوبهم ووقوفهم
 على حد علمهم ، وقال
 بعضهم الصوفي من
 إذا استقبله حالان
 حسان أو حقان
 حسان يكون مع
 الأحسن والفقير
 والراهد لا يميز كل
 التفرق بين الحقيقين
 الحسنين بل يختار
 من الأخلاق أيضا
 جاهو ادعى إلى الترك
 والخروج عن خواغل
 الدنيا كما كان في ذلك
 بهما والصوفي هو
 السليم الأحسن من

سبحانك يا حي يا قيوم يا علم يا حليم سبحانك لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك حي وبقيت وأنت حي لا يموت يدك الخبز وأنت على كل شيء قدير .

(الباب الرابع في أدعية مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه رضي الله عنهم معنوفة الأسانيد متنيحة من جملة ما جمعه أبو طالب السكوني وابن خزيمة وابن مندر رحمهم الله) يستحب للمريد إذا أصبح أن يكون أحب أرواده الدعاء كما سيأتي ذكره في كتاب الأوراد فإن كنت من الربدين طرث الآخرة للقدنين برسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه قبل في مفتوح دعواتك (١) أعقاب صلواتك (٢) سبحان ربّي إلى الأعلى الوهاب لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقل رزيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً (٣) ثلاث مرات وقل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه (٤) وقل اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عورتي وآمن روعاتي وأقل عثراتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بك أن أغتال من تحتي (٥) اللهم لا تؤمّنني منك ولا تؤمّنني غيرك ولا تنزع عني سترك ولا تنفّس ذكرك ولا تجعلني من الغافلين (٦) وقل اللهم أنت ربّي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت (٧) ثلاث مرات وقل اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء وبردا لعيشي ويدي لولقة النظر إلى وجهك الكريم وشوقاً إلى لقاءك من غير ضراء مضرة ولا فتنة وأعوذ بك أن أعظم وأظلم وأعتدى وأعتدى على أو أكسب خطيئة أو ذنباً لا تغفره (٨)

(الباب الرابع في أدعية مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم)

(١) حديث افتتاح الدعاء سبحان ربّي إلى الأعلى الوهاب تقدم في الباب الثاني في الدعاء (٢) حديث القول عقب الصلوات لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير متفق عليه من حديث الثوري بن شعبه (٣) حديث رزيت بالله رباً الحديث تقدم في الباب الأول من الأذكار (٤) حديث اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه دت وصححه وحسب ولا وصحه من حديث أبي هريرة أن أباً بكر الصديق قال يا رسول الله مرني بكلمات أتوّلن إذا أصبحت وإذا أمسيت قال قل اللهم فذكره (٥) حديث اللهم إني أسألك العافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عورتي وآمن روعاتي وأقل عثراتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعمّتك أن أغتال من تحتي د ن ه ك من حديث ابن عمر قال لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يدع هؤلاء الكلمات حين يمسى وحين يصبح (٦) حديث اللهم لا تؤمّنني منك ولا تؤمّنني غيرك ولا تنزع عني سترك ولا تنفّس ذكرك ولا تجعلني من الغافلين رواه أبو منصور والبيهقي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس دون قوله ولا تؤمّنني غيرك وإسناده ضعيف (٧) حديث اللهم أنت ربّي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت خ من حديث عدي بن أوس وقد تقدم (٨) حديث اللهم عافني في بدني وعافني في سمعي وعافني في بصري لا إله إلا أنت ثلاث مرات د ن في اليوم واليلة من حديث أبي بكره وقال ن جعفر بن جهمون ليس بالقوي (٩) حديث اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء الحديث

عند الله بصدق التبتاه وحسن إتيائه وحفظ قربه ولطيف ولوجه وخروجه إلى الله تعالى لعله يربه وحظه من عبادته ومكاته قال روي التصوف استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد وقال عمرو بن عثمان للسكّ التصوف أن يكون العبد في كل وقت مشغولاً بما هو أولى في الوقت وقال بعضهم التصوف أوله علم وأوسطه عمل وآخره موهبة من الله تعالى وقيل التصوف ذكر مع اجتماع ووجه مع استيعاب وعمل مع اتباع وقيل التصوف ترك التكلف وبدل الروح وقال سهل بن عبد الله الصوفي من صفات السكّ والتمسك من الفكر واضطع إلى الله ماث البشر واستوى عنده الذهب والدرر وسئل بعضهم عن التصوف

اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة في الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتنا وأسألك قلبا خاشعا سليما وخلقا مستقيما ولسانا صادقا وعملا متقبلا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأسألك أن تعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب (١) اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني فإني كنت ألتزمك وأنت اللزيم وأنت على كل شيء قدير وعلى كل غيب شهيد (٢) اللهم إني أسألك إيمانا لا يرتد ونعما لا ينفد وقرة عين الأبد ومرافقة نبيك محمد ﷺ في أعلى جنة الخلد (٣) اللهم إني أسألك الطيبات وفصل الحيرات وترك المنكرات وحب المساكين أسألك حبك وحب من أحبك وحباً كل عمل يقرب إلى حبك وأن تتوب لي وتغفر لي وترحمني وإذا أردت فتنة فاقضني إليك غير مفتون (٤) اللهم بملك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفي ما كانت الوفاة خيرا لي أسألك خديك في الغيب والشهادة وكلمة العدل في الرضا والنضب والصدق والقصد في التقى والفقر ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقاءك وأعوذ بك من ضراء مضرة وفتنة مضلة اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين (٥) اللهم اقم لنا من خشتك مأعول به بيننا وبين مصابك ومن طاعتك ما بلغنا به جنتك ومن اليقين ما نهون به علينا مصائب الدنيا والآخرة (٦) اللهم املأ وجهنا منك حياء وقلوبنا منك فرقا وأسكن في قفوسنا من عظمك ما نذكلك به جوارحنا لخدمتك . واجعل اللهم أحب إلينا بيني وبينك وأسكن في قفوسنا من عظمك ما نذكلك به جوارحنا لخدمتك . واجعلنا أواسطه فلاحا وآخره نجاحا اللهم اجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تكريمة ومغفرة (٨)

إلى قوله وأوذنا لا ينفر أحد و ك من حديث زيد بن ثابت في أثناء حديث وقال صحيح الإسناد (١) حديث اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد الحديث إلى قوله وأنت علام الغيوب ت ن ك وصححه من حديث شدداد بن أوس قلت بل هو منقطع وضعف (٢) حديث اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت الحديث إلى قوله وعلى كل غيب شهيد متفق عليه من حديث أنى موسى دون قوله وعلى كل غيب شهيد وقد تقدم في الباب الثاني من هذا الكتاب (٣) حديث اللهم إني أسألك إيمانا لا يرتد ونعما لا ينفد وقرة عين الأبد الحديث ن في اليوم واليلة و ك من حديث عبد الله بن مسعود دون قوله وقرة عين الأبد وقال صحيح الإسناد و ن من حديث عمار بن ياسر بأسناد جيد وأسألك نعما لا يبيد وقرة عين لا تقطع (٤) حديث اللهم إني أسألك الطيبات وفصل الحيرات الحديث إلى قوله غير مفتون ت من حديث معاذ اللهم إني أسألك فصل الحيرات الحديث . وقال حسن صحيح ولم يذكر الطيبات وهي في الدعاء للطيارين من حديث عبد الرحمن بن عافس وقال أبو حاتم ليست له صحة (٥) حديث اللهم إني أسألك بملك النبي وتذكرتك على الخلق أحيني ما كانت الحياة خيرا لي الحديث إلى قوله واجعلنا هداة مهتدين ن ك وقال صحيح الإسناد من حديث عمار بن ياسر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به (٦) حديث اللهم اقم لنا من خشتك مأعول به بيننا وبين مصابك الحديث ت وقال حسن و ن في اليوم واليلة و ك وقال صحيح على شرط من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يختم مجلسه بذلك (٧) حديث اللهم املأ وجهنا منك حياء وقلوبنا بك فرحا الحديث إلى قوله واجعلنا أخى لك من سواك لمأقف على أصل (٨) حديث اللهم اجعل أول يومنا هذا صلاحا وأوسطه فلاحا وآخره نجاحا اللهم اجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تكريمة عبد بن حيد في للتخبط والطيارين من حديث ابن أبي الشطر الأول قط إلى قوله نجاح وإسناده ضعيف .

فقال تصفية القلب
عن موافقة الجيرة
ومفارقة الأخلاق
الطبيعية وإخاد صفات
البشرية ومجانبة
الدواعي النفسانية
ومنازلة الصفات
الروحانية والتعلق
بعلوم الحقيقة وإتباع
الرسول في الشريعة .
قال ذواتون للصري
رأيت يمين سواحل
الشم امرأه قتل من
إن أتبلت قالت من
عند أقول متجافى
جنوبهم عن المضاجع
قالت وأين تريدن
قالت إلى رجال لا تلهيهم
تجارة ولا بيع عن
ذكر الله قتل منهم
لى فأنشأت :
قوم همومهم بالله قد
علقت
فألمهم هم تسمو إلى
أحد
فطلب القوم مولاهم
وسيدهم
يا حسن مطلبهم للواحد
الحمد

الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته ودل كل شيء لعزته وخضع كل شيء للملكة واستسلم كل شيء لقدرته والحمد لله الذي سكن كل شيء لهيبته وأظهر كل شيء بعظمته وتصاغر كل شيء لكبريائه (١) اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد وأزواج محمد وذريته وبارك على محمد وعلى آل وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد (٢) اللهم صلى على محمد عبدك ونيبك ورسولك النبي الأمي رسولك الأمين وأعطه اللقائم المحمود الذي وعدته يوم الدين (٣) اللهم اجعلنا من أوليائك للثقين وحزبك للفالحين وعبادك الصالحين واستمعنا لمرضاك عنا ووقتنا لها بك منا وصرفنا بحسن اختيارك لنا (٤) نسألك جوامع الخير وفوائده وخواتمه ونمود بك من جوامع الشر وفوائده وخواتمه (٥) اللهم بقدرتك على تب على إنك أنت التواب الرحيم ومجلك على اغف عني إنك أنت الغفار الحامد وملكك على إرفق بي إنك أنت أرحم الراحمين وملكك على ملكي نفسى ولا تسلطها على إنك أنت الملك الجبار (٦) سبحانه اللهم ومحمدك لإله إلا أنت عملت سودا وظلمت نفسى فأغفر لي ذنبي إنك أنت ربى ولا ينظر الذنوب إلا أنت (٧) اللهم ألهمنى رشدى وقتى شر نفسى (٨) اللهم أرزقنى حلالا لا تافقنى عليه وقتى بما رزقتنى واستمعنى به سالحا تقبله منى (٩) أسألك العفو والمغفرة وحسن اليقين والمغفرة في الدنيا والآخرة (١٠) إيمان لا تقصره الذنوب ولا تنقصه

(١) حديث الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته وذلك كل شيء لعزته الحديث إلى قوله وتصاغر كل شيء لكبريائه الطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف دون قوله والحمد لله الذي سكن كل شيء لهيبته إلى آخره وكذلك رواه في الدعاء من حديث أم سلمة وسنده ضعيف أيضا (٢) حديث اللهم صلى على محمد وأزواجه وذريته الحديث إلى قوله حميد مجيد تقدم في الباب الثاني (٣) حديث اللهم صلى على محمد عبدك ونيبك ورسولك النبي الأمي رسول الأمين وأعطه اللقائم المحمود يوم الدين لم أجده بهذا اللفظ مجوعا وخ من حديث أبي سعيد اللهم صلى على محمد عبدك ورسولك وحب قط لك حق من حديث ابن مسعود اللهم صلى على محمد النبي الأمي و ن من حديث جابر وابنه اللقائم المحمود الذي وعدته وهو عندك بلنظ وابنه مقاما محمودا قال قط إسناده حسن وقال ك صحيح وقال حق في المعرفة إسناده صحيح (٤) حديث اللهم اجعلنا من أوليائك للثقين وحزبك للفالحين الحديث إلى قوله صرفنا بحسن اختيارك لنا لم أقفله على أصل (٥) حديث نسألك جوامع الخير وفوائده وخواتمه ونمود بك من جوامع الشر وفوائده وخواتمه طبع من حديث أم سلمة أنه كان يدعو بهذا الكلمات فذكر منها اللهم إني أسألك فوائج الخير وخواتمه وأوله وآخره وظاهره وباطنه والدرجات العلى من الجنة آمين فيه عاصم بن عبيد لأعظم روى عنه الإمام موسى بن عقبة (٦) حديث اللهم بقدرتك على تب على إنك أنت التواب الرحيم ومجلك على اغف عني الحديث إلى قوله إنك الملك الجبار لم أقف له على أصل (٧) حديث سبحانهك اللهم ومحمدك لإله إلا أنت عملت سودا وظلمت نفسى فأغفر لي ذنبي أنت ربى إنه لا ينظر الذنوب إلا أنت حق في الدعوات من حديث في دون قوله ذنبي إنك أنت ربى وقد تقدم في الباب الثاني (٨) حديث اللهم ألهمنى رشدى وقتى شر نفسى ت من حديث عمران ابن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم علمه حصين وقال حسن غريب ورواه في اليوم واليلة وك من حديث حصين والد عمران وقال صحيح على شرط الشيخين (٩) حديث اللهم أرزقنى حلالا لا تافقنى فيه وأقتضى بما رزقتنى واستمعنى به سالحا تقبله منى ك من حديث ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم قم بما رزقتنى وبارك لي فيه وأخلص على كل غائبة لي خير وقال صحيح الإسناد ولم يخرجه (١٠) حديث اللهم إني أسألك العفو والمغفرة وللمغفرة وحسن اليقين في الدنيا والآخرة ن

ما بين تازعهم دنيا
ولا تحرف
من الطاعم والذات
والوله
ولا لبس ثياب فائق
أنيق
ولا روح سرور حل
في بلد
إلا مسارعة في إثر
منزلة
قد قارب الخطو فيها
بأغد الأبد
فهم رهائن غدران
وأودية
وفي الشوامخ تتلقاهم
مع العدد
وقال الجنيدي: الصوفي
كالأرض يطرح عليها
كل قببح ولا يخرج
منها إلا كل ملبس
وقال أيضا هو كالأرض
يطؤها البر والفاجر
والمسحوب يظل كل
شيء كالقطر يسقي كل
شيء وأقوال المشايخ
في ماهية التصوف
تزيد على ألف قول
ويطول قتلها وتذكر
صابطا يجمع حمل
معانيها فان الألفاظ

للفرة هبلى بالاضرك وأعطى بالانقصك ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين أنت ولي في الدنيا والآخرة توفى مسلما وألحقني بالصالحين أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين وأكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدانا إليك ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ربنا لا تحمنا فتنة للقوم الظالمين ربنا لا تحمنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ربنا آتتنا من لدنك رحمة وهي لنا من أمرنا رشدا ربنا آتتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ربنا إنا سمعنا مناديا ينادى للإيمان إلى قوله عز وجل إنك لأخلف اليعاد ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا إنا آخرا السورة (١) رب اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما ربياني صغيرا واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات (٢) رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وأنت الأعز الأكرم وأنت خير الراحمين وأنت خير الغافرين وإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على محمد خاتم النبيين وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا (٣) . أنواع الاستعاذة للأئمة عن النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر (٤) اللهم إني أعوذ بك من طبع يهدي إلى طبع ومن طبع في غير مطمع ومن طمع حيث لا مطمع (٥)

من حديث أبي بكر الصديق بلفظ سأل الله العافية فانه لم يأت أحد بعد اليقين خيرا من العافية وفي رواية للبيهقي سأل الله العفو والعافية واليقين في الأولى والآخرة فانه ما أوتي البعد بعد اليقين خيرا من العافية وفي رواية لأحمد أسأل الله العفو والعافية (١) حديث يامن لا تضره الذنوب ولا تنقصه للفرة هبلى بالاضرك وأعطى بالانقصك أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي بن إسحاق ضعيف (٢) حديث رب اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما ربياني صغيرا واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات ده باسناد حسن من حديث أبي أسيد الساعدي قال رجل من بني سلمة هل بقي من طبعي شيء أبوى شيء قال نعم الصلاة عليها والاستغفار لهما الحديث ولأن الشيخ حب في الثواب والمستغفر في الدعوات من حديث أنس من استغفر للمؤمنين والمؤمنات رده الله عليه عن كل مؤمن مضى من أول الدهر أو هو كائن إلى يوم القيامة وسنده ضعيف وفي صحيح حب من حديث أبي سعيد أيا رجل مسلم لم يكن عنده صدقة فليل في دعائه اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وصل على المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات فانها زكاة (٣) حديث رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وأنت الأعز الأكرم وأنت خير الراحمين وخير الغافرين أحمد من حديث أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول رب اغفر وارحم واهدني السبل الأتوم وفيه علي بن زيد بن جدعان مختلف فيه وللطبراني في الدعاء من حديث ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا سمى في بطن للسيل اللهم اغفر وارحم وأنت الأعز الأكرم وفيه ليث بن أبي سلمة مختلف فيه ورواه موقوف عليه بسند صحيح (٤) حديث اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر من حديث سعد بن أبي وقاص (٥) حديث اللهم إني أعوذ بك من طبع يهدي إلى طمع ومن طمع في غير مطمع حيث لا مطمع أحمد له من حديث معاذ وقال مستقيم الاسناد .

وان اختلفت مقاربة المعاني . فتقول الصوفي هو الذي يكون دائم التصفية لا يزال يصفي الأوقات عن شوب الأكسدار بتصفية القلب عن شوب النفس ويصير على كل هذه الصفة دوام افتخاره إلى مولاه فبدولم الانقار يشق من الكدر وكلما تحرك النفس وظهرت بصلة من صفاتها أدرها يصيرته الناقصة وفرفرها إلى ربه فبدولم تصفيتها جميتها وعرجة نفسه تفرقه وكدره فهو قائم بربه على قلبه وقائم بقلبه على نفسه قال الله تعالى - كونوا قوامين فله شهداء بالقياس - وهذه القوامية هي التي بالنس هو التحقق بالتصوف قال بعضهم المتصوف كذا اضطراب فاذا وقع السكون فلا تصوف والسر فيه أن الروح عجنوبة إلى

اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع وأعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع ومن الحيانة فإنها تبست البطانة ومن الكسل والجلل والجبن والحرم ومن أن أُرَدَّ إلى أرذل العمر ومن فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة الحيا والمات اللهم إنا نسألك قلوباً أو أمة محتجة منية في سبيلك اللهم إني أسألك عزائم مغفرتك وموجبات رحمتك والسلامة من كل إثم والنعمة من كل بر والقورز والجنة والنجاة من النار (١). اللهم إني أعوذ بك من التردى وأعوذ بك من التم والفرق والهدم وأعوذ بك من أن أموت في سبيلك مدبراً وأعوذ بك من أن أموت في طلب الدنيا (٢). اللهم إني أعوذ بك من شر ماعلت ومن شر ما لم أعلم (٣). اللهم جنبني منكرات الأخلاق والأعمال والأدواء والأهواء (٤). اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء (٥). اللهم إني أعوذ بك من الكفر والبدن والفقر وأعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من فتنة الدجال (٦). اللهم إني أعوذ بك من شر معي وشر لساني وشر مني (٧). اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار القامة فإن جار البادية يتحول (٨). اللهم إني أعوذ بك من القسوة والتفلة والمية والدة والسكنة وأعوذ بك من الكفر والفقر والفسوق والشقاق والتفاق وسوء الأخلاق وضيق الأرزاق والسمة والرياء وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسبي الأسقام (٩).

(١) حديث اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع الحديث إلى قوله والنجاة من النار ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح الاستناد وليس كما قال إلا أنه ورد مفرداً في أحاديث جيدة الأسانيد (٢) حديث اللهم إني أعوذ بك من التردى وأعوذ بك من التم الحديث إلى قوله وأعوذ بك أن أموت في طلب الدنيا ذن ك وصح إسناده من حديث أبي اليسر وأصح كعب ابن عمر زيادة في دون قوله وأعوذ بك أن أموت في طلب الدنيا وتعلم من عند البخاري الاستعاذة من فتنة الدنيا (٣) حديث اللهم إني أعوذ بك من شر ماعلت ومن شر ما لم أعلم قلت هكذا في غير نسخة علت وإنما هو عملت وأعمل كلنا رواه م من حديث عائشة ولأبي بكر في الضحالك في التماثل في حديث مرسل في الاستعاذة وفيه وشر ما لم أعمل وشر ما لم أعلم (٤) حديث اللهم جنبني منكرات الأخلاق والأعمال والأدواء والأهواء ت وحسنه وك وصحبه والفظ له من حديث قطبة ابن مالك (٥) حديث اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء متفق عليه من حديث أبي هريرة (٦) حديث اللهم إني أعوذ بك من الكفر والبدن والفقر وأعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من فتنة الدجال ن ك وقال صحيح الاستناد من حديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول من الكفر والبدن وفي رواية للنسائي من الكفر والفقر وللمسلم من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول من عذاب القبر وعذاب جهنم وفتنة الدجال ولشيوخين من حديث عائشة في حديث قال فيه ومن شر فتنة المسيح الدجال (٧) حديث اللهم إني أعوذ بك من شر معي وشر بصري وشر لساني وشر مني ذن ت وحسنه ك وصح إسناده من حديث سهل بن حميد (٨) حديث اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار القامة فإن جار البادية يتحول ن ك من حديث أبي هريرة وقال صحيح على شرط م (٩) حديث اللهم إني أعوذ بك من القسوة والتفلة والمية والدة والسكنة وأعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق والتفاق والسمة والرياء وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسبي الأسقام ذن مقتصرين على الأربعة الأخيرة وك يتلمه من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين .

المحضرة الإلهية يعني

أن روح الصوفي

متعلقة متجذبة إلى

موطن القرب وللنفس

بوضئها رسوب إلى

طالها واقلاب على

عقبها ولا بد للصوفي

من دوام الحركة بدوام

الافتقار ودوام القرار

وحسن التقيد لمواقع

إصابات النفس ومن

وقب على هذا المعنى

يجد في معنى الصوفى

جميع المتفرق في

الإشارات] الباب

السادس في ذكر

تسميتهم بهذا الاسم [

أخبرنا الشيخ

أبو ذرعة طاهر بن

محمد بن طاهر قال

أخبرني والهي قال أنا

أبو طي الشافعي بك

حرسها الله تعالى قال

أنا أحمد بن إبراهيم

قال أنا أبو جعفر محمد

ابن إبراهيم قال أنا

أبو عبد الله الخزومي

قال ثنا سفيان عن

مسلم عن أنس بن

مالك قال كان رسول

وقدم رجله اليمنى في الدخول فإذا رأيت في المسجد من يبيع أو يبتاع قتل لأربع الله تجارتك (١) وإذا رأيت من ينشد ضالة في المسجد قتل لأربعها الله عليك آمريه رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) فإذا ضلقت ركعتي الصبح قتل باسم الله اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الدعاء إلى آخره (٣) كما وأوردناه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ فإذا ركعت قتل في ركوعك : اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت ولك أسلمت وعليك توكلت أنت ربي خضع جسدي وبصري وعقلي وعلمي وعلمي وما استملت بمقدمي لله رب العالمين (٤) وإن أحببت قتل سبحان رب العظيم ثلاث مرات (٥) أو سبح قدوس رب اللاتسكة والروح (٦) فإذا ركعت رأسك من الركوع قتل مع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا ملأنا ما أعطيت ولا ملأنا ما امتنت ولا نبتغ إلا ما وعدت منك الحمد (٧) وإذا سجدت قتل اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وهنق جسمه وبصره فبارك الله أحسن الخالقين اللهم سجد لك سواي وخيالي وآبائي بك فؤادي أبوء ب نعمتك عليّ وأبوء بذنبي وهذا ماجئتني بفضلك لي فانه لا ينفع الذنوب إلا أنت (٨) أو تهول سبحان رب الأعلى ثلاث مرات (٩) فإذا فرغت من الصلاة قتل اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت إذا الجلال والإكرام (١٠) وتدعو بسائر الأدعية التي ذكرناها فإذا كنت من المجلس وأردت دعاء يكفر لغيرك قتل سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي فانه لا ينفع الذنوب إلا أنت (١١) فإذا دخلت السوق قتل لا إله إلا الله وحده لا شريك له لله الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير (١٢) باسم الله اللهم إني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها اللهم إني أعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم إني أعوذ بك أن أصيب فيها بئس

(١) حديث القول إذا رأى من يبيع أو يبتاع في المسجد لأربع الله تجارتك وت قال حسن غريب ون في اليوم والليالي من حديث أبي هريرة (٢) حديث القول إذا رأى من ينشد ضالة في المسجد لأربعها الله عليك من حديث أبي هريرة (٣) حديث ابن عباس في القول بعد ركعتي الصبح اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الخ قد تقدم في الدعاء (٤) حديث ابن عباس في القول في الركوع اللهم لك ركعت ولك أسلمت والحديث م من حديث علي (٥) حديث القول في سبحان رب العظيم ثلاثا د ت ه من حديث ابن مسعود وفيه انقطاع (٦) حديث القول في سبح قدوس رب اللاتسكة والروح م من حديث عائشة (٧) حديث القول عند الركوع مع الله لمن حمده ربنا لك الحمد الحديث م من حديث أبي سعيد الخدري وابن عباس دون قوله مع الله لمن حمده ففي في اليوم والليالي لحسن بن علي العمري وهي عند م من حديث ابن أبي أوفى وعند م من حديث أبي هريرة (٨) حديث القول في السجود اللهم لك سجدت الحديث م من حديث علي اللهم سجد لك سواي وخيالي وآبائي بك فؤادي أبوء ب نعمتك عليّ وأبوء بذنبي وهذا ماجئتني بفضلك لي فانه لا ينفع الذنوب إلا أنت ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح الإسناد وليس كما قال به هو شريف (٩) حديث سبحان رب الأعلى ثلاثا د ت ه من حديث ابن مسعود وهو منقطع (١٠) حديث القول إذا فرغت من الصلاة اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت إذا الجلال والإكرام م من حديث ثوبان (١١) حديث كفارة المجلس سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت ن في اليوم والليالي م من حديث رافع بن خديج بسناد حسن (١٢) حديث القول عند دخول السوق لا إله إلا الله وحده لا شريك له لله الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير من حديث عمر وقال غريب وك وقال صحيح على شرط الشيخين .

الأعراب بجانب وكان لباسهم الصوف حتى إن بعضهم كان يبرق في ثوبه فيوجد منه رائحة الضأن إذا أصابه النيث وقال بعضهم إنه يؤذي ريح هؤلاء أما يؤذيكم ريحهم يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فكان اختيارهم لبس الصوف لتركهم زينة الدنيا وقضاءهم بسد الجوع وستر العورة واستراحتهم في أمر الآخرة فلم يغفروا لملاذات النفوس وراحاتها لشدة شغلهم بخدمة مولاهم وانصرف همهم إلى أمر الآخرة وهذا الاختيار بلازم ويناسب من حيث الاستحقاق لأنه يقال تصوف إذا لبس الصوف كما يقال قمص إذا لبس القمص ولما كان طلم بين سير وطير لتطهير في الأحوال والوقائع منهم قال إلى أعلى منته

فاجرة أو وصفة خاسرة^(١) فإن كان عليك دين قتل اللهم اكفني بخلافك عن حرامك وأغني بفسلك عن موكك^(٢) فإذا لبست ثوبا جديدا قتل اللهم كموتني هذا الثوب فلك الحمد أسألك من خير موخير ماضعه وأعوذ بك من شره وشر ماضعه^(٣) وإذا رأيت شيئا من الطيرة تكرهه قتل اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يذهب بالسئآت إلا أنت لا حول ولا قوة إلا بالله^(٤) وإذا رأيت الهلال قتل اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والبر والسلامة والإسلام والتوفيق لما يحب وترضى والحفظ عن تسخط ربي وربك الله^(٥) ويقول هلال رشد وخير آمنت بخالقك^(٦) اللهم إني أسألك خير هذا الشهر وخير القدر وأعوذ بك من شر يوم الحشر^(٧) وتكبر قبله أولا ثلاثا وإذا هبت الريح قتل اللهم إني أسألك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ونموذ بك من شرها وشر ما فيها ومن شر ما أرسلت به^(٨) وإنافك وفأعده قتل إن الله وإنا إليهم راجعون وإنا إلى ربنا ملتقون اللهم كتبني في المحسنين واجعل كتابي في عليين واخلقه على عقبه في القابرين اللهم لا تخرمنا أجره ولا تقننا بعده واغفر لنا وله^(٩)

(١) حديث باسم الله اللهم إني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها اللهم إني أعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم إني أعوذ بك أن أصيب فيها يمينا فاجرة أو صفة خاسرة لك من حديث بريدة وقال أقر بها لشرائط هذا الكتاب حديث بريدة . قلت فيه أبو عمر جابر لشعب بن حرب ولعله خص بسلطان الأسدي مختلف فيه (٢) حديث دعاء الدين اللهم اكفني بخلافك عن حرامك وبفسلك عن موكك ت وقال حسن غريب وك وقال صحيح الإسناد من حديث علي بن أبي طالب (٣) حديث النعمان إذا لبست ثوبا جديدا اللهم كموتني هذا الثوب فلك الحمد أسألك من خير موخير ماضعه وأعوذ بك من شره وشر ماضعه له ت وقال حسن ون في اليوم واليلة من حديث أبي سعيد الخدري ورواه ابن السني بلفظ النصف (٤) حديث القول إذا رأى شيئا من الطيرة يكرهه اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يذهب بالسئآت إلا أنت لا حول ولا قوة إلا بالله ابن أبي شيبة وأبو نعيم في اليوم واليلة وهي في الدعوات من حديث عروة بن عامر مرسل ورجاله ثقات وفي اليوم واليلة لابن السني عن عقبه بن عامر فصله مسندا (٥) حديث التكبير عند رؤية الهلال ثلاثا ثم يقول اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام ربي وربك الله الحارثي من حديث ابن عمر لأنه أطلق التكبير ولم يقل ثلاثا ورواه وحسنه من حديث طلحة بن عبيد الله دون ذكر التكبير واليه في الدعوات من حديث قتادة مرسل كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى الهلال كبر ثلاثا (٦) حديث هلال خير ورشد آمنت بخالقك د مرسل من حديث قتادة أنه بلغه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى الهلال قال هلال خير ورشد هلال خير ورشد آمنت بالله خلقك ثلاث مرات وأسنده الدارقطني في الأفراد والطبراني في الأوسط من حديث أنس وقال د وليس في هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث مسند صحيح (٧) حديث اللهم إني أسألك خير هذا الشهر وخير القدر وأعوذ بك من شر يوم الحشر ابن أبي شيبة وأحمد في مسندهما من حديث عباد بن الصامت وفيه من لم يسم بل قال الراوي عنه حدثني من لأهم (٨) حديث القول إذا هبت الريح اللهم إني أسألك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ونموذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به ت وقال حسن صحيح ون في اليوم واليلة من حديث أبي بن كعب (٩) حديث القول إذا بلغته وفأعده إن الله وإنا إليهم راجعون وإنا إلى ربنا ملتقون اللهم اكفني من المحسنين واجعل كتابي في عليين واخلقه على عقبه في القابرين اللهم لا تخرمنا أجره ولا تقننا بعده واغفر لنا وله ابن السني في اليوم واليلة وح من حديث أم سلمة إذا أصاب أحدكم مصيبة فليقل إن الله وإنا إليه راجعون ولمسلم من حديثها اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في الدين

يقيم وصف ولا يحسب نعمت وأبواب الزيد علما وحالا عليهم مفتوحة بوابهم معدن الحقائق وجمع العلوم فلما لم يرتد في حال تقديم لتتبع وجدانهم وتجنس مزيجهم نسبوا إلى ظاهر اللبسة وكان ذلك آيين في الإشارة إليهم وأدعى إلى حصر وصفهم لأن لبس الصوف كان ظاهرا على التقديم من سلفهم أيضا لأن حالهم حال لقربين كالسبق ذكره ولما كان الاعتناء إلى القرب وعظم الإشارة إلى قرب الله تعالى أمر صعب يميز كشفه والإشارة إليه وقت الإشارة إلى ذنبهم سترًا لحالهم وغيرة على عزز مقامهم أن تكسر الإشارة إليه وتداوله الألسنة فكان هذا أقرب إلى الأدب والأدب في الظاهر والباطن والقول والعمل

وتقول عند التصديق - ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم - وتقول عند الحشران - عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون - وتقول عند ابتداء الأمور - ربنا آتانا من لدنك رحمة وهي لنا من أمرنا رشدا - وب اشرح لي صدري ورسلي أمري - وتقول عند النظر إلى السماء - ربنا ما خلقت هذا باطلا مبجّاتك فتنا عذاب النار - تبارك الذي جعل في السماء رجوا وجعل فيها سراجا وقرا منيرا - وإذا سمعت صوت الرعد قتل سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خفيته (١) فإن رأيت الصواعق قتل اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا ببدايك وعافنا قتل ذلك (٢) قاله كعب فإذا أمطرت السماء قتل اللهم سقيا هنيئا وصيا نافعا (٣) اللهم اجعله صيب رحمة ولا يجعله صيب عذاب (٤) فإذا غضبت قتل اللهم اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من الشيطان الرجيم (٥) فإذا خفت قوما قتل اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم (٦) فإذا غرقت قتل اللهم أنت عضدي ونصيري وبك أقاتل (٧) وإذا طئت أذنك فصل على محمد صلى الله عليه وسلم وقول ذكر الله من ذكرني بخير (٨) فإذا رأيت استجابة دعائك قتل الحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات وإذا أبطأت قتل الحمد لله على كل حال (٩) وإذا سمعت أذان للرب قتل اللهم هذا إقبال إليك وإدبار لهارك وأصوات دعائك وحضور صلواتك أسألك أن تغفر لي (١٠) وإذا أمسك هم قتل اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو أوعلته أحد من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عنده أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء غمي وذهب حزني وهي (١١)

واخلفه في عقبه في الغابرين وأغفر لنا وله يا رب العالمين وانصحه له في قبره ونور له فيه (١) حديث القول إذا سمع صوت الرعد سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خفيته مالك في اللوطيان عبد الله بن الزبير موقوف ولم أجده مرفوعا (٢) حديث القول عند الصواعق اللهم لا تقتلنا بغضبك وتهلكنا ببدايك وعافنا قبل ذلك ت وقال غريب و ن في اليوم واليلة من حديث ابن عمر وابن السني بإسناد حسن (٣) حديث القول عند المطر اللهم سقيا هنيئا وصيا نافعا من حديث عائشة كان إذا رأى المطر قال اللهم اجعله صيا نافعا وه سيا بالسبب أوله و ن في اليوم واليلة اللهم اجعله صيا هنيئا وإسنادهما صحيح (٤) حديث اللهم اجعله سب رحمة ولا يجعله سبب عذاب ن في اليوم واليلة من حديث سعيد بن المسيب مرسل (٥) حديث القول إذا غضب اللهم اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من الشيطان الرجيم ابن السني في اليوم واليلة من حديث عائشة بسند ضعيف (٦) حديث القول إذا خاف قوما اللهم إني أجعلك في نحورهم وأعوذ بك من شرورهم ن في اليوم واليلة من حديث أبي موسى بسند صحيح (٧) حديث القول إذا غزا اللهم أنت عضدي ونصيري بك أقاتل د ن من حديث أنس قال ت حسن غريب (٨) حديث القول عند طنين الأذن اللهم صل على محمد ذكر الله خير من ذكرني الطبراني وابن عدي وابن السني في اليوم واليلة من حديث أبي رافع بسند ضعيف (٩) حديث القول إذا رأى استجابة دعائه الحمد لله الذي نعمت تتم الصالحات تقدم في الدعاء (١٠) حديث القول إذا سمع أذان للرب اللهم هذا إقبال إليك وإدبار لهارك وأصوات دعائك وحضور صلواتك فاتها عند الخراطلي في مكارم الأخلاق والحسن بن علي العمري في اليوم واليلة (١١) حديث القول إذا أمسك هم اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك الحمد أحمد وحبك من حديث ابن مسعود وقال صحيح على شرطه إن سلم من إرسال عبد الرحمن

عند أمر الصوفية
معنى آخر وهو أن
نسبهم إلى البسة تنبي
عن تقلهم من الدنيا
وزهدهم فيها تدعو
النفس إليه بالهوى من
لللبوس الناعم حتى إن
البتدي الريد الذي
يؤثر طريقهم ويجب
الدخول في أمرهم يوطن
نفسه على التشعب
والثقل ويصل أن
الأكول أيضا من
جنس اللبوس فيدخل
في طريقهم على بصيرة
وهذا أمر مفهوم
معلوم عند البتدي
والإشارة إلى شيء من
حالهم في تسخيرهم بذلك
أبعد من فهم أرباب
البديليات فكان
تسميتهم بهذا أشع
وأولى وأيضا في هذا
الشيء مما يقال لهم
سواء صوفيه لذلك
يتضمن دعوى وإذا
قبل سوا صوفية
لللبس الصوف كان
أبعد من الدعوى وكل
ما كان أجهد من

قال صلى الله عليه وسلم « ما أصاب أحدا حزن قال ذلك إلا أذهب الله همه وأبدله مكانه فرحا قيل له يا رسول الله ألا تنلها ؟ فقال صلى الله عليه وسلم بل ينشئ لمن همها أن يعلمها » وإذا وجدت وجعا في جسدك أو جسد غيرك فارقه بريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان إذا اشتكى الإنسان قرحه أو جرحا وضع سبأته على الأرض ثم رخصها وقال باسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى شفايتنا باذن ربنا (١) » وإذا وجدت وجعا في جسدك فضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل باسم الله ثلاثا وقل سبع مرات أعوذ بركة الله وقدرته من شر ما أجد وأحذر (٢) فإذا أصابك كرب قل لا إله إلا الله الملى الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم (٣) فإن أردت النوم فتوسأ أولا ثم توسد على عينك مستقبل القبلة ثم كبر الله تعالى أربعاً وثلاثين ومسيحه ثلاثة وثلاثين واحمده ثلاثا وثلاثين (٤) ثم قل اللهم إني أعوذ بركاك من سخطك وعماقك من عقوبتك وأعوذ بك منك اللهم إني لأستطيع أن أبلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن أنت كما أنيت على نفسك (٥) اللهم باسمك أحيا وأموت (٦) اللهم رب السموات ورب الأرض ورب كل شيء ومليك فائق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل ذي شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين وأغنني من الفقر (٧) اللهم إنك خلقت نفسي وأنت تتوفأها لك عما بها وبها اللهم إن أمتها فاغفر لها وإن أحييتها فاخفظها اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة (٨) باسمك ربى وضعت جنينى فاغفر لى ذنبي (٩) اللهم قى عذابك يوم تجمع عبادك (١٠) اللهم أسلمت نفسى إليك ووجهت وجهى إليك وفوضت أمري إليك

عن أبيه فإنه يختلف في جماعه من أبيه (١) حديث رقية رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى شفايتنا باذن ربنا متفق عليه من حديث طائفة (٢) حديث وضع يده على الذي تألم من جسده ويقول باسم الله ثلاثا ويقول أعوذ بركة الله وقدرته من شر ما أجد وأحذر سبع مرات م من حديث عثمان بن أبي الصاس (٣) حديث دعاء الكرب لا إله إلا الله الملى الحليم الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس (٤) حديث التكبير عند النوم أربعاً وثلاثين والتسبيح ثلاثا وثلاثين والتحميد ثلاثا وثلاثين متفق عليه من حديث على (٥) حديث القول عند إرادة النوم اللهم إني أعوذ بركاك من سخطك وعماقك من عقوبتك وأعوذ بك منك اللهم لأستطيع أن أبلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن أنت كما أنيت على نفسك التسائي في اليوم واليلة من حديث على وفيه اضطع (٦) حديث اللهم باسمك أحيا وأموت غ من حديث حذيفة وم من حديث البراء (٧) حديث اللهم رب السموات والأرض رب كل شيء ومليك فائق الحب والنوى الحديث إلى قوله وأغننا من الفقر م من حديث أبي هريرة (٨) حديث اللهم أنت خلقت نفسي وأنت تتوفأها الحديث إلى قوله إني أسألك العافية م من حديث ابن عمر (٩) حديث باسمك ربى وضعت جنينى فاغفر لى ذنبي ن فى اليوم واليلة من حديث عبد الله بن عمرو بسند جيد ولاشيعين من حديث أبي هريرة باسمك ربى وضعت جنينى وبك أرفعه إن أسكت نفسي فاغفر لها وقال غ قارحها وإن أرسلتها فاخفظها عما تحفظ به عبادك الصالحين (١٠) حديث اللهم قى عذابك يوم تجمع عبادك ت فى التكاليف من حديث ابن مسعود وهو عدد من حديث حفصة بلفظ تبعث وكذا رواه ت من حديث حذيفة وصححه من حديث البراء وحسنه .

الدعوى كان أليق
بالحلم وأيضاً لا ليس
الصوف حكم ظاهر على
الظاهر من أمرهم
ونسبهم إلى أمر آخر
من حال أو مقام أمر
باطن والحكم بالظاهر
أوفق وأولى فالقول
بأنهم هموا صوفية
لبسهم الصوف أليق
وأقرب إلى التواضع
وعرب أن يقال لا
آروا الله بول والبول
والتواضع والانكسار
والتخفى والثورى كانوا
كالخرقة للقاء الصوفة
الرمية التي لا يرضى
فيها ولا يلتفت إليها
فيقال صوفى نسبة إلى
الصوفة كما يقال كوفى
نسبة إلى الكوفة وهذا
ما ذكره بعض أهل
العلم والى التصود به
قرب يلازم الاشتقاق
ولم يزل لبس الصوف
اختيار الصالحين
والزهاد والتقشفين
والعباد : أخبرنا
أبو زرعة طاهر عن

وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا أنت بكبابك الذي أرسلت نبيك الذي أرسلت (١) ويكون هذا آخر دعائك قد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وليل قبل ذلك اللهم أغنني في أحب الساعات إليك واستمعي بأحب الأعمال إليك تعزبي إليك زاني وتبعني من سطوتك بعدا أسألك قطعني وأستغفرك تغفركي وأدعوك فتستجيب لي (٢) فإذا استبقيت من نومك عند الصباح قتل الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور (٣) أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله (٤) أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة أينا إبراهيم حنيفا وما كان من اللشركين (٥) اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير (٦) اللهم إني أسألك أن تبعثنا في هذا اليوم إلى كل خير ونعوذ بك أن نتجرع فيه سودا أو نجرحه إلى مسلم فإنك قلت - وهو الذي توفيكم بالليل ويومنا جرحتم بالهار ثم عمتكم في ليلتي أجلى مسمى - (٧) اللهم فآلني الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه (٨)

(١) حديث اللهم إني أسألت نفسي إليك وفوضت أمري إليك الحديث متفق عليه من حديث البراء (٢) حديث اللهم أغنني في أحب الساعات إليك واستمعي في أحب الأعمال إليك تعزبي إليك زاني وتبعني من سطوتك بعدا أسألك قطعني وأستغفرك تغفركي وأدعوك فتستجيب لي يومنصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس اللهم ابشنا في أحب الساعات إليك حتى تذكرنا فتذكرنا ولأسألك قطعنا ودعوك فتستجيب لنا ونستغفرك تغفركنا وإساده ضيف وهو معروف من قول خبيب الطائي كلوا به إن أبي الدنيا في الدعاء (٣) حديث القول إذا استيقظ من منامه الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور من حديث حذيفة م من حديث البراء (٤) حديث أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله الطبراني في الأوسط من حديث عائشة أصبحنا وأصبح الملك والحمد والجلال والقوة والقدرة والسلطان والسماوات والأرض وكل شيء ففرب العالمين وله في الدعاء من حديث ابن أبي أوفى أصبحت وأصبح الملك والكبرياء والعظمة والجلال والليل والنهار وما سكن فيهما الله وإسنادهما ضعيف ولمسلم من حديث ابن مسعود أصبحنا وأصبح الملك لله (٥) حديث أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة أينا إبراهيم حنيفا وما كان من اللشركين ن في اليوم والليلة من حديث عبد الرحمن بن أبي يسند صحيح ورواه أحمد من حديث ابن أبي عن أبي بن كعب مرفوعا (٦) حديث اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير أصحاب السنن وجب وحسنه لا أنهم قالوا وإليك النشور ولابن السني وإليك المصير (٧) حديث اللهم إنا نسألك أن تبعثنا في هذا اليوم إلى كل خير ونعوذ بك أن نتجرع فيه سودا أو نجرحه إلى مسلم الحديث لم أجده وأهله وت من حديث أبي بكر في حديثه أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه وأن أقترف على أنفسنا سودا أو نجرحه إلى مسلم رواه د من حديث أبي مالك الأشعري بإسناد جيد (٨) حديث اللهم فآلني الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه قلت هو مركب من حديثين فروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم فآلني الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا أقض عني الدين وأغنني من الفقر وقوفني على الجهاد في سبيلك ، وللهار قطن في الأفراد من حديث البراء نسألك خير هذا اليوم وخير ما بعده ونعوذ بك من شر

أيه قال أنا عبد الرزاق
ابن عبد الكريم قال
أنا أبو الحسن محمد بن
محمد قال أنا أبو علي
إسماعيل بن محمد قال أنا
الحسن بن عرفة قال أنا
خلف بن خليفة عن
حميد بن الأعرج عن
عبد الله بن الحارث عن
عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم كلم الله تعالى
موسى عليه السلام كان
عليه جبة صوف
وسراويل صوف
وكساء صوف وكعصم
صوف ونعلاء من جلد
حمار غير مذكور . وقيل
مما صوفية لأنهم في
الصف الأول بين يدي
الله عز وجل بارشع
مهمهم وإقبالهم على
الله تعالى بقلوبهم
ووقوفهم بسرائرهم بين
يديه وقيل كان هذا
الاسم في الأصل مقفوي
فاستقل ذلك وجعل
صوفيا وقيل صوا
صوفية نسبة إلى الصفا

باسم الله ماشاء الله لا قوة إلا بالله ماشاء الله كل نعمة من الله ماشاء الله الخير كله يد الله ماشاء الله لا يصرف السوء إلا الله (١) رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا - ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير - (٢) وإذا أمسى قال ذلك إلا أنه يقول آميننا ويقول مع ذلك أعوذ بكلمات الله التامات وأسمائه كلها من شر ما ذرأ وبرأ ومن شر كل ذي شر ومن شر دابة أنت أخذ بناسيتها إن ربي على صراط مستقيم (٣) وإذا نظر في الرأفة قال الحمد لله الذي سوى خلقه فضله وكرم صورته وجهي وحسنها وجعلني من المسلمين (٤) وإذا اشتريت خادما أو غلاما أو دابة فخذ بأصيته وقل اللهم إني أسألك خيره وخير ما جبل عليه وأعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه (٥) وإذا هنأت بالكاح قبل برك الله فيك وبارك عليك وجمع بينكما في خير (٦) وإذا قضيت الدين قلل للقضيه بارك الله لك في أهلك ومالك إذا قال صلى الله عليه وسلم « إنا جزاء السلف الحمد والأداء » (٧)

هذا اليوم وشر ما بهد و د من حديث أبي مالك الأشعري اللهم إنا نسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وهدهد وبركته أعوذ بك من شر ما فيه وشر ما بهد وسنده جيد وللحسن بن علي للمعمر في اليوم واليلية من حديث ابن مسعود اللهم إني أسألك خيرا ما في هذا اليوم وخيرا ما بهد وأعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما بهد والحديث عند م في الساء خير ما في هذه الليلة الحديث ثم قالوا إذا أصبح قال ذلك أيضا (١) حديث باسم الله ماشاء الله لا قوة إلا بالله ماشاء الله كل نعمة فمن الله ماشاء الله الخير كله يد الله ماشاء الله لا يصرف السوء إلا الله عد في الكامل من حديث ابن عباس ولا أعلمه إلا مرفوعا إلى النبي ﷺ قال يلقى الحضر وإلياس عليهما الصلاة والسلام كل عام بالمومنين فيخلق كل واحد منهما رأس صاحبه فيفترقان عن هذه الكلمات فذكره ولعل الخير كله يد الله قال موضعا لا يسوق الخير إلا الله قال ابن عباس من قالهن حين يصبح وحين يمسى أمته الله من الفرق والخرق وأحسبه قال ومن الشيطان والسلطان والحية والقرب أورد في ترجمة الحسين بن زرير قال ليس بالمعروف وهو بهذا الاسناد منك (٢) حديث رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا تقدم في الباب الأول (٣) حديث القول عند الساء مثل الصباح إلا أنك تقول آميننا وتقول مع ذلك أعوذ بكلمات الله التامات وأسمائه كلها من شر ما ذرأ وبرأ ومن شر كل ذي شر ومن شر كل دابة أنت أخذ بناسيتها إن ربي على صراط مستقيم أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث عبد الرحمن بن عوف من قال حين يصبح أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وبرأ وذرا أعظم من شر التخلين الحديث وفيه وإن قالهن حين يمسى كن له كذلك حتى يصبح وفيه ابن لهجة ولأحمد من حديث عبد الرحمن بن حسن في حديث إن جبريل قال يا أحمد قل أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق وذرا وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء الحديث وإسناده جيد ولمسلم من حديث أبي هريرة في الدعاء عند النوم أعوذ بك من شر كل دابة أنت أخذ بناسيتها وللطبراني في الدعاء من حديث أبي السراء اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة الخ الحديث وقد تقدم في الباب الثاني (٤) حديث القول إذا نظر في الرأفة الحمد لله الذي سوى خلقه فضله وكرم صورته وجهي وحسنها وجعلني من المسلمين الطبراني في الأوسط وابن السني في اليوم واليلية من حديث أنس بسند ضعيف (٥) حديث القول إذا اشترى خادما أو دابة اللهم إني أسألك خيره وخير ما جبل عليه وأعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه د ه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بسند جيد (٦) حديث التهنئة بالكاح برك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير د ت ه من حديث أبي هريرة قال ت حسن صحيح (٧) حديث الدعاء لصاحب الدين إذا قضى الله دينه بارك الله لك في أهلك ومالك

التي صككت فقراء للهاجرين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين قال الله تعالى فيهم - الفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض - الآية وهذا وإن صكان لا يستقيم من حيث الاشتقاق اللغوي ولكن صحيح من حيث المعنى لأن الصوفية يشاكل طلم حال ذلك لكونهم مجتمعين متالفين متصاحبين لله وفي الله كأصحاب الصفة وكانوا نحوهم أربعاة رجل لم تكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشار جمعوا أنفسهم في المسجد كاجتماع الصوفية قديما وحديثا في الزوايا والربط وكانوا لا يرجون إلى ذرع ولا إلى ضرع ولا إلى نجارة كانوا يجتنبون ورضخون النوى بالتهاروا بالليل يشتغلون

فهذه أدعية لا يستغنى الريد عن حفظها وماسوى ذلك من أدعية السفر والصلاة والوضوء ذكرناها في كتاب الحج والصلاة والطهارة . فان قلت ثمانية الدعاء والقضاء لامر له . فاعلم أن أمن القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء واستجواب الرحمة كأن الترس سبب لرد السهم ولذا سبب لخروج النبات من الأرض فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء يتماثلان وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى أن لا يعمل السالح وقد قال تعالى - خذوا حذركم - وأن لا يسبق الأرض بعد بث البذر فيقال إن سبق القضاء بالثبات نبت البذر وإن لم يسبق لم ينبت بل ربط الأسباب بالمسببات هو القضاء الأول الذي هو كلج البصر أو هو أقرب وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الأسباب على التدرج والتقدير هو القدر والذي قدر الحجر قدره بسبب والذي قدر الشر قدره سببا فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته ثم في الدعاء من الفائدة ما ذكرناه في الله كرهانه يستدعى حضور القلب مع الله وهو منتهى العبادات ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « الدعاء مع العبادة »^(١) والقاب على الحق أنه لا تصرف قلوبهم إلى ذكر الله عز وجل إلا عند إلمام حاجة وإرهاق مله فان الانسان إذا مسه الشر فلو دعا عريض فالحاجة تخرج إلى الدعاء والدعاء يرد القلب إلى الله عز وجل بالتضرع والاستكانة فيحصل به الذكر الذي هو أشرف العبادات ولذلك صار البلاء موكلا بالأنبياء عليهم السلام ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل لأنه يرد القلب بالافتقار والتضرع إلى الله عز وجل وينسج من نسيانه وأما التي نسب البطر في غالب الأمور فان الانسان يلطمى أن رآه استغنى فهذا ما أردنا أن نورده من جملة الأذكار والدعوات والله للوفق والخير وأما بقية الدعوات في الأكل والسفر وعبادة الرضى وغيرها فتأتي في مواضعها إن شاء الله تعالى وعلى الله التكلان . نجز كتاب الأذكار والدعوات بكماله ، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب الأوراد والحمد لله رب العالمين وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(كتاب ترتيب الأوراد وتفصيل إحياء الليل)

وهو الكتاب العاشر من إحياء علوم الدين وبه اختتام ربع العبادات تقع الله به للمسلمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله على آلائه جدا كثيرا ونذكره ذكرا لا ينادر في القلب استكبارا ولا تخورا ونشكره إذ جعل الليل والها خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ونصلى على نبيه الذي بعثه بالحق بشيرا ونذيرا وعلى آله الطاهرين وصحبه الأكرمين الذين اجتهدوا في عبادة الله عبادة غسوة وغشا وبكرة وأصلا حتى أصبح كل واحد منهم نجما في الدين هاديا وسراجا منيرا .

[أما بعد] فان الله تعالى جعل الليل الأرض ذولا لبيادته لا يستقروا في مناكبها بل ليتخذوها منزلا فيترددوا منها زادا يحملهم في سفرهم إلى أوطانهم ويكتفون منها تحفا لنفوسهم عملا وفضلا يحتزبن من مصابدها ومعاطبها ويتحققون أن العمر يسير بهم سير السفينة براكبها فالتاس في هذا العالم سفر وأول منازلهم للهد وآخرها للهد والوطن هو الجنة والثار والعمر مسافة السفر فسنورده مراحمه وشهوره وفراسخه

إنما أجزاء السلف المحمد والأداء من حديث عبيد الله بن أبي ربيعة قال استعرضت من النبي صلى الله عليه وسلم أربعين ألفا فجاءه مال فدفعه إلي قال قد كره وإسناده حسن (١) حديث الدعاء مع العبادة تقدم في الباب الأول .

(كتاب الأوراد وفضل إحياء الليل)

بالعبادة وقسم القرآن وتلاوته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يواسيهم ويحث الناس على مواساتهم ويحسب معهم ويأكل معهم وفيهم زل قوله تعالى - ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالقضاء والشيء يريدون بوجههم وقوله تعالى - وأصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالقضاء والشيء سوزل في ابن أم مكتوم قوله تعالى - عسى وتولى أن جاهد الأعمى - وكان من أهل الصفة فترى النبي صلى الله عليه وسلم لأجله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صالحهم لا يزعجهم من أيديهم وكان يفرقهم على أهل الجنة والسعة يث مع كل واحد لا يتوقع الآخر أربعة وكان سعد بن معاذ يحمل إلى بيته منهم ثمانين يطعمهم . وقال أبو هريرة رضى الله

وأياهم أمياله وأغراضه خطراته وحوائجه وشغائعه وأوقاته ، بوس أمواله وشهواته وأغراضه وطامع طمسه ورجحه الفوز ببقاء الله تعالى شدار السلام مع الملك الكبير والنعم للقيم وخسرانه البعد من الله تعالى مع الأنسكال والأعدال والمذاب الأليم في دركات الجحيم فالغافل في نعم من أنفاسه حتى ينفض في غير طاعة يقربه إلى الله زل في يوم التناين لقبيته وحسرة ما لمسا . انتهى ولهذا الخطر العظيم والحلب الهائل شمر الموقنون عن ساق الجسد وودعوا بالكسبية ملاذ النفس واغتمقوا بقايا العمر ورتبوا بحسب تكرار الأوقات وطائف الأوراد حرصا على إحياء الليل والنهار في طلب القرب من الملك الجبار والسعي إلى دار القرار فصار من مهمات علم طريق الآخرة تحصيل التوكل في كيفية قسمة الأوراد وتوديع العبادات التي سبق شرحها على متناهي الأوقات وينفع هذا الفهم بذكر ما بين : الباب الأول : في فضيلة الأوراد وترتيبها في الليل والنهار . الباب الثاني : في كيفية إحياء الليل وفضيلته وما يتعلق به . الباب الأول : في فضيلة الأوراد وترتيبها وأحكامها .

(فضيلة الأوراد وبيان أن للوافية عليها هي الطريق إلى الله تعالى)

اعلم أن الناظرين بنور البصيرة علموا أنه لا نجاة إلا في قيام الله تعالى وأنه لا سبيل إلى النجاة إلا بأن يعوت الصديق عباد الله تعالى وعارفا بالله سبحانه وأن الحبة والأنس لا تحصل إلا من دوام ذكر المحبوب والوافية عليه وإن العرق لا يحصل إلا بدوام الفكر فهو في صفاته وأفعاله وليس في الوجود سوى الله تعالى وأفعاله ولن ينسى دوام الذكر والفكر إلا بوجاهة الدنيا وشهواتها والاجترار منها بقدر البلغة والضرورة وكل ذلك لا يتم إلا باستتراق أوقات الليل والنهار وفي وظائف الأذكار والأفكار والنفس لما جلبت عليه من السكامة واللال لا تصبر على فن واحد من الأسباب الممنوعة على الذكر والفكر بل إذا ردت إلى عطف واحد أظهرت اللال والاستتقال وأن الله تعالى لا يعمل حتى تملا في ضرورة اللطف بها أن تروح بالتفكير من فن إلى فن ومن نوع إلى نوع بحسب كل وقت تفرز بالانتقال لذتها وتعظم بالذلة رغبته وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها فلذلك تقسم الأوراد قسمة مختلفة فالذكر والفكر ينبغي أن يستغرقا جميع الأوقات أو أكثرها فإن النفس بطبيعتها مائلة إلى ملاذ الدنيا فإن صرف العبد شطر أوقاته إلى تديرات الدنيا وشهواتها للباحة مثلا والشر إلى العبادات رجع جانب الليل إلى الله في لوائقها الطبع إذ يكون الوقت متساويا فأتى يتقاومان والطبع أحدهما مرجح إذ الظاهر والباطن يتساعدان على أمور الدنيا ويصفو في طلبها القلب ويتجرد . وأما الرد إلى العبادات فتكف ولا يسهل إخلاص القلب فيه وحضوره إلا في بعض الأوقات فمن أراد أن يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق أوقاته في الطاعة ومن أراد أن ترجع كفة حسنة وتقل موازين خيرات فليستوعب في الطاعة أكثر أوقاته فإن غلبت عملا صالحا وآخر سيئا فأمره غطر ولكن الرجاء غير منقطع والنفوس من كرم الله منتظر قضى الله تعالى أن ينزله بمجوده وكرمه فهذا ما انكشف للناظرين بنور البصيرة فإن لم تكن من أهله فانظر إلى خطاب الله تعالى لرسوله واتبعه بنور الإيمان فهدى الله تعالى لأقرب عباده إليه وأرشدهم درجة به . إنك في التهارب سجا طويلا واذكر اسم ربك وتيتل إلى تبتيلا . وقال تعالى : واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا . وقال تعالى : وسبح بحمده ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسجد له وأدبار السجود . وقال سبحانه : وسبح بحمده ربك حين تقوم ومن الليل فسجد له وأدبار النجوم وقال تعالى : إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قبلا . وقال تعالى : ومن الليل فسجد وأطراف النهار لمالك ترضى وقال عز وجل : وأقم الصلاة على وجهك في النهار وكن من الليل إن الحسنات

(الباب الأول في فضيلة الأوراد)

عنه لقد رأيت سبعين من أهل الصفة يصلون في ثوب واحد منهم من لا يبلغ ركبته فإذا ركع أحدهم قبض يديه مخافة أن تبدو عورته . وقال بعض أهل الصفة : سمنا جماعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله أحرقت بطوننا النحر فسمع بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد للبر ثم قال ما بال أقوام يقولون أحرقت بطوننا النحر أما علمت أن هذا النحر هو طعام أهل المدينة وقد واسونا به وواسيناكم بمواسونا به والذي نفس محمد بيده إن منذ شهرين لم نرفع من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دخان للنحر وليس لهم إلا الأسودان للبد والتحر . أخبرنا الشيخ أبو الفتح محمد بن عبد الباقي في كتابه قال أنا الشيخ أبو بكر

بذهبن السيئات ثم انظر كيف وصف الفائزين من عبادته وعبادته فقال تعالى - أمن هو قانت
آناء الليل ساجدا وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعملون والذين
لا يعملون - وقال تعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطعماً - وقال عز وجل
- والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً - وقال عز وجل - كانوا قايلاً من الليل ما يهجون وبالأشجار
هم يستفرون - وقال عز وجل - ف سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون - وقال تعالى - ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه - فهذا كله بين لك أن الطريق إلى الله تعالى مراقبة
الأوقات وعمارها بالأوراد على سبيل الدوام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أحب عباده إلى الله
الذين يراعون الشمس والقمر والأظلة لذكر الله تعالى (١) » وقد قال تعالى - الشمس والقمر بحسبان -
وقال تعالى - ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً ثم
قبضناه إلينا قبضاً يسيراً - وقال تعالى - والقمر قدرناه منازل - وقال تعالى - وهو الذي جعل لكم
النجوم تهتدوا بها في ظلمات البر والبحر - فلا تظن أن المقصود من سير الشمس والقمر بحسبان
منظوم مرتب ومن خلق الظل والنور والنجوم أن يستعان بها على أمور الدنيا بل لتعرف بها مقادير
الأوقات فتشغل قلبها بالعبادات والتجارة لدار الآخرة بذلك عليه قوله تعالى - وهو الذي جعل الليل
والنهار خلفاً لآخر أن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً - أي خلف أحدهما الآخر ليتذكر في أحدهما ما فات
في الآخر وبين أن ذلك الذكر والشكر لا غير - وقال تعالى - وجعلنا الليل والنهار آيتين فحونا آية
الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب - وإنما الفضل
للبنين هو الثواب وللغفرة ونسأل الله حسن التوفيق لما يشاءه .

(بيان أعداد الأوراد وترتيبها)

اعلم أن أوراد التهار سبعة فثاني طلوع الصبح إلى طلوع قرص الشمس ورد وما بين طلوع الشمس
إلى الزوال وردان وما بين الزوال إلى وقت العصر وردان وما بين العصر إلى المغرب وردان والليل ينقسم
إلى أربعة أوراد وردان من المغرب إلى وقت نوم الناس ووردان من النصف الأخير من الليل إلى
طلوع الفجر ، فلنذكر فضيلة كل ورد ووظيفته وما يتعلق به . فالورد الأول : ما بين طلوع الصبح إلى
طلوع الشمس وهو وقت شريف ويبدل على شرفه فضله إقسام الله تعالى به إذ قال - والصبح إذا تنفس -
وتمدحه به إذ قال - فائق الإصباح - وقال تعالى - قل أعوذ برب الفلق - وإظهاره القدرة بقبح
الظلمة فيه إذ قال تعالى - ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً - وهو وقت قبض ظل الليل ييسط نور الشمس
وإرشاده الناس إلى التبصير فيه بقوله تعالى - ف سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون - ويقول
تعالى - فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها - وقوله عز وجل ومن آناء الليل
فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى - وقوله تعالى - وإذا قرأ اسم ربك تكبراً وأميراً . فأما ترتيبه
نلتأخذ من وقت ابتعابه من النوم فإذا انتبه فينبغي أن يتدعى بذكر الله تعالى فيقول الحمد لله الذي
أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور إلى آخر الأدعية والآيات التي ذكرناها في دعاء الاستيقاظ من كتاب
النعوات وليبس ثوبه وهو في الدعاء ويتوب به ستر عورته امتثالاً لأمر الله تعالى واستعانة به على
عبادته من غير قصد رياء ولا روعة ثم يتوجه إلى بيت الله إن كان به حاجة إلى بيت الماء ويدخل
أولاً رجلاً اليسرى ويدعو بالأدعية التي ذكرناها فيه في كتاب الطهارة عند الدخول والخروج

(١) حديث أحب عباده إلى الله الذين يراعون الشمس والقمر والأظلة لذكر الله الطبراني وك
وقال صحيح الإسناد من حديث ابن أبي أوفى بلقط خير عباد الله .

ابن زكريا الطريثيني
قال أنا الشيخ أبو عبد
الرحمن السلسي قال
حدثنا محمد بن محمد بن
سعيد الأعماني قال
حدثنا الحسن بن يحيى
ابن سلام قال حدثنا
محمد بن علي الترمذي
قال حدثني سعيد بن
حاتم البجلي قال حدثنا
سهل بن أسلم عن
خلائه محمد بن أبي
عبد الرحمن السكري
عن يزيد التحوي عن
عكرمة عن ابن عباس
رضي الله عنهم قال :
« وقصر رسول الله صلى
الله عليه وسلم يومه على
أهل الصفين أي قمرهم
وجبههم وطيب قلوبهم
فقال أبشروا يا أصحاب
الشفة فمن بقى منكم
على النعت الذي أنتم
عليه اليوم راضياً بما
هو فيه فإنه من رفقائي
يوم القيامة » وقيل :
كان منهم طائفة
مجرساناً بأودن إلى
الكهوف والنارات
ولا يسكنون القرى

ثم يستاك على السنة كاسبق ويتوضأ مراعيًا لجميع السنن والأدعية التي ذكرناها في الطهارة فإنا إنما قدّمنا آحاد العبادات لكي نذكر في هذا الكتاب وجه التركيب والترتيب فقط فإذا فرغ من الوضوء صلى ركعتي الفجر أعي السنة في منزله (١) كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ بعد الركعتين سواء أداها في البيت أو المسجد الدعاء الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما ويقول : اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي إلى آخر الدعاء (٢) ثم يخرج من البيت متوجهًا إلى المسجد ولا يضيء دعاء الخروج إلى المسجد ولا يسعى إلى الصلاة سعيًا بل يمشي وعليه الكعبة والوقار (٣) كما ورد به الخبر ولا يشبك بين أصابعه ويدخل المسجد ويقدم رجله اليمنى وبدعو بالدعاء للأتور لدخول المسجد (٤) ثم يطلب من المسجد الصف الأول إن وجد متمسكًا ولا يتخطى رقاب الناس ولا يراحم كما سبق ذكره في كتاب الجمعة ثم يصلي ركعتي الفجر إن لم يكن صلاحًا في البيت ويستقل بالدعاء المذكور بعدها وإن كان قد صلى ركعتي الفجر صلى ركعتي التوبة وجلس منتظرًا للجماعة والأحب التخلّيس بالجماعة فقد كان صلى الله عليه وسلم يفسل بالصبح (٥) ولا ينبغي أن يدع الجماعة في الصلاة عامة وفي الصبح والعشاء خاصة قلها زيادة فضل ، فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في صلاة الصبح « من توضأ ثم توجه إلى المسجد ليصلي فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة وعفى عنه سيئته والحسنة بعشر أمثالها ، فإذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في جسده حسنة واقلب بحجة مبرورة فإن جلس حتى يركع الضحى كتب له بكل ركعة ألفًا حسنة ومن صلى التمتع فله مثل ذلك واقلب بعمرة مبرورة (٦) » وكان من عادة السلف دخول المسجد قبل طلوع الفجر قال رجل من التابعين دخلت المسجد قبل طلوع الفجر فقلت يا هريرة قد سبقني فقال لي يا ابن أخي لا تمشي وأخرجت من منزلك في هذه الساعة فقلت لصلاة النداء فقال يا ابن أخي فانا كنا نخرج وجنا وقودنا في المسجد في هذه الساعة بمنزلة غزوة في سبيل الله تعالى (٧) أو قال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم طرقة وفاطمة رضي الله عنهما وهما نائمان فقال « ألا تصليان قال علي قلت يا رسول الله إنما أقمنا يدالله تعالى فإذا شاء أن يعثا بنها فانصرف صلى الله عليه وسلم فسمعت وهو منصرف يضرب فخذه ويقول وكان الإنسان أكثر شئ وجد لا (٨) » ثم ينبغي أن يستغل بذكر ركعتي الفجر ودعائه بالاستغفار

(١) حديث صلاة ركعتي الصبح في المنزل متفق عليه من حديث حفصة (٢) حديث الدعاء بعد ركعتي الصبح اللهم إني أسألك رحمة من عندك الحديث هدم (٣) حديث للشي إلى الصلاة وعليه الكعبة متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث الدعاء للأتور لدخول المسجد تقدم في الباب الخامس من الأذكار (٥) حديث التخلّيس في الصبح متفق عليه من حديث عائشة (٦) حديث أنس في صلاة الصبح من توضأ ثم توجه إلى المسجد يصلي فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة وعفى عنه سيئته والحسنة بعشر أمثالها وإذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في جسده حسنة واقلب بحجة مبرورة فإن جلس حتى يركع الضحى كتب له بكل ركعة ألفًا حسنة ومن صلى التمتع فله مثل ذلك واقلب بحجة مبرورة لهذا هذا السياق وفي شعب الإيمان للبيهقي من حديث أنس بسند ضعيف ومن صلى للرب في جماعة كان له كحجة مبرورة وعمرة متعبة (٧) حديث أبي هريرة كنا نعد خروجنا وقودنا في المجلس في هذه الساعة بمنزلة غزوة في سبيل الله لم أقف له على أصل (٨) حديث علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقة وفاطمة وهما نائمان فقال ألا تصليان قال علي قلت يا رسول الله إنما أقمنا يدالله الحديث متفق عليه .

والمدن يسمونهم في خراسان شكفتة لأن شكفت اسم النار ينسبونهم إلى المأوى والسفر وأهل الشام يسمونهم جوعية والله تعالى ذكر في القرآن طوائف الخمر والصلاح فسمى قوما أبرارًا وآخرين مقربين ومنهم الصابرون والصادقون والذاكرون والمحبون واسم الصوفي مشتمل على جميع للفرق في هذه الأسماء المذكورة وهذا الاسم لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كان في زمن التابعين . وقيل عن الحسن البصري رحمة الله عليه أنه قال رأيت صوفيا في الطواف فأعطيت شيئا فلم يأخذ وقال لي أربع دوائقي يكتفي مامي ويشيد هذا ما روى عن سفيان أنه قال : لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفنا دقيق الرياء

وهذا يدل على أن هذا الاسم كان يصرف قديما وقيل لم يعرف هذا الاسم إلى المائتين من الهجرة العربية لأن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمون الرجل صحابيا لشرف صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكون الإشارة إليها أولى من كل إشارة وبعد اقتران عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ منهم العلم سمي تابعا ثم لما تقدم زمان الرسالة وبعد عهد النبوة وانقطع الوحي السماوي وتوارى السور للسفوى واختلفت الآراء وتنوعت الأنحاء وتعدد كل ذي رأى برأيه وكثر شرب العلوم غوب الأهوية وتزعزت آئنيمة النصارى واضطربت عزائم الزاهد ونغليت

والقدسيح إلى أن تمام الصلاة يقول أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأنوب إلى سبعين مرة وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة ثم يصلي التريضة مراعى جميع ما ذكرناه من الآداب الباطنة والظاهرة في الصلاة والقعدة فإذا فرغ من السجدة إلى طلوع الشمس في ذكر الله تعالى كما ستر به قد قال **عليه السلام** «لأن أصدق في مجلسي أذكر الله تعالى فيه من صلاة العداة إلى طلوع الشمس أحب إلى من أن أعنت أربع رقاب» (١) وروى «أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى القعدة قدم في مصلا حتى تطلع الشمس، وفي بعضها يصلي ركعتين» (٢) أي بعد الطلوع وقد ورد في فضل ذلك ما لا يحصى وروى الحسن «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيأخذ كره من رحمة ربه يقول إنه قال: يا ابن آدم اذكرني بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة أكفك ما بينهما» (٣) وإذا ظهر فضل ذلك فليقدم ولا يتكلم إلى طلوع الشمس بل ينبغي أن تكون وظئته إلى الطلوع أربعة أنواع أدعية وأذكار ويكررها في سبعة وقراءة قرآن وتذكر أما الأدعية فكلما يفرغ من صلاته فليبدأ **عليه السلام** صلى الله عليه وسلم وعلى آل محمد وسلم اللهم أنت السلام ومنك السلام واليك يعود السلام حيانا بالسلام وأدخنا دار السلام تبارك إذا الجلال والاكرام ثم يفتتح الدعاء بما كان يتبع به رسول الله **عليه السلام** وهو قوله سبحان ربى الأعلى الوهاب لا إله إلا الله وحده لا شريك له لله الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله أهل النعمة والقضاء والثناء الحسن لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه غلصين له الذين يولوه الكافرون (٤) ثم يبدأ بالأدعية التي أوردناها في الباب الثالث والرابع من كتاب الأدعية فيدعو بجميعها إن قدر عليه أو يحفظ من جعلها مائة أو فتي بحاله وأرق قلبه وأخفى لسانه. وأما الأذكار للكررة فهي كلمات وردت تكرارها فضائلها لتطول لبارادها وأقل ما ينبغي أن يكرر كل واحد منها ثلاثا أو سبعا وأكثره مائة أو سبعمائة أو وسطه عشر فليكررها بقدر فراغه وسعته وفضل الأكثر أكثر والوسط الأوسط أن يكررها عشر مرات فهو أجدر بأن يدوم عليه وخير الأمور أდومها وإن قل وكل وظيفة لا يمكن للواظبة على كثيرها قليلا مع للدأومة أفضل وأشد تأثيرا في القلب من كثيرها مع الفترة ومثال القليل الدائم كقطرات ماء تتساقط على الأرض على التوالي فتحدث فيها حفرة ولو وقع ذلك على الحجر ومثال الكثير المتفرق ماء يسب دفعة أو دفعت متفرقة متباعدة الأوقات فلا يبين لها أثر ظاهر وهذه الكلمات عشرة - الأولى: قوله لا إله إلا الله وحده لا شريك له لله الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير (٥) - الثانية: قوله سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر

(١) حديث لأن أصدق في مجلسي أذكر الله فيه من صلاة العداة إلى طلوع الشمس أحب إلى من أن أعنت أربع رقاب د من حديث أنس وتقدم في الباب الثالث من العلم (٢) حديث كان إذا صلى القعدة قدم في مصلا حتى تطلع الشمس وفي بعضها يصلي ركعتين أي بعد الطلوع م من حديث جابر ابن مرة دون ذكر الركعتين وت من حديث أنس وحسنه من صلى الفجر في جماعة ثم قد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة (٣) حديث الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيأخذ كره من رحمة ربه أنه قال يا ابن آدم اذكرني من بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة أكفك ما بينهما ابن المبارك في الزهد هكذا مرسل (٤) حديث كان يفتتح الدعاء بسبحان ربى الأعلى الوهاب تخدم (٥) حديث الفضل في تكرار لا إله إلا الله وحده لا شريك له لله الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير تخدم من حديث أبي أيوب تكرارها عشرا دون

ولاحول ولا قوة إلا بالله العظيم (١). الثالثة : قوله سبح قدوس رب الملائكة والروح (٢). الرابعة : قوله سبحان الله العظيم وبحمده (٣). الخامسة : قوله أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأسأله التوبة (٤). السادسة : قوله اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجبد منك الجدة (٥). السابعة : قوله لا إله إلا الله الملك الحق المبين (٦). الثامنة : قوله باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم (٧). التاسعة : اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم (٨).

قوله يحيى وبنت وهو حي لا يموت يده الخير : إنها في اليوم واليلة للنفس من حديث أبي ذر دون قوله وهو حي لا يموت وهي كلها عند البرار من حديث عبد الرحمن بن عوف فيها يقال عند الصباح والمساء وتقدم تكرارها مائة ومائتين ولطبراني في الدعاء من حديث عبد الله بن عمر وتكرارها ألف مرة وإسناده ضعيف .

(١) حديث الفضل في تكرار سبحان الله الحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله في اليوم واليلة وحسب لك وصحبه من حديث أبي سعيد الخدري استكثروا من الباقيات الصالحات فذكرها (٢) حديث تكرار سبح قدوس رب الملائكة والروح لم أجده ذكرها مكررة لكن عندهم من حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم كان يقولها في ركوعه وسجوده وقد تقدم ولأبي الشيخ في الثواب من حديث البراء أكثر من أن نقول سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح (٣) حديث تكرار سبحان الله وبحمده متفق عليه من حديث أبي هريرة من قال ذلك في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر (٤) حديث تكرار أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأسأله التوبة للمتغفري في الدعوات من حديث معاذ أن من قالها بعد الفجر وبعد العصر ثلاث مرات كفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر ولقظه وأتوب إليه وفيه ضعف وهكذا رواه ت من حديث أبي سعيد في قولها ثلاثا وللبخاري من حديث أبي هريرة إنني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة ولم يقل الطبراني أكثر ولمسلم من حديث الأعرابي لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة تقدمت هذه الأحاديث في الباب الثاني من الأذكار (٥) حديث تكرار اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجبد منك لم أجده تكرارها في حديث وإنما وردت مطلقة عقب الصلوات وفي الرفع من الركوع (٦) حديث تكرار لا إله إلا الله الملك الحق المبين للمتغفري في الدعوات والخطيب في الرواة عن مالك من حديث علي بن قيس في يوم مائة مرة كان له أمان من الفقر وأمان من وحشة القبر واستجلب به الفنى واستقرع به باب الجنة وفيه الفضل بن غانم ضعيف ولأبي نعيم في الحلية من قال ذلك في كل يوم وليقمانى مرة لم يسأل الله فيها حاجة إلا قضاه وفيه سليم الخواص ضعيف وقال فيه أظنه عن علي (٧) حديث تكرار باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم أصحاب السنن وابن جبان ولا وصحبه من حديث عتيان من قال ذلك ثلاث مرات حين يسمى يصيبه بقاء بلاه حتى يصبح ومن قالها حين يصبح ثلاث مرات يصيبه بقاء بلاه حتى يمسي قال ت حسن صحيح غريب (٨) حديث تكرار اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي على آل محمد ذكره أبو القاسم محمد بن عبد الواحد الطائفي في فضائل القرآن من حديث ابن أبي أوفى من أراد أن يموت في السماء الرابعة فليقل كل يوم ثلاث مرات فذكره وهو منكر قلت ورد التكرار عند الصباح والمساء من غير تعيين لهذه السبعة رواه الطبراني من حديث أبي الدرداء بلقط من صلى على حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا أدرسته شفاعة يوم القيامة وفيه انقطاع

الجهالات وكشف

حجابها وكثرت العادات وعلمت أربابها وتعرفت الدنيا وكثر خطاياها فتزد طائفة بأعمال صالحة وأحوال سنية وصدق في الزمة وقوة في الدين وزهدوا في الدنيا وعجبتوا واعتصموا العزلة والوحدة واتخذوا لنفسهم زوايا يجتمعون فيها تارة وينفردون أخرى أسوة بأهل الصفة اركبوا للأسباب متبليين إلى رب الأرباب فأعزهم صالح الأعمال سوى الأحوال ونهياهم صفاء القهوم لقبول العلوم وصار لهم بعد اللسان لسان وبعد العرفان عرفان وبعد الإيمان إيمان كما قال حارثة أصبحت مؤمنا حقا حيث كوشفت برتبة في الإيمان غير ما يتأهدها فصار لهم يقتضى ذلك علوم يعرفونها وإشارات

العاشر : قوله أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون^(١) فهذه العشر كلمات إذا كرر كل واحدة عشر مرات - حذله مائة مرة فهو أفضل من أن يكرز كرا واحدا مائة مرة لأن لكل واحدة من هؤلاء الكلمات فضلا على حياته ولقلب بكل واحدة نوع نفيه وتلذذ والنفس في الانتقال من كلمة إلى كلمة نوع استراحة وأمن من اللال فأما القراءة فيستحب له قراءة جملة من الآيات وردت الأخبار بفضلهما وهو أن يقرأ سورة الحمد^(٢) وآية الكرسي^(٣) وخاتمة البقرة^(٤) من قوله آمن الرسول وشهد الله^(٥) وقال اللهم مالك للآيتين^(٦) وقوله تعالى - لقد جاءكم رسول من أنفسكم - إلى آخرها^(٧)

(١) حديث تكرر أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم أعوذ بالله من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ت من حديث مقل بن يسار من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك الحديث ومن قلها حين يمسي كان بذلك للزلة وقال حسن غريب وابن أبي الدنيا من حديث أنس مثل حديث مقطوع قبله من قلها حين يصبح عشر مرات أجبر من الشيطان إلى الصبح الحديث ولأبي الشيخ في الثواب من حديث عائشة ألا أعلمك يا خالد كلمات قولها ثلاث مرات قل أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون والحديث عند أبي داود وت وحسنه وك وصححه فيقال عند الفزع دون تكرارها ثلاثا من حديث عبد الله بن عمرو (٢) حديث فضل سورة المدح من حديث أبي سعيد بن العلى أنها أعظم السور في القرآن وم من حديث ابن عباس في ذلك الذي نزل إلى الأرض وقال لني ﷺ أجبر بنورين وتبينما لم يؤتيا نبي قبلك: فأمة الكتاب وخواتم سورة البقرة لقرأ بحرف منها إلا أعطيته (٣) حديث فضل آية الكرسي م من حديث أبي بن كعب يا أبا للنذر أتندى أى آية من كتاب الله مك أعظم قلت الله لا إله إلا هو إلى اليوم الحديث وخ م من حديث أبي هريرة في توكيده يحفظ تمر الصدقة ويحمي الشيطان إليه وقوله إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي فإنه لن يزال عليك من الله حافظ الحديث وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما إنه قد صدقك وهو كذوب (٤) حديث فضل خاتمة البقرة متفق عليه من حديث أبي مسعود من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وتقدم حديث ابن عباس قبله بحديث (٥) حديث فضل شهد الله أبو الشيخ حب في كتاب الثواب من حديث ابن مسعود من قرأ شهد الله إلى قوله بالإسلام قال وأنا أشهد بما شهد الله به وأستونع الله هذه الشهادة وهى لى عنده وديمة جى به يوم القيامة قبله لعبدى هذا عهدى عهدا وأنا أحق من وفى بالهد أدخلوا عبدى الجنة وفيه عمر بن الخطاب روى الأباطيل قاله ابن عدى وسأى حديث على بنه (٦) حديث فضل قل اللهم مالك للآيتين المستغفرى في الدعوات من حديث على أن فأمة الكتاب وآية الكرسي والآيتين من آل عمران شهد الله إلى قوله الإسلام وقل اللهم مالك للآيتين إلى قوله بغير حساب معلقات ما بينهن وبين الله حجاب الحديث وفيه فقال الله لا يقرأ كن أحد من عبادى دبر كل صلاة لإجلت الجنة مثواه الحديث وفيه الحارث ابن حمير وفى ترجمته ذكره حب في الضعفاء وقل موضوع لأصل له والحارث بروى عن الأماث للوضوعات قلت وقته حماد بن زيد وابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم ون وروى له خ تليقا (٧) حديث فضل لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخرها طلب في الدعاء من حديث أنس بسند ضعيف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحرز به من كل شيطان رجيم ومن كل جبار عنيد فذكر

يشاهدونها فحربوا
لنفوسهم اصطلاحات
تشير إلى معاني سر فونها
وتعرب عن أحوال
يحدثونها فأخذ دلائل
الحلف عن السلف حتى
صار ذلك رسما مستحسنا
وخيرا مستقرا في كل
عصر وزمان فظهر
هذا الاسم بينهم
وتسوا به وبموا به
فلاسم بمتهم والعلم بالله
صفتهم والعبادة جلالتهم
والثبوتى شعارهم
وحقائق الحقيقة
أسرارهم نزاع القبائل
وأصحاب الفضائل سكان
قباب الصيرة وقطان
ديار الحسنة فظهر مع
الساكنات من إمداد
فضل الله مزيد ولهب
شوقهم يتأجج ويقول
هل من مزيد اللهم
أحسنا في زمرة تسيم
وارزقا حالاتهم والله
أعلم .

[الباب السابع في ذكر
التصوف والتمشية به]
أخبرنا هيثم بن
الإسلام أبو النجيب

قلت لمن هذا فقالوا الذي يدل مثل عملك وذكر أنه أكل من تمرنا وسقوه من شرابنا ثانياً
 النبي صلى الله عليه وسلم ومعبودون نبيا وسبعون صفا من ثلاثمائة كل صف مثل ما بين الشرق والغرب
 فلم على وأخذ يدي قلت يارسول الله أخبرني أنه سمع منك هذا الحديث قال صدق الخضر
 صدق الخضر وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم أهل الأرض وهو رئيس الأبدال وهو من جنود الله تعالى
 في الأرض قلت يارسول الله أين فعل هذا أو عمله ولمر مثل الذي رأيت في منامك يدل شيئا مما
 أعطيتك فقال والذي يمشي بالحق نبيا إنه لا يمشي العادل بهذا وإن لم ير في ولمر الجنة إنه لا يفر له جميع
 الكبار التي عملها ويرفع الله تعالى عنه غضبه ومقته وأمر صاحب النبال أن لا يكتب عليه خيل يثمن
 السيئات إلى سنة والذي يمشي بالحق نبيا ما يعمل بهذا إلا من خلقه الله سعيدا ولا يتركه إلا من خلقه الله
 شقيا وكان إبراهيم التيمي بكت أربعة أشهر لم يطعم ولم يشرب فلهذا كان يهذه الرؤيا فلهذه وثيقة
 القراءة فإن أضاف إليها شيئا عما انتهى إليه ورده من القرآن أو اقتصر عليه فهو حسن فإن القرآن جامع
 لفصل الدكر والفكر والدعاء مهما كان بتدريكا ذكرنا فضله وأدابه في باب الثلاثة . وأما الأفكار فليكن
 ذلك إحدى وظائفه وسائر تفصيل ما يتفكر فيه وكيفيته في كتاب التفكر من ربيع النجيات ولكن
 مجامعة ترجع إلى اثنين : أحدهما أن يتفكر فيما ينفعه من المأثملة بأن يحاسب نفسه فياسب من تقصيره
 ويرتب وظائفه في يومه الذي بين يديه ويرتب دفع الصوارف والموانع الشاغلة له عن الخير ويتذكر
 قصيره وما يطرئ إليه الخلل من أعماله ليلصلحه ويحضر في قلبه النبات الصالحة من أعماله في تسويف
 معاملته للسلفين . والثاني أن يتفكر في علم للكاشفة وذلك بأن يتفكر مرة في نعم الله تعالى وتواتر
 آلائه الظاهرة والباطنة لتزيد معرفته بها ويكثر شكره عليها أو في عقوباته وجماته لتزيد معرفته
 بجدرة الآله واستغفائه وتزيد خوفه منها ولكل واحد من هذه الأمور شعب كثيرة يتبع التفكيرها
 على بعض الخلق دون البعض وإنما تنقص ذلك في كتاب التفكر ومهما تيسر الفكر فهو أشرف
 البادات إذ فيه معنى الذكر لله تعالى وزيادة أمرين : أحدهما زيادة المعرفة إذ الفكر مفتاح المعرفة
 والكشف . والثاني زيادة الحبة إذ لا يحب القلب إلا من اعتقد تنظيمه ولا تكشف عظمة الله سبحانه
 وجلاله إلا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته ومجائب أفضاله فيحصل من الفكر المعرفة ومن المعرفة التعظيم
 ومن التعظيم المحبة والذكر أيضا يورث المحبة وهو نوع من المحبة ولكن المحبة التي هي المعرفة أقوى
 وأتم وأعظم ونسبة محبة العارف إلى أنس الذكر من غير تمام الاستبصار كنسبة عشق من شاهد
 جمال شخص بالعين واطلع على حسن أخلاقه وأفضاله وفضائله وخصاله الحميدة بالتجربة إلى أنس من كرر
 على صممه وصف شخص غائب عن عينه بالحسن في الخلق والخلق مطلقا من غير تفصيل وجوه الحسن
 فيها فليس يحبه له كحبة للشاهد وليس الخبر كالمأثملة فالباد للواظنون على ذكر الله بالقلب واللسان
 الذين يصدقون بمجاهدة به الرسل بالإيمان التقليدي ليس معهم من محاسن صفات الله تعالى إلا أمور
 جملة اعتقدوها تصديق من وصفها لهم والعارفون هم الذين شاهدوا ذلك الجلال والجلال بين البصرة
 الباطنة التي هي أقوى من البصر الظاهر لأن أحدا لم يحط بكنهه جلالة وجلاله فإن ذلك غير مقدور لأحد من
 الخلق ولكن كل واحد شاهد بقدر ما رغب له من الحجاب ولا نهاية لجمال حضرة الربوبية ولا لجباها وانما عدد
 حجبها التي استحقت أن تسمى نورا وكاد يظن الواصل إليها أنه قد تم وصوله إلى الأصل سبعون حجابا قال
 صلى الله عليه وسلم « إن سبعين حجابا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل ما دلوك بصيرة » (١)
 وتلك الحجب أيضا مرتبة وتلك الأنوار متفاوتة في الرب تفاوت الشمس والقمر والكواكب ويبدو

أحب الله ورسوله
 قال النبي عليه السلام
 أحب أو أنت مع
 من أحببت قال
 أنس فما رأيت
 للسدين فرحوا بشي
 بعد الإسلام فرحهم
 بهذا فالتب بالصرية
 ما اختار القصب بهم
 دون غيرهم من
 الطوائف إلا لحيته
 إليهم وعزم مع قصيره
 عن القيام بتمام فيه
 يكون معهم لموضع
 إرادته وعينه وقد
 ورد بلفظ آخر وأرضع
 من الحبر الذي
 رويته في العبي
 روى عبادة بن
 الصامت عن أبي ذر
 الثفاري قال : قلت
 يارسول الله الرجل
 يحب القوم ولا
 يستطيع أن يعمل
 كعملهم قال « أنت
 يا أبا ذر مع من أحببت »
 قال قلت فاني أحب
 الله ورسوله قال « فأنك
 مع من أحببت » قال

في الأول أصفرها ثم مايليه وعليه أول بعض الصوفية درجات ما كان يظهر لأبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم في ترقيه وقال - فلما جن عليه الليل - رأى أظلم عليه الأمر - رأى كوكبا - أى وصل إلى حجاب من حجب النور فبرعته بالكوكب وما أريد به هذه الأجسام البينة فإن آحاد العوام لا يغني عنهم أن الربوية لا تليق بالأجسام بل يدركون ذلك بأوائل نظرهم فلا يتقبل العوام لا يصل الخليل عليه السلام والحجب الساجدة أنوارا ما أريد بها الضوء المحسوس بالبرص بل أريد بها ما أريد بقوله تعالى - الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح - الآية ولتجاوز هذه المعاني فإمام خارجة عن علم اللامعة ولا يوصل إلى حقائقها إلا الكشف التابع لفكر الصافي وقل من ينسحق به وبه والتيسر على جماهير الخلائق الفكر فيها يفيد في علم اللامعة وذلك أيضا مما تفرز فائدته ويعظم نفعه فهذه الوظائف الأربعة أعني الدعاء والذكر والقراءة والفكر ينبغي أن تكون وظيفة الريد بعد صلاة الصبح بل في كل ورد بعد الفراغ من وظيفة الصلاة فليس بعد الصلاة وظيفة سوى هذه الأربع ويقوى على ذلك بأن يأخذ سلاحه ومجته والصوم والجمعة التي تضيق بجاري الشيطان للمادي الصارفة عن سبيل الرشاد وليس بعد طلوع الصبح صلاة سوى ركعتي الفجر وفرض الصبح إلى طلوع الشمس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم يشتغلون في هذا الوقت بالأذكار ^(١) وهو الأول إلا أن ينبله النوم قبل الفرض ولم يندفع إلا بالصلاة فلو صلى لذلك فلا بأس به . الورد الثاني : ما بين طلوع الشمس إلى ضحوة النهار وأعني بالضحوة منتصف ما بين طلوع الشمس إلى الزوال وذلك بمضي ثلاث ساعات من النهار إذا فرض النهار اثنتي عشرة ساعة وهو الأربع وفي هذا الربع من النهار وظيقتان الدتان إحداها صلاة الضحى وقد ذكرناها في كتاب الصلاة وأن الأولى أن يسلم ركعتين عند الاشراق وذلك إذا انبسطت الشمس وارتفعت قدر نصف رمح وصلى أربعة أو ستا أو ثمانيا إذا رمت الفصال وضعت الأقدام بحر الشمس فوقت الركعتين هو الذي أراد الله تعالى بقوله - يسبحن بالضحى والإشراق - فانه وقت إشراق الشمس وهو ظهور تمام نورها بارتفاعها عن موازاة البخارات والنبارات التي على وجه الأرض فانها تمتنع إشراقها التام ووقت الركعات الأربع هو الضحى الأعلى الذي أقسم الله تعالى به فقال - والضحى والليل إذا سجى - « وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يصلون عند الاشراق فنادى بأعلى صوته : ألا إن صلاة الأوابين إذا رمت الفصال ^(٢) فليكن قول إذا كان يصتر على مرة واحدة في الصلاة فهذا الوقت أفضل لصلاة الضحى وإن كان أصل الفضل يحصل بالصلاة بين طرفي وقتي الكراهة وهو ما بين ارتفاع الشمس بطولع نصف رمح بالتقريب إلى ما قبل الزوال في ساعة الاستواء واسم الضحى ينطلق على الكل وكان ركعتي الاشراق تقع في مبتدأ وقت الاذن في الصلاة وانقضاء الكراهة إذ قال صلى الله عليه وسلم « إن الشمس تطلع ومعه قرن الشيطان فإذا رمت فارتقاها ^(٣) فأقل ارتفاعها أن ترفع عن بخارات الأرض وغبارها وهذا راعي بالتقريب. الوظيفة الثانية في هذا الوقت : الجبرأت للتلقة بالناس التي جرت بها العادات بكرة من عيادة مريض

(١) حديث اشتغاله بالأذكار من الصبح إلى طلوع الشمس تهنم حديث جابر بن سمرة عندهم في جلوسه صلى الله عليه وسلم إذا صلى الفجر في مجلسه حتى تطلع الشمس وليس فيه ذكر اشتغاله بالذكر وإنما هو من قوله عما تقدم من حديث أنس (٢) حديث خرج على أصحابه وهم يصلون عند الاشراق فنادى بأعلى صوته ألا إن صلاة الأوابين إذا رمت الفصال طيب من حديث زيد بن أرقم دون قوله فنادى بأعلى صوته وهو عندم دون ذكر الاشراق (٣) حديث إن الشمس تطلع ومعه قرن الشيطان فإذا رمت فارتقاها تهنم في الصلاة .

فأدعها بؤذر فأدعها رسول الله صلى الله عليه وسلم في فجة للقبه أيام لا تكون إلا لقبه روحه لما تنبت في أوّلح الصوفية لأن محبة أمر الله وما يقرب إليه ومن يقرب منه تكون مجاذب الروح غير أن للقبه ثوب بظلمة النفس والصوفي تخلص من ذلك والتصوف متطلع إلى حال الصوفي وهو مشارك بقاءه من صفات نفسه عليه لتعشيه وطريق الصوفية أوله إيمان ثم علم ثم ذوق فالتعشيه صاحب إيمان والابتنان بطريق الصوفية أصل كبير قال الجنيد رحمة الله عليه الإيمان بطريقنا هذا ولاية ووجه ذلك أن الصوفية تميزوا بأحوال عزيزة وآثار مستخرجة عند أكثر الخلق لأنهم مكشوفون بالقدر وغرائب العلوم

وتشيع جنازة ومعاونة على برّ وتقوى وحضور جناس علم وما يجري مجراه من ضياء حاحة أسلم وغيرها فإن لم يكن شيء من ذلك عاد إلى الوظائف الأربع التي قبلها من الأدية والذكر والقرابة والمكر والصاوت للتطوع بها إنشاء قائمها مكروهة بعد صلاه السبع وليست مكروهة الآن فتدبر الصلاة قبلها خامسا من جملة وظائف هذا الوقت لمن أرادها أما بعد فريضة الصبح فتسكّر كل صلاة لاسبب لها وبعد الصبح الأحب أن يقتصر على ركعتي الفجر وتحية السجدة ولا يشتغل بالصلاة بل بالأذكار والقرأة والدعاء والفكر . الورد الثالث : من ضحوة التراب إلى الزوال ودني بالضحوة للتصنيف ومقابله قليل وإن كان بعد كل ثلاث ساعات أمر بصلاة فإذا انقضى ثلاث ساعات بعد الطلوع فتدبرها وقبل مضيا صلاة الضحى فإذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالظهر فإذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالعصر فإذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالغرب ومرة الضحى بين الزوال والطلوع كمرّة العصر بين الزوال والغروب إلا أن الضحى لم يضر لأنه وقت انكباب الناس على أعمالهم فنصف عنهم . الوظيفة الرابعة : في هذا الوقت الأنعام الأربعة وزيد أمران : أحدهما الاشتغال بالكسب وتدبير العيشة وحضور السوق فإن كان تاجرا فينبغي أن يشجر بصدق وأمانة وإن كان صاحب صناعة فنصنع وشقة ولا ينبغي ذكر الله تعالى في جميع أشغاله ويقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه مهما قدر على أن يكسب في كل يوم لقوته فإذا حصل كفاية يومه فليرجع إلى بيت ربه وليتودّد لأخوته فإن الحاجة إلى زاد الآخرة أشدّ والنتج به آدم فاشتغاله بكسبه أهم من طلب الزيادة على حاجة الوقت ، قد قيل لا يوجد للؤمن إلا في ثلاث مواطن مسجد يصره أوبيت يستره أو حاجة لا يبدله منها وقتل من يعرف القدر فيها لا يمنه بل أكثر الناس يتدورون فيها عنه أنه لا بد لهم منه وذلك لأن الشيطان يهدم الفقر ويأمرهم بالفحشاء فيصنون إليه ويجمعون مالا يأكلون خيفة الفقر والله يهدم مغفرة منه فضلا فيمرضون عنه ولا يرغبون فيه . الأمر الثاني : التوبة وهي سنة يستعان بها على قيام الليل كأن التسعير سنة يستعان به على صيام النهار فإن كان لا يقوم بالليل لكن لو لم يتم يشتغل بخير وربما خالط أهل الفسقة وتحدث معهم فالتوب واجب إذا كان لا يثبت نشاطه للرجوع إلى الأذكار والوظائف المذكورة إذ في التوب الصمت والسلامة ، وقد قال بعضهم يأتي على الناس زمان الصمت والتوب فيه أفضل أعمالهم وكل من عابد أحسن أحواله التوب وذلك إذا كان يرأى بعبادته ولا يخلس فيها فكيف بالعاقل الفاسق قال سفيان الثوري رحمه الله كان يجبهم إذا ضرغوا أن ينأوا طلب السلامة فإذا كان نومه على قصد طلب السلامة ونية قيام الليل كان نومه قربة ، ولكن ينبغي أن يقبّه قبل الزوال بقدر الاستعداد للصلاة بالوضوء وحضور المسجد قبل دخول وقت الصلاة فإن ذلك من فضائل الأعمال وإن لم يتم ولم يشتغل بالكسب واشتغل بالصلاة والذكر فهو أفضل أعمال النهار لأنه وقت غفلة الناس عن الله عز وجل واشتغالهم بهوم الدنيا فالقلب للتفرغ لخدمة ربه عند اعراض البعد عن بابه جدير بأن يركبه الله تعالى ويصطفيه لقربه ومعرفته وفضل ذلك كفضل إحياء الليل فإن الليل وقت الغفلة بالنوم وهذا وقت الغفلة باتباع الهوى والاشتغال بهوم الدنيا وأحد معني قوله تعالى - وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر - أي يخلف أحدهما الآخر في الفضل والثاني أنه يخلفه فيتدارك فيه ما فات في أحدهما . الورد الرابع : ما بين الزوال إلى الفراغ من صلاة الظهر وربته وهذا أقصر أورد النهار وأفضلها فإذا كان قد توفّر قبل الزوال وحضر للمسجد فهما زالت الشمس وابتدأ للؤذن الأذان فليصبر إلى الفراغ من جواب أذانه ثم ليتم إلى إحياء ما بين الأذان والإقامة فهو وقت الاظهار الذي أراد الله تعالى بقوله - وحين تظهرون -

واشارتهم إلى عظم أمر الله والقرب منه والإيمان بذلك إيمان بالقدرة وقد أنكر قوم من أهل السنة كرامات الأولياء والإيمان بذلك إيمان بالقدرة ولهم عاوم من هذا القليل فلا يؤمن بطريقهم إلا من خسه الله تعالى بعز يد عنائته فالتشبه صاحب إيمان والتصوف صاحب علم لأنه بعد الإيعان اكتسب مزيد علم بطريقهم وصاروا من ذلك مواجيد يستدل بها على سائر ما والصوفي صاحب ذوق فالتصوف الصادق نصيب من حال الصوفي وللمتشبه نصيب من حال للصوف وهكذا سنة الله تعالى جريئة أن كل صاحب حاله ذوق فيه لا بد أن يكشفه علم حال أعلى مما هو فيه فيكون في الحال الأول صاحب ذوق وفي الحال الثاني كوشف به

وليس في هذا الوقت أربع ركعات لا يفضل بين تسليمة واحدة (١) وعنه الصلاة وحدها من بين سائر صلات الزمان قل بعض العلماء أنه يصلها بأحدة واحدة ولكن طعن في تلك الرواية ومنهج النافذ رضي الله عنه أنه يصل متى متى كسائر الوافل ويفضل بتسليمة (٢) وهو الذي صححت به الأخبار وليطول هذه الركعات إذ فيها تفتح أبواب السماء كأوردنا الحبر في باب صلاة التطوع وليقرأ فيها سورة البقرة أو سورة من اللذين أوردنا من اللذين فيهن ساعات يستجاب فيها الدعاء وأحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرفع له فيها عمل ثم يلى الظاهر ركعتين ثم أربعا فقد كره ابن مسعود أن تتبع الفريضة بثلاث من غير فصل ويستحب أن يقرأ في هذه النافذة آية الكرسي وآخر سورة البقرة والآيات التي أوردناها في الورد الأول ليكون ذلك جامعاً له بين الدعاء والذكر والقراءة والصلاة والتحميد والتسبيح مع شرف الوقت ورد الخامس : ما بعد ذلك إلى العصر ويستحب فيه السكوف في المسجد مشغلاً بالذكر والصلاة أو فنون الخير ويكون في انتظار الصلاة مستكفاً في فضائل الأعمال انتظار الصلاة بعد الصلاة وكان ذلك سنة السلف وكان الداخل يدخل المسجد بين الظهر والعصر فيسمع للمصلين دوياء كدوي النحل من التلاوة فإن كان بينه أسلم فإنه وأجمع لهم فاليوم أفضل في حقه فإيهام هذا الورد وهو أيضاً وقت غفلة الناس كلهم الورد الثالث في الفضل وفي هذا الوقت يكره النوم لمن نام قبل الزوال إذ يكره نومتان بالتيار قال بعض العلماء ثلاث عتقت الله عليها الضحك بغير عجب والأكل من غير جوع والنوم بالتيار من غير سهر بالليل والحذر في النوم أن الليل والتهار أربع وعشرون ساعة الاعتدال في نومه ثمان ساعات في الليل والتهار جميعاً فإن نام هذا القدر بالليل فلا معنى للنوم بالتيار وإن نقص منه مقدارا استوفاه بالتيار فحسب ابن آدم إن عاش ستين سنة أن ينقص من عمره عشرون سنة ومهما نام ثمان ساعات وهو الثلث قد نقص من عمره الثلث ولكن لما كان النوم غذاء الروح كأن الطعام غذاء الأبدان وكان العلم والذكر غذاء القلب لم يكن قطعه عنه وقدر الاعتدال هذا والتمسك منه رعا يفضي إلى اضطراب البدن إلا من يتوعد السهر تدريجاً فقد عجز نفسه عليه من غير اضطراب وهذا الورد من أطول الأوراد وأمتها للعباد وهو أحد الأعمال التي ذكرها الله تعالى إذ قال - وفي مسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال - وإذا سجد لله عز وجل المجازات فكيف يجوز أن يغل العبد العاقل عن أنواع العبادات . الورد السادس : إذا دخل وقت العصر دخل وقت الورد السادس وهو الذي أقسم الله تعالى به فقال تعالى والعصر هذا أحد معني الآية وهو الراد بالآصال في أحد التفسيرين وهو الشيء المذكور في قوله وعشيا وفي قوله بالمشي والإشراق وليس في هذا الورد صلاة إلا أربع ركعات بين الأذان والإقامة كسبق في الظهر ثم يصل الفريضة ويشغل بالأنعام الأربعة المذكورة في الورد الأول إلى أن ترتفع الشمس إلى رهوس الحيطان وتصفى والأفضل فيه أن يمنع عن الصلاة تلاوة القرآن بتدبر وتفهيم إذ يجمع ذلك بين الذكر والدعاء والتسكّر فيندرج في هذا القسم أكثر مقاصد الأنعام الثلاثة . الورد السابع : إذا اصفرت الشمس بأن تحرب من الأرض بحيث ينطى نورها الغبار والبخارات التي على وجه الأرض ويرى صفرة في ضوئها دخل وقت هذا الورد وهو مثل الورد الأول من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لأنه قبل الغروب كان ذلك قبل الطلوع

(١) حديث صلاة أربع بعد الزوال بتسليمة واحدة وفيها فتح أبواب السماء وأنها ساعة يستجاب فيها الدعاء فأحب أن يرعى في فيها عمل صالح ده من حديث أبي أيوب وقد تقدم في الصلاة في الباب السادس (٢) حديث صلاة الليل والتهار متى متى دوح من حديث ابن عمر .

صاحب علم ومجال فوق ذلك صاحب إيمان حتى لا يزال طريق الطلب مسلوفاً يكون في حال التوق صاحب قدم وفي حال الدوام صاحب نظر وفي حال فوق ذلك صاحب إيمان قال الله تعالى - إن الأبرار لفي نعيم على الأبرار نعيم ينظرون - وصف الأبرار ووصف شراهم ثم قال سبحانه وتعالى - ومزاجه من تسنن عيا يشرب بها - فكان من شراب الأبرار مزج من شراب القربين والمقربين ذلك صرفاً فلهو في شراب صرف والتمتع من ذلك مزج من شراب وللتشبه مزج من شراب التصوف فالصوفي سبق إلى مقام الروح من بساط القرب والتصوف بالنسبة إلى الصوفي كأنه قد بالنسبة إلى الزاهد لأنه تفعل وتعمل وتسيب إشارة إلى ما سبق

وعو للرادقوله تعالى - فسيحان الله حين يمسون وحين يصبحون - وهذا هو الطرفة الثاني الرادقوله تعالى - فسيح وأطراف الظار - قال الحسن كانوا أشد تنجلاً للشمس من أول الظار وقال بعض السلف كانوا يحملون أول الزمان الدنيا وآخره للأخرة فيستحب في هذا الوقت التمسح والاستغفار خاصة وسائر ما ذكرناه في الورد الأول مثل أن يقول أستغفر الله الذي لا إله إلا هو إلى اليوم وأساءة التوب ومجان الله العظيم ومحمده ما أخذه من قوله تعالى - واستغفر ذنبك وسبح بحمد ربك والعشي والابكار - والاستغفار على الأسماء التي في القرآن أحب كقوله أستغفر الله إنه كان غفارا أستغفر الله إنه كان توابا رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الزافرين ويستحب أن يقرأ قبل غروب الشمس : والشمس وضحاها . والليل إذا يشئ . وللعوذتين . ولتغرب الشمس عليه وهو في الاستغفار فإذا سمع الأذان قال اللهم هذا يقال ليك وإدبار نهارك وأسموات دعاتك كليك ثم يحجب المؤذن ويشغل صلاة المغرب بالمغرب قد أتت أورد التبار فينبغي أن يلاحظ العبد أحواله ويحاسب نفسه فقد انقضت من طريقه مرحلة فإن ساوى يومه أسفه فيكون مغبونا وإن كان شرا منه فيكون ملعونا فقد قال عليه السلام « لا يورك لي في يوم لأزداد فيه خيرا » (١) فإن رأى نفسه متوفرا على الخير جميع نهاره مترفها عن التجم كانت بشارة فليشكر الله تعالى في توفيقه وتسدده بإياه لطريقه وإن تكن الأخرى فإليل خلفه النهار فليعزم على تلاقي ما سبق من تعريطه فإن الحسنات يذهبن السيئات وليشكر الله تعالى على همه جسمه وبهاء بية من عمره طول ليله ليشغل بتدارك تفسيره وليحضر في قلبه أن نهار العمر له آخر تقرب فيه شمس الحياة فلا يكون لها بعد ما طالع وعند ذلك يفتق باب التدارك والاعتذار فليس العمر إلا أياما ممدودة تنقضي لعمالة مجملتها بانقضاء أحاديها

(بيان أورد اليل وهي خمسة)

الأول : إذا غربت الشمس صلى المغرب واشتغل بأحياء ما بين المشاءين فآخر هذا الورد عند غيوبة الشفق أعنى الحمرة التي يضيئونها يدخل وقت التمة وقد أقسم الله تعالى به فقال - فلا أقسم بالشفق - والصلاة فيهي ناشئة الليل لأنه أول شوساعاته وهو آن من الأثناء المذكورة في قوله تعالى - ومن أناء الليل فسيح - وهي صلاة الأوابين . وهي للرادقوله تعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعى ذلك عن الحسن وأسند ابن أبي زياد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه سئل عن هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم : الصلاة بين المشاءين ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : عليكم بالصلاة بين المشاءين فاتها تذهب بملغات النهار وتهذب آخره » (٢) وللإلاغات جمع ملغاة من اللغو وسئل أنس رحمه الله عن

(١) حديث لا يورك لي في يوم لأزداد فيه خيرا تقدم في العلم في الباب الأول إلا أنه قال علما بدل خيرا (٢) حديث سئل عن قوله تعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع - قال الصلاة بين المشاءين ثم قال عليكم بالصلاة بين المشاءين فاتها تذهب بملغات النهار وتهذب آخره قال السلف أسند ابن أبي الزناد [إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت إنما هو إسماعيل بن أبي زياد بإلباء الثلاثة من تحت رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية إسماعيل بن أبي زياد الشامي عن الأعمشى حدثنا أبو العلاء العنبري عن سلمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالصلاة بين المشاءين فاتها تذهب بملغات أول النهار ومهذبة آخره وإسماعيل هذا متروك يضع الحديث قاله السارقي وإسماعيل بن زياد مسلم وقد اختلف فيه على الأعمشى ولابن مردويه من حديث أنس أنها نزلت في الصلاة بين المغرب والنشاء والحديث عند ت وحسنه بلفظ نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى التمة .

[١] قول العراقي ابن أبي الزناد هي نسخة وقت له وإلا ففي النسخ الصحيحة ابن أبي زياد فليتلأ .

عليه من وصفه فمر
بجهد في طريقه سائر
إلى ربّه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
وسيروا سبق للفردوس
قبيل من الفردوس
يا رسول الله ! قال
المتبرون بذكر الله
وضع التذكر عنهم
أوزارهم فوردوا القيامة
خفافا « فالصوفي في مقام
الفردوس والتصوفي
مقام السائرين واصل
فسيره إلى مقتر القلب
من ذكر الله عز وجل
ومراقبته بقلبه وتلذذه
بنظره إلى نظر الله
إليه فالصوفي في مقام
الروح صاحب مشاهدة
والتصوفي في مقام القلب
صاحب مراقبته والتشبه
في مقاومة النفس
صاحب مجاهدة
وصاحب محاسبة فتاوين
الصوفي بوجود قلبه
وتلويّن للتصوف
وجود نفسه والتشبه
لأنه لو لم يكن
لأرباب الأحوال
والتشبه بجهد سالك

ينام بين المشايخ قال لاغفل فاتها الساعة للمنية بقوله تعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع - وسأني فضل إحياء ما بين المشايخ في الباب الثاني . وترتيب هذا الورد أن يصلى بعد المغرب ركعتين أو ثلاثاً فربما قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد يصليهما عقب المغرب من غير تغفل كلام ولا تغفل ثم يصلى أربعاً يطايا ثم يصلى إلى غيوبة الشفق مائس له وإن كان للسجد قريباً من المغرب فلا بأس أن يصلياً في بيته إن لم يكن عزمه المكوف للسجد وإن عزم على المكوف في انتظار العتمة فهو الأفضل إذا كان آمناً من التصنع والرياء . الورد الثاني : يدخل ويدخل وقت المشاء الآخرة إلى حدنومة الناس وهو أول استحكام الظلام وقد أقسم الله تعالى به إذ قال - والليل وما وسق - أي وما جمع من ظلمته وقال إلى غسق الليل فهناك ينسقى الليل وتستوسق ظلمته . وترتيب هذا الورد بمرعاة ثلاثة أمور : الأول أن يصلى سوى فرض المشاء عشر ركعات أربعاً قبل الفرض إحياء لما بين الأذانين وستاً بعد الفرض ركعتين ثم أربعاً وقرأ فيها من القرآن الآيات المخصوصة كآخرة البقرة وآية الكرسي وأول الحديد وآخر الحشر وغيرها . والثاني أن يصلى ثلاث عشرة ركعة آخرهن الوتر فإنه أكثر ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بها من الليل ^(١) والأكيكس يأخذون وقتهم من أول الليل والأقواء من آخره والحزم التقدم فانه ربما لا يستيقظ أو يتخل عليه القيام إلا إذا صار ذلك عادة له فآخرة الليل أفضل ثم ليقراً في هذه الصلاة قدر ثلثائة آية من السور المخصوصة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأها بها مثل يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمر والواقعة ^(٢) فإن لم يصل فلا بد من قراءة هذه السور أو بعضها قبل النوم قدر روى في ثلاث أحاديث ما كان يقرؤه رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ليلة أشهرها السجدة وتبارك الملك ^(٣) والزمر والواقعة وفي رواية الزمر وبني إسرائيل ^(٤) وفي أخرى أنه كان يقرأ للمسبحات في كل ليلة ويقول فيها آية أفضل من ألف آية ^(٥) وكان العلماء

(١) حديث الوتر ثلاث عشرة ركعة يعني بالليل وأنه أكثر ما صلى به النبي صلى الله عليه وسلم من الليل د من حديث عائشة لم يكن يوتر بأهس من سبع ولا بأكثر من ثلاث عشرة ركعة وخ من حديث ابن عباس كانت صلاته ثلاث عشرة ركعة يعني بالليل وم كان يصلى من الليل ثلاث عشرة ركعة وفي رواية للشيخين منها ركعتا الفجر ولها أيضا ما كان يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة (٢) حديث إكثاره صلى الله عليه وسلم من قراءة يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمر والواقعة غريب لم أقف على ذكر الاكثار فيه وحسب من حديث جندب من قرأ يس في ليلة ابتداء وجه الله غفر له وت من حديث جابر كان لا ينام حتى يقرأ ألم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك وله من حديث عائشة كان لا ينام حتى يقرأ بني إسرائيل والزمر وقال حسن غريب وله من حديث أبي هريرة من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك قال غريب ولأبي الشيخ في الثواب من حديث عائشة من قرأ في ليلة ألم تنزيل ويس وتبارك الذي بيده الملك واقتربت كن له نوراً الحديث ولأبي منصور المظفر بن الحسين الفزنى في فضائل القرآن من حديث على ياطي أكثر من قراءة يس الحديث وهو منسك والحارث بن أبي أسامة من حديث ابن مسعود بسند ضعيف من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً وت من حديث ابن عباس شيعتي هود والواقعة الحديث وقال حسن غريب (٣) حديث كان يقرأ في كل ليلة السجدة وتبارك الملك وتقدم في الحديث قبله (٤) حديث كان يقرأ في كل ليلة الزمر وبني إسرائيل ت وتقدم أيضاً (٥) حديث كان يقرأ المسبحات في كل ليلة ويقول فيهن آية أفضل من ألف آية د وقال حسن و في السكبرى من حديث عرياض بن سارية .

يرسل بعد إلى الأحوال
وللكل تجمعهم دائرة
الاصطفاء قال الله تعالى
- ثم أورتنا الكتاب
الذين اصطفينا من عبادنا
لهم ظالم لنفسه ومنهم
مقتصد ومنهم سابق
بالحجرات - قال بعضهم
الظالم الزاهد والمقتصد
العارف والسابق المحب
وقال بعضهم الظالم الذي
يجزع من البلاء
والمقتصد الذي يصبر
عند البلاء والسابق
الذي يتلذذ بالبلاء وقال
بعضهم الظالم يبدل
الفضل والمادة والمقتصد
يبدل على الرغبة
والرهبة والسابق يبدل
على المحبة واللذة وقال
بعضهم الظالم يذكر الله
بلسانه والمقتصد بقلبه
والسابق لا ينسى ربه
وقال أحمد بن عاصم
الأطفاكي رحمه الله :
الظالم صاحب الأقوال
والمقتصد صاحب الأفعال
والسابق صاحب
الأحوال وكل هذه
الأقوال القرية تناسب

يعملونها ستا فيزبدون سبح اسم ربك الأعل إذق الخبر « أنه صلى الله عليه وسلم كان يحب سبح اسم ربك الأعل ، وكان يقرأ في ثلاث ركعات الوتر ثلاث سور سبح اسم ربك الأعل ^(١) » وتالياً بالكاغفرون والإخلاص ^(٢) فإذا فرغ قال سبحان لللك القدوس ثلاث مرات « الثالث الوتر ولو تر قبل النوم إن لم يكن عادته القيام قال أبو هريرة رضى الله عنه : أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أنام إلا على وتر ^(٣) وإن كان معتاداً صلاة الليل فالتأخير أفضل قال صلى الله عليه وسلم « صلاة الليل متى مضى فإذا خفت الصبح فأوتر بركة ^(٤) » وقالت عائشة رضى الله عنها أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الليل وأوسطه وآخره وانتهى وتره إلى السحر ^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم « الله عز الوتر على ثلاثة أنحاء إن شئت أوترت أول الليل ثم صليت ركعتين ركعتين يبنى أنه يصير وتراً بما مضى وإن شئت أوترت بركة فإذا استيقظت شفت إليها أخرى ثم أوترت من آخر الليل وإن شئت أخرت الوتر ليكون آخر صلاتك هذا ما روى عنه والطريق الأول والثالث لا بأس به وأما فتن الوتر فقد صح به نهي فلا ينبغي أن يفتن ^(٦) وروى أنه مطلقاً أنه عليه السلام قال « لا وتران في ليلة ^(٧) » ولما ترد في استيقاظه تلتف استحسنه بعض العلماء وهو أن يصلى بعد الوتر ركعتين جالساً على فراشه عند النوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحف إلى فراشه ويصليهما ويقرأ فيما إذا زلزلت وألماكم ^(٨) فيما من التعذيب والوعيد وفي رواية قل يا أيها الكافرون نافعاً من التوبة وأفراد العبادة لله تعالى قبل أن استيقظا فتا مقام ركعة واحدة وكان له أن يوتر بوحدة في آخر صلاة الليل وأنه صار ماضياً شفا بهما وحسن استئناف الوتر واستحسن هذا أبو طالب اللكي وقال فيه ثلاثة أعمال قصر الأمل وتحصيل الوتر والآخر الليل وهو كما ذكره لكن ربما يخطر أنها لو شفتا ماضى لكان كذلك وإن لم يستيقظ وأبطل وتره الأول ففكرت شافنا إن استيقظ غير متشفع إن نام فيه نظر إلا أن يصح من رسول الله عليه السلام إتيانه قبلهما وإعادة الوتر فيفهم أن الركعتين شفع بصورتهم وتر بعناهما فيحسب وتراً إن لم يستيقظ وشفا إن استيقظ ثم يستحب بعد التسليم من الوتر أن يقول سبحان لللك القدوس وب الملائكة والروح جللت السموات والأرض بالعظمة والجبروت وتغزت بالقدرة وتهت العباد بالموت وروى أنه صلى الله عليه وسلم ماتت حتى كان أكثر صلاته جالساً إلا المكتوبة ^(٩) وقد قال « للقاعد نصف أجر القائم وللنائم نصف أجر القاعد ^(١٠) » وذلك يدل على محبة النافعة ناعماً . الوتر الثالث النوم ولا بأس أن يعد ذلك

(١) حديث كان يحب سبح اسم ربك الأعل أحمد والبخاري بسند ضعيف (٢) حديث كان يقرأ في ثلاث ركعات الوتر بسبح اسم ربك الأعل وقل يا أيها الكافرون والإخلاص دن ه من حديث أبي بن كعب بإسناد صحيح وتقدم في الصلاة من حديث أنس (٣) حديث أبي هريرة أوصانى رسول الله عليه السلام أن لا أنام إلا على وتر ومتفق عليه بلقظان أوتر قبل أن أنام (٤) حديث صلاة الليل متى مضى فإذا خفت الصبح فأوتر بركة متفق عليه من حديث ابن عمر (٥) حديث عائشة أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الليل وأوسطه وآخره وانتهى وتره إلى السحر متفق عليه (٦) حديث انتهى عن فتن الوتر قال للصنف مع فيه تهيى قلت وإنما مع من قول عابد بن عمرو وله حجة كما رواه عن ومن قول ابن عباس كما رواه حق ولم يصرح بأنه مرفوع فالظاهر أنه إنما أراد ما ذكرناه من الصحابة (٧) حديث لا وتران في ليلة دت وحسنه ون من حديث طلق بن علي (٨) حديث الركعتين بعد الوتر جالساً تخدم في الصلاة رواه مسلم من حديث عائشة (٩) حديث ماتت حتى كان أكثر صلاته جالساً إلا المكتوبة متفق عليه من حديث عائشة لما بدن التي صلى الله عليه وسلم وتدل كان أكثر صلاته جالساً (١٠) حديث للقاعد نصف أجر القائم وللنائم نصف أجر القاعد مخ من حديث عمر بن حصين

من حال الصوفى
وللتصوف والتقية
وكلمهم من أهل العلاج
والتجاع تخيمهم دائرة
الاصطدام وتلف بينهم
نسبة التخصيص بالمشح
والصطاء . أخبرنا
الشيخ العالم رضى
الدين أبو الخير أحمد
ابن اسماعيل القزوينى
إجازة قال أنا أبو سعد
محمد بن أبي العباس
قال أنا القاضي محمد بن
بصير قال أنا أبو إسحاق
أحمد بن محمد بن
إبراهيم قال أخبرني
الحسين بن محمد بن
فجويه قال حدثنا
أحمد بن محمد بن رزمة
قال حدثنا يوسف بن
عاصم الرازى قال
حدثنا أبو أيوب سليمان
ابن دلود قال حدثنا
حصين بن نعيم عن أبي
ليلى عن أبيه عن
أسامة بن زيد رضى
الله عنه عن أبي علي
الله عليه وسلم أنه قال
في قوله تعالى - فتم
ظلم أنفسهم ومنهم

في الأوراد أنه إذا رويته آداب احتسب عبادة فقد قيل: إن الصبي إذا تام على طهارة وذكر الله تعالى يكتب مصليا حتى يستقبط ويدخل في شماره ملك ثان يترك في نومه فذكر الله تعالى دعاه الملك واستغفر له^(١) وفي الخبر «إذا تام على طهارة رفع روحه إلى العرش^(٢)» وهذا في الوامم فكيف بالخواص والملاء وأرباب القلوب الصافية فاتهم يكشفون بالأسرار في الزوم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «نوم العالم عبادة ونسه تسبيح^(٣)» وقال المماز لأبي موسى كيف تصنع في قيام الليل؟ قال أقوم الليل أجمع لأنام منه شيئا وأغرق القرآن فيه فتوقا قال معاذ لكن أنا أنام ثم أقوم واحتسب في نومي ما احتسب في قومي فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاذ أقتله منك^(٤). وآداب النوم عشرة: الأول الطهارة والسرابة. قال عليه السلام «إذا تام العبد على طهارة عرج بروي إلى العرش فكانت رؤياه صادقة وإن لم ينم على الطهارة قصرت روحه عن البلوغ فذلك للثامات أمتهات أحلام لا تصق^(٥)» وهذا أريد به طهارة الظاهر والباطن جميعا وطهارة الباطن هي الزورة في انكشاف حجب القلب. الثاني أن يمد عند رأسه مواك وطهوره وينوي القيام للعبادة عند التقط وكما يتنبه يستاك كذلك كان يفعله بعض السلف وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنه كان يستاك في كل ليلة مرارا عند كل نومة وعند التنبه منها^(٦)» وإن لم تيسره العلمارة يستحب له مسح الأسماء بالماء فان لم يجد فليقصد وليستقبل القبلة وليستغل بالذكر والدعاء والتفكير في آلاء الله تعالى وقدرته فذلك يقوم مقام قيام الليل وقال عليه السلام «من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فليلته عيناه حتى يصبح كتب له مائة نوى وكان نومه صدقة عليه من الله تعالى^(٧)». الثالث أن لا يبيت من له وصية إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه فانه لا يأمن القبيض في النوم فان من مات من غير وصية لم يؤذن له في السلام بالبرزخ إلى يوم القيامة يزاوره الأموات ويتحدثون وهو لا يشكهم فيقول بعضهم لبعض هذا السكين مات من غير وصية وذلك مستحب خوف موت القبة وموت النجاة تخفيف إلا أن ليس مستعده الموت بكونه مثقل الظهر بالمطام. الرابع أن ينام نائبا من كل ذنب سليم القلب لجميع المسلمين لا يحدث نفسه بظلم أحد ولا يهزم على معصية إن استيقظ قال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث قيل إنه إذا تام على طهارة ذاكرة الله تعالى يكتب مصليا ويدخل في شماره ملك الحديث سب من حديث ابن عمر من بات طاهرا بات في شماره ملك فلم يستيقظ إلا قال الملك اللهم اغفر لعبدك فلان فانه بات طاهرا (٢) حديث إذا تام على الطهارة رفع روحه إلى العرش ابن المبارك في الزهد موقوفا على أبي الرداء وهو في الشعب موقوفا على عبد الله بن عمرو بن العاص وروى طبري في الأوسط من حديث علي مامن عبد ولأمانة تام فتقل نوما لإلا عرج بروحه إلى العرش فأنى لا يستيقظ إلا عند العرش فذلك الرؤيا التي تصدق والتي يستيقظ دون العرش فهي الرؤيا التي تكذب هو ضعيف (٣) حديث نوم العالم عبادة ونسه تسبيح قلت المعروف فيه الصائم دون العالم وقد تقدم في الصوم (٤) حديث قال معاذ لأبي موسى كيف تصنع في قيام الليل؟ قال أقوم الليل أجمع لأنام منه شيئا وأغرق القرآن فيه فتوقا قال معاذ لكن أنا أنام ثم أقوم واحتسب في قومي فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاذ أقتله منك^(٥) وهذا أريد به طهارة الظاهر والباطن جميعا وطهارة الباطن هي الزورة في انكشاف حجب القلب. الثاني أن يمد عند رأسه مواك وطهوره وينوي القيام للعبادة عند التقط وكما يتنبه يستاك كذلك كان يفعله بعض السلف وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنه كان يستاك في كل ليلة مرارا عند كل نومة وعند التنبه منها^(٦)» وإن لم تيسره العلمارة يستحب له مسح الأسماء بالماء فان لم يجد فليقصد وليستقبل القبلة وليستغل بالذكر والدعاء والتفكير في آلاء الله تعالى وقدرته فذلك يقوم مقام قيام الليل وقال عليه السلام «من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فليلته عيناه حتى يصبح كتب له مائة نوى وكان نومه صدقة عليه من الله تعالى^(٧)». الثالث أن لا يبيت من له وصية إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه فانه لا يأمن القبيض في النوم فان من مات من غير وصية لم يؤذن له في السلام بالبرزخ إلى يوم القيامة يزاوره الأموات ويتحدثون وهو لا يشكهم فيقول بعضهم لبعض هذا السكين مات من غير وصية وذلك مستحب خوف موت القبة وموت النجاة تخفيف إلا أن ليس مستعده الموت بكونه مثقل الظهر بالمطام. الرابع أن ينام نائبا من كل ذنب سليم القلب لجميع المسلمين لا يحدث نفسه بظلم أحد ولا يهزم على معصية إن استيقظ قال صلى الله عليه وسلم

مقصد ومنهم سابق باقية استاكم من الجنة قال ابن عطاء الظالم الذي يحب الله من أجل الدنيا ولا يعتمد الذي يحب الله من أجل العقي والسابق هو الذي أسقط مراده بمراد الله فيه وهذا هو حال الصوفي فالمشبه تعرض لشيء من أمر القوم ويوجب له ذلك القرب منهم والقرب منهم مقدمة كل خير. سمعت شيخنا يقول جاء بعض أبناء الدنيا إلى الشيخ عبد الغزالي ونحن بأسيهان يريد منه الحرفة فقال له الشيخ اذهب إلى فلان يشير إلى حق بكلمك في معنى الحرفة ثم احضر حق أليك الحرفة قال جاء إلى فذكرت له حقوق الحرفة وما يجب من وعاية حقها وآدابها من يلبسها ومن يؤهل للبسها فاستظلم الرجل حقوق الحرفة وجبن

« من أوى إلى فراشه لا ينرى ظمأ أحد ولا يند على أحد غفلة ما اجتمع ^(١) » . الخائس أن لا ينام فيه يد
العرش الناعمة بل ترك ذلك لألا يتصدق به كان يستر السائب بكره ما بالنوم ويرى ذلك تنكفاً كان أدل
الصفة لا ينامون يوم وبين الغراب حاجزاً ويقولون منها قنقناو إلى انبرد وكانوا يرون ذلك أرقق لثوبهم
وأجدر بخواص ثوبهم من أن يمسح بذلك نفسه فليقتصد . السادس أن لا ينام ما لم يغلبه النوم ولا يتكلف
استجابه إلا إذا قصد به الاستعانة على القيام في آخر الليل فقد كان نومهم عليه وأكلهم بآفة وكلامهم ضرورة
وذلك وصفوا بأنهم كانوا أقليلاً من الليل ما يهجون وإن غلبه النوم عن الصلاة والذكر وصار لا يدري
ما يقول فليمن حتى يعقل ما يقول وكان ابن عباس رضي الله عنه يكره ما اليوم قاعداً في الخبر « لا تنكبوا الليل ^(٢) »
وقيل رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن فلانة تصلي بالليل ما ذا عليها النوم تملقت بحيل فهي من ذلك وقال
ليس أحدكم من الليل ما يتسره فإذا غلبه النوم فليرقد ^(٣) » وقال ^(٤) « تكافوا من العمل ما تطيقون
فإن الله إن عمل حتى تموتوا ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « خير هذا الدين أيسره ^(٦) » وقيل صلى الله عليه
وسلم « إن فلانة يصلي فلا ينام ويصوم فلا يضر فقال لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر هذه سقني فن رغب عنها
فليس مني ^(٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « لاتشادوا لهذا الدين فانه متين فمن يشاده يغلبه فلاتنسى إلى
تسلك عبادة الله ^(٨) » السابع أن ينام مستقبل القبلة والاستقبال على ضربين أحدهما استقبال المختصر
وهو السلقى في فناء فاستقباه أن يكون وجهه وأخصاه إلى القبلة والثاني استقبال اللحد وهو أن ينام على
جنب بأن يكون وجهه إليها مع قبالة بدنه إذا نام على شقه الأيمن . الثامن الدعاء عند النوم فيقول باسمك
ربي وضعت جنبي وباسمك أرضه إلى آخر الدعوات المأثورة التي أوردناها في كتاب الدعوات ^(٩) ويستحب
أن يقرأ الآيات الخمسة مثل آية الكرسي وآخر البقرة وغيرهما قوله تعالى - وبالحكم إله واحد لا إله إلا
هو - إلى قوله لقوم يقولون - يقال إن من قرأها عند النوم حفظ الله عليه القرآن فلم ينسه وقرأ من سورة
الأعراف هذه الآية إن ربي الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام إلى قوله قرب من الحسنين -

ن هـ من حديث أبي الدرداء بسند صحيح (١) حديث من أوى إلى فراشه لا ينرى ظمأ أحد ولا يند
على أحد غفلة ما اجتمع ابن أبي الدنيا في كتاب النية من حديث أنس من أصبح ولم يظم أحد غفلة
ما اجتمع وبسند ضعيف (٢) حديث لا تنكبوا الليل أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من
حديث أنس بسند ضعيف وفي جامع سفيان الثوري موقوفاً على ابن مسعود لا تنالوا هذا الليل .

(٣) حديث قبله إن فلانة تصلي فإذا غلبها النوم تملقت بحيل قتها من عن ذلك الحديث متفق عليه
من حديث أنس (٤) حديث تكافوا من العمل ما تطيقون فإن الله لا عمل حتى تموتوا متفق عليه
من حديث عائشة بلفظ أكلوا (٥) حديث خير هذا الدين أيسره أحمد من حديث مجيب
ابن الأديع وقدم في السلم (٦) حديث قبله إن فلانة يصلي ولا ينام ويصوم ولا يضر فقال لكني
أصلي وأنام وأصوم وأفطر هذه سقني فن رغب عنها فليس مني ن من حديث عبد الله بن عمرو
دون قوله هذه سقني الخ وهذه الزيادة لابن خزيمة من رغب عن سقني فليس مني وهي متفق عليها
من حديث أنس (٧) حديث لاتشادوا لهذا الدين فانه متين فمن يشاده يغلبه ولا تنسى إلى تسلك
عبادة الله من حديث أبي هريرة لن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه فسعدوا وقربوا والبقى من
حديث جابر إن هذا الدين متين فأغزل فيه برفق ولا تنسى إلى تسلك عبادة الله ولا يصح إسناده .

(٨) حديث الدعاء المأثور عند النوم باسمك اللهم رب وضعت جنبي الحديث إلى آخر الدعوات المأثورة
التي أوردناها في الدعوات تقدم هناك وفي الدعوات

أن يلبسها فأخبر الشيخ
بما عده عند الطالب
من قولي له فاستحضرني
وعاتبني على قولي له ذلك
وقال بيته إليك حتى
تسلكه بما يزدريغته
في الحرقة فكلمته بما
قربت عزيمته ثم الذي
ذكرته كله صحيح
وهو الذي يجب من
حقوق الحرقة ولكن
إذا أقرنا للتبدي
بذلك شر وعجز عن
القيام به فحين غلبه
الحرقة حتى يتشبه
بالقوم ويتزني بزيم
يقربه ذلك من
مجالسهم ومعاظمتهم
ويركة مخالطتهم معهم
ونظرة إلى أحوال القوم
وسيرهم يجب أن يسلك
مسلكهم ويصل
بذلك إلى شيء من
أحوالهم ويوافق هذا
القول من الشيخ أحمد
التزالي ما أخبرنا شيخنا
رحمه الله قال أنا
عصام الدين عمر بن
أحمد الصار قال أنا
أبو بكر أحمد بن علي بن

وآخر بن إسرائيل - قل ادعوا الله الآتين فإنه يدخل في شمارهم ملك يوكل يحفظه فيستغفر له ويقرأ المودتين وينفث بهن في يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده كذلك روى من فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) وليقرأ عشرا من أول الكهف وعشرا من آخرها وهذه الآي للاستيقاظ لقيام الليل وكان على كرم الله وجهه يقول ما أرى أن رجلا مستكملا عقله يتم قبل أن يقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة وليقل خسا وعشرين مرة سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ليكون مجموع هذه الكلمات الأربع مائة مرة . التاسع أن يذكر عند النوم أن النوم نوع وفئة واليقظ نوع يموت قال الله تعالى - الله يتوفى الأهل حين موتها والتي لم تمت في منامها - وقال - وهو الذي توفاكم بالليل - فبها توفوا وكان أن السيقظ تكشف له مشاهدات لاتناسب أحواله في النوم فكذلك المبعوث يرى ما لم يخطر قط بباله ولا عاينه حسه ومثل النوم بين الحياة والوفاة مثل البرزخ بين الدنيا والآخرة . وقال لقمان لابنه يا بني إن كنت تشك في الموت فلا تنم ففكما أنك تمام كذلك غوت وإن كنت تشك في البعث فلا تنم ففكما أنك تنم بعد موتك فكذلك تبعث بعد موتك وقال كعب الأحبار إذا نمت فاضطجع على شقك الأيمن واستقبل القبلة بوجهك فانها وفاة وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر ما يقول حين يتم وهو واضع خده على يده اليمنى وهو يرى أنه ميت في ليلته تلك « اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء ومليك » (٢) الدعاء إلى آخره كاذرناه في كتاب الدعوات فتحق على العبد أن يشق عن ثلاثة عند نومه أنه على ماذا يتم وما الغالب عليه حب الله تعالى وحب لقائه وأحب الدنيا وليتحقق أنه يتوفى على ما هو الغالب عليه ويعشى على ما يتوفى عليه فان للرمع من أحب ومع ما أحب . الماشر الدعاء عند التنبه فليقل في نية ظناته وتوكلها بهما تنبه ما كان يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار » وليجتهد أن يكون آخر ما يجري على قلبه عند النوم ذكر الله تعالى وأول ما يرد على قلبه عند اليقظ ذكر الله تعالى فهو علامة الحب ولا يلازم القلب في هاتين الحالتين إلا ما هو الغالب عليه فليجرب قلبه فهو علامة الحب فانها علامة تكشف عن باطن القلب وإنما استجبت هذه الأذكار لتستجر القلب إلى ذكر الله تعالى فإذا استيقظ يقوم قال الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور إلى آخر ما أوردناه من أدعية اليقظ . الورد الرابع : يدخل بعض النصف الأول من الليل إلى أن يبقى من الليل مائة ومئة وذلك يقوم العبد للتهجد فاسم التهجد يختص بعباد المجدود والمجود وهو النوم وهذا وسط الليل ويشبه الورد الذي بعد الزوال وهو وسط النهار وبه أقسم الله تعالى فقال - والليل إذا سجى - أي إذا سكن وسكونه هدوء في هذا الوقت فلابتني عين إلا نائمة سوى الحى القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم وقيل إذا سجى إذا امتد وطال وقيل إذا أظلم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم « أي الليل أصح قال جوف الليل » (٣) وقال داود صلى الله عليه وسلم لم يلى

خلف قال أنا الشيخ عبد الرحمن السلمي قال سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفر بن يقول سمعت أبا القاسم الجليد يقول إذا لقيت الفقير فلا تبدأ بالعلم وابدأ بالرفق فان العلم يوحشه والرفق يؤنسه ويفرق الصوفية بالمتهيين بهم ينتفع بالبندي الطالب وكل من كان منهم أكمل سلا وأوفر علما كان أكثر رقبا بالبندي الطالب . حكى عن بعضهم أنه سب طالب فكان يأخذ نفسه بكثرة للمعاملات والمجاهدات ولم يقصد بذلك إلا لنظر البندي إليه والتأدب بأدبه والاعتناء به في عمله وهذا هو الرفق الذي مداخل في شيء إلا زانه فالتشبه الحقيقي له إيمان بطريق النوم وحمل بتفضاه وسلوك واجتهاد على ما ذكرناه أنه صاحب مجاهدة

- (١) حديث قرابة المودتين عند النوم ينفث بهن في يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث عائشة كان آخر ما يقول حين يتم وهو واضع خده على يده اليمنى اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم الحديث تقدم في الدعوات دون وضع الحدة على اليد وتقدم من حديث حمزة (٣) حديث كان يقول عند تيقظه لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار ابن القيم وأبو نعم في كتابها عمل اليوم والليل من حديث عائشة (٤) حديث سئل أي الليل أصح قال جوف الليل د ت وصححه من حديث عمرو بن عتبة .

إني أحب أن أتبذل لك فأني وقت أفضل فأوحى الله تعالى إليه يادود لآتم أول الليل ولا آخره فان من قام أوله نام آخره ومن قام آخره لم يقم أوله ولكن قم وسط الليل حتى تغلوبي وأخوبك وأبرهن على حوائجك وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم «أي الليل أفضل فقال نصف الليل الغابر» (١) . في الباقي وفي آخر الليل وردت الأخبار باعتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن ومن نزول الجبار تعالى إلى معاء الدنيا (٢) . وغير ذلك من الأخبار وترتيب هذا الورد أنه بعد الفراغ من الأدعية التي للاستيقاظ يتوضأ وضوءا كما سبق بسنته وآدابه وأدعيته ثم يتوجه إلى مصلاه ويقوم مستقبلا القبلة ويقول الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيل ثم يسبح عشرا وليحمد الله عشرا ويهلل عشرا وليقل الله أكبر ذولا للسكرات والجبروت والكبرياء والعظمة والجلال والقدرة وليقل هذه الكلمات فانها مأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيامه للتهجد : اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ولك الحمد أنت بهاء السموات والأرض ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن ومن عليهن أنت الحق ومنك الحق وقاؤه حق والجنة حق والنار حق والنشور حق والنبيون حق وعهد على الله عليه وسلم حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فأغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت أنت القدم وأنت للآخر لا إله إلا أنت (٣) اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها (٤) اللهم اهدي لأحسن الأعمال لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت (٥) أسألك مسألة البائس السكين وأدعوك دعاء للفتن الدليل فلا تخجلني بدعائك رب شقيا وكفي روقا رحيبا خيرا للسؤلين وأكرم العاطلين (٦)

(١) حديث سئل أي الليل أفضل قال نصف الليل الغابر أحمد وحسب من حديث أبي ذر دون قوله الغابر وهي في بعض طرق حديث عمرو بن عبسمة .

(٢) (الأخبار الواردة في اعتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن في آخر الليل ونزول الجبار إلى معاء الدنيا)

أما حديث النزول فقد تقدم وأما الباقي فهي آثار رواها محمد بن نصر في قيام الليل من رواية سعيد الجبري قال : قال داود ياجبريل أي الليل أفضل قال ما أدري غير أن العرش يهتز من السحر وفي رواية له عن الجبري عن سعيد بن أبي الحسن قال إذا كان من السحر ألا ترى كيف يهزج ريح كل شجرة وله من حديث أبي البرداء مرفوعا إن الله تبارك وتعالى لينزل في ثلاث ساعات يقين من الليل فيفتح الله في الساعة الأولى وفيه ثم ينزل في الساعة الثانية إلى جنة عدن الحديث وهو منه (٣) حديث القول في قيامه للتهجد اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس دون قوله أنت بهاء السموات والأرض ولك الحمد أنت زين السموات والأرض ودون قوله ومن عليهن ومنك الحق (٤) حديث اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها أحمد بإسناد جيد من حديث عائشة أنها قتدت النبي صلى الله عليه وسلم من مضجعه فليسته يدها فوقت عليه وهو ساجد وهو يقول رب أعط نفسي تقواها الحديث (٥) حديث اللهم اهدي لأحسن الأعمال لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت م من حديث طي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قام إلى الصلاة فذكره بلفظ لأحسن الأخلاق وفيه زيادة في أوله (٦) حديث أسألك مسألة البائس السكين وأدعوك دعاء الضبط الدليل الحديث الطبراني في الصغير من حديث ابن عباس أنه كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم عشة عرفة تقدم في الحج .

وعاشية . ثم يصير متصوفا صاحب مراقبة ثم يصير صوفيا صاحب مشاهدة فأما من لم يتطلع إلى حال التصوف والصوفي بالتشبه ولا يقصد أوائل مقاصدهم بل هو مجرد تشبه ظاهر من ظاهر اللبسة والمشاركة في أئري والصورة دون السيرة والصفة فليس ينتشبه بالصوفية لأنه غير حالهم بالخول في بدايتهم فاذن هو متشبه بالمتشبه يمتري إلى القوم بمجرد لبسه ومع ذلك هم القوم لا يشق ٣٣ جليسه وقد ورد « من تشبه بقوم فهو منهم » . أخبرنا الشيخ أبو الفتح محمد بن سليمان قال أنا أبو الفضل حميد قال أنا الحافظ أبو نعيم الأصبهاني قال أنا عبد الله بن محمد بن جعفر قال ثنا عمر بن أحمد بن أبي حاتم قال ثنا إبراهيم بن محمد

الشافعي قال تناطى بن أحمد قال تناطى بن علي للتدسي قال ثنا محمد ابن عبد الله بن عامر قال ثنا إبراهيم بن الأعمش قال ثنا فضيل ابن عياض عن سليمان الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لله ملائكة فضلا عن كتاب الناس يطوفون في الطرق ويتبعون مجالس الله كرفاذاوا قوما يذكر الله تادوا هلسوا إلى حاجتك فيحفونهم بأجنحتهم إلى عنان السماء فيقول الله وهو أعلم ما يقول عباده ؟ قالوا يصعدونك

ويسبحونك ويعجبونك فيقول وهل رأوني فيقولون لا فيقول حكيف لو رأوني قالوا لو رأوك كانوا أشد تسيحا وتعجبا فيقول

وذلك عائشة رضى الله عنها « كان صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل افتتح صلاته قال : اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم (١) ثم يفتتح الصلاة ويصلي ركعتين خفيفتين ثم يصلي متى متى مايسر له ويختم بالوتر إن لم يكن قد صلى الوتر ويستحب أن يفصل بين الصلاتين عند تسليعه بمائة تسبيحة ليستريح ويبرد نشاطه الصلاة وقد صح في صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل أنه صلى أولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقصر بالتدريج إلى ثلاث عشرة ركعة (٢) وسئلت عائشة رضى الله عنها أكان رسول الله ﷺ يجهر في قيام الليل أم يسر قالت ربما أسر (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « صلاة الليل متى متى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة (٤) » وقال « صلاة للرب أوترت صلاة النهار فأوترت صلاة الليل (٥) » وأكثر ماصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيام الليل ثلاث عشرة ركعة (٦) وقرأ في هذه الركعات من ورده من القرآن أو من السور المخصوصة ماخف عليه وهو في حكم هذا الورد قريب من السدس الأخير من الليل . الورد الخامس : السدس الأخير من الليل وهو وقت السحر فإن الله تعالى قال - وبالأحجارم يستغفرون - قيل صلون لما فيها من الاستغفار وهو مقارب للفجر الذي هو وقت انصراف ملائكة الليل وإيقال ملائكة النهار وقد أمر بهذا الورد سلمان أخاه أبو الدرداء رضى الله عنهما ليلة زاره (٧) في حديث طويل قال في آخره فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم فقال لسلمان ثم قام ثم ذهب ليقوم فقال له ثم قام فلما كان عند الصبح قال له سلمان قم الآن فاما فضليا فقال إن لنفسك عليك حقا وإن لنفيسك عليك حقا وإن لأهلك عليك حقا فأعط كل ذي حق حقه وذلك أن امرأة أبي الدرداء أخبرت سلمان أنه لا ينام الليل قال فأبى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال صدق سلمان وهذا هو الورد الخامس وفيه يستحب السجود وذلك عند خوف طلوع الفجر والوظيفة في هذه الورد بين الصلاة فإذا طلع الفجر انقضت أورد الليل ودخلت أورد النهار فيقوم ويصلي ركعتي الفجر وهو الورد بقوله تعالى - ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم - ثم - شهد الله أنه لا إله إلا هو - ولللائكة - إلى آخرها ثم يقول وأنا أشهد بما شهد الله به لنفسه وشهدت به ملائكته وأولو العلم من خلقه وأستودع الله هذه الشهادة وعلى الله تعالى ودية وأسأله حفظها حتى يوفاني عليها اللهم احطط عني بها وزرا واجعلني عندك ذخرا واحتفظها على وتوفني عليها حتى ألقاها غير مبدل تبديلا فهذا ترتيب الأوراد للعباد وقد كانوا يستحبون أن يجمعوا مع ذلك في كل يوم بين أربعة أمور صوم وصدقة وإن قلت وعيادة مريض وشهود جنازة ففي الخبر

(١) حديث عائشة كان إذا قام من الليل افتتح صلاته قال اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض الحديث رواه (٢) حديث أنه صلى بالليل أولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقصر بالتدريج إلى ثلاث عشرة ركعة من حديث زيد بن خالد الجهني (٣) حديث سئلت عائشة أكان يحجر رسول الله ﷺ في قيام الليل أم يسر قالت ربما جهر وربما أسر دن ه باسناد صحيح (٤) حديث صلاة الليل متى متى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة متفق عليه وقد تقدم (٥) حديث صلاة للرب أوترت صلاة النهار فأوترت صلاة الليل أحمد من حديث ابن عمر باسناد صحيح (٦) حديث القيام من الليل ثلاث عشرة ركعة فإنه أكثر ماصح عنه تقدم (٧) حديث زار سلمان أبا الدرداء فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم فقال له سلمان ثم قام الحديث وفي آخره فقال صدق سلمان خ من حديث أبي جيفة .

« من جمع بين هذه الأربع في يوم غفره ^(١) » وفي رواية دخل الجنة لأنفق بعضها وعجز عن الآخر كأن له أجر الجنتين حسب نيته وكانوا يكرهون أن يقضى اليوم ولم يتصدقوا فيه بصدقة ولو تمرة أو بوسلة أو كرسية أو قودس إلى الله عليه وسلم « الرجل في ظل سدته حتى يقضى بين الناس ^(٢) » وقلوه صلى الله عليه وسلم « اتقوا النار ولو بشق تمره ^(٣) » ودعت عائشة رضي الله عنها إلى مسائل عبدة واحتدقوا خدوها فظفر من كان عندها بعضهم إلى بعض فقالت ماليك إن ذبا لما قيل لذكر كبير وكانوا لا يستحبون رد السائل إذا كان من أخلاق رسول الله ﷺ ذلك ما سأله أحد شيوخنا فقال لا ولكنه إن لم يقدر عليه سكت ^(٤) وفي الخبر « يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة حتى ينفصل وفي جسده ثمانية وستون مفصلا فأمره بالمعروف صدقة ونهيكم عن المنكر صدقة وحملكم عن الضيف صدقة وهذا يك إلى الطريق صدقة وإمامتك الأذى صدقة حتى ذكر التسبيح والتهليل ثم قال وركتنا الضحى تأتي على ذلك كله أو نجتمع من ذلك ذلك كله ^(٥) » .

(بيان اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال)

اعلم أن الرشد لحث الآخرة السالك لطريقها لا يغلو عن ستة أحوال فإنه إما عابد أو عالم وإما متعلم وإما والد أو إمام أو حرم متفرق إلى واحد الصمد عن غيره . الأول : العابد وهو المتجرد للعبادة الذي لا يشغل به غيرها أصلا ولو ترك العبادة جلس إطلاقا فترتيب أورادهم ما ذكرناه ، ثم لا يبعد أن تختلف وظائفهم بأن يستقرق أكثر أوقاته إما في الصلاة أو في القراماة أو في التسبيحات قد كان في الصحابة رضي الله عنهم من ورده في اليوم اثنا عشر ألف تسبيحة وكان فيهم من ورده ثلاثون ألفا وكان فيهم من ورده ثلثة أربعة ركة إلى سبائة وإلى ألف ركة وأقل ما نقل في أورادهم من الصلوات ثمانية ركة في اليوم واليلية وكان بعضهم يقرأ القرآن وكان يحتم الواحد منهم في اليوم مرة وروى مرتين عن بعضهم وكان بعضهم يقضى اليوم أو اليلية في التنكير في آية واحدة يرددها وكان كرز بن وبرة مقيا بمكة فكان يطوف في كل يوم سبعين أسبوعا وفي كل ليلة سبعين أسبوعا وكان مع ذلك يحتم القرآن في اليوم واليلية مرتين فحسب ذلك فكان عشرة فرائض ويكون مع كل أسبوع ركتان فهو مائتان وثمانون ركة متوالتا وختمتان وعشرة فرائض فان قلت فما الأولى أن يصرف إليه أكثر الأوقات من هذه الأوراد . فاعلم أن قراءة القرآن في الصلاة قائما مع التدبير يجمع الجميع ولكن ربما قصر الواظبة عليه فالأفضل يخالف باختلاف حال الشخص ومقصود الأوراد تزكية القلب وتطهيره وتحليته بذكر الله تعالى وإنسانه به فليظفر المرید إلى قلبه لما يراه أشد تأثيرا فيه فليواظب عليه فإذا أحسن بملازمة منه فلينتقل إلى غيره . ولقد نرى الأصوب لأكثر الحلقى توزيع هذه الخيرات المختلفة على الأوقات كما سبق واللائق فيها من نوع إلى نوع لأن اللال هو الغالب على الطبع وأحوال الشخص الواحد في ذلك أيضا تختلف ولكن إيفاءهم هذه الأوراد وسرها فليقتضى للفقير أن يسمع تسبيحة مثلا وأحس ما يوقع في قلبه فليواظب على تكرارها مادام يجد لها وصفا وقدرى عن إبراهيم بن آدم عن بعض الأبدال أنه قام ذات ليلة يصلى على شاطئ البحر فسمع صوتا عاليا بالتسبيح وأمر أحدا فقال من أنت أسمع صوتك ولا أرى شخصك قال أنا ملك من اللاتكة موكل بهذا البحر أسمع الله تعالى بهذا التسبيح منذ خلقت

- (١) حديث من جمع بين صوم وصدقة وعبادة مريض وشهود جنازة في يوم غفره وفي رواية دخل الجنة من حديث أبي هريرة ما اجتمع من امرئ إلا دخل الجنة (٢) حديث الرجل في ظل صدقة حتى يقضى بين الناس تقدم في الزكاة (٣) حديث اتقوا النار ولو بشق تمره تقدم في الزكاة (٤) حديث ماسأله أحد شيوخنا قال لا إن لم يقدر عليه سكت من حديث جابر وللزائر من حديث أنس أوسكت (٥) حديث يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة الحديث من حديث أبي ذر .

ما يسألوني ؟ قالوا
يسألونك الجنة فيقول
وهل رأوها قالوا
لا فيقول كيف لم رؤوها
قالوا لو رأوها كانوا
أشد لها طلبا وعليها
أكثر حرصا قالوا

ويشودون من النار
فيقول وهل رأوها
قالوا لا فيقول كيف
لو رأوها قالوا كانوا
أشد منها تموضا وأشد
فرارا فيقول أشهدكم
أنى قد غفرت لهم
فيقول الملك فيهم فلان
ليس منهم إنما جاءهم
لحاجة فيقول تبارك
وتعالى ثم الجلساء
لا يشقى جلسهم فلا
يشقى جلسي الصوفية
والتشبه بهم والمحب
لهم .

[الباب الثامن في ذكر
للائق وشرح حاله]
قال بعضهم لللائق
هو الذي لا يظهر خيرا
ولا يستر شره وشرح
هذا هو أن اللائق
تخبر عروقه طم
الإخلاص وتحقق

قلت فيما سمكت قال سبحانه يا بلى قلت فما ثواب من قاله قال من قاله مائة مرة لمعت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له والتسبيح هو قوله سبحانه الله على الدين سبحانه الله الشد بالأركان سبحانه من يذهب بالليل ويأتى بالنهار سبحانه من لا يشغله شأن عن شأن سبحانه الله الختان للثان سبحانه الله السبح في كل مكان فهذا وأمثاله إذا سمعه الريد ووجد له في قلبه وقفا فيلازمه وأيا ما وجد القلب عنده وفتح له فيه خير فليواظب عليه . الثاني : العالم الذي ينعم الناس بلمه في قنوى أو تدريس أو تصنيف فترتبه الأوراد بخلاف ترتيب العابد فانه يحتاج إلى اللطالة للكتب وإلى التصنيف والإفادة ويحتاج إلى مدة لها لاجالة فان أمكنه استغراق الأوقات فيه فهو أفضل ما يشغل به بعد المكتوبات وروايتها ويدل على ذلك جميع ما ذكرناه في فضيلة التعلم والتعلم في كتاب العلم وكيف لا يكون كذلك وفي العلم المواظبة على ذكر الله تعالى وتأمل ما قال الله تعالى وقال رسوله وفيه منفعة الخلق وهدايتهم إلى طريق الآخرة ورب مسئلة واحدة يتعلم للتعلم فيصالح بها عبادة عمره ولولم يتعلمها لكان سعيه ضالما وإنما نفى بالعلم للتقدم على العبادة العلم الذي يرغب الناس في الآخرة ويتردهم في الدنيا أو العلم الذي يبينهم على سلوك طريق الآخرة إذا تعلموه على قصد الاستعانة به على السلوك دون العلوم التي تزيد بها الرغبة في اللال والجاه وقبول الخلق والأولى بالعالم أن يقسم أوقاته أيضا فان استغراق الأوقات في ترتيب العلم لا يحتمل الطبع فينبغي أن يخص ما بعد الصبح إلى طلوع الشمس بالأذكار والأوراد كذا ذكرناه في الورد الأول وبعد الطلوع إلى ضحوة النهار في الإفادة والتعليم إن كان عنده من يستفيد علما لأجل الآخرة وإن لم يكن فيصرفه إلى الصكر ويضكر فيها بشكل عليه من علوم الدين فان صفاء القلب بعد الفراغ من الفكر وقبل الاشتغال بهجوم الدنيا يعين على التطنن للمشكلات ومن ضحوة النهار إلى العصر للتصنيف واللطالة لا يتركها إلا في وقت أكل وطهارة ومكتوبة وقيلولة خفيفة إن طال النهار ومن العصر إلى الاصفرار يشغل بسباع ما يقرأ بين يديه من تفسير أو حديث أو علم نافع ومن الاصفرار إلى الغروب يشغل الفكر والاستغفار والتسبيح فيكون ورده الأول قبل طلوع الشمس في عمل اللسان وورده الثاني في عمل القلب بالنفكر إلى الضحوة وورده الثالث إلى العصر في عمل العين واليد بالمطالعة والكتابة وورده الرابع بعد العصر في عمل السمع ليرجع فيه العين واليد فان المطالعة والكتابة بعد العصر ربما أضرا بالعين وعند الاصفرار يعود إلى ذكر اللسان فلا يخلو جزء من النهار عن عمله له بالجوارح مع حضور القلب في الجميع وأما الليل فأحسن قسم فيه قسمة الشافعي رضي الله عنه إذا كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء ثلثا للمطالعة وترتيب العلم وهو الأول وثلثا للصلاة وهو الوسط وثلثا للنوم وهو الأخير وهذا يتيسر في ألبال الشتاء والصيف ربما لا يحتمل ذلك إلا إذا كان أكثر النوم بالنهار فهذا ما نستجبه من ترتيب أوراد العلم . الثالث : التعلم والاشتغال بالعلم أفضل من الاشتغال بالأذكار والنوافل فعلمه حكم الماعى في ترتيب الأوراد ولكن يشغل بالاستفادة حيث يشغل العالم بالإفادة والتطبيق والنسخ حيث يشغل العالم بالتصنيف وترتب أوقاته كما ذكرنا وكل ما ذكرناه في فضيلة التعلم واللم من كتاب العلم يدل على أن ذلك أفضل بل إن لم يكن متعلما على معنى أنه يخلق ويحصل ليسير علما بل كان من العلوم فحضوره مجالس الفكر والوعظ واللم أفضل من اشتغاله بالأوراد التي ذكرناها بعد الصبح وجد الطلوع وفي سائر الأوقات في حديث أبي نذر رضي الله عنه « أن حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وتشهود ألف جنازة وعبادة ألف مريض » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم رياض الجنة فارتقوا فيها

(١) حديث أبي نذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة الحديث تقدم في العلم .

بالصدق فلا يحب أن يطلع أحد على حاله وأعماله . أخبرنا الشيخ أبو زرعة طاهر ابن أبي الفضل القدسي إجازة قال أنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف الشيرازي إجازة قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلي قال سمعت علي بن سعيد وسأته عن الإخلاص ماهو قال سمعت علي بن إبراهيم وسأته عن الإخلاص ماهو قال سمعت محمد بن جعفر الحفاف وسأته عن الإخلاص ماهو قال سألت أحمد بن بشار عن الإخلاص ماهو قال سألت أبا يعقوب الشروطي عن الإخلاص ماهو قال سألت أحمد بن غسان عن الإخلاص ماهو قال سألت أحمد بن علي الجهمي عن الإخلاص ماهو قال سألت عبد الواحد ابن زبدي عن

قضى يارسول الله وما رياض الجنة قال خلق الله ذكر^(١) وقال كعب الأحبار رضى الله عنه لو أن تواب
عجالى العلماء بدأ للناس لاقتنوا عليه حتى يترك كل ذي إمارة وإماره وكل ذى سوق وسوقه . وقال عمر
ابن الخطاب رضى الله عنه إن الرجل ليخرج من منزله وعليه من القنوب مثل جبال نهامة فإذا سمع
العالم خاف واسترجع من ذنوبه وانصرف إلى منزله وليس عليه ذنب فلا تخارقوا عجالى العلماء فإن الله
عز وجل لم يخلق على وجه الأرض تربة أكرم من عجالى العلماء . وقال رجل للحسن رحمه الله أشكو
إليك مساواة قلبي فقال أدنه من عجالى الله كروا رأى عمار الزاهدى مسكنة الطفاوية فى المنام وكانت
من اللواظبات على خلق الله قال مرحبا يا مسكنة فقالت هيهات هيهات ذهبت للمسكنة وجاء النفي
فقال هيه قالت ماتسأل عمن أسبغ لها الجنة عذافيرها قال يوم ذلك قالت بمجالسة أهل الذكر وعلى
الجنة لما ينزل عن القلب من عقد حب الدنيا بقولوا عظم حسن الكلام زكى السيرة أشرف وأنفع من
ركعات كثيرة مع اشتغال القلب على حب الدنيا . الرابع : المحترف الذى يحتاج إلى الكسب ليلاله
فليس له أن يضع العيال ويستغرق الأوقات فى العبادات بل ورده فى وقت الصناعة حضور السوق
والاشتغال بالكسب ولكن ينبغي أن لا ينسى ذكر الله تعالى فى صناعته بل يواظب على التسهيلات
والأدكار وقراءة القرآن فإن ذلك يمكن أن يجمع إلى العمل وإنما لا يتيسر مع العمل الصلاة إلا أن
يكون ناظرا فإنه لا يجزى عن إقامة أوراد الصلاة معه ثم مهما فرغ من كفايته ينبغي أن يعود إلى
ترتيب الأوراد وإن دوام على الكسب وتصديق بما فضل عن حاجته فهو أفضل من سائر الأوراد
التي ذكرناها لأن العبادات للتدنية فائدتها أنفع من اللازمة والصدقة والكسب على هذه التنية عبادة
لهى نفسه تقربه إلى الله تعالى ثم يحصل به فائدة الغير وتجذب إليه بركات دعوات المسلمين ويضاعف
به الأجر . الخامس : الوالى مثل الامام والقاضى وللتولى لينظر فى أمور المسلمين قيامه بحاجات
المسلمين وأغراضهم على وفق الشرع وقصد الاخلاص أفضل من الأوراد المذكورة لكنه أن يشتغل
بحقوق الناس نهارا ويقصر على المكتوبة ويقيم الأوراد المذكورة بالليل كما كان عمر رضى الله
عنه يفعل إذ قال ما لى ولقوم فلو تمت بالهارضيت للمسلمين ولو تمت بالليل ضيقت نفسى وقد فهمت
بما ذكرناه أنه يقدم على العبادات البدنية أهمها أحدها العلم والآخر الرفق بالمسلمين لأن كل واحد
من العلم وفضل المعروف عمل فى نفسه وعبادة تفضل سائر العبادات بتعدى فائدته وانتشار جدواه
فكانا مقدمين عليه . السادس : الواحد للسترخى بالواحد الصمد الذى أصبح وهو مغموم ثم واحد
فلا يحب إلا الله تعالى ولا يخاف إلا منه ولا يتوقع الرزق من غيره ولا ينظر فى شئ إلا ويرى الله
تعالى فيه فمن ارتفعت رتبته إلى هذه الدرجة لم يقتصر على تنوع الأوراد واختلافها بل كان ورده
بمد المكتوبات واحدا وهو حضور القلب مع الله تعالى فى كل حال فلا يخطر بقلوبهم أمر ولا يفرح
بمهم قارع ولا يولج بأصايرهم لآلح إلا كان لهم فيه عبرة وفكر ومزيد فلا يحرك لهم ولا مسكن إلا
الله تعالى فهو لأج جميع أحوالهم يصلح أن تكون سببا لازديادهم فلا تميز عندم عبادة عن عبادة وهم
الذين فروا إلى الله عز وجل كما قال تعالى - لعلكم تذكرن - ففروا إلى الله وتحقق فيهم قوله تعالى
- وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته - وإليه الإشارة
بقوله - إنى ذاهب إلى ربى سيدى - وهذه منتهى درجات الصديقين ولا وصول إليها إلا بعد ترتيب
الأوراد واللواظبة عليها دهرًا طويلا فلا ينبغي أن يتردد المرء بما سمع من ذلك فيبعثه نفسه ويتر

الاخلاص ماهو قال
سألت الحسن عن
الاخلاص ماهو قال
سألت حذيفة عن
الاخلاص ماهو قال
سألت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن
الاخلاص ماهو قال
وسألت جبرائيل عن
الاخلاص ماهو قال
سألت رب العزة عن
الاخلاص ماهو قال
هو سر من سرى
استودعت قلب من
أحببت من عبادى
فالملازمة لهم مزيد
اختصاص بالتمسك
بالاخلاص يرون كتم
الأحوال والأعمال
ويتلذذون بكتسابها حتى
لو ظهرت أعمالهم
وأحوالهم لأحد
استوحشوا من ذلك
كما يستوحش العاصى
من ظهور مصيئته
فاللازم عظم وقع
الاخلاص ومومنه
وتمسك به مقتدا به
والسوقى ثابت فى

(١) حديث إذا رأيتم رياض الجنة فارتموا فيها الحديث تهنم فى العلم .

عن وظائف عبادته فذلك علامته أن لا يهيج في قلبه وسواس ولا يخطر في قلبه مصيبة ولا تزجور
هواجم الأهوال ولا تستغزه عظام الأشنال وأن تزرق هذه الرتبة لكل أحد فيتمين على الكفاية
ترتيب الأوراد كما ذكرناه وجميع مذكراته طرق إلى الله تعالى قال تعالى - قل كل يعمل على شاكلته
فربكم أعلم - عن هو أهدي - سبلا - فكلمهم مهتدون وبهضم أهدي من بعض وفي الخبر « الإيمان
ثلاث وثلاثون وثلاثمائة طريقة من لقي الله تعالى بالشهادة على طريق منها دخل الجنة (١) » وقال
بعض العلماء الإيمان ثلاثمائة وثلاثة عشر خلقا بعد الرسل فكل مؤمن على خلق منها فهو سالك
الطريق إلى الله فإن الناس وإن اختلفت طرقهم في العبادة فكلمهم على الصواب - أولئك الذين
يدعون يثبتون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب - وإنما يثابتون في درجات القرب في أصله وأقربهم
إلى الله تعالى أعرفهم به وأعرفهم به لا بد وأن يكون أعبد لهم له فن عرفه لم يبد غيره . والأصل في
الأوراد في حق كل صنف من الناس للدوامه فإن الراد منه تغيير الصفات الباطنة وآحاد الأعمال
يقل آثارها بل لا يحس بآثارها وإنما يترتب الأثر على المجموع فإذا لم يسب العمل الواحد أثرًا محسوسا
ولم يرد ثبات وثالث على القرب أغنى الأثر الأول وكان كالفقيه يريد أن يكون قلبه النفس فانه
لا يصير قلبه النفس إلا بتكرار كثير فلو بالغ ليق في التكرار وترك شهرا أو أسبوعا ثم عاد وبالغ ليلة
لم يؤثر هذا فيه ولو وزع ذلك القدر على الليالي للتواصله لأثر فيه ولهذا السر قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل (٢) » . وسئلت عائشة رضي الله عنها عن عمل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : كان عمله ديمة وكان إذا عمل عملا أثبته (٣) . ولذلك قال صلى
الله عليه وسلم « من عوده الله عبادة فتركها ملالة مقته الله (٤) » . وهذا كان السبب في صلته بعد
العصر تداركها فاته من ركعتين شغلها عنها الوقت ثم لم يزل بعد ذلك يصلحها بعد العصر ولكن
في منزله لافي المسجد كيلا يتقدي به (٥) روت عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما . فان قلت فهل لغيره
أن يتقدي به في ذلك مع أن الوقت وقت كراهية ؟ . فاعلم أن المعاني الثلاثة التي ذكرناها في الكراهية
من الاحتراز عن التشبه بعبدة الشمس أو السجود وقت ظهور قرن الشيطان أو الاستراحة عن
العبادة خدرا من اللال لا يتحقق في حقه فلا يقاس عليه في ذلك وغيره ويشهد لذلك فعله في المنزل
حتى لا يتقدي به صلى الله عليه وسلم .

(١) حديث الإيمان ثلاث وثلاثون وثلاثمائة طريقة من لقي الله بالشهادة على طريق منها دخل الجنة
ابن حاشين واللائكائي في السنة والطبراني والبيهقي في الشعب من رواية الثوري عن عبد الرحمن بن عبيد
عن أبيه عن جده الإيمان ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون شريعة من وإلى شريعة منهن دخل الجنة وقال
الطبراني والبيهقي ثلاثمائة وثلاثون وفي إسناده جهالة (٢) حديث أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن
قل متفق عليه من حديث عائشة (٣) حديث سئلت عائشة عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالت كان عمله ديمة وكان إذا عمل عملا أثبته رواه (٤) حديث من عوده الله عبادة فتركها
ملالة مقته الله تهم في الصلاة وهو موقوف على عائشة (٥) حديث شغلها عنها الوقت من ركعتين فصلها
بعد العصر ثم لم يزل يصلحها بعد العصر في منزله متفق عليه من حديث أم سلمة أنه صلى الله عليه وسلم
العصر ركعتين وقال شغلني ناس من عبد القيس عن الركعتين بعد الظهر ولهما من حديث عائشة
ما تركهما حتى لقي الله وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلحها ولا يصلحها في المسجد مخافة أن يتقل
على أمته ، والله للواقع للصواب .

إخلاصه عن إخلاصه .
قال أبو يعقوب
السوسي مقي شهدوا
في إخلاصهم الإخلاص
احتاج إخلاصهم إلى
إخلاص وقال الذنون
ثلاث من علامات
الإخلاص استواء القلب
وللح من العامة
ونسيان رؤية الأعمال
في الأعمال وترك
اقتضاء ثواب العمل في
الأخرة أخبرنا أبو زرعة
إجازة قال أنا أبو بكر
أحمد بن علي بن خلف
إجازة قال أنا أبو
عبد الرحمن قال سمعت
أبا عثمان الترمذي يقول:
الإخلاص مالا يكون
لنفس فيه حظ محال
وهذا إخلاص العوام
وإخلاص الخواص
ما يجري عليهم لاهم
فتبدو منهم الطاعات
وهم عنها بمنزلة لا تقع
لهم عليها رؤية ولا بها
استعداد فذلك إخلاص

(الباب الثاني في الأسباب للميرة لقيام الليل وفي الإلالي التي يستحب إحياؤها

وفي فضيلة إحياء الليل وما بين المشايخ وكيفية قسمة الليل)

(فضيلة إحياء ما بين العشاءين)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في روت عائشة رضي الله عنها « إن أفضل الصلوات عند الله صلاة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا عن مقم فحسبها صلاة الليل وختمها صلاة النهار فمن صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين بنى الله له قصرين في الجنة (١) » . قال الراوي لأندري من ذهب أوفضة « ومن صلى بعدها أربع ركعات غفر له ذنب عشرين سنة أو قال أربعين سنة » وروى أم سلمة وأبو هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة كاملة أو كانه صلى ليلة القدر (٢) » وعن سعيد بن جبير عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من عكف نفسه فيما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة أو قرآن كان حقا على أن ينبي له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منها مائة عام ويفرس له بينهما غراسا لوطافه أهل الدنيا لو سمعهم (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « من ركع عشر ركعات ما بين المغرب والعشاء بنى الله له قصر في الجنة فقال عمر رضي الله عنه إذا تكثر قصورنا يارسول الله قال الله قال أكثر وأفضل أو قال أطيب (٤) » وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من صلى المغرب في جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولم يتكلم بشيء فيما بين ذلك من أمر الدنيا وقرأ في الركعة الأولى فاتحة الكتاب وعشر آيات من أول سورة البقرة وآيتين من وسطها والحمد لله وإله واحد لاله إلا هو الرحمن الرحيم إن في خلق السموات والأرض إلى آخر الآية وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة ثم يركع ويسجد فإذا قام في الركعة الثانية قرأ فاتحة الكتاب وآية الكرسي وآيتين بعدها إلى قوله - وأنتك أصحاب النار هم فيها خالدون - وثلاث آيات من آخر سورة البقرة من قوله ما في السموات وما في الأرض إلى آخرها وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة (٥) » وصف من ثوابه في الحديث ما يخرج عن المحصر . وقال كرز بن وبرة وهو من الأبدال قلت لا ينضر عليه السلام عني شيئا أعمله في كل ليلة

(الباب الثاني في الأسباب للميرة لقيام الليل)

(١) حديث عائشة إن أفضل الصلاة عند الله صلاة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا عن مقم فحسبها حديث رواه أبو الوليد يونس بن عبيد الله الصغار في كتاب الصلاة ورواه الطبراني في الأوسط مختصرا وإسناده ضيف (٢) حديث أم سلمة عن أبي هريرة من صلى ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة أو كانه صلى ليلة القدر ه بلفظ اثنى عشرة سنة وضفت وأما قوله كانه صلى ليلة القدر فهو من قول كعب الأحبار كملوا له أبو الوليد الصغار ولأبي منصور الهذلي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس من صلى أربع ركعات بعد المغرب قبل أن يكلم أحدا وضعت له في عليين وكان كرن أدرك ليلة القدر في المسجد الأنهي وسنده ضيف (٣) حديث سعيد بن جبير عن ثوبان من عكف نفسه ما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة أو قرآن كان حقا على أن ينبي له قصرين في الجنة لم أجده إلا صلا من هذا الوجه وقد تضمن في الصلاة من حديث ابن عمر (٤) حديث من ركع عشر ركعات بين المغرب والعشاء بنى له قصرا في الجنة فقال عمر إذن تكثر قصورنا يارسول الله الحديث ابن المبارك في الزهد من حديث عبد الكريم بن الحرث مرسل (٥) حديث أنس من صلى المغرب في جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولا يتكلم بشيء فيما بين ذلك من أمر الدنيا وقرأ في الركعة الأولى فاتحة الكتاب وعشر آيات من أول البقرة وآيتين من وسطها والحمد لله وإله واحد الحديث أبو الشيخ في الثواب من رواية زبائن ميمون عنه مع اختلاف يسير وهو ضيف

الجواس وهذا الذي فصله الشيخ أبو عثمان للفرق بين الصوفي ولللاقي لأن الصوفي أخرج الخلق عن عمله وحاله ولكن أثبت نفسه فهو غلغل والصوفي أخرج نفسه عن عمله وحاله كما أخرج غيره فهو غلغل وشأن ما بين الخلق الخلق والمخلص قال أبو بكر الزقاق نقصان كل غلغل في إخلاصه رؤية إخلاصه فإذا أراد الله أن يخلص إخلاصه أمقط عن إخلاصه رؤيته إخلاصه فيكون غلغلا لا غلغلا قال أبو سعيد الخزاز ريام العارفين أفضل من إخلاص الريدين ومعنى قوله إن إخلاص الريدين معلول برؤية الإخلاص والعارف منزّه عن الرياء الذي يطل

فقال إدا صليت للقرآن فقم إلى وقت صلاة العشاء مصليا من غير أن تسلم أحدا وأقبل على صلاتك التي أنت فيها وسلم من كل ركعتين واقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد ثلاثا فإذا فرغت من صلاتك انصرف إلى منزلك ولا تسلم أحدا وصل ركعتين واقرأ فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد سبع مرات في كل ركعة ثم اسجد بعد تسليمك واستغفر الله تعالى سبع مرات وقل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم سبع مرات ثم ارفع رأسك من السجود واستوجالسا وارفع يديك وقل يا حي يا قيوم إذا الجلال والإكرام ياله الأولين والآخرين يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما يارب يارب يا الله يا الله يا الله ثم قم وأنت رافع يديك وادع بهذا الدعاء ثم نم حيث شئت مستقبل القبلة على يمينك وصل على النبي صلى الله عليه وسلم وأدم الصلاة عليه حتى ينهب بك النوم فقلت له أحب أن تلمن عن سمعت هذا فقال إني حضرت محمدا صلى الله عليه وسلم حيث علم هذا الدعاء وأوحى إليه به فكتكت عنده وكان ذلك بمحض من فتلمن من علمه إياه^(١) وقال إن هذا الدعاء وهذه الصلاة من داوم عليهما بحسن يقين وصديق نية رأى رسول الله ﷺ في منامه قبل أن يخرج من الدنيا وقد فعل ذلك بعض الناس فرأى أنه أدخل الجنة ورأى فيها الأنبياء ورأى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه وعلمه وعلى الجملة ماورد في فضل إحياء ما بين المشايخ كثير حتى قيل لعبد الله مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كان رسول الله ﷺ يأمر بصلاة غير المكتوبة قال ما بين للرب والعشاء^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى ما بين للرب والعشاء فذلك صلاة الأوابين^(٣) » وقال الأسود ما أتيت ابن مسعود رضي الله عنه في هذا الوقت إلا ورأيت يصلي فسألته فقال نعم هي ساعة الغفلة . وكان أنس رضي الله عنه يواظب عليها ويقول هي ناشئة الليل ويقول فيها نزل قوله تعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع - وقال أحمد بن أبي الخوارى قلت لأبي سليمان الداراني أصوم النهار وأصلي بين للرب والعشاء أحب إليك أو أفطر بالهرا أو أصوم ما بينهما فقال اجمع بينهما فقلت إن لم يتيسر فالأفطر وصل ما بينهما .

(فضيلة قيام الليل)

أما من الآيات فقولته تعالى - إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل - الآية وقوله تعالى - إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا - وقوله سبحانه وتعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع - وقوله تعالى - أمن هو قاتل آباء الليل - الآية وقوله عز وجل - والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما - وقوله تعالى - واستعينوا بالصبر والصلاة - قل هي قيام الليل يستعان بالصبر عليه على مجاهدة النفس . ومن الأخبار : قوله صلى الله عليه وسلم « يقصد الشيطان على قافية أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقدة فان توضأ انحلت عقدة فان صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان^(٤) » .

(١) حديث كرز بن وبرة أن الحضر عليه صلاة بين للرب والعشاء وفيه أن كرزاً سأل الحضر عن سمعت هذا قال إني حضرت محمدا صلى الله عليه وسلم حين علم هذا الدعاء الحديث وهذا باطل لأصله (٢) حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل له هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بصلاة غير المكتوبة قال ما بين للرب والعشاء روي أحمد وفيه رجل لم يسم (٣) حديث من صلى ما بين للرب والعشاء فذلك صلاة الأوابين تقدم في الصلاة (٤) حديث يقصد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة .

المعلول ولكن لعله يظهر شيئا من حاله وعمله يعلم كامل عنده فيه لجلب مريد أو معاناة خلق من أخلاق النفس في إظهار الحال والعمل وللأرفين في ذلك علم دقيق لا يعرفه غيرهم فيرى ذلك ناقص العلم سورة رياء وليس رياء إنما هو صريح العلم لله بالله من غير حضور نفس ووجود آفة فيه . قال درويش :

الإخلاص أن لا يرضى صاحبه عليه عوضا في الدارين ولا حظا من ذلك بين . وقال بعضهم صدق الإخلاص نسيان رؤية الخلق بمولم النظر إلى الحق وللانتمى يرى الخلق فينتج عمله وحاله وكل ما ذكرناه من قبل وصف إخلاص الصوفي ولهذا قال الزقاق لا بد لكل عاقل من رؤية

وفي الخبر « أنه ذكر عنه رجل يتم كل الليل حتى يصبح قال ذلك رجل بال الشيطان في أذنه^(١) » وفي الخبر « إن للشيطان سوطا ولموقا وذوروا فإذا أسقط العبد ساء خلقه وإذا ألحقه ذرب لسانه بالسر وإذا ذره نام الليل حتى يصبح^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « ركنان يركبهما العبد في جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتي لفرقتها عليهم^(٣) » وفي الصحيح عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا إلا أعطاه إياه » وفي رواية « يسأل الله تعالى خيرا من الدنيا والآخرة وذلك في كل ليلة » وقال الثوريين شعبة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى غطرت قدماه فقبل له أما قد غفر الله لك ما تسهم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا^(٤) ويظهر من مناه أن ذلك كناية عن زيادة الرتبة فإن الشكر مسبب للزيادة تعالى - لئن شكرتم لأزيدنكم - وقال صلى الله عليه وسلم « يا باهريه أتريد أن تكون رحمة الله عليك حيا وميتا ومقبورا ومبعوثا ثم من الليل فصل وأنت تريد رضا ربك يا باهريه صل في زوايا بيتك يكن نور بيتك في السماء كنورا والكواكب والنجوم عند أهل الدنيا^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم فإن قيام الليل قرينة إلى الله عز وجل وتكفير للذنوب ومطهرة للآفة عن الجسد ومناة عن الإثم^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « مامن امرئ تكون له صلاة بالليل فقبله عليها النوم إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه^(٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا يذو لو أردت سقرا أعددت له عدة قال نعم قال فكيف سقرا طريق القيامة ألا أنبئك يا باهريه بما ينفعك ذلك اليوم قال بلى يا بني أنت وأخي فالصوم بما شديد الحر ليلوم النشور وصل ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور وحب حبة لظلمة الأمور وتصدق بصدقة على مسكين أو كلة حق تقولها أو كلة شرت كنت عنها^(٨) »

(١) حديث ذكر عنه رجل نام حتى أصبح فقال ذلك بال الشيطان في أذنه متفق عليه من حديث ابن مسعود (٢) حديث إن للشيطان سوطا ولموقا وذوروا الحديث طبع من حديث أنس بن مالك في الشيطان لموقا وكلا فإذا لحق الإنسان من لوقه ذرب لسانه بالسر وإذا كلفه من كلفه نامت عيناه عن الذكر ورواه الزهري من حديث حمزة بن جندب وسندها ضعيف (٣) حديث ركنان يركبهما العبد في جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتي لفرقتها عليهم - آدم بن أبي إياس في الثواب ومحمد بن نصر الروزي في كتاب قيام الليل من رواية حسان بن عطية مرسل واصله أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر ولا يصح (٤) حديث الثوري بن شعبة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى غطرت قدماه الحديث متفق عليه (٥) حديث يا باهريه أتريد أن تكون رحمة الله عليك حيا وميتا ومقبورا ثم من الليل فصل وأنت تريد رضا ربك يا باهريه صل في زوايا بيتك يكن نور بيتك في السماء كنورا الكواكب والنجوم عند أهل الدنيا باطل لأصله (٦) حديث عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم الحديث ت من حديث بلال وقال غريب ولا يصح ورواه طبراني في معجمه من حديث أبي أمامة بسند حسن وقال ت إنه أصح (٧) حديث مامن امرئ يكون له صلاة بالليل فقبله عليها نوم إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه د من حديث عائشة وفيه رجل لم يسم مائة د في رواية الأسود بن يزيد لكن في طريقه ابن جعفر الرازي قال ن ليس بالقوي ورواه ن ه من حديث أبي النرداء نحوه بسند صحيح وتقدم في الباب قبله (٨) حديث إنه قال لا يذو لو أردت سقرا أعددت له عدة فكيف بسفر طريق القيامة ألا أنبئك يا باهريه بما ينفعك ذلك اليوم قال بلى يا بني وأخي قال صم يوما شديد الحر ليلوم النشور وصل ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب التهجد من رواية السري بن علفه مرسل والسري ضعيف الأثر.

إخلاصه وهو قصان
عن كمال الإخلاص
والإخلاص هو الذي
يتولى الله حفظ صاحبه
حتى يأتي به على التمام.
قال جعفر الحلي سألت
أبا القاسم الجندري رحمه
الله قلت أين الإخلاص
والصدق فرق ؟ قال نعم
الصدق أصل وهو الأول
والإخلاص فرع وهو
تابع وقال بينهما فرق
لأن الإخلاص لا يكون
إلا بسد الدخول في
المعمل ثم قال إنما هو
إخلاص ومخالصة
الإخلاص ومخالصة
كافة في المخالصة فعل
هذا الإخلاص حال
للإمق ومخالصة
الإخلاص حال الصوفي
والمخالصة الكافة من
المخالصة ثمرة مخالصة
الإخلاص وهو فناء
العبد عن رسمه
برؤية قيامه بقيومه
بل غيبته عن رؤية

وروى « أنه كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم رجل إذا أخذ الناس مضاجعهم وهبأت العيون قام يصلي ويقرأ القرآن ويقول يارب النار أجرني منها فقد كرك ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال إذا كان ذلك فاذنوني فأناؤه فاستمع فما أصبح قال يا فلان هلا سألت الله الجنة قال يا رسول الله إنني لست هناك ولا يلحق علي ذلك فلم يلبث إلا يسيرا حتى نزل جبرائيل عليه السلام وقال أخبر فلانا أن الله قد أجابه من النار وأدخله الجنة^(١) » وروى « أن جبرائيل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ثم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فكان يداوم بعده على قيام الليل^(٢) » قال نافع كان يصلي بالليل ثم يقول يا نافع أسحرتنا فأقول لأقوم أصلاته ثم يقول يا نافع أسحرتنا فأقول نعم فيقعد فيستغفر الله تعالى حتى يطلع الفجر . وقال علي بن أبي طالب شيع يحيى بن زكريا عليها السلام من خبز شعير فنام عن ورده حتى أصبح فأوحى الله تعالى إليه يا يحيى أوجدت دارا خيرا لك من داري أم وجدت جوارا خيرا لك من جوارى فوعزني وجلاني يا يحيى لو اطلمت إلى القرمص اطلمت لذاب شعحك وذهقت نفسك اشتياقا ولو اطلمت إلى جنة المطاة لذاب شعحك وليكبت الصديد بعد المومع ولبست الجلب بعد السوح . « وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فلانا يصلي بالليل فلماذا أصبح سرق فقال سنيها ما يعامل^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « رحم الله رجلا قام من الليل فسلم ثم أيقظ امرأته فسلمت فأنبت ففزع في وجهها الماء^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « رحم الله امرأة قامت من الليل فصارت ثم أيقظت زوجها فصلى فإن أبي نضحت في وجهه الماء » وقال صلى الله عليه وسلم « من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبنا من الدار كرين الله كثيرا والدار كرات^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل^(٦) » وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم « من نام عن حربه أو عن شيء منه بالليل قرأه بين صلاة الفجر والظهر كتب له ثمانيا قرأه من الليل^(٧) » . الآثار روى أن عمر رضي الله عنه كان يمسر بالآية من ورده بالليل فيسقط حتى يباد منها أياما كثيرة كما يباد الرضيع وكان ابن مسعود رضي الله عنه إذا هدأت العيون قام فيسمع له دوى كدوى النحل حتى يصبح ، ويقال إن سفيان الثوري رحمه الله شيع ليلة فقال إن الجمار إذا زيد في علفه زيد في عمله فقام تلك الليلة حتى أصبح وكان طائوس رحمه الله إذا اضطجع على فراشه تتقلى عليه كما تتقلى الحبة على القلعة ثم يثب ويصلي إلى الصباح ثم يقول طير ذكر جهنم نوم المايدين ، وقال الحسن رحمه الله ما نمل عملا أشد من مكابدة الليل وثقة هذا المال قليل له مبالغ التهجدين من أحسن الناس وجوها قال لأهم خلويا الرحمن فألبسهم نورا من نوره وقدم بعض الصالحين من سفره فهد له فراشا فنام عليه

(١) حديث أنه كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل إذا أخذ الناس مضاجعهم وهبأت العيون قام يصلي ويقرأ القرآن ويقول يارب النار أجرني منها فقد كرك ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال إذا كان ذلك فاذنوني فأناؤه فاستمع فما أصبح قال يا فلان هلا سألت الله الجنة قال يا رسول الله إنني لست هناك ولا يلحق علي ذلك فلم يلبث إلا يسيرا حتى نزل جبرائيل عليه السلام وقال أخبر فلانا أن الله قد أجابه من النار وأدخله الجنة^(١) » وروى « أن جبرائيل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ثم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فكان يداوم بعده على قيام الليل^(٢) » قال نافع كان يصلي بالليل ثم يقول يا نافع أسحرتنا فأقول لأقوم أصلاته ثم يقول يا نافع أسحرتنا فأقول نعم فيقعد فيستغفر الله تعالى حتى يطلع الفجر . وقال علي بن أبي طالب شيع يحيى بن زكريا عليها السلام من خبز شعير فنام عن ورده حتى أصبح فأوحى الله تعالى إليه يا يحيى أوجدت دارا خيرا لك من داري أم وجدت جوارا خيرا لك من جوارى فوعزني وجلاني يا يحيى لو اطلمت إلى القرمص اطلمت لذاب شعحك وذهقت نفسك اشتياقا ولو اطلمت إلى جنة المطاة لذاب شعحك وليكبت الصديد بعد المومع ولبست الجلب بعد السوح . « وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فلانا يصلي بالليل فلماذا أصبح سرق فقال سنيها ما يعامل^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « رحم الله رجلا قام من الليل فسلم ثم أيقظ امرأته فسلمت فأنبت ففزع في وجهها الماء^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « رحم الله امرأة قامت من الليل فصارت ثم أيقظت زوجها فصلى فإن أبي نضحت في وجهه الماء » وقال صلى الله عليه وسلم « من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبنا من الدار كرين الله كثيرا والدار كرات^(٥) » وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم « من نام عن حربه أو عن شيء منه بالليل قرأه بين صلاة الفجر والظهر كتب له ثمانيا قرأه من الليل^(٦) » . الآثار روى أن عمر رضي الله عنه كان يمسر بالآية من ورده بالليل فيسقط حتى يباد منها أياما كثيرة كما يباد الرضيع وكان ابن مسعود رضي الله عنه إذا هدأت العيون قام فيسمع له دوى كدوى النحل حتى يصبح ، ويقال إن سفيان الثوري رحمه الله شيع ليلة فقال إن الجمار إذا زيد في علفه زيد في عمله فقام تلك الليلة حتى أصبح وكان طائوس رحمه الله إذا اضطجع على فراشه تتقلى عليه كما تتقلى الحبة على القلعة ثم يثب ويصلي إلى الصباح ثم يقول طير ذكر جهنم نوم المايدين ، وقال الحسن رحمه الله ما نمل عملا أشد من مكابدة الليل وثقة هذا المال قليل له مبالغ التهجدين من أحسن الناس وجوها قال لأهم خلويا الرحمن فألبسهم نورا من نوره وقدم بعض الصالحين من سفره فهد له فراشا فنام عليه

قيامه وهو الاستغراق في العين عن الآثار والتمتع عن لوث الاستتار وهو قد حال الصوفي ولللامق مقيم في أوطان إخلاصه غير متطلع إلى حقيقة خلاصه وهذا فرق واضح بين السلامق والصوفي ولم يزل في خراسان منهم طائفة ولهم مشايخ يهدون أساسهم ويرفونهم شروط حالهم وقد رأينا في العراق من يسلك هذا السلك ولكن لم يشتر بهذا الاسم وقلنا يتداول ألسنة أهل العراق هذا الاسم . حكى أن بعض اللامعية استدعى إلى معام فامتنع قيل له في ذلك فقال لأنني إن حضرت يظهر علي وجد ولا أوتر أن يعلم أحد حالي . وقيل إن أحمد بن أبي الخوارى

حتى فاته ورده فحلف أن لا ينام بعدها على فراش أبداً وكان عبد العزيز بن أبي رواد إذا جن عليه الليل يأتي فراشه فيمر يده عليه ويقول إنك لين ووالله إن في الجنة لألين منك ولا يزال صلى الليل كله وقال الفضيل إنى لأستقبل الليل من أوله فهو لي طوله فأنتسح القرآن فأصبح وما قضيت نهيق وقال الحسن إن الرجل ليذهب الذنب فيحرم به قيام الليل وقد التفتيل إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم وقد كثرت خطيئتك وكان صلة بن أشيم رحمه الله صلى الليل كله فإذا كان في السحر قال إلهي ليس مثلي يطلب الجنة ولكن أجرني برحمتك من النار وقال رجل لبعض الحكماء إني لأضعف عن قيام الليل فقال له يا أخى لاتمس الله تعالى بالنهار ولا نغم بالليل وكان للحسن بن صالح جارية فباعها من قوم فلما كان في جوف الليل قامت الجارية فقالت يا أهل الدار الصلاة الصلاة فقالوا أصبحنا أطلع الفجر فقالت وما تصلون إلا المكتوبة قالوا نعم فرجعت إلى الحسن فقالت يا مولاي بعني من قوم لا يصلون إلا للمكتوبة ردني فردها وقال الربيع بن أنس في منزل الشافعي رضي الله عنه إلهي كبرية فلم يكن ينام من الليل إلا يسيراً وقال أبو الجوزية لقد صحبت أباحنية رضي الله عنه ستة أشهر فما فيها ليله وضع جنبه على الأرض وكان أبو حنيفة يخي نصف الليل فرّ يقوم فقالوا إن هذا يخي الليل كله فقال إني أستحي أن أوصف بما لا أفضل فكان بعد ذلك يخي الليل كله وروى أنه ما كان له فراش بالليل ويقال إن مالك بن دينار رضي الله عنه بات يردد هذه الآية ليله حتى أصبح - أم حسب الذين اجتروا السيئات أن يجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات - الآية . وقال الثوري بن حبيب رقت مالك بن دينار قنوصاً بعد المشاء ثم قام إلى مصلاه قبض على لحيته فخنفته العبرة ففعل يقول اللهم حرم شيئا منك على النار إلهي قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار فأني الرجلين مالك وأبي الدارين دارمالك فلم يزل ذلك قوله طلع النجم وقال مالك بن دينار سهوت ليله عن وردى ونمت فإذا أنا في المنام بجارية كأحسن ما يكون وفي يدها رقعة فقالت لي أحسن قرأ قلت نعم فدفعت لي الرقعة فإذا فيها :

أ ألمتكم اللذائد والأمانى عن البيض الأوانى في الجنان
تميش غسلاً لاموت فيها وتلهو في الجنان مع الحسان
تبسه من منامك إن خيراً من النوم التهجيد بالقران

وقيل حج مسروق لما بات ليله إلا ساجدا وروى عن أزهر بن ميثث وكان من القوم الذين أنه قال رأيت في المنام امرأة لاتبته نساء أهل الدنيا قتلت لها من أنت قالت حوراء قتلت زوجي ففسدت قالت اخطيني إلى سيدي وأمهرني قتلت ومامهرك قالت طول التهجيد . وقال يوسف بن مهران بلغني أن تحت العرش ملكاً في صورة ديك برائه من لؤلؤ وضئته من زبرجد أخضر فإذا مضى ثلث الليل الأول ضرب بجناحيه وزقا وقال ليم القاعون فإذا مضى نصف الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ليم الجاهلون فإذا مضى ثلثا الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ليم الصالحون فإذا طلع النجم ضرب بجناحيه وزقا وقال ليم المنافقون وعليهم أوزارهم وقيل إن وهب بن منبه الجناني ما وضع جنبه إلى الأرض ثلاثين سنة وكان يقول لأن أرى في بيتي شيطاناً أحب إليّ من أن أرى في بيتي وسادة لأنها تدعو إلى النوم وكانت له مسورة من آدم إذا غلبه النوم وضع صدره عليها وخنق خنقاً ثم يفرغ إلى الصلاة وقال بعضهم رأيت رب العزة في النوم فسمته يقول وعزّي وجلالي لأكرم من مثوى سليمان التيمي فانه صلى لي الليلة بوضوء المشاء أربعين سنة وجمال كان مغنبه

قال لأبي سليمان
الداراني إني إذا كنت
في الخلوة أجد لما ملق
قده لا أجدهما بين
الناس فقال له إنك
إذا ضعفت فالملق
وإن كان متمسكاً
بسرة الإخلاص
مستغنياً بساط الصديق
ولكن بقي عليه بقية
روية الخلق وما أحسنها
من بقية تحقق
الإخلاص والصدق
والصوفي صفا من هذه
البقية في طرق العمل
والترك للخلق وعزله
بالكلية ورأى بين
الفناء والزوال ولاح
له ناصية التوحيد
وعاين سر قوله كل
شيء هالك إلا وجهه
كأقال بعضهم في بعض
غلبته ليس في الدارين
خير الله وقد يكون
إخفاء للملاقاة حال على
وجوه أحد الوجهين
لتحقيق الإخلاص

أن النوم إذا خامر القلب بطل الرجاء ، وروى في بعض الكتب القديمة عن الله تعالى أنه قال إن عبيد الله هو عبيدي فما الذي لا ينتظر قيامه صباح الديكة .

(بيان الأسباب التي بها يتيسر قيام الليل)

اعلم أن قيام الليل عسر على الخلق إلا على من وفق لإقامته شروطه اليسرة ظاهرة أو باطنة . فأما الظاهرة فأربعة أمور . الأول : أن لا يكثر الأكل فيكثر الشراب فينبغي النوم ويثقل عليه القيام كان بعض الشيوع يقف على لائمة كل ليلة ويقول معاشي المردين لأنما كلوا كثيرا ففترسوا كثيرا ففترسوا كثيرا ففترسوا عند الموت كثيرا وهذا هو الأصل الكبير وهو تخفيف العدة عن ثقل الطعام . الثاني : أن لا يتعب نفسه بالتهار في الأعمال التي تعياها الجوارح وتضعف بها الأعصاب فإن ذلك أيضا عجلة للنوم . الثالث : أن لا يترك القيالة بالتهار فانهاسة للاستعانة على قيام الليل (١) . الرابع : أن لا يعقب الأوزار بالتهار فإن ذلك يماحى القلب ويحول بينه وبين أسباب الرحمة . قال رجل للحسن بالإسعيد إن أبيت معافي وأحب قيام الليل وأعد طهورى فما لى لا أقوم فقال ذنبك قيدتك وكان الحسن رحمه الله إذا دخل السوق فسمع نطحهم ولقوهم يقول أظن أن ليل هؤلاء ليل سوء فانهم لا يقيلون وقال الثوري حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته قيل وما ذاك الذنب قال رأيت رجلا يركب قتل في نفسى هذا مرأه وقال بعضهم دخلت على كرز بن وبرة وهويكى فقلت أذاك نعى بعض أهلك فقال أشد قتلت ورجع يؤلك قال أشد قلت فإذا قال باني منقلى وسترى مسبل ولم أقرأ حزى البارحة وما ذاك إلا بذنب أحدثته وهذا لأن الحزير يدعو إلى الخير والشر يدعو إلى الشر والليل من كل واحد منهما يجز إلى الكثير والليل قال أبو سليمان الداراني لا تفتن أحدا صلاة الجماعة إلا بذنب وكان يقول الاحتلام بالليل عقوبة والجماعة بعد وقال بعض العلماء إذا سمعت يامسكين فانظر عند من تفطر وعلى أى شيء تفطر فإن البعيد لى كل كلة فيقلب قلبه عما كان عليه ولا يعود إلى حاله الأولى فالتوب كلها تورث قسوة القلب وتنع من قيام الليل وأخصها بالتأثير تناول الحرام . وتؤثر القصة الحال في تصفية القلب وتحريكه إلى الخير ما لا يؤثر غيرها وعرف ذلك أهل الرقابة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشرع له ولذلك قال بعضهم كم من أكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة وإن البعيد لى كل كلة أوفضل فلهذا يجرم إقامته وكان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة وسائر الخيرات وقال بعض السجاني كنت سجانا نيفا وثلاثين سنة أسألك ما أخذ بالليل أنه هل صلى العشاء في جماعة فكانوا يقولون لا وهذا نبيه على أن ترك الجماعة تنهى عن تعاطي الفحشاء والمنكر .

(وأما اليسرات الباطنة بأربعة أمور)

الأول : سلامة القلب عن الحقد على المسلمين وعن البغى وعن فضول هموم الدنيا فالمستغرق لهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام وإن قام فلا يتفكر في صلاته إلا في مهماته ولا يحول إلا في سواسه وفي مثل ذلك يقال :

يخبرني البواب أنك نائم وأنت إذا استيقظت أيضا نائم

الثاني : خوف غالب بزم القلب مع قصر الأمل فانه إذا فسر في أهوال الآخرة ودركات جهنم طار نومه وعظم حذرهم كما قال طائوس إن ذكر جهنم طيرت نوم المابدين وكما حكى أن غلاما بالبصرة اسمه صهيب كان يقوم الليل كله فقاتله حيدته إن قيامك بالليل يضر بملكك بالتهار فقال إن صهيبا إذا ذكر النار لا يأتيه النوم وقيل لعلاء آخر وهو يقوم كل الليل فقال إذا ذكرت النار اشتد خوفى وإذا ذكرت الجنة اشتد شوقى فلا أقدر أن أنام ، وقال الخوارجون المصري رحمه الله :

(١) حديث الاستعانة بقبولة التهارة على قيام الليل ه من حديث ابن عباس وقد تقدم .

منع القرآن بوعده ووعيدہ مقل الميرون بلبها أن تهجها
فهموا عن الملك الجليل كلامه فرقابهم ذلت إليه تحضما

وأنشدوا أيضا :

يا طويل الرقاد والفضلات كثرة النوم تورث الحشرات
إن في القبر إن زلت إليه لرقاذا بطول بسد اللغات
ومهادا مهادا لك فيه بذنوب عملت أو حسنت
أمنت البيات من ملك للو ت وكم نال آمننا بيات

وقال ابن البارك :

إذا ما الليل أظلم كابنوه فيسفر عنهم وم ركوع
أطار الخوف نومهم قاصوا وأهل الأمن في الدنيا هجوع

الثالث : أن يسرف فضل قيام الليل بسلع الآيات والأخبار والآثار حتى يستحكم به رجاءه وشوقه إلى ثوابه فيبرجه الشوق لطب المزبولة في درجات الجنان كما حتى أن بعض الصالحين رجع من غزوته فهدت امرأته فراشها وجلست تنتظره فدخل المسجد ولم يزل يصلي حتى أصبح فقالت له زوجته كنا ننتظرك مدة فلما قدمت صليت إلى الصبح قال والله إنى كنت أتسكى في حوراء من حور الجنة طول الليل فنسيت الزوجة والزلل فقامت طول ليلتي شوقا إليها . الرابع وهو أشرف البواعث الحب لله وقوة الإيمان بأنه في قيامه لا يتكلم بحرف إلا وهو مناجاة ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يحيط بقلبه وأن تلك الخطرات من الله تعالى خطابا معه فإذا أحب الله تعالى أحب لأعماله الخلو به وتلقا للمناجاة فتحملة لذة النجاة الحبيب على طول القيام ولا ينبغي أن تستبعد هذه اللذة إذ يشبهها العقل والنقل فأما العقل فيعتبر بحال الحب الشخصي بسبب جماله أو الملك بسبب إنعامه وأما الله أنه كيف يتلقا به في الخلو ومناجاته حتى لا ياتيه النوم طول ليله . فان قلت : إن الجليل يتلقا بالنظر إليه وإن الله تعالى لا يرى . فاعلم أنه لو كان الجليل المحبوب وراء سترا أو كان في بيت مظلم لكان الحب يتلقا بعبادته المحررة دون النظر ودون الطمع في أمر آخر سواء وكان يتم باظهاره عليه وذكره بلسانه بجمع منه وإن كان ذلك أيضا معلوما عنده . فان قلت : إنه ينتظر جوابه فيتلذذ بسلع جوابه وليس يسمع كلام الله تعالى . فاعلم أنه كان يعلم أنه لا يجيبه ويسكت عنه فقد بقيت له أيضا لذة في عرض أحواله عليه ورفع سريره إليه كيف والوقت يسمع من الله تعالى كل ما يريد على خاطره في أثناء مناجاته فيتلذذ به وكذا الذي ضلوا بالملك ويعرض عليه حاجاته في جنح الليل يتلقا به فيرجاء إنعامه والرجاء في حق الله تعالى أسدق وماعند الله خير وأبقى وأتم عما عند غيره فكيف لا يتلذذ بمرض الحاجات عليه في الخلو . وأما النقل فيشهد له أحواله قوام الليل في تلذذ بقيام الليل واستقصاءهم كما لا يقتصر الحب لله وصلا الحبيب حتى قيل لبعضهم كيف أنت والليل قال ما راعيت قط يرى وجهه ثم ينصرف وما تأملت به . وقال آخر أنا والليل فرسا رهانا مرة يسبقني إلى التجر ومرة يقطعني عن الفكر . وقيل لبعضهم كيف الليل عليك فقال ساعة أنا فيها بين حاتين أفرح بظلمته إذا جاء وأغمى بغيره إذا طلع ماتم فرحى به قط . وقال من ينكر منذ أربعين سنة ما أحزنني شيء سوى طلوع الفجر وقال الفضيل بن عياض إذا غربت الشمس فرحت بالظلام لخلوتي برى وإذا طلعت حزنت لدخول الناس على وقال أبو سليمان أهل الليل في ليلهم الله من أهل الله في هوهم ولولا الليل ما أحيت البقاء في الدنيا وقال أيضا لوعوض الله أهل الليل من ثواب أعمالهم

الذكر على أربعة أقسام
ذكر باللسان وذكر
بالقلب وذكر بالسر
وذكر بالروح فإذا صح
ذكر الروح سكنت السر
والقلب واللسان عن
الذكر وذلك ذكر
لشاهدة وإذا صح
ذكر السر سكنت القلب
واللسان عن الذكر
وذلك ذكر الحقيقة وإذا
صح ذكر القلب قتر
اللسان عن الذكر
وذلك ذكر الآلاء
والنعماء وإذا غفل

ما يجدونه من اللذة لكان ذلك أكثر من ثواب أعمالهم وقال بعض العلماء ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة إلا ما يعده أهل التائق في قلوبهم بالليل من حلاوة النجاة وقال بعضهم لذة النجاة ليست من الدنيا إلا ما يعده الله تعالى لأولياته لا يعدها سواهم . وقال ابن النكدر : ما بقي من لذة الدنيا إلا ثلاث : قيام الليل ولقاء الإخوان والصلاة في الجماعة ، وقال بعض العارفين : إن الله تعالى ينظر بالأسحار إلى قلوب التلقطين فيماؤها أنوارا فتد القوائد على قلوبهم فتستتر ثم تستر من قلوبهم السواق إلى قلوب الفائقين ، وقال بعض العلماء من القداء : إن الله تعالى أوحى إلى بعض الصديقين إن لي عبادا من عبادي أحبه ويحبوني ويشاقون إليّ وأشق إلىّ . ويذكرونني وأذكرونهم وينظرون إليّ وأنظر إليهم فإن حدثوا طرقتهم أحببتك وإن عدلت عنهم مقتك قال يارب وماعلمتهم قال براعون الظلال بالنهار كما براعي الراعي غنمه وغنونه إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها فإذا جهتهم الليل واختلط الظلام وخل كل حبيب بحبيبه نصبا إلى أقدامهم واقتربوا إلى وجوههم وتاجوني بكلاي وعملوا إلىّ بإنما هي فين صار غوبا كي . وبين مثاؤه وشاكي . يبقى ما يحملون من أجل ويسمى ما يشكون من حي أول ما أعطهم أنفذ من نوري في قلوبهم فيخرجون عني كما أخرجهم ، والثانية لو كانت السموات السبع والأرضون السبع وما فيها موازينهم لاستقلتها لهم ، والثالثة أقبل بوجهي عليهم أفترى من أقبلت بوجهي عليه أعلم أحد ما أريد أن أعطيه . وقال مالك بن دينار رحمه الله إذا قام العبد يتجمل من الليل قرب منه الحيار عز وجل وكانوا يرون لا يجدون من الرقة والحلاوة في قلوبهم والأنوار من قرب الرب تعالى من القلب وهذا له سر وتحقيق ستاق الإشارة إليه في كتاب المحبة . وفي الأخبار عن الله عز وجل « أي عبدي أنا الله الذي اقتربت من قلبك وبالقلب رأيت نوري » وشكا بعض الريدن إلى أستاذه طول سهر الليل وطلب حيلة يجلب بها النوم فقال أستاذه يا بني إن لله تحفات في الليل والنهار تصيب القلوب للتيقظة وتحطى القلوب الدائمة فحرض تلك التفحات فقال ياسيدي تركني لأنام بالليل ولا بالنهار .

واعلم أن هذه التفحات الليلية أرجى لما في قيام الليل من صفاء القلب واندفاع الشراغل ، وفي الخبر الصحيح عن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا إلا أعطاه إياه ^(١) » وفي رواية أخرى « يسأل الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة » ومطلوب القامعين تلك الساعة وهي مهمة في جملة الليل كهيئة القدر في شهر رمضان وكساعة يوم الجمعة وهي ساعة التفحات المذكورة والله أعلم .

بيان طريق القسمة لأجزاء الليل : اعلم أن إحياء الليل من حيث القدر له سبع مراتب . الأولى : إحياء كل الليل وهذا شأن الأقوياء الذين تجردوا لعبادة الله تعالى وتلقذوا بمناحاته وصار ذلك غذاء لهم وحياء لقلوبهم فلم يتعبوا بطول القيام وردوا النام إلى النهار في وقت اشتغال الناس وقد كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء المشاء . حتى أبوطالب المكي أن ذلك حكى على سبيل التواتر والاعتبار عن أربعين من التائبين وكان فيهم من واطب عليه أربعين سنة قال منهم سعيد بن السيب وصفوان بن سلمة للدينان وفضل بن عياض وهيب بن الورد المكيان وطاوس وهيب بن منبه البجليان والربيع بن خيثم والحكم الكوفيان وأبو سليمان الداراني وطى بن بكار الشاميان وأبو عبد الله الحواص وأبو عاصم العبادي وحبيب أبو محمد وأبو جابر السلماني الفارسيان

(١) حديث جابر : إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة ، رواه م .

القلب عن الله كرا قبل
السان على الله كرو ذلك
ذكر العادة ولكل
واحد من ههنا لا ذكر
عندهم آفة ذكر
الروح اطلاع السريعة
وآفة ذكر السريعة اطلاع
القلب عليه وآفة ذكر
القلب اطلاع النفس
عليه وآفة ذكر النفس
رؤية ذلك وتظيمه
أوطب ثوابه وأوطن أنه
يسل إلى شيء من
للقامات وأقل الناس
قيمة عندهم من يريد

ومالك بن دينار وسليمان التيمي وزيد الرقشي وحبيب بن أبي ثابت ويحيى البكاء البصري وكهس بن النحال وكان حُجَّت في الشهر تسعين خُمَةً وما فيهم رجوع وقره مرة أخرى وأُضْمِن من أهل المدينة أبو حازم ومحمد بن النكسر في جماعة يكثر عددهم . الرتبة الثانية : أن يقوم نصف الليل هذا لا ينحصر عدد اللواتين عليه من السالف وأحسن طريق فيه أن يتم الثلث الأول من الليل والسدس الأخير منه حتى يقع قيامه في جوف الليل ووسطه فهو الأفضل . الرتبة الثالثة : أن يقوم ثلث الليل فيبني أن يتم النصف الأول والسدس الأخير ، وبالحال نوم آخر الليل محبوب لأنه ينجب الناس بالهداة وكانوا يكرهون ذلك ويقولون صفة الوجه والشهرة به فلو قام أكثر الليل ولم يحسرا قلت صفة وجهه وقلّ نعامه ، وقالت عائشة رضي الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوتر من آخر الليل فإن كانت له حاجة إلى أهله دنا منهم وإلا اضطجع في مصلاه حتى يأتيه بلال فيؤذنه للصلاة » (١) وقالت أيضا رضي الله عنها « ما أقيته بعد السحر إلا نائما » (٢) حتى قال بعض السلف هذه الضجة قبل الصبح ستة من أبيهرية رضي الله عنه ، وكان نوم هذا الوقت سبيلًا للمكاشفة وللشاهدة من وراء حجب الغيب وذلك لأرباب القلوب وفيه استراحة تعين على الورد الأول من أورد النهار وقيام ثلث الليل من النصف الأخير ، ونوم السدس الأخير قيام دادود صلى الله عليه وسلم . للرتبة الرابعة : أن يقوم سدس الليل أو خمسها وأفضل أن يكون في النصف الأخير وقبل السدس الأخير منه . الرتبة الخامسة : أن لا يراعى التقدير فإن ذلك إنما ييسر لنبي يوحى إليه أولًا يعرف منازل القمر ويوكل به من رباته ويوافقه ويوقظه ثم ربما يضطر إلى ليالي التيم ولكنه يقوم من أول الليل إلى أن ينبله النوم فإذا أتبع قام فاذا غلبه النوم عاد إلى النوم فيكون له في الليل نومتان وتومتان وهو من مكابدة الليل وأشد الأعمال وأفضلها ، وقد كان هذا من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) ، وهو طريقة ابن عمر وأولى العزم من الصحابة وجماعة من التابعين رضي الله عنهم وكان بعض السلف يقول هي أول نومة فإذا انتهت ثم عدت إلى النوم فلا أنام الله لي عينا فأما قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث التقدير فلم يكن على ترتيب واحد بل ربما كان

(١) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوتر من آخر الليل كان كانه له حاجة إلى أهله فنامن والإصططع فيمصلا حتى يأتيه بلال فيؤذن بالصلاة م من حديث عائشة كان يتم أول الليل ويحيي آخره ثم إن كان له حاجة إلى أهله قضى حاجته ثم نام وقال النسائي فإذا كان من السحر أوتر ثم أتى فراشه فإذا كان له حاجة أم بأهله ، ولأبي جادو كان إذا قضى صلاته من آخر الليل نظر فإن كنت مستيقظة حدثني وإن كنت نائمة أعطفني وصلى الركعتين ثم اصططع حتى يأتيه المؤذن فيؤذنه بصلاة الصبح فيصلي ركعتين خفيفتين ثم يخرج إلى الصلاة وهو متفق عليه بلفظ : كان إذا صلى فان كنت مستيقظة حدثني والإصططع حتى يؤذن بالصلاة ، وقال م إدا صلى ركعتي الفجر (٢) حديث عائشة ما أفقته السحر الأعلى إلا ناعا متفق عليه بلفظ ما أفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم السحر الأعلى في بيتي أو عندى إلا أنا لما أقبل رخ الأعلى وقال ه ما كنت أنفى أو أفنى النبي صلى الله عليه وسلم من آخر الليل إلا داهو فلم عندى (٣) حديث قيامه أول الليل إلى أن ينيله النوم فإذا أبته قام فأد غلبه عاد إلى النوم فيكون لدى الليل نومتان دت وصححه وه من حديث أم سلمة كان يصلى ونام فقام صلى ثم يصلى فنام ماتم ثم ينام فقام ماضى حتى يصبح ، وللبخارى من حديث ابن عباس صلى العشاء ثم سجد فصل أربع ركعات ثم نام ثم قام وفيه فصل خمس ركعات ثم صلى ركعتين ثم نام حتى يمتطي غططه الحديث .

إظهاره وإقبال الخلق
عليه بذلك وسر هذا
الأصل الذي يتوابعه
أن ذكر الروح ذكر
الذات وذكر السر
ذكر الصفات بعضهم
وذكر المطلب من الآله
والنعمة ذكر أثر
الصفات وذكر
النفس متضمن
للملأة فهي قولهم
إطلاع السر على الروح
يشيرون إلى التحقق
بإلقاء عند ذكر
الذات وذكر الحية

يقوم نصف الليل أو ثلثه أو سدسه (١) يختلف ذلك في الليالي ودلّ عليه قوله تعالى في
للموضعين من سورة المزمل - إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه - فأدنى
من ثلثي الليل كأنه نصفه ونصف سدسه فإن كسر قوله ونصف وثلثه كان نصف الثلثين وثلثه فيقرب
من الثلث والرابع وإن نصب كان نصف الليل وقالت عائشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم
يقوم إذا سمع الصارخ (٢) يعني الديك وهذا يكون السدس فما دونه وروى غير واحد أنه قال راعيت
صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر ليلا فنام بعد العشاء زماناً ثم استيقظ فظفر في الأفق
قال : ربنا ما خلقت هذا باطلاً حتى يبلغ إنك لا تخلف للمعاد ثم استلم من فراشه سواً كافاستاك به
وتوضأً وصلى حتى قلت صلى مثل الذي نام ثم اضطجع حتى قلت نام مثل ما صلى ثم استيقظ فقال
ما قل أول مرة وفعل ما فعل أول مرة (٣) . للربة السادسة : وهي الأقل أن يقوم مقدار أربع
ركعات أو ركعتين أو تتمنر عليه الطهارة فيجلس مستقبل القبلة ساعة مستغلاً بالله كره والدعاء
فيكتب في جملة قولم الليل برحمة الله وفضله وقد جاء في الأثر صلّ من الليل ولو قدر حلب شاة (٤)

فهذه طرق القصة فليختر الريد لنفسه ما يراه أمير عليه وحيث يتعذر عليه القيام في وسط الليل
فلا ينبغي أن يهمل إحياء ما بين العشاءين والورد الذي بعد العشاء ثم يقوم قبل الصبح وقت السحر
فلا يدركه الصبح نائماً ويقوم بطرفي الليل وهذه هي الرتبة السابعة ومهما كان النظر إلى القدر
ترتيب هذه للراتب بحسب طول الوقت وقصره وأما في الرتبة الخامسة والسابعة لم ينظر فيما إلى
القدر فليس يجري أمرها في التقدم والتأخر على الترتيب المذكور إذ السابعة ليست دون ما ذكرناه
في السادسة ولا الخامسة دون الرابعة .

(بيان الليالي والأيام القاضية)

اعلم أن الليالي المخصوصة بمزيد الفضل التي يتأكد فيها استحباب الأحياء في السنة خمس عشرة ليلة

(١) حديث ربما كان يقوم نصف الليل أو ثلثه أو سدسه ، الشيخان من حديث ابن عباس
قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بخليل استيقظ الحديث
وفي رواية للبخاري فما كان ثلث الليل الآخر قد فظفر إلى الساء الحديث ولأن داود قام حتى إذا
ذهب ثلث الليل أوصفه استيقظ الحديث لمسلم من حديث عائشة فيعنه الله بما شاء أن يبعثه من الليل .

(٢) حديث عائشة كان يقوم إذا سمع الصارخ متفق عليه (٣) حديث غير واحد قال راعيت صلاة
رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر ليلا فنام بعد العشاء زماناً ثم استيقظ فظفر في الأفق فقال ربنا
ما خلقت هذا باطلاً سبحانه حتى بلغ إنك لا تخلف للمعاد ثم استلم من فراشه سواً كافاستاك وتوضأً
وصلى حتى قلت صلى مثل ما نام الحديث ن من رواية حميد بن عبد الرحمن بن عوف أن رجلاً من
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال قلت وأنا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لأقبح
رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه وروى أبو الوليد بن مغيث في كتاب الصلاة من رواية
اسحق بن عبد الله بن أبي طلحة أن رجلاً قال لأمرقن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث
وفيه أنه أخذ سواكه من مؤخر الرحل وهذا يدل أنه أيضاً كان في سفر (٤) حديث صلّ من الليل
ولو قدر حلب شاة أبو يوسى من حديث ابن عباس في صلاة الليل مرفوعاً نصفه ثلثه ربه فوافق حلب
ناقة فوافق حلب شاة ولأن الوليد بن مغيث من رواية إياس بن معاوية مرسلاً لا بد من صلاة الليل
ولو حلبه ناقة أو حلبة شاة .

في ذلك الوقت ذكر
الصفات مشعر نصيب
الهيبة وهو وجود
الهيبة ووجود الهيبة
يستدعي وجود وقبة
وذلك يناقض حال
الفناء وهكذا ذكر
الوجودية وهو
ذكر الصفات مشعر
بصيب القرب وذكر
القلب الذي هو ذكر
الآلاء والتعظيم مشعر
يعلم لأنه يستحال
بذكر النعمة وذهول
عن النعم والافتقار

لا ينبغي أن يغفل المرء عنها فأنها مواسم الجبروت ومظان التجارات ومق غفل التاجر عن اللوازم لم يرجع ومق غفل المرء عن فضائل الأوقات لم يجزع فسنة من هذه الأيالي في شهر رمضان: خمس في أوتار الشهر الأخير إذ فيها تطلب ليلة القدر وليلة سبع عشرة من رمضان فهي ليلة صديجها يوم القرقان يوم التقي الجمعان فيه كانت وقعة بدر وقال ابن الزبير رحمه الله هي ليلة القدر . وأما التسع الآخر فأول ليلة من الحرم وليلة عاشوراء وأول ليلة من رجب وليلة النصف منه وليلة سبع وعشرين منه وهي ليلة المعراج وفيها صلاة مأثورة قد قال صلى الله عليه وسلم «لما مل من هذه الليلة حسنتا مائة سنة» (١) «فن صلى في هذه الليلة اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القرآن ويتشهد في كل ركعتين ويسلم في آخرهن ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة ثم يستغفر الله مائة مرة وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة ويدعو لنفسه بما شاء من أمر دينه وآخرته ويصليع صائماً فإن الله يستجيب دعاءه كله إلا أن يدعو في مصيبة ، وليلة النصف من شعبان ففيها مائة ركعة يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة سورة الاخلاص عشر مرات كانوا لا يتركونها كما أوردناه في صلاة التطوع وليلة عرفة وليلة العيدين قال صلى الله عليه وسلم «من أحيا ليلي العيدين لم يميت قلبه يوم تموت القلوب» (٢) . وأما الأيام القاضية فقسمة عشر يستحب مواصلة الأوراد فيها : يوم عرفة ويوم عاشوراء ويوم سبعة وعشرين من رجب له شرف عظيم وروى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال « من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا » (٣) وهو اليوم الذي أعبط الله فيه جبرائيل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة ويوم سبعة عشر من رمضان وهو يوم وقعة بدر ويوم النصف من شعبان ويوم الجمعة ويوم العيدين ، والأيام الملوآت وهي عشر من ذي الحجة والأيام الممدودات وهي أيام التشريق وقد روى أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا سلم يوم الجمعة سلت الأيام وإذا سلم شهر رمضان سلت السنة » (٤) وقال بعض العلماء من أخذ مهنة في الأيام الخمسة في الدنيا لم ينل مهنة في الآخرة وأراد به العيدين والجمعة وعرفة وعاشوراء . ومن فواصل الأيام في الأسبوع يوم الخميس والاثني عشر فيهما الأعمال إلى الله تعالى وقد ذكرنا فضائل الأشهر والأيام للصيام في كتاب الصوم فلا حاجة إلى الإعادة والله أعلم ، وصلى الله على كل عبد مصطفى من كل العالمين .

رؤية المطاء عن
رؤية الصلي ضرب
من بعد الزلزلة
واطلاع النفس نظرا
إلى الأعواض اعتداد
بوجود العمل وذلك
عين الاعتدال حقيقة
وهذه أقسام هذه
الطائفة وبعضها أعلى
من بعض ، والله أعلم .

(١) حديث الصلاة المأثورة في ليلة السابع والعشرين من رجب ذكر أبو موسى للدين في كتاب فضائل الأيام والأيالي أن أبا محمد الجباري رواه من طريق الحاكم أبي عبد الله من رواية محمد بن الفضل عن أبان عن أنس مرفوعا ، ومحمد بن الفضل وأبان ضعيفان جدا والحديث منكر (٢) حديث من أحيا ليلي العيدين لم يميت قلبه يوم تموت القلوب ه باسناد ضعيف من حديث أبي أمامة (٣) حديث أبي هريرة من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا وهو اليوم الذي أعبط الله فيه جبرائيل على محمد صلى الله عليه وسلم رواه أبو موسى للدين في كتاب فضائل الأيالي والأيام من رواية شهر بن حوشب عنه (٤) حديث أنس إذا سلم يوم الجمعة سلت الأيام وإذا سلم شهر رمضان سلت السنة هدم في الباب الخامس من الصلاة قد ذكر يوم الجمعة قط وقد رواه بجملته ابن حبان في الضعفاء وأبو نعيم في الحلية من حديث عائشة وهو ضعيف .

(تم الجزء الأول من : كتاب إحياء علوم الدين ، وتلوه : الجزء الثاني)

فهرس الجزء الأول

من كتاب إحياء علوم الدين لحجة الاسلام الامام الغزالي

صفحة	صفحة
٤٢ (الباب الرابع في سبب إقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل آفات المناظرة والجلد وشروط إباحتها)	مقدمة
٤٣ بيان التلبس في تشبيه هذه المناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف ورحمهم الله تعالى	٢ ترجمة الامام الغزالي
٤٥ بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق	٢ خطبة الكتاب
٤٩ (الباب الخامس في آداب للتصلم والعلم أما للتصلم فأدابه ووظائفه الظاهرة كثيرة ولكن تنظم بخارفيها عشر جمل)	٥ (كتاب العلم وفيه مسموعة أبواب)
٥٥ بيان وظائف للرشد للعلم	(الباب الأول في فضل العلم والتعليم والتعلم)
٥٨ (الباب السادس في آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء)	وشواهد من النقل والعقل
٨٢ (الباب السابع في العقل وشرقه وحقيقته وأقسامه)	٥ فضيلة العلم
٨٢ بيان شرف العقل	٩ فضيلة التعلم
٨٤ بيان حقيقة العقل وأقسامه	١٠ فضيلة التلميم
٨٧ بيان تفاوت النفوس في العقل	١٣ في الشواهد العقلية
٨٩ (كتاب قواعد المقائيد)	١٤ (الباب الثاني في العلم المحمود وللثبوت وأقسامهما وأحكامهما وفيه بيان ماهو فرض عين وما هو فرض كفاية وبيان أن موقع الكلام والفقه من علم يهتدى إلى أي حد هو وتفضيل علم الآخرة)
وفيه أربعة فصول	١٤ بيان العلم الذي هو فرض عين
٨٩ الفصل الأول في ترجمة عقيدة أهل السنة في كليات الشهادة الخ	١٧ بيان العلم الذي هو فرض كفاية
٩٣ الفصل الثاني في وجه التدرج إلى الارشاد وترتيب درجات الاعتقاد	٢٩ (الباب الثالث فيها يمدد العامة من العلوم المحمودة وليس منها وفيه بيان الوجه الذي قد يكون به بعض العلوم ممنوما وبيان تبدل أسمى العلوم وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر للثبوت منها)
١٠٤ الفصل الثالث من كتاب قواعد المقائيد في لوازم الأدلة للعقيدة التي ترجمناها بالقدس وفيها أركان أربعة	٢٩ بيان علم ذي العلم للثبوت
	٣٢ بيان ما يدل من ألقاظ العلوم
	٣٩ بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة

صفحة	صفحة
١٠٤	فأما الركن الأول من أركان الإيمان في معرفة ذات الله سبحانه وتعالى وأن الله تعالى واحد ومداره على عشرة أصول
١٠٨	الركن الثاني السلم بصفات الله تعالى ومداره على عشرة أصول
١١٠	الركن الثالث العلم بأفعال الله تعالى ومداره على عشرة أصول
١١٣	الركن الرابع في السميات وتصديقه صلى الله عليه وسلم فيما أخبر عنه ومداره على عشرة أصول
١١٥	الفصل الرابع في الإيمان والإسلام وما بينهما من الاتصال والانفصال وما ينطرق إليه من الزيادة والنقصان ووجه استثناء السلف فيه وفيه ثلاث مسائل
١١٥	مسئلة اختلفوا في أن الإسلام هو الإيمان أو غيره الخ
١١٩	مسئلة فإن قلت فقد اتفق السلف على أن الإيمان يزيد ونقص الخ
١٢١	مسئلة فإن قلت ما وجه قول السلف أنا مؤمن إن شاء الخ
١٢٤	﴿ كتاب أسرار الطهارة ﴾ وهو الكتاب الثالث من ربيع العبادات
١٢٧	القسم الأول في طهارة الحبت والنظف غيره يتعلق بالزال والزال به والازالة
١٢٧	الطرف الأول في الزال
١٢٨	الطرف الثاني في اللزاليه
١٢٩	الطرف الثالث في كيفية الازالة
١٣٠	القسم الثاني طهارة الأحداث ومنها الوضوء والتسلل والتيمم وتقدمها الاستنجاء
١٣٠	(باب آداب قضاء الحاجة)
١٣١	كيفية الاستنجاء
١٣١	كيفية الوضوء
١٣٤	فضيلة الوضوء
١٣٥	كيفية التسلم
١٣٥	كيفية التيمم
١٣٦	القسم الثالث في النظافة والتنظيف عن الفضلات الظاهر توهي نوعان : أوساخ وأجزاء
١٣٦	النسوع الأول الأوساخ والوطوبات للترسعة وهي ثمانية
١٣٩	النوع الثاني فيما يحدث في البدن من الأجزاء وهي ثمانية
١٤٥	﴿ كتاب أسرار الصلاة ومهماتها ﴾ وفيه سبعة أبواب
١٤٥	(الباب الأول في فضائل الصلاة والسجود والجماعة والأذان وغيرها)
١٤٦	فضيلة الأذان
١٤٦	فضيلة المكتوبة
١٤٧	فضيلة إتمام الأركان
١٤٨	فضيلة الجماعة
١٤٩	فضيلة السجود
١٤٩	فضيلة الحشوع
١٥١	فضيلة السجد وموضع الصلاة
١٥٢	(الباب الثاني في كيفية الأعمال الظاهرة من الصلاة والبداءة بالتكبير وما قبله)
١٥٤	القراءة
١٥٤	الركوع ولواحقه
١٥٥	السجود
١٥٥	التشهد
١٥٦	للتبائت
١٥٨	تميز القرائن والسئن
١٥٩	(الباب الثالث في الشروط الباطنة من أعمال القلب الخ)
١٥٩	بيان اشتراط الحشوع وحضور القلب

صفحة	صفحة
٢١٠ الفصل الأول في أنواع الزكاة وأسباب وجوبها	١٦١ بيان للماني الباطنة التي تتم بها حياة الصلاة
٢١٠ النوع الأول زكاة العم	١٦٣ بيان الدوام النافع في حضور القلب
٢١١ النوع الثاني زكاة المشتريات	١٦٥ بيان تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة
النوع الثالث زكاة التقديرات	١٧١ حكايات وأخبار في صلاة الخاضعين رضي الله عنهم
النوع الرابع زكاة التجارة	١٧٣ (الباب الرابع في الإمامة والقدوة الخ)
٢١٢ النوع الخامس الركاك والمعدن	١٧٨ (الباب الخامس في فضل الجملة وآدابها ومستها وشروطها)
النوع السادس في صدقة الفطر	١٧٨ فضيلة الجملة
الفصل الثاني في الأداء وشروطه الباطنة والظاهرة	١٧٩ بيان شروط الجملة
٢١٤ بيان دقائق الآداب الباطنة في الزكاة	١٨٠ وأما السنن الخ
الوظيفة الأولى أي من الوظائف التي على مرير طريق الآخرة فهم وجوب الزكاة الخ	١٨٠ بيان آداب الجملة على ترتيب المائدة وهي عشر جمل
٢١٥ الوظيفة الثانية في وقت الأداء	١٨٥ بيان الآداب والسفن الخارجية عن الترتيب السابق الذي يسم جميع التبار وهي سبعة أمور
٢١٦ الوظيفة الثالثة الإبرار	١٨٩ (الباب السادس في مسائل متفرقة تم بها البلوغ ويحتاج للريد إلى معرفتها)
الوظيفة الرابعة أن يظهر حيث يعلم أن في إظهاره ترغيباً للناس الخ	١٩٣ (الباب السابع في التواقل من الصلوات وفيه أربعة أقسام)
٢١٧ الوظيفة الخامسة أن لا يجسد صدقته بلين والأذى	١٩٣ القسم الأول ما يشكر بذكر الأيام والبالى وهي ثمانية
٢١٨ الوظيفة السادسة أن يستصغر العظمة	١٩٨ القسم الثاني ما يتصغر بذكر الأسماء
٢١٩ الوظيفة السابعة أن يتق من ماله أجوده وأحب إليه وأجده وأطيعه	٢٠١ القسم الثالث ما يشكر بذكر السنين
الوظيفة الثامنة أن يطلب لصدقته من تزكو بالصدقة الخ	٢٠٤ القسم الرابع من التواقل ما يتعلق بأسباب عارضة ولا يتعلق بالمواعيت وهي تسعة
٢٢١ الفصل الثالث في القايض وأسباب استحقاقه وظائف قبضه	٢٠٩ (كتاب أسرار الزكاة)
٢٢٣ بيان أسباب الاستحقاق	وفيه أربعة فصول
٢٢٣ بيان وظائف القايض	
٢٢٦ الفصل الرابع في صدقة التطوع وفضلها وآداب أخونها وإعطائها	
٢٢٧ بيان فضيلة الصدقة	
٢٣٠ بيان إخفاء الصدقة وإظهارها	
٢٣٠ بيان الأفضل من أخذ الصدقة أو أثارها	

صفحة

- ٢٥٦ المجلة السابعة في بنية أعمال الحج بعد الوقوف من البيت والرمي والنحر والحلق والطواف
- ٢٥٨ المجلة الثامنة في صفة العمرة وما بعدها إلى طواف الوداع
- ٢٥٩ المجلة التاسعة في طواف الوداع
- المجلة العاشرة في زيارة للدينة وآدابها
- ٢٦٢ فصل في سنن الرجوع من السفر
- ٢٦٣ (الباب الثالث في الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة)
- ١ بيان دقائق الآداب وهي عشرة
- ٢٦٧ بيان الأعمال الباطنة ووجه الإخلاص في النية وطريق الاعتبار للمشاهد الشريفة وكيفية الانكسار فيها والتذكر لأسرارها وما فيها من أولاد الحج إلى آخره
- ٢٧٣ (كتاب آداب تلاوة القرآن)
- وفيه أربعة أبواب :
- ٢٧٣ (الباب الأول في فضل القرآن وأهله وذم القصرين في تلاوته)
- ٢٧٣ فضيلة القرآن
- ٢٧٥ في ذم تلاوة القائلين
- ٢٧٦ (الباب الثاني في ظاهر آداب التلاوة وهي عشرة)
- ٢٨١ (الباب الثالث في أعمال الباطن في التلاوة وهي عشرة)
- ٢٩٠ (الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالرأى من غير نقل)
- ٢٩٥ (كتاب الأذكار والدعوات)
- وفيه خمسة أبواب :
- ٢٩٥ (الباب الأول في فضيلة الذكر وقايمته على المجلة والتفصيل من الآيات والأخبار والآثار)
- ٢٩٧ فضيلة مجالس الذكر

صفحة

- ٢٣١ (كتاب أسرار الصوم)
- وفيه ثلاثة فصول
- ٢٣٣ الفصل الأول في الواجبات والسنن الظاهرة واللوازم باقتضائه
- أما الواجبات الظاهرة فسته
- ٢٣٤ لوازم الإفطار أربعة
- ٢٣٥ الفصل الثاني في أسرار الصوم وشروطه الباطنة
- ٢٣٧ الفصل الثالث في التطوع بالصيام وترتيب الأوراد فيه
- ٢٤٠ (كتاب أسرار الحج)
- وفيه ثلاثة أبواب :
- (الباب الأول وفيه فصلان)
- الفصل الأول في فضائل الحج وفضيلة البيت ومكة والدينة حرسهما الله تعالى
- وهد الرحال إلى المساجد
- ٢٤٠ فضيلة الحج
- ٢٤٢ فضيلة البيت ومكة للشفقة
- ٢٤٤ فضيلة للقيام بمكة حرسها الله تعالى وكرامته
- فضيلة للدينة الشريفة على سائر البلاد
- ٢٤٦ الفصل الثاني في شروط وجوب الحج وصحة أركانه وواجباته وعظوماته
- ٢٤٧ (الباب الثاني في ترتيب الأعمال الظاهرة من أول السفر إلى الرجوع وهي عشرة مجلد)
- ٢٤٧ المجلة الأولى في السير من أول الخروج إلى الإحرام وهي ثمانية
- ٢٤٨ المجلة الثانية في آداب الإحرام من الليقات إلى دخول مكة وهي خمسة
- ٢٥٠ المجلة الثالثة في آداب دخول مكة إلى الطواف وهي ستة
- ٢٥١ المجلة الرابعة في الطواف الخ
- ٢٥٣ المجلة الخامسة في السعي
- ٢٥٤ المجلة السادسة في الوقوف وما قبله

صفحة	صفحة
٣٢١ (الباب الرابع في أدعية مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه رضي الله عنهم محذوفة الأسانيد منتخبة من جملة ما جمعه أبو طالب السكيت وابن خزيمة وابن منذر رحمهم الله)	٢٩٨ فضيلة التهليل
٣٢٤ أنواع الاستعاذة للأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم	٣٠٠ فضيلة التيسيع والتحميد وحب الأذكار
٣٢٦ (الباب الخامس في الأدعية للأثورة عند حدوث كل حادث من الحوادث)	٣٠٥ (الباب الثاني في آداب الدعاء وفضله وفضل بعض الأدعية للأثورة وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم)
٣٣٣ (كتاب ترتيب الأوراد وتخصيل إحياء الليل) وهو الكتاب المباشر من إحياء عساووم الدين وبه اختتام ربع العبادات . وفيه بابان :	٣٠٥ فضيلة الدعاء
٣٣٤ (الباب الأول في فضيلة الأوراد وترتيبها وأحكامها)	٣٠٦ آداب الدعاء وهي عشرة
٣٣٤ فضيلة الأوراد ويان أن اللواظبة عليها هي الطريق إلى الله تعالى	٣١١ فضيلة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضلها
٣٣٥ يان أعداد الأوراد وترتيبها	٣١٣ فضيلة الاستغفار
٣٤٥ يان أوراد الليل وهي خمسة	٣١٦ (الباب الثالث في أدعية مأثورة ومعمزة إلى أسبابها وأربابها مما يستحب أن يدعو بها للرء صباها ومساء ويقتب كل صلاة)
٣٥٣ يان اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال	٣١٧ دعاء عائشة رضي الله عنها
٣٥٧ (الباب الثاني في الأسباب للسيرة قيام الليل وفي الليالي التي يستحب إحياؤها وفي فضيلة إحياء الليل وما بين المشادين وكيفية قسمة الليل)	دعاء فاطمة رضي الله عنها
٣٥٧ فضيلة إحياء ما بين المشادين	دعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه
٣٥٨ فضيلة قيام الليل	٣١٨ دعاء برمجة الأسلى رضي الله عنه
٣٦٢ يان الأسباب التي بها يتيسر قيام الليل	دعاء قبيصة بن الحارث
٣٧٠ يان طرق القسمة لأجزاء الليل	دعاء أبي المبرداء رضي الله عنه
٣٧٢ يان الليالي والأيام القاضية	دعاء الحليل إبراهيم عليه الصلوة والسلام
	دعاء عيسى صلى الله عليه سلم
	٣١٩ دعاء الحضر عليه السلام
	دعاء معروف الكرخي رضي الله عنه
	دعاء عتبة الغلام
	دعاء آدم عليه الصلاة والسلام
	دعاء طي بن أبي طالب رضي الله عنه
	٣٢٠ دعاء ابن الحضر وهو سليمان التيمي وتيسحاته رضي عنه
	دعاء إبراهيم بن آدم رضي الله عنه

فهرس

مأمش الجزء الأول من إحياء علوم الدين

صفحة	صفحة
١١١	٢ - كتاب
١١٨ (فصل) في بيان أصناف أهل الاعتقاد المجرد	تعريف الأحياء بفنائل الإحياء
١٢٧ (فصل) لما كان الاعتقاد المجرد عن العلم	٢ خطبة الكتاب
بسطه ضيفا وخرد عن المرفة قريبا إلى	٤ المقدمة في عنوان الكتاب
١٢٨ بيان أرباب الرتبة الثالثة وهو توحيد	٨ للتصديق في فضل الكتاب وبسبب المدائح
للقربين	والثناء من الأكابر عليه والجواب عما
١٤٤ بيان للرتبة الرابعة وهو توحيد الصديقين	استشكل منه وطعن بسببه فيه
١٤٩ (فصل) في معنى إقضاء سر الربوبية كسر	١٦ (فصل) فيمن أثنى على الإحياء من العلماء
وغير ذلك	الأعلام
١٥٧ (فصل) في معنى قاطع الطريق	٣٠ (فصل) في بيان للواضع التي استشكل فيها
١٥٧ (فصل) في معنى فاستمع لما يوحى	على الإحياء والجواب عنها
١٦٩ (فصل) في معنى ولا تخفى رقاب الصديقين	٣٤ خاتمة في الإشارة إلى ترجمة الإمام القزالي
١٧٠ (فصل) في معنى انصراف السالك الناظر	وسبب رجوعه إلى طريقة الصوفية
بمد وصوله إلى ذلك الرقيق الأعلى	رضى الله عنهم
١٧١ (فصل) في معنى ليس في الإيمان أبلغ من	٥٥ ٣ - كتاب
صورة هذا العالم إلى	الإملاء في اشكالات الإحياء
١٧٥ (فصل) في بيان أن خطاب العقلاء	خطبة الكتاب
للمجمادات غير مستنكر	٦٠ ذكر مراسم الأسئلة في الليل
١٨٤ (فصل) في الفرق بين العلم المحسوس في عالم	٦٥ مقدمة في الألفاظ المستعملة
الملوك، وبين العلم الإلهي في عالم الملكوت	٧٩ وصية لطالب العلوم والناظر في التصانيف
١٨٧ (فصل) في حد عالم الملك	والاستشرف على كلام الناس وكتب
١٨٧ (فصل) في معنى أن الله خلق آدم على صورته	الحكمة
١٩٣ سؤال في بيان معنى قول سهل رحمه الله	٨٦ ابتداء الأجوبة عن مراسم الأسئلة
الالهية سر لو انكشف بطلت النبوات،	٩٤ بيان مقام أهل النطق المجرد وتميز فرقتهم
والنبوات سر لو انكشف لبطل العلم،	٩٩ (فصل) في بيان اللفظ للشيء عن التوحيد
والعلم سر لو انكشف بطلت الأحكام	١٠٠ (فصل) فان قلت لما الذي صد هؤلاء
١٩٧ (فصل) في حكم هذه العلوم للكتابة في	الأصناف الثلاثة من أهل النطق عن
الطلب، وسلوك هذه لتقامت، ورفق	النظر، والبحث حتى تعلموا، وأعن الاعتقاد
هذه الدرجات، واستنهام هذه الخاطبات	حتى تخلصوا من عذاب الله إلى

صفحة	صفحة
٢٥٧ (الباب الثالث في بيان فضيلة علوم الصوفية والإشارة إلى النموذج منها)	١٩٩ (فصل) لأي شيء ذكرت هذه العلوم بالاشارات دون المبارات ، وبالرموز دون التصريحات ، وبالتشابهن الألفاظ دون المحركات
٢٩٦ (الباب الرابع في شرح حال الصوفية واختلاف طريقهم)	٢٠٣ - ٣ (كتاب عوارف المعارف)
٣١١ (الباب الخامس في ماهية التصوف)	خطبة الكتاب
٣٢٥ (الباب السادس في ذكر تسميتهم بهذا الاسم)	٢١٥ (الباب الأول في ذكر منشأ علوم الصوفية)
٣٣٩ (الباب السابع في ذكر التصوف والتشبه به)	٢٣٣ (الباب الثاني في تخصيص الصوفية بحسن الاستماع)
٣٥٣ (الباب الثامن في ذكر اللامق وشرح حاله)	



